جامعة القاهرة
اليوبيل الذهبى
لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
١٩٤٧ ـ ١٩٩٧

الموسوعة الأفريقية



المجلد الأول
الجغرافيا

مايو ١٩٩٧

جامعة القاهرة
اليوبيل الذهبى
لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
(١٩٤٧ ـ ١٩٩٧)

الموسوعة الأفريقية

المجلد الأول

الجغرافيا

إعداد

أ.د. فاروق عبد الجواد شويق
أ.د. يوسف عبد المجيد فايد
أ.د السعيد إبراهيم البدوى
د. فاتن محمد البنا
أ.د. محمد مدحت جابر

أ.د. محمد السيد غلاب
د. ماجدة إبراهيم عامر
د. صلاح الدين صميدة عوض
د. عزيزة محمد على بدر
أ.د. محمد عبد الغنى سعودى

مايو ١٩٩٧

المحتويات

٨ ـ الأنماط الزراعية فى أفريقية ٢٨٩

٩ ـ الصناعة ٣٣٣

١١ ـ التحضر والحضرية فى إفريقيا
Urbanization and Urbanism in Africa ٤١٧

١٣ ـ الجغرافيا السياسية ٦٢٥

تقديم

يتناول هذا المجلد موضوعات جغرافية متنوعة داخل القارة الأفريقية بحيث تصبح الصورة الجغرافية للقارة فى النهاية واضحة جلية.

ومن هنا كانت البداية عن الأنسان الأفريقى فى فترة ما قبل التاريخ وابراز الآراء المختلفة حول هذا الانسان ومظان وجوده الأول فى القارة، ثم تبع ذلك دراسة الانسان الأفريقى من الناحية السلالية الأنثرو- جغرافية والتوزيع الجغرافى لهذه السلالات.

وجاء بعد ذلك دراسة المناخ والتصنيفات المناخية للعالم كپن وتطبيقها على القارة الافريقية، وكذلك التغيرات المناخية التى تترى على القارة وتأثير ذلك على نواحى الحياة المختلفة.

ثم يتناول الباحثون بعد ذلك دراسة السكان داخل القارة من الناحية الديمو- جغرافية، وكان من المنطقى أن يأتى بعد ذلك دراسة الأنشطة الأقتصادية المتمثلة فى الرعى والزراعة والصناعة ومدى تأثير الظروف الطبيعية والبشرية على هذه الأنشطة.

وكان من الضرورى أن يأتى بعد ذلك دراسة العمران الحضرى فى القارة باعتباره قمة النشاط البشرى المتفاعل مع الظروف البيئية المختلفة، وفى النهاية كانت الدراسة الخاصة بالجغرافيا السياسية فى القارة.

ونحسب من خلال هذه البحوث أن الظروف الجغرافية المختلفة فى القارة قد غطيت فيما عدا بعض النواحى الجيمورفية. والتضاريسية والجغرافيا الحيوية، وعلى أمل أن يستكمل هذا المجلد فى مرحلة قادمة نتقدم بخالص الشكر والتقدير لكل من ساهم فى هذا المجلد الجغرافى الذى صدر بمناسبة اليوبيل الذهبى لمعهد البحوث والدراسات الإفريقية (٤٧ - ١٩٩٧)، ونتضرع إلى الله أن يوفق الجميع من أجل رفع مكانة هذا الصرح العلمى العريق.

أ. د. السعيد إبراهيم البدوى
رئيس قسم الجغرافيا
وعميد معهد الدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة

حضارات إنسان ما قبل التاريخ
فى القارة الأفريقية

(غــلاب) و (شـويقـة)
أ.د. أ.د.

محمد السيد غلاب
إستاذ قسم الجغرافيا
وعميد المعهد السابق

فاروق عبد الجواد شويقة
إستاذ قسم الأنثروبولوجيا
ورئيس القسم السابق

(وهما من جيلين متعاقبين فى معهد البحوث والدراسات الافريقية)
جامعة القاهرة

القاهرة
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
١٩٩٧

المقدمة

يتسع موضوع حضارات إنسان ما قبل التاريخ، ليشمل جوانب متعددة منها التطور البيبولوجي والتطور الثقافي والحضارات منذ ظهور الإنسان القديم وتطوره منذ عصر البلايستوسين حتى يومنا هذا، وفي هذا العمل ستكون المعالجة أنثروبولوجية إيكولوجية وإن كانت ستتضمن جوانب وعناصر أثرية وتاريخية كثيرة، وهذا من طبيعة دراسة الموضوع الذي يدخل في مجال الأنثروبولوجيا التاريخية والجغرافيا التاريخية بذات الدرجة.

والحقيقة أن الإتجاه التطوري في الفكر العلمي يعد من أكثر الإتجاهات حيوية وتأثيراً وكما كان تشارلس داروين (١٨٠٩ - ١٨٩٢) هو مفجر الإتجاه التطوري في الشق البيولوجي والطبيعي من الأنثروبولوجيا، رغم وجود إرهاصات سبقته قام بها لامارك ووالآس، كما كان لويس مورجان (١٨١٨-١٨٨١) مفجر الإتجاه التطوري في الشق الثقافي - الاجتماعي في الفكر الجغرافي الأنثروبولوجي، هذا مع عدم تقليل أهمية دور كل من جوردون تشايلد (١٨٩٢-١٩٥٧) وإدوارد برنت تيلور (١٨٣٢-١٩١٧) ذلك الذي شغل في جامعة أكسفورد وظيفة رئيس المتحف ثم محاضراً رغم عدم حصوله على أية شهادة جامعية، كما قدم مساهمات ملموسة في تطور فكرة الإحياء وعبادة الاسلاف، ثم دور كل من سيجموند فرويد (١٨٥٦-١٩٣٩) ومساهماته ليس فقط في الأنثروبولوجيا النفسية ولكن أيضا في إسهاماته في موضوعات شتى خاصة موضوع الطواطم والمحرمات وما قدمه من أعمال واضحة المعالم في الفكر الإنساني.

هذا بعض من كثير قدمه العديد من الباحثين في الإتجاهات الفكرية المتباينة أمثال فريزر ومالينوفسكي ورادكليف براون وهادوون وإيفانز بريتشارد وسليجمان وفورتس وفيرث ومارجريت ميد وروث بنديكت ثم مردوك وأخيرا كارل بوتزر ذلك الذي شغل وظيفة إستاذ كرسي الجغرافيا والأنثروبولوجيا في جامعة شيكاغو وكانت له إسهاماته الواضحة وبحوثه الميدانية في شمال أفريقيا ومصر

فى مجال الجغرافيا والأنثرولوجيا التاريخية والأثرية، وأيضا تشارلس مكبيرنى الذى ساهم بجهود علمية أثرية فى شمال أفريقيا كما سيأتى بيانه.

ولقد لاحظ الإنسان منذ عصور سحيقة أنه مضطر الى التعامل فى إنسجام مع البيئة الطبيعية التى يحيى فيها، ولكن ليس هذا معناه أنه أسير لها إذ أن قدرات الإنسان العقلية والبدوية أعطته الفرصة كى يتحكم فى البيئة الطبيعية بالصورة التى أهلته الى توجيهها كى تكون فى خدمته.

وفى الحقيقة أن وصول الإنسان حاليا الى القمر والعودة منه، وتجاوز المسافات فى الفضاء الخارجى وفى أعماق المحيطات، والسيطرة والتحكم فى إستخراج ثروات الأرض والبحار والهواء كل هذا كان نتيجة سلسلة طويلة من الجهد الإنسانى الفردى والجماعى التعاونى والتنافس؛ هذا الجهد الذى ظهر منذ أن بدأ الإنسان فى بشريته وفى إنسانيته يدب منتصبا على قديمن ويسير بطريقة الخطوه على الأرض؛ التى منها ظهر وإليها يعود.

وهناك حقيقة يجب أن تكون واضحة عند داسة حضارات ما قبل التاريخ، وهى أن إنسان ذلك العصر كان أكثر ميلا نحو الدفئ لأسباب لاشك واضحة وهى أن معرفته بالاردية الثقيلة المدفئة كانت محدودة، لذلك لوحظ أن الحضارات القديمة كانت أعرق فى العروض الدنيا (القريبة من خط الأستواء) منها فى العروض الوسطى والعليا (القريبة من القطبين).

ويبدو أن بداية القنص جاء من بداية الإحتكاك بين الإنسان والحيوان وحاجة الإنسان الى الطعام الحيوانى، بعد أن كان يشبع جوعه من الطعام النباتى، بما كان يجمعه من جذور وبذور وثمار وأوراق الشجر، وجاء بعد ذلك الوعى وإستئناس الحيوان حيث بدء بالحيوانات الصغيرة كالخنازير والكلاب وبعض الفصائل ذات القرون الطويلة والقصيرة، وذلك عندما بدء الإحتكاك المباشر عن قرب بين الإنسان وهذه الحيوانات، عندما كان الجميع (الأناسى والحيوانات) تنزل من الهضاب والتلال الصحراوية الجافة الى مجارى المياه

وعيونها ومستنقعاتها خلال فترات الجفاف التى كانت تتخلل العصور المطيرة أو تلك التى أعقبتها.

وكانت هذه المرحلة، مرحلة هامة حيث بدأ تحول الإنسان من عملية صيد الطعام الى عملية إنتاج الطعام، وهى مرحلة كانت بداية أو صاحبت بصورة ما مرحلة الزراعة التى ماهى إلا إستئناس النبات، كما أن الرعى إستئناس للحيوان.

هذا ومازال موضوع إنتقال الحضارات منذ أقدم العصور يلقى إهتمام الكثيرين من الجغرافيين والأنثروبولوجيين والأثريين منذ أن قال جرافتون إليوت سيمث Elliot - Smith,G. ومعه برى Perry,W.J. بأن مصر هى مهد الحضارات ومنها إنتشرت الى كل أرجاء العالم، هذا بينما آخرون مثل راجلان Raglan وهيليداى Holliday قد رجحا أرض ما بين النهرين على مصر فى ذلك الأمر، على كلٍ، فإن الوضع إستقر أخيرا على مصر ومن ورائها أفريقيا التى إتضح أنها كانت مهدا للإنسان وحضارته منذ أقدم العصور البشرية كما أكدت ذلك كشوف ليكى وعائلته فى شرق أفريقيا، (انظر غلاب فى هذه الموسوعة).

وقد أقترح الباحث الإنجليزى جون لوبوك John Lubbock فى عام ١٨٦٥ استخدام لفظ Polaeolithic للعصر الحجرى القديم [١] ولفظ Neo-lithic للدلالة على العصر الحجرى الحديث أما العصر الحجرى الوسيط أو المتوسط فقد أطلق عليه الباحث الإنجليزى آلان براون Allan Brown لفظ Mesolithic لأول مره عام ١٨٩٢[٢] وهى تعنى المرحلة الوسطى بين عصرى الباليوليثيك والنيولثيك والجدير بالذكر أن كل هذه الكلمات ذات أصل يونانى قديم يدل على معناه.

هذا ويمكن إعتبار الفترة السابقة على ظهور الوعى الإنسانى Con-sciousness أى الفترة التى كان فيها الإنسان يعتمد على الأساطير فترة خارج التاريخ الإنسانى كما يقول هيجل[٣]، والحق أن بداية ظهور الوعى هو

مؤشر جدير بالعناية وذلك بإعتباره فاصلا بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية شأنه شأن الكتابة بل وأعمق دلالة إذا لا كتابة قبل وجود الوعى.

والوعى فى أبسط مفهوماته هو بداية إحساس الإنسان بذاته، اذ لا وعى للإنسان فى الفترة التى كان فيها متحدا مع الطبيعة عاجزا عن التعرف على ذاته، اذا لابد أن ينفصل الإنسان عن الطبيعة بحيث يصبح واعيا بنفسه حتى ولو ظل هذا الوعى مظلما بعض الشئ هذا، ويرتبط الوعى بصورة ما؛ بالحرية بكل صورها، إذا أن الوعى هو ما يعبر عنه أحيانا بالعقل (الفكر)، وكما نعلم فإن العقل والحرية متلازمان كما أنهما قاصرين على الإنسان(٤).

وهذا المقال الموجز المركز يهدف الى القاء الضوء على تطور الإنسان ومكانة أفريقية القارة، الأرض والبشر، فى صنع الحضارة البشرية ثم الإنسانية منذ أقدم العصور السحيقة، العصور السابقة على إكتشاف الوعى وممارسة الكتابة، أى فى عصور ما قبل التاريخ.

وفى حدود الصفحات المتاحة سنعرض بعض جوانب من هذا الموضوع الكبير متبعين منهج البحث المكتبى فى دراسة الأنثروبولوجية الإيكولوجية الآثرية مقسمين الدراسة بعد المقدمة الى خمسة موضوعات هى : البيئة القديمة - إرتقاء السمات الإنسانية - شمال أفريقيا والصحراء - أفريقيا المدارية - جنوبى القارة، ثم تأتى بعد ذلك الخاتمة، وبها لمحة عن أهمية دراسة موضوعات عصر ما قبل التاريخ والدروس المستفادة منها ويختم المقال ببعض الأشكال التوضيحية ثم ببيليوجرافية.

البيئة القديمة

لعل من المناسب بل ومن الضرورى للباحث فى موضوع تطور الإنسان وحضارات عصر ما قبل التاريخ، أن يكون على دراية بمنهج الجغرافيا القديمة، وهو الذى يهدف الى إعادة تصوير الظروف الجغرافية التى كانت سائدة فى أية منطقة وفى أى عصر مضى، وهذا يتطلب خبرة معينة وعناية بالغة ومجهوداً كبيراً، ويصبح الواجب الأساسى هو أن يتعرف الباحث على الخصائص الطبيعية وامكانيات البيئة، وأن يكشف عن ما يتوفر فيها من الامكانيات الاقتصادية، والتيسيرات، أو الصعوبات التى كانت تواجه حركة الإنتقال داخل المنطقة، أو بينها وبين ما يجاورها من مناطق، وأيضا المعطيات الدفاعية التى كانت تتيحها العناصر الطبيعية، وكذا أساليب وأنماط الحياه التى كانت تسمح لها الظروف الجغرافية بأن تُزَاول فى هذه البيئة أو تلك.

فإذا أردنا أن نعرف كل ذلك، ولكن فى فترات زمانية سابقة، فما علينا إلا البدء بإستقراء الخرائط الجغرافية، بعناصرها المختلفة عن البيئة الحالية، محل الدراسة، ثم تحاول رسم خرائط مماثلة لذات البيئة، ولكن فى عصور سابقة، مسترشيدين بعدة مؤشرات جغرافية؛ منها خطوط الكنتور وخطوط الأعماق وظروف المناخ القديم ومحاولة الربط بينها جميعا؛ كى تعطى صورة عن توزيع اليابس والماء (من خلال المعابر الأرضية والممرات المائية) فى العصور القديمة، وما يتصل بذلك من هجرات حيوانية وبشرية، وذلك فى ضوء توزيع الأجناس والسلالات الحيوانية والبشرية الحالية، وعليه يمكن إذا ما عرفنا الأحوال المناخية القديمة، أن نكون صورة أقرب ما تكون الى الحقيقة عن البيئة الجغرافية القديمة.

عصر البلايستوسين :

ينقسم الزمن الجيولوجى منذ نشأة الأرض الى الأزمان الفرعية لتالية :-

				(٪ من عمر الارض)
الزمن الإبتدائى	الأركـــــى	Archasozoi	ما قبل الحياة	٪٥٥
الزمن الأقـــدم	الباميـاليوزوى	Pampalaeoz-	الحيـاة الأولى	
	أو (الإيـوزوى)	oic (Eozoic)	(فجر الحياة)	
الزمن الأول	البـاليـوزوى	Palaeozoic	الحياة القديمة	٪٣٠
الزمن الثـانى	الميـــزوزوى	Mesozoic	الحياة الوسطى	٪١١
الزمن الثـالث	الكـايـنوزوى	Cainozoic	الحياة الحديثة	٪٤
الزمن الرابـع	الكواترنارى	Quaternary	الحـــــالى	

هذا وقد شغل عصر ما قبل التاريخ الفترة الزمنية الأخيرة من الزمن الرابع، السابقة مباشرة على العصر الحالى وذلك العصر هو البلايستوسين Pleistocene وهو الذى بدء منذ أكثر من مليون سنة ق.م، هذا ويقال أيضا فى سبب ظهور العصور الجيلدية، أن كثرة ثوران البراكين الضخمة القديمة فى عصر البليوسين كانت تثير فى الجو كميات من التراب تبقى لسنوات عديدة ربما كانت من العوامل المهمة فى تغيير مناخ الأرض؛ وذلك بحجب كميات كبيرة من أشعة الشمس وتشتيتها فى الفضاء الخارجى مما سبب ظهور العصور الجليدية فى العروض العليا والعصور المطيرة فى العروض الدنيا، وغيرها من الإضطرابات المناخية الكبيرة.

أفريقيا القديمة خلال البلايستوسين :

يكاد يكون موقع أفريقيا خلال عصر البلايستوسين متطابقا تقريباً مع موقعها الحالى بالنسبة لخطوط الطول والعرض، وذلك بعد أن تعرضت القارة لعمليات زحزحة وتكسير إستمرت عصورا جيولوجية طويلة منذ العصر الجوارسى والعصر الكرتاسى.

ونظراً لكون أفريقيا تتكون من كتلة يابسة مكونة من صخور قديمة أركية لا تتوغل فيها البحار، لذلك فإننا نجد أن الرصيف القارى المحيط بها، وهو الذى لايكاد يتعدى عمق المياه فيه مائة قامة (٦٠٠ قدم/ ١٨٣م)، قليل الامتداد،

وهذا الرصيف القارى مهم جداً أن يحدده دارسو عصر ما قبل التاريخ حيث أنه كما يقول H.G.Fleure هو ساحل اليابس الأراضى فى عصر البلايوستوسين.

هذا الرصيف القارى كانت تزاح عنه المياه فى العصور الجليدية عندما يزداد سمك الجليد فى القطبين مما تقترب منه الأرض الأفريقية من الأراضى المحيطة بها من الجزر (كناريا غرباً، ومدغشقر شرقاً وبانتاليريا وصقلية ومالطا فى الشمال) ومن أشباه الجزر (أيبيريا وأيطاليا فى الشمال) وخليج السويس شرقا مما سهل على الإنسان الإنتقال من القارة الأفريقية ـــ فيحدث إختلاط وتبادل سلالى بيولوجى، وثقافى حضارى، بين قارات أفريقيا وأسيا وأوربا.

هذا وقد شهدت أفريقيا خاصة قسمها الشمالى، خلال الزمن الجيولوجى الرابع تغييرات مناخية وذبذبات متتابعة من الجفاف والرطوبة خاصة خلال عصر البلايوستوسين.

لذا كانت الصحراء الكبرى الأفريقية التى هى أشد بقاع الأرض حرارة وأكثرها جفافاً حاليا، كانت أراضى رطبة ومن أقدم مراكز الاستيطان البشرى فى العالم، والدليل على ذلك مستنتج من الحفائر الأثرية التى عثر فيها على مخلفات بشرية وأثرية عديدة.

وحتى تتضح الصورة أكثر يمكن متابعة المقارنة التالى :-

التاريخ بالسنة	العصور الجليدية فى أوربا (جبال الألب)	العصور المطيرة فى أفريقيا (٦)	العصور الجليدية فى شمال أمريكا (٧)
٨٠ ألف	فرم Wurm	الجامبلية Gamblian	ويسكونسن Wisconsin
١٢٠ ألف	رس Riss	كانجيران Kanjerian (الشرق فقط)	ايللينوى IIlinoin
٢٦٠ ألف	مندل٢ Mindel2	كاماسيان Kamasian	كانساس Kansan
٣٠٠ ألف	مندل١ Mindel1		
٣٤٠ ألف	جينز٢ Gunz2	كاجيران Kageran	نبراسكا Nebraskan
٤٢٠ ألف	جينز١ Gunz1		(جيرسى (Jerseyan
٩٠٠ ألف	كرومرى Cromry		
١.٣ مليون			

والجدير بالذكر أن بداية ظهور العصور الجليدية[٨] تعد الحد الفاصل بين عصر البلايوسين وعصر البلايستوسين وإن كان مؤتمر الجمعية الدولية للزمن الرابع (المنعقد عام ١٩٩٥) قد أرجع بداية عصر البلايستوسين الى ١.٨٥ مليون سنة وهى فترة توافق أحداث ماتوياما المغناطيسية التى تعرضت لها الأرض بالانقلاب ما بين ٠.٦٩ ـ ٢.٤٢ مليون سنة [٩] وقد تمكن العلماء من هذه التقديرات بإتباع وسائل علمية دقيقة [١٠].

وقد تمثلت أيضا عصور الجليد فى أفريقيا فى تزايد حجم القمم الثلجية التى تعطى جبالها الشاهقة، فقد ثبت من بحوث جريجورى عام ١٨٩٣، أن الجليد الذى يغطى جبل كينيا (يقع جنوب خط الأستواء على درجة ٣.٠٥ وارتفاعه ٥١٥٨ مترا) قد إنحدر على سفوحه بنحو ٩٠٠ ـ ألف متر عن مستواه الحالى، ومعنى ذلك تزايد حجم القلنصوة الجليدية التى تغطى قمته، وبالمثل حدث فى ثلاجات جبال رونزورى (تقع شمال خط الإستواء مباشرة بنحو ٢٤ثانية ومتوسط إرتفاعها ٥١٢٠ مترا) فقد إنحدرت ١٩٨٠ متراً عن مستواها الحالى. أما جبل إلجون (ويقع على ١.٠٩ْ شمالاً وإرتفاعه ٤٣١١ متراً) فقد وصل جليده الى إرتفاع ٣٣٠٠ متراً، وكذلك تغطت بالجليد قمم جبال إبردير (٣٩١٤ متراً) وساتيمانى (٣٩٠٠ متراً) فى كينيا، وسيمن (٤٦٢٠ متراً) فى هضبة إثيوبيا، وقمة كاكا فوق الهضبة الصومالية[١١]، وحدث هنا أيضا مع باقى جبال القارة خاصة أعلاها كلمنجاور (٦٠١٠م).

أما الصحراء الكبرى فقد شهدت خلال عصر البلايستوسين تضاغطاً للأقاليم المناخية (حرارة ورياحاً وأمطاراً) بحيث أصبحت الصحراء تدخل فى نطاق مناخ غرب أوربا الحالى ويزيد على ذلك أن قوة الرياح وغزارة الأمطار كانت على مستوى أشد وأكثر مما هو معروف عنها حاليا، وقد أستدل على ذلك من الرواسب البحرية والبحيرية والشاطئية المنتشرة فى مناطق مختلفة من الصحراء الأفريقية، وهى التى تكونت خلال وفى أعقاب الفترات المطيرة Pluvial Periods فى عصور ما قبل التاريخ، حيث كانت بحيرة تشاد تغطى

كل حوض تشاد تقريباً، كما كانت توجد بحيرة السد فى وسط حوض النيل، بحيث تمتد من جنوب السودان الحالى الى ما بعد موقع الخرطوم حيث كان خانق سبلوقة.

ولعل من الموضوعات الهامة الأخرى الواجب معرفتها لدارس ما قبل التاريخ الأفريقى، هو الإحاطة الأساسية بظروف بيئة الأخدود الأفريقى القديمة ذلك الذى يمثل أكبر كسر فى القشرة الأرضية صاحبته كسور فرعية وصدوع وهبوط فى القشرة الأرضية على إمتداد خمسة آلاف كيلو متر إبتداء من جنوب بحيرة مالاوى فى شرق أفريقيا حتى جبال طوروس شمال سوريا فى غرب آسيا.

دور أفريقيا فى إرتقاء الإنسان :

تعد أفريقيا ليست فقط الموطن الأول للبشرية بل إنها القارة الوحيدة التى تحوى النماذج المتتابعة لتطور وإرتقاء الإنسان من أسفل سافلين الى ما وصل اليه من أفضل تقويم من خلال ما أكتشف من الحقائق التالية (١٢) :

١ ـ القردة العليا Higher Primate (٢٣ ـ ٨ مليون سنة) حيث عثر عليها فى سوارتكرانس Swartkrans (جنوب أفريقيا) وفى خانق أولدوفاى (شمال تنزانيا) وفى جزيرة روسينجا .Rusinga Isl (كينيا) وفى فورت تريِنان Fort Ternan (كينيا) وفى تلال سامبورو Samburu Hills (كينيا) وفى جبل القطرانى بالفيوم Faiyum (مصر) وفى ليريت Liret (شمال كينيا).

٢ ـ البشريات الجنوبية Australopithecus (٤ ـ ١,٢ مليون سنة) وقد عثر عليها فى تونجا Tunga (جنوب أفريقيا) وستركفونتين Sterkfontein وما كابان Makapansgate (جنوب أفريقيا) وبنينج Pening (شمال تنزانيا) وفى بارنجوشيسوانجا Baringo Chesownja (وسط الأخدود الكينى) وفى كانابوى ـ لوتاجام Kanapoi Lothagam وفى كوبى فورا Koobi fora (شمال غرب كينيا) وفى هادار Hadar (وسط إثيوبيا) وفى أومو Omo (جنوب غرب إثيوبيا).

٣ ـ الإنسـان البـارع Homo Habilis (٢ ـ ١.٥ مليـون سنة) عـثر عليـه فى خانق أولدوفاى Oloduvei Gorge (شمال تنزانيا)[١٣].

٤ ـ الإنسـان المنتـصب Homo Erectus (١.٦ مليون ـ ٣٠٠ الف سنة) عثر عليـه فى تيـرنيـفين Ternifine (شـمـال غرب الجـزائر) وتومـاس كـاورى Thomas Quarry (المغرب، جنوب الرباط) وفى أديس أبابا-Addis Aba-ba (إثيـوبيـا) وفى أومـو Omo وفى كـوبى فـورا وليـبـرت Koobi Fora Librt (جنوب غرب إثيوبيا) وفى ناريوكوتوم Nariokotome (شمال غرب كينيا) وفى بارنجووشيسوانجا Baringo Chesowanja (وسط كـينيـا) وفى اولورجيـسـايلى Olorgesailie (جنوب كـينـيـا) وفى خـانق اولدوڤـاى Olduvai Gorge (شـمـال تنزانيا) وفى كـومنداى Kromdraai (جـنـوب أفريقيا).

٥ ـ الانسـان العـاقل الحفرى Homo Sapiens (archaic) (٣٠٠ الـف ـ ٣٩ الف سنة) عثر عليه فى عدة أماكن فى المغرب منها سالا Sale وتمارا Ta-mara وسـيـدى عـبـد الرحـمن Sidi Abderrhman كـمـا عـثـر عليـه فى سـالدانهـا Saldanha (جنوب أفـريقـيـا) وفلورشـبـاد Florisbed وفـــى مـاكـابان Makabansgat (التـرنسـفـال) وفى بـروكن هل Broken Hill (زامـبـيـا) وفى شـلالات كالامبو Kalambo (زامـبـيـا) وفـى نيـوتو Nautu ولايتـولى Laetoli (شمـال تنزانيا) وفـى أومو Omo (جنوب غرب إثيوبيا) وفـى ديـرداوة Dire Dawa (شـرق إثيـوبيا) وسـينجـا Singa بجـوار سنار فى (السودان).

٦ ـ الإنسان العاقل النياندرتال Homo Sapiens (Neandertal) (١٢٥ الف ـ ٣٢ الف سنة) وقد عـثـر عليـه فى جـبل الهـود Irhoud (جـنـوب الـدار البيضاء بالمغرب) وفى كهف هوافطيح Haua Feteah (فى برقة بليبيا).

٧ ـ الإنسان العـاقل الحديث Homo Sapiens Sapiens (Modern) (٣٥ـ ١٠ الف سنة) وهو الإنسـان المعاصـر ولكن ترجع حـفرياته وسـلالتـه الى النمط

الذى كان شائعاً وإستقر منذ عشرة ألاف سنه مضت وقد عثر عليها فى مواضع كثيرة منها Afalou - bou - Rhummel (شمال الجزائر) وفى إيشانجا Ishanga (غرب بحيرة إدوارد فى زائير) وفى المنتيتا El-menteita وفى لوكينيا هل Lukenya Hill (كينيا) وفى لمبو Lumbwo (زامبيا) وبوردركيف Border Cave (ناتال) ومصب نهر كلاسيس Kla-sies (جنوب أفريقيا) وفى فيش هوك Fish Haek (مقاطعة الكيب)، وعليه فقد إستقر الرأى على أن قارة أفريقيا هى الموطن الأصلى للإنسانية وقد أكدت ذلك الكشوف المشار اليها، بالإضافة الى البحوث الحديثة فى مجال الوراثة الأثرية[١٤].

هذا وقد كشفت حفائر أفريقيا عن جماجم بشرية توضح التسلسل المتدرج من الإنسان المنتصب Homo Erectus (جمجمة شرق توركانا، وجمجمة ألدوفاى مدرج ٢) الى الإنسان العاقل الأول Early Homo Sapiens (جمجمة بودو Bodo من إثيوبيا) ثم الى الإنسان العاقل الحديث Homo Sa-piens Sapiens (جمجمة سالدانها Saldanha من جنوب أفريقيا وجمجمة بروكين هل Broken Hill من زامبيا) وهكذا بقت أفريقيا كلا من آسيا وأوربا فى هذا المجال[١٥].

تقدم الحرف:

عثر على أقدم آلات البلايوستوسين الأسفل وعلى أدلة استخدام النار، عثر عليها فى مواضع عدة من شمال وشرق وجنوب أفريقيا، وفى شمالى أفريقية من موضع عين حانيش Ain Hanech حيث وجد على حافة بحيرة قديمة ترجع طبقاتها الرسوبية الى نهاية البلايوستوسين الأسفل وهى ذات الطبقات التى عثر عليها فى أولدوفاى Olduvai.

وفى شرق أفريقيا عثر على آلات مع حيوانات كايزو Kaiso Fauna فى موضع كانياتزى Kanyatse فى أوغندا، وفى مواضع أومو Omo ولايتولى Laetoli وفى أولدوفاى Olduvai ذاتها.

وفى جنوب أفريقيا عثر على بعض الآلات أرجعت الى هذا الزمن فى مواضع كهوف قردة الجنوب Australopithecine وهى لذلك ربما ترجع الى عصور أقدم من تلك التى عثر عليها في شرق أفريقيا، وتتميز الآلات التى عثر عليها فى هذه المواضع بأنها كانت بأعداد كبيرة، بما يعطى إيحاءً بأنها تحمل نمطا حضارياً متميزاً؛ وبعضها كان بسيط الشكل Simpl Oval Shap من الحصى المستدير أو فلقات مستعرضة Spilt Crosswise منها، أو فلقات طولية Longthwise أو مائلة diagonally وبعض السواطير ذات حافات مادة مفردة وآلالات أخرى ذات حافتين وأخرى ذات حافتين وأخرى مازالت خاما، وآلات شظايا وفى بعض المواضع فى شمال وشرق أفريقية عثر على كرات حجرية وهذه آلالات الغريبة سميت حجر بولاس bolas وكانت من النوع الذي يستخدم فى القذف وكل من يلعب البيسبول يعرف أنه من السهل ضرب حيوان بحجر ذا شكل بيض أسهل من ضربة بحجر عادى، هذه آلالات الحجرية كانت أدوات الإنسان فى إحتراف جمع وقنص الغذاء والدفاع عن النفس الذى كان غالبا ما يختلط بعملية قنص الغذاء.

أما بداية الزراعة فقد جاءت مع ملاحظة الإنسان لنمو النباتات المغذية من كوم الاوساخ التى كان يقذف بذورها فوقها فكانت تنمو بغزارة، مما شجعه على أن يتوسع فى تكرار العملية لانه كان يتغذى على هذه النباتات وكان ضروريا أن يخترع آلات تساعد على تطهير الغابات ولكى يبنى حظائر وزرايب للحيوان الذى أخذ فى تربيته بغرض الأكل أو اللبن وخلافه، وخوفا من أن يهرب الحيوان ويعود لحياته البرية الأولى كان ضرورياً أن يبنى الحظائر، ولقد كانت الفأس اليدوية المصقولة من أهم آلات قطع الخشب وللقيام بكل الأعمال المطلوبة فى حرفة الرعى والزراعة. تلك الحرفة التى مازال أغلب البشر تزاولها ومازالت

تؤلف الأساس الذى يقوم عليه وجودنا ذاته، فكانت الحنطة ولحم البقر ولحم الخنزير والحليب والبقول وصناعة الفخار والحياكة والصوف والجعة والنبيذ، تؤلف أساس هذا النمط الحضارى الذى يعرف باسم المرحلة الحجرية الحديثة من سلسلة الحضارات البشرية.

وقد تبع الفأس الحجرية التى ظهرت منذ العصر الحجرى القديم الأسفل تقدم وتطور فى صنع الآلات الحجرية، كان من أهمها وأخطرها المنحت والمكشط Scraper ثم ظهر خلال العصر الحجرى القديم الأعلى وبواسطة التشظية والتهذيب Flaking & Chipping سلسلة متقدمة من آلالات مصنعة من ورق الوعل عن طريق التقويم والكشط والحك مثل المخراز Awl.

أما إنسان العصر الحجرى المتوسط الذى كان أكثر اهتماماً بالنجارة فقد استخدم ذات الأسلوب الصناعى فى إنتاج مثاقب وأسافين من قرون الوعل، وبإستخدامه ذات المنهج على الحجارة القوية الصلبة أمكنه إنتاج الفأس التى ساعدت كثيرا إنسان العصر الحجرى الحديث فى الزراعة، ورغم أن صنع الفأس الواحدة كان يحتاج الى شهر من العمل حتى تشحذ وتصقل، إلا أن عمرها كان يدوم طويلا إذا ما إستخدمت واستعملت بعناية.

هذا وكانت صناعة البيوت فى العصر الحجرى الحديث تعتمد على دعائم خشبية مغروسة فى الأرض تكون الهيكل العام للبيت ثم تحشى جدرانها بالأغصان المضفورة المغطاه بالطين، وقد كانت طريقة التضفير شبيهة بتلك التى كانت تستعمل فى صناعة السلال، والجدير بالذكر أن هذا النمط من بناء البيوت مازال معمولا به ومعروفا فى كثير من المجتمعات الزراعية من العالم القديم حتى اليوم.

النار Fire (١٦) :

لعل أهم وظائف النار عندما إخترعت فى عصر ما قبل التاريخ كانت تتركز فى الوظائف الأربع التالية :

١ ـ وسيلة للحماية. ٢ ـ وسيلة للتدفئة.

٣ ـ بؤرة للتماسك والتآلف الإجتماعى. ٤ ـ أداة للطبخ.

هذا ويعتبر تحكم الإنسان فى النار من أهم معالم سيطرة الإنسان على البيئة بل إن إرتباط النار بالمارد الأغريقى بروميثيوس الذى يدل اسمه على البصيرة، لدليل على إرتباط النار بالبصيرة التى تؤدى الى الاختراع والحكمة، وقد دلت الأدلة المتراكمة؛ على أن معرفة النار ترجع الى ١.٥ مليون سنة مضت ولكن تحديد البداية مازالت محل خلاف، هذا وتحدد المواضع التى يحتمل أنها قد شهدت ظهور النار فى عدة مواضع محدودة هى اولورجيسايلى Olor-gesailie (تنجانيقا منذ ٤٠٠ ألف سنة) جاديب Gadeb (إثيوبيا منذ ١.٣ مليون سنة) كوارى Korari (كينيا منذ ١.٥ مليون سنة) شيسووانجا Che-sowonja (كينيا منذ ١.٥ مليون سنة) شيكونتين Choukountin (شمال الصين منذ ٥٠٠ ألف سنة) ياوانمو Yuanmou (جنوب غرب الصين منذ ١.٤ مليون سنة) لوسكال L'Escale (جنوب فرنسا نصف مليون سنة) ترا أماتا Terra Amata (جنوب شرق فرنسا منذ ٣٠٠ ألف سنة)، فرتسزولوس Vërtesszöllös (المجر منذ ٢٠٠ ألف سنة).

ويعيد حاليا البوشمن والهوتنتوت خبرات صنع النار، حيث أن التدريب هام جداً حتى ينجح الفرد فى توليد النار من حك المثقاب مع مواد نباتية جافة سريعة الاشتعال، مع ملاحظة ضرورة سرعة اقتناص الشرارة التى سريعا ما تنفذ.

هذا ولا شك أن التحكم فى النار كان خطوة هامة للإنسانية، حيث أنها تقدم التدفئة والحماية ووسيلة الطبخ، وكانت بالنسبة للإنسان الأول وسيلة محفزة؛ اذ بالنار يسهل للإنسان التوصل الى الكثير من الأمور لسهولة تشكيل

الاخشاب، كما أصبح سهلا عمل الشظايا، وكان هذا مدعاة لوضع الإنسان عندما تحكم فى صنع واستعمال النار، بعيداً فى خط التقدم عن باقى العالم الطبيعى الآخر، وأصبحت الاسئلة عن كيف وأين ظهرت النار وكيف إنتشرت أسئلة قديمة، أصبح السؤال الهام هو دور النار فى التقدم الإنسانى؟

ومن خلال الكشوف التى تمت خلال القرون الأخيرة إتضح أن النار معروفة ومستعملة فى كل المجتمعات الإنسانية بما فيها البدائية والبسيطة، مهما كان مستوى تكنولوجيتها، فالإسكيمو وسكان جزر البحار الجنوبية وأهالى تيرادلفويجو، كلهم يستخدمون النار، كما أنهم رغم معرفتهم كيف توقد النار، إلا أنهم يتركوا شعلة صغيرة موقدة بإستمرار، مع تخصيص فرد لملاحظتها والمحافظة عليها متقدة.

واذا ما حاولنا ملاحظة إرتباط النار بالطبيعة نجد أن العلاقة بين النار والنوع والإنسان قليلة الوضوح، فحرق الأدغال فى أفريقيا وربما فى أماكن أخرى، يستعمل بذكاء لقنص الفرائس، كما أن الفهود يمكنها أن تمسك بالطيور الهاربة وكذلك تفعل الصقور، ورغم قلة المعلومات عن سلوك الرئيسيات حيال النار، إلا أن ادوارد تيلور Edward Tylor الأنثروبولوجى الفيكتورى (من عصر الملكة فيكتوريا ١٨٢٧ ـ ١٩٠١) سجل قصة الرحلة عن البونجو (الجوريللا) الذى جلست حول النار للتدفئة فى جماعة حتى خمدت النار ولكن لم يستطيعوا الحرص على استمرار إيقادها، كل هذا يعطى إنطباعاً بأن إستعمال النار يبنى تدريجياً التوافق مع الطبيعة.

والنار ليست موضوعا سهلاً أمام الأثريين للتعامل معه، بسبب طبيعة الأدلة، حيث يمكن القول أن هناك خطوتين للتقدم : الأولى الكشف عن عدة أدلة على الإشعال، ثم الربط بينهما وبين النشاط الإنسانى. إذا اشتعلت نار صغيرة فى معسكر، فإن هناك أدلة كثيرة تترك للدلالة على وجود حريق، الرماد Ask والفحم النباتى Charcoal أو أى وقود Fuel آخر، ودائرة من الأحجار التى ربما تكون وضعت كى تحتوى النار داخلها، وربما تربة محروقة بحرارة النار أو بقايا بعض الأشياء والأطعمة مثل عظام أو أغطية الأوانى التى تركت وتخلفت،

فإذا ما حوفظ على كل هذه الأدلة فإنه يتضح بدون شك أن هناك كانت نار، ولكن فى الحقيقة هذه الأدلة قد تختفى أو تتحرك بفعل الرياح أو الأمطار.

وهذا يعنى أن إحتمال العثور على أدلة مباشرة على وجود النار فى الكشوف الأثرية قليل، خصوصا فى المواضع المكشوفة فخلال النصف مليون سنة الأخيرة لم يعثر على دليل واحد، يدل على وجود النار من مواضع أثرية مكشوفة حتى تلك المعاصرة لكهوف بها أدلة على وجود نار، وعلى ذلك فإن وجود الدليل المبكر جداً على إحتمال إستعمال النار مثل ذلك الذى يرجع الى ١,٥ مليون سنة فى موضع شيسووانجا Chesowanja فى شرق أفريقيا، جاء مفاجئ ولكن الأدلة السالبة على وجود النار فى مواضع ترجع الى ٥٠٠ ألف سنة لا يدل على قلة المعلومات عن النار(١٧).

وقد عثر فى المواضع الباليوليثية اللاحقة التى ترجع الى ٢٠٠ - ٣٠٠ الف سنة على أدلة كثيرة على وجود النار وهناك مواضع كثيرة ليس بها بقايا للنار، ولكن وجد بها مواقد Hearths ترجع الى هذه الفترة، مثل تلك التى عثر عليها فى ترا أمانا فى جنوب شرق فرنسا وفرتسزولوس فى المجر ودولنى فستونيس Dolni Vestonice فى (تشيكوسلوفاكيا)، بعض منها عبارة عن انتشار للفحم النباتى Charcoal، ولكن بعضها يتمثل فى وجود مواقد حجرية، وفى غيرها نجد تربة محروقة الى جوار الشاركول (الفحم النباتى Charcoal).

وفى بيئة الكهوف المحمية نجد أن الأدلة على وجود النار أكثر إحتمالا للعثور عليها، حيث عثر على الشاركول والتربة المحروقة والرماد، محمية بعيداً عن الرياح والأمطار، وفى كهوف تشيكونتين بجوار بكين فى الصين، التى كانت مسكونة بالإنسان المنتصب Homo Erectus (منذ ٥٠٠ مليون سنة)، وجدت طبقة فوق طبقة من الرماد ashes، ورواسب محروقة وعظام الحيوانات المحروقة رغم أن النباتات الجافة تمسك بها النيران، وهناك أدلة أخرى من موضعين محفوظين فى كهوف فرنسا أحدهما فى لوسكال L'Escale التى ترجع الى ٧٠٠ ألف سنة مضت، حيث عثر على أدلة النار بجوار بحيرة قديمة، والموضوع الثانى فى بيث دى لو آزى Pech de L'Aze الذى يرجع الى ٣٠٠ ألف سنة مضت.

ومـازال مع الأدلة الشـائعـة على وجـود نار قـديمة تـرجع الى ١.٥ مليـون عام مضت، خاصة واننا نعرف أنه كثيرا ما يتكرر إشتعال النار فى الغابات من البراكين، أو الصواعق لذلك كان من المنطقى، ومن المحتمل العثور على بقـايا مـحروقات مـع المخلفات الآثرية القديمة، ولكن ليس من الطبـيـعى إرجـاع أول أسـباب هذه النيـران الى الطبيـعـة، خـاصـة فى الأمـاكن التى عـثـر فيـهـا على مـخلفات أو بقايا بشرية، خاصة وأن هذه العناصر الطبيعية لا يمكن أن تكون مسئولة عن صنع المواقد Hearths.

هذا وربما كان حك قطعتين من الخشب بشدة، كانت هى الطريقة الأولية لتوليد شرارة النار، أما طريقة المثقاب drill فلم تظهـر الا منذ الآلاف القليلة الأخيرة من السنين وذلك باستعمال قوس ووتر bow and string حيث تتـولد شرارة خلال أقل من دقيقة(١٨).

إذن لماذا هنـاك آراء بالرفض من بعض الآثريين لنظرية صنـع النـار؟ فبينمـا أن استعمـال النار سبب التقدم فى تشكيل المعدن، وهذا لم يتم إلا فى مراحل وعصور لاحقة، ويدافع معتقدى هذه الأفكار عن آرائهم قائلين أنهم لن يستسلموا إلا أمـام أدلة حقيقية دامغة. ولكن يبدو أن الكائنات لها نفس القدرة على تصنيع الخشب رغم عدم العثور عليه، واذا نظرنا الى الخطوات والخبرات اللازمة لعمل النشـاط الإنسانى للمستقبل، مثل ظهور الطعام أو شوى الذبائح؛ فهذا لا يتم إلا بالنار.

فـإذا أرجع فعـلا اسـتخدام النار الى أوائل البـلايوستـوسين (حـوالى ٢ مليون سنة مضت) على مـا يبدو الآن، فإنه يمكن القول أن أسلافنا كـانوا بدون مبـالغة، قد بلغـوا فى ذلك الوقت مـستوى البـشرية فى أصولهـا وأسـاسيـاتهـا المعروفة.

واذا ما تتبعنا صنع النار فى القارة الأفريقية نجد أن الأدلة الاركيولوجية كشفت عن سبق إنسان شيسووانجا Chesowanja فى شـرقى أفـريقيـا فى إسـتـخدام النار بنحـو ٦٠٠ ألف سنة عن إنسـان الصين، حيث دلت المخلفـات الأثرية على أن نار شيسووانجا ترجع الى ١.٥ مليون سنة مضت (١٩).

الفنــــون :

لعل من أشهر الأعمال الفنية الأفريقية التى ترجع الى عصر ما قبل التاريخ الرسوم والصور الملونة التى رسمت على الصخور وكشفت عنها فى جنوبى أفريقيا، وروديسيا (زيمبابوى)، وأيضا فى شمالى أفريقية، وتتميز هذه الصور بأنها تنبض بالحياة والقوة وأنها لأشخاص ينتمون الى ثقافات مختلفة، كما تصور نماذج من الحيوانات التى تمرح فى سهول الحشائش والأعشاب وفى المناطق الصحراوية وما جوارها.

وقد رسمت هذه الصور بأكسيد الحديد الأحمر وبالفحم النباتى وبالصلصال الأبيض وما زالت ألوانها زاهية، كما لو كانت حديثة العهد، ومن الغريب أن معظم المشاهد خاصة تلك التى تصور الصيد والقتال توحى بالكثير من الحركة والعمل، هذا ولم يبقى من هذه الصور إلا تلك التى رسمت على صخور الكهوف أو على صخور محمية بروؤس ناتئة متدلية مما جعلها محمية وبعيدة عن تأثير الرياح والرمال والأمطار.

وبالأضافة الى هذه الرسومات تشتمل الفنون الأفريقية التى ترجع الى عصر ما قبل التاريخ، على مشغولات حجرية ومعدنية وأخرى من الطفلة الحرارية، وقد عمرت حتى يومنا هذا لأن الأمطار والحشرات لم تستطيع أن تعمل فيها يد التخريب.

النقوش على الصخر Rock Art :

هذا وتؤلف الأشكال الحجرية التى أكتشفها علماء الآثار البريطانيون والفرنسيون فى غربى أفريقيا، أكبر مجموعة من هذا النوع من الفنون الأفريقية القديمة، ومن الغريب أنه حتى الآن لا تتوافر معلومات كافية عن الحضارات التى أنتجت هذه الثقافات الصغيرة الخشنة التى نحتتت من الحجر لتمثل رؤوسا بشرية، وقد وجدت هذه الأشكال فى منطقة واسعة تمتد من داكار حتى بحيرة تشاد، ويرى البعض أن هناك علاقة بين هذه الرؤوس وبين الأشكال

الحجرية الغامضة التى عثر عليها بالمئات فى تل مقدس قرب ابسى فى مقاطعة ايلورين Ilorin فى جنوب غرب نيجيريا.

ويتراوح حجم هذه الأشكال ما بين ٥٠ ـ ٣٠٪ من الحجم الطبيعى للرأس البشرى وهى تمثل مزيجا من الواقع الطبيعى ومن التصميم الفنى الإبداعى، مما يدل على تقدم الإدراك والوعى لدى شعوب هذه المناطق فى تلك الفترة المبكرة من التاريخ الأفريقى، هذا والملاحظ أن هذه السمة الفنية لتى تخلط الواقع بالإبداع ما زالت شائعة فى الأشكال التقليدية المعاصرة التى نجدها فى هذه المنطقة من أفريقيا الغربية.

والحقيقة أنه رغم التصور الملموس فى عدم التوصل الى معرفة شئ عن أصول هذه الأشكال إلا أنها تقف اليوم شاهدا صامتا على شعب قديم نجح فى تطوير أشكاله الفنية واصطناع أساليب معينة فى أشغاله اليدوية، شعب يبدو وأنه قد إنحدر كله من أصل أفريقى، لأن إنتاجه الفنى لا يصور إلا ملامح زنجية(٢٠).

ومن أشهر وأغرب الأشكال الفنية القديمة، تماثيل "التراكوتا" (الطين اللبن) التى تمثل رؤوسا مصممة تصميما طبيعيا، وهى التى أثار اكتشافها فى جوس Jos وإيفى Ife فى نيجيريا ضجة كبيرة حولها، حيث إكتشفت فى مناجم القصدير فى جوس رؤوس صغيرة من "التراكوتا" وذلك بعد أن كان قد سبقها كشف إيفى حيث كشف عن رؤوس أكثر تشذيبا فى صناعتها وتصميماً من رؤوس جوس، إلا أن الشبه كان كبيرا جدا بين رؤوس المنطقتين (جوس ، إيفى)، لدرجة أن بعض الباحثين ظن انهما ينتميان الى نمط حضارى شائع واحد، رغم أن كلا منها ينتمى الى زمن مختلف، حيث أن مكتشفات جوس التى تنتمى الى حضارة النوك Nok ترجع الى نحو ٣ آلاف سنة مضت كما قدر لها بتحليلات الكربون ١٤ المشع، حيث أنها ترجع الى الفترة ما بين ألفين عام ق.م وعام مائتين بعد الميلاد، وهى فى الغالب ترجع الى عام ٩٠٠ ق.م، أما الرؤوس وأنصاف الاشكال التى عثر عليها فى إيفى، فيحتمل أنها أكثر قدما من حضارة نوك بنحو ألف عام.

والجدير بالذكر أن علماء الآثار الفرنسيين قد أكتشفوا أشكالاً من التراكوتا فى منطقة بحيرة تشاد، وحيث أكتشفوا حضارة قديمة مماثلة؛ تمكنت من بناء مدن مسورة كما تمكنت من صنع أوانى وأشياء من قوالب طينية.

هذا وتتميز هذه الأشكال الفنية المصنوعة من التراكوتا بمسحتها الطبيعية، وقد مرت عليها مراحل عديدة حتى وصلت الى مرحلة الإتقان، وربما تحقق ذلك على يد فئة من الفنيين الفنانين المتخصصين، وقد دلت المكتشفات التى عثر عليها؛ أن المرحلة الأولى للرؤوس المكتشفة، كانت تدل على البساطة، ولها وجوه محززة، وأما المرحلة المتقدمة مثل تلك التى وجدت فى إيفى، فهى أكثر إتقاناً وتفضيلاً بل لقد عثر على بعض النماذج التى تنتمى الى حضارة النوك وتتميز بالإتقان خاصة فيما يتعلق بتزيين الشعر.

أما الفخار والمصنوعات الفخارية التى بقيت وصمدت حتى اللحظة، فتتكون من أوعية وأوانى يبدو أنها أستعملت حينا من الدهر فى حضارة شعب اليوروبا خاصة فى طقوس قبيلة الإيفا Ifa، حيث كانت الأوانى الفخارية الأولى تحمل أشكالاً بارزة تصور حيوانات صغيرة وزاحفة مختلفة الأشكال، وذلك باعتبارها رسلا الى آلهة اليوروبا، هذا وقد وجدت قطع على قصر إيفى الذى ظل قائما لعدة قرون، ويوحى وصفه بوجود علاقة بين هذه القطع وبين تصميمات الأشكال المجوفة المصنوعة من الطين التى وجدت على الجدران المحيطة بالأبواب فى القصور والساحات الخاصة فى بنين.

والجدير بالذكر أن رؤوس التراكوتا كانت تصنع لتمثل الأعضاء المنتسبين رسميا للحكام بالزواج من بنات الملك مثلا، وذلك للتذكرة بعد وفاتهم، أما أعضاء النقابة أو الأسرة الحاكمة ذاتها فكانت تصور رؤوسهم بعد وفاتهم بتماثيل تصنع من النحاس الأصفر أو البرونز، فكان ذلك نوعا من التفرقة فى المستوى الإجتماعى، وهى عادة شائعة دائما فى كل عصر ومصر.

هذا وقد عثر على شظيتين صخريتين عليهما رسوم لأشكال حيوانية، عثر عليها فى كهف أبوللو- ٢ فى جنوب أفريقيا، وقد حدد الكربون المشع عمرها

فيما بين ٢٥٥٠٠ ـ ٢٣٥٥٠ سنة هذا وهناك محاولات كثيرة لربط تاريخ هذه الشظايا ورسوماتها بالرسومات التى عثر عليها فى كهوف جبل تادرارات على الحدود الجنوبية الغربية للجمهورية الليبية(٢١).

ولما كانت حياة الإنسان فى عصور ما قبل التاريخ صعبة، حيث كان يواجه الإنسان الطبيعة مواجة مباشرة بدون معونات إلا من بعض الأسلحة من الأحجار والعظام والأخشاب، وهذه لا تكاد توفر له الأمان والإطمئنان الكافي فى حياته، لذا كان عليه أن يلجأ الى قوى خفية علوية كى تساعده وتعطيه القوة الروحية والنفسية اللازمة كى يواجه مصاعب الحياة، فكان أن ظهرت ارهاصات الفكر الدينى، وما ارتبطت به من فنون ظلت باقية للآن.

وقد إستدل على ذلك من الرسوم والنقوش التى عثر عليها على جدران وسقوف الكهوف والمغارات التى كانت تتخذ كمنازل وبيوت، هذا بالإضافة الى التماثيل ذات الصفة الدينية وكذلك العديد من التمائم الحجرية والصدفية والطينية(٢٢).

والملاحظ أن الرسوم الحيوانية الى تركها إنسان ما قبل التاريخ تعبر عن بعض القوى الخفية التى من المحتمل أن تخيلها ذلك الإنسان نتيجة طول فترة صراعه معها، مما جعله يؤمن بحملها لبعض القوى الخفية. أما التماثيل الصغيرة فقد إتجه العلماء الى إعتبارها ممثلة لظاهرة الأمومة والخصوبة والإنتاج، وقد لوحظ المبالغة فى تصوير الظواهر الجنسية فيها تأكيدا لفكرة الخصوبة، ولعل ذلك يرجع ويتصل بكثرة المخاطر التى كان يتعرض لها ذلك الإنسان مما كان يعرضه لخطر الإنقراض، فكان يلجأ لمثل هذه التمائم المتعلقة بالخصوبة وزيادة النسل.

ويتصل بذلك أيضاً أماكن دفن الموتى، هذه و أيضاً من أسلوب الدفن الذى إختلف كثيراً من بيئة الى أخرى، لقد أمكن إستنتاج الكثير من الفكر الدينى مثل مقابر الأطفال الجماعية والمتصلة بفكرة التضحيات البشرية تقرباً لالهة الأمومة (حضارة قرقميش ورأس شمرا فى سوريا) ومثل دفن الموتى

أسفل المساكن (حضارة مرمدة وحلوان العمرى فى مصر) بل والعثور على عظام الموتى مجزءة، مما يدل على أن البعض كان يأكل بعضاً من بقايا موتاهم حبا فيهم، وحفاظاً على بعضا منهم داخل أبدانهم وتلك عادة بدائية أفريقية (نقادة A فى مصر)(٢٣).

شمال أفريقية والصحراء

أوضحت الدراسات التى تمت فى شمالى أفريقيا، أنه قد مر على الصحراء الكبرى دورين مطيرين أحدهما طويل والآخر قصير نسبيا، حيث كان الدور الأول معاصراً للدورين الجليديين جينز ومندل بما فى ذلك الفترة الدفيئة المحصورة بينهما، وفى هذا الدور كانت درجة الحرارة أكثر مما هى عليه اليوم بنحو ٣ ـ ٥مْ، كما كانت الرطوبة عالية نتيجة الموجة العالية التى كانت تسود العروض الوسطى فى تلك الفترة الزمنية، والتى أدت الى زيادة فى البخر من البحار والمحيطات، وتكون حالة غير عادية من إرتفاع الحرارة وتزايد سقوط الأمطار الإعصارية المفاجأة والغزيرة لمدة طويلة، مما أدى الى ظهور الأودية الكثيرة التى نشاهدها حالياً جافة فى الصحراء الأفريقية.

كانت هذه الحالة، هى ما كانت عليه أفريقيا خاصة الشمالية، بل أن كل القارة الأفريقية كانت غزيرة المطر بصورة تكفى الإنسان كى يعيش منطلقاً هائماً على وجهه فى البرية، مطمئناً الى توافر طعامه الذى كان يجمعه من هنا وهناك بسهولة، كان هذا حال الإنسان فى العصر الحجرى القديم، وقد إستدل على ذلك من دراسة شواطئ البحيرات القديمة وبقاياها القليلة حالياً، أمثال تشاد والعفر وناكورو والمنتيتا وغيرها(٢٤).

أما خلال فترة العصر الحجرى المتوسط، تلك الفترة الإنتقالية بين العصر الحجرى القديم حيث كان يعتمد الإنسان فى حياته على الجمع والإلتقاط وعلى القنص، وبين العصر الحجرى الحديث، فى هذه الفترة الوسطى الإنتقالية، بدأت تظهر إرهاصات إكتشاف الرعى (استئناس الحيوان) واكتشاف الزراعة

(استئناس النبات)، ويبدو أن الاثنين تما معا خاصة إستئناس الكلب واستئناس الشعير، هذا الانقلاب الحضارى الكبير، رسخت جذوره فى العصر لحجرى الحديث.

والدليل على أن الصحراء الأفريقية كانت تسودها مناطق غنية بالثروة النباتية فى عصر ما قبل التاريخ، وما تبع ذلك من غنى وثراء فى الثروة الحيوانية، وكل هذا يساعد على توطن الحياة البشرية فى هذه المناطق، والدليل على ذلك يمكن أن نستدل عليه من تسمية أفريقيا، فالأسم مشتق من لفظين فينيقيين يعنى أحدهما سنبلة وهو رمز الخصوبة، والآخر فاريكيا ويعنى بلاد الفاكهة، وقد أنعكس هذا على الشعب الذى كان يعيش جنوب قرطاج (تونس الحالية) وهو شعب الأفرنج، وذلك هى أقرب تعليلات تسمية القارة(٢٥).

مصر والنوبة :

صاحب زحف الجفاف على الصحراء الكبرى الأفريقية (حوالى خمسة ألاف سنة ق.م) اتجاه الإنسان الى أودية المجارى المائية حيث يتوافر مصدر دائم للحياة، ولما كان نهر النيل هو المجرى المائى الوحيد فى الشمال الشرقى الأفريقى، فقد كان أن ظهرت على ضفافه أولى حضارات ما قبل التاريخ المتنقلة والمستقرة.

هذا ومهما قيل عن أهمية دراسة آثار ما قبل التاريخ فى مصر، فإن الأمر يتطلب الربط بين الدراسات الأثرية والأنثروبولوجية والجغرافية، بحيث تعطى فكرة واضحة عن الأصول الأولى للمصريين(٢٦)، وهى وان كان تكتنفها الآراء الكثيرة، إلا أن الأمر واضح وحاسم فى أن المصريين يرجعون الى الأرومة الأصيلة الأصلية التى كانت تقطن مصر منذ عصر ما قبل التاريخ، وهى سلالة البحر المتوسط الجنوبية المتأثرة بالدماء الأفريقية، ومن الأمور الواضحة والمحسومة بالقياسات الأنثروبومترية على المصريين القدامى والمحدثين على حد سواء، وحدة المصريين جميعاً(٢٧) و أن كان هذا موضوع شيق يحتاج إلى مزيد

من البحث والدراسة المتعمقة عن المصريين منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى الآن[٢٨].

ولقد كانت مصر المركز الرئيسى الوحيد فى أفريقيا من بين الـ ٢١ مركزاً حضارياً التى عددها أرنولد توينبى (١٩٦٢) فى العالم، فمن مصر خرجت الحضارة الى سائر أرجاء شمال أفريقية وشرقها وباقى أركانها، بل إنه من المقطوع به أن أوربا وآسيا، كانت على صلة ما بتلك الحضارة المصرية العريقة (شارد .Chard, C.S، ١٩٧٥)[٢٩]، الذى يذكر أن مصر كانت واحدة من ست بيئات عالمية ظهرت فيها المدنية السحيقة بصورة مستقلة. ذلك أن حضارة الفيوم A (٤٥٠٠ ق.م) كانت أول حضارة صنعت الفخار كما عرفت زراعة الشعير والحنطة emmer فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الإنسانية (خمسة آلاف سنة ق.م)[٣٠].

ومن قبل كان لمصر دور واضح وكبير فى كشوف ما قبل التاريخ، خاصة فى البقايا الحفرية البيولوجية، وكما هو معروف أن مصر من أقدم المناطق التى ثبت أنها كانت معمورة بالإنسان القديم الأول، حيث سكنها إنسان وادى فيران (جنوب سيناء) منذ ٣٥ ألف سنة، وإنسان كوم أمبو (فى الصعيد) منذ ٢٠ ألف سنة وإنسان الفيوم منذ ١٥ ألف سنة. يضاف الى ذلك أنه قد كشف عن حفريات فردية عديدة فى جبل القطرانى (شمال الفيوم)، كان منها فك القرد التى عثر عليه عالم الجغرافيا الألمانى شلوستر عام ١٩١١ والذى يرجع عمره الى نحو ٤٠ مليون سنة، والذى أطلق عليه اسم جيبتوبتكس، والذى يعد أقدم سلف للإنسان الحديث العاقل Homo Sapiens Sapiens، ثم عثر ألون سيمونز استاذ الحفريات فى جامعة ييل الأمريكية مع البهى العيسوى الجيولوجى المصرى المتميزه على جمجمة قرد الفيوم عام ١٩٦٦ والتى ترجع الى ٣٠ مليون سنة والتى إعتبرت حلقة وصل بين الاجيبتويتكس والإنسان البارع Homo Habilis فى شرق أفريقيا الذى كشفه ليكى عام ١٩٥٩، والذى كان يحيا منذ مليون و٧٥٠ ألف سنة، معنى هذا أن الإنسان بدء فى إستيطان

وادى النيل فى مصر منذ العصر الاولدووانى Oldowanien (منذ مليون سنة) وإستمر فيه بصفة مستمرة ودائمة، وقد عثر على مخالفات للحضارة الآشولية (منذ ٧٠٠ ألف سنة) والتى تمثل الحلقة الأخيرة من سلسلة الحضارات التى ظهرت منذ الإستيطان الأول، عثر عليها فى أماكن متناثر من مصر خاصة بجوار معبد أبو سمبل فى النوبة، هذا وقد ظهرت أدلة أكثر على هذا الإستيطان وترجع الى فترة نهاية دور العباسية المطيرة خلال العصر الحجرى القديم الأوسط (١٢٠ ـ ٩٠ ألف سنة)[٣١]، والذى إستغرق نحو ٥٠ ألف سنة، أمكن خلالها للحضارة الآشولية أن تنتشر من مصر غربا، بحيث ظهرت الروابط بين الحضارة المصرية النيلية والحضارة الأفريقية الصحراوية وما بعدها فى أعماق القارة، والمرجح أن هذا الإنتشار والإحتكاك، قد حدث منذ مائة ألف سنة فى فترة الإنتقال من الإنسان المنتصب Homo Erectus الى الإنسان العاقل Homo Sapiens ولكن هذا الرأى، مازال محل بحث نظراً لعدم توافر الأدلة العلمية القاطعة[٣٢].

ويبدو وأن صناعة الشظايا Flakes الحجرية التى أعقبت الحضارة الآشولية، قد إمتدت من مصر الى سائر أرجاء أفريقيا الشمالية، وكان ذلك نحو عام ٣٠ ألف ق.م، وهى الحضارة التى تتطابق مع الحضاريين الموستيرية والعاطرية، حيث كانت الحياة تعتمد على الصيد فى نطاق حشائش السافانا، وقد ظهرت على الخصوص فى الحضارة العاطرية التى إعتمدت على إستخدام القوس، وإنتشرت إنتشارا واسعاً فى الصحراء الكبرى حتى المغرب.

وتعتبر الحضارة السبيلية وهى المكونة من الشظايا الحجرية التى عثر عليها قرب قرية السبيل فى وادى كوم أمبو فى مصر العليا، هى أقدم الشظايا الحجرية التى عثر عليها فى شمال أفريقيا والتى ترجع الى عام ١٢٢٠٠ ق.م، وهو تاريخ يسبق الحضارية المولوية Mouillian التى ترجع الى عام ١٠١٢٠ق.م. والتى عثر عليها فى تافورانت فى المغرب، وهى التى تبعتها الحضارة القفصية فى تونس بعد ذلك اذ أنها ترجع الى عدة آلاف من السنين بعدها[٣٣].

لذلك فإن الحضارة التاريخية المصرية الفرعونية جاءت نتيجة طبيعية لنمو حضارة مصر فى عصور ما قبل التاريخ كنتيجة لنشاط فكر ويد الإنسان المصرى القديم، وكانت الحضارة المصرية فى كلتا الحالتين حضارة معجزة لأنها أنشأت منجزات فكرية وعلمية وتكنولوجية على غير مثال سابق.

وفى النوبة كانت هناك حضارة خورموسى علي مسافة بضعة كيلومترات من وادى حلفا، وهى ترجع الى العصر الحجرى القديم الأوسط (حوالى ٤٥ الف سنة) وقد إستمرت حتى العصر الحجرى القديم الأعلى (٢٠ ألف سنة) ولقد كانت حضارة صيد بر وبحر، حيث كان من بين حيوان الصيد الحيوانات التى كانت تعيش في السافانا كالابقار البرية والظباء والغزلان، أما صيد البحر فقد شمل كل مايحويه النيل، ذلك النهر الذى جذب هذه الحضارة اليه خوفا من الجفاف الذى بدعت تباشيره تظهر، وعلى هذا فقد كانت هذه الحضارة أول حضارة تكيفت مع البيئة النيلية وقد أعقبت هذه الحضارة خلال الفترة من ١٥ألف –١٠ آلاف سنة حضارة دبروسة ثم بلانة(٣٤) وفيها ظهرت الأدوات القزمية.

أما حضارة حلفا فقد كانت خلال الفترة (١٧ ألف سنه الى ١٦ ألف سنه) وقد أعقبتها حضارة جمّى ثم حضارة قادى التى إمتدت على أكثر من ٢٠ موضعا ممتدا من الشلال الثانى حتى توشكا (القديمة فى النوبة المصرية قبل تهجير النوبيين المصريين سنة ١٩٦٠) وظهرت فيها صناعة النصال Blads وآلات أخرى تدل على وجود مستوى اقتصادى متقدم، حيث تم اكتشاف بقايا أضاحى الحصاد مما يدل على ظهور ارهاصات اكتشاف الزراعة، ورغم هذه الكشوف ومايضاف إليها من وجود النجيليات والشعير البرى فى إسنا (٣٥)، إلا أن الباحثين الغربيين مازالوا يفضلون النظرية القائلة بأن المجتمع الزراعى الذى بدء فى الظهور فى مصر قرب نهاية العصر الحجرى القديم(٣٦) ترجع أصوله الى الشرق الأدنى وهذه فى الحقيقة نقطة هامة يجب عدم الإنتهاء فيها الى رأى نهائى قبل إستنفاد كل فرص الكشف عن حضارات العصر الحجرى القديم الأوسط ومابعده فى مصر وفى الصحراء الكبرى كلها، حيث أن الظروف

الجغرافية القديمة كانت فى شمالى أفريقيا أنسب وأكثر ملائمة لظهور الزراعة من الظروف المماثلة لتى كانت سائدة فى مابين النهرين خاصة والشرق الأدنى عامة، مع ضرورة إدخال نتائج الكشوف الأفريقية الأخرى فى الحسبان ويؤكد هذا الرأى وجود فجوات شاغرة كثيرة فى حضارات ماقبل التاريخ فى مصر والشرق الأدنى القديم خاصة الفترة مابين الاف السابعة والالف السادسة ق.م.

الصحراء الكبرى:

عثر فى هذا النطاق من القارة الأفريقية على الكثير من البقايا العظمية العريقة كان منها على سبيل المثال فى الهوافطيح Haua Fteah (برقة) مشتا Mechta (تونس)، آفالو Afalou (الجزائر)، أسيلار Asselar (مالى).

وتعد الصحراء الكبرى فى شمالى أفريقيا أكبر صحارى العالم اتساعا وأشهرها جفافا، حيث يتركز عليها خط الاستواء الحرارى ومايصاحبه من جفاف تام فى وسطها، عدا قمم وسفوح جبالها التى تجذب احيانا بعض الامطار النادرة التى تسقط فى شكل رخات فجائية، هذه الصحراء التى تمتد بطول نحو ثلاث ألاف كم من الشرق (الساحل الغربى للبحر الأحمر) الى الغرب (الساحل الأوسط للمحيط الاطلنطى الشمالى)، بينما يبلغ عرضها نحو نصف هذه المسافة ممتدة من أقدام السفوح الجنوبية لجبال الأطلس فى افريقيا الصغرى ومن الساحل الجنوبى للبحر المتوسط فى ليبيا ومصر، إلى قرب خط عرض عشرة شمالا حيث يبدأ إقليم حشائش الاستبس الفقيرة فى الظهور والذى يليه حشائش السافانا فى الجنوب، فنحن بذلك أمام مساحة تصل الى نصف مساحة القارة الأفريقية.

ولكن هذه الصحراء لم تكن كذلك فى عصور ماقبل التاريخ، إذ كانت تدخل فى نطاق سقوط الأمطار التى تشبه أمطار غرب وجنوب أوربا وكان هذا مدعاه إلى أن يحيا إنسان هذه الصحراء هائما على وجهه باحثا عن المأكل والمشرب والملبس والمأوى أينما كان، وكثيرا ما كان يجد مبتغاه بسهولة ويسر.

ويرى كـون .Coon, C.S أن التاريخ السلالى لمنطقة شمالى أفريقيا منذ ١٢ الف سنة ق.م. يمكن أن يوجد فى الآتى:[٣٧].

١ – وفدت عناصر قوقازية قوية خشنة من الشرق الأوسط القريب مع مجموعة حيوانية قديمة.

٢ – إختلطت هذه العناصر الوافدة مع العناصر المحلية القديمة أصحاب الحضارية العاطرية Aterian

٣ – كان نتيجة ذلك ظهور عنصر جديد يتميز بقصر القامة والوجه العريض والوجه المفلطح والفك البارز والفك الأسفل الدائرى.

٤ – بينما يتكون هذا العنصر الجديد، اندفعت العناصر القديمة من العاطريين نحو الجنوب من الصحراء.

٥ – أخيرا ظهر عنصر الشرق الأوسط –البحر المتوسط مثل أصحاب الحضارة الناطوفيةNatufians حيث وفدوا من الشرق أيضا حاملين الحضارة القفصية Capsian Culture.

٦ – وكانت النتيجة؛ ظهور سلالة شمالى أفريقيا من ناس البربر.

هذا ويقول علماء أصول اللغات القديمة أنه قد خرجت من شبه جزيرة العرب فى العصور القديمة قبائل عربية سامية قسمت الى شعبتين شرقية توجهت الى أرض مابين النهرين حيث كونت المجموعة الأكدية (المسمارية أو البابلية الآشورية) وقد ظلت هذه اللغة حية إلى مابعد زوال السلطان الآكدى السياسى الى أن نازعتها البقاء شقيقتها اللغة الآرامية وكان ذلك حوالى القرن الرابع ق.م.[٣٨] اما الشعبة الغربية فكانت ذات فرعين رئيسيين شمالى وهو الفرع الكنعانى الذى تحدثت به القبائل العربية التى استوطنت منطقة الليفانت (الشام الكبير حاليا) وذلك حوالى الألف الثالث ق.م. وكان لهذا الفرع عدة

لهجات هى الموابية والفينيقية والعبرية[٣٩]، وأما الفرع الآخر الجنوبى فيشمل العربية الشمالية والعربية الجنوبية وكذلك الجعزية (الحبشية القديمة)[٤٠].

وهناك رأى أخير قال به نولدكه .Noldeke, T يقول بأن وطن اللغات السامية كان فى أفريقيا، ويقول Coon, C.S بهذا الخصوص أنه إذا كان هذا صحيحا؛ فيكون انتقال هذه اللغات من أفريقيا الى شبه الجزيرة العربية قد تم عن طريق بوغاز باب المندب ليس العكس كما كان يظن البعض[٤٣].

وعليه فأن الصحراء الكبرى الأفريقية كانت موطنا لأقدم الأنماط البشرية التى ترجع الى عصر البلايستوسين الأدنى وماصاحبها من حضارة اولدو وان Oldowan Tools فى المغرب (الدار البيضاء) وفى تونس (عين حنيش)، كما كانت هذه الصحراء موطنا من قبل للقرد الجنوبى Australopithecine حيث عثر على بقايا له فى تشاد (يايا Yaya) كما تلى ذلك فى أوئل وأواسط عصر البلايستوسين الأعلى ظهور انماط من الأنسان المنتصب Homo Erectus والأنسان نياندرتال Neanderthaloids والأنسان الحديث Homo Sapiens حيث دل ذلك على أن أفريقيا الشمالية بالتحديد كانت موطنا للإنسان الأول، ومنها إنتشر الى باقى أنحاء العالم حيث كشفت كثير من الثقافات الأبيفيلية Abbevillian الشيلية Chellian والآشولية Achulian (رؤس أكثر رقة) والليفلوازية الموستيرية Levallios Mousterian (نصال رقيقة)، أما العاطرية Aterian فهى تسمية محلية فى شمال أفريقيا لحضارة النصال الرقيقة[٤٤]، وماتبعها من حضارة مولوية Mouillian وقفصية Capsian[٤٥] (نصال أيضا).

ومع كشوف مكبيرنى (١٩٥٢ و ١٩٥٥) فى كهف هوا فطيح وهو الذى يقع الى الشرق قليلا من بلدة سوسة (أبولونيا القديمة) بالجبل الأخضر في برقة، تلك الكشوف التى عثر فيها على حفريات عظيمة وآلات وأدوات حجرية ربطت بيولوجيا وحضاريا بين أنسان الكرمل (الطابون) في فلسطين مع إنسان الرباط (الحنك) فى المغرب، وهما مع أنسان الهوا فطيح من النمط النياندرتالى

(الفترة الدفيئة السابقة على القرم) مما يدل على وحدة الأصل للإنسان العربى الحديث، وتقدم حضارته العريقة حيث كان من بين معثورات كهف الهوافطيح على أول آلة نفخ موسيقية (فلوت Flute) فى التاريخ[٤٦] وعلى هذا فقد ساهمت أفريقيا فى إثبات وحدة الإنسان العربى بالاضافة الى عراقة الإنسانية والحضارة الأفريقية.

الحضارة العاطرية Aterian

نسبة الى بئر العاطر فى تونس وهى إحدى حضارات العصر الحجرى القديم الاوسط فى شمال أفريقيا وأهم موضوعاته الشظايا Flakes المصنوعة بالضغط Pressure خاصة حوافها العاملة الحادة، وهى مستوى متقدم من الثقافة الأشولية وهى ثقافة محلية فى شمال غرب أفريقيا تشبه الى حد بعيد الثقافة الليفالوزاية- الموستيرية Levallaisian Mousterian فى أوربا.

وقد وجد فى الثقافة العاطرية سكاكين وقذائف مسنونة مدببة Project Points مصقولة بدقة على الحدين[٤٧] وهناك أدلة جيدة على أن الأفريقيين الشماليين فى ذلك العصر ·قرم الثانى) قد وصلوا الى أسبانيا، حيث وجدت أدوات مشابهة للعاطرية تماما، وجدت فى كهوف الميريا Almeria وفالنسيا Valencia بجوار الآلات والأسلحة السولترية، فإذا كان قد وصل الأفارقة الى أوربا وعبروا البحر المتوسط الغربى فى قرم ٢، فمن المرجح أن أسلافهم فعلوا ذلك أيضا[٤٨].

هذا وقد عثر الآب جين روشى Jean Roche فى عام ١٩٥٨ على كهف اسمه Grotte des Controbandiers على الساحل المغربى فى تمارا الى شمال شرق الدار البيضاء بنحو ٣٢ ميل (٥٣كم) على بقايا حفرية بشرية والى جوارها الآلات عاطرية تلك التى تحمل الصفات الآشولية المتقدمة أي المشذبة بعناية[٤٩]، كما عثر على الآلات عاطرية مماثلة مع قطعة من قحف جمجمة فى كهف تافورالت Taforalt فى شمال شرق المغرب ليس بعيدا عن وجدة[٥٠].

وقد وصلت صناعة النصال Blade Making الى منطقة الليفانت أو بالقرب منها مع بداية عصر ڤرم المبكر كما وصلت الى اوربا عن طريق Bos-poros gap (معبر قبرص – كريت – اليونان) فى الفترة الدفيئة جوتويج Gott-weig (مابين ڤرم١ وڤرم٢) أى منذ نحو ٣٠ الف سنة قبل الميلاد وقد وصل قناصة البلايستوسين الأعلى وهم الذين صنعوا الآت الشظايا Flakes والنصال blads, الى المحيط الأطلنطى، وخلال ال ٢٠ ألف سنة التالية تقدمت كثيرا صناعات العصر الحجرى القديم الأعلى، وقد كانت الصناعات الحجرية القزمية الصغيرة Microliths تكون جزء أساسيا من نسيج الحضارة الأوربية منذ البداية، كما إمتدت صناعة النصال شرقاً حتى شمال أفغانستان، حيث حدد ذلك الكربون ١٤ كما حدث فى غرب أوربا[٥١].

هذا وقد أختلط البربر أصحاب الحضارة المولوية Mouillian (حضارة حجرية من النصال Blades) بالشعوب الأفريقية الأقدم والأسبق عهدا في القارة [٥٢] والذين كانوا أصحاب العاطرية، هذا وقد إختلف الباحثين فى الموطن الاصلى لأصحاب الحضارة المولوية، فبينما يرى مكبيرنى أنهم قد وفدوا من أسبانيا إستنادا الى التوزيع الجغرافى لهذه الحضارة، نجد أن بريجز Briggs, L.C. [٥٣] يعتقد أنهم قد وفدوا من الشرق الأوسط، هذا ويتفق كون Coon,C.S [٥٤] مع رأى بريجز لإسباب ثلاث أوجزها فى أن الباحثين لم يعلموا كل شئ من حضارات العصر الحجرى لقديم الأعلى فى الشرق الأوسط، وأن أقدم جمجمة مولوية تنتمى الى المجموعة القوقازية، وأن الحيوانات المصاحبة لها يصعب عليها عبور بوغاز جبل طارق، بينما كان يسهل عليها السير البرى من الشرق الاوسط خلال عصر مناسب غالبا كان أواخر عصر الجليد ڤرم. هذا وكان إمتداد الحضارة المولوية واسعا بحيث كان يمتد غربا حتى يصل الى جزر الخالدات (كناريا Canary) حيث كان يقطنها الجوانش Guanches الذين عثر عليهم الأسبان فى القرن ١٥ عندما فتحوا هذه الجزر[٥٥].

وخلال عصر البلايستوسين الأعلى، ظهر التناقض بين أفريقية وأوربا فى أشكال الحضارة الحجرية أو يرجع ذلك الى أسباب جغرافية فبينما كانت أوربا مازالت مثقلة تحت ظروف المناخ البارد نجد أن أفريقيا كانت قد أخذت تشهد

ظروف الجفاف والحرارة المرتفعة أى أخذت تظهر الظروف الصحراوية مما ترك أثره على ظهور أشكال جديدة من الصناعة الحديثة، وهى تلك التى عرفت بإسم الحضارة القفصية تلك التى عثر عليها فى جنوب قسنطينة فى الجزائر، وفى تونس حيث عثر عليها مختلطة بالرمال وبقواقع الأسمال الحلزونية مع أكوام سمكية من بقايا الطعام القديم، وقد تمثلت هذه الصناعة القفصية أولا في المكاشط الغليظة والنصال ذات الظهر المثنى (صناعة قفصية أصيلة) ثم أدوات حجرية بلورية مثلثة أو مربعة الشكل وهى صناعة حجرية في أغلبها(٥٦).

هذا وقد عثر على هذه الحضارة القفصية على طول الشاطئ الشمال الغربى من القارة الأفريقية بدء من مزاجان فى المغرب الى خليج قابس فى تونس، وقد أقترح البعض إعتبار هذه الحضارة دليلا على وجود حضارة للبدو أنصاف الرحل في منطقة الأستبس (لحشائش القصيرة) فى شمال غربى أفريقيا، وعلى مدنية الحضر المقيمين فى إقليم التل (الريفRif) ولاشك أن تلك الثقافة قد إنتشرت في أفريقيا الشرقية والجنوبية بعد ذلك، وان كانت قد تأثرت ببعض الأشكال المحلية لذا أخذت بعض التسميات الأخرى.

وهذه الحضارة القفصية تقابل وتعاصر الحضارة السبيلية فى مصر، فهما يرجعان الى العصر الحجرى القديم الأعلى (البلايستوسين الاعلى)، وكان مع الحضارة القفصية فى المغرب الحضارة الوهرانية (الايبيروم‍ورية)(٥٧) هذا ولم يقتصر نشاط الإنسان خلال هذة المرحلة الحضارية على قدراته المادية الحجرية فقط، بل لقد تعدى ذلك الى التقدم نحو الأمام، من خلال محاولة التعبير بالرسم والحفر على جدران الكهوف والمغارات من الخارج والداخل(٥٨)، كما بدأت إرهاصات التفكير فى وجود قوى كامنة وخفية فى بعض الظواهر الطبيعية، وقد إستدل على ذلك من العثور على أكوان حجرية تنتمى الى هذه المرحلة تتوسط المواقع الأثرية التى عثر فيها على الآثار الحجرية، وتعتبر هذه الظاهرة بمثابة مرحلة مبكرة من مراحل الإيمان بوجود قوى مقدسة تتحكم فى حياة ومصير الإنسان(٥٩)، مما يستوجب أن يحاول الإنسان إرضاء هذه القوى

وذلك بهدف الإطمئنان على كيانه فى الحياة ثم علي مستقبلة بعد الموت.

وبذلك نجد أن شمالى أفريقيا قد ساهمت فى تقديم أدلة أثرية ترجع الى عصورماقبل التاريخ تدل على مساهمتها في مرحلة الاستقرار وإنشاء القرى، كما أن هناك أدلة كثيرة على أنها كانت الموطن الأصيلى للسلالات القديمة الأفريقية، حيث عثر على كثيرة من الرسوم الصخرية في الواحات الخارجة موضحة أشكالا إنسانية ذات عجز متشحمة(٦٠) مما يدل على أن السلالة البوشمنية كانت تتوطن فى الصحراء الكبرى قبل تحركها نحو جنوب أفريقيا(٦١).

ومع هذا لم يستدل على وجود ماشية قديمة مستأنسة فى الصحراء الكبرى إلا عام ١٩٦٥ عندما عثر مورى Mori بين الطبقة الثامنة لعين موهو جياج علي بقايا ماشية ذات قرون قصيرة وقد أرخت هذه الرواسب بحوالى عام ٣٩٥٤+١٢٠ ق.م. ثم كشف كلارك(٦٢) عام ١٩٧٠ على عظام مشابهة فى جبل آير بالنيجر، وقد أرخت بحوالى عام ٣٧٨٠+٨٠٠ق.م.(٦٣).

وقد صاحب العصر الحجرى الحديث Neolithic توافر فائض من الجهد والوقت أمام الانسان فكان أن وجهه نحو التفكير والملاحظة والتأمل، فكان أن إبتدع الدين والفن وغيرها من المظاهر التجريدية التى إنتهت بظهور الكتابة مع إنتهاء عصر ماقبل التاريخ، هذا رغم أن البربر كانوا لايزالون يستعملون آلات العصر الحجرى الحديث حتى العصر الرومانى (٦٤).

أفريقيا المدارية

تأثرت أفريقيا ما بين المدارين فى عصر ما قبل التاريخ بالظروف الجغرافية العامة التى كانت سائدة فى القارة الأفريقية شأنها شأن باقى مناطق القارة، من حيث التغيرات المناخية بالأضافة الى سمة طبيعية خاصة هى وجود الأخدود الأفريقى العظيم، الذى كان بحق الوعاء الحافظ الكبير لكثير ولعديد من المخلفات البشرية والإنسانية البيولوجية والثقافية، لدرجة أنه يعد - خاصة مناطقة الجافة - المتحف الطبيعى الرئيسى لحضارات عصر ما قبل التاريخ فى أفريقيا، هذا وقد ثبت أن أعرق الآلات الحجرية فى العالم ظهرت فى مناطق هذا المتحف، وبالإضافة الى التغير الجذرى للصورة القديمة لمواطن نشأة وإستخدام النار، إذ ثبت أنه كان فى أعرق موضوع فى العالم فى شيسوانجا فى كينيا (٦٥) وقد سبق ذكر ذلك.

أهم معالم الجغرافيا القديمة :-

يعد الأخدود الأفريقى العظيم The Great Rift Valley أهم هذة المعالم، وقد حدث هذا الأخدود نتيجة الحركات الباطنية التى تعرضت لها القشرة الآرضية فى شرق أفريقيا وجنوب غرب آسيا منذ أول العصر الكريتاسى حيث بدأ هبوط عظيم فى القشرة الأرضية نتيجة حدوث عدة إنكسارات طولية متعددة.

والمهم لدارس عصر ما قبل التاريخ؛ هو أن هذا الآخدود كان أرضا غنية بالنباتات والمياه بدليل المتبقى فيه حاليا من مجارى مائية وبحيرات تشغل قا ع الأخدود، هذا وهناك فى شرق أفريقية و فى بلاد الشام إبتداء من بحيرة مالاوى ونهر أومو فى أفريقيا والبحر الميت ونهر الأردن فى آسيا، هذا الإخدود كان أرضا صالحة هو والأراضى المحيطة به لحياة الإنسان القديم فى الكهوف الكثيرة فى البيئة، كل ذلك حدث خلال الفترات الباردة المقابلة للعصور الجليدية فى أوربا، وأيضاً خلال الفترات الدفيئة المقابلة للفترات ما بين الجليدية.

وقد تميزت الفترات المطرة بتزايد أكبر لمساحة البحيرات وتكدس الرواسب البحيرية وارتفاعا المدرجات البحيرية وهى التى ما إلتحمت بسبب توسع مساحتها.

أما فى الفترة الأقل مطرا؛ فقد تزايد تأثير الرياح بسبب زيادة نشاطها، حيث تزايد نقل الرمال المنقولة بتأثير حركتها، وتحرك حدها الشمالى نحو الجنوب عن أقصى حدها الحالى، وصاحب ذلك تغيرات عميقة فى النبات، فخلال هذه الفترات كانت قمم الجبال العالية تغطيها الثلوج بصفة دائمة، وطبعاً كان خط الثلج الدائم فوقها هابطاً حتى الكنتورات الدنيا أكثر مما هى عليه حاليا بطبيعة الحال، وإن كانت أكثر ارتفاعاً مما هى عليه خلال الفترات المطرة، هذا وقد دلت بحوث نلسن (١٩٣٠ ـ ١٩٤٠) فى شرق أفريقيا (على بحيرات نايفاشا والمنتيتا وناكورو) وفى أثيوبيا (على بحيرة تانا) على وجود مدرجات بحيرية تدل على عظم تزايد مسطحات هذه البحيرات خلال الفترة المطرة.

أما بحيرة فيكتوريا فكان منسوبها منخفضاً منذ (١٤٥٠٠ سنة) ثم تزايد منسوبها منذ نحو ١٢ ألف سنة بسبب تزايد الأمطار مما تغيرت معه الحياة النباتية حولها الى الغابات، ثم عاد مستوى البحيرة وإنخفض الى ـ ١٢ متر تحت مستواها الحالى فى حقبة قصيرة كانت حوالى ـ ١٠ آلاف سنة من الأن، ثم عادت بحيرة فيكتوريا وأمتلأت تماما فيما بين ٩٥٠٠ الى ـ ٦٥٠٠ سنة حيث كانت تحيط بها الغابات دائمة الخضرة، ثم مع إتصالها من الشمال بمجموعة شبكة منابع النيل الإستوائية تأثر منسوبها قليلاً نحو الإنخفاض.

هذا علما أن كل هذه الفترات الباردة نسبيا والدفيئة في أفريقيا كانت كلها مطيرة (أكثر من الآن) وقد أمكن تميز أربعة عصور مطيرة واضحة هى : كاجيران Kajeran (معاصر لعصر جينز Günz)، كاماسيان Kamasian (مندل Mindil) كانجيران Kangeran (ريس Riss) الجامبيلية Gamblian

زفرم Würm) كما سبق الإيضاح، وأخيراً عملت الظروف المناخية الجافة التى سادت الأخدود بعد ذلك من عصور وفترات خلال الزمن الحديث على إحتفاظ تربة الكهوف والمدرجات الرملية والحصوية على حفريات البشريات والآناسى القدامى ومخلفاتهم التى أمكن العثور عليها فى شرق أفريقيا[٦٦].

الحضارة الشيلية والاشولية :-

تعد أحجار وحصى الفلافرانشيا بداية التتابع الحضارى فى أفريقيا المدارية وما يليها جنوبا، حيث أنها تقابل الصناعة الأبيفيلية (الشيلية) فى شمال أفريقيا حيث لم تظهر الأبيفيلية فى جنوب الصحراء فى أفريقيا، وقد إستنتج هذا الرأى بناء على ما عثر عليه فى قمة الطبقة الثانية فى خانق أولدوفاى، فى تنجانيقا (تنزانيا)، وهى الطبقة الثانية فوق القاع حيث عثر على أعداد قليلة من فؤوس آشولية وسواطير بين قطع الحصى (الفلافرانشيا) التى كانت تستعمل كأدوات لذلك يرجح أن هذه الفؤوس والسواطير قد جلبت أما من شمال أفريقيا أو من جنوب الجزيرة العربية، ويقال أن من كان يستخدم آلات الفلافرانشيا كان من نوع قرد الجنوب Australopithecine، وأنه كان سابقاً للحضارة الآشولية وإن ذلك كان قبل أكثر من ٦٠٠ ألف سنة [٦٧].

ولقد أوضحت الحفريات البشرية التى عثر عليها فى خمسينات القرن العشرين فى أولدوفاى Olduvai أن البشريات الجنوبية كانت ذا قامة أكثر من المتر، وكان له حوض وأرجل وأقدام ذات صفات بشرية أكثر مما لدى القردة العليا ولكن الجمجمة كانت لها صفات قردية، وبينما المخ كان كبيرا حتى مستوى الجوريللا وله فك قوى ولكن بدون ذقن Chine؛ ورغم هذا فكانت يسير منتصب القامة، ويجرى بصورة لم يكن تستطيعها القردة، وكانت للأيدى أصابع حقيقية، ولها بصمات، وقد ذكر بعض الباحثين، أنهم يعتقدون بوجود أدلة على ظهور بداية المبانى المبنية بالطوب الحجرى [٦٨] فى الفترة التى كان يحيا فيها هذا المخلوق، ويبدو أن هذه المخلوقات كانت من أكلة اللحوم حيث كانت اللحوم

تؤكل نيئة، اذا لم تكن النيران قد عرفت بعد، وقد كان قرد الجنوب صانعا للآلات، حيث تعد أولدوفاى المهد الأول لصنع الآلات الحجرية منذ ٢ مليون سنة مضت، وهى تبدو أنها آلات سابقة أو من العهود المبكرة على العصر الحجرى القديم الاسفل.

وقد عثر فى شرق تركانا على أجزاء لجمجمة لإنسان منتصب Homo Erectus ترجع الى ١.٥ مليون سنة، أى أقدم بمليون سنة من حفريات جمجمة شوكوتين (انسان الصين) وأيضا أقدم بنحو ٣٠٠ الف سنة من موضع جادب Gadeb فى أثيوبيا الذى عثر فيه على آلات قديمة منتشرة على مصطبة عريقة، وقد عثر فى عام ١٩٣٢ على حفرية جزء أمامى من الفك السفلى لآدمى في غرب كانام على الشواطئ الجنوبية لخليج كافيروندو فى كينيا، لذا أطلق عليه أسم كانام، وترجع أهمية هذا الكشف الى أنه يشبه عظام الفك السفلى للإنسان الحديث المعاصر، وقد زعم مستكشفوه أنهم عثروا عليه فى طبقات ترجع الى عصر البلاستوسين الأسفل، مما يجعلها بالغة القدم[٦٩] (أكثر من مليون سنة مضت)، كما عثر فى كانچيرا فى كينيا على بقايا هياكل لثلاث أفراد من النمط الزنجى المعاصر لذا سمى إنسان كانچيرا، وقد إستخرجت هذه الحفريات من طبقات ترجع الى عصر البلاستوسين المتوسط، وكانت الى جوارها الآت حجرية آشولية، أى أنها معاصرة لإنسان سوانسكومب فى أوربا[٧٠].

وعلى ذلك فان أنسان كانام وكانچيرا فى أفريقيا وسوانسكومب فى أوربا جميعهم يمثلون النمط الشبيه بالانسان الحديث، رغم أن ظهورهم كان في زمن مبكر جدا من تاريخ تطور الإنسان، كما أنه ربما يمثل الجمجمة التى عثر عليها فى نجالويا Ngaloba بجوار لايتولى Laetoli فى تنجانيقا، وتمثل أقدام حفرية للإنسان العاقل Homo Sapiens عثر عليها فى أفريقيا، حيث ترجع الى الفترة من ١٢٠-١٠٠ الف سنة مضت[٧١]، هذا ويعد موضع أولورجيسايلى Olorgesailie أهم مواضع ماقبل التاريخ فى شرق أفريقيا؛ لما يوجد به من مخلفات أثرية قديمة يرجع معظمها الى الحضارات الأشولية[٧٢].

خانق أولدوڤاى Olduvai

عثر فى أفريقيا المدارية على بقايا عظمية للبشريات الجنوبية Aus-tralopithecine فى أولد وڤاى Olduvai (١.٨ مليون سنة) وفى لايتولى Laetoli فى شرق أفريقيا، كما عثر على بقايا عظمية وثقافية تنتمى الى إنسان أوائل وأواسط البلاستوسين الأعلى خاصة الحضارة الأبيفيلية أو الشيلية (آلات حجرية خشنة) والاشولية Acheulian (الأكثر تقدما) والليڤاوازية - الموستيرية Levallios -Moustrian (نصال حجرية رقيقة)(٧٣)، ولقد جاءت هذة الحضارات تالية لحضارة سانجوان Sangoan؛ تلك التى كانت تمثل حضارة محلية من فؤوس حجرية تقليدية كانت سائدة فى المناطق الغابية من وسط وغرب أفريقيا المدارية(٧٤).

هذا ويقدم خانق أولدوڤاى Olduvai George الشهير فى تنزانيا سجلا حافلا متميزا من مخلفات العصر الحجرى القديم Old Stone Age منذ ١.٨ مليون سنه مضت، وقد عثر عام ١٩٥٩ على أول حفرية لاشباه البشر وبجوارها الآت حجرية، وقد تكون خانق أولدوڤاى في شمال تنزانيا عن طريق التعرية النهرية خلال طبقات رسوبية قديمة، وتعطى هذه الطبقات حفريات وحفائر تعد من أكمل التتابعات الأثرية خلال الأثنين مليون سنه الأخيرة، خاصة وأن الكشوف الأخيرة أرجعت التتابع التاريخى الى سنين سحيقة فى القديم.

وأولدوڤاى تقع حيث توجد المرتفعات البركانية التى تكونت نتيجة الحركات الباطنية المُحدثة للأخدود الأفريقى العظيم، بحيث تفصل سهول سيرينجيتى Se-rengeti فى الغرب عن مثيلاتها فى الشرق، وهو فى الحقيقة خانق طبيعى حافتة بعمق ١٠٠ متر خلال طبقات رسوبية بلايستوسينية تمتد على طول ١٥ كم فوق السهول، وقد تكونت المرتفعات البركانية عندما تكونت قاعدة طبقات لايتولى Laetoli beds منذ ٣ مليون سنة مضت، ولكن أقدم طبقة وجدت بها بقايا أثرية archeaological finds بدأت فى التكوين منذ ١.٨ مليون سنة مضت مكونة من الجنوب منظرا لأبراج مرتفعة ومجارى مائية تنحدر هابطة الى

بحيرة تكونت فى الشمال فى منخفض مابين السهول والمرتفعات، وخلال الاثنين مليون سنة الاخيرة إمتلئ حوض البحيرة بالتدريج بالرواسب حتى قامت الحركات الأرضية بإحداث إنكسار بعمق أكثر مئة متر صانعا منخفض أولبالبال Olbalbal حيث أصبحت هذه المنطقة حوض تصريف جديد، وكان منخفضا بصورة تعطى المجارى القادمة من الغرب قوة نحر وتعرية كافية، ولمدة ٢٠٠ الف سنة قامت هذه المجارى الموسمية بقطع المنحدر الأيمن خلال الرواسب البحيرية القديمة صانعة الخانق The george وقد كشفت طبقاته حاليا بواسطة طبقة اللآفا المقاومة للتعرية.

وقد إتضح من المخلفات الآثرية الغنية التى عثر عليها فى أولدوفاى أن شواطئ البحيرة كانت مناطق جذب قوية للإنسان القديم الأول فى هذا الخانق، وقد كانت كثرة العظام التى وجدت لحيوانات بأعداد كبيرة دليل كاف على أعتبار هذه المنطقة من مناطق الجذب الكبرى للحياة خلال البلايوستوسين، وقد قدر من خلال القش Hay أن طبقة ١ والقسم السفلى من طبقة ٢ تكونتا بسرعة وربما في مدة أقل من ١٠٠ الف سنة، وقد تكون القسم الأعلى من طبقة ٢ منذ نحو ١.٤ مليون سنة مضت، أما الطبقة ٤ Bed IV فقد جاءت بعد ذلك منذ ٧٠٠-٨٠٠ ألف سنة مضت، وقد أرجع أهمية تتابع أولدوفاى الجيولوجى الالمانى هانزريك Hans Reck مبكرا منذ عام ١٩١٣ ولكنها تركت للاستاذ لويس ليكى Louis Leakey (١٩٠٣-١٩٧٢) الذى آمن بشدة بأهميتها وفائدتها الأثرية، وكان لصبره وخبرة ودأب زوجته مارى ليكى (١٩١٣-   ) أكبر عون فى كشف مكونات هذه المنطقة خلال فترة عمل أطول من ٣٠ سنة.

هذا وكان الموضع FLK هو الذي شهر خانق أولدوفاى وأعطاه مكانته العالمية إذ يرجع الى ١.٨ مليون سنة، وقد عثرت مارى ليكى عام ١٩٥٩ على بقايا عظمية لجمجمة لأشباه البشر وقد كان لها إهتمام عالمى كبير حيث كانت هذه أول مرة يعثر فيها على الآت حجرية مع بقايا عظمية لأشباه البشر The Hominid وكان أول موضع يختبر بواسطة بوتاسيوم أرجون المشع، وقد كان

التأريخ أقدم بثلاث مرات مما كان متوقعا، حيث وضع أفريقيا بدون شك فى مكانه أعرق البيئات في المخلفات الأثرية البشرية، هذا وقد تبع أشباه البشر نوع جديد أطلق عليه إنسان الزنج Zinjanthropus، ولكنه صنف على أساس أنه من البشريات الجنوبية العملاقة Australopithecus boisei وهو يشبه الى حد بعيد قرد الجنوب روبستس Robusts Australopithecines التى عثر عليها في جنوب أفريقيا، وكانت لهذة الكائنات جسم يشبه الإنسان Man like in body ولكن له أسنان ضخمة جدا، وكانت أمخاخها مثل حجم مخ الجوريلا والشمبانزى الحالية(٧٥).

وبمجرد الكشف عن قردة الجنوب العملاقة المشار اليها وهى التى عرف أنها أول من صنع الآلات الحجرية، عثر على بقايا أسنان أخرى في مستويات أخرى من الطبقات من نوع قردة الجنوب العملاقة Robust Australopithecines وقد صنعت على أساس أنها من نوع الإنسان الحاذق Homo Habilis، وكانت البقايا مفتتة للغاية ومختلفة كثيرا عما وجد من قرد الجنوب فى الشكل والحجم، وقد وضعت في تتابع مابين قردة الجنوب والإنسان Homo، مما لم يحسم موضوع التطور، ولكن ما عثر عليه من مخلفات بعد ذلك فى أولدوفاى، أثبتت أن أشباه البشر قد تطوروا فى خط تتابعى واحد الى البشرية، ومعنى هذا أنه كانت لهم حضارات بشرية ولكنها بدائية، وقد إستدل على ذلك بما حملته جمجمة قردة الجنوب العملاقة من عظام خد عريضة وجمجمة منخفضة Low Cranium ووجود حافة سهمية Sagittal Crest، وقد إعتبرت الكشوف الاثرية فى أولدوفاى من أدلة تقدم أشباه البشر ثقافيا، ضمن أقدم المواضع المسمى DK الذى يقع عند أساس المستوى الأول Bed 1 حيث وضحت بأدلة ثابتة أن الإنسان الأول عرف بناء الملاجئ الدائمة، حيث يلجأ فى الليل للمبيت، فقد وجدت دوائر محددة بالصخور (قطرها أربع أمتار) وعلى طول أحد الجوانب وجدت بعض الأكوام من الصخور التى ربما كانت تدعم سقف البيت، وهناك أدلة أثرية على أن الفيلة والزراف والبقر كانت تؤكل لحومها فى أولدوفاى، وربما فعل الإنسان ذلك تشبها بالحيوانات الكبيرة التى كانت تأكل

الصغيرة، ولعل هذه الأدلة هى الأولى فى العالم على أن الإنسان الأول كان من أكله اللحوم النيئة.

ويبدو أن المناقشات التى أثيرت حول الإنسان الأول قد تغيرت أسسها كثيرا بعد كشوف أولدوفاى خاصة بالنسبة للمساكن، حيث أمكن إستنتاج أنه كان يستعان بالأحجار لتثبيت حوامل وروافع البيت الذى كان يشبه الخيمة المحمولة على أغصان، وتعد هذه الكشوف من أهم الكشوف التى ترجع للعصر الحجرى القديم، وقد ظهرت أدلة أثرية أخرى فى بعض مواضع أولدوفاى على أن الأضاحى كانت تذبح مثل موضع FLk north حيث عثر على هيكل عظمى لفيل مع آلات حجرية، هذا وقد أرجعت كل الآلات الحجرية التى عثر عليها في المواضع المبكرة (طبقة ١ Bed 1) والقسم الاسفل (الطبقة٢) تنتمى الى نمط أولدووان Oldowan، وآلات النواة بما فيها السواطير Choppers والآلات الشبيهة بالكرة Spheroids والآلات شبيهة بالقرص discoids والآلات عديدة السطوح Polyhedrons وآلات الشظايا Flakes بما فيها المكاشط Scrapers، لذلك فمن المناسب أن تكون المادة الخام تلائم هذه الصناعات، فمثلا الشرت Chert (صخر صوانى غير نقى) الذى يشبه الجرافيت الدقيق يناسب الشظايا وسائر الآلات الصغيرة، ولكن المواد المتينة مثل الكوارتز أو اللافا (البازلت) تناسب الآلات المكتنزة الثقيلة، وقد أمكن تتبع المواد التى إستخدمت فى نمط أولدوفاى حيث إتضح أنها نقلت من مسافة ١٠كم، وذلك بعد العثور على الآلات فى الطبقة الأخيرة التى يرجع تكوينها حتى عدة آلاف من السنين قليلة مضت.

ويعد خانق أولدوفاى ذا أهمية كبيرة لما به من المواضع الأثرية ذات الأهمية والقيمة، ولقد زادت شهرته كثيرا بما أخرجه منذ عام ١٩٥٠ من كشوف هامة أثرية وأنثروبولوجية على يد أفراد عائلة ليكى وغيرهم.

هذا وتمثل حضارة ستيلباى Stillbay حضارة العصر الحجرى القديم الأعلى Upper Polealithic والعصر الحجرى المتوسط Mesolithic، وكان

يزاولها الصيادون من حاملي السمات البوشمينية والتى كانت تمتد أوطانهم في هذه العصور القديمة بحيث تغطى كل شرق قارة أفريقيا حتى جنوبها إبتداء من القرن الأفريقى وغرب إثيوبيا حتى منطقة رأس الرجاء الصالح(٧٦)، وكانت هذه الحضارة تتكون من نصال Blades حجرية وشظايا Flakes حجرية وأيضا سهام وبعض الآلات القزمية وفخار(٧٧).

لذلك فإن منطقة شرق أفريقيا تعد من المناطق التى كشفت عن أسرارها البيولوجية والأثرية (جدول - ١).

جدول ١ ـ التوزيع الجغرافى لأهم كشوف عصر ما قبل التاريخ فى أفريقيا المدارية (٧٨)

المواضع	السودان	إثيوبيا	كينيا	أوغندا	تنجانيقا (من تنزآنيا)	ملاوى
بقايا ومخلفات الرئيسات القديمة (الإلايجوسين والميوسين)			لوثاجام Lothagam لوكينو Lukeino نجوروورا Ngorora سونجور Songhor	فورت تريان Fort Ternan جزيرة روسينجا Rusinga Isl.		
أوائـــل البشـريات		هادار Hadar بودو Bodo أومو Omo	شرق تركانا East Tur-kana لوثاجام Lothagam شيسوانجا Cherowanja لوكينو Lukino		أولد وفـاى Olduvai نـدوتـو Ndutu لايتـولى Laetoli بنينجى Peninji	
أولدوفـاى Olduvai والمتقدم منه		هادار Hadar ملكاكونتور Melka Konture جادب Gadeb أومو Omo	شرق تركانا East Tur-kana شيسوانجا Cherowanja لوكينو Lukeino		أولد وفـاى Olduvai	
الأشـوليـة	خور أبو عنجة Khor Abu Anga	بودو Bodo ملكاكونتور Melka Konturé جادب Gadeb	لوكينو Lukeino شيسوانجا Cherowanja كلومـبى Kilumbe كاريانديوزى Kariardusi		أولورجسايلى Olorgesailie بنينجى Peninji أولد وفـاى Olduvai تـدوتـو Ndutu اسيميلا Isimila شلالات كالامبو Kalambo Falls	قـرية موانجاند Mwan-gand Village

موضع شيسووانجا Chesowanja

يعد موضع وحفائر شيسووانجا Chesowanja تكملة لحفائر أولدوفاى ومن أهم المناطق الأثرية القديمة في الأخدود الأفريقى حيث يغطى فترة زمنية طويلة تمتد من ١,٥ مليون سنة الى عدة آلاف قليلة من الأعوام خلت، وقد عثر فيه على أدلة على وجود مايشبه المواقد، والى جوارها طين محروق مما يرجح الاستعمال المبكر للنار، لذلك فإن موضع شيسووانجا Chesowanja يمثل موضع ذا أهمية خاصة فى كينيا حيث يحوى أدلة على أربعة عصور حجرية كبرى على الأقل، وهو من المواضع القليلة التى عثر فيها على الآلآت الحجرية العريقة المعروفة باسم حضارة أولدووان Oldowan.

ويقع موضع شيسووانجا Chesowanja على الجرف المنحدر الشرقى للأخدود الأفريقى العظيم، فى منتصف المسافة مابين أولدوفاى Olduvai وايست تركانا East Turkana ، ويبلغ طول هذا الموضع ٥٠٠ كم على حده، والمواضع الأثرية فى شيسووانجا Chesowanja تقع فى رواسب تكونت حول شاطئ بحيرة قديمة كانت موجودة فى البلايوستوسين الأسفل (١,٨-٠,٧ مليون سنة مضت تقريبا) على بعد ١٢ كم الى شرق من بحيرة بارنجو Baringo الحالية ودائما كما يحدث إكتشف الموضع اثناء مسح ورفع جيولوجى حوالى عام ١٩٦٥، حيث عثر على عظام للبشريات المبكرة Australopthecus boisei عثر عليها لأول مرة عام ١٩٦٩، وعندما أجرى مسح أخير عام ١٩٧٣، عثر على آلات حجرية(٧٩).

وعلى العكس من خانق أولدوفاى وشرق توركانا فإن موضع شيسووانجا Chesowanja تتركز به كل حفرياته فى مساحة لاتزيد على نحو كيلومتر مربع واحد فقط أى فى جيب صغير، وربما كانت البحيرة القديمة وحوض الرواسب أكبر حجما، ولكن لاقا البلايستوسين الشائعة فى المنطقة والتى حمت الموضع من التعرية قد تلاشت إلا من بعض المساحات الصغيرة، وقد أطلق على الطبقات المبكرة إسم تكوينات شيمويجوت Chemoigut وهى تتكون من طمى وطفلة ترسبت فى مياه مالحة ربما أشبه بتلك الموجود فى بحيرة ناكور Nakuru الحالية الواقعة على بعد ١٠٠ كم الى الجنوب.

وكانت المواضع الأثرية الغنية بآلاتها الحجرية فى ذلك الوقت كانت كثيرة وكثيفة فى هذا المنسوب والمستوى الكنتورى حيث كانت تكثر الرواسب، ويبدو أن أجدادنا كانوا هنا منذ ٢ مليون سنة عندما كانت هذه البيئة غنية بالماء العذب والتنوع الواسع فى النبات وتعدد مصادر الحيوان، وكانت الآلات الحجرية فى أغلبها من النواه Core tool والشظايا Flakes وهى التى يمكن إدخالها ضمن حضارة اولدووان Oldowan وذلك لأنها كانت تشبة تلك التى عثر عليها فى مستقرات أولدوڤاى Olduvai، ولكن المخلفات التى عثر عليها فى شيسووانجا Chesowanja لها أهمية خاصة، لأن بقايا قرد الجنوب روبست Robust Australopithecus قد وجدت بالقرب منها، كما أنه عثر على أدلة تثبت إستخدام النار في أحد مواضعها.

هذا وكان العثور على بقايا قرد الجنوب روبست فى موضعين منفصلين فى طبقة شيمويجوت Chemoigut يفصل فيما بينهما نحو كيلو متر واحد، حيث عثر على جزء من قحف جمجمة فى موضع وعلى بعض القطع العظمية فى الآخر، وقد صنعت كلها على أساس أنها لقرد الجنوب بوساى Austrolopithicus، وهذا المخلوق كان فى الحقيقة أصغر حجما من الأناسى الحاليين، ولكنه أخذ إسم روبست Robust من الحافة العظمية الثقيلة والضخمة فوق الجمجمة وعظم حجم الاسنان رغم أن قامته كانت ١,٤ متر، ويعد هذين الموضعين من المواضع المغلقة أثريا، ومنها أتضح أن قردة الجنوب Ausralopithecines كانت فى الحقيقة صانعة للآلات The actual tool makers، رغم أن هناك جدل كثير حول هذا الاستنتاج وبعد أن كانت هذه المواضع مسكونة منذ نحو مليون سنة، إنقرض قرد الجنوب روبست، ولكن تطور الآلات الحجرية إستمر حتى اليوم. وأيضا فى موضعين طبقة اولدوڤاى Olduvai Bed1 وسوارتكرانس Swartkrans فى جنوب أفريقيا حيث وجدت بعض الآلات الحجرية المبكرة الى جوار البقايا العظمية لقرد الجنوب روبست وبقايا القردة البشرية التى هى الأسلاف المباشرة للإنسان (الانسان الحاذق Homo Hablis والانسان المنتصب Homo Erectus) وهى التى جعلت خط الإنسان مرشحاً كى يصنع الالات.

وهناك دليل أخر يعزز هذا الرأى، حيث أجرى ألن والكر Alan Walker من جامعة جون هوبكنز بليمور U.S.A، دراسة على أنماط أسنان أشباه البشر بالميكروسكوب الألكترونى، حيث إتضح له أنه ليس في أسنان قرد الجنوب رويست أثار لأكل اللحوم حيث أوضح أن الغذاء كان يحوى كميات كبيرة من التغذية اللينة ربما من الفواكهة والخضروات، ولكن فى معظم مواضع شيسووانجا وجدت عظام الحيوانات وقطع العظام وجدت مختلطة بالآلات الحجرية، مما يؤكد أن صانع الآلات كان من أكلت اللحوم فهو ممن كانوا يذبحون الحيوانات ويقطعونها(٨٠).

ولكن لماذا لم يعثر على بقايا حقيقية عن صانع الآلات المحتمل، الانسان المنتصب (وهو الذى عرف أنه كان موجودا فى ذات الفترة فى شرق توركانا وأماكن أخرى)، وماذا كان وضع قرد الجنوب روبست، إن غياب الأدلة المباشرة عن الإنسان المنتصب حقيقة غير مفاجئة لأنه قليلا جدا ما عثر على بقايا من أشباه البشر فى المواضع البشرية فى شرق أفريقيا (٨١)، إذ أن غالبية بقايا أشباه البشر قد عثر عليها بعيدا عن تلك المعسكرات المؤقتة التى كان تسكن لأيام قليلة فقط، ومع ذلك، ورغم أنه لايوجد دليل مباشر على وجود الإنسان Homo إلا أن هناك مؤشرات على وجوده، مع وجود قردة الجنوب روبست فهما كانا متزامنان ومترابطان، وربما يكون الانسان Homo كان يصطاد الروبست ويأكله، أو ربما كانت هناك علاقة إجتماعية Interacted socially بين الجماعتين، ربما مثل مايفعل الشمبانزى والبابون فى علاقاتهما الآن.

ومن أهم كشوف تكوينات شيمويجوت Chemoigut فى شيسووانجا Chesowanja، قطع من الطين المحروق Burnt Clay وهو الذى كان لصيقا ببعض المخلفات والبقايا العظمية الحيوانية، وقد وجدت كثير من قطع الطين المحروق بجوار صخور تكون مايشبه المواقد hearths، كما عثر عليها فى بعض المواضع الأثرية اللاحقة، وأيضا عثر على مايشبه مخلفات معسكر، حديث كانت به نار، وقد أثبتت القياسات المغناطيسية أن حرارة هذا الطين المحروق كانت مابين ٤٠٠-٦٠٠°(٨٢)، مما يقارب حرارة نار المعسكرات، لذا يعد موضع

شيسووانجا Chesowanja أقدم موضع أثرى معروف (١.٥ مليون سنة)، حيث أن به أدلة نهائية على إستخدام النار؛ مما يدل على تحكم الإنسان فى النار، فمن هو الذى صنع هذه النار ؟ الإنسان المنتصب Homo Erectus هو المسئول عن صناعة النار فى تشوكوتين Choukoutien فى الصين (٥٠٠ ألف سنة مضت)، ولكن فى أفريقيا يبدو أن مثل هذه المخلوقات من أشباه البشر التى كانت تحيا فى شيسووانجا، هى التى تركت تلك الأدلة على إستخدام النار.

وبعد أن تغطت المستويات الأولى بالبازلت، تكون حوض بحيرة صغيرة، وتراكمت الرواسب فوق البازلت بسرعة فى الفترة الاولى وببطئ أكثر عندما إمتلئ الحوض، لذا أصبحت البحيرة ضحلة وهناك أدلة على إستمرار السكنى البشرية للمكان، كما تكون التوف Tuff (حجر بركانى مسامى يتشكل من رماد البراكين) الذى غطى المكان بارتفاع ع ملليمتر واحد هو الذى تبقى فى بعض المواضع، ورغم التعرية التى حدثت منذ ٧٠٠ ألف سنة، وفى القمة ٥٠ سم من الرواسب أسفل الرماد Ash حيث حفظت آلاف فوق آلاف من آلالات الحجرية حفظت في مساحة تبلغ مئات الأمتار المربعة فقط، هذه الآلات كانت صغيرة بدرجة غير عادية فلم تكن تتعدى ٣-٤ سم فى الطول إلا نادرا، بما يوحى بأنها كانت تستعمل لأحد الأنشطة على طول شواطئ البحيرة، وهناك أدلة على أنه كان هناك أكثر من نوع من أشباه البشر Hominid؛ منها كثرة اعداد الآلات وتوزيعها بسمك يصل الى ٥٠سم من الرواسب، ودليل آخر هو إعادة إستعمال الآله الواحدة فى غرض آخر غير الغرض الذى صنعت من أجله، هذه الالة تآكلت Worn بالتعرية لمدة طويلة ثم أعيد تشذيبها لتصبح شظية جديدة، وقد توصل الى موضعى التشذيبين.

ويمكن التفكير فى الإستعمال الحقيقى لهذه الآلات التى أطلق عليها لوسوكويتا Losokweta (على إسم أحد الأنهار المحلية) والتى أرخت بنحو ١.٤ مليون سنة مضت وواضح أنها صنعت صغيرة بالاختيار، إذ كانت توجد كميات كبيرة من اللافا.

ويبدو أنه بعيدا عن الاحتمال أن يكون ذبح الحيوانات أوسلخها هى أهم الأهداف منذ أن بدأ الانسان الأول في إحضار الذبائح الى ذلك المكان، ورغم أن هذا كان عملا شاقا، ولما كان توجد أعداد كبيرة من الآلات فإن الأثريين أخذوا يبحثون عن تفسير خاصة وأن جوانب البحيرة كانت فيها نباتات وأشجار كثيرة مما يشجع على الحياه الحيوانية والبشرية.

وكان المستوى الأشولى الرئيسى (عمره أكثر من ٢٠٠ الف سنة) ممثلا بدون شك فى شيسووانجا Chesowanja فى شكل فؤوس يدوية والتى وجدت أساسا على السطح.

ويبدو أن ألآت لوسوكويتا قد تضمنت فؤوسا يدوية hand axes رغم أنه لم يعثر عليها فى الموضع، مما يرجح أنها جلبت من مستوى Bed أخر، ولكن عندما عثر على فؤوس يدوية على السطح فوق التوف Tuff الملتصقة بالآلات اللوسوكويتا، تأكد أنها جلبت من مستوى Phase تال، وقد تأكد هذا عندما إكتشف مجرى مائى أخر حيث عثر على فأس حجرية فى ذات الموضع in situ كدليل حاسم للتأريخ.

وقد تكامل التأريخ الأثرى فى شيسووانجا عن طريق ما عثر عليه منسوبا للعصر الحجرى القديم والتى ترجع للسنوات الألف القليلة الأخيرة، حيث وجدت فى طبقة غرين حبراء من رواسب نهر موكوتان Mukutan، ومنذ خمسين سنه مضت حاول الأهالى المحليين تحويل النهر لغرض الرى، وقد استتبع ذلك تزايد النحت فى طبقات الرواسب مما كشف عن مواضع كانت تستخدم، كمصانع لصنع الآلآت الحجرية.

ومثل أقدم العصور الأولى إستخدمت حصوات النهر River Cobbles كمواد خام، والآف الشظايا التى إنفصلت عنها وجدت تغطى الأرض، وفيما بينها وجدت عظام حيوانات دالة على إستمرارية العصر الحجرى، وهناك أدلة جديدة من فخار وآلات صغيرة من الاوبسيديان Obsidian الزجاج الصخرى، ويبدو أننا فى هذة المرحلة نتعامل مع رعاة Pastoralists أكثر من قناصين Hunters.

ومع ذلك فإن شيسووانجا Chesowanja لاتعطى تفسيرا متصلا لتأريخ الماضى أكثر من أى موضع أخر، ومع ذلك فأنها تعطى نظرات خاطفة عن النشاط البشرى منذ أقدم العصور وحتى الآن(٨٣)، ولما كان لم يكشف إلا عن نسبة ضئيلة من مساحة الموضع؛ فإن هناك إحتمالات كبيرة إذا تزايدت الكشوف والحفائر أن يكشف عن إجابات واضحة عن الأسئلة الكثيرة المثارة عن تطور ونشاط الإنسان الأول خلال العصر الحجرى.

وجاءت بعد السانجوانية، الحضارة الماجوسية Magosian وهى أساسا تتمثل في صناعة شظايا Flakes ليفلوازية، يمكن مقارنتها بالصناعة الليفالوازية الموسيترية فى أوربا وغرب أسيا، وقد أرخت فى بعض المواضع بعام ٧٥٥٠ق.م أى قبل العصر التالى للجليد مباشرة، وهى صناعة تطورت عن حضارة حجرية متوسطة محلية وتتميز بالآلات صغيرة مصنوعة من الشظايا، وقد إستمرت في جنوب أفريقيا حتى العصر الحديث(٨٤).

هذا فى شرق أفريقيا حتى جنوبها، أما فى حوض الكنغو فقد إستمرت الآلات الثاقبة بشكل مميز حتى بداية دخول البانتو فى الألف الاولى ق.م (٨٠٠-٩٠٠ق.م).

أما فى غرب أفريقيا فرغم قلة الآلات الحجرية التى عثر عليها، فقد عثر ديفز Davies (٨٥) فى غانا على آلات حصوية وآلات قاطعة ومثاقب سانجوانية وآلات من الشظايا تردد فى مقارنتها بالصناعة الماجوسية، كما عثر بعد ذلك على آلات حجرية قزمية كثيرة.

مصنع كيلومبى Kilombe :

حفائر كليومبى Kilombe تعد موضعا آشوليا Acheulean فى كينيا يرجع الى ٧٠٠ الف سنة مضت، فقد عثر الجيولوجى و.ب. جونز Jones,W,B, لأول مرة عام ١٩٧٢ على آلات مبعثرة على سطح بلايوستوسينى وقد كشفت أعمال الحفر عن آلاف الفؤوس الحجرية والسواطير؛ مدفونة فى تربة بركانية،

حيث عثر علي أثر من ١٢ قطعة في المتر المكعب بمتوسط وزن ٥ .٠ كجم، بحيث يصل وزن الآلات الى ١٠٠-٢٠٠ كجم فى كل ١٠٠م٣ (٨٦).

والتفسير الأول هو أن هذا الموضع الموجود فى منطقة ذات تربة من اللافا؛ كان مصنعا للرؤس والشظايا، والآلات التى يعاد تشظيتها، وعلى ذلك فيبدو أن الفؤوس اليدوية Hand-axes كانت تجلب الى الموضع من مناطق ليست ببعيدة، وقد ظهرت عدة نظريات منها ما تقول بأن الإنسان المنتصب Homo Eectus كان هوصانع ومستعمل هذه الآلات.

ويبدو أن صناعة الفؤوس كانت تجرى فى مكان قريب، ثم تنتقل الى هذا الموضع (كيلومبى)، حيث كانت تشذب حوافيها وأطرافها فى هذا الموضع الذى كانت تغطية المياة فى أحدى فترات السنة من بحيرة مجاورة، ويبدو أن الفؤوس اليدوية كانت تستعمل فى ذبح الحيوانات(٨٧).

وفى بعض المواضع مثل اولورجيسايلى Olorgesailie إستعملت الفؤوس اليدوية للذبح، ولكن هناك مواضع قليلة فى أفريقيا وجدت فيها بجوار الفؤوس ذبائح Carcase؛ مما رجح البعض معه أن الحيوان الخفيف كان يذبح حيث يقع، لذلك فليس من المرجح أنها كلها جلبت الى مكان واحد، حتى ولوكان كيلومبى Kilombe الذى كان مثل معظم المواضع الآشولية Acheulean كان يحوى على مجموعة بقايا حيوانية مختلطة، فكان منها عظام لحيوانات مثل الفيلة، والغزال والبقر والخنازير، وربما كان هذا بسبب وجودها فى مكان ذبحها ثم نقلت منه بعد ذلك.

ولعل من التعديلات المرجحة لتركز هذه الأدوات فى مثل الموضع ذا الكميات الكبيرة من المواد، حيث عثر على أحجار حصوية Cobbles ذات وجهين bifaces وهى التى يمكن إذا تثبيت فى الأرض تصنع سطح صالح لليسر عليه؛ فهل هذا يوضح نوع من التخصص بدأ يظهر؟ أو هل يمكن أن الطبيعة صنعت لعبه Trick ؟ أن معظم أدلتنا الآشولية ترجع الى أشياء تافهة، وهذا عجيب فالمواضع الكبيرة تكشف عن وجود طاقة، أو أنه كانت تجتمع

جماعات بشرية مختلفة ذات أهواء وأهداف متباينة، وقد إتضح ذلك من الآلات والأدوات المختلفة التى وجدت فى المواضع الكبرى الآشولية، ليس فقط فى كيلومبى Kilombe ولكن أيضا فى كاريانذوزى Kariandusi واولورجيسايلى Olorgesailie فى كينيا، وفى إيسيميلا Isimila فى تنزانيا وفى مواضع أخرى كثيرة.

ففى كيلومبى حوى المستوى الرئيسى على فؤوس يدوية مشذبة، ولكن الى جوارها عدة مواضع مختلفة بها كثير من السواطير الثقيلة أو الشظايا الخفيفة، وفى موضع واحد غريب نظراً لانه عثر به على صخور ثقيلة ذات سطح مرصوف (مثل صخور رصف الطرق)(٨٨). واذا أمكن للناس أن يعودوا للماضى مرة أخرى، فإن الموارد المحلية سوف يكون فى إمكانها إعادة الأحوال القديمة، حتى ولو بعد مليون سنة من تغيير اللاندسكيب، والواضح أن كيلومبى كانت فى ظروف خاصة ومناسبة للغاية، فالموضع كان مستكين عند أقدام جبل مشجر قرب كيلومبى ولوندياني Londiani وقريبا من شواطئ بحيرة كانت مياهها ترتفع وتغيض موسميا.

لذلك فيبدو أن الصناعات الخشبية وبعض الصناعات الأخرى كانت توجد فى كيلومبى، ولكن يبدو أن التفسير المعقول كدليل أثرى هو نشاط إعداد النبات الخشبى مصاحبا بعدة أنشطة أخرى بما فيها المذبح والمسلخ Butchery، والجدير بالاشارة أن إنحدار موضع كيلومبى نحو الأخدود الأفريقى وللظروف الجغرافية العامة التى عملت على خلق بيئات صغيرة Micro-environments فى التلال والسهول حيث نقلت بعض الصخور من فوق التلال فى الشمال الغربى لمسافة وصلت الى ١٥كم، وبعامة فان موضع كيلومبى بمساحته الضخمة ١٠كم على طول محور الأخدود، و ٢٠كم بالعرض على إرتفاع جبال كيلومبى موضعا هاما للغاية لحفائر عصر ماقبل التاريخ فى أفريقيا.

هذا وقد حوت صخور لافا الفونولتيك Phonolitic Lava فى كيلومبى على نحو ٩٠٪ من الأدوات التى عثر عليها في الموضع، أما لافا التراكيت Trachyte Lava فقد حوت على نسبة مابين ٥–٧٪ من الأدوات، وأما البازلت

الزيتــونى Olivine basalt والذى يوجد على بعد ١٠-١٥كم من الموضع فقد كان فيما يظهر هو المصدر الذى أخذت منه الآلات(٨٩).

وربما يفسر إختلاف حجم وشكل الفؤوس اليدوية عن طريق أن مواضع اولورجيسايلى المختلفة تتباين فى العمر والتأريخ بفروق تصل الى مئات السنين، بينما فى كيلومبى Kilombe وجدت المخلفات على مستوى سطحى واحد وترجع الى فترة زمنية واحدة، وأن كل الفؤوس اليدوية كانت متشابهة، مما جعل جلين إســحق Glynn Isaac يقترح أنه رغم أن النظرية الأساسية لصناعة الفؤوس اليدوية معروفة، لكن هناك بعض الإحتمالات لظهور فروق محلية فى أورلوجيسايلى نتيجة إندفاع عشوائي فى المستوى الثقافى، فى بعض الأوقات يرفع مستوى الحياة.

والملاحظ أن فى كل المواضع المركبة مثل اولورجيسايلى وكيلومبى وايسيميلا Isimila (تنزانيا) أو شلالات كالامبو Kalambo تعطى فكرة واضحة عن الحضارةج الآشولية Achrulean كما أن اولورجيسايلى وايسيميلا تبين لنا كيف أن الآلات التى صنعها الإنسان القديم كانت مختلفة، كما أن عظام البابون فى أولورجيسايلى قد أثبتت أن الفؤوس اليدوية ربما كانت أدوات بدائية للذبح فيما كانت فى كيلومبى مثلا ذات استعمالات عامة ومتعددة.

حضارات مابعد الآشولية

بدء الانسان منذ العصر الحجرى القديم الأوسط فى شرق أفريقيا فى استعمال أغصان الأشجار والقش المضفور، إستعمله فى بناء حاجز الريح والهواء، وهى التى عثر عليها فى كويشوسبرنج والتى ترجع الى الالف الثالثة ق.م.، وقد عثر على بعض المخلفات العظمية محافظا عليها فى موضع أولورجيسايلى Olorgesailie فى كينيا فى شرق أفريقيا حيث عثر على فؤوس يدوية على السطح بعد أن كشفت عنها التعرية الجوية فعثر عليها لويس ومارى ليكى Leaky فى عام ١٩٤٠، حيث إعتبرت أهم مواضع حفائر العصر

البلايوستوسينى الأوسط فى شرق أفريقيا، وتقع تلك المواضع فى قاع الاخدود الأفريقى على بعد نحو ٦٠ كم جنوب غرب نيروبى فى طبقات رملية ورواسب من الصخور المسامية Tuffaceaus Deposit والتى تقع على حافة بحيرة قديمة أختفت الآن تماما.

وقد أجرى كثير من الأثريين حفائر فى أولورجيسايلى Olorgesailie حيث عثرت بعثة برياسة جلين اسحق Glynn Isaac على آلات كثيرة ففى موضع واحد (دى/٨٩ DE/89) فى القاع وبجوار قناة رملية قديمة، عثر على أكثر من ٤٠٠ فأس يدوية مع كمية ضخمة من عظام الحيوانات والانسان، وبالملاحظة أن جريان المجارى المائية فى بعض أيام السنة كان يدفع بالطبقات اللينة الهشة من تكوينات التربة بما فيها آلات حجرية من موضعها الأصلى ليجمعها فى مواضع أخرى، هذا التجميع أو إعادة التصنيف والترتيب كان يتم وفقا لأوزان الآلات تلك نظرية، بينما هناك نظرية أخرى تقول أن الانسان كان يستعمل عدة أنواع من الآلات Kits المختلفة فى المناسبات المختلفة[٩٠].

ومن خلال الدراسة الإثنوجرافية فى موضع مجاور وجد أن بعض القبائل المجاورة في تنزانيا تخرج لصيد البابون Baboons (نوع من القردة) حيث إتضح أن أنسب وقت لذلك هو المساء عندما تتجمع هذه القردة معا فوق فروع الأشجار خوفا من الحيوانات المفترسة مثل النمور، ومع حلول الليل والغروب، يتجمع الصيادون حول الأشجار حيث ينشروا الرعب بين القردة البابون بالصياح والنار، حيث يمكن قتلها عند نزولها بمختلف الاسلحة، فهذه الدراسة كانت محل بحث قام به باحثون أمريكيون عندما شاهدوا صيد البابون وقتلها، وعثروا على العظام وقارنوها بالعظام القديمة التى عثر عليها فى موضع اولورجيسايلى Olorgesailie وهناك شواهد على أنه كان هناك أنشطة بشرية مختلفة، إذ كانت البابون من أعمار مختلفة وأغلبها من مرحلة النضج، وأن معظم عضام الهياكل بما فيها العظام الصغيرة كان محافظا عليها مع ظروف دورة الحياة فى تصنيفها فى مواضع مختلفة، مع ظهور أدلة على أن اللحوم كانت تحفظ وتصنف وتجفف.

ورغم قبول هذه النظرية من الباليونيولوجيين أمثال كاى بهونسمايد Kay Behresmeyer إلا أن نظرية الصيد هذه مازالت محل جدل ونقاش شديد من بعض الأثريين الأمريكيين والأنثروبولوجى لويس بينفورد Lewis Binford، فاذا كنا نريد دليل على أن بابون أولورجيسايلى كان يصاد ويذبح، فإنه يجب الحرص الشديد حيث أن الأدلة المستقاه من مثل هذه المواضع شديدة التذبذب، ولكن ليس أمامنا الا قبول هذا الإفتراض، اذ لايوجد فرض آخر إلا أن هذه القردة كانت تموت بين يدى الإنسان دون مقاومة.

ومع ذلك فإن مواضع أولورجيسايلى ذات أهمية خاصة أكثر من أنها تعطى الدليل على وجود حرفة الصيد خلال العصر الحجرى المتوسط، ذلك أن المواضع ليست مركزة على مستوى أفقى واحد مثل كيلومبى Kilombe (كينيا) ولكنها متناثرة هنا وهناك وغير مترابطة اذ أن إنحدار الطبقات الصخرية لايجعلها مترابطة خاصة وأن هناك عيوب وكسور منتشرة تمنع ذلك[٩١].

وقد لوحظ أن المواضع الأثرية متباينة، فبعضها يغلب على آلاتها الفؤوس اليدوية Hand-axes وبعضها الآخر الآلات الصغيرة Small Tools خاصة المكاشط Scrapers وعندما أجريت اختبارات إحصائية على قياسات أبعاد اعداد كبيرة من الآلات الحجرية؛ لاحظ جلين اسحق Glynn Isaac ملاحظتيه هاتيين الأولى أن هناك تباينا كبيرا فى الحجم والشكل بين الفؤوس اليدوية في المواضع المختلفة أكثر مما يجب أن يكون فى الحالة الطبيعية، والملاحظة الثانية هى أن هناك مواضع فيها الفؤوس اليدوية سائدة وأخرى تكثر بها الآلات الصغيرة ومواضع قليلة متوسطة، وربما يكون ذلك بسبب إستعمال الفؤوس اليدوية لغرض ولنشاط واحد مثل ذبح قردة البابون، أما المكاشط الصغرى فكانت تستعمل لإغراض أخرى مثل كشط الجلود.

هذا ومع ابتداء العصر الحجرى الوسيط على وجه التحديد فى شرق أفريقيا بدئ فى استعمال النبات لبناء الملاجئ التى حلت محل السكن داخل الكهوف[٩٢] فى العصر الحجرى الوسيط بدأ الإنسان أينما كان فى صيد

الأسماك Fishing، فقد جذبت المسطحات المائية العذبة مثل رودلف وناكورو وادوارد (عيدى أمين) فى شرق ووسط أفريقيا وتشاد فى غرب أفريقيا، جذبت الإنسان بفضل غزارة مواردها السمكية، وبالمثل كانت الأنهار خاصة النيل والنيجر والزمبيزى وغيرها (٩٣) وقد توصل إنسان ذلك العصر الى صنع مخاطيف وسنانير العظم وبها اصطاد الأسماك وغيرها من حيوانات الماء، كما تمكن من صنع أفلاك بسيطة من جزوع الاشجار ركبها أول الامر بغرض الصيد، ثم بعد ذلك ركبها بغرض التنقل من مكان الى أخر بحثا كذلك عن الصيد والقوت (٩٤).

وقد ظهرت حضارة سانجوان Sangoan وهى التى تحولت فيها الفأس اليدوية الى مثقاب، وقد إمتدت فى أعماق غابات أفريقيا المدارية حتى نهاية عصر البلايستوسين الأعلى، وهى مازالت موجودة لدى بعض الأقزام الأفارقة فى وسط غابات زائير(٩٥).

وشهدت منطقة جنوب بحيرة تنجانيقا قرب شلالات كالامبوا بداية إرهاصات حضارة زراعية قديمة جدا، دلت على ذلك آلات من الخشب إحتفظت بشكلها ومادتها حتى الآن، وهى آلات قصيرة الحجم ذات أطراف واضحة التحديد من الطرفين أو من طرف واحد، كذا أعمدة مقلمة بالميل كانت غالبا تستعمل كمعزوقات، وهى كلها ترجع الى العصر الحجرى القديم الأعلى (الناشيكونى فى شرق أفريقيا)، وهو الذى تميز بإستخدام وتداول الخشب ومشتقاته فى صنع كل أنواع الساجات (الأسوار) والأوتاد والأفخاخ المستعملة للقنص(٩٦)، وفى تلك البيئة الشجرية بدء الإنسان يستخدم لحاء الأشجار فى الكساء، إذ أن هذا كان أسهل له من صنعها من جلود الحيوان ويبدو أنه قد إستعمل البلطات الحادة ذات النصال، كتلك التى وجدت بجوار صخور مويلا فى شمال زامبيا، والتى كانت تستعمل غالبا لقلع اللحاء ولتهيئته لصنع الثياب والأوانى والحبال.

الحضارة القفصية Capsian ومابعدها

ثقافة حجرية أهم الاتها النصال Blades وقد حلت هذه الحضارة التى عاصرت العصر الحجرى القديم الأعلى محل الثقافة العاطرية فى شمال أفريقيا وقد كانت معاصرة للثقافة المولوية Mouillian (٩٧) وقد إمتدت الثقافة القفصية الى شرق أفريقيا وذلك فى بداية العصر الحديث (الهولوسين) وكانت تتمثل فى صورة صناعات قزمية كما أمتدت من هناك الى جنوب أفريقيا حيث عرفت باسم ثقافة ويلتون Wilton..

وقد عثر على أقدم مكتشفات هذه الحضارة التى ترجع الى ٦٤٥٠ سنه ق.م، (حدث بالكربون ١٨) فى موضع يسمى المكتا El-Makta على بعد عشرة أميال الى الشمال الغربى من جافصة Gafsa فى تونس، وبعامة فان مخلفات الحضارة القفصية عثر عليها فوق الحضارة المولوية، هذا وموضع المكتا يحوى مخلفات من القفصية العليا Upper Capsian مما يجعل القفصية السفلى Lower Capsian ترجع الى عهود سابقة ولكنها بدون شك أحدث من المولوية الوسطى Middle Mouillion (٩٨).

والجدير بالاشارة أن أصحاب الحضارة المولوية والحضارة القفصية على السواء كانوا من القوقازيين أصحاب الوجوه العريضة والفكين الضخمين، وأن كانت السمات المولوية لم تكن شائعة لدى القفصين الذين كانوا يبدون كأسلاف السلالة الشرقية (من القوقازيين)، وكما هو معروف فان الحضارة القفصية Capsian Culture قد تحركت الى شرق أفريقيا عابرة من خلال الصحراء الكبرى Sahara الى موضع أولدڤاى بل وأكثر جنوبا فقد دلت الهياكل القفصية التى عثر عليها فى شرق أفريقيا على أنها تماثل من حيث السمات العامة الهياكل القفصية التى عثر عليها شمال الصحراء الكبرى (٩٩).

وفى المناطق المرتفعة من كينيا وتنجانيقا وبوروندى ورواندا حيث ترتفع الأرض ٥-٧ آلاف قدم؛ كان يعيش المستعمرون والأوربيون فى هذا القرن على الزراعة، وانشاءوا نيروبى، ويبدو أنه منذ آلاف السنين جذب هذا المناخ بعض

المهاجرين القوقازيين Caoucasoid طوال القامة والوجه، وأصحاب الأنوف الضيقة الذين يدفنون موتاهم فى وضع (مقرفص) Cantracted، وكانوا يصنعون آلات النصال Blade Tools بالاسلوب القفصى Capsian Style وقد عثر على هذه المدافن لاول مرة بواسطة البولينى هانزريك Hans Reck of Berlin وذلك فى خانق أولدوڤاى Oldivai Gorge فى تربة رمز لها ليكى Leakey برمز مصطبة Bed II o ، والموضع الثانى هو سلسلة من المدافن تقع على حافة موزعة فى مقاطعة المنتيتا فى كينيا وقد اكتشفت عام ١٩١٨، حيث إتضح أنه بعد الدفن إرتفعت مياة بحيرة ناكورو Nakuru فكان أن أضرت بالهياكل المدفونة، والموضع الثالث عثر عليه ليكى أيضا هو كهف جامبل Gam- ble's Cave وعنه سميت الفترة المطيرة الجامبلية Gamblian Pluvial Pe- riod حيث إكتشفت خمسة هياكل فى هذا الكهف، وقد إكتشفت مسز ليكى وبوبى A. J. Poppy، الموضع الرابع حيث إكتشفت هيكلا عظيما مماثلا للسابقين مدفونا الى جوار بحيرة قديمة قرب محطة نيفاشا للسكك الحديدية (كينيا)، وفيما عدا أولدوڤاى فان باقى المواضع مجاورة بعضها من بعض.

وكان كهف جامبل هو الوحيد الذى كان سليما وكانت حفرياته وعيناته من الآلات والحيوانات كافية. وكانت الآلات قفصية، ولكن فيما بين المستوى الثانى والخامس من أعلى يوجد تداخل من الآلات الأفريقية التى ترجع الى العصر الحجرى الوسيط Middle Stone مع آلات قفصية فوقها وتحتها، أما الحيوانات فمعاصرة، وتاريخ هذا الموضع (كهف جامبل) تحدده ثلاث حقائق الكسرات الخزفية Potsherds حيث وجدت فى إثنين أو ثلاث طبقات قفصية، (الفخار لم يصنع فى الشرق الأدنى أو فى أى مكان آخر عدا اليابان قبل عام ٥٤٠٠ ق.م) ولما كانت القفصية حضارة شعب هامشى فإنه لم يكن أمامهم فرصة لصنع الفخار(١٠٠)، وقد عثر فى طبقة عليا على عظمة هاربون Har- poon (رمح) مماثلة لعظمة عثر عليها فى طبقة عليا فى الكنغو (فى موضع ايشانجو Ishango) مؤرخة ٦-٥,٤ الف سنة ق.م، وترجع كل المواضع القفصية الأخرى فى كينيا الى فترة مابعد الجليد Postglacial ، وعليه فإن

حفريات (جامبلز كيف) فى كينيا تتحدد تاريخيا فى سلسلة التاريخ المحلى لكينيا بعد وصول الحضارة القفصية الى شمال أفريقيا.

والآن نحاول أن نعرف كيف وصل القفصيون من شمال أفريقيا الى شرقها، غالبا تم هذا - رغم عدم تاكدنا -عبر الطرق المباشرة التى تعبر الصحراء عبر ممرات في جبال تبستى، وربما عبر وادى النيل وقد تمت هجراتهم خلال الألف الأولى المبكرة بعد إنتهاء البلاستوسين (منذ ٢٥ ألف سنة ق.م) حيث كانت الصحراء غنية بالمياه السطحية أكثر مما هو حاليا، مما جعلها أكثر سكانا مما هى عليه الآن، وقد تحدد أن أحد عشر هيكلا من المواضع الاربعة كانوا من القوقازيين وبالتحديد من سلالة البحر المتوسط Med-iterranean بما لهم من رأس طويلة ووجوه ضيقة وأنوف طويلة، وكان لهم كلهم نمط الذقن الحديث (البارز) وقد قدر متوسط حجم فراغ الدماغ للذكور ١٤٩٧سم٣ (من ٧ حالات) والإناث ١٢٢٣ سم٣ (من ثلاث حالات)[١٠١]، هؤلاء الناس كانوا أكثر طولا فى القامة من القفصين من شمال أفريقيا، حيث نجد أن هيكل أولدوفاى II كانت قامته ١٨٠سم، ورقم II فى كهف جامبل كان من طوال القامة وربما أكثر، وهيكل محطة سكة حديد نيفاشا كما يقول ليكى؛ كانت قامته ٢٠٣ سم (عملاق) لذا فان هذه القامات يمكن أن تشبه بقامات الواتوتسى من العمالقة الحاميين فى شرق ووسط أفريقيا[١٠٢].

هذا وقد عثر ليكى فى ذات المنطقة على عدة مواضع نيوليثية Neolithic بعضها على الأقل كانت زراعية وكلها تحدد امتداد البانتو Bantu ، وكل حفائر هذه المواضع خاصة جبانة ناكورو (٦ هياكل) وويليزكوبجى Willey's Kopje بجوار المنتيتا (٣ هياكل) قسمت وحددت سلالاتها دلت على أن القوقازيين من أوائل القفصين قد وفدوا منذ العصور المبكرة حتى عصر الحديد أو حتى وصول البانتو حيث تم الإختلاط مع الأسلاف القدامى من سكان شرق وجنوب أفريقيا ومع أسلاف البوشمن أكثر من الزنوج المحدثين، ورغم إنتشار لغة وثقافة البانتو فى المرتفعات اليوم، فإن هناك كثير من رجال القبائل الوطنية ممن لهم بشرة سوداء أو بنية وشعر مجعد مازالوا يحملون صفات قوقازية على وجوههم[١٠٣].

جنـوبى القـارة

كان القسم الجنوبى من أفريقيا مفتوحا خلال عصر البلايستوسين أمام الكتل الهوائية الباردة شديدة البرودة القادمة من أنتاركاتيكا، بحيث أصبح هذا القسم من القارة مختلفا تماما في مناخه ومستقلا عن وسط وشرق القارة(١٠٤)، وقد أعتبر دارون وهكسلى أفريقيا الموطن الأصلى للإنسان الأول مسترشدين بأنه يعيش فيها الشمبانزى والجوريلا، وهما أكثر الرئيسيات قربا من الإنسان مورفولوجيا وفسيولوجيا وباثولوچيا وسيكولوچيا وبيوكيميائيا، كما عثر فى أفريقيا الشرقية والجنوبية على حفريات للبشريات القديمة تعزز هذا الرأى، ومازالت الكشوف عن البقايا البيولوجية والمخلفات التكنولوجية مستمرا.

وكان من الذين قالوا بأن أفريقيا هى موطن الإنسان والإنسانية ، كين Keane,A. وليكى Leaky, L.S. خاصة الأخير الذى إهتم العالم بكشوفه فى شرق أفريقيا بعد ما قضى زهرة شبابه بل رعمره كله متنقلا مع عائلته باحثا في صحراء الصومال وكينيا وتنزانيا عن حفريات البشر القدماء أسلاف الإنسان الأول والإنسان القديم، وكان لكشفه لبقايا ولمخلفات الإنسان الماهر (الحاذق) Homo Habelis فى خانق أولدوڤاى فى كينيا، أثر كبير فى تغيير مفاهيم بائدة عن تطور الإنسان(١٠٥) كما أكدت عراقة وأصالة أفريقيا، خاصة قسمها الشرقى والجنوبى فى نشأة الإنسان وتأقلمه(١٠٦).

ويتميز القسم الجنوبى من القارة الأفريقية بأنه كان، شأنه شأن معظم أجزاء القارة الأخرى من المواطن التى كانت تحيا فيها الأنواع والسلالات العريقة فى القارة والتى تركت مخلفات أثرية حجرية قديمة، هذا ومازالت السلالة الكيبوانية Capoid (البوشمن والهوتنتوت) وأفرادها، تحيا فى غالبيتها الساحقة فى مستوى حضارة ماقبل التاريخ(١٠٧).

هذا وقد دلت كشوف جنوبى أفريقيا (١٩٢٠) عن البشريات الجنوبية Australopthicus، تلك التى كانت تعيش فى عصر البلايستوسين الأدنى (منذ أكثر من مليون سنة) على أن بلوغ الوضع المنتصب كان سابقا لتطور

المخ، وذلك بعكس ماكان يظن سابقا، وهكذا يتضح من شكل عظام الحوض والفخذ والساق؛ أن أسلاف الإنسان قد تمكنوا أولا من أن يقفوا منتصبين قبل أن تتغير أمخاخهم وتتطور مقتربة من المستوى الإنساني(١٠٨).

كان أول كشف في أفريقيا عن بقايا بشرية قديمة عام ١٩١٣، عندما عثر مزارع على جمجة في بوسكوب Boskop بالقرب من بوتشفستروم Potch-efstroom، وكان حجم المخ فيها كبيرا أكبر من الانسان المعاصر، وكان هذا الكشف بداية سلسلة كشوف عن إنسان أواخر عصر الحجرى المتوسط في أفريقيا، وهو أكثر قربا من الإنسان الحديث المعاصر من إنسان بروكن هل Broken Hill الذى عرف بإسم إنسان روديسيا Rhodesian Man والذى كان يتميز بحافة فوق حجاجية ناتئة Supra Obital Ridge، وحجاجين واسعين ووجه قوى وجزئه الأوسط بارز، كما عثر ايضا على جمجمة أخرى مماثلة فى Hopefield (حقل الرجاء) بجوار خليج سالدانها Saldanha Bay الى الجنوب من بروكن هل بأكثر من ١٥٠٠ ميل، كما كشف عن جمجمة أخرى فى فلوريسباد Florisbad على بعد ٢٠ ميل من بلومفونتين فى ولاية أورانج الحرة، وهى تشبه جمجمة إنسان روديسيا، ولكن ليست متطابقة تماما معه، معنى هذا أن إنسان روديسيا القديم كان واسع الانتشار فى جنوبى القارة الأفريقية، وأن سلالاته كانت تتباين باختلاف البيئات المحلية(١٠٩).

وهناك أدلة كثيرة (جدول ٢) على أن بيئة جنوبى القارة الأفريقية كانت تحوى المؤشر النهائى لأقدم السلالات الأفريقية، حيث وضح عمق الصلة البيولوجية للإنسان الأفريقى القديم؛ بين أقاليم وبيئات القارة الأفريقية من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب.

جدول ٢ - بيان بالبقايا العظمية لأسلاف الكيبوانيين (١١٠)

القطر	الموضوع	العصر	المادة	السلالة
السودان	سنجا Singa	٥ - ١٠ ألاف سنة ق.م	قحف Caharia	Homo Sapienes Capoid
مقاطعة الرأس	فيش هوك Fish Hoek	ما بعد البلايستوسين	هيكل عظمى Skeleton	Homo Sapienes Capoid
مقاطعة الرأس	نهر مايجز Matjees River	ما بعد البلايستوسين	بقايا ٢٧ فرداً	Homo Sapienes Capoid
ناتال	بوردر كيف Border Cave	ما بعد البلايستوسين	هيكل لشخص بالغ وهيكل لطفل	Australoid
كينيا	خرائب هوما Huma	ما بعد البلايستوسين	سبع هياكل عظمية	Homo Sapienes Capoid
الترنسفال	بوسكوب Boskop	ما بعد البلايستوسين	قحف Caharia وقطع مكسرة من الفك السفلى	Homo Sapienes Capoid
زامبيا	بروكن هل Broken Hill	البلايستوسين الأعلى	شخصين : قطعة جمجمة علوية - قطعة فك علوى - عظام طويلة	Homo Rhodesienisis
مقاطعة الرأس	بروكن فلاتس Cape Flates	أواخر البلايستوسين الأعلى وما بعده	ثلاث أشخاص : أثنين جمجمة علوية - عظام طويلة	Australoid
مقاطعة الأورانج	فلورسباد Florisbad	أواخر البلايستوسين الأعلى أو أوائل ما بعده	قطع مكسرة من الجمجمة العلوية وسنة Tooth	Homo (Africanthropus Helmei
المغرب	طنجة Tangier	الفترة البفينة الأخيرة الى الكانجيرا (قرم البكر)	فك علوى Maxilla	Homo Capenisis

هذا ولفظ قرد الجنوب Australopithecus مشتق من الكلمة اللاتينية Australis بمعنى الجنوبى Southern ومن الكلمة الإغريقية (اليونانية القديمة) Pithekos بمعنى قرد An Ape ، وتلك التسمية أطلقها ريمون دارت R. Dart عام ١٩٢٤، عندما درس جمجمة اكتشفت فى تونج Taung فى شمال مقاطعة الكيب فى جنوب أفريقيا، وذلك بإعتبارها تنتمى الى السلف القردى للإنسان، ومنذ ذلك الحين؛ توالت الكشوف عن عظام مختلفة وأسنان لهذا الكائن البشرى القردى فى أماكن كثيرة منها ستركفونتين Sterkefonti-en وكرومدارى Kromdraai وسوارتكرانس Swartk rans وما كابا نزجيت Makapansgat فى الترنسفال من جنوب أفريقيا؛ كما عثر على بقايا مماثلة لها فى عدة أماكن من شرق أفريقيا (أولد وڤاى) ووسط أفريقيا (شواطئ بحيرة تشاد)، كان ذلك منذ مليون سنة، خلال فترة بدأ يسود فيها الجفاف فى مناطق واسعة من جنوبي القارة الافريقية(١١١).

وأمام سؤال صريح بعد الكشف عن أدوات وأفخاخ صيد للحيوانات وجدت مع هذه العظام؛ هل كان هذاالكائن من البشر (A Man)؟ أو من القردة (An Ape) وكانت الإجابة القاطعة أنه كان من البشر(١١٢).

هذا وقد عثر فى تلك المقاطعة على بقايا ثقافية لهذا الإنسان، ترجع الى أوائل وأواسط البلايستوسين الأعلى، خاصة من الثقافات الشيلية Chellian (الفؤوس الحجرية)، ومن الثقافة الآشولية Acheulian (فؤوس أكثر رقة) ومن الثقافة الليفلوازية– الموستيرية Levallios-Mousterian (حضارة النصال)، ومن ثقافة السانجوان Sangoan (وهى التى تمثل حضارة محلية من الفؤوس الحجرية كانت تسود فى المناطق الغابية)(١١٣)، وتعد ثقافة سانجوان San-goan(١١٤) نموذجا للثقافة الآشولية المتأخرة (فؤوس يدوية) وهى التى عثر عليها فى القسم الجنوبى من القارة الأفريقية، حيث كانت مختلطة مع مصنوعات من العصر الحجرى الأوسط، وقد إمتد تواجدها حتى نهاية البلايستوسين الأعلى.

وقد حلت الشظايا ذات النمط الليفلوازى الموستيرى العام Levalloisio-Mousterian فى شرق وجنوب أفريقيا محل الآلات الأشولية Acheulian من الفؤوس اليدوية، ويبدو أن انتشارها كان من الشمال نحو الجنوب، بحيث أن تلك الثقافة وصلت مقاطعة الرأس في جنوب أفريقيا متأخرة بنحو ١٠٠ ألف سنة عن وجودها فى أوربا والشرق الأدنى.

ويبدو أن حضارة زمبابوى القديمة التى كشف عن آثارها العريقة في منطقة وسط أفريقيا الجنوبية خصوصا زامبيا وزمبابوى الحاليتين(١١٥) ؛ يبدو أنها كانت إمتدادا لنشاط بشرى أقدم وأعرق سبقها فى هذه المناطق، قام به أسلافهم ممن كانوا أكثر نشاطا فى العصور السابقة على التاريخ؛ بدليل الآلات الحجرية التى عثر عليها مع بقايا فخار قديم قام بدراستها مجموعة من الباحثين البريطانيين(١١٦)؛ وذلك بدليل ماكشف عنه القطاع الصخرى المجاور لشلالات كالامبو Kalambo (٨,٤٥° جنوبا و ٣١,٤٠° شرقا) في زامبيا؛ عن تتابع كامل لعصر البلايوستوسين؛ وفيه نجد أن الحضارة الآشولية إستمرت حتى مابعد عام ٥٥٤٠٠ق.م.، أى حتى قرب نهاية الوقفة ما بين جليد فُرم فى أوربا، ثم تبعت هذه الحضارة الاشولية، حضارة أخرى أكثر تقدما إشتقت من الحضارة القفصية المهاجرة الى شرق أفريقيا من شمال القارة، هى ثقافة ولتون Wilton التى إنتشرت بعد ذلك بين جماعات البوشمن فى جنوب أفريقيا، وهى الجماعات التى كانت منتشرة من قبل خلال الألف الأولى وربما الثانية قبل الميلاد فى شمال وشرق أفريقيا، وثقافة ولتون تتميز بصناعة الأسلحة القزمية، وقد إستمرت هذه الثقافة الحجرية منتشرة بين بعض الجماعات الأفريقية حتى بداية القرن الحالى كما يقول فان ريت Van Riet ، حيث يذكر أن إستعمال آلات قاطعة وشاطرة ضخمة مصنوعة من النواة كان مستخدما لدى البوجيسو Bugisu (الباجيشو Bagishu) الذين كانوا يعيشون بالقرب من جبل ألجون فى أوغندا(١١٧).

وقد عثر دريننان Drennan, M.L (١٩٢٩) فى كهف مفتوح فى كيب فلاتس Cape Flats بجوار كيب تاون وعلى عمق ثلاث أقدام على عظام ثلاث

أفراد، مصحوبة ببعض آلات شظايا ستيلباى Stillbay والى جوارها بعض الآت من ثقافة ويلتون؛ التى كانت حضارة قفصية محلية عرفت أولا فى شرق أفريقيا مع البوشمن (سنداوا حاليا)، وهناك أدلة أثرية أخرى من ثقافة ولتن هذه؛ تدل على وجود صلة بيولوجية بين سلالة بوسكوب Boskop (عثر على بقايا عظمية متحجرة لها على الشاطئ الشرقى لنهر موى Mooi جنوب غرب الترنسفال) وبين السلالة الكيبوانية (البوشمن والهوتنتوت) التى غالبا أنها كانت قد وصلت الى جنوب أفريقيا منذ الألف الثالثة قبل الميلاد[١١٨].



الخـاتمـة

يبدو أن هناك حاليا نزعه تهدف الى محاولة التعليم من أسلوب حياة إنسان ماقبل التاريخ، حيث نجد أن كلود ليفى ستروس .Levi-Strauss,C (١٩٠٨-   )[١١٩]، نجده قد اعتنق فكر جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) الذى قال فى كتابه العقد الإجتماعى: "أن الإنسان البدائى الذى كان يحيا فى حالة طبيعية قبل إنتقاله الى الحياة الإجتماعية وأتمامه للعقد الإجتماعى[١٢٠] أنه رغم خضوعه لغرائزه، فإنه كان بريئا وعادلا يفعل الخير بالفطرة وبتلقائية"، لذلك قيل عن الحياة البدائية أنها أكثر الأنساق الثقافية ملائمة للحياة الانسانية واستمرارها (!).

والحقيقة أن عالم اليوم الذى يعتمد على العلم والمعلومات لدرجة أن العصر الحالى أصبح عصر المعلوماتية الحقيقة؛ أن بدايته كانت هناك، وأقول هنا فى عصر ماقبل لتاريخ، حيث ظهرت إرهاصات الحضارة الإنسانية والأنثروبولجية المتنامية، وهنا بالتحديد فى أفريقيا، كان البدء وكانت البداية للوعى والكلمة والحضارة والتقدم.

هل تفيد دراسة التاريخ فى معرفة المستقبل؟

الماضى لايموت، حيث أننا نتعلم من تجاربه وخبراته،كى ننجح فى الحياة فى المستقبل.إذن هل تتركز دراسة الآثار فقط فى تسجيل أحداث الماضى؟ البعض لايعتقد ذلك؛ فالمصادر التى تقص تطور حياتنا وتعكس نمونا تستمد دروسها من الماضى، خاصة لهؤلاء الذين يظنون أن الفرق الأساسى بيننا وبين الشامبانزى هو أننا نحيا بأن نقتل، وأن نستمر كذلك، وليكن مستقبلنا دمويا،وذلك فيما عدا بعض اللحظات القاسية التى نملك فيها أنفسنا؛ بحيث نُعلمها كيف تسلك سلوكا مهذبا، وموقف أخر مماثل يعكس النظرية الأخرى القائلة أن القناصين والجماعين كانت لهم حياتهم الهادئة المنظمة، حتى ظهور ضغوط الحياة التى بدعت فى الظهور خلال الآلاف الأخيرة القليلة من السنين، التى حولت السلوكيات البشرية الى التوحش.

هذه تبسيطات كثيرة فكرية - ليست بالضرورة سياسية، وهى تبدو أنها حقائق تروى عن الماضى وتعطى تصور وملخص يمكن إستخلاصه من أحداث التاريخ، وبلاشك فإن الأحداث الجارية حاليا تعتبر ذات أهمية أكثر من أحداث الماضى، وهكذا تتدرج الأهمية الى أن نصل الى نقطة المعاصرة، هذا رغم أن البحث في أعماق التاريخ البدائى البكر له جاذبية جميلة وممتعة بحيث يمكن وضعه فى المستوي اللائق به، ولكن الإستغراق فيه ليس بمستحب، خاصة اذا كان هذا سوف يستغرقنا كثيرا.

واذا كنا كما نتوقع نعتقد أن الشعوب البدائية الموجودة حاليا هى من أشقى الناس على الأرض، وعليه فإن كل دقيقة من الماضى وكل فرد منهم له قيمة، وعلى ذلك يجب فصل الأحداث والوقائع بعضها عن بعض بغرض التوصل الى تحليل وفهم صحيح للأحداث ومجريات الأمور، وفى عرض مثل عرضنا هذا، لايمكن التفرقة بين ناس وأحداث العصر الحجرى منذ ١٥٠ أو ١٤٠ ألف سنة من حيث أشكال وأنماط الحياة والسعادة والمعاناة، ولكن يمكن القول بعامة أن حياتهم كان لها مذاق وأهمية حياتنا المعاصرة الحالية.

ومن الطبيعى أننا ننظر الي الماضى عندما ننظر الى المستقبل، وذلك بإعتبار أن المستقبل بالقطع يبدأ من هنا، وأن اللحظة الحالية تمثل أحداثا مستمرة متحركة، فكل خططنا وأفكارنا مبنية على الذكريات وتحليلات الماضى، وهذا يصدق على سلوك أصغر الأطفال الى أكبر رجالات الدولة، فخياراتنا تقع على إمتداد تحليلات الماضى الذى نختارها، وكل تحركاتنا في حياتنا اليومية قائمة على تحليلات أحداث الأيام والشهور والسنين الماضية(١٢١).

فائدة قصة الإنسان

تتركز قصة الإنسان على الأرض فى نمط تحول مصادر الطاقة المتعددة الأشكال الى نظم وأنساق إجتماعية إنسانية، فلقد مرت حضارة الإنسان بعدة مراحل كانت تتسمى بإسماء أنماط الآلات المستعملة، فكانت العصور الحجرية ثم النحاسية والبرونزية والحديدية.. وهكذا الى أن أصبحت تتسمى بأسماء وأنماط الطاقة المستخدمة مثل عصر البخار، والآلات، والديزل، والكهرباء، والذرة ... وأخيرا تحولت الى التسمية المكانية مثل عصر الفضاء، ثم تحولت الى التسمية المعرفية مثل عصر المعلومات وهكذا ... الحياة فى تغير مستمر.

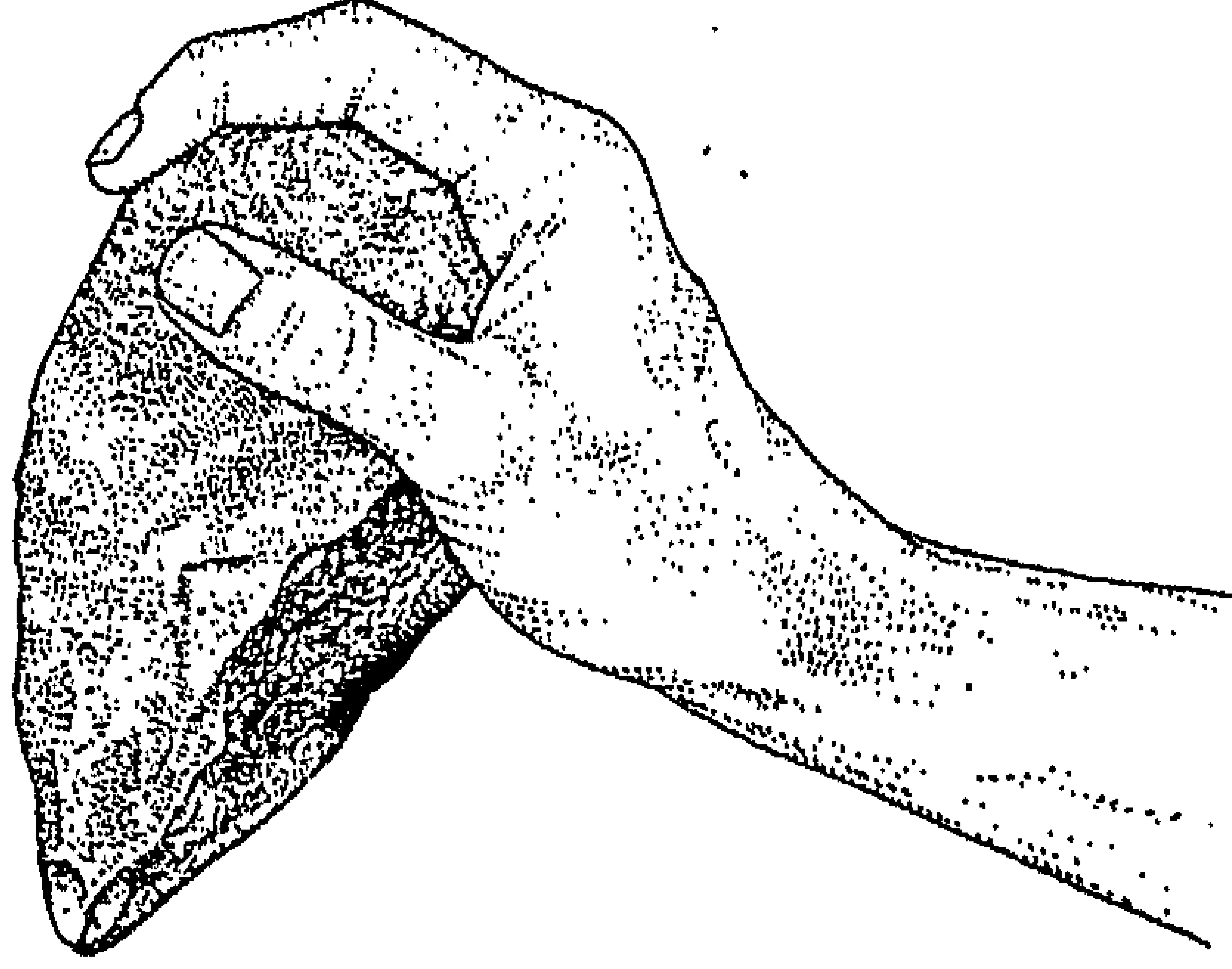
والحقيقة أن أول مصادر الطاقة لدى الإنسان القديم كانت النار ثم الكلب، فبالنار أمكن للإنسان الإستدفاء والإنارة وطهى الطعام، إذ كان الشواء هو أقدم وسائل الطهى، وبالكلب أمكن للإنسان زيادة إمكانياته العصبية وذلك باطالة مدى إدراكه الحسى؛ إذ أن الكلب يمكنه سماع الأصوات ذات التردد العالى للغاية والتى يصعب على الأذن البشرية إلتقاطها، كما أن بإمكانه الكلب أن يلتقط آثار الرائحة التى ليس بإمكان أى أنف بشرية أن تشمها، بالاضافة الى أن الكلب صياد ماهر فى البرية، وهكذا أصبحت الألفة بين الإنسان والكلب مريحة وهامة وضرورية لكليهما(١٢٢).

ويبدو أن الإنسان فى هذة الفترة من السنين الماضية، لم يكن يملك إلا مايستطيع حمله على ظهره وهو يسير فى طرق الصيد متتبعا الحيوان من مكان

الى آخر، فى هذه الفترة لم يكن الإنسان يحتاج لتحقيق الحياة الراضية الى غير القوة والمهارة والحكمة، وكان بعض الناس قادة وبعضهم أتباعا ولكن الفرق فى الثروة المادية كان ضئيلا، ولم يكن الناس يمتازون فيما بينهم إلا بقوة الشخصية ومتانه الخلق، ولكن بعد أن أصبح فى الإمكان خزن الثروة من موسم الى موسم، دخلت الحياة الإنسانية فى طور جديد فقد ظهر أساسا جديدا للتَّميز بين الناس، حيث أدى ظهور الثروة الى ظهور التجارة، وقد وسعت التجارة بدورها العلاقات بين الناس وجعلت أبناء القرى والمناطق المختلفة يلتقون ويتفاهمون(١٢٣) فظهرت الأسواق والنقود بعد ذلك، ولكل دوره فى تطور الحضارة الإنسانية.

هذا ولاتقتصر أهمية دراسة علم ماقبل التاريخ ومايتصل به من علوم خاصة أصل الإنسان، لاتقتصر على أنها تلقى الضوء على مستقبل الإنسانية(١٢٤) وبكل مايتعلق بها من علوم المستقبليات، بل تتعدى ذلك الى وضع نظرية التلاؤم الإيكولوجى والاجتماعى وتكيف الإنسان مع مجريات ومشكلات حياته اليومية، مما يؤهله لمواجهة كل ما يلاقيه، بأساليب وطرق مناسبة تؤهله لها نظرته الأمبيريقية العملية الواقعة، تلك النظرة التى كان إنسان ماقبل التاريخ أستاذا تطبيقيا عمليا براجماتيا فيها الى أقصى درجات النجاح، ومنه وعنه يمكن أن يستقى الإنسان المعاصر الكثير كى يواجه مشكلاته الجارية اليومية وتلك المتوقعة فى المستقبل.

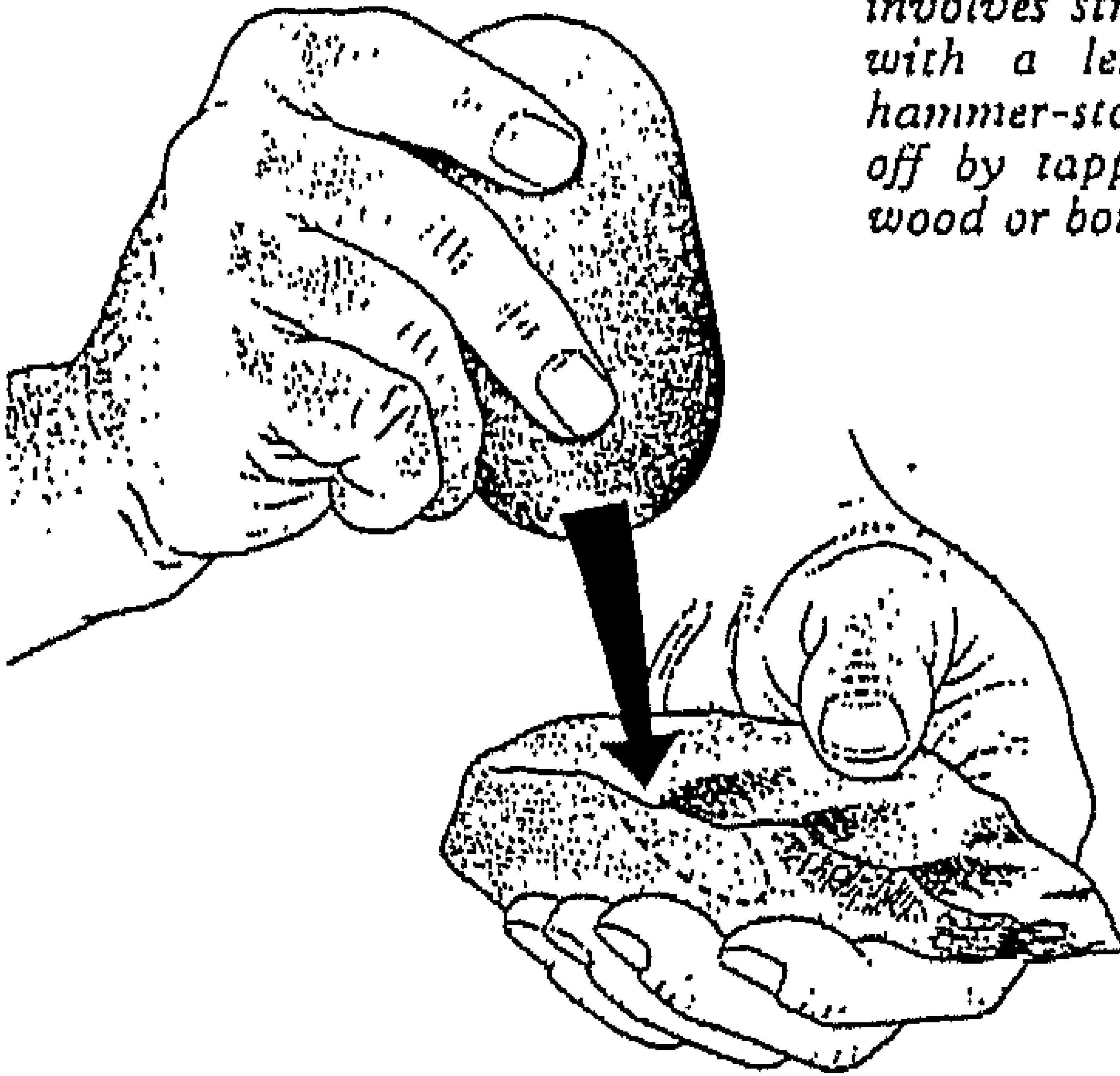
والآن دعونا نختتم هذا المقال، بالإستفهام عن وضع الأفراد أو المجتمعات التى تزداد فيها نسبة الأمية (عدم معرفة القراءة والكتابة) عن ٦٠٪ مثل كثير من مجتمعات أفريقيا القريبة جدا منا، هل نعتبرها تحيا فى عصر ماقبل التاريخ برغم أنهم يعيشون في عالم التليفزيون والكمبيوتر وأقمار الاتصالات، إننى استفسر عن مفهوم ماقبل التاريخ هل تغير؟ وما هو الحل لزيادة الوعى بإنسانية الإنسان؛ أو حتى بمجرد الإنسانية.

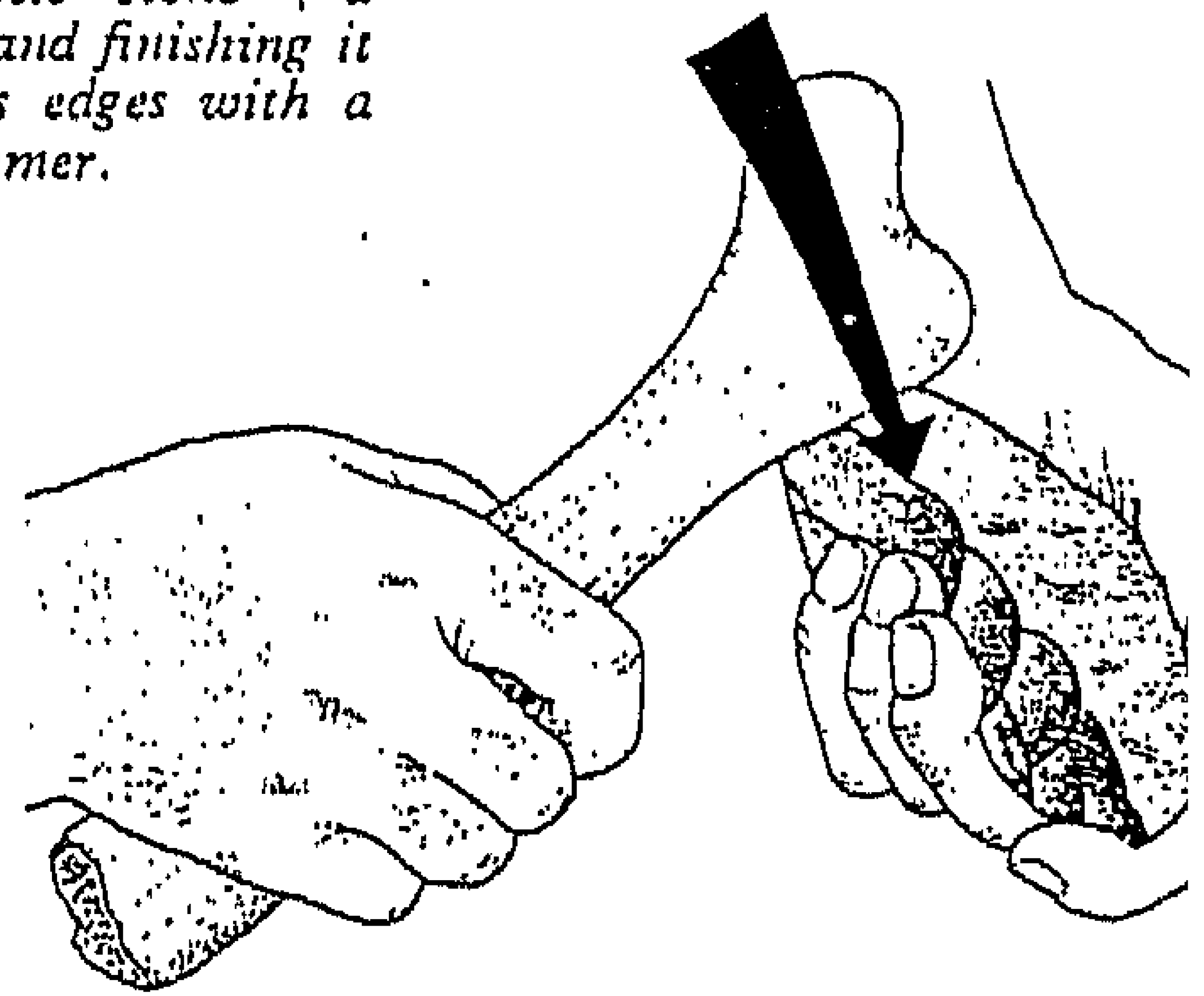


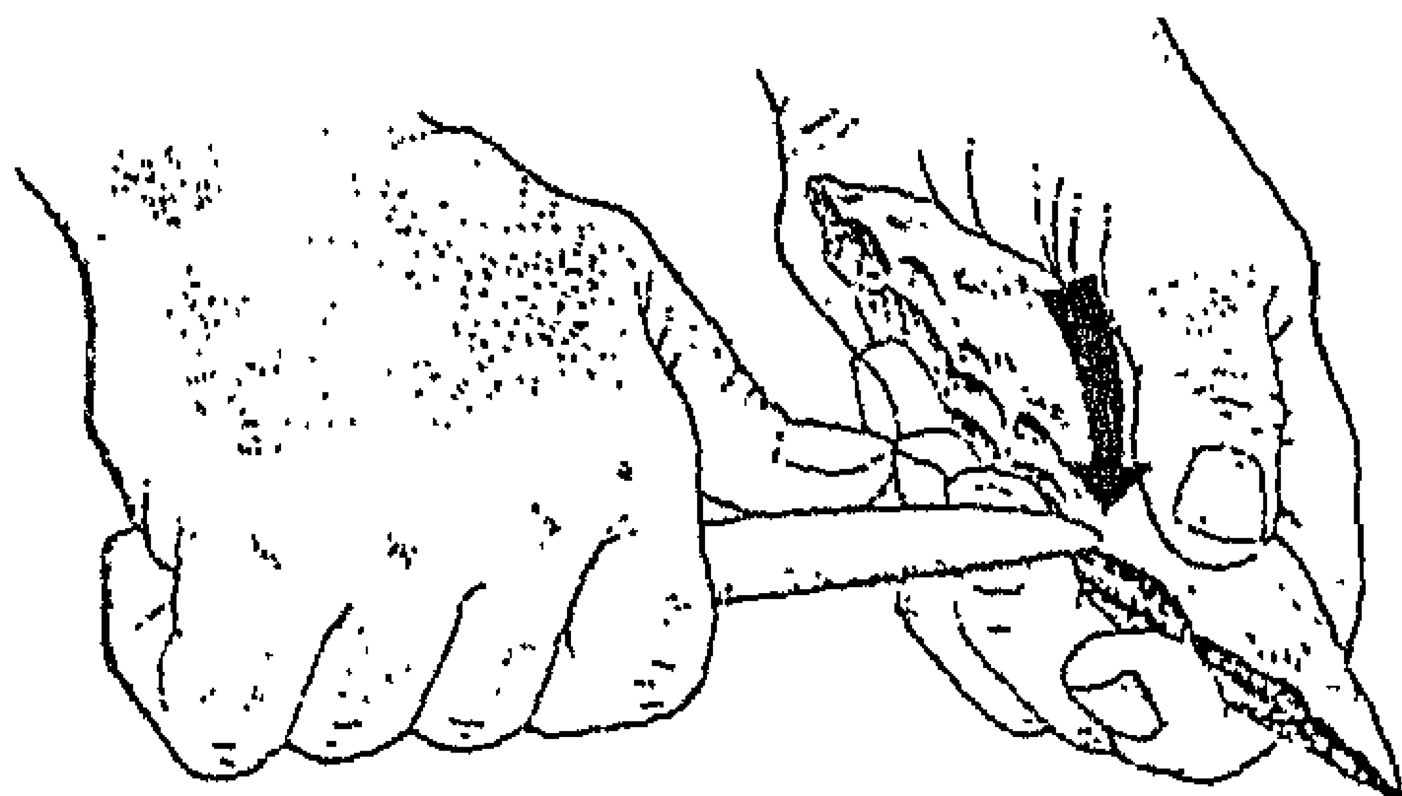
The stone hand axe was probab.
gripped in the palm of the han

صناعة الآلات الحجرية وإستعمالها

An early method of tool-making involves striking a piece of flint with a less brittle stone ('a hammer-stone'), and finishing it off by tapping its edges with a wood or bone hammer.

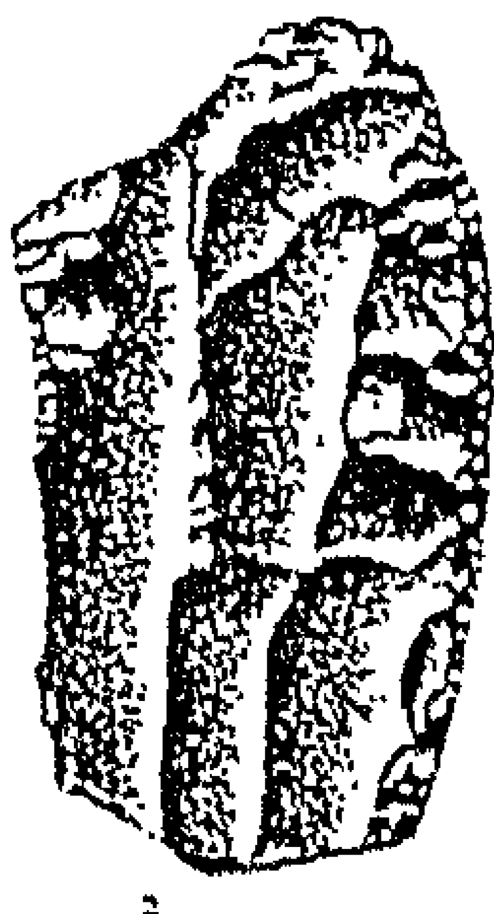


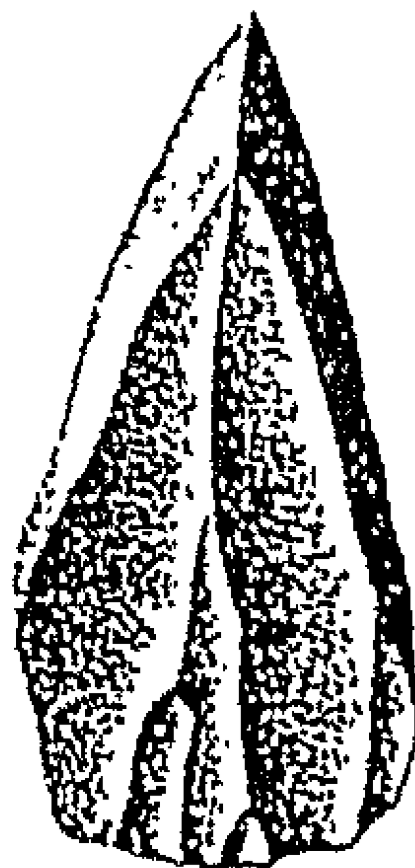




Another method of tool-making is to press from above against the edge of the flint with a pointed implement made from wood, bone or stone until a flake comes off the lower surface. This method of careful percussion flaking allows for more control and led to the manufacture of a greater variety of tools. Some of the new range of tools are illustrated below: 1. a knife-like blade, 2. a side-scraper, 3. a point, 4. a borer, 5. a burin.

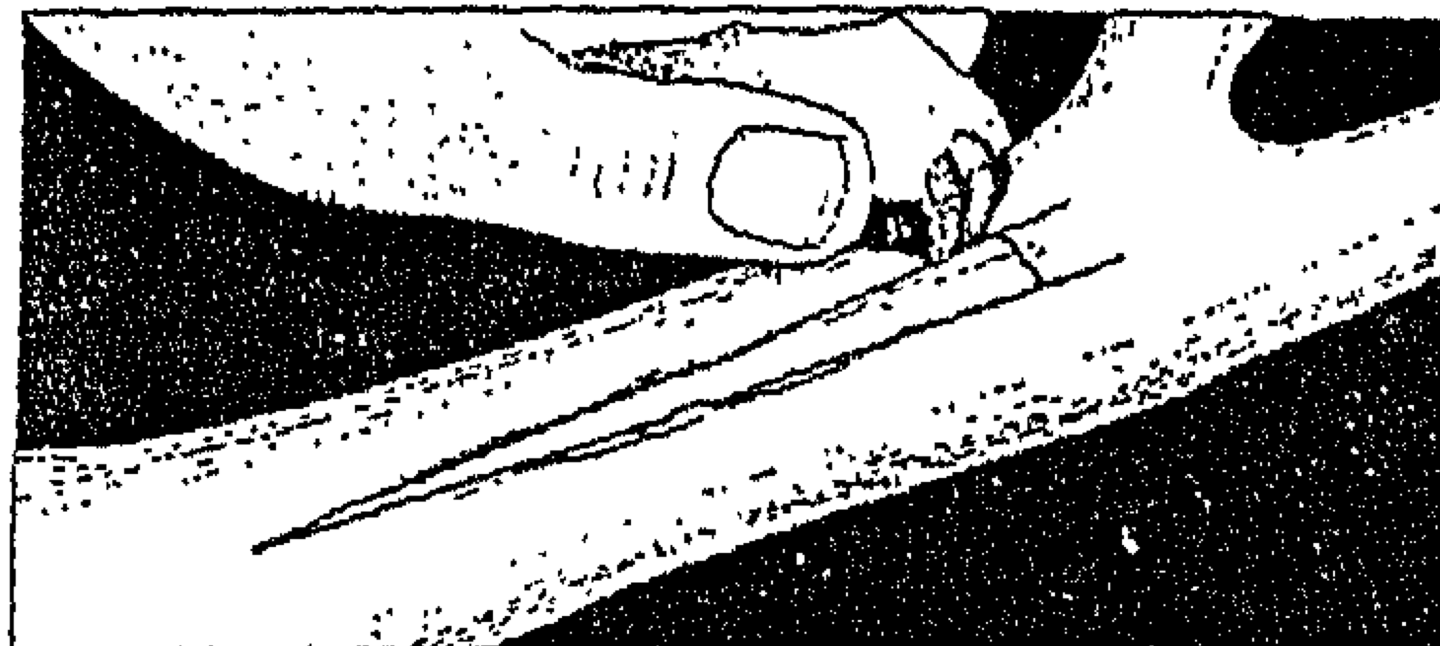


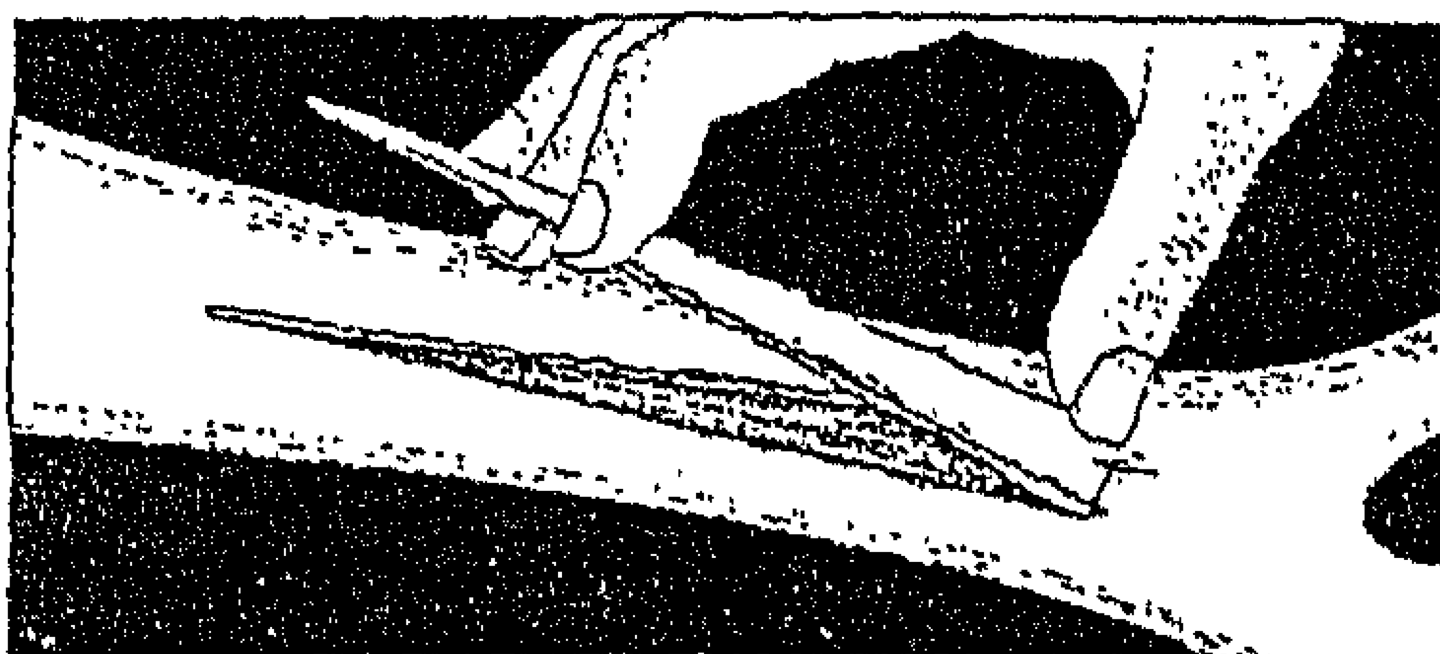


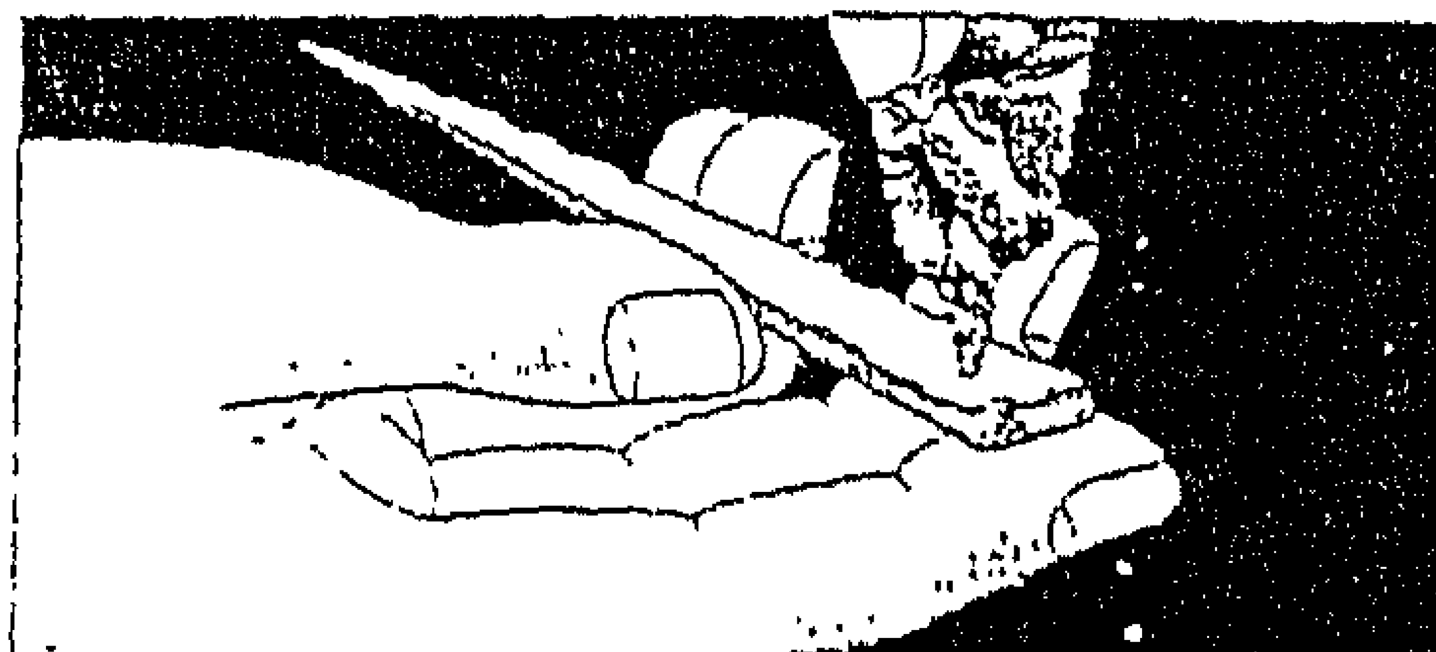






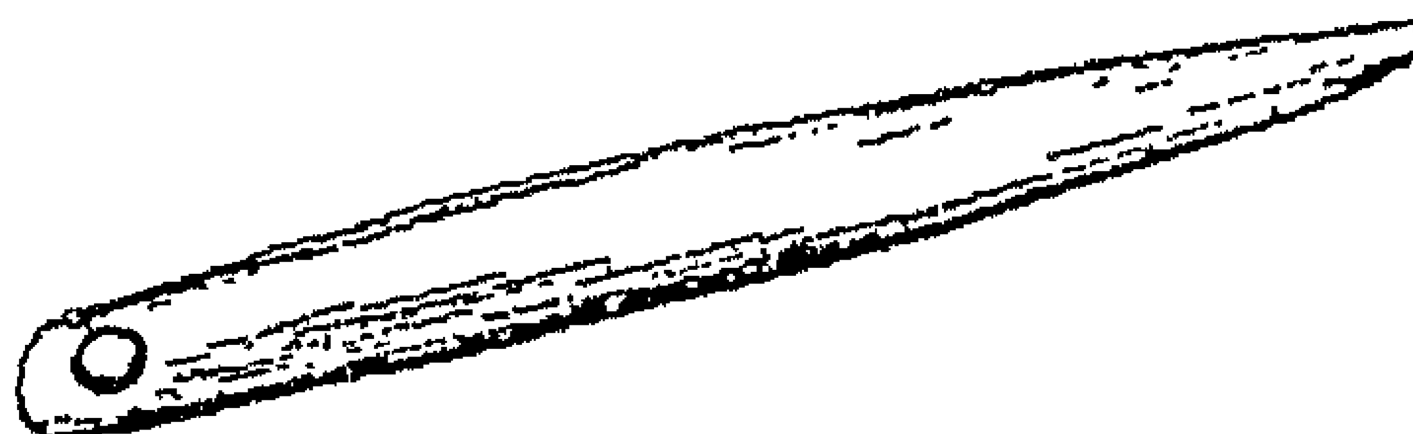


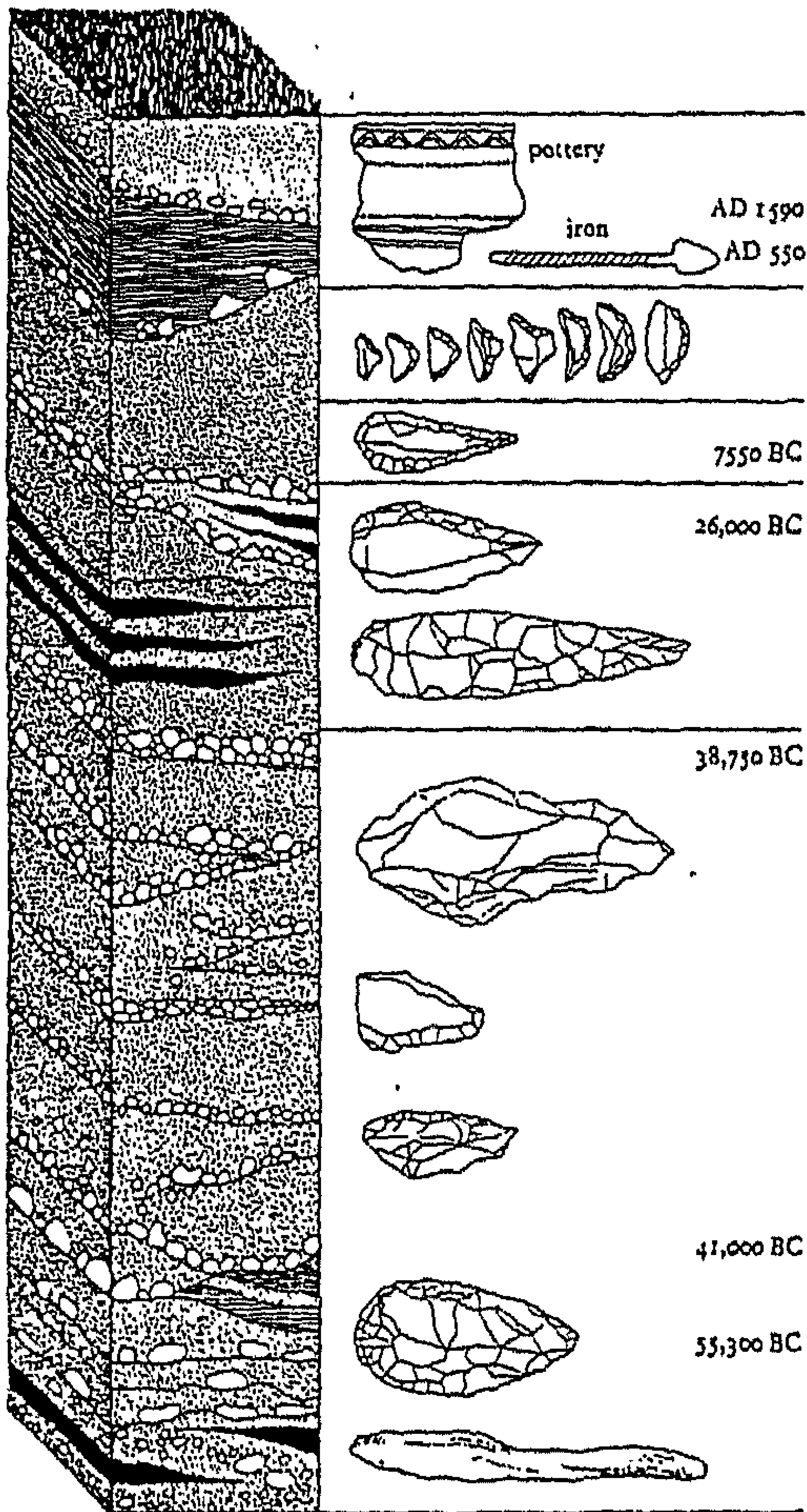






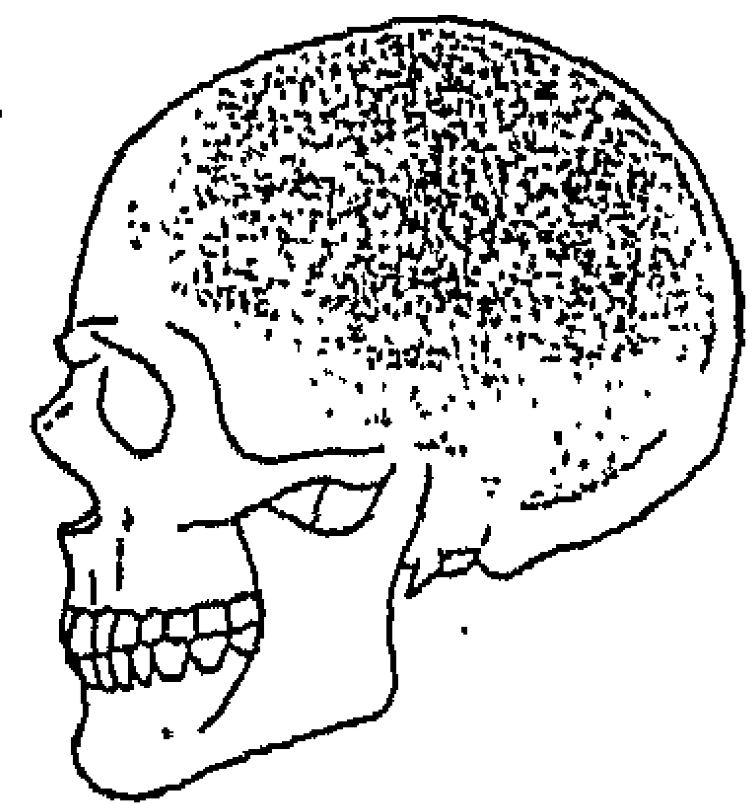
Needles were cut from bone or antler using a burin. The eye of the needle was then drilled by rotating a flint point to and fro, and the needle rubbed against a sandstone block to obtain a smooth finish. A needle is shown below.



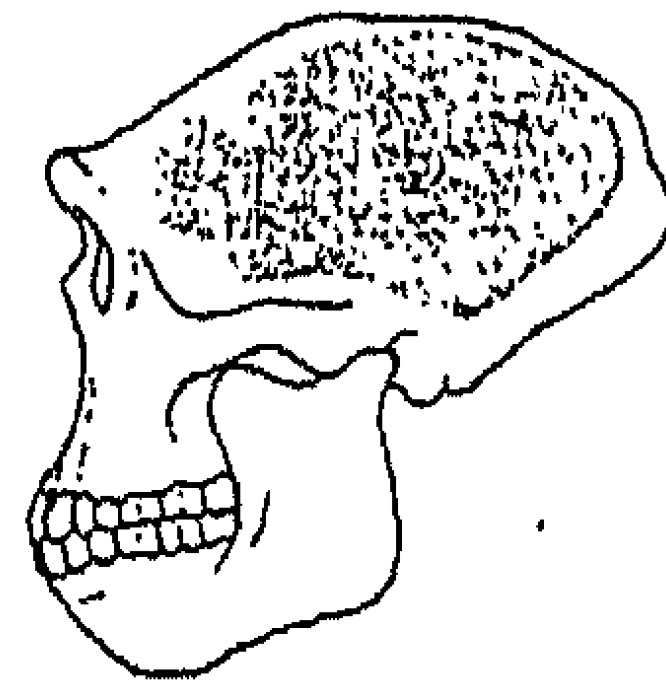


A diagrammatic cross-section (of the soil at Kalambo Falls, Zambia) shows how objects from succeeding 'cultures' can be found in sequence. At the bottom lie the earliest stone tools and at the top pottery and iron implements of more advanced peoples.

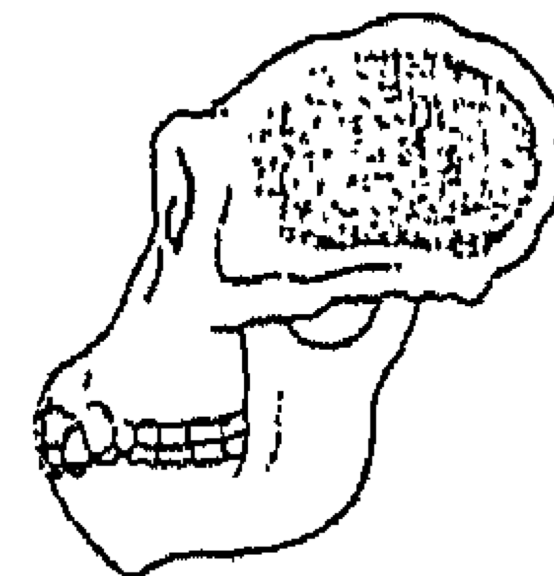
As man evolved, his face remained approximately the same size, but his brain grew dramatically. The brain of Homo erectus *was already much larger than that of a chimpanzee, yet still considerably smaller than that of modern man.*



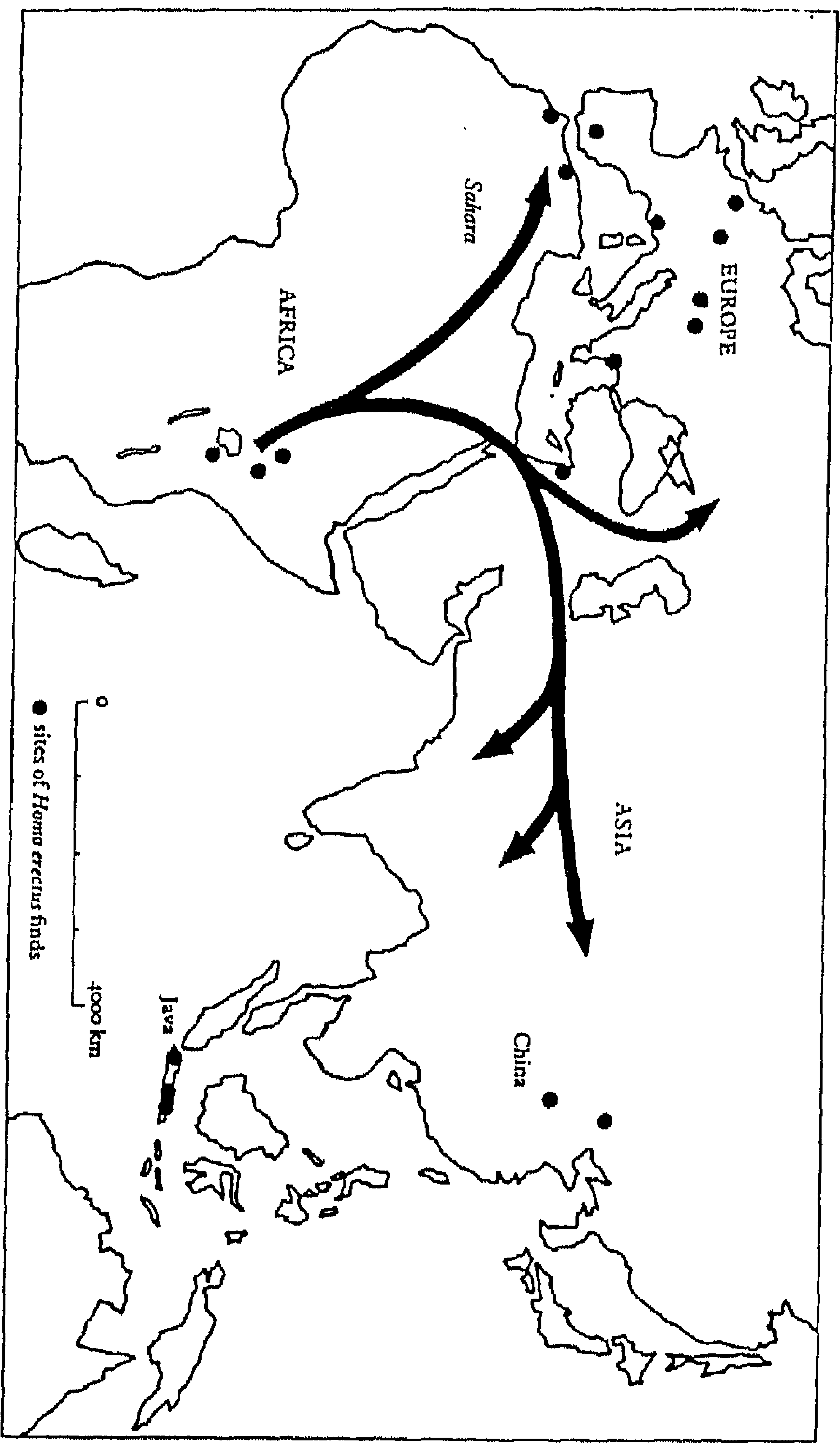
man

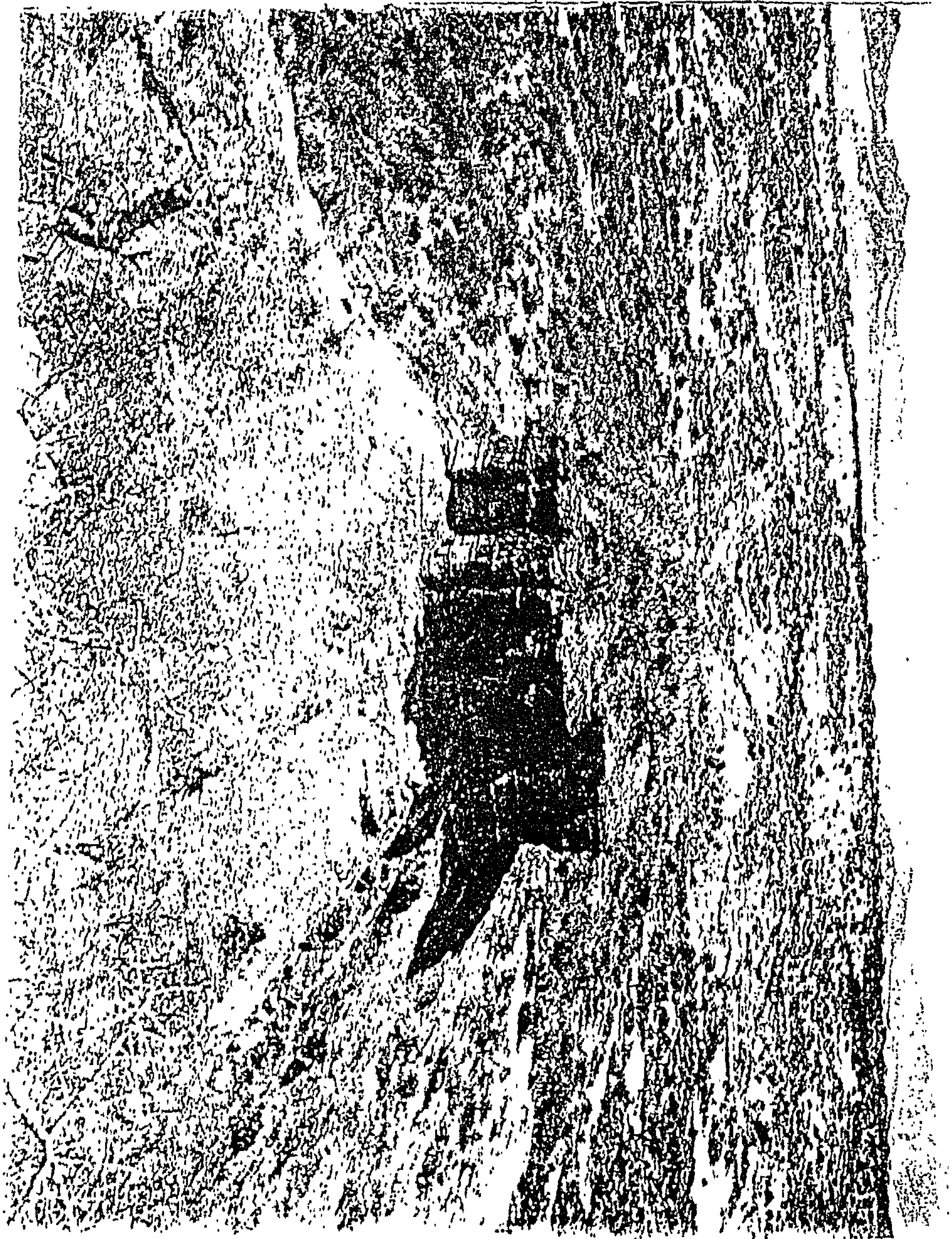


Homo erectus

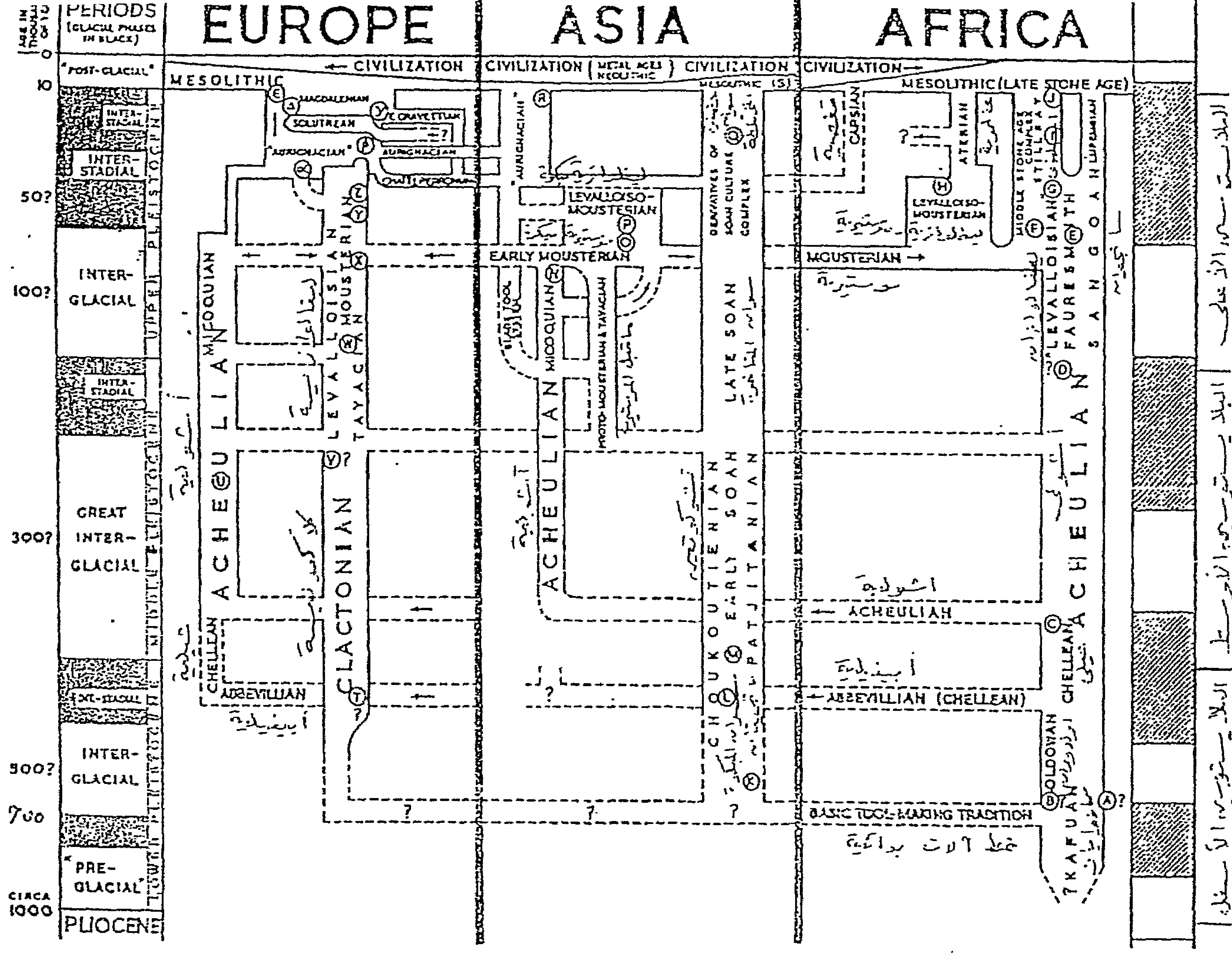


chimpanzee


Sahara
AFRICA
EUROPE
ASIA
China
Java
0
4000 km
● sites of Homo erectus finds



The Olduvai Gorge in the Geat Rift Valley.



علاقة الحضارات البشرية الأولى فى قارات العالم القديم (أفريقيا - آسيا - أوربا)

الحواشي

(١) سيد توفيق، سيد أحمد على الناصري : معالم تاريخ وحضارة مصر من أقدم العصور حتى الفتح العربي. ط٢. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٠، ص٧

(٢) نفس المصدر، ص٩ ـ ١٠

(٣) هيجل، ج : فلسفة التاريخ ترجمة امام عبد الفتاح امام، القاهرة، دار المعارف ١٩٦٠، ص ٣٩

(٤) لمزيد من التعمق فى موضوع الوعى أنثروبولوجيا المرجو الاطلاع على مؤلفات بيير دى شاردان .Chardin, de P.T خاصة :-

- The Phenomenon of Man,1959

-The Place of Man in Nature, 1960

(6) Coon, C.S. : The Origin of Races,p. 315

(7) Butzer, K.W.: "Climatic Change in Arid Regions Since The Pliocence". In: A History of land Use in Arid Regions. Nancey France, UNESCO, 1961,p.38

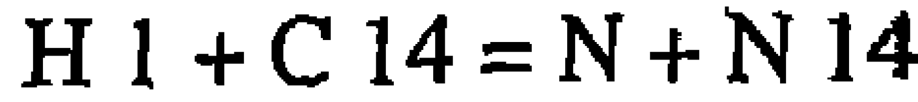
(٨) يصاحب العصر الجليدى تناقص معدل غاز ثان اكسيد الكربون فى الجو اذ اتضح أن نسبة هذا الغاز كانت ٢٠٠ جزء فى المليون خلال العصر الجليدى الثالث والرابع (رس وڤرم) على وجه الخصوص بينما كانت هذه النسبة خلال الفترة الدفيئة والحارة التى كانت فيما بين هذين العصرين ٣٠٠ جزء فى المليون.

وهذه الذبذبة فى معدلات ثان أكسيد الكربون فى الجو تسببها عوامل طبيعية جيولوجية ونباتية، هذا والجدير بالذكر أن الإنسان الحالى يتسبب بأعماله في تزايد هذه النسبة الى معدلات عالية للغاية تكاد تصل الى ٦٠٠ جزء فى المليون فى بعض المناطق مما يؤدى الى تزايد فى درجة الحرارة وظهور الجفاف والتصحر.

(٩) رشدى سعيد، هـ. فور: "الإطار الزمنى للمراحل المطرية والجمود بأفريقيا". فى: اليونسكو. تاريخ أفريقيا العام. مج ١. باريس، جين أفريك. ١٩٨٠، ص ٣٧٣-٤١٢

(١٠) عن طريق التأريخ باتباع طريقة الكربون ١٤ (المشع) إذ أن الأرض تتعرض الى موجات من الأشعة الكونية القادمة من الفضاء الخارجي ونتيجة لذلك فان نيترونات Neutrons هذه الأشعة الكونية تتفاعل مع نيتروجين الغلاف الهوائى مما ينتج عنه كربون مشع (وزنه الذرى ١٤ لذا يسمى كربون ١٤) مضافا اليه هيدروجين (وزنه الذرى ١) وذلك طبقا للمعادلة الاتية:-

نيتروجين ١٤ + نيوترونات = كربون ١٤ + هيدروجين ١



ويمجرد تكوين هذا الكربون المشع يتحول الى ثانى أكسيد الكربون المشع (وهو الذى فى نواته ٨ نيوترونات وعدد ٦ بروتونات فيكون المجموع ١٤) ويختلط مع ثانى أكسيد الكربون العادى (المستقر) وهو الذى وزنه الذرى ١٢ لأن فى نواته عدد ٦ نيوترونات ومثلها بروتونات، وينقل ثانى أكسيد الكربون المشع (وهو مايهمنا هنا) ويدخل فى عملية الأيض (التمثيل الضوئى) فى النباتات كما يدخل في الحيوانات من خلال التنفس، وتترسب ذراته فى الأجزاء الصلبة من الكائنات الحية (النبات والحيوان)، وعندما تنتهى الحياة من الكائنات الحية أى تقف عملية التجديد والاضافة المستمرة من الكربون المشع، تبدأ هذه الكائنات فى فقدان هذا الكربون المشع بمعدل ثابت حيث يتحول هذا الكربون الى الكربون العادى (وزنه الذرى ١٢)، وبناء على معرفة العلماء لمدة نصف عمر الكربون ١٤ وهى ٥٧٣٠ ± ٣٠ سنة، فانه يمكن تقدير عمر النباتات (شعير-قمح-خشب الأشجار) أو الحيوانات (عظام-أسنان...الخ) من التى قد يعثر عليها كمخلفات أثرية، حيث يمكن بذلك تقدير عمر الحضارات السابقة وإجراء المقارنات اللازمة.

(Gowlett, J.:Ascent to Civilization. London, Collins, 1984,p.198)

(١١) محمد السيد غلاب، يسرى الجوهرى، الجغرافيا التارخية: عصر ماقبل التاريخ. ط٢. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٦، ص٦٤-٦٥

(12) Weaver,Kenneth F.(ed.) :The Search for early Man. **National Geagraphic**,Vol. 168, No. 5, Nov. 1985, p. 560-623.

(١٢) كشفت عائلة ليكى Leakey Family عن كثير من مخلفات البشر والأناسى الاوائل فى شرق أفريقيا حيث كشف الأب لويس سيمور بازت ليكى .Leakey, L.S.B (١٩٠٢-١٩٧٢) الذى ولد فى قرية كابت بالقرب من نيروبى من أبوين بريطانيين من المبشرين عن قرد كينيا Kenyanthropus وبعض بشريات خانق اولدوفاى واشتراك فى تصنيف عظام الإنسان البارع Homo Habilis أما زوجته مارى دوجلاس ليكى فقد كشفت عن Proconsul Africanus وعن Zinjanthropus وأيضا عن Ausralopithecus Africanus كما شارك الإبن ريتشارد أرسكين فرير ليكى .Leakey, Richard A.F فى الكشف عن جزء من جمجمة Turkana وعن هيكل عظمى (١٩٨٢ بالاشتراك مع ألن والكر Alan Walker) بجوار بحيرة توركانا وهذه العظام تخص الانسان المنتصب Homo Erectus

(Leakey, R.A.F & Walker, A.:Homo Erectus **National Geogrorhic** Vol. 168, No.5, Nov. 1985, **p.**624 - 629)

هذه هى عائلة ليكى الأنثروبولوجية The World Book Encyclopedia,Vol. 12. Chicago, World Book Inc., 1991, p.161)

(14) Paoldge, T.M & Rose, M.: The Great DNA Hunt. **Archaeology**, Sept./Oct./1996, p. 101-115

(15) Gowlett,J.:Ascent to Civilization. London, Collins 1984,.p84-85

(16) Coon, C,S.: The Story of Man. New York, Alfred A.Knopf, 1954, p. 40

(17) Gowlett,: Ascent to Civilization p. 57

(18) Loc. Cit.

(19) Montagu, A.: Man; his fist million years. New York, World Puplishing Co., 1957, p. 211

(٢٠) باسكوم، وليم وهير سوفتز، مليفل (محرران) : الثقافة الأفريقية، دراسات فى عناصر الاستمرار والتغير ترجمة عبد الملك الناشف. بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٦٦، ص ٦٣

(٢١) مورى: "الفن الصخرى فيما قبل التاريخ فى الصحراء الليبية." فى: اليونسكو: ليبيا القديمة، ص١٦٣-١٦٥

(٢٢) رشيد الناضورى: التطور التاريخى للفكر الدينى، ص٢٩-٣١

(٢٣) نفس المصدر، ص ٣٨-٤٤

(٢٤) رشدى سعيد، هـ. فور ":الاطار الزمنى للمراحل المطرية والجمودية بافريقيا" فى: اليونسكو: تاريخ افريقيا العام، مج١، باريس جين أفريك ١٩٨٠، ص ٣٧٣-٤١٢

(٢٥) ج.كى.زير بو: المنهجية وعصر ماقبل التاريخ فى أفريقيا. فى: اليونسكو: تاريخ أفريقيا العام. مج١. باريس، جين أفريك ١٩٨٠، ص١٩

(٢٦) سليمان حزين: سكان مصر، ودراسة تاريخهم الجنسى. **المجلة التاريخية المصرية** مج١، ع ١و ٢، مايو وأكتوبر ١٩٤٨، ص ١-٤٠

(٢٧) محمد السيد غلاب: وحدة الوطن. **الهلال**، مارس ١٩٩٣، ص١٣٦-١٤١

(٢٨) جمال حمدان: شخصية مصر. جـ ٢. القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨١، ص ٢٢٥-٣٥٩

(29) Chard, Chester S.: Man in Prehistory. 2nd. ed. New York, Mc Grow Hill, 1975, p.61

(30) Shewika, F.A.G.: Side Lights Upon Prehistoric Man and his Civilization in North East Africa,p.3

(٣١) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة ترجمة ماهر جريجاتي. القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩١ ص٢٤

(٣٢) نفس المصدر، ص ٢٥

(33) Coon, C.S.:The Living Races of Man, p.87.

(٣٤) نيقولا جريمال: تاريخ مصر القديمة ترجمة ماهر جريجاتي. القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩١ ص٢٦-٢٧

(٣٥) نفس المصدر، ص ٢٨

(٣٦) نفس المكان

(37) Coon,C.S: The Origin of Races. London, Jorathan cape, 1963, p.609

(٣٨) فؤاد حسنين على: التوراه الهيروغليفية، القاهرة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، دت، ص٣

(٣٩) نفس المكان

(٤٠) نفس المصدر، ص٤

(41) Noldeke, T.:"Semitic Languages." **In**: Encyclopaedia Britannica, 13, ed. 1976, Vol. 24, p.617-630

(42) Coon,C.S.: The living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965, p.95

(٤٣) محمد عوض محمد: السودان الشمالي، ص٦

(44) Clark, J.Desmond: "Prehistoric Origin of African Culture". **In** : Mc Ewan, P.J.M. (ed.) : Africa from early times to 1800. London. Oxford Univ. Press, 1968, p. 1-20.

(45) Coon, C.S.: The Origin of Races. London, Jonathan cope, 1963,p.336

(46) Clark,J. Desmond: op. cit.,p. 1-20

(47) Coon, C.S.: The Origin of Races, p. 329-330

(48) Gowlett,J. :Ascent to Civilization, p. 115

(49) Ibid,p. 596

(50) Briggs, L.C.: "The Stone Age Races of Northwest Africa." **Bulletin of the American School of Prehistoric Research.** Cambridge, Mass., No. 18, 1955, p.56

(51) Coon, C.S.: Origin of Races,p.330

(٥٢) الحضارة المولوية Mouillian نسبة الى La Mauillah على بعد ٢٥ ميلا أى بالقرب من تليمسان فى غرب الجزائر، وهذه الحضارة ترجع الى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد وقد عثر على بقايا أصحابها فى أماكن عدة منها على باشا وكهف الأم تريزا فى الجزائر، وفى دار السلطان وتافورات فى المغرب (كون: أصل السلالات، ص ٦٠٥)

(53) Mc Burney, C.B.M: The Stone Age of Northern Africa. London, Penguin Book, 1960,p.225

(54) Briggs, L.C.: op. cit.,p.57

(55) Coon, C.S.: Origin of Races, p. 604

(٥٦) جوليان، أندرية: تاريخ أفريقيا، ترجمة أباظة، ص١

(٥٧) رشيد الناضورى: *المدخل فى التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا*. بيروت، *دار النهضة العربية*، ١٩٧٧، مج ١،ص١٥٢

(٥٨) رشيد الناضورى: مصدر سابق، ص١٠٥

(٥٩) نفس المصدر، ص١٠٦-١٠٧

(60) Winkler, H: Rock Drawings of Southern Upper Egypt. Vol.2 London, 1934,p.28

(٦١) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية، دراسة فى الأنثروبولوجيا الجغرافية **مجلة الدراسات الأفريقية**، ع٦. ١٩٧٧، ص١١١-٢٠٨

(٦٢) إستاذ انثروبولوجية ماقبل التاريخ فى جامعة كاليفورنيا.

(٦٣) سعد عبد المنعم بركة: الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى فى العصر الحجرى الحديث. رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة *القاهرة*، ١٩٩٣، ص١٢٣

(64) Coon,C.S.: The Living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965,p.90

(65) Shewika, F.A.G.: Side Lights upon Prehistoric Man and his Civilization in North Eastern Africa. **African Studies Review**, Vol. 8, 1979,p. 1-56

(٦٦) اليونسكو: تاريخ أفريقيا فى ماقبل التاريخ، جـ١، ص٢٧٥و٢٨٢-٢٨٥

(67) Coon, C.S.:The Living Races of Man, p.87

(68) Roberts,J.M.: The Earliest Men and Women,p.42

(٦٩) مونتاجو: المليون سنة الأولى من عمر الانسان، ص٧٩

(70) Gawlett,J.: Ascent Civilization,p.101

(٧١) مونتاجو: المليون سنة الأولى ص٨٠

(72) Leakey,L.S.B.:"Earlier Prehistory". **In**: Morgan, W.T.W. (ed.): East Africa; its peoples and resources. 2 nd. rev. ed. Nairobi, Oxford Univ. Press, 1972, p.9-14

(73) Clark, J. Desmond: "Prehistoric Origin of African Cultre: **In**: Mc Ewan, P.J.M. (ed.): Africa from early times to 1800. London, **Oxford Univ**. Press, 1968,p. 1-20

(74) Coon,C.S.: The Origin of Races, p. 330

(75) Ibid, p. 41

(76) Murdock, P.G.: Africa, p. 193

(77) Ibid,p.194

(78) Gowlett,J.: Ascent to Civilization,p.23

(79) Gowlett,J.:Ascent to Civilization,p.46

(80) Loc, cit.

(81) Loc, cit.

(٨٢) درجة مئوية أو درجة سلسيوس وهو الإسم الجديد للدرجة المئوية نسبة إلى العالم السويدى أندرز سلسيوس Anders Celsius الذى وضع المقياس المئوى لدرجة الحرارة (سيد رمضان هدارة: استكشاف الفضاء واستغلال موارد الكون. القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٦، ص٣٢ حاشية)

(83) Gowlett,j.: op.cit.p. 47

(84) Coon,C.S: The Living Races of Man, p. 88

(85) Davies, O: The Climatic and Cultural Sequence in the lote Pleistocene of the Gold Coast. **Proceeding of the Third Pan-African Congress on Prehistory held in North Rhodesia,** Livingstone, 1955,Pub., London, 1957, p.1-5

(86) Gowlett,J:op. cit.,p 68

(87) Ibid,p. 69

(88) Loc. cit.

(89) Ibid, p.71

(90) Gowlett,J. :Asent to Civilization,p. 72

(91) Ibid,p.73

(٩٢) اليونسكو: تاريخ افريقيا. مج (ماقبل التاريخ) جـ ١، ص٣٥١

(٩٣) نفس المصدر، ص٣٥٢

(٩٤) نفس المكان.

(٩٥) فاروق عبد الجواد شويقة: الأقزام الأفريقيون. مجلة الدراسات الافريقية. مج ٥. ١٩٧٦ ص١-١٠٢

(٩٦) اليونسكو: تاريخ أفريقيا مج ماقبل التاريخ، جـ ١، ص٢٤٩

(97) Coon, C.S.: The Origin of Races,p,330

(98) Ibid,p.606

(99) Ibid,p.607

(100) Coon, C.S.: The Origin of Races,p,643

(101) Ibid,p.635

(١٠٢) فاروق عبد الجواد شويقة: الواتوتسى عمالقة افريقيا. مجلة الدارسات الأفريقية، ع٧، ١٩٧٨، ص٦٥-١٢٨

(103) Coon, C.S.:op. cit.,p.636

(104) Coon, C.S.: The Origin of Races,p,315

(105) Leakey,R.E.: Skull 1470; discovery in kenya of the ealist suggestion of the genus homo nearly three million years old comples a rethinking of mankinds pedigree. National Geogr Vol.143,No.6.June 1973,p.819-829

(١٠٦) فاروق عبد الجواد شويقة: أفريقية؛ إيكولوجيا. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٢، ص٨٩

(١٠٧) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية الأفريقية. مجلة الدراسات الافريقية. ع٦، ١٩٧٧، ص١١١-٢٠٨

(108) Montagu, A. :Man; his first million years. New York, World Publishing Co., 1957 p.44

(109) Terry, Roy W.Man in Africa. Johannesburg, The Institute for the Stady of Man in Africa., 1963,p.6

(١١٠) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية الأفريقية. مجلة الدراسات الأفريقية، مج ٦، ١٩٩٧، ص ١١١ ـ ٢٠٨

(111) Terry, Roy W.:op.cit.,p.23

(112) Ibide,p.4

(113) Clark,J. Desmond:"Prehistoric Origin of African Cultre",p.1-20

(١١٤) ثقافة السانجوان تتكون من رؤوس حراب وقطع مدببة وآلات غير مهذبة ومشتقة من الصناعة الآشولية، وهذه السانجوانية أستمرت حتى عام ٣٨٧٥٠ ق.م، والمرجح أنها صناعة نشأت فى بيئة غابية مطيرة لان الآتها مصممة لقطع الاخشاب.

(١١٥) شوقى عطا الله الجمل: حضارة زمبابوى. مجلة الدراسات الأفريقية. ع٦، ١٩٧٧ ،ص١-٧٢

(116) Caton-Thompson, Gertrude: The Zimbabue Culture. London, 1971,p.248

(١١٧) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية الأفريقية. مجلة الدراسات الافريقية ع٦ .١٩٧٧، ص١١١-٢٠٨

(118) Coon, C.S:The Living Races of Man,p.88.

(١١٩) وهو مؤسس الأنثروبولوجيا البنائية الفرنسية وصاحب البحوث الميدانية على الشعوب البدائية فى حوض الأمازون الأعلى، وعنه تنطلق موجات فكرية بناءة عديدة فى سائر المجالات الأنثروبولوجية.

(١٢٠) حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا .الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والعلوم والآداب، ١٩٨٦ ،ص٢٨٠

(121) Gowlett,J.: Ascent to Civilization,p.196-197

(122) Coon,C.S.:The Story of Man, p.12

(123) Ibid,p.157

(١٢٤) عبد الوهاب جعفر: البنيوية فى الانثروبولوجيا، الاسكندرية، دار المعارف، ١٩٧٩، ص٦

ببليوجرافية مختارة

عبد الرسول، كوثر: الحضارات الأفريقية، فكرة الإنتشار الحضاري وطرقه في أفريقياحوليات كلية البنات بجامعة عين شمس. العدد الرابع، يوليو ١٩٦٤، ص٩٥-١٤٦

Clark, J Desmond:"Prehistoric Origin Of African Culture" **In:** Mcewan, P.J.M. (Ed): African From Early Times To 1800. London, Oxford UnVin Press, 1968

Clark,W.E.le G.: The Fossil Evidence For The Human Evolution. Chicago, Univ. Of Chicago Press, 1956

Coom,C.s:The Origin Of Races. London, Jonathan Cape, 1963

Feder, Kenneth L. : Human Antiquity; An Introduction To Physical Anthropology And Archaeology. 3 Rd. Ed. Montain View Calif., Mayfield pir. Co., 1996

Gate, R.R.: Human Ancestry From A Genetical Point Of View. Cambridge, The Univ. Press, 1948.

Gowlett ,J.: Ascent To Civilization.London,Collins, 1984.

Jolly, Clifford J. : Physical Anthropology And Archaeology, New York, Mcgrow-hill, 1995

Leakey, L.S.B.et.el.:Age Of Bed I, Olduvai Gorge, Tanganika. Nature , Vol. I91, No 4787, I961, p. 478-479.

Yurco, Frank J.: The Ancient Egyptians. Chicago, 1992

Montagu, A.: Man, His First Million Years. New York, The World Puplishing Co., 1975

Morgan, W.T.(ed.) : East Africa, Its Peoples And Resources. 2nd. Rev ed. Nairobi, Oxfored Unive. Press, 1972.

Phillipson, D.W.: African Archaeology. Cambridge, The Univ. Press, 1985

Roberts, J.M.: The Earliest Men And Women. London, Penguin Books, 1980

Robertshaw, P.: A History Of African Archaeology, London, 1990

Shewika, F.A.G.: Side Light UpOn Prehistoric Man And His Civiliz - ation In North East Africa. African Review, Vol. 8, 1979,p. I - 56

افريقيا مهد الأنسانية

إعداد

أ.د. محمد السيد غلاب

القاهـــرة

١٩٩٧

أفريقية مهد الانسانية

أ. د محمد السيد غلاب

منذ أن اصدر تشارلز دار وين كتابة المشهور أصل الانواع (١٨٠٩) وأتبعه بكتاب هبوط الانسان (١٨٧١) والبحث جاد عن أصل الانسان وتطوره، وعما يمكن أن يقال له الوطن الأصلي للانسان. ويعتمد هذا البحث على ما خلفه الانسان من آثار، سواء كانت أدوات أو رسوم أو تماثيل، وعلى ما تبقى منه من هياكل عظمية أو جماجم أو أجزاء منها، وقد عثر على هذه الآثار والبقايا الحفرية في طبقات الأرض وقد نشأ منذ أقل من قرن علم يجمع شتات هذه المعارف وينظمها، يسمى علم ما قبل التاريخ. وغالبا ما يقتصر البحث فيه على لعصر الجيولوجي الحديث الذي يسمى بعصر البلا يستوسين وهو يمثل المليون سنة الأخيرة من عمر الأرض. وقد سمي هذا العصر أيضا بالزمن الرابع، ويمتاز هذا العصر بحدوث ظاهرة تغير المناخ، من الدفء إلى البرد الشديد في العروض العليا من أوراسيا وأمريكا الشمالية، في فترات أربع، ومن الجفاف إلى المطر في العروض الوسطى التي تحتلها الصحراء الكبرى والصحراء العربية في الوقت الحاضر. ومن ثم فقد شهد تطور الإنسان هذه التغيرات المناخية الكبرى أو ما نجم عنها من تغير في الغطاء النباتي.

ومنذ أن ظهر الجنس البشري، ظهرت معه معالم ثقافية، مثل صنع النار وصنع الآلات المختلفة، التي بقي منها ما صنع من الحجارة، وبعض الفنون التشكيلية مثل الرسم والنقش على الحجارة، وغيرها من معالم الثقافات التي يطلق عليها اسم ثقافات العصور الحجرية.

ومن هنا كـان لابد للبـاحث فى مـوضـوع أصل الإنسـان أن يلم بعلوم الحـفـريات أو الأحـيـاء القـديمة، وطبـقـات الأرض، ولا سـيـمـا جـيـولوجـيـة البلايستوسين وآثار ما قبل التاريخ وقد تجاوز البحث فى هذا الموضوع مرحلة التنمية، أو الإستدلال بطريقة الاستبعاد (مثلما فعل الاستاذ فلير فى الثلاثينات، ومثلما فعل الدكتور/ محمد عوض محمد فى سكان هذا الكوكب (١٩٣٦) وأصبح البحث يعتمد اعتمادا تاما على الاثار المادية وعلى الحفريات، سواء كانت بشرية أو نباتية أو حيوانية.

وبين أيدينا الآن سجلا حافلا بالحفريات البشرية، التى جمعت من قارات العالم القديم، وفى كثير من متاحف أفريقية (نيروبى) وأوروبا (المتحف البريطانى ومتحف الإنسان فى باريس، وآسيا تقبع الحفريات الأصلية، أو تعرض نماذج منها. وقد جمعت هذه الحفريات من جماجم أو قطع منها وأسنان وفكوك وهياكل عظمية على مدى ما يقرب من قرن. وحددت المواقع التى عثر فيها عليها، مع ما يكتنفها من بقايا نباتية وحيوانية أو رديم صخرى مما يساعد على تحديد بيئاتها وتأريخها. وقد انتهى العلماء من تحديد مواقع كل منها فى سجل الأحياء وسلم التطور. ويستعرض هذا البحث ما وجد فى القارة الأفريقية من حفريات بشرية بترتيبها الكرونولوجى.

احتفظت طبقات الأيوسين والاوليجوسين بحفريات أقدم الفصائل التى تعتبر أسلافا أول للعائلة البشرانية الكبرى، وذلك فى جبل قطانى بشمالى الفيوم. ويطلق على هذه الحفريات اسم قرد الأوليجوسين المصرى Oegyptopihecus وقد انقرض شبيه القرد هذا، فى نهاية عصر الأوليجوسين أى منذ ٤٠ مليون سنة.

وقد عثر فى إحدى الجزر الصغيرة الموجودة فى خليج كافوندو، شمال

شرقى بحيرة فكتويا على حفريات مخلوق ينتمى إلى العائلة البشرانية الكبرى، وترجع إلى عصر الميوسين، قبل ١٨ مليون سنه، وهذا المخلوق يمشى على أربع، ويعتقد أنه السلف المشترك لكل من عائلة القردة العليا والإنسان. وقد أطلق عليه أسم بروقتصل.

أما العائلة البشرانية، فقد ظهرت وتطورت فى عصر البلايستوسين أو الزمن الرابع وتشمل جنسين كبرين، هما البشريات الجنوبة Oustrcilopihecus والجنس البشرى Genus, Genera Hominodea Homo

- والجنس ينقسم بدوره الى أنواع: mx Species

عثر عام ١٩٧٤ فى اقليم عفار شرق افريقية على أقدم حفريه تنتمى إلى البشريات الجنوبية أطلق عليها اسم لوسى، كما عثر على حفريات بشرية مشابهة فى إقليم أومو فى أثيوبيا ولا يتولى فى تنزانيا. وقد أطلق عليها جميعا اسم القرد الجنوبى العصرى. Oustralopithecus afarensis

وكان هذا المخلوق يسير على قدمين، ولكنه دقيق الجسم، وله مخ صغير، ولكن ذراعاه طويلان ويعتبر الهيكل العظمى للوسى هو أقدم هيكل بشرانى عثر عليه حتى الآن

وتتسم عظام حوض هذا المخلوق بالضيق مقارنة بعظام حوض الإنسان الآلي. ويقدر عمره بنحو ٤ ــ ٢,٥ مليون سنة مضت وقبل أن ينقرض ترك المجال لجنس آخر من البشرانيات اسمها Oustralopithees boisei عثر على معظمها فى جنوب أفريقيه.

البشريات الجنوبية Oustralopithecus

تلقى عدة اكتشافات حفرية أجريت فى جنوب أفريقية، منذ عام ١٩٢٥ أضواء كاشفة عن أصل الإنسان فقد عثر الأستاذ دارت A.R.Dort من جامعة جوهانسبرج على اكتشاف هام، هو بقايا جمجمة لمخلوق بشرى يشبة القرد مع تفريغ كامل لداخل الجمجمة نفسها. وتحتفظ الجمجمة نفسها بالأسنان اللبنية كاملة وبعض الأسنان البالغة وكانت مطمورة فى طبقات من الصخر الرملى داخل كهف تاونجز Taungs فى بتشوانا (مقاطعة الكاب) وهذا الكهف يقع على بعد ١٢٨ كيلو مترا شمالى كمبرى. وقد أطلق دارت على صاحب هذه الجمجمة القرد الجنوبى، إذ وجد فيها اقترانا عجيبا لصفات قردية وصفات بشرية عامة.

بعد ذلك اكتشف بروم R. Broom حفرية أخرى فى استركفونتين Sterk-fontein على بعد ١٢ كيلو مترا شمال غرب كروجز دورب. Kruges dorp وعلى بعد ٦٥ كيلو مترا شمال غرب جوهانسبرج. وقد درس بروم روبنسون J.T. Robinson هذه الحفرية التى كانت لجزء من عظام الوجة، وقليل من الأسنان وطرف عظمة الساق. وفى العام التالى اكتشف جمجمة تكاد تكون كاملة جزء كبير من عظام الوجة وعظام الجمجمة والفك وعدة أسنان وهذه الجمجمة تختلف عما وجد فى تاونجس. وقد أطلق عليها اسم قريب البشر الترانسفالى Plesianthropus ونلاحظ هذا أن العلماء قد بدوا يطلقون على هذا الجنس اسم البشر أو البشرانيات وقد أظهرت كشوف كروند راى Kron-draai على بعد ١٢ كيلو مترا شمال غرب كروكرزدورب. Krugersdorp عدة حفريات بشرية درسها بروم (١٩٤٠) منها عظمة الساق، وبعض الضلوع، لمخلوق أطلق عليها بروم اسم Paranthropus robustue

وفى عام ١٩٤٩ عثر في سوار تكرانس Swartkrans على بعد ١٠ كيلو مترات شمال شرقى كروجرزد روب فى ترانسفال على أجزاء من جماجم عديدة لهذا المخلوق كما عثر بروم وروبنسون على حفريات أطلق عليها اسم قريب البشر Yeleantrropus أيضا

وتشاهد اكتشافات كهف مكابانسبان Mawapausgat (١٩٤٥ ـــ ١٩٤٧) على تحديد الفترة الزمنية التى أرسبت فيها طبقات الجير ووجدت الحفريات البشرية مطمورة منها. وقد استنتج دارت منها أنها ترجع إلى الفترة الفاصلة بين عصرى البلايوسين والبلايستوسين، وهى الفترة المعروفة فى حوض البحر المتوسط بفترة فيلا فرانشيا.

وقد اكتشف كول لارس L.Kohi Larseu فى الشاطئ الشمالى الشرقى بحيرة اياسى، فى مكان اسمة جاروزى Garusi بتنزانيا على فك مطمور فى ركام يعتبر الطبقة الأولى مخانق أولد قاى (بدء الفترة المطيرة الكاماسية). وقد أرجعها لارس عام ١٩٤٣ لجنس البشريات الجنوبية، ولكن أبحاث فينرت H.weinerc ريمان A. Remau (١٩٥٠ ـ ١٩٥١) يريان أنها المقابل الافريقى لنظيرة في جاوة، وأنه أشبه بقريب البشر فى جنوب أفريقيا.

وقبل أن نترك الحديث عن هذا الجنس الذى يعرف عامة بالبشريات الجنوبية Oustralopitheciues يجدر بنا الإشارة الى حفرية تنتمى له، ووجد معها بقايا من رماد النار، مما يدل على أن صاحبها عرف صنع النار، وقد طلق عليها روبنسون وبروم اسم صانع النار Prometheus

أشرنا إلى محاولة العلماء معرفة العصر الذى ينتمى إليه حفريات هذه البشريات الجنوبية، وأنها ترجع إلى أواخر البلايوسين وأوائل البلايستوسين أى

ما بين مليونى ومليون سنه مضت: وتمتاز هذه الحفريات بعدة ميزات ترفع صاحبها من مستوى القردة فسطح مخة أكثر تعقيدا من مخ القردة العليا، وحجم جسمة أكبر من حجم الشمبانزى، ولكن ضخم وبارز، وأخراسة كبيرة، والجمجمة فى شكلها العام لا تختلف عن جماجم القردة العليا، ولكنها تختلف عنها من ناحية هامة، وهى منطقة اتصالها بالهيكل العظمي، إذ أنها أسفل قليلا من مؤخرة جماجم القردة العليا. وتشبة فى ذلك حفريات الأنواع البشرية البائدة الزخرى، وهى صفة أقرب إلى البشرية، وأرقى من القردة ويبدو صاحبها منكفئا على وجهة بينما ترتكز هامات البشر الآن عمودية على الهيكل العظمى، على أن شكل الجبهة لدى هذه البشريات الجنوبية كانت أقرب إلى حياة البشر منها للقردة، فعظام الحجاجين بالرغم من ضخامتها إلا أنها أقل ضخامة من مثيلتها لدى القردة العليا ومن صندوق المخ أكثر ارتفاعا فى مستواه من صندوق المخ لدى القردة العليا.

أما من حيث الأسنان، فإنه يلاحظ أن ناب هذه المخلوق أصغر بكثير من أنياب القردة العليا، كما أن قواطعة أصغر نسبيا من قواطع القردة العليا، وكانت أقراسة مسطحة مما يدل على أن حركتها فى المضغ كانت تشبة حركة الأخراس فى الإنسان الحالى. وكان ترتيب الأسنان عنده على شكل قوس ويشبه ترتيبها عند الإنسان الحالى

جدول يبين أنواع البشريات الجنوبية
وأماكن العثور عليها

	المكتشـــــــف	الاســـــم	المكـــان
Dart	Oustralopihecus	Africanus	Taings
""	Oustralopithecs	Prometheus	Makapan
Broom	Plesianthropus	tramsvaolensis	Stenk fontein
""	Plesianthrupus	Robustus	Kromdraai
""	Paranthropus	Crassidens	Swartkrans

على الرغم من ضـــخـــامــة الأسنان والأنيـاب والأخـــراس فى هذا المخلوق بالمقارنة مع الإنسـان العاقل، إلا أنه كانت فى ترتيبـها تشـبه الأسنان البشـرية الحالية لا شك فى هذا. إنما الجدال فى دلالتـها. فـقد قـيل أن هذا الكائن كان قـردا بشـريا من نوع بدائى سـار فى تطور خـاص، وتخـصـصت بعض صـفـاته تخـصـصا مـستقلا ولكنه اكتسب مظهراً بشريا. فـهو اذن لا يمت إلى الإنسـان العاقل (الحديث). بصلة وليس ثُمت قرابه تربطهما. ومن ناحية أخرى فهناك فريق من العلمـاء يرى أن دراسة حفريات هذا الكائن تدل على أن هناك بعض نواحى شـبـه بينه وبـين الإنسـان، وأن هذه النواحى من التـعـدد والتـخـصـص والدقـة فى التفاصيل بحيث لا يمكن اغفالها وبحيث تدفعنا إلى أن نعتقد بأنها لابد وإن كانت خطوات فى سبيل التطور نحو الإنسان العاقل. فـهناك تركيب قـاعدة الجـمـجمة القريبـة من البشرية، وهنـاك صـفـات الأسنان وترتيـبـها التى اتـخـذت شكل قـوس بينمـا هى فى القردة العليا على شكل مـستطيل، وإذا كـانت هـنـاك أى أثارة من شك فى هذا الاسـتـدلال فـانه لا يلبث أن يتبدد من اكتشـاف أجزاء من الهـيكل

العظمى، فقد عثر على بعض العظام والفخذ والقصبة وعظام رسغ القدم ولوح الكتف، وبعض عظام الأطراف، وهذه الأخيرة ذات دلالة كبيرة، لأن كلا من عائلة القردة العليا والعائلة البشرية قد اختط طريقة خاصة فى تطورة

ومن مظاهر الاختلاف بين البشريات الجنوبية وبين القردة العليا شكل عظام الحوض. فهى فى القردة منبطحة ومستطيلة بينما هى فى الإنسان عريضة لكى تتلاءم مع قامة الإنسان المنصبة. فعظام الحوض العريضة لدى الإنسان تتصل بعضلات المعجز القوية، ومن ثم تستطيع أن تحتمل ثقل مضغة الأعلى عندما يقف منتصبا، وعندما يسير أو يتحرك، كما أنها تستطيع أن تحتمل عضلات البطن فى وضع رأس. وفى هذا يبدو أن عائلة البشريات الجنوبية، بشرية الصفات تماما. وليس فيها ما يشبه أى قرد موجود حاليا: وبعبارة أخرى نستطيع أن نستنتج من عظام المعجز أن ذلك الكائن كان يقف على قدمية تماما. وكان يسير كما يسير الإنسان. وهذا الإستنتاج يتفق مع وضع فقرات الرقبة واتصالها بالجمجمة، كما أنه ينسجم مع شكل عظام الفخذ كما أن عظام الساعد تبدو بشرية تماما وليست قروية.

ويستمر الأستاذ كون فى وصف تفصيلات تشريح البقايا الحفرية للبشريات الجنوبية فيبين أن عظمة الرسغ فى هذا الجنس تجمع بين بعض صفات البشر وبعض صفات القردة. فهى العظمة التى ينتقل فيها ثقل الجسم من قصبة الساق إلى بقية القدم هذه العظمة لدى هذا الجنس متسعة إلى حد يشبة مثيلاتها فى القردة. ويبدو أن إبهام القدم كان منفصلا عن بقية الأصابع بحيث استطاع أن يلتقط الأشياء به كما تفعل القردة الآن.

لقد بلغ الشبة بين هيكل هذا المخلوق وبين الهياكل البشرية حدا جعل بعض العلماء يشك فى أنها خليط من هياكل بشرية وجماجم قرود، ولكى ننفى هذا

الشك ينبغى أن نذكر أن عظمة الحوض مع بعض عظام الأطراف والضلوع وجدت فى أحد المواضع مقترنة بإحدى الجماجم كما وجدت فى مواضع أخرى عظام الفخذ ولوح الكتف وعظام القدم مع جمجمة أخرى، اذن فلا داعى لهذا الشك ولابد أن نعترف بأن هذه العظام وتلك الجماجم تنتمى لمخلوق معين من جنس واحد. وأن هذه المخلوقات كانت لها عظام وأطراف تشبه نظائرها لدى الإنسان، وتختلف تماما عن نظائرها لهذه القردة ولاشك أيضا بأن هذا الكائن كان يستطيع أن يقف ويمشى على قدميه كما يفعل الإنسان، بالرغم من صغر حجم مخة وعظم فكة. ومن المهم مقارنة هذه الصفات بالظروف المناخية والنباتية التى كان يعيش فيها، فهو لم يكن يعيش فى بيئة غابات مثل القردة العليا ولكن فى ظروف مناخية جافة لا تسمح بنمو الغابات ومن ثم تكيفت صفاته مع ظروف حياته على الأرض، واذا كان هذا الكائن دقيق الحجم فربما كان أشبه بالسلالات القزمية من نوع الإنسان العاقل.

هذا العدد الكبير من العظام والجماجم التى عثر عليها فى جنوب افريقيا لهذا الجنس البشرى تسمح لنا باعداد تصور شكله العام، فقد كان أصحابها بشرا له قامة قصيرة ومخ لا يزيد حجمه عن حجم مخ الغوريللا أو الشمبانزى،

وفك قوى، لهم بعض الصفات البشرية وجمجمة أقرب فى تفاصيلها إلى جماجم الإنسان منها إلى جماجم القردة وأسنان بشرية (على الرغم من ضخامة حجم الأضراس الأمامية والأضراس الخلفية) ولم تكن لهم أنياب بارزة كأنياب القردة العليا الحالية وأهم من هذا فإن أطرافهم كانت تشبه أطراف البشر ولا شك أن أغرب ما فى هذه الكائنات هو حجمها بين مخ القردة وأطراف البشر.

إذا كان تقديرنا لعمر البشريات الجنوبية صحيحا من أنه يرجع الى عصر

البلايوسين، فإنه يتضح اذن أن ظهور البشريات Hominidae وتطورها قد بدأ من ذلك العصر وأن هذا التطور قد سار قد ما نحو ظهور بعض ظهور صفات بشرية لا ريب فيها، وخصوصا فى الأطراف، أى أن تطور الأطراف (بما فيها الحركة والسير على قدمين وتطور الأصابع) نحو البشرية كان أسرع من تطور المخ. ويبدو أن هذه الظاهرة كانت مشتركة فى جميع الثدييات ومن هذا يتضح أن اتساع المخ ونحوه كان تاليا لكمال الاطراف، بل كان متأثرا بها

والآن ما هو مركز البشريات الجنوبية، أو القردة الجنوبيه كما أطلق عليها وقتا ما إن الأستاذ لى جروكلارك لا يشك فى أنها تنتمى إلى البشريات وقد حاول بعض العلماء فى وضعة مع البشريات Honindae أو البشرانيات أى القريبة من البشر Homoindae

ولكن ما هو الإنسان تعريف الإنسان وظيفى وليس تشريحى الانسانية كما نفهمها هى القدرة على الكلام والقدرة على صنع الآلات واستخدامها.

وفى هذا الصدد نذكر أن الدكتور ليكى وزوجتة عثر فى ١٧ يوليو ١٩٥٩م على ٣ أسنان بشرية وجمجمة تنتمي لهذا الجنس فى موضع بخانق اولد فاى Olduvai فى شرق أفريقيا، كما عثر فى نفس الوضع على آلات حجرية بدائية وميزابها أولى مراحل العصر الحجرى القديم فى أفريقية وكانت هذه الآلات ملقاه على الأرض فى نفس المستوى الذى كان الإنسان يعيش فيه ومعها عظام حيوانات أخرى مما كان يصيده.

وقد وصف ليكى هذه الجمجمة، وأطلق عليها إسما محليا يثير البلبلة هو الإنسان الزنجى Zinjanthopue (ويجب أن لا تخلط بينة وبين الزنجى الحالى) إلا أن صفات هذه الجمجمة لا تختلف كثيرا عن صفات البشريات لجنوبية. ولكن

المهم أنه كان يستخدم الآلات ويصنعها وهذه هى القرينة التى كانت تنقص الباحثين لكى يحكموا على بشرية هذه الحفريات. ومادام قد عثر على الآت حجرية مقترنة بهذه الحفريات فهى إنسانية لا شك فيها حسب التعريف الوظيفى للإنسان فإذا أضفنا إلى هذا قرائن سابقه، مثل العثور على جماجم نسانيس مهشمة الجبهة كما لو كانت قد ضربت بسلاح دقيق معين والعثور على عظام محترقة، مما يدل على أن هذا المخلوق كان يستخدم النار وكان يقدسها، فإننا نستطيع أن نقرر مطمئنين أن ما يسمى يوما بالقرد الجنوبى، لم يكن قردا، ولم يكن شبيها بالانسان ولكنه كان بشرا سويا.

وأخيرا هل هناك علاقة نسبة بين هذا المخلوق وبين الإنسان للإجابة على هذا السؤال لابد من مواصلة البحث التشريحى فى حفرياته وبقاياه من عظام وجماجم من ناحية، ولابد من التأكد من العصر الجيولوجى الذى تنتمى إليه من ناحية أخرى، فإذا كان حقيقة يرجع إلى عصر البلايوسين فربما كان حلقة وسطى فى تطور الإنسان من قرد أعلى، وأما اذا كان راجعا الى عصر البلايستوسين فلا يمكن أن يكون جسدا للإنسان، إذ أنه سيكون أحدث عمرا (مليون سنة) من أن يمثل هذا المركز، وعندئذ لا محيض من أعتباره تطورا جانبيا لم يلبث قليلا حتى أنقرض.

نوع الانسان منتصب القامة

منذ أقل من قرن عثر مهندس هولندى على بعض الحفريات البشرية فى وسط جزيرة جاوة، كانت تشمل عظمة فخذ، وعظام جمجمة وسنتين وكانت عظمة الفخذ تدل على أن صاحبها كان يسير منتصب القامة، وكانت عظام غطاء الجمجمة مفلطحة من أعلى، وتمتاز ببروز شديد فى عظام الجماجين. وقد أثارت هذة الإكتشافات اهتمام علماء الأحياء المتطورين فأسرعوا باطلاق اسم الإنسان

القـرد على هذا المخلوق Pithec anthropus وأضـافوا إليه أهم صـفة تميزة وهي انتصاب القامة erectus وقد اقلع العلماء بعد ذلك عن تلك التسمية واكتفوا بإطلاق اسم الإنسان منتصب القامة عليه Como erectus

وقـد عـاش هذا النوع البـشـرى منذ ١,٦ مليـون سنة مـضت وظل حـتى ٢٠٠,٠٠٠ عام مضت، ومن المحتمل أن يكون قد نشأ فى أفريقية، وانتشر بعد ذلك إلى أوروبا وإلى جنوب شرق آسيا ووصل إلى الصين حيث أطلق عليه اسم انسان الصين أو انسان بكين.

وتمتاز رأس هذا النوع بأنه طويل، ولكن غطاء جمجمتة كان منخفضا كما كانت جبهتة متقهقرة، وحجم المخ لدية صغيرا (٩٠ سم٣) وكان هذا الإنسان أقرب الى القصر. وكانت رأسه تتصل بعموده الفقارى من مؤخرة الجمجمة. أى أنه كان يسير منكفئا على وجهه. إلا أنه استطاع أن يصنع آلات حجرية، كما كان يستطيع أن يصنع النار.

وقد عثر على حفريات هذا النوع البشرى فى أماكن متفرقة من شمال أفريقية (الرباط) ومن شرقها (ملكا كونتورة فى إقليم عفار وفى حوض نهر أومو وفى كينيا (خانق اولد فاى) وفى تنزانيا وفى جنوب افريقيا (سوارتكران)

وقد درس فالوا حفريات الرباط التى وجدت مطمورة فى الصخور الرملية التى يرجع تاريخها إلى فترة انحسار البحر التى تلت الفترة الصقلية كما درس نيفيل وروهلمان الآلات الحجرية التى عثر عليها، ووصفاها وهى ترجع إلى العصر الحجرى القديم الأسفل.

كما عثر فى نفس المنطقة (ترنفين) جنوب شرقي مسكرة، على حفريات

بشرية من نفس النوع عام ١٩٥٢ وتابع العلماء التنقيب عن البقايا الحفرية لهذا النوع، ووجدوها فى محجر عند الدار البيضاء عام ١٢٥٥، مقترنة بآلات حجرية أشولية. ويطلق على هذا النوع أيضا اسم إنسان الأطلنطى Atlanthropus

ويرجع اكتشاف هذا النوع البشرى إلى الأستاذ ليكى L.S.B.Leaky الذى عمل فى شرق أفريقيا فترة طويلة من الزمن. فقد عثر على بقايا فك بشرى على شواطئ خليج كافرندو (شرقى بحير فكتوريا) مطمورة فى طبقات كانام. وعثر ايضا على بقايا اربع جماجم وجزء من عظم الساق عام ١٩٣٢، أثارت كثيرا من الجدل بين الأنثروبولوجيين إذ أن بها شبه قرى بصفات الإنسان العاقل. غير أن الجيولوجى بوزول أثار مسألة عمر بقايا كانجيرا وكانام، كما أطلق عليها. نوع نياندرتال

عثر فى كهف ديرد اوى بمحافظة هرر عام ١٩٢٣ على فك بشرى أرجعة برويل H.Breuil وفيرنرت W.Wernert الى نوع نياندرتال.. كما عثر فى كهف هوافتيحة على فك سفلي يرجع الى ±٥٠٠, ٢٢,٠ الى ±٢٨٠٠ سنة مضت (باستخدام طريقة الكربون المشع)

وقد أثارت بقايا بشرية عثر عليها بالقرب من بحيرة أياسى كثيراً من الجدل إذ أن صفاتها أرقى من صفات الإنسان منتصب القامة، وقد أطلق عليها اسم إنسان أياسي، وهى تنتمى إلى نوع نياندرتال وعثر معها على الآت حجرية موستيرية (العصر الحجرى القديم المتوسط) كما عثر معها على نباتات ترجع إلى الفترة المطيرة الجامبلية.

ويعتبر العثور على جمجمة بروكن هل Broken Hill عام ١٩٢١ أول كشف لنوع نياندرتال فى أفريقيا، وقد أطلق عليها أرمسترونج A.S.Ormstrong

(١٩٢١)، وهروليشيا A.Herdilia'a (١٩٢٥) اسم انسان رود يسيا وقد انتهت الأبحاث الأركيولوجية والفيزيوغرافية إلى أن إنسان روديسيا معاصر للعصر الحجرى القديم الأوسط، ويرجع تاريخه إلى الفترة المطيرة الجامبلية وتنتمى هذه الحفرية إلى نوع نياندرتال، والجمجمة مستطيلة وحجم المخ ١٤٠٠ سم٣ وعظام الحجاجين فيها صخمة، كما أن جبهتها متقهقرة جدا، أما الإسنان فهى بشرية تماما. وتستقر الجمجمة فوق العمود الفقارى كما تستقر جمجمة الإنسان الحديث فوقة. ولذلك فهو يسير بشكل أكثر اعتدالا من النوع السابق له (الإنسان منتصب القامة). كما أن عظام الأطراف لدى هذه الحفرية شبيهه بعظام أطراف الإنسان الحالى.

وعثر على جمجمة أخرى من هذا النوع البشرى فى سالدانها وفى فلوريسباد فى جنوب أفريقية.

وفى عام ١٩٣٩ عثر كارلتون كون على فك لطفل فى منطقة كهف هرقل، على ساحل المحيط الاطلنطى بالقرب من طنجة، وعثر معها على الآت حجرية ليفالوازية موستيرية (العصر الحجرى القديم الاوسط)، وعلى الآت صخرية عاطرية (نهاية العصر الحجرى القديم الأوسط) وهذه الحفرية تنتمى إلى نوع نياندرتال أيضا، كما أنها أيضا ترجع إلى الفترة المطيرة الجامبلية.

نوع الإنسان العاقل Homo Sapiens

عثر ريك، H.Reck فى المستوى العلوى لخانق اولدوفاى على هيكل كامل لإنسان مدفون وهو فى وضع يشبه وضع الجنين فى بطن أمه. وعثر معه على الات حجرية شيليه (العصر الحجرى القديم الأسفل) ويرجع تاريخها إلى الفترة المطيرة الكاماسية. وقد أطلق عليه اسم إنسان الدوفاي.

وقد عكف جيزلر W.Geisler ومولیسون Th. Mollison على دراسة هذه الحفرية. ووجدا أنها لإنسان طويل القامة، ذكرتها بالماساى المعاصرين الذين يسكنون شرق أفريقية فى الوقت الحاضر وجمجمة إنسان اولدوفاى هذا طويلة، ووجهه مستطيل، ويفكة بروز طفيف.

واكتشف الأستاذ ليكى وزوجتة بوبى A.I Pooppy عام ١٩٤٠ على ساحل بحيرة نايفاشا، عددا كبيرا . ، لعظام مقترنة بآلات حجرية قفصية (العصر الحجرى القديم الأعلى) مطمورة فى رمال الشاطئ وهى تحتل صفات مشابهه للإنسان العاقل الذى ينتمى للعصر الحجرى القديم الأعلى فى أوروبا، أى يشبه الانسان كرومانيون وكومب كامل، الذى عثر عليها فى إقليم دوردنى بفرنسا

كان ليكى قد عثر على بقايا خمسة هياكل عظمية، بعضها تكاد تكون كاملة فى كهف جامبل عامى ١٩٢٧ هـ ١٩٢٩ بالقرب من بحيرة اليمنتيتا Elementita وهى تشبه بقايا انسان اولدوفاى وكانت لرجال طوال القامة.

كما كان ليكى قد عثر على فك فى محاجيرا بالقرب من كاتام على الشاطئ الشرقى لبحيرة فكتوريا عام ١٩٣٢، وهى بقايا إنسان حديث بلاشك وهى تدل على قدم الإنسان العاقل فى أفريقية.

وعثر درير T.F. Dreyer على جمجمة مقترنة بآلات حجرية تنتمى إلى العصر الحجرى القديم المتوسط فى فلوريسباد بجنوب أفريقية عام ١٩٣٢. وهذا الموقع يبعد عن بلومفونتين بنحو ٥٠ كيلو مترا فى ولاية اورنج. وهذه الجمجمة تنتمى أيضا إلى الإنسان العاقل.

اللافت للنظر أن حفريات الإنسان العاقل الأولى فى أفريقية تشير الى أنها

جميعا ترجع إلى سلالة واحدة، هى السلالة التى أطلق عليها كون اسم سلالة العصر الحجرى القديم الأعلى، وهى تضم ما وجد فى كومب كابل وكرومانيون فى أوروبا، كما تشمل ما عثر علية فى مشتى العربى وطنجة فى شمال أفريقيه، وما عثر عليها فى كانجيرا فى شرق أفريقة. وأنها أيضا طلائع ما يسمى بالسلالة القوقازية أو البيضاء. ولم تظهر الصفات الزنجانية إلا فيما بعد، فى العصر الحجرى المتوسط

فى عام ١٩٢٧ عثر مونود Th. Monod وبزنارد W.Beanard على هيكلا عظمياً متحجرا بالقرب من أسيلار على بعد ٢٠٠ كيلو مترا شمال شرقى تمبكتو، فى رواسب وادى تلمس، رافد قديم جاف لنهر النيجر. ويظهر مما عثر على هذه الحفرية من نبات أو حيوان أن صاحب هذا الهيكل قد عاش فى عصر ما بعد الجاميلي. وقد درس فالوا وبول M.Boule عام ١٩٣٢ هذا الهيكل، ووجدا أنه لرجل فى منتصف العمر طولة ١٧٠سم ويحمل صفات زنجانية، منها طول الأطراف، والرأس الطويل، والأنف الأفطس والفك البارز. إلا أن هذه الصفات الزنجانية لا تقارن بصفات السكان الزنوج الذين يعيشون فى المنطقة فى الوقت الحاضر، وأنه أقرب إلى صفات البوشمن والهوتنتوت والبانتو فى جنوب أفريقية، وهناك شبه بين صفات أسيلار وصفات جريي لدى الذى عثر عليها فى جنوب أوروبا مكان يعيش فى العصر الحجرى القديم الأعلى. ويبدو أن صفات السلالة الزنجانية قد بدأت الظهور فى العصر الحجرى المتوسط جنوبى الصحراء الكبرى.

وقد عثر أركل A.I.Arkell وديبونو F.Debono على ١٧ هيكلا عظميا بالقرب من أم درمان وهى جميعا للسلالة الزنجانية وترجع إلى العصر الحجرى المتوسط أيضا كما ظهرت الحفائر التى أجريت فى مواضع عديدة من جنوب

أفريقية عدة حفريات بشرية ترجع إلى نفس العصر منها جمجمة فلوريسباد التى عثر عليها فى بلومفونتين Blomfantein فى ولاية اورانج، وهى جمجمة تحمل صفات استرالبانية ومنها أيضا هياكل فلاتس بالقرب من مدينة الاب، وما عثر عليه فى كهف بورد وبوسكوب Baskop وقد كانت الحفريات الأخيرة محل دراسة عدد من علماء جنوب أفريقية مثل سميث (١٩١٦) وهوتون (١٩١٧) وبروم (١٩١٨) وهذه الحفرية تحمل صفات شبيهه بصفات جمجمة كرومانيون الأوروبية، ولفتت أنظار العلماء بضخامة حجمها وكبر حجم المخ فيها (١٧٠٠سم٣ ـ ١٩٠٠ سم٣) الجبهه العمودية. وقد عثر أيضا فى زيمبابوى على حفريات بشرية ترجع إلى أواخر العصر الحجري.

وقد أظهرت حفائر مرمدة بنى سلامة فى مصر السفلى وحفائر العمرى والبرارى ومستجده فى مصر العليا وغيرها من مواقع عصر ما قبل الأسرات حشدا كبيرا من الحفريات البشرية ترجع الى هذا العصر (الذى يعاصر العصر الحجرى الحديث) وقد درس فوكز برجر F.Falkenburger (١٩٤٧) ووجد أن ثلثها تحمل صفات كرومانيونية و٢٠٪ خلاسية بين الكرومانيون والزنجانية.

والخلاصة أن أفريقية، ولاسيما اقليم البحيرات الكبرى كانت أثناء الزمن الثلاثى مركزا هاما للبشرانيات. ولذلك لم يكن غريبا أن تظهر فى جنوب أفريقية فى نهاية هذا الزمن وبداية الزمن الرابع مجموعة جنس البشر الجنوبيين Australopithecoids ليس من المؤكد ما أن كان هذا الجنس خطوة فى تطور البشر، أو أنه كان تطورا جانبيا انتهى بالإنقراض، وترك المسرح للجنس البشرى. ولم يقتصر ظهور البشر الجنوبيين على جنوب أفريقية فحسب، بل من يمثلة فى شمال أفريقية، تلك الحفرية التى أطلق علية آرامبورج Orombourg اسم إنسان الاطلطى الموريتانى **Atlanthropus mouritanicus**

وقد ظهرت أنواع الإنسان الثلاثة الرئيسية فى أفريقية ويؤكد علماء الأنثروبولوجيا أن كلا من هذه الانواع ظهر أولا فى القارة الافريقية، ثم انتشر منها إلى أوروبا وإلى آسيا واستراليا فنوع الإنسان منتصب القامة Homoere-tus قد عثر على بقاياه فى شرق أفريقية وفى شمالها (فى الرباط).

أما بقايا نوع نياندرتال فقد كان أوسع انتشارا، ويرى بعض العلماء أن قريب البشر Telearthropus الذى عثر علية فى سوارتكرانز يحمل صفات نياردلتاليه

وقد استمر نوع نياتدرتال فى أفريقية منذ أواخر الفترة المطيرة الكاماسية الأولى حتى نهاية الفترات المطيرة، وقد انتشر على طول القارة الإفريقية وعرضها من طنجة شمالا حتى الكاب فى جنوب افريقية جنوبا، وانتشر أيضا فى شرق افريقية (اثيوبيا) وفى وسطها (ملاوى).

وأخيرا فقد عثر على حفريات الإنسان العاقل فى كينيا فى عصر مبكر، خلال الفترة المطيرة الثانية، وهى تعاصر فترة جليد الرس الأوربية.

كما عثر على بقاياه فى شمال أفريقية وتشبه صفات هذا الإنسان صفات السلالة القوقازية التى كانت تعيش فى العصر الحجرى القديم الأعلى.

ولم تظهر السمات الزنجابيه إلا فى العصر الحجرى المتوسط، وذلك فى هيكل اسيلار، على حافة الصحراء الكبرى الجنوبية.

لمحات عن دراسة السلالات البشرية الحالية
فى القارة الأفريقية

(غـلاب)
أ.د.
محمـد السيد غـلاب
إستاذ الجغرافيا
وعميد المعهد السابق

و

(شـويقـة)
أ.د.
فاروق عبد الجـواد شـويقـة
إستاذ الأنثروبولوجيا
ورئيس القسم السابق

القاهرة

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

١٩٩٧

مقـــدمـــة

دراسة السلالات البشرية هى الدراسة البيولوجية للجماعات البشرية، لذلك فهى تدرس الفروق الجسمانية بين المجموعات البشرية الكبرى والصغرى وتتدرج حتى تدرس الفروق بين الأفراد، بل وحتى السمات البيولوجية الشخصية.

لذلك تعتبر الدراسة العلمية للسلالات البشرية مرحلة تالية وتابعة للدراسة البيولوجية التى تتضمنها الأنثروبولوجيا الطبيعية تلك التى تتسع لتشمل نشأة وتطور وتأقلم الإنسان (الأفراد والجماعات) مع البيئة الطبيعية المتغيرة خلال الزمان.(١).

والسلالات البشرية الحالية ماهى إلا نتاج ذلك، خاصة سلالات القارة الأفريقية، وهذه القارة التى عرفت عنها بقينا الآن أنها كانت الموطن والمنشأ الأول للبشرية فى العالم وفى التاريخ(٢).

ودراسة السلالات البشرية كانت تدرسها علوم كثيرة منها فروع الطب خاصة التشريح والفسيولوجيا والباثولوجيا، وفروع علم الحيوان خاصة التشريح المقارن، والتاريخ عندما كان يهتم بالرحلات وغرائب الشعوب ثم جغرافيا تلك التى كانت تعنى بوصف البلاد والعباد، ولكن مع ظهور الأنثروبولوجيا أصبحت هى الأحق بها وأهلها، ولأنها بفروعها المختلفة هى الجانب البشرى من الجغرافيا المعاصرة، شأنها شأن الموارد الطبيعية تلك التى أصبحت بفروعها المختلفة هى الجانب الطبيعى من الجغرافيا المعاصرة أيضا.

ولكن لما هذا التطاحن، فبحر العلم واسع، فلينزله الجميع وليستخرجوا كل مفيد من عطايا الله كى يفيدوا عباده وعبيد على السواء.

السلالات والأنثروبولوجيا:

قبل أن الإنثولوجيا Ethnology هى العلم الذى بدء بدراسة مراحل

تطور الإنسان فى مساره الثقافى والحضارى ثم إستخدام دراسة وصف وتصنيف الصفات الجسمية للسلالات البشرية، ثم أصبح منذ بدايات القرن العشرين يدل على الدراسة التحليلية للثقافات والحضارات الإنسانية ودراسة النظم الإجتماعية للمجتمعات غير الأوربية والثقافية بوجه خاص (٣).

والحقيقة أن الإنثروبولوجيا ظلت قسما من الجغرافيا حتى عام ١٨٦٦ عندما إنتقل نشاطها الى الأنثروبولوجيا، ذلك العلم الذى أخذ يتبلور ويأخذ طريقه فى الظهور خلال الفترة ١٨٣٥-١٨٥٩، على أيدى باحثين كانوا فى الأصل من البيولوجيين وانتهوا جغرافيين وأنثروبولوجيين، ولكن يبدو أن هذا جيل قد قارب على الإنقراض، لولا بقية تحاول الحياة من خلال الإهتمام بموضوعات الإيكولوجيا البشرية Human Ecology ذلك العلم الواسع الكبير ذا الأهمية والمستقبل(٤).

وكما أن كتابة ورواية التاريخ ليس علما، وإنما العلم هو تحليل الأحداث وتعليلها وربطها، كذلك كانت الجغرافيا والوليد والمولود البكر والأول للتاريخ فهى علم وصف مظاهر الأرض وتحليلها وربطها، أما تفاعلها مع الإنسان فهو من أهم موضوعاتها إن لم يكن أهمها على الإطلاق، ومن هذه النقطة ظهرت الأنثروبولوجيا الإيكولوجية فهى بخاصة تدرس أثر البيئة على الإنسان ومنها أيضا خرجت الإيكولوجيا البشرية(٥).

وهكذا نجد أنه كما خرجت الجغرافيا من عباءة التاريخ خرجت الأنثروبولوجيا من وعاء الجغرافيا، لذا كانت دراسة الأنثروبولجيا الذى يتولاها حاليا- فى مصر على الأقل لظروف معينة وخاصة ووقتية- الإجتماعيون (من قسم الاجتماع)، يصعب عليها أن تنجح دون الاستعانة الجادة والأمينة والواعية والدائمة بالتاريخ والجغرافيا موضوعا ومنهجاً وفكراً وتخطيطياً- حيث يمثل متصل الجميع دراسة الإثنولوجيا في صورتها الجديدة المستقبلية.

هذا وكــان تقــســيم لينايوس Linnaeus, C (١٧٠٧-١٧٧٨) أول تصنيف للجنس البشرى وللنوع الإنسانى حيث قسم ناس الأرض على قاراتها الأربع التى كانت مـعروفـة فى ذلك الزمـان فكان أن أطلق عليـهم، الأوربيـون، والأسـيويون، والأمريكان الحمر والأفريقيـون، ثم جاء بعده بلومنباخ Blu-menback, J. (١٧٥٢-١٨٤٠) فقسم سكان العالم الى خمسة مجموعات هى ما أطلق عليها: القوقازيون، والأحباش والمغول، والأمريكان والملايو(٦).

وقد إعتمدت هذه التقسيمات على الفروق الظاهرية البادية للعيان على أفراد هذه المجموعات، مثل لون وشكل الشعر وشكل وقياس بنية الجسم وشكل وقياس الرأس (الجمجمة) مثل صفات أجزاء الوجة كالعين والأنف معتمدة على المقاييس الأنثروبومترية القياسية والأنثروبوسكوبية الوصفية(7).

وجاء بعد ذلك كثير من العلماء والباحثين الذين أثروا المجال بالكثير من التصنيفات، خاصة بعد بياسوتى .Biasutti, R (١٩١٢) وتوزيعــــاته الجغرافية للصفات الأنثروبومترية والأنثروبوسكوبية، وبحوث بويد Boyad, W. (٥٠-١٩٥٣) ثم بحوث مورانت .Mourant, A.T ورفاقه فى الدم ومكوناته، حيث إتجهت الدراسات الى مزيد من التعمق، إذ استفادت من قوانين مندل للوراثة وغيرها من البحوث الأخرى بما فيها البحوث الطبية، فظهرت بحوث ودراسات فصائل الدم بمختلف مجموعاتها خاصة مجموعات . ABO, MN , RH وغيرها، وهى التى بُنيت على أساسها تصنيف السلالات البشرية على أساس فصائل الدم، مثل تصنيف بويد الذى صنف الجنس البشرى بين ست مجموعات تتميز كل منها بصفات سيريولوجية خاصة بها(٨).

عراقة السلالات البشرية:

تتمثل عراقة القارة الأفريقية من الناحية الأنثروبولجية فى ناحيتين الأولى أنها تمثل حتى الآن الموطن المرجح لنشأة الإنسان، والثانية فى أن كل سلالاتها

عريقة فيها حيث نشأت معظمها، ولم تفد إليها من خارجها كما كان يظن من قبل(٩).

وقد دلت الحفريات على أن الإنسان إرتقى فى أفريقيا، فالقرد الجنوبى Austrolopithecus والبشريات صانعة الآلات التى تحتل موضعا فيما بين القردة العليا والإنسان، كانت تعيش فى أفريقيا الشرقية والجنوبية منذ نحو ٥.٢ مليون سنة. كما عثر على بقايا الإنسان الحكيم (البارع) Homo Habilis صانع الآلات والإنسان المنتصب Homo Erectus صاحب المخ الكبير أيضا فى هذه المناطق، وإن كانت الأدلة تتباين من مكان الى آخر على تطور الإنسان العاقل Homo Sapiens Sapiens الذى ربما ظهر فى القارة منذ مائة الف سنة، وقد ساعدت أدلة البحث الحديثة الجيولوجية والأركيولوجية والأنثروبومترية والإشعاعية على أن أفريقيا قد ساهمت مساهمة كبيرة فى ملئ فراغ شجرة تطور الإنسان، بما كشفت عنه حفريات شرق أفريقيا خاصة فى كينيا، حيث كشفت أسرة ليكى عن بقايا عظمية وآلات حجرية للعائلة البشرية الاولى التى ترجع الى نحو ٢ مليون سنة.

والحقيقة أن أفريقيا كانت ومازالت قارة تحوى على أرضها كل النماذج السلالية البشرية الرئيسية فى العالم المعاصر، بل وتلك التى مرت عليها الأجيال خلال عصور التاريخ المختلفة، ففى أفريقيا تحيا المجموعة الزنجية (الكونجولية كما تسمى أحيانا) والمجموعة الكيبوانية تلك المجموعة القديمة التى تتمثل فى قبائل البوشمن والهوتنتوت وأحيانا يضاف إليهما أقزام أفريقيا (النجريللو) فبهذا يتبين أن المجموعتين أفريقيتى الأصل كما أنهما أفريقيتا الإنتشار خاصة الثانية، إذ لانجد لها أي تمثيل خارجها.

وفى أفريقيا أيضا سلالات أخرى تنتمى الى مجموعة ثالثة هى المجموعة القوقازية (القوقازانيون كما يطلق عليهم أحيانا) وهذه السلالات تشتمل على سلالات مختلطة وفدت فى رأى كون Coon, C.S. الى أفريقيا من غرب آسيا وربما من أوربا خلال الفترة الممتدة منذ ١٢ الف سنة ق.م الى عام

١٢٠٠م، وهـؤلاء هـم العرب والبربر والكوشـيون وبعض شعوب السودان وشـرق أفـريقـيـا(١٠)، ولكن الجدير بالذكر هنا أن هـناك رأى آخر قال به بيـاسوتى Biasutti, R. يقول فيه أن أصل نشـأة القوقـازيـون تـم فـى منطقة الصـحـراء الكبرى الأفريقية وأن تلك الصحراء هى منطقة تخصصهم Area of Cha-ractization ومنها إنتشروا الى أوربا وغرب أسيا(١١).

هذا وتعـتـبر منطقة الصـحـراء الكبرى الأفريقـيـة أيضـا مـوطن السـلالة الزنجية حيث كُشف عن أعرق هيكل عظمى فى آسـلار Asselar (وتقـع فـى مـالى على بعـد ٤٠٠ كيلو الى الشمـال من تمبتكو) وذلك عندمـا عثـر برنارد ومـونود عـام ١٩٢٧ على عظام هيكل إتضح من دراسـتـهـا أنهـا لإنسـان كـانت قامته ١٧٠ سم كما كانت ممشوقة وأن ساعده كان طويلا نسبيا وكذا أطرافه السفلى وأيضـا عظام القدم واليد تحمل سمات زنجية(١٢).

والمرجح فى ضوء ذلك أن القسم الشمالى من الصحراء الكبرى الأفريقية كان مـوطنا لأرومـة السـلالات القوقازية، وكمـا كان هذا القسم الشمـالى مـوطنا أيضـا لأرومـة السـلالات الزنجيـة، ومن بين الأدلة الموضـحـة لهـذا الرأى وجـود عناصر التحنو القديمة (ذات السمات الشقراء) التى كانت تحيا الى الغرب من دلتا النيل ووجود عناصر التحنو القديمة (ذات السمات المخالفة) والتى كانت تحيـا الى الغرب من صـعـيد مصـر إبتداء من الواحات الخـارجة وحـتـى واحة سليمة وذلك منذ الدولة الفرعونية القديمة (النصف الثانى من الألف الثالث قبل الميلاد(١٣)).

واذا أضفنا الى ذلك دور الصحراء الكبرى فى نشـأة السـلالات الكيـوانية وتأصيل سـمـاتها فـيـها قبل أن تنتقل هذه السلالات الى جنوب أفريقيـا حيث عرفت باسمـاءهـا العرقية (البوشمن والهوتنتوت) وذلك بأدلة كثيرة منها الباقى حتى اليوم (عائلة الداوودة فى الواحـات البحرية المصرية)، وهـى التى مـازالت تحمل صفات أنثرومترية كيوانية واضحة(١٤).

كذلك يمكن القول بإطمئنان شديد أن أفريقيا هى القارة الأم للجنس البشرى والنوع الإنسانى؛ ليس فقط للبشرية الحديثة المعاصرة بل أيضا للبشرية القديمة والحفرية، وذلك بعد ما تم الكشف عنه من حفريات فى مناطق القارة المختلفة خاصة الشمال والشرق والجنوب الأفريقى (راجع أعمال وكتابات: كون، ليكى، غلاب، شويقة).

المجموعات السلالية الرئيسية الأفريقية

كانت ومازالت القارة الأفريقية تضم فوق أرضها أعرق وأقدم السلالات البشرية، كما تحيا فيها نماذجا وأنماطا بشرية متباينة، الى درجة يلاحظ فيها الملاحظ أن ناس أفريقيا ما هم إلا أخلاط أملاط، ولكن الحقيقية التى سرعان ماتظهر بعد نظرة عميقة متأنية، تكشف عن سينفونية بشرية متكاملة تحيا- رغم الإختلاف الظاهرى Phynotype والباطنى Genotype أحيانا- فى تناغم بناء متكامل، لولا مؤثرات وعوامل خارجية تعيق حركة نموها وتقدمها وتنميتها.

فالقارة الأفريقية تضم بين جنباتها وفى أقاليمها الطبيعية والبشرية أقدم السلالات والأعراق والشعوب البشرية ممثلة المجموعات الكيبوانية Capoid Group وفى أقزام أفريقيا Negrillo ثم أحدث السلالات والشعوب الوافدة ممثلة فى قوقازيو أوربا الوافدين إليها خلال وقبل فترة الاستعمار الأوربى للقارة، وفيما بين أولئك وهؤلاء، هناك السلالات الزنجية بأنماطها المختلفة، والسلالات القوقازية الأفريقية (السلالة البنية Brown Race كما أسماها إليوت سميث) وغيرها من عرب ساميون توطنوا أفريقيا فى حوض النيل الأوسط والأدنى منذ فجر التاريخ.

والقارة الأفريقية ليست متحفا حيا للسلالات البشرية وحسب، بل إنها متحفا للأنثروبولوجيا التاريخية خاصة لعصر ماقبل التاريخ أيضا، فهى بعد كشوف عائلة ليكى Leakey Family فى شرق أفريقيا خاصة فى كينيا،

أصبحت تحل لواء وزعامة النظرية القائلة بأنها مهد البشرية والآدمية والإنسانية، على نفس درجة ومستوى أنها مهد الحضارة (إكتشاف واستخدام النار والزراعة والرعى والفخار والإستقرار).

وكما كانت أفريقيا موطنا للسلالات الأفريقية الأصيلة والعريقة كالكيبوانيون والكونجوليون (الزنوج) وزنوج البانتو، فإنها عند البعض (بياسوتى Biassuti – ١٩١٢) كانت أيضا موطنا للسلالة البيضاء القوقازية (فى الصحراء الكبرى) ومنها إنتقلت الى أوربا شمالا وأسيا شرقا، خلال عصر البلايستوسين، وعليه فإن القارة الأفريقية تكون مهد البشرية ومهد ثلاث سلالات كبرى من السلالات الأربع التى يضمها الجنس البشرى الحالى.

وإذا تتبعنا بعض التقسيمات والتصنيفات العرقية والإثنية لناس أفريقيا[١٥] نجد أن أولها هو تقسيم سيلجمان Seligman, C.E (١٩٣٥)[١٦]، وهو التقسيم الذى إعتمده محمد عوض محمد ومازال يأخذ به معظم الأنثروبولوجيين:-

(١) القوقازيون Caucasoids

١ – ساميون Semites

٢ – حاميون Hamites

أ – شرقيون: مصريون- نوبيون- صوماليون- بعض الإثيوبيون

ب – شماليون: البربر- الطوارق- التبو- الفولانى

(٢) الزنوج Negroids

١ – الزنوج Negroes

أ – الزنوج القح True Negroes (غينيا-السنغال-السودان الأوسط)

ب – مجموعات Groups فى مناطق أعالى أنهار الكونغو والنيل ويولى Uele وأويانجى (زانوكى-بونجو)

جـ – داما Dama

٢ – الأقزام Negrillos

٣ – خواسان Khoisan

٤ – زنوج ساميون Negro-Samites

أ – أنصاف حاميين Half Hamites (ماساى-ناندى-سوك-توركانا)

ب – النيليون Nilotes

(أ) – النيل الأعلى (لوبا Luba – لندو Lendu)

(ب) – النيل الأوسط (شيلوك Shilluk – آنواك Anuak – أتشولى Acholi – لانجو Lango)

جـ – البانتو Bantus

أ – شرقيون Eastern

ب – الوسط Central

جـ – بحيريون Interlacurtrire

د – غربيون Western

هـ – جنوبيون Southers

ويلاحظ أن هذا التقسيم قد إعتمد أساسا على العناصر البيولوجية (السلالية-العرقية) ثم الأقاليم والمناطق الجغرافية (الإيكولوجية) وأخيراً بعض العناصر الثقافية خاصة الصفات والسمات اللغوية التى كانت أساسا فى

تصنيف المجموعات اللغوية الأفريقية وهى التى تعد الأساس الأول فى تقسيم الأعراق السلالية الى مجموعات إثنية كمقدمة ومدخل للتقسيمات الإثنية والإجتماعية التالية الأخرى(١٧).

فالملاحظ أن السلالات البشرية فى القارة الأفريقية تتميز بكونها معقلا لكثير من المجموعات البشرية الحالية المنتشرة فى العالم، بل إنها تنفرد دون غيرها من القارات ببعض المجموعات المتميزة الفريدة مثل السلالة الكيبوانية(١٨) التى تحيا فى ركن القارة الجنوبى الغربى، بالإضافة الى سلالات مختلفة تكونت نتيجة تزاوج واختلاط تم بين أوعية وراثية Genepools عديدة مثل ذلك الذى حدث فى جزيرة مدغشقر، وحدث فى بعض مناطق من القارة خاصة قسمها الشرقى.

وبعامة يمكن القول أنه إذا إتخذ تصنيف تيود وسيوس دوبزانسكى Dobzansky,Th. للسلالات البشرية -أساسا- باعتباره من أحدث مانشر(١٩)، نجده يقسم الجنس البشرى الى ٣٤ سلالة يوجد منها تسعة (٢٦.٤٧٪) فى أفريقيا، هى: البحر المتوسط، وشرق أفريقيا، والسودانيون، وزنوج الغابة، والبانتو، والبوشمن، والهوتنتوت، وأقزام أفريقيا، وملونو جنوب أفريقيا. ويتفق هذا الى حد كبير مع تصنيف كون وجارن وبيردسيل (١٩٥٠) وكذلك مع تصنيف مونتاجو (١٩٦٠) وأيضا مع التصنيف الذى نشر عن اليونسكو (١٩٥١).

ويعتبر الزنوج أقدم الأنماط السلالية الأفريقية في مناطق جنوب الصحراء، إذ يرجع تواجدها بالقارة الى عصور ماقبل التاريخ (قبل ٨ آلاف عام ق.م) حيث لم يكن بالقارة الأفريقية من سلالات إلا أربعة أنماط فقط كانو هم أهمهم وأكثرهم وكان معهم الأقزام والبوشمن والشعوب النيلية الصحراوية، أما فى مناطق شمال وشرق الصحراء الكبرى فكان يقطنها المجموعة الحامية/السامية حيث كانو ينقسمون الى جماعات محلية تتباين لغويا ففى الغرب كان يعيش البربر، وفى القرن الأفريقى فى الشرق كان يحيا الكوشيون والنوبيون، وفى وادى النيل الأدنى والدلتا كان يحيا المصريون(٢٠).

وحول عام ٥٠٠ ق.م وفدت جماعات عربية سامية من شبه الجزيرة العربية الى الاراضى الأفريقية فيما يعرف حاليا باسم إرتيريا حيث فصلوا الكوشيون فى الجنوب عن البجاة فى الشمال علما أن الإثنان من الحاميين وكان أهم هذه الجماعات السامية تنتمى الى قبيلة حبش العربية حيث أخذت منها الحبشة إسمها، والى قبيلة الأجازى العربية التى أعطت أسمها الى اللغة الأمهرية القديمة المسماه الجعز(٢١).

وهناك المؤرخ الأفريقى الشيخ أنتاديوب السنغالى الأصل الذى يقول فى كتابه "الأمم الزنجية والثقافة" أن الحضارة المصرية القديمة أصلها زنجى، حيث يعتمد على أدلة لغوية قائلاً أن الشكل العدائى للجنس أو السلالة السوداء فى الكتب المقدسة خاصة التوراة؛ وأن أصل تسمية "حام" جاء محرفا من كلمة "كام" العبرية وتعنى أسود وهى جاءت من كلمة "كيميت" الهيروغليفية بمعنى الأرض السوداء (أرض مصر).

ويحاول أنتاديوب إرجاع أصل الحضارة الفرعونية الى أهالى الوجة القبلى الذين (كما يقول) وفدوا من إثيوبيا (وهى كلمة يونانية تعنى أرض السود) حيث أنها حضارة عريقة، لذا لايربطها بأهالى الوجة البحرى الحديثى العهد والوافدين الى مصر والذين يرجئون الى السلالات القوقازية (البيضاء)(٢٢).

ورغم الإنتقادات التى وجهت لنظرية أنتاديوب والتى بناها على أدلة لغوية (كما سبق الإيضاح) وأدلة إجتماعية (الختان-سلطة الأم-إعدام الملك عندما يهرم)، خاصة من المؤرخ الفرنسى سوريت كانال الذى قال بأن المصريين القدامى لم يكونوا يختلفون كثيرا عن المصريين المحدثين من أن سكانها إختلطوا منذ القدم بكثير من العناصر الوافدة إليها من الشرق والغرب ومن الشمال والجنوب مما أدخل اليها دماء كثيرة، ورغم كل ذلك فإن نظرية أنتاديوب جديرة بالدراسة المتعمقة ونقدها حيث تمكن الأنثروبولوجيون من خلال دراسة البقايا العظيمة من التوصل الى الأصول القديمة للمصريين حيث كان يعيش فى

مصر العليا خلال فترة ماقبل الأسرات سلالة أولية طويلة الرأس منحدرة من السلالة القديمة التى كانت تحيا فوق الهضبة الصحراوية على كلى ضفتى نهر النيل فى الصحراء الشرقية والغربية خلال فترة العصور الحجرية وقد أطلق فلندرز بترى على هذه السلالة القديمة إسم Aeneolthic.

أما خلال الفترة الأولى من عصر ماقبل الأسرات فقد كان تحيا فى مصر سلالتان الأولى تتركز فى الفيوم أى فى وحول مصر الوسطى والسفلى وقد أطلق عليها Theboid بينما الثانية كانت تحيا فى مصر العليا، ورغم أنهما لم تكن مختلطتان إلا أنهما كانا من أصل واحد(٢٣)، مما سهل إندماج السلاتين بمرور الزمن مكونين سلالة واحدة تشمل كل المصريين.

هذا ولايقلل من هذه الوحدة السلالية للمصريين منذ أقدم عصور التاريخ كثرة التأثيرات الأفريقية الزنجية والحامية ولكن على إستحياء فى الأطراف الجنوبية وكذا كثرة التأثيرات الأسيوية والليبية والى درجة ما الأوربية فى الأطراف الشمالية خاصة الى الشرق والى الغرب منها ولكن يجب التأكيد على أن كل هذه العناصر السلالية قد تم إذابتها داخل الوعاء الجينى المصرى بسرعة مما عجل بالوحدة البيولوجية السلالية للمصريين وهى صفة يتميز بها المصريون بإستمرار.

الخاتمة:

يعد وجود الأعراق والشعوب والقبائل من السمات العامة للحياة البشرية، لذا فان دراسة أى موضوع يتصل بها يحتاج معرفة كافية عن كل منها، وهذا لايتحقق إلا من خلال تصنيفها وتوصيفها وتحديد مواضع علاقاتها بغيرها، فهذه الدراسة محاولة أولى لتصنيف أهالى وسكان أفريقيا، مع العلم أن دراسات التصنيف العلمى Taxonomy يفضل أن تتم على أسس رقمية (كمية) وعشرية Disimel (٢٥) مما يتيح فرصة إستخدام الحاسوب مع توافر مرونة التغيير المحتمل بإستمرار فى ضوء مايكشف عنه من معلومات جديدة تضاف بإستمرار بحكم التجديد والتعميق العلمى.

أما أهمية هذا العمل فتتركز – بالاضافة الى أكاديمية الإتجاه – تتركز فى معرفة الموضع Site والموقع Situation ليس بالمفهوم الجغرافى والإيكولوجى فقط، ولكن بالمفهوم الثقافى الحضارى وبالمفهوم الإجتماعى الشامل، مما يتيح فرص معرفة التشابه والتقارب أو الاختلاف والتباعد، مما قد يعطى فرص الإستفادة البرجماتية الأمبريقية فى أمور وشئون الحياة على المستوى المحلى المحدود، أو المستوى الدولى الممدود، حيث يمكن أن تستفيد التجارة والصناعة من تسويق المناسب من السلع والخدمات.

واذا كان دوبزانسكى يقول أن التصنيف المثالى(٢٦) للسلالات البشرية ينتظر من يقترحه(٢٧)، فإن الحقيقة تؤكد أن الإختلاط بين السلالات ومجموعاتها الرئيسية والفرعية فى تزايد مستمر خاصة فى السنين القليلة الماضية، نظرا لتزايد نزعة الترابط بين الشعوب والسلالات المختلفة لعدة أسباب لعل من أهمها كثرة وسهولة وسائل النقل والمواصلات، وزيادة الوعى الثقافى والفكرى، وإنتشار وإعتناق أفكار الحرية والإخاء والمساواة، وحقوق الإنسان، فكل هذا، قلل من نظرات التعالى والتسامى التى كانت تمنع الإختلاط البيولوجى بين المجموعات السلالية والجماعات الشعوبية والقبلية، وكان نتيجة ذلك أن بدأت تظهر سلالات مركبة جديدة تجتمع فيها صفات أكثر من سلالة.

لهذا فاننا نقترح أن تجرى دراسة مماثلة لهذا العمل، كل نصف قرن (خمسين عاما) على سلالات وشعوب القارة الأفريقية معتمدة على الدراسات والبحوث العلمية التفصيلية الميدانية التى تجرى خلال هذه الفترة، وحبذا لو إجريت دراسات مقارنة رابطة بين فروع وتخصصات المعهد المختلفة الأخرى.

فإذا تم ذلك، فإن الأمر سيتضح أمام الكافة، خاصة أمام الصفوة متخذى القرار، فى أن ماينفع الناس ويمكث فى الأرض، هو "المحبة" بمعناها الواسع الشامل التطبيقى.

هذا ولعل من سلبيات النظم القبلية، تباين الأعراف والتقاليد أي الثقافات المحلية مما يؤدى الى إختلاف مفاهيم الحياة الإجتماعية، وهى أمور تجاوزها الإنسان المتحضر وتعداها منذ العصور الوسطى الأوربية وما تلاها من نهضة فكرية وعلمية شاعت وانتشرت حاليا هنا وهناك فى العالم، ولكنها مازالت متأخرة كثيرا فى القارة الأفريقية، لذا لزم معالجتها بسرعة وبحزم، وعندى أن الحل الوحيد فى هذا المجال هو تطوير نظم التعليم كي تتوحد وتركز على التعليم التقنى الذى يكسب المتعلم قدر مناسب من التدريب والخبرة، ليدخل بهما ميدان الحياة العلمية إذا لم يوفق فى مواصلة التعليم الجامعى أو العالى[٢٨].

والجدير بالذكر أن نوضح عدة نقاط أساسية عن الإنسان والسلالات البشرية الحالية فى القارة الأفريقية:-

١ - أن أفريقيا هى موطن البشرية والإنسانية، وأنها موطن المجموعة السلالية الزنجية، ولما كان الزنجى بطبعه وبسبب ظروف إيكولوجية معروفة، متحرك دائما وغير مستقر فهو دائما فى هجرة وحركة مستمرة، فقد ترك هذا أثره الواضح على إنتشار السلالة الزنجية المتغير فى القارة وأيضا خارجها.

٢ - أن مناطق الإلتقاء والاحتكاك بين المجموعات السلالية فى أفريقيا هى دائما مناطق الخلط والإختلاط مما يجعلها مواطن السلالات-وأيضا الثقافات- المختلطة والمعقدة والجديدة والمتجددة بإستمرار.

٣ - يتميز الأفريقيون خاصة العناصر السوداء الزنجية (رجالا ونساء) بأنهم مثاليون من حيث التكوين البيولوجى (مورفولوجيا وفسيولوجيا) وأنهم مؤهلون للحصول على أعلى الجوائز والدرجات فى المنافسات الرياضية، وقد تم التوصل الى هذه النتيجة بعد الدراسة الأنثروبولوجية التى أجريت على عينة من ١٢٠٠ رياضى فى الدورة الأولبية الدولية في المكسيك عام ١٩٦٨ (الاهرام، ١٩٧٦/٧/٣١، ص١٠).

٤ – ولكن مع تزايد شعور الزنوج والسود بعامة بالغبن الواقع عليهم هنا وهناك تحركت مسيرة المليون أمريكي من أصل أفريقي (من السود) في واشنجتن العاصمة يوم الأثنين ١٦ من أكتوبر ١٩٩٥، بقيادة لويس فرخان، للتعبير عن مقاومة التفرقة العنصرية التي يشعر بها الكثيرون من الأمريكيين في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك خلال يوم التكفير والمصالحة كما أطلق عليه، والتي قامت به جماعة أطلق عليها أمة الاسلام (B B C الاثنين ١٦/١٠/١٩٩٥م، والاهرام الثلاثاء ١٧/١٠/٩٥ ص١).

هذا ومشكلات القارة الأفريقية متعددة ومتشابكة، فأساسها الأزمة الاقتصادية التي زاد من حدتها محاولة المنظمات الدولية فرض سياسات مالية وإقتصادية غير مناسبة للتطبيق المحلي، ومما زاد من تعميق فجوات الفروق بين أفراد المجتمعات الأفريقية محاولة تطبيق النظم السياسية الديمقراطية الغربية بحذافيرها، مما تزايدت معه الصراعات العرقية والقبلية سعيا للوصول للسلطة وإغتنام ما وراءها دون دراية كافية مما يسببه ذلك من مشكلات كثيرة نظراً لقصور خبرة وتدريب الكوادر الأفريقية الوطنية المخلصة.

لذلك فالمقترح هو العمل الهادئ المخلص المنظم الهادف من المؤسسات والمنظمات الأفريقية الوطنية خصوصا الجامعات ومراكز البحوث، لتأمين إعداد الكوادر العلمية السياسية اللازمة لعملية التنمية الاقتصادية والإجتماعية أي التنمية الشاملة، حتى تترسخ عمليات التنمية على خبرات وعلى خطط وطنية أفريقية قومية ومحلية قوية، مما يباعد بينها وبين النكسات والمشكلات التي غالبا ماتصاحب عمليات التنمية، خاصة إذا شاع سوء التخطيط والتنفيذ وإختلط الأمر على متخذي القرارات السياسية المصيرية.

والأمل في الحقيقة عندي هو العودة الى أنماط الحياة السهلة البسيطة المتلائمة مع المجتمعات المحلية الصغيرة، بحيث تعمل الأسر والعائلات والعشائر والقبائل؛ على إنتاج ما تحتاج اليه من ضرورات الحياة الرئيسية (الميمات الخمس: المأكل– المشرب– الملبس– المسكن– المركب) ثم العمل على الوصول

بإنتاجها منها الى توافر فائض مناسب يكفى للتصدير الى سكان المدن فى الوطن القومى، وأكثر منه للتصدير الى الخارج وذلك حتى يتوازن الميزان التجارى ويتوافر فيه ومنه فوائض تعمل على تزايد الحصيلة القومية والفردية من العملات الحرة الدولية، التى يمكن بها أن تشترى الخبرة والادوات التكنولوجية المتقدمة، وهى تلك اللازمة لعملية التنمية، ولكن يجب ألا تستغرقنا سهولة وحلاوة إقتناء وإستعمال هذه الأدوات الحديثة المتقدمة والمتقدمة جدا، فان خطرها ماحق وساحق لما يجره على مجتمعاتنا الفقيرة من ديون وفوائد الديون والسيطرة والخنوع، الحل إذن فى التوازن بين هذا وذلك.

والحقيقة لقد أصبحت معظم المشكلات الدولية والأقليمية، والمحلية فى أفريقيا وسائر القارات الأخرى فى عالم اليوم، ترجع فى أصولها الى جذور عرقية وإثنية وسلالية أو جنسية كما يشاع، لذلك كانت أهمية دراسة ومعرفة الأصول العرقية للشعوب سواء على أساس المنهج الجغرافى الإيكولوجى المكانى، بين الجماعات السلالية المختلفة عن طريق إشاعة روح الأخوة والمحبة المبنية على أساس وحدة الأصل والتشابة العام فى التكوين والتفكير، وذلك كى تسود روح الجماعة والحرص عليها وعلى تقدمها وترقيتها، وهى نزعة إنسانية تظهر فى كثير من المجتمعات الشرقية والغربية، فهى تحمل فى كوريا اسم"زوتشية" وتعنى أن تصبح الأمة أو المجتمع كله حريصا على الفرد، بنفس درجة حرص الفرد على المجتمع أو كما قيل One for all, and all for one.

وعندى أن هذا هو الهدف الأنثروبولوجى بل والإنسانى من دراسة السلالات البشرية، والجدير بالذكر والإستغراب فى آن واحد أن تدريس مقرر السلالات البشرية قد ألغى فى معظم أقسام الجغرافيا التى كانت تدرسه، فى الوقت التى أخذت تزداد فيه أهمية الموضوع على النطاق العالمى، لذلك فالواجب أن يعاد تدريسه فيها، وفى حالة توافر قسم للأنثروبولوجيا فى المؤسسة فإنه يترك أمر تدريسه له فى سائر الأقسام، على أن يتولى تدريسه أنثروبولوجى جغرافى إن أمكن.

خريطة
سلالات أفريقيا الزنجية

خط الزنوج

الزنوج الأصليون

خط البانتو

الوطن الأصلي للبانتو (حوالي ٥٠٠ ق.م)

طريق هجرة البانتو (٥٠٠ ق.م)

المنطقة الأولى لانتشار البانتو (٥٠٠ م)

المنطقة الثانية ([illegible])

المنطقة الثالثة (٨٠٠ – ٩٠٠ م)

المنطقة الرابعة (١١٠٠ – ١٤٠٠ م)

تأثيرات [illegible]

النيليون

أشباه الحاميين

الأقزام الأفريقيون

الأوربيون

مدن بها نسبة كبيرة من الآسيويين

(عن: نادر محمد عبد الجواد: أفريقيا، ص ١٠٦)

الحواشى

(١) راجع: فاروق عبد الجواد شويقة: الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية، القاهرة، ١٩٨٢

(٢) راجع مقال: حضارات إنسان ماقبل التاريخ فى القارة الأفريقية فى هذا المجلد.

(٣) حسين فهيم: قصة الانثروبولجيا؛ فصول فى تاريخ علم الإنسان. القاهرة، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، فبراير ١٩٨٦، ص٢٣

(٤) فاروق عبد الجواد شويقة: الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية، ص١٩٩

(٥) ——— : الأنثروبومتريا. القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨١، ص٥٩-١٤٤

(٦) نفس المصدر، ص ١٥٣-١٥٤

(7) Montagu, A.: An Introduction to Phisical Anthropology, 3 er. ed., Springfield, Thomas, 1960,p. 419

(٨) فاروق عبد الجواد شويقة: العلاقة بين الأنثروبولوجيا والجغرافيا. مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ٥٠، العدد الاول، مايو ١٩٩٠، ص-١-٥١

(٩) فاروق عبد الجواد شويقة: الإكولوجيا البشرية. مجلة الدراسات الافريقية، ع٢، ١٩٧٤، ص١٨٣-٢٠١

(10) Coon, C.S.: The Living Races of Man. New York, Alfred A. Knopf, 1965, p.84

(11) Sergi, G.: The Mediterranean Race; a study of the origin of European peoples, The Netherlands, Oosterhout N.B., 1976, (After the 7th. English ed. London, 1901).

(12) Boule & Vallois: l'Homme Fossile d'Asselar, Sahara. Archives de l'Institute paleontologie Humaine, Paris No. 9, 1932, p.20

(١٣) عبد العزيز صالح: الشرق الادنى القديم. جـ ١ مصر والعراق. ط٤. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٠، ص ٢٠٠-٢٠١

(14) Shewika, F.A.G.: Side Lights upon Prelistoric Man and his Civilization in Northeastern Africa. Africa Studies Review, Vol. 8, 1979, p. 1-56

(15) Alexander Alland, J R. :"Human Biological Diversity in Africa". In: Skinner, Elliott, "Peoples and Cultures of Africa, p. 59-76.

(16) Seligman, C.G.: Races of Africa. 4th. ed. London, Oxford Unive. Press, 1976.

(١٧) فاروق عبد الجواد شويقة: أفريقيا وحوض النيل. ط٢. القاهرة، دار روتابرنت للطباعة، ١٩٨٦، ص٧٥-١٠٨

(١٨) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية الأفريقية؛ دراسة فى الأنثروبولوجيا الجغرافية. **مجلة الدراسات الأفريقية**، ع ٦، ١٩٧٧، ص١١-٢٠٨

(19) Dolzhansky, Th.: Mankind Evolving. New Haven, Yale Univ. Press, 1962,p. 264

(٢٠) ماكينيدى، كولين: أطلس التاريخ الأفريقى، ترجمة السويفى. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧، ص٢٥-٣٦

(٢١) نفس المصدر، ص٤٩

(٢٢) كلود فوتييه: أفريقيا للأفريقيين، ترجمة أحمد كمال يونس. القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٨ ،ص١٨٧-١٨٩

(23) Morant, G.M.: A Study of Egyption Craniology from Pre-historic to Roman Times, **Biometrika**, Vol. 17, Nos. 1 & 2, June 1925, p.5

(٢٤) وهى فى ذلك تشبه الحكمة الالهية من خلق الحرية والعدالة (فاروق عبد الجواد شويقة: الاسلام وإنسانية الإنسان. **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة**، العدد ٦٤، يوليو ١٩٩٤، ص٣٥٥-٤٠٦).

(٢٥) راجع المقال المنشور فى مجلد الأنثروبولوجيا من هذه الموسوعة بخصوص هذا الموضوع.

(٢٦) راجع المقال المعنون "خريطة رقمية للسلالات والشعوب فى أفريقيا Digital Map of Man in Africa وذلك فى مجلد الأنثروبولوجيا من هذة الموسوعة.

(27) Dobzhansky, Th.: On Species and Races of Living and Fosssil Man. **American Journal of Physical Anthropology**, Vol, 2, 1944, p. 251-265

(٢٨) صدرت توصية بذلك من مجلس الشورى (ثانى المجالس النيابية المصرية) فى الثلث الأول من شهر إبريل عام ١٩٩٧

بيبلوجرافية ارشادية

فاروق عبد الجواد شويقة: مدخل الى الأنثروبومتريا. القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨١

———————— : مقدمة فى الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية. القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨٢

———————— : دراسات إيكولوجية فى أفريقيا وحوض النيل. ط٢. القاهرة، دار روتابرت، ١٩٨٦

———————— : الجغرافيا الأنثروبولوجية. القاهرة، مكتبة دار الفكر العربى، ١٩٨٨

Saligman, C.G.: Races of Africa. 4 th. ed. London. Oxford Univ. Press, 1976

Sergi, G.,: The Mediterranean Race; a study of the Origin of European Peoples. The Netherlands, Osterhout N.B., 1967 (After the 7th. English ed. London, 1901)

محمد رياض: الانسان؛ دراسة فى النوع والحضارة. ط٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٤

محمد السيد غلاب: تطور الجنس البشرى. ط٥، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٤

محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥

Murdock, P.G.: Africa; Its Peoples and Their Culture History. New York, Mc-Grow Hill, 1959

الأقاليم المناخية فى أفريقية
فى ضوء تصنيف
(كــيــن)

د . يوسف عبد المجيد فايد

أستاذ الجغرافيا

جامعة القاهرة

القاهرة

١٩٩٧

الاقاليم المناخية فى أفريقية
فى ضوء
تصنيف « كين »

مقدمة

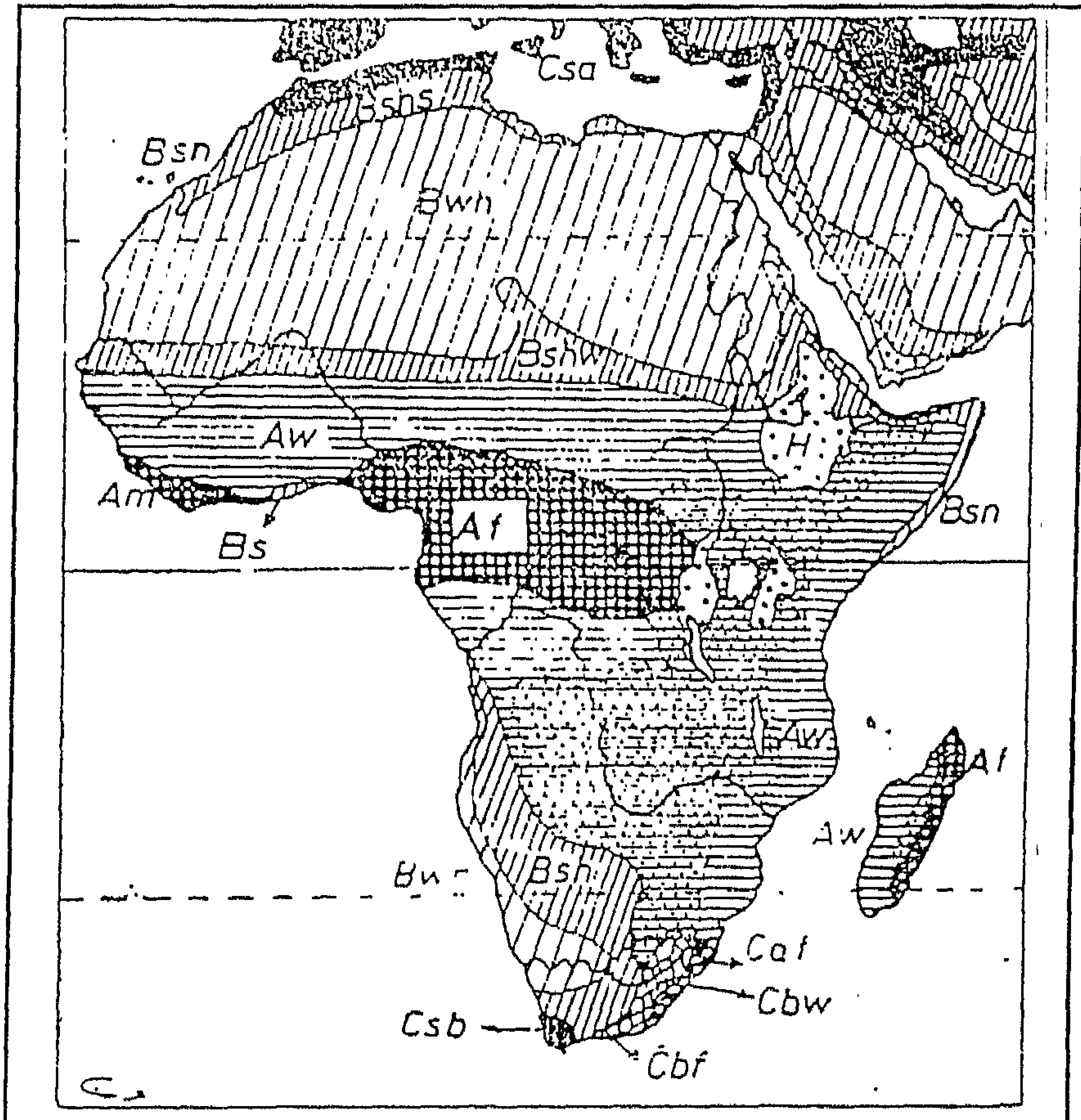
أفريقية من القارات الفريدة فى تركيبها الجغرافى سواء من النواحى الطبيعية أو البشرية، لذلك يقبل الكثيرون على دراستها، وعندا يقومون بتلك الدراسات فانه لايفوتهم أن يشيروا الى ازدواجية الأقاليم الجغرافية سواء كانت أقاليم مناخ أو نبات أو تربة أو غير ذلك شمال خط الأستواء وجنوبه. فالقارة الافريقية يمر فى وسطها خط الاستواء، ويقع نصفها فلكيا شمال خط الاستواء، ويمتد نصفها الآخر الى الجنوب منه وان اختلفت مساحة القسم الشمالى عن القسم الجنوبى بسبب اتساع واضح للقارة الى الشمال من خط الاستواء، وضيق ظاهر الى الجنوب منه، فالاقاليم تتكرر فى ثنائية الى الشمال والجنوب من خط الاستواء، وتصل افريقية فى امتدادها الشمالى والجنوبى الى عروض متساوية تقريبا. هذه الخصائص الجغرافية عامة والمناخية خاصة لاتفوت الدارس لأفريقية، ولايخلو من الاشارة اليها بحث أو كتاب عن هذه القارة.

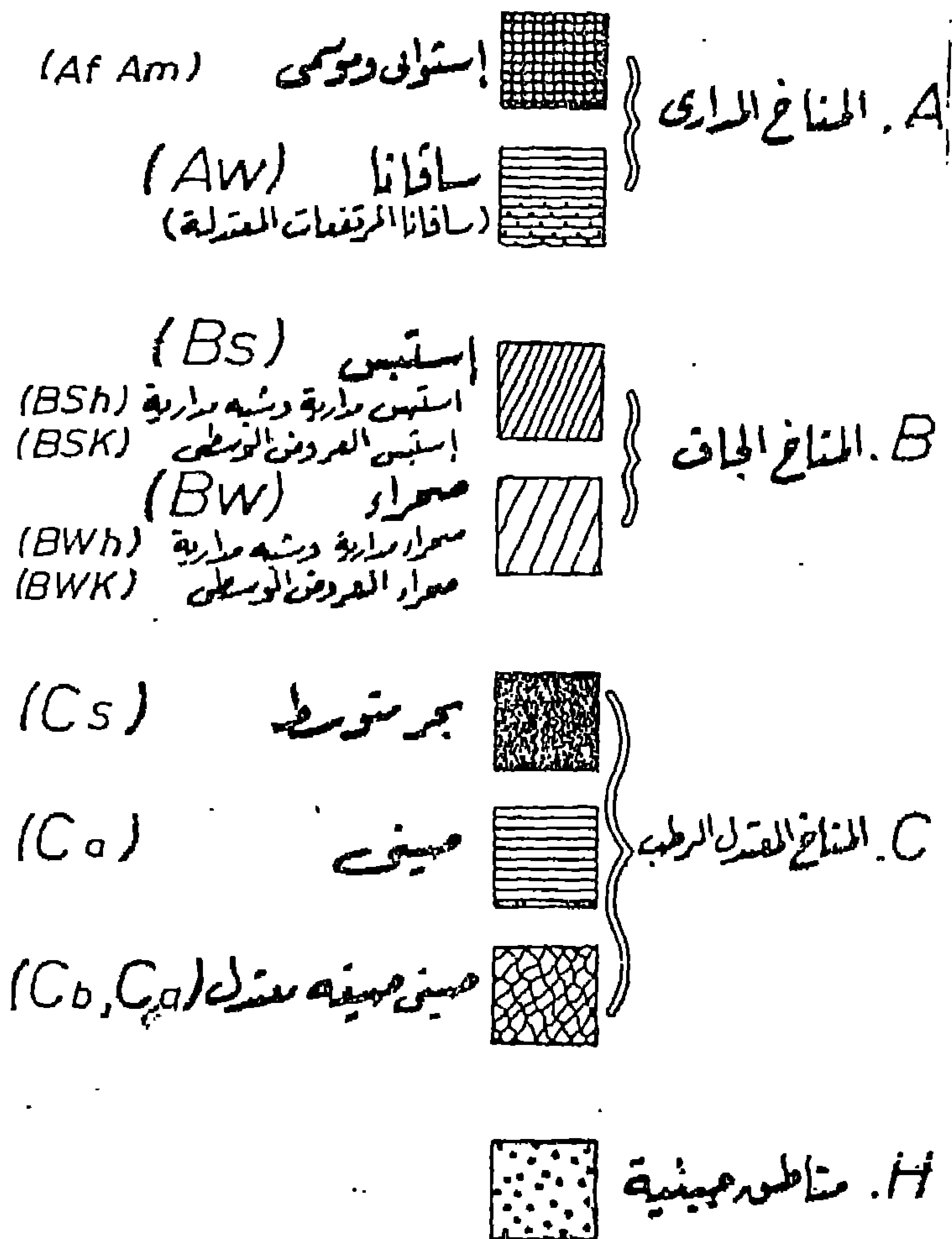
غير أنه من الامور الهامة التى يجب البحث فيها مدى التشابة أو التطابق بين أقاليم الشمال ومسمياتها فى الجنوب، وهل التطابق تام أو غير تام وأسباب الاختلاف بين شقى الاقليم.

وهناك ناحية أخرى وهى أننا درسنا الأقاليم المناخية بمسميات لفظية كأن نقول اقليم البحر المتوسط ونضم فيه مايوجد منه فى شمالى غرب القاهرة وجنوبها الغربى، وتكلمنا عن الجميع على أساس أنهم فى اقليم واحد له خصائص واحدة، فلاشك أننا نكون قد قررنا منذ البداية تجاهل هذه الاختلافات. كما أننا لو درسنا مناخ القارة على أساس سرد كل رقم فان الخصائص الاقليمية لمناخ القارة سوف تضيع في خضم من المحطات والأرقام دون اطار يجمعها.

لذلك فان استخدام أحد التصنيفات المناخية فى تقسيم القارة الافريقية الى أقاليم يصبح أفضل منهج للدراسة المناخية الاقليمية، خصوصا اذا كان هذا التصنيف سهل الاستخدام وشاملا واذا كان يعطى فى نفس الوقت ملامح الاختلافات الاقليمية بين جزءٍ وأخر من أجزاء القارة. وقد اخترنا لهذه الدراسة تصنيف "كين" المعروف، ذلك لأنه من التصنيفات التى كثر استخدامها وأخذ به الكثير من الباحثين. واذا أوضح تصنيف "كين" فى أفريقية الخصائص الرئيسية لمناخ القارة فانه حينئذ يستحق الوقوف عنده واعطائه المزيد من الاهتمام، خصوصا اذا اتفقت أقاليمه فى افريقية مع بعض التوزيعات الجغرافية الأخرى مثل توزيع النبات الطبيعى واستخدامات الأرض.

وسوف نعرض فيما يلى الأقاليم المناخية فى أفريقية طبقا لتصنيف "كين" على أساس الخريطة الواردة فى البحث رقم (١).





المناخ Cs (a,b)

يشار الى هذا الاقليم عادة باسم اقليم البحر المتوسط، وتجد هذا النوع المناخى لذا بدأنا من أقصى شمال القارة الافريقية حيث يحتل الطرف الشمالى الغربى منها، كذلك فى أقصى طرفها الجنوبى الغربى. ويشير "كين" الى القسم

الشمالى من هذا الاقليم فى منطقة بلاد المغرب بالحروف C s a ولكنه يصبح مختلفا فى الطرف الجنوبى الغربى من القارة حيث يشار اليه بالحروف C s a ، وهذا الاختلاف الذى يتعلق بالحرف الأخير يخص حرارة فصل الصيف، اذ أن الصيف فى القسم الجنوبى أقل حرارة من صيف نظيره فى القسم الشمالى من القارة، مع أننا عادة نطلق على النطاقين معا اسم اقليم البحر المتوسط دون تمييز، وهنا تبدو لنا أهمية استخدام التصنيفات التى تعتمد على قيم رقمية احصائية. ورغم أن تصنيف "كبن" ليس من التصنيفات التى تحتوى على تفاصيل كثيرة، الا أنه رغم هذا قد أوضح الاختلاف بين حرارة الصيف فى اقليم البحر المتوسط المغربى، واقليم البحر المتوسط فى منطقة الرأس الجنوبى. وهذا الاختلاف طبقا لتصنيف "كبن" يعتمد على أن حرارة الصيف فى القسم الشمالى من الاقليم تفوق درجة ٢٢ مئوية فى أكثر شهور الصيف حرارة وقد تصل الى أكثر من هذا بكثير، ولكنها لاتنخفض تحت هذا الرقم فى أخر الشهور، وبذلك يكون الصيف فى جملته متميزا بالحرارة المرتفعة، ويميز "كبن" هذه الحالة بالحرف a بينما فى الطرف الجنوبى الغربى من القارة حيث يوجد مايسمى أيضا باقليم البحر المتوسط، فان متوسط حرارة أكثر شهور الصيف قيظا لايصل الى درجة ٢٢ مئوية، وهذا معناه أن الصيف هنا ليس شديد الحرارة وانما يتميز بالاعتدال.

ويشغل اقليم البحر المتوسط ذو الصيف الحار في الشمال الجزء الساحلى من شمالى غرب أفريقية فى المغرب والجزائر وتونس، بينما يشغل اقليم البحر المتوسط ذو الصيف الأكثر اعتدالا جزءا صغيرا فى الطرف الجنوبى الغربى من جمهورية جنوب أفريقية.

أما الحروف الأخرى التى يستخدمها "كبن" لتمييز الاقليم وهى C فتدل على شتاء معتدل غير بارد حيث لاتنخفض الحرارة فى فصل الشتاء فى المتوسط عن -٣° مئوية ولكنها أيضا لاتتعدى ١٨° مئوية. أما حرف S فهو يدل على جفاف صيفى أى فترة المطر الرئيسية هى فصل الشتاء الذى يسقط به وحده مالايقل عن ٧٠٪ من مجموع المطر السنوى.

ويتضح لنا الفرق بين أقليم البحر المتوسط فى شمال غرب أفريقية، وأقليم البحر المتوسط فى جنوب غرب القارة اذا أخذنا مدينة الجزائر كمثال للاقليم الشمالى ومدينة الرأس كمثال للاقليم الجنوبى، فنجد أن درجات حرارة الصيف فى المدينة الأولى تصل الى ٢٥° مئوية فى شهر أغسطس، بينما هى لاتتعدى ٢٠° مئوية فى الثانية فى شهر يناير (١) (الصيف الجنوبى) وهذا يؤيد ماذكرناه من أن هناك اختلافا فى حرارة الصيف بين شطرى اقليم البحر المتوسط فى الشمال والجنوب، يصل هذا الأختلاف الى خمس درجات مئوية بين مدينة الجزائر ومدينة الرأس رغم أنه قد جرت العادة على الاشارة الى النطاقين على أنهما يتبعان اقليما مناخيا واحدا هو اقليم البحر المتوسط.

ويرجع السبب فى هذا الاختلاف فى حرارة الصيف بين شقى اقليم البحر المتوسط الافريقى الى عدة عوامل، أولها التأثير القارى حيث أن الأثر القارى يتمثل بصورة واضحة فى شمال القارة الذى يتميز باتساع اليابس. ويكاد لايظهر تأثيره فى الطرف الجنوبى للقارة حيث يضيق اليابس ويعم الماء.

اما العامل الثانى فهو تأثير التيارات البحرية، فالتيارات البحرية التى تؤثر فى سواحل اقليم البحر المتوسط هى، تيار كناريا بالنسبة للشمال وتيار بنجويلا بالنسبة للجنوب، وقد يقال ان كلا التيارين بارد، غير أن البرودة تختلف فى الدرجة، فتيار كناريا يأتى من جوار سواحل غرب أوربا، وهى وان تكن سواحل أبرد فى مياها من الساحل الافريقى الا أنها سواحل تعرف بدفئها النسبى، ناهيك عن تيار كناريا يؤثر فقط فى الجزء من اقليم البحر المتوسط الذى يطل على المحيط الأطلسى؛ بينما تيار بنجويلا فى نصف الكرة الجنوبى يأتى من مياه مفتوحة على القارة القطبية الجنوبية وهى مياه اشتهرت برودتها الشديدة وبكتل الثلج الطافية التى تصل أحيانا الى العروض الدفيئة، فلاشك أن مياه تيار بنجويلا أكثر برودة من مياه كناريا ويصل الفرق الى أربع أو خمس درجات مئوية على الأقل، ويؤثر تيار بنجويلا البارد فى كل أجزاء اقليم البحر المتوسط فى جنوبى افريقية وذلك بسبب صغر مساحة ذلك الاقليم ولأنه يطل كله على المحيط الاطلسى الجنوبى.

جدول يوضح درجات الحرارة فى مدينتى الجزائر والرأس (مئوى)

المدينة	يناير	فبراير	مارس	ابريل	مايو	يونيه	يوليه	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
الجزائر	١١	١٢	١٤	١٦	١٩	٢٢	٢٥	٢٥	٢٤	٢٠	١٧	١٣
الرأس	٢٠	٢٠	٢٠	١٧	١٥	١٣	١٢	١٣	١٣	١٦	١٧	١٦

أما العامل الثالث الذى يفرق بين مناخ شطرى اقليم البحر المتوسط فى افريقية فهو ظروف الجوار، فاقليم البحر المتوسط الشمالى يجاور اكبر صحراوات العالم وأشد جهات الأرض حرارة فى فصل الصيف، ويتأثر الاقليم تأثرا أكيدا بما ينشأ فى الصحراء الكبرى من أحوال مناخية وما ترسله من موجات ساخنة فى فصل الربيع وأوائل الصيف الى جيرانها فى الشمال، وهى الرياح المحلية الحارة التى اشتهرت بها هذه المنطقة من العالم. ولاشك فى أن أعلى درجات حرارة فى العالم قد سجلت فى أجزاء من الصحراء الكبرى (العزيزية فى ليبيا حيث سجلت درجة حرارة ٥٦,٤° مئوية). وعندما يخرج الهواء فى مقدمة الانخفاضات الجوية التى تمر فوق البحر المتوسط فى الربيع وأوائل الصيف فان هذا الهواء الساخن يصل بدرجات الحرارة فى المنطقة الى مستويات قريبة من تلك التى توجد فى الصحراء الكبرى ذاتها(٢). هذه الحالة لاتوجد بنفس الصورة فى الشق الجنوبى من اقليم البحر المتوسط الافريقى حيث صحراء كلهارى أو صحراء ناميب لاتعرف مثل هذه الحرارة المرتفعة، وحيث لاتوجد مسارات طويلة ومحدودة بوضوح للانخفاضات الجوية فى جنوبى أفريقية، ويرجع ذلك بالطبع الى ضيق اليابس القارى حيث تستدق أفريقية فى طرفها الجنوبى فلا تعطى الفرصة لقيام مثل هذه النظم من الرياح المحلية الساخنة التى تكاد تكون فريدة فى قوتها وانتشارها فى منطقة الصحراء الكبرى والبحر المتوسط، وحتى اذا وجدت رياح ساخنة فى جنوبى أفريقية فهى أقل حرارة وأضيق انتشار وأضعف أثرا من الرياح المحلية الحارة فى نصف القارة الشمالى. ولما كان تصنيف "كبن" قد أظهر هذا الاختلاف بين شطرى اقليم البحر المتوسط فى افريقية منذ البداية، فانه يكون قد أثبت صلاحيته للاستخدام وأن استخدامه فى الدراسات المناخية الاقليمية أدق وأفضل من مجرد اعطاء المسميات التقليدية التى تقوم على الجمع والتعميم دون اظهار للفروق المحلية.

المناخ B W h

ويشار الى هذا الاقليم بالمناخ الصحراوى، وهو الاقليم الذى يتميز بالجفاف بحيث أن كمية الأمطار الساقطة لاتكفى حاجة النبات، وبذلك يكون

هناك دائما عجز فى كمية المياه. واذا أريدت الزراعة فلابد من امدادها بالرى الصناعى. والصحراوات هنا من النوع الحار ويشار لارتفاع حراراتها فى تصنيف "كين" بالحرف h الذى يعنى أن متوسط الحرارة السنوى يفوق ١٨° مئوية.

ويوجد هذا النوع من المناخ في منطقتين وان تشابهتا فى التسمية والوصف العام، فانهما تختلفان اختلافا كبيرا فى القدر والمميزات الخاصة، هاتان هما الصحراء الكبرى فى شمالى القارة، وصحراء ناميب فى جنوبى القارة (مع جزء من صحراء كلهارى).

والصحراء الكبرى من الامتداد والاتساع حتى أنها أعطت اسم الصحراء لبقية مناطق العالم التى تتصف بالجفاف، بينما صحراء ناميب تشغل شريطا صغيرا على الساحل الجنوبى الغربى للقارة. وليست المشكلة الرئيسية هى كبر مساحة الصحراء الكبرى وصغر صحراء ناميب، وانما النقطة الرئيسية هنا هى أن مدلول الصحراء الجافة يستخدم فى الدراسات الجغرافية للصحراوين على قدم المساواة من حيث درجة الجفاف بل ويضم اليهما صحراء كلهارى.

واذا كان تصنيف "كين" قد أوضح منذ البداية أن الصحراء الحقيقية لاتشمل صحراء كلهارى كلها وانما جزء صغير منها يلاصق صحراء ناميب (أنظر شكل١) بينما الصحراء الحقيقية بجفافها المعروف تغطى معظم الصحراء الكبرى، فمعنى هذا أن التصنيف قد نجح فى أول اختبار له بالنسبة للمناخ الصحراوى ومناطق انتشاره فى أفريقية. كذلك أظهر "كين" أن الصحراء الحقيقية لاتشغل سوى جيوب صغيرة فى الصومال فحدد بذلك تعميما شائعا عن الصومال كله عندما توصف أراضيه بأنها صحراوات جافة.

والاختلاف الأساسى بين صحراوات أفريقية وبعضها هو مدى الجفاف فالصحراء تتسع فى شمالى القارة بسبب سيادة أحوال الجفاف بوضوح، بينما تضيق فى الجنوب وفى الشرق بسبب انكماش ظروف الجفاف، ومن المعروف أن الصحراء فى هذه العروض (١٨-٢٠° شمالا وجنوبا فى غربى القارات) تنشأ

نتيجة لوجود مناطق الضغط المرتفع دون المدارية Sib-Tropical anti-cyclones التي مركزها حوالي خط عرض ٣٠ شمالا وجنوبا تقريبا وان كانت تتحرك مع حركة الشمس الظاهرية حوالي عشر درجات عرضية، ويصاحب وجود مناطق الضغط المرتفع هذه هواء هابط في الأجزاء الشرقية من هذه الضغوط. ولما كانت مناطق الضغط المرتفع تتمثل على أشدها وتتصف بصفة الدوام فوق المحيطات (مناطق الضغط المرتفع فوق القارات تتحول الى ضغط منخفض في فصل الصيف بسبب التسخين الشديد لليابس) فان حركة الهواء الهابط تكون أوضح مايمكن في الجزء الشرقي من المحيط أو بمعنى آخر في الجزء الغربي من القارة. والسبب في أن هبوط الهواء يكون أوضح في الجزء الشرقي من المحيط عنه في الغربي منه هو أن دورة الهواء في مناطق الضغط المرتفع تكون مع دورة عقارب الساعة في نصف الكرة الشمالي وضدها في نصف الكرة الجنوبي، فالهواء القادم الى شرق المحيط يكون آتيا من الشمال أو من العروض الباردة (نصف الكرة الشمالي) أو من الجنوب ومن العروض الباردة أيضا (نصف الكرة الجنوبي)، والهواء البارد في غربي القارة يكون ميالا الى الهبوط بسبب ثقله، لذلك تنشأ ظروف صحراوية في شرق المحيطات أو بمعنى آخر في غرب القارات في هذه العروض.

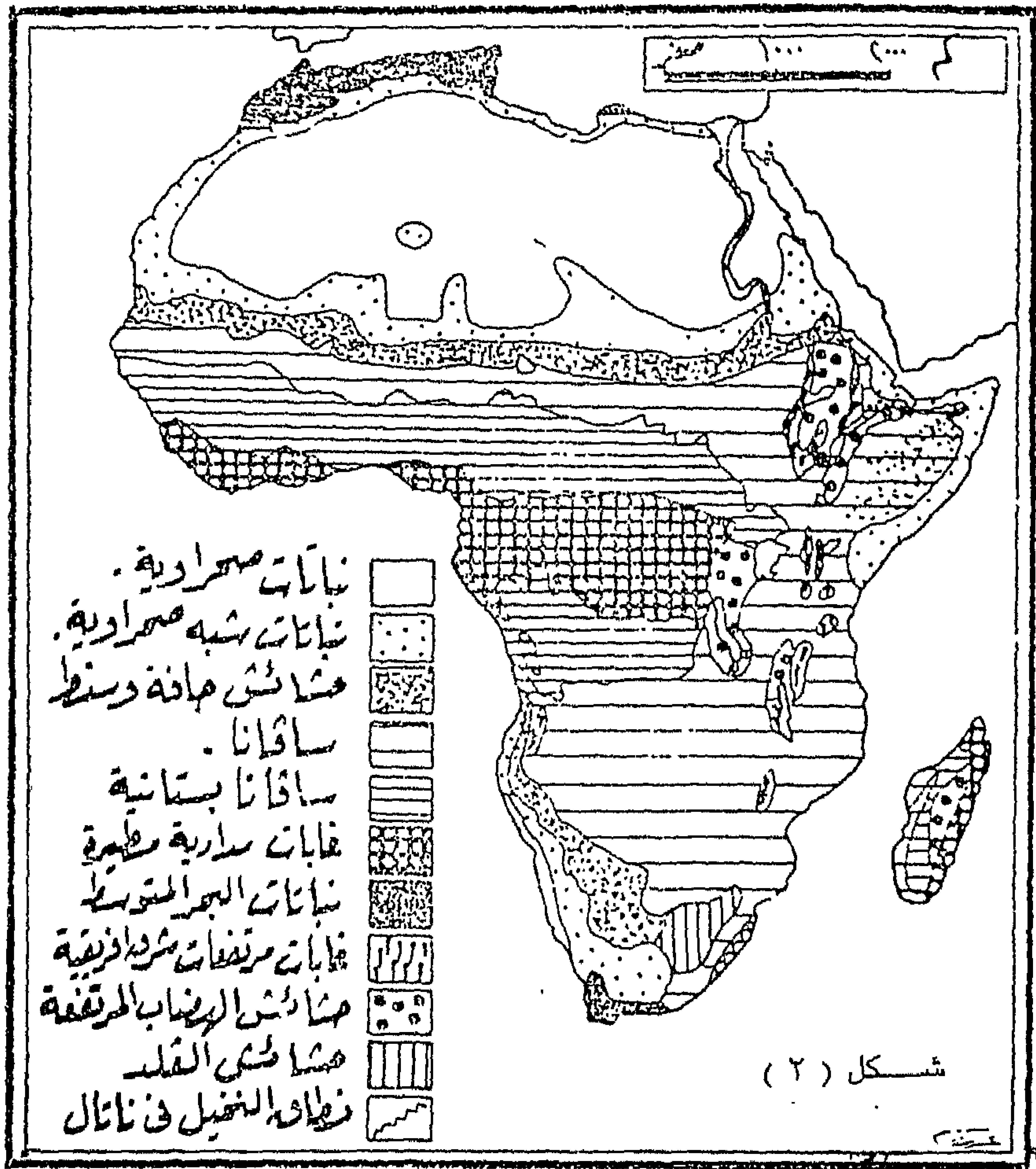
وصحراء ناميب توجد في غرب جنوب أفريقية، ولكن مابال الصحراء الكبرى توجد في غرب وشرق القارة بل ووسطها أيضا. للاجابة على هذا لابد لنا أن نتذكر شكل اليابس الأفرو أسيوي وهو الذي جعل من شمالي أفريقية كلة -من البحر الأحمر شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا- مجرد امتداد غربي لليابس الأسيوي، وبمعنى آخر فان الصحراء الكبرى هي الامتداد الغربي لليابس الأفرو أسيوي وموقعها بهذا الشكل وامتدادها بهذه الصورة أمر طبيعي اذا أضفنا أن اليابس الافريقي يتسع اتساعا فريدا في هذه العروض الجافة.

وهناك عوامل أخرى تساعد على قيام الصحراء في هذه العروض بالاضافة الى العامل الرئيسي الذي ذكرناه. ومن هذه الأسباب وجود التيارات البحرية الباردة مثل تيار كناريا بالنسبة للصحراء الكبرى، وتيار بنجويلا بالنسبة

لصحراء ناميب(٣)، وهذه التيارات الباردة لا تشجع على سقوط المطر لأن الهواء عندما يمر فوق الماء يبرد جزؤه السلفى وينتج عن ذلك تكوين الضباب، ثم اذا دخل هذا الهواء الى اليابس بعد ذلك فانه يسخن ولايسقط مطرا بل على العكس تزداد قابليته لحمل بخار الماء.

وقد أوضح "كين" هذه الصورة عن صحراوات أفريقية من حيث موقعهاوامتدادها وأضاف للأجزاء الساحلية منها الحرف N وهو الدال على وجود الضباب.

واذا أخذنا بعض المحطات المناخية كأمثلة للصحراء الكبرى وصحراء ناميب، فاننا نجد أن مدينة القاهرة تنال ١.٣ بوصة من المطر فى السنة، ومدينة أسوان تكاد لاترى المطر اطلاقا، وفى مدينة بورت نولوث Port Noloth فى صحراء ناميب تصل كمية المطر السنوى الى ٢.٣ بوصة. أما فى صحراء كلهارى فان التباين يبدو واضحا اذا أخذنا مدينة كنهارتKenhardt حيث تصل كمية المطر السنوى الى٨.٥ بوصة، وفى مدينة كيتمانسهوب Keetmanshoop حيث تصل الكمية الى ١.٥ بوصة(٢)، لذلك فان صحراء كلهارى لايصح أن توضع مع الصحراء الكبرى فى اقليم مناخى واحد، وانما هى تتبع فى معظم أجزائها الاقليم شبه الصحراوى B S.



شـــكل (٢)

2. L. Dudley Stamp; Africa, London, 1960, p. 77.

المناخ B S h

ويعرف هذا الاقليم عادة بشبه الصحراء أو أقليم الاستبس، ولاشك أن استخدام حروف "كين" أفضل حتى من الناحية الشكلية من استخدام كلمة استبس أو شبه صحراء ذلك لأن هذه التسميات نباتية وليست مناخية. ويشغل هذا النوع من المناخ حواف الصحراء الحقيقية ولذلك يشار اليه على انه شبه صحراء، ويعطى "كين" هذا الاقليم الحرف B وهو الدال على الجفاف والحرف S وهو الدال على أن درجة الجفاف متوسطة وليست شديدة كما هو الحال فى

الاقليم السابق الذى يستخدم له الحرف W وأول مانلاحظه بخصوص توزيع هذا الاقليم فى افريقية أنه يشغل شريطا ضيقا يحف بالصحراء الكبرى على حدها الشمالى وشريط ضيق أخر يطوقها من الجنوب. ولما كان الاقليم شبة الصحراوى فى النصف الشمالى من أفريقية يتميز بالضيق فمعنى هذا أن الصحراء لحقيقية ذات الجفاف الشديد هى المسيطرة على أقاليم الجفاف فى شمال القارة وهى لاتترك مجالا واسعا أمام الاقليم شبه الجاف ليبسط ظروفه على مساحة كبيرة من المنطقة.

واذا انتقلنا الى جنوب القارة نجد الصورة معكوسة فالصحراء الحقيقية هى التى تشغل الشريط الضيق الممتد على طول الساحل الغربى، بينما تخلى الصحراء مكانها فى الداخل وباتجاه الشرق والجنوب والشمال لشبه الصحراء حيث تخف حدة الجفاف. ومعنى هذا أن موارد المطر فى هذا الجزء من أفريقية تأتى من الشرق حيث المياه الدفيئة فى المحيط الهندى، وحيث لاتوجد مرتفعات عالية تعوق توغل الكتل الهوائية نحو الداخل، اذ أن جبال داركنزبرج وهضبة الكارو ليست بالعوائق التضاريسية المؤثرة فى مناخ المنطقة بدرجة كبيرة. وأفريقية فى عرض شبه الصحراء ضيقة الامتداد ومجاورة لمياه دفيئة فى الشرق بسبب مرور تيار أجولهاس وليس معنى هذا أن الأمطار غزيرة فى القسم الداخلى من جنوبى افريقية، ولكنها من ناحية أخرى ليست نادرة أو معدومة، فهى تكفى لنمو حشائش الاستبس. وتقف صحراء كلهارى فى هذا تناقض واضح مع الصحراء لكبرى حيث ينعدم المؤثر الشرقى تماما بالنسبة للأخيرة، فالاراضى الواقعة الى الشرق من الصحراء الكبرى ليست أحسن حالا من جارتها الافريقية.

وشبه الصحراء فى النصف الشمالى من أفريقية علاوة على ضيقها فهى منحة، اما من اقليم البحر المتوسط الى الشمال من الصحراء حيث المطر شتوى، أو من الاقليم السودانى فى الجنوب حيث المطر صيفى.

ولايقـصـر تصنيف "كين" دون توضـيـح فـصـيلة المطر فى الاقليم B S h وتباين هذه الفصيلة من منطقة لأخرى فيضيف حرف S الصـغير اذا كانت المنطقة شبه الصحراوية ذات مطر شتوى وحرف W الصـغير اذا كان المطر صيفيا. والتصنيف بهذا يعطى الفكرة ملخصة وسريعة.

أما الأحوال المناخية فى منطقة ساحل الصومال فهى أحوال شبه جافة نتيجة لموازاة الساحل لاتجاه الرياح سواء كانت الموسمية الصيفية المتجهة صوب شبه جزيرة الهند فى فصل الصيف وهى رياح تكون فى الأصل جنوبية شرقية ولكنها تصبح جنوبية غربية على أثر عبورها لخط الاستواء، وفى الشتاء يكون اتجاه الرياح الموسمية الشتوية الخارجة من الهند موازيا أيضا لاتجاه الساحل. ويضـاف الى هذا العـامل الرئيـسى الذى يسـبب جـفـاف سـاحل الصومال، عامل آخر وهو وجود مياه باردة نسبيا بجوار الساحل. وتنتج هذه الحالة عن قوة هبوب الرياح الموسمسة خصوصا وأنها تهب موازية للساحل اذ تعمل هذه الرياح القوية على ازاحة المياه السطحية فتحل محلها مياه باردة من أسفل ويطلق على هذه الظاهرة Upweiling ومن المعروف -كما ذكرنا من قبل- أن وجود المياه الباردة لايساعد على سقوط الأمطار.

وتكاد صحراء الصومال تكون فى هذه الظروف شبه الجافة في مثل هذه العروض الاستوائية فى قارة أفريقية، اللهم الا جزءا صغيرا من ساحل غانا حول مدينة أكرا عاصمة جمهورية غانا. وتتجه آراء علماء المناخ الى تفسير ظروف الجفاف حول أكرا بنفس الأسباب التى تفسر بها ظروف الجفاف فى الصومال، وهى موازاة الساحل لاتجاه الرياح السائدة ووجود تضارب فى اتجاه التيارات البحرية فى خليج غانا بين التيار الاستوائى والتيار الاستوائى المعاكس Counter Current ، فالمياه تصطدم بالساحل ثم تدور وتعود فى الاتجاه المضاد، وتؤدى حركة المياه بهذا الشكل الى ازاحة المياه السطحية وظهور المياه السفلية الباردة. وقد ميز "كين" المنطقة المحيطة بمدينة أكرا بالحرفين B S أو شبه الصحراء.

المناخ A w .

وهو مناخ السفانا أو المناخ السودانى ذو المطر الصيفى، ويشغل هذا الاقليم مساحة كبيرة فى أفريقية، اذ يغطى وحده أكثر من نصف مساحة القارة، حتى أن افريقية تسمى احيانا بقارة السفانا. ونشير هنا الى أن السفانا تنتشر فى افريقية على حساب الاقليم المدارى المطير الذى تنكمش مساحته كثيرا فى هذه القارة كما سيرد ذكره فيما بعد.

وتوجد مناطق المناخ A w فى نطاق واسع للغاية الى الجنوب من الاقليم شبه الصحراوى فى شمالى أفريقية ثم يمتد شرقا فيغطى هضاب شرقى القارة مطوقا بذلك الاقليم الاستوائى من ناحية الشرق ومانعا اياه من الامتداد على طول العروض الاستوائية فى الشرق. ثم يمتد الاقليم A w الى الجنوب من الاقليم الاستوائى ويصل فى امتداد حتى الأطراف الجنوبية الشرقية من القارة. ويتمثل هذا النوع المناخى أيضا فى النصف الغربى من جزيرة مدغشقر. وهكذا نجد أن امتداد هذا الاقليم الى الجنوب من خط الاستواء يفوق امتداده الى الشمال من خط الاستواء، وذلك بعكس الاقليم الصحراوى. ويرجع هذا الى أن ظروف الجفاف أقل حدة فى نصف افريقية الجنوبى اذا قورن بنصفها الشمالى. ولاشك أن أحد العوامل التى ساعدت على زيادة انتشار المناخ A w فى أفريقية هو ارتفاع السطح نسبيا فى منطقة شرق القارة مما أتاح الفرصة لنمو الحشائش بدلا من الأشجار.

ومن مميزات تصنيف "كبن" بالنسبة لهذا النوع المناخى هو أنه يعطينا رمزا مناخيا بدلا من استخدام كلمة سفانا وهى تعبير نباتى وليس مناخى، أو استخدام تعبير الأقليم السودانى وما يحمله هذا التعبير من خلط بين الاقليم وبين الدولة التى تحمل نفس الاسم وضرورة التنوية الى الفرقة بينهما كلما استخدمنا هذا الاسم فى الدراسات الجغرافية. أما استخدام الرمز فى تصنيف "كبن" فهو أمر محدد وواضح ولايحتمل الخلط أو التأويل فالحرف A هو للمناخ المدارى حيث درجات الحرارة لاتنخفض عن ١٨ْ مئوية فى أبرد شهور السنة،

والحرف w معناة أن فصل الجفاف هو فصل الشتاء، وأن ٧٠٪ على الأقل من المطر تسقط فى فصل الصيف. والمناخ A w على هذا الأساس يختلف عن مناخيات أخرى فى نفس العروض، فالمدارى الممطر طول العام يميز بالحرف f بدلا من الحرف w أو الموسمى ذو المطر الغزير صيفا يميز بالحرف m.

ومن الملاحظات الأخرى أن الأمر ليس مجرد ضيق للاقليم Aw فى النصف الشمالى من القارة الافريقية، واتساع له فى نصفها الجنوبى، ولكن لما كان الأمر متعلقا بزيادة المطر فى الجنوب وهو العامل الذى أدى فى الواقع الى اتساع رقعة هذا النوع من المناخ على حساب المناخ الصحراوى الجاف، فمعنى هذا أن المناخ A w في جنوبى القارة وبصرف النظر عن مساحته لابد أن يكون أكثر مطرا من نظيره في شمالى القارة. فاذا أخذنا أمثله من الجنوب والشمال نجد أن مدينة جوريه Jores تحصل على ٢٠.٤ بوصة من المطر سنويا، ومدينة كايس Kayes تحصل على ٢٩.١ بوصة، بينما كمية المطر فى مدينة دار السلام تصل الى ٤٥.٣ بوصة، وفى مدينة موزمبيق ٢٩.١ بوصة، وفى موانزا ٤٢.٦ بوصة، وفى مدينة زومبا ٥٤.٢ بوصة، والمحطات الأربعة الأخيرة فى القسم الجنوبى من القارة، وقد يقال أن زيادة المطر فى المحطات الجنوبية ترجع الى ارتفاع سطح الأرض، غير أن معظم هذه المحطات توجد في اراضى منخفضة خاصة دار السلام وموزمبيق اللتان توجدان على الساحل مباشرة فى منطقة السهل الساحلى.

ويعتمد الاقليم Aw فى مطره على سيطرة جبهة الالتقاء المدارية. التى مركزها الأصلى عند خط الاستواء، حيث تلتقى التجاريات الشمالية مع التجاريات الجنوبية دافعة معها الكتل الهوائية المدارية الرطبة، وعلى أثر التقائها ومع عملية التسخين الشديدة تبدأ حركة التصعيد للهواء الساخن الرطب الى طبقات الجو العليا ويسقط المطر (٤). ومركز هذا النظام -كما ذكرنا- هو خط الاستواء، غير أنه يتحرك شمالا فى الصيف الشمالى مع حركة الشمس الظاهرية فيتمركز فوق الاقليم Aw الذى نحن بصدده، وبدلا من حدوث اللقاء بين الكتل الهوائية فوق منطقة خط الاستواء، فإنه يحدث فوق عروض تمتد ما

بين خطي عرض ٨ْ ، ١٨ْ شمالا حيث يسقط المطر. وفى الصيف الجنوبى تتحرك الشمس ظاهريا لتصبح أشعتها عمودية على مدار الجدى، وينتقل النظام معها الى نصف أفريقية الجنوبي، وفى هذه الفترة يسيطر الضغط المنخفض وجبهة الالتقاء المدارية على الاقليم Aw فى جنوب أفريقية ويحدث به ماحدث فى النصف الشمالى خلال صيف الشمال. غير أن الكتل الهوائية عندما تصل الى نصف افريقية الجنوبى تصله وهى أكثر غنى ببخار الماء لأن المسطحات المائية أكثر قربا وأكثر اتساعا، ولذلك كان المطر أغزر فى الجنوب عنه فى الشمال.

وسواء أما الاقليم Aw فى شمالى القارة أو فى جنوبيها فانه يصاب كثيرا بالذبذبة فى كمية أمطاره ومن سنة لأخرى وبصورة صارخة احيانا. ويرجع ذلك الى حركة جبهة الالتقاء المدارية نحو الشمال أو نحو الجنوب، فأحيانا نجد أن هذه الجبهة عندما تتحرك شمالا تصل فقط الى خط عرض ١٠ْ شمالا أو حتى ١٥ْ شمالا، وكلما كانت الجبهة أقوى وكلما كان موقعها الى الشمال أكثر (نصف أفريقية الشمالى) كلما كان مطر الصيف فى الاقليم Aw أعم وأغزر والعكس صحيح، ومثل هذا يقال ولكن بدرجة أخف عن أقليم جنوبى القارة. وقد تصل الذبذبة فى كمية المطر السنوى الى ٥٠٪ أو أكثر. ويذكر لنا الأستاذ ددلى سامب فى كتابه عن افريقية احصائية عن كمية المطر فى احدى محطات غمبيا توضح هذه الحالة التى ذكرناها، ونورد فيما يلى هذه الأرقام للتدليل على مدى الذبذبة فى الاقليم من سنة لأخرى:

السنة	كمية المطر بالبوصة	السنة	كمية المطر بالبوصة
١٩٠١	٤٥	١٩١٠	٤٤
١٩٠٢	٢٩	١٩١١	٢٨
١٩٠٣	٥٧	١٩١٢	٣٤
١٩٠٤	٣٨	١٩١٣	٢٤
١٩٠٥	٦٦	١٩١٤	٤٩
١٩٠٦	٣٤	١٩١٦	٣٨
١٩٠٩	٥٧	١٩١٨	٥٤

ومن هذا الجدول نرى أن كمية المطر السنوى قد انخفضت الى ٢٤ بوصة فى احدى السنوات وهى سنة ١٩١٣، بينما ارتفعت الى ٦٦ فى سنة أخرى وهى سنة ١٩٠٥، والتفاوت بين السنتين كبير للغاية يصل الى ٢٧٥٪.

واذا كان تصنيف "كبن" قد قصر عن اظهار هذه الناحية فان أى تصنيف اخر لايستطيع اظهارها، الا فى حالة واحدة هى تصنيف مثل هذه المحطة على أساس السنوات وليس على أساس المتوسطات، أى أن نقوم بتصنيف المحطة فى سنة ١٩٠٥ وتصنيفها أيضا فى سنة ١٩١٣ بدلا من استخدام رقم واحد هو متوسط عدد من السنين كما يفعل كثير من الدراسين للمناخ(٥)، فالمحطة سالفة الذكر لو صنفت فى سنة ١٩٠٥ طبقا لـ "كبن" فانها تكون Aw اما اذا صنفت فى سنة ١٩١٣ عندما سقطت بها ٢٤ بوصة من المطر فقط فانها تكون BSh أى شبه صحراء، لذلك فانه من المفيد عمل خرائط لمثل هذه الأقاليم تبين توزيع الحدود المناخية فى سنوات الشح وسنوات الفيض.

المناخ C(w,fa,fb)

يعرف هذا المناخ جملة باسم المناخ الصينى، وقبل أن نبدأ فى دراسة هذا الاقليم فى افريقية نشير الى الفرق بين هذا التعميم وبين التفاصيل التى يعطيها "كبن" لأجزائه المختلفة، فالحرف W يعنى أن المطر صيفى وأن الجفاف يقع فى فصل الشتاء، أما الحرف F فيعنى أن المطر يسقط طوال العام، وأما الحرف A وقد ورد من قبل ويقصد به صيف حار، وأخيرا الحرف B ويقصد به الصيف المعتدل.

ويمتد هذا النوع من المناخ فى القسم الجنوبى الشرقى من أفريقية الى الجنوب من المناخ Aw ومواجها في جزء منه لنظام البحر المتوسط الذى يوجد على الجانب الغربى من القارة. والجزء من الاقليم ذو المطر الدائم Cfa, Cfb يشرف على الساحل مباشرة حيث أن هذا الساحل يواجه الكتل الهوائية المدارية الرطبة القادمة من المحيط الهندى، ويميزه "كبن" بالحرف F للتدليل على

أنه رطب حيث لايوجد به فصل جفاف حقيقى، والجزء الشمالى من هذا المناخ الرطب يتميز بصيف حار ولذلك يضاف اليه الحرف A وهنا تفوق درجة الحرارة في فصل الصيف ٢٢° مئوية، ولكنه يتحول الى اقليم ذى صيف معتدل فى قسمه الجنوبى حيث أكثر شهور السنة حرارة لاتصل الى ٢٢° مئوية. والاقليم Cfb فى الطرف الجنوبى الشرقى من القارة شبيه فى هذه الناحية بالاقليم Csb الذى يشغل الطرف الجنوبى الغربى من القارة وهو اقليم البحر المتوسط السالف الذكر، والاختلاف الوحيد بينهما يتعلق بفصلية المطر.

أما القسم الذى يميز بالحروف Cw وهو الاقليم المعتدل ذو المطر الصيفى فيوجد فى الداخل بعيدا عن الساحل. وهذا النوع من المناخ وان كان يحصل على مطره من المؤثرات الشرقية كما هو الحال بالنسبة للنطاق الساحلى، الا أن موقعه الداخلى يجعل مطره أقل من ناحية وقاصرا على فصل الصيف من ناحية أخرى، والمطر الصيفى به يأتى عندما تزداد قوة الكتل الهوائية القادمة من الشرق وتتمكن من الدخول الى الداخل بعد أن تتكون منطقة للضغط المنخفض فوق جنوبى داخل أفريقية فى فصل الصيف الجنوبى، وهذا الضغط المنخفض ما هو الا امتداد للضغط المنخفض الاستوائى الذى يتحرك جنوبا مع حركة الشمس الظاهرية.

واذا نظرنا الى هذا القسم من قارة افريقية نجد أن الأنواع المناخية تتدرج فيه نحو الجفاف كلما اتجهنا من الساحل الشرقى الى الداخل ثم الى الساحل الغربى، فمن الاقليم ذى المطر الدائم F الى الاقليم ذى المطر الصيفى W الى شبه الصحراء BS ثم الى الصحراء.

وفيما يلى جدول يشمل عددا من المحطات التى تبين هذه الاختلافات فى كمية وفصلية المطر فى هذه المنطقة من القارة الافريقية.

مدينة دربان Cfa الحرارة بالمئوى والمطر بالبوصة

الحرارة	٢٥	٢٥.٥	٢٤	٢٢	٢٠	١٨.٥	
	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٤	
المطر	٤.٩	٥.٤	٣.٤	١.٩	١.٢	١.٢	
	١.٧	٣.٢	٥.١	٥	٥.١	٥.١	٤٣.٢

مدينة بلومفنتين Cw

الحرارة	٢٢	٢١	٢٠	١٥.٥	١١	٩	
	٩	١١	١٥	١٧	٢٠	٢٢	
المطر	٣.٨	٢.٣	٣.٦	١.٨	١.١	,٤	
	,٤	,٥	,٩	١.٧	٢.١	٢.٣	٢١.٩

بورت اليزابيث Cfb

الحرارة	٢١	٢١	٢٠	١٩	١٧	١٥	
	١٥	١٥	١٥.٥	١٦.٥	١٨	٢٠	
المطر	١.٢	١.٣	١.٨	١.٩	٢.٤	١.٧	
	١.٩	٢.١	٢.٣	٢.٢	٢	١.٦	٢٢.٤

جوهانسبرج

الحرارة	١٨	١٧	١٦	١٥	١٣	١٠	
	١٠	١٣	١٥	١٦	١٧	١٨	
المطر	٥.٦	٥	٣.٨	١.٣	,٧	,١	
	,٣	,٦	,٩	٢.٧	٥.١	٤.٨	٣٠.٩

ويبدو من هذه المحطات أن دربان ذات مطر موزع على مدار السنة وأن كمية المطر لاتقل فى أى شهر من الشهور عن ١.٢ بوصة، كما أن حراراتها تصل الى أكثر من ٢٥° مئوية فى آخر شهور السنة، وتفوق ٢٢° مئوية فى ستة أشهر، واذا قورنت دربان مع بورت اليزابيث فاننا نجد أنه لاخلاف يذكر في كمية المطر، بينما حرارة الصيف تنخفض بشكل واضح في الأخيرة فلا تتعدى ٢٢° مئوية فى آخر الشهور، وهذا هو الفرق بين النوعين، ويرجع هذا الختلاف الى تأثير خط العرض وأثر المياه الباردة عند الطرف الجنوبى لقارة(٦).

أما المحطات ذات الجفاف الشتوى فقد مثلنا لها بمدينتى بلوممفنتين وجوهانسبرج، ففى جوهانسبرج تنخفض كمية المطر في فصل الشتاء الى ٠,١ من البوصة فى شهر يونيه، بينما ترتفع كمية المطر فى شهر يناير الى ٥,٦ بوصة. كذلك الحال فى بلوممفنتين حيث تنخفض كمية المطر فى شهر يونية الى ٠,٤ من البوصة، وترتفع الى ٣,٨ بوصة فى شهر يناير.

المناخ Am

وهو المناخ الموسمى، وقد يعتقد بعض الدراسين أن تسمية الاقليم الموسمى بهذا الاسم تعتبر كافية للتدليل على وصفة المناخى، غير أن الموسمية -وهى هنا تعنى موسمية المطر- ليست قاصرة على هذا الاقليم بالذات، وانما الموسمية فى المطر توجد فى كل أقاليم العالم التى يسقط مطرها في فصل أو موسم بعينه، لذلك فان هذه التسمية قاصرة وبها شئ من التعميم. وفى تصنيف "كين" فان استخدام الحرف M له دلالة مناخية خاصة وهى أنه يشير الى مطر صيفى من الغزارة بحيث يعوض جفاف الشتاء. لذلك كان فصل الشتاء فى اقليم السفانا وعلى الأخص أواخره من الفترات التى توصف بفصل الجوع وذلك عندما تجف النباتات وينخفض مستوى الجريان السطحى والماء الباطنى وتضعف الحيوانات ويموت بعضها جوعا وعطشا، ويتأثر الانسان بوضوح بهذه الاحوال. مطر الصيف تجعل من جفاف الشتاء عابرا محتملا(٧).

يضع لنا "كين" معادلة يصنف على أساسها المناخ بأنه Am وهى:

$$\text{مطر أجف الشهور} = \frac{\text{المطر السنوى (بالبوصة)}}{٢٥} - ٣,٩٤$$

فاذا كان ناتج المعادلة أكثر من كمية المطر فى أجف شهور السنة فان المناخ يكون Am ، والا فهو شئ أخر. وغنى عن الذكر أن كمية المطر السنوى لابد أن تكون على الأقل ٩٨,٥ بوصة حتى يكون المناخ من النوع M (٨).

وبالنظر الى توزيع الأنواع المناخية فى افريقية فاننا نجد أن المناخ Am يوجد فى جزء صغير منها فى منطقة ساحل غانا، ويدعو هذا الوضع الى التأمل، غير أننا لو تذكرنا أن المناخات غزيرة المطر تتميز فى افريقية بالانكماش، وأن المناخات الجافة تتميز بالاتساع والتعدد وطبقنا هذا على الاقليم Am لأصبح الأمر بالنسبة لضيق مساحته شيئا عاديا، فالمناخ Am كما ذكرنا فى الفقرة السابقة من المناخات المطيرة أو بالأحرى الغزيرة المطر، وهذا وضع غريب على القارة الأفريقية، لذلك ضاق فيها هذا النوع من المناخ. ومن أمثلة المناخ الموسمى فى افريقية مدينة فريتاون فى سيراليون حيث كمية المطر السنوى ١٧٥.٣ بوصة، وبينما تسقط ٣٦.٦ بوصة فى شهر أغسطس وحده، فان الكمية فى شهر يناير لاتتعدى ٠.٤ من البوصة. وفى شهور مايو ويونية ويولية وأغسطس وسبتمبر وأكتوبر -وهى شهور نصف السنة الصيفى- يصل مجموع كمية المطر الى ١٤٤.٨ بوصة أو حوالى ٩٣٪ من كمية المطر السنوى، وهذا يظهر لنا الموسمية الحادة فى هذا الأقليم. ولاننسى أيضا أن الحرف M لايقترن الا بالحرف A وهو الذى يدل على الظروف المدارية من حيث الحرارة .

المناخ Af

وهو المناخ المدارى المطير أو كما يسميه بعض العلماء المناخ الاستوائى وهو النوع الذى تسوده الحرارة المرتفعة ويسقط به المطر الغزير طوال شهور السنة دون فصلية واضحة سواء فى الحرارة أو فى الأمطار. وقد اشترط "كبن" لهذا الاقليم أن تكون حرارة أبرد شهور السنة ١٨° مئوية على الأقل، وأن تكون كمية المطر فى أقل الشهور مطرا٤ .٢ بوصة. وقد تكون الحرارة أعلى من هذا الحد الأدنى، وأن يكون المطر أكثر من ٤ .٢ بوصة فى أي شهر.

والاقليم Af يوجد فى افريقية في اجزاء من حوض الكنغو وأجزاء من ساحل غانا بالقرب من مصب نهر النيجر وامتداد هذه المنطقة نحو الشرق، كذلك يسود هذا النوع المناخى على الساحل الشرقى لجزيرة مدغشقر وهو

الساحل المواجه للكتل الهوائية المحملة ببخار الماء والقادمة من المحيط الهندى. والمناخ Af لايمتد فى شرقى القارة الأفريقية كما هو الحال فى قارة أمريكا الجنوبية أو فى قارة آسيا، وذلك بسبب الارتفاع حيث تقل درجات الحرارة عن الحد المطلوب، وبسبب قلة كمية المطر حيث أن مصدر الرطوبة يأتى من الغرب فى الجزء من أفريقية وذلك على أثر عبور الرياح لخط الاستواء وتغيير اتجاهها من جنوبية شرقية الى جنوبية غربية(٩)، والغريب أن منطقة المجرى الأدنى لنهر الكنغو ومنطقة المصب لاتتبع المناخ Aw حيث أن كمية المطر السنوى فى مدينة بنانا على مصب الكنغو تصل الى ٢٨,٦ بوصة فقط، وتنخفض الكمية الى الصفر فى شهرى يونية ويولية، ولاتتعدى ٠,١ من البوصة فى شهرى أغسطس وسبتمبر. والمنطقة المحيطة بمصب الكنغو تتبع بذلك المناخ AF بل وتقترب من الظروف شبة الصحراوية السائدة فى منطقة الساحل الجنوبى الغربى من القارة. وترجع قلة المطر فى هذا الجزء من حوض الكنغو الى شكل الساحل الغربى لافريقية الى الجنوب من خط الاستواء حيث أن اتجاه الساحل فى هذا الجزء هو نفس اتجاه الرياح السائدة ويساعد على الجفاف أيضا وجود تيار بنجويلا البارد الذى يحمل المياه الباردة الى مناطق قريبة من خط الأستواء عند مصب نهر الكنغو، ووجود هذه المياه الباردة لايساعد على سقوط الأمطار.

والمثال الجيد للمناخ الاستوائى المطير فى افريقية هو مدينة أكاسا عند مصب نهر النيجر حيث أقل شهور السنة مطرا هو شهر يناير وتصل كمية المطر فيه الى ٢,٦ بوصة. أما مدن لولوابورج Luluaburg فى الحوض الأعلى لنهر كاساى، مدينة موباى Mobaie فى الحوض الأوسط لنهر أوبانجى فلا تتعدى كمية المطر السنوى فيهما ٦٠ بوصة، وبهما شهور تنخفض فيها كمية المطر الى أجزاء من البوصة. وتقف هذه المحطات فى تناقض واضح مع المحطات الاستوائية فى القارات الأخرى مثل مدينة بادانج في جزيرة سومطرة حيث تصل كمية المطر السنوى الى ١٧٧,٦ بوصة وحيث أقل شهور السنة مطرا يحظى بكمية تصل الى ٩,٠٩ بوصة. ومدينة سانتوس فى البرازيل وبها كمية المطر السنوى ٧٨,٠٠ بوصة، وكمية المطر فى أقل الشهور ٢,٤ بوصة.

أما الساحل الشرقي لجزيرة مدغشقر فأن له ظروفا مواتية تجعله يتميز بمناخ من نوع Af حيث تصل كمية المطر السنوى في تامتيف Tamatave الي ١٣٠.٩ بوصة، والكمية فى أقل الشهور مطرا تصل الى ٣.٩ بوصة.

ولايفوتنا أن نذكر أن هناك أمثلة فريدة لمحطات مناخية فى الأقليم Af الافريقي رغم هذه الصورة العامة التى قدمناها للاقليم. اذ ان هناك مناطق من هذا الاقليم تتخذ أحيانا كأمثلة لأغزر جهات العالم مطرا وتقف من هذه الناحية فى مصاف تشيرابونجي في شبه القارة الهندية، والسواحل الشمالية لجزيرة هوائى فى المحيط الهادى، تلك هى مرتفعات الكمرون حيث تصل كمية المطر السنوى في مدينة دوالا Duala الى ٤١٢ بوصة، وفي شهر واحد وهو شهر سبتمبر تسقط ٦٥.٢ بوصة وبدانيه فى هذا تقريبا شهور يونية ويولية وأغسطس.

خاتمة

فى نهاية هذا البحث نود أن نوضح أن دراسة مناخ القارة الافريقية تظهر خصائص خاصة بهذه القارة تميزها عن غيرها من القارات وأن تساوت العروض، فمن ازدواجية توزيع الأقاليم فى لشمال والجنوب من خط الاستواء، الى التباين الكبير بين أقليم الشمال وأقاليم الجنوب وان تشابهت الأسماء، ويسهل الأمر كثيرا استخدام أحد التصنيفات المناخية فى رسم الصورة المناخية للقارة، فالأسماء المناخية أو النباتية لاتعطى أيه فكرة عن الفوارق المناخية بين أقليم واقليم، أما استخدام تصنيف مناخى يعتمد على الأرقام فانه يوضح لنا خصائص كل اقليم على حدة.

ويكفى أن ننهى هذا البحث بمقارنة خريطة الأقاليم المناخية فى افريقية (شكل١) طبقا لتصنيف "كبن" مع خريطة بها بعض الحدود النباتية ذات الدلالة الهامة (شكل٢) مثل حدود نمو شجرة نخيل الزيت وهى شجرة مدارية تنمو فى المناطق المطيرة، وحدود نمو شجرة الباوباب وهى أيضا شجرة مدارية ولكنها تنمو فى الماطق ذات المطر الصيفى المحدود، وحدود نمو شجرة نخيل البلح وهى شجرة مدارية تنمو فى المناطق ذات المطر القليل النادر، فمقارنة هذة الحدود مع الحدود المناخية للأقليم Af ذو المطر الغزير، والأقليم Aw ذو المطر الصيفى المحدود، وحدود الاقليم B وهو الاقليم ذو المطر القليل والنادر تظهر مدى فائدة استخدام خريطة "كبن" فى التوزيعات المناخية الاقليمية.

ولاشك أن الصورة تكتمل تماما اذا قارنا بين أقاليم "كبن" في افريقية وبين الخريطة النباتية للقارة (شكل ٢). هذه المقارنات توضح لنا مدى أهمية استخدام خريطة مناخية جيدة التوزيع وواضحة الحدود والمعالم فى الدراسات الجغرافية عن هذه القارة.

الهوامش

1- Walter Fitzgerald; Africa, 1961, London, p. 61.

2- Kendrew, W.G., The Climates of the Continentes, 2nd ed. Oxford, 1961, pp. 29 - 146.

3- Henry M.Kendall and Others; Introduction to Geograophy, 2nd ed. New York, 1958, p. 139.

4- Verner C. Finch and Others, "Elements of Geography," New York, 1957, p. 139.

٥ ـ من المعتقدات السائدة بين كثير من الدارسين المناخ أن استخدام المتوسطات المناخية لمدة ٢٥ عاما يضع الباحث فى موضع الامان، وهذا الاعتقاد يجانبه الصواب اذا أن المتوسطات المناخية عبارة عن مقبرة تدفن فيها الاختلافات بين سنة وأخرى، وقد تكون هذه الاختلافات أو هى فعلا أهم بكثير للبحث العلمى من دراسة المتوسطات.

6- Monica M. Cole, "South Africa," London, Methuen and Co. Ltd., 1966, p. 32.

7- BrookS, C.E.P., "The Rainfall of Nigeria and The Gold Coast, Quart. Journ. R. Met. Soc. 1916

٨ ـ اذاكانت كمية المطر السنوى ٩٨.٥ بوصة فإن الناتج من المعادلة سيكون صفر وهو أقل ما يمكن، أما قل المطر السنوي عن ٩٨.٥ فإن ناتج المعادلة سيكون بالسالب وهو غير جائز

$$\left(\frac{98.5}{25} - 3.94 = 0 \right)$$

(٩٨.٥ / ٢٥ -٣.٩٤= صفر).

9- W.B. Morgan and J.C. Pugh, "West Africa" Methuen & Co. Ltd., London, 1969. pp. 176 - 217.

ماذا بعد الجفاف فى إفريقية

د . يوسف عبد المجيد فايد

أستاذ الجغرافيا

جامعة القاهرة

القاهرة

١٩٩٧

ماذا بعد الجفاف فى إفريقية

مقدمة :

أصاب النطاق شبه الصحراوى فى أفريقية - وهو النطاق الواقع بين الاقليم الصحراوى من ناحية واقليم السفانا من ناحية أخرى - جفاف حاد خلال العقدين الأخيرين مما أدى الى تدهور أحوال الحياة النباتية والحيوانية ومن ثم الحياة البشرية فى الأقليم بشكل كبير. ومن المعروف أن هذا النطاق تتروا ح كميات المطر به ١٠، ٢٠ بوصة فى السنة، غير أنه قد تمر سنوات عديدة يقل فيها المطر الساقط عن المعدل المعروف بكثير، وقد تجئ سنوات أيضا تسقط فيها كميات كبيرة غير متوقعة من الأمطار التى تأخذ شكل الرخات الغزيرة المفاجئة التى تفرق المعدلات المعروفة (كما حدث هذا العام ١٩٨٨). فالأقليم بهذه الصورة يتأرجح بين النطاق المطير الى جنوبه والنطاق الصحراوى الى شماله مما يجعله عرضه للأخطار المتلاحقة سواء كانت أخطار الجفاف كما حدث فى السنوات الأخيرة، أو أخطار السيول والفيضانات كما حدث أخيرا. وقد أصبح هذا الأقليم محط أنظار الدارسين، لذلك رأينا أن نلقى الضوء على بعض جوانب هذه المشكلة بطريقة غير تقليدية وأن نتطرق الى الإجابة على بعض التساؤلات التى كثيرا ما تثار حول هذا الموضوع.

ماهو الجفاف :

لابد أولا من التفرقة بين الجفاف والمجاعة وقلة المطر، حيث أن الكثيرين يخلطون بينها، أو على الأقل يعتقدون أن الواحدة منها تؤدى الى الأخرى بصورة مباشرة، وهذا أعتقاد غير دقيق. فقد يقل المطر ولكن لايسود الجفاف، وقد يوجد الجفاف ولكن لا تعم المجاعة. فالمطر ينقص ويزداد من سنة لأخرى فى كل جهات العالم، ولا يوجد مكان على سطح الكرة الأرضية تسقط فيه كميات متساوية من الأمطار من سنة لأخرى. غير أنه من المعروف أن الأقاليم قليلة المطر تزداد فيها درجة الذبذبة فى كمياته من سنة لأخرى.

والأقاليم الأكثر ذبذبة في كمية الأمطار هى المناطق الهامشية الواقعة بين الأقاليم شبه الجافة والأقاليم الجافة، ذلك لأن ظروفها تتبع الأقاليم شبه الجافة في بعض السنوات، وتتبع الأقاليم الجافة في سنوات أخرى. فإذا استمرت أحوال الجفاف هى السائدة لعدة سنوات متتالية أو متقاربة فإن الأمور تسوء لدرجة كبيرة خصوصا وأن هذه المناطق قد تعودت على أن تحصل على أمطار الأقليم شبه الجاف في بعض السنوات على الأقل وبحسب قوانين الأحتمالية بنسبة ٥٠٪.

غير أنه على كل الأحوال لا بد أن نفرق بين قلة المطر أو انحباس المطر وبين الجفاف وبين المجاعة، فقلة المطر شئ واضح ويعرف مباشرة من مقاييس المطر التى توجد فى محطات الأرصاد الجوية، ومن مقارنة هذه الكميات من سنة لأخرى فى المكان الواحد نستطيع أن نقول أن المطر فى سنة ما أو فى عدد من السنين أقل من المعتاد أو أكثر من المعتاد، ويقصد بالمعتاد هنا متوسط كمية المطر التى تسقط. والمتوسط يؤخذ من أرقام عدد السنين اتفق بين المشتغلين بالدراسات المناخية أن يكون ٣٥ سنة.

غير أن قلة الأمطار لاتؤدى بالضرورة الى الجفاف، فهناك عوامل عديدة تساعد على حدوث الجاف أو عدم حدوثه. فمثلا اذا كانت الحرارة مرتفعة فى وقت سقوط الأمطار ساعد هذا على إحتمال حدوث الجفاف لأن سقوط الأمطار فى فصل الحرارة المرتفعة يؤدى الى تبخر جزء كبير من الأمطار الساقطة ومعنى هذا أيضاً زيادة المتبخر فى الأقاليم الحارة عنها فى الأقاليم المعتدلة والباردة. كما أن مسامية التربة وشدة انحدار سطح الأرض يساعدان على قلة فاعلية المطر وقلة انتفادة النبات والحيوان والإنسان من الأمطار الساقطة وبالتالى حدوث الجفاف.

أما المجاعة أو القحط فهو تعبير إقتصادى يدل على أن انتاج المواد الغذائية يقل عن الوفاء بحاجة السكان، كما أن هؤلاء السكان لا يملكون القدرة المالية على شراء حاجاتهم من المواد الغذائية من مناطق أخرى لتعويض النقص

فى الغذاء، أى لا توجد لديهم بدائل للإنتاج النباتى والحيوانى. فإذا قل الناتج من هذه المواد الغذائية عانت هذه المناطق وعم القحط.

ومعنى هذا أنه من الممكن أن يقل المطر فى بعض جهات العالم ولكن هذا لا يؤدى الى الجفاف، كما أنه من الممكن أن يحدث الجفاف ولكنه لا يفضى الى المجاعة.

وحالة الجفاف اذا هى بمعنى أخر انخفاض فاعلية المطر وليست فقط قلة كمية. ومن أكثر علماء المناخ الذين اهتموا بموضوع فاعلية المطر هو العالم الأمريكى وارن ثورنثويت فى تصنيفه المناخى الشهير الذى نشره عام ١٩٤٨. وتقوم الفكرة الأساسية لتصنيف ثورنيثويت على استخراج قيمة أطلق عليها طاقة التبخر والنتح Potenetial evapotranspiration وهو يستخرجها كقيمة شهرية معتمدا على درجات الحرارة وعلى نوع التربة، وهذه القيمة هى اللازمة لنمو النبات بحالة جيدة، واذا قورنت هذه الكمية بالكمية الفعلية للمطر التى تسقط فى المكان فاننا نحصل على قيم بالزائد اذا كان المطر الساقط أكثر من الـ PE أو بالسالب اذا كان المطر الساقط فعلا أقل من قيمة التبخر والنتح. بجمع القيم الموجبة نحصل على معامل الرطوبة، وبجمع القيم السالبة نصل على معامل الجفاف. ثم يقوم ثورنتويت بإدخال هذين المعاملين مع قيمة طاقة المتبخر النتح فى معادلة لإستخراج قيمة جديدة $\frac{S \times 100 - D \times 60}{PE}$ تعطينا فكرة عن طبيعة الأقليم من حيث كفاية المطر به أو عدم كفايتها (١).

هل الجفاف دورى :

من الأسئلة الهامة أيضا، هل الجفاف يحدث فى دورات، وهل هى دروات منتظمة أى كل ثلاث سنوات أو كل خمس سنوات أو كل سبع سنوات أو كل أحدى عشرة سنة أو كل خمسة وثلاثين سنة. وهنا لابد أن نفرق بين الجفاف الذى يحدث فى دورات طويلة تقاس بالآف أو ملايين السنين وبين الجفاف الذى نحن بصدده هنا. حيث أن هناك خلطا بينهما أحيانا خاصة لدى غير

المتخصصين من الجمهور العام الذى اذا مرت به عدة سنوات ذات مطر قليل تسرع فى القول أننا تركنا عصراً مطيراً ونتجه الى عصر جفاف على سياق ما حدث فى عصر البليستوسين. وبالمثل اذا جاءت عدة سنوات باردة اذا بالبعض يقول اننا مقبلون على عصر جليدى آخر يضاهى الفترات الجليدية التى مر بها العالم فى البليستوسين. غير أن الخطأ فى هذا التنبؤ يكمن فى أن البعض يقرن بين متناقضين هما الاتجاه الى فترة جليدية وشيكة الحدوث وفى نفس الوقت فترة جافة، رغم ما هو معروف أن الفترات الجليدية كانت مقرونة فى الغالب بفترات فى العروض الدنيا من الكرة الأرضية.

وعلى أية حال ورغم أنه لم يثبت ولا يمكن أن يثبت دون أرصاد عدة سنوات أن هناك فترة جليد أو فترة جفاف، فإن هناك فرقاً كبيراً بين الجفاف على مستوى العصور الجيولوجية ودوراته الطويلة على مدى آلاف السنين وبين الجفاف الذى نشاهده فى أقليم الساحل فى قارة إفريقية فى السنوات الأخيرة.

ولابد أن نقرر هنا أن موجات الجفاف الأخيرة فى افريقية وان أخذت صفة الدورية إلا أنها ليست بالتأكيد دورات منتظمة. كما أنها ليست ذات أطوال محددة بالضبط. فقد يكون الجفاف لسنة واحدة أو اثنتين أو ثلاثة أو غير ذلك. ومن الطبيعى أن يميل الدارس لهذه الظاهرة لى الوصول الى دورات جفاف ودورات مطر واضحة ومحددة ومنتظمة لأسباب متعددة، أولها وهو شئ لا يخفى على أحد أن هذا شئ مستحب يسهل عملية التنبوء بفترات المطر وفترات الجفاف وما يترتب على هذه المعرفة من استعدادات لكل منها.

وربما يرجع هذا أيضا الى التأثير بما ورد فى القرآن الكريم عن السنوات السبع العجاف والسنوات السبع السمان التى حدثت فى أيام سيدنا يوسف عليه السلام. غير أن ما حدث فى عصر يوسف عليه السلام ليس بالضرورة أن يحدث بنفس الصورة مرة أخرى وليس هناك ذكر لإمكانية حدوثه بنفس الصورة أو المدة فى القرآن الكريم، ولكنها حادثة لها دلالتها فى ذلك الحين ولها أيضا دلالتها المناخية وما صحب ذلك ويصاحبه حتى الآن من توسع وإنكماش فى

مساحة وإنتاجية المحاصيل الزراعية. غير أن ما يجب أن نسلم به أن الذبذبة تحدث ولكن ليس بالضرورة كل سبع سنوات فالأرصاد الحالية لم تثبت لنا هذا رغم حدوثه بهذه الصورة فى الماضى فى حادثة محددة بالذات.

هل أسباب الجفاف طبيعية أو بشرية :

يعد الإنسان - من خلال أنماط استحدامه للأرض بل ومن خلال استخدامه لكافة عناصر البيئة بما فيها الغلاف الجوى - سببا قويا وراء ما يتهدد الأنظمة البيئية من أخطار. لكل نظام بيئى طاقة أو حمولة، اذا ما زاد الضغط عليها، وهو ما يعبر عنه بالإستخدام الجائر أو الزائد، كلما حدث خراب لهذا النظام.

ولا شك أن بداية أحوال الجفاف فى اقليم الساحل فى افريقية ترجع لأسباب مناخية أى طبيعية متمثلة فى قلة المطر أو ما يعرف عادة بانحباس المطر عن معدلاته المعهودة، وقد انخفضت كميات المطر السنوى فى هذا الاقليم فى بعض السنوات الى النصف أو أقل ومن موجات قلة المطر الشهيرة فى القرن العشرين :

١ - من ١٩١٢ الى ١٩١٥

٢ - من ١٩٢٣ الى ١٩٢٧

٣ - من ١٩٣٩ الى ١٩٩٥

٤ - من ١٩٦٨ الى ١٩٧٣

كما أنه قد وردت فى الكتابات التاريخية أخبار عن سنوات جفاف أخرى فكانت ٦٥٠ ميلادية، ٦٥٣ ، ٦٧٨، ١٠٦٧، ١٠٧٤ من السنوات الشحيحة المطر.

وكما تعد الذبذبات المناخية شيئا عاديا حدث وتكرر فى الماضى البعيد والقريب وما زالت تحدث فى الحاضر، فرن الإنسان قد زاد من حدتها وتفاقمها خلال السنين الأخيرة وذلك بالإستخدام السئ لموارد بيئية محدودة العطاء، حيث

أن التـوازن البـيـئى Eco - equilbrium ينبع أسـاسـا من الأنشطة التى يزاولها الإنسـان وأنماط استخدامه للأرض. وقد ظهرت مشكلة الجفاف بوضوح مع ازدياد هذا الاستغلال فوق طاقة البيئة الطبيعية، وقد تمثل هذا الاستخدام الزائد فى التوسع العمرانى وتطور استخدام الآلات والتوسع الزراعى فى أقاليم هامشية لا تكفى موارد المياه فيها بالتوسع الزراعى وكذلك فى تقطيع الأشجار وزيادة أعداد الحيوانات وما يصاحب هذا من الرعى الجائر.

وقد كان لإدخال محاصيل جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل القطن والآرز وهى محـاصيل تحتـاج الى كـميات كبيـرة من المياه، وكذلك أعداد الحـيوانات وتركزها حول الآبار. وازالة الأشجار والشجيرات التى تنمو طبيعياً، كان لكل هذا آثار سيئة على انهيار التوازن البيئ فى الاقليم. ولا شك أن أى خلل ولو بسـيط فى التـوازن البـيئ فى مـثل هذا الاقليم يؤدى الى آثار بالغة الخطورة بسبب المستوى التكنولوجى والإجتماعى والإقتصادى لسكانه الذين يصنفون مع الدول النامية أو دول الجنوب.

وفيما يلى بيان بتطور أعداد السكان وأعداد الحيوانات فى مناطق افريقية الجافة وغير الجافة فى الفترة من ١٩٥٠ الى ١٩٧٤ :[٢].

أعداد السكان (بالمليون)

	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٤
افريقية الجافة	١٦٢	٢٠٤	٢٢٦	٢٥٨	٢٨٨
افريقية غير الجافة	٥٥	٧٠	٧٧	٨٧	٩٦

أعداد الحيوانات (بالمائة وحدة حيوانية) :

	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٤
افريقية الجافة	١١٤	١٤٥	١٦٤	١٩١	١٨٤
افريقية الغير جافة	٣٥	٣٩	٤١	٤٢	٤١

ومصر تتأثر بموجات قلة المطر التى تحدث فى اقليم الساحل فى افريقية من خلال مستوى الفيضان، وقد اتضح هذا فى مستوى بحيرة ناصر ابتداء من عام ١٩٧٩ عندما بدأ السحب منها بكمية كبيرة لتعويض المستوى المنخفض للفيضان، وان كانت هناك سنوات فيضانها فوق المتوسط مثل موسم ١٩٨١/ ١٩٨٢، ١٩٨٥/١٩٨٦. وقد وصل الرصيد الحى (٣) فى بحيرة السد العالى عام ١٩٨٧ الى ٢٥ مليار متر مكعب من المياه. وقد بدأ المخزون فى بحيرة السد العالى يزداد مع وصول فيضان ١٩٨٨ الذى وصل مبكراً (أواخر يولية حيث تصل مياه الفيضان عادة فى أغسطس)، كما أن الدلائل تشير الى أنه فوق المتوسط أو عالى، وسوف يؤدى هذا الى زيادة رصيد البحيرة ودرأ خطر قلة المياه بعض الشئ.

بحث فى ديناميـة سقوط المطر فى اقليم الساحل فى افريقية :

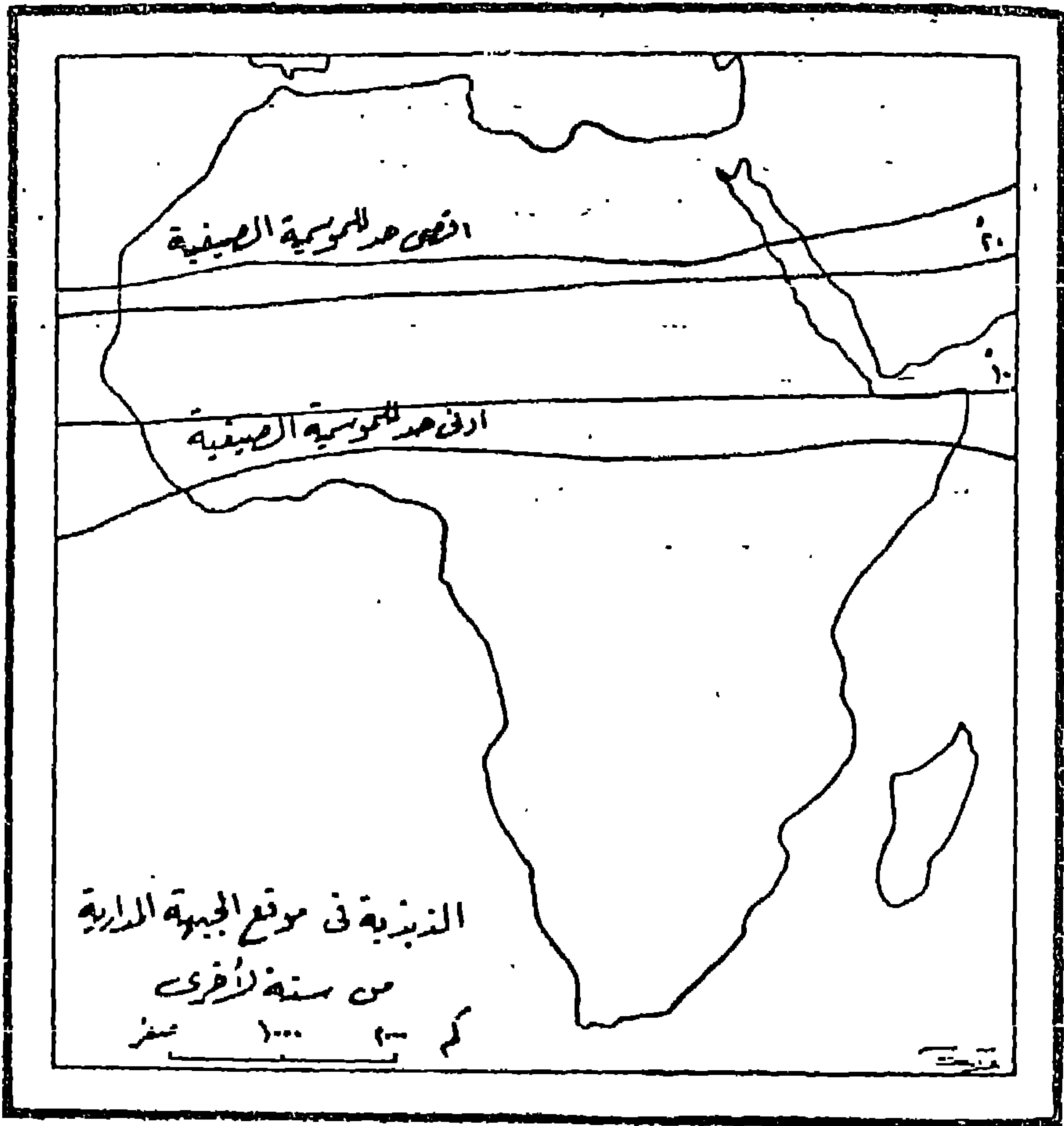
قد يتساءل المرء لماذا يقل سقوط المطر فى بعض السنوات فى اقليم الساحل؟ والرد على هذا السؤال لابد أن نعرف عدة أمور هى أن مصدر المطر هو بخار الماء الذى يتبخر من المسطحات المائية ثم ينقله الهواء من مكان لآخر ثم يدخل فى عمليات ميكانيكية وغير ميكانيكية تؤدى الى تبريد هذا الهواء والوصول بحرارته الى نقطة الندى ومن ثم حدوث التكاثف وسقوط المطر. ومعنى هذا أن سقوط المطر يرتبط بعمليات ثلاث أولها التبخر وثانيها نقل بخار الماء من مناطق تبخره الى مناطق تكثفه وسقوطه كأمطار وثالثها العمليات التى تؤدى الى حدوث التكاثف. وعلى هذا الأساس فرن نقص المطر يكون سببه قصور فى احدى هذه العمليات الثلاث أو فى أكثر من عملية.

فاذا نظرنا الى العملية الأولى وهى عملية التبخر نجد أنها تتأثر أساسا بدرجة الحرارة فكلما ارتفعت درجات الحرارة زاد التبخر والعكس صحيح. وقد كثر الحديث عن تغيرات فى درجات الحرارة التى تصل الى الأرض نتيجة لظهور البقع الشمسية أو الكلف الشمسى مما يؤدى الى تقليل قوة الأشعة الشمسية مما ينتج عن ذلك من خفض لدرجات الحرارة ومن ثم تقليل كمية المياه

المتبخرة. كذلك ذكر تأثير ثوران البراكين وما تخرجه هذه البراكين من دمار وأجسام صلبة تعمل على حجب جزء من الاشعاع الشمسى وحرمان الأرض منه مما يعمل على تقليل الحرارة ونقص التبخر. غير أن هذه العوامل لو صح تأثيرها على الحرارة والتبخر لأدت الى تقليل التبخر فى جهات العالم كلها وقلة المطر فى كل الأقاليم وليس فى اقليم الساحل فى افريقية وحده دون سائر الأقاليم التى نسمع عن حدوث فيضانات مدمرة فى بعضها مثل الهند وجنوب شرق أسيا وغرب أوربا وغيرها.

أما العملية الثانية وهى قوة الرياح التى تحمل بخار الماء من مناطق تبخره الى مناطق تكاثفه فإننا نعلم أنه كلما اشتدت قوة الرياح كلما كان هذا فى غير صالح سقوط المطر. ونقصد بقوة الرياح وضعفها هنا الرياح المتبادلة بين العروض المختلفة. اذ المعروف أن المناطق المدارية تزداد فيها الحرارة عن العروض العليا والوسطى. وتحاول الطبيعة أن توجد نوعا من التوازن فى درجات الحرارة ويتم هذا بواسطة الرياح التى تتحرك من المناطق الحارة الى الباردة ناقلة للحرارة، أو من المناطق الباردة الى الحارة ماقلة للبرودة، وأيضا ناقلة للرطوبة من مكان لآخر، وتسمى أجزاء الهواء المتحركة من مناطقها الى مناطق أخرى - حاملة لخصائص حرارية معينة ودرجات من الرطوبة - بالكتل الهوائى. ومرة أخرى نقول أن أى تغير فى خصائص هذه الكتل الهوائية أو فى حركتها من المفروض أن يشمل أقاليم أخرى فى العالم وليس اقليم الساحل الافريقى بالذات.

وهنا نأتى الى النقطة الثالثة وهى العمليات التى تؤدى الى تبريد الهواء ومن ثم حدوث التكاثف وسقوط الأمطار. ومن المعروف أن المطر يسقط فى اقليم الساحل فى افريقية صيفا نتيجة لوصول جبهة الالتقاء المدارية ITC الى هذا العروض. والجبهة المدارية تتحرك شمالا فى شهور الصيف الشمالية مع حركة الشمس الظاهرية للتعامد على مدار السرطان. وتصل الجبهة المدارية الى قرب خط عرض ١٠ شمالا فى هذا الفصل وعندها تلتقى الكتل الهوائية الشمالية مع الكتل الهوائية الجنوبية، والأخيرة تكون قادمة من فوق المحيط الهندى والأطلسى الجنوبى وتكون محملة ببخار الماء، وعلى



أثر الالتقاء وبسبب عمليات التسخين للهواء المدارى الرطب تتم عمليات التصعيد والتبريد والتكاثف وسقوط الأمطار. والجبهة المدارية التى يحدث عندها التصعيد وسقوط الأمطار عبارة عن نطاق عريض يصل الى بضعة مئات الكيلومترات ولايسير فى نطاق مستقيم بل يتعرج شمالا وجنوبا كما أنه يتحرك شمالا وجنوبا بعض الشئ من يوم لآخر حسب قوة الكتل الهوائية القادمة من الشمال والتى تدفعه جنوبا بعض الشئ، أو القادمة من الجنوب والتى تدفعه جنوبا بعض الشئ، أو القادمة من الجنوب والتى تدفعه شمالا بعض الشئ، لذلك قد تصل الجبهة فى بعض أجزائها الى خط عرض ١٥ شمالا أو أكثر وقد

تصل جنوبا الى خط عرض ٨ شمالا أو مادون ذلك[٤]. ويؤثر موقع الجبهة وقوتها على كميات المطر الساقطة فالأمطار تسقط فى الأجزاء التى تقع فى نطاق الجبهة ولا تسقط فى الأجزاء التى تقع الى شمالها. كما أن المطر تتوقف كميته على مدى غنى الهواء الجنوبى ببخار الماء. ويظل الوضع كذلك حتى تبدأ حركة الشمس الظاهرية فى طريقها الى خط الاستواء فى شهر سبتمبر والى مدار الجدى بعد ذلك فتتحرك الجبهة المدارية الى جنوب خط الاستواء وتتلاشى الأوضاع التى تؤدى الى سقوط المطر فى أقليم الساحل ويحل فصل الجفاف.

ومن الواضح أن سنوات قلة المطر فى اقليم هى السنوات التى يكون فيها موقع الجبهة المدارية جنوبى على غير العادة، أو التى تكون فيها حمولة الكتل الهوائية الجنوبية من بخار الماء محدودة. وللأسف لم نستطيع حتى الآن تفسير هذه الأوضاع التى تحدث فى بعض السنوات دون غيرها.

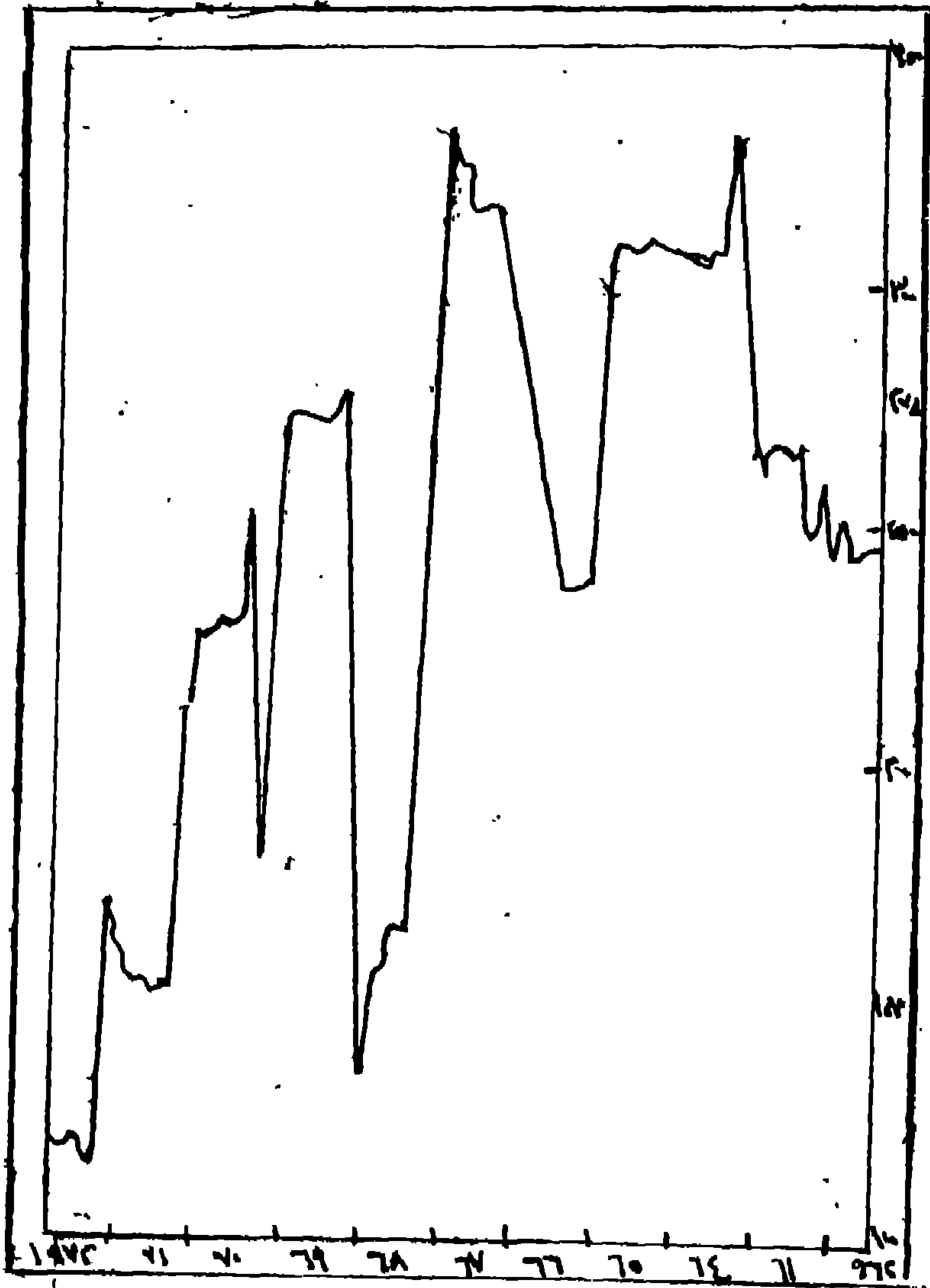
لماذ افريقية بالذات تصاب بالجفاف :

لابد أن يقفز الى أذهاننا لماذا أفريقية بالذات هى التى يحدث فيها الجفاف بهذه الحدة الظاهرة ولكى ندلل على أن الجفاف فى افريقية ليس لأسباب بشرية فقط وانما له أساس من قلة المطر النسبية فى أقاليم افريقية اذا قورنت بنظيرتها فى قارات العالم الأخرى نورد الأرقام التالية :

المدينة	القارة	خط عرض	كمية المطر السنوى بالبوصه
باثهرست (غمبيا)	افريقية	١٣ شمالا	٤٧,٦
منجلا (السودان)	افريقية	٥ شمالا	٣٨,٩
سايجون (فيتنام)	آسيا	١١ شمالا	٧٧,٢
بمباى (الهند)	آسيا	٢٠ شمالا	٧٢,٤
بورت أوبرنس (هايتى)	امريكا الوسطى	١٨ شمالا	٥٤,١
داروِن	أستراليا	١٢ جنوبا	٦١,٨

وبالطبع فإن قلة المطر عن المعدل تحدث فى كل جهات العالم وفى كل الأقاليم وفى جميع القارات، غير أن قارة افريقية تتضح فيها هذه الحالة أكثر من غيرها لأسباب جغرافية عديدة. فإذا نظرنا الى جميع الأقاليم المناخية فى افريقية أقل منها فى قارات العالم الأخرى، ومعنى هذا أن قارة افريقية وخاصة فى العروض المدارية تميل الى الجفاف أساسا. وقارة افريقية أغلبها يقع فى الأقاليم المدارية. ولتفسير هذا نورد الأسباب التالية: من الملاحظ أن قارة افريقية تمتد فيها مرتفعات جبلية وهضبية فى جزئها الشرقى الذى هو مدخل الكتل الهوائية المدارية الرطبة، اذ المعروف فى العروض الوسطى والعليا حيث أغلب الهواء يأتى من الغرب. وعلى هذا فإن المرتفعات الشرقية فى افريقية تحجب عن بقية القارة قدرا كبيرا من رطوبة هذه الكتل الهوائية. ثانيا، أن الواجهة الشرقية لقارة افريقية ونقصد بها المواجهة المحيطية التى يأتى منها الهواء الرطب مسدودة باليابس الآسيوى وذلك الى الشمال من القرن الأفريقى (البحر الأحمر بحر ضيق لا يمكن اعتباره بأية حالة مصدرا لكتل هوائية رطبة). وهذا يختلف تماماً عن القارات الأخرى مثل آسيا وأستراليا أو الأمريكتين فهى جميعاً تطل على محيطات فى شرقها. أما العامل الثالث فهو أنه حتى السواحل المفتوحه لافريقية المدارية تمر بجوار أغلبها تيارات بحرية باردة مثل تيار الصومال فى الشرق وتيار كناريا فى

رسم بيانى



رسم بيانى للذبذبة السنوية فى كمية المطر فى "نواكشوط"

الشمال الغربي وتيار بنجويلا في الجنوب الغربي. ومعروف أن التيارات البحرية الباردة تساعد على سيادة الجفاف في مناطق اليابس التي تمر بجوارها. هذه هي العوامل التي تؤدي الى إنخفاض معدلات المطر في الأقاليم الافريقية عامة وفي اقليم الساحل خاصة. ومن المبادئ المناخية أن الأقاليم التي يقل فيها المطر هي أكثر الأقاليم التي تتأثر بالذبذبة في كميات الأمطار. ففي باثهرست في غينيا سقطت في سنة ١٩٦٠ كمية من الأمطار وصلت الى حوالي ٦٠ بوصة وفي السنة التالية سقطت ٦ بوصات من المطر فقط (٥). ولا شك أن توالي سنوات قلة المطر مع ما يصاحب هذا من أوضاع بشرية غير مواتيه متمثلة في زيادة أعداد السكان وزيادة أعداد السكان وزيادة أعداد الحيوانات وسوء استخدام الأرض وعدم الدراية بالوسائل الحديثة في الرعي واستخدام موارد المياه وعدم وجود موارد أخرى تؤدي الى حدوث الجفاف وما يتبعه من التصحر وحدوث المجاعات.

ثم ماذا بعد حدوث الجفاف؟ :

عندما يقل المطر ويسود الجفاف ويتيبس الحشائش وتصبح الزراعة صعبة وتنفق الحيوانات ويصبح من الصعب على السكان الحصول على الغذاء وتتدهور صحة الأهالي خاصة الشيوخ والأطفال نقول أن هناك مجاعة وتكون الحلول في نظر حكومات هذه الدول مثل موريتانيا ومالي والنيجر وتشاد والسودان واثيوبيا، أو الدول الأوربية والأمريكية الغنية أو منظمات هيئة الأمم المتحدة مثل من منظمة الاغاثة أو الصحة العالمية أو منظمة الأغذية والزراعة، تكون الحلول في نظر هؤلاء جميعا هي ارسال المعونات السريعة الى مناطق المجاعة متمثلة على وجه الخصوص في المواد الغذائية وخاصة الحبوب، اذ هي المواد التي يمكن نقلها بسهولة وتعتمد عليها السكان كعنصر أساسي وأحيانا وحيد في غذائهم. وأحيانا أخرى ينزح السكان من مناطق الجفاف الى مناطق أخريبها أحوال أفضل أو يتزحون الى عاصمة الدول ويعيشون على هوامش العاصمة أو ينتشرون داخل العاصمة بحثا عن مساعدة أو عمل بأية صورة سواء من الدولة أو من الأفراد

وفى أغلب الأحيان عندما يزداد المطر مرة أخرى فإن التفكير المباشر هو أن يعود هؤلاء النازحون الى ديارهم وتعود الأمور سيرتها الأولى. وقد يركن هؤلاء النازحون الى الراحة والدعة فى الأماكن التى نزحوا اليها ويجدون من السهل أن يحصلوا على المعونات بصفة دائمة أو لأطول فترة ممكنة ويظلوا هكذا نازحين. غير أن المطر عندما يعود الى ديارهم لا يعود معه الرخاء تلقائيا أو بصورة مباشرة. بل قد تكون عودته بغزارة على تربة جافة خالية من الغطاء النباتى نقمة وليست نعمة لأنه سيؤدى الى تكون سيول ولا تصلح للزراعة. لذلك نقترح ما يلى بالنسبة لهذا الاقليم الذى أصابه الجفاف :

أولا : لابد من المسح الشامل الدقيق للاقليم للتعرف على تفاصيل طبيعته وأقسامه وامكاناته الفعلية سواء كانت زراعية أو رعوية.

ثانيا : تنظيم مناطق الرعى ومناطق الزراعة فى دورات محددة وتحديد أنواع الحيوانات وأعدادها ونوع المحاصيل التى تزرع.

ثالثا : استخدام الطاقة الشمسية فى الطهى وفى الأغراض الأخرى بدلا من الاعتماد على الوقود النباتى، والطاقة الشمسية موجودة وسهلة الاستخدام فى هذه البيئات المفتوحة الرعوية والزراعية حيث المساحات المتاحة شاسعة وحيث التوسع العمرانى أفقى وليس رأسى. كما أن الطاقة الشمسية تمثل موردا نظيفا من موارد الطاقة لا يخلف فضلات.

رابعا : وضع الرعاة والزراع جنوبا على الأطراف الأكثر مطرا ونباتاً فى الأقليم والتقليل من أعداد السكان والحيوانات فى الأجزاء الشمالية الجافة أو فى مناطق الآبار.

خامسا : زراعة أحزمة خضراء واتباع سياسة التشجير على حدود الاقليم الجافه.

سادسا : توعية السكان بحيث يتعرفوا على مشاكل اقليمهم حتى يعملوا على تحسين أوضاعه وليس على تفاقم مشاكله.

سابعا : تحسين شبكة المواصلات داخل الاقليم وبينه بقية أجزاء الدولة.

ثامنا : تجميع المناطق الزراعية مع بعضها والمناطق الرعوية مع بعضها لتسهيل إدارتها وخدمتها والمحافظة عليها.

تاسعا : زراعة حشائش علف للحيوانات وعدم الاعتماد على المرعى الطبيعى فقط ومحاولة توطين البدو الرحل.

عاشرا : تنويع أقتصاد الاقليم بحيث لا يعتمد على نوع واحد من الموارد.

حادى عشر : يجب تعليم السكان كيفية استغلال المصاطب النهرية ومناطق طرح الأنهار وهى عادة مناطق مرغوبة، غير أنه يجب تنظيم استغلالها بحيث تستخدم فى زراعة محاصيل فصلية فقط، ويحظر استخدامها بصفة دائمة أو أقامة مبانى عليها أو زراعتها طول العام أو زراعتها بالأشجار، اذ بقدر خصوبة الغمر عندما يفيض النهر خاصة اذا جاء فيضانه مرتفعا، ويصدق هذا أيضا على هوامش الجزر النهرية. وما حدث فى فيضان النيل ١٩٨٨ لهو أصدق دليل على هذا، حيث اتسعت حدود الأضرار بسبب مرور سنوات عديدة متتالية ذات فيضان منخفض مما أدى الى إنكماش مجرى النهر تاركا مساحات واسعة على ضفتيه كان يغطيها فى سنوات الفيضان المرتفع، ونسى السكان فيضان ١٩٤٦، ونزلوا الى مصاطب النهر وهوامش الجزر فزرعوها بأشجار النخيل هكذا حتى اطمأن الناس الى سكنى هذه الجهات فى سنوات الجفاف وزاد اقترابهم من مجرى النهر أو بالأحرى من مورد الماء ووجدوا فى هذا سهولة كبيرة فلما جاء فيضان ١٩٨٨ عاليا غطى النهر هذه الأراضى وقضى على ما بها من مظاهر الاستغلال.

الهوامش

1- C.W. Thornthwaite, Towards a Rarional Classification of Climate, Geog. Rev. 1948, Vol. 38, pp. 59 - 93.

2- FAO, Pastur and Food Crops Studies, No. 6, 1980, p. 40.
FAO, Environment Paper, No. 1, 1980, pp. 56-57.

٣ ـ الرصيد الحى فى بحيرة السد العالى هو الذى يمكن السحب منه أن هناك من مياه البحيرة لايمكن سحبه لإنخفاض مستواه.

عن المهندس عصام راضى وزير الرى المصرى : جريدة الاهرام. عدد ١٢/١٢ ١٩٨٧

٤ ـ انظر شكل (١) ولاحظ التغير فى موقع الجبهة المدارية.

٥ـ أنظر شكل (٢) وهو مثال للعديد من المحطات فى الاقليم.

قائمة المراجع

1 - Charney, J.C., Dynamics of deserts and drought in the Sahel, Quart Journ. of the Ray. Meteo. Soc. Vol. 101, 1975, pp. 193-202.

2 - Hare, F.K., Climate and desertifacation: a revised analysis, World Climate Programme, WMO/UNEP, vol. 44, 1983.

3 - Jekinson, A.F., Some quasi-preiodic changes in rainfall in Africa and Europe; in Processings of the WMO/IAMAP Conference on Longterm Climatic Fluctuations. Norwich, V.K., 1975, PP. 453-460.

4 - Morals, C., Saharan Dust. Scope, vol. 14, J. Wiley, Chichester, U.K., 1979.

5 - Moreau, R.E., Climate classification from the stand-point of East Africa Biology: Journ. of Ecology, vol. 24, pp. 467-480.

6 - Nicklson, S., The nature of fluctuations in subtropical West African, Monthly Weather Review, vol. 108, 1980, p. 473.

7 - The Sahel: a climate perspective, club du Sahel, Paris, 1982.

8 - The climatology of subSaharan Africa, in Environmental Chang in West African Sahel, National Academy Press, Washington, D.C. U.S.A., 1983, pp. 71-92.

9 - Schnell, R.C., Biogenic and inorganic sources of ice nuclei for the drought stricken Sahel, 1974, Report to Directors of Rockefeller Foundation, New York, U.S.A., 1975.

10 - Kassas, M., Drought and desertification, 1987,
Buthermorth and Comp. (Publishers Ltd., pp. 389-399.

النمو السكانى فى أفريقيا

إعداد

د. ماجدة ابراهيم عامر

مدرس بقسم الجغرافيا

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

١٩٩٧

النمو السكانى ومكوناته فى أفريقيا

★ د. ماجده ابراهيم عامر

تعتبر قضية النمو السكانى مشكلة هامة فى العالم الثالث بشكل عام وفى الدول الأفريقية بشكل خاص. فقد عرفت دول العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية وضعاً فريداً من نوعه، ومن أهم سمات هذا الوضع هو الأرتفاع الكبير فى معدلات المواليد الذى يصل إلى ٢٨,٣ فى الألف فى الدول النامية للفترة من (١٩٩٠ ـ ١٩٩٥) و٢٥ في الألف فى العالم فى حين أن هذا المعدل فى العالم المتقدم هو ١٢,٦ في الألف واذا ما حاولنا مقارنة ذلك بحال الدول الأفريقية لوجدنا أن العديد من هذه الدول قد تعدى بكثير هذه النسب فوصل إلى ما بين ٢٥,٦، ٥٢,٥ بالألف(١) والواقع أن الدول الأوربية لم تشهد فى تاريخها معدلا للنمو السكانى كالذى تشهده حاليا كثير من الدول النامية.(٢)

ويلاحظ أن هناك علاقة واضحة بين النمو السكانى والتنمية الأقتصادية والأجتماعية فالقضايا السكانية لم تكن فى يوم من الأيام منعزلة عن القضايا الأقتصادية والأجتماعية والسياسية، بل تتشابك معها، تؤثر فيها وتتاثر بها، بل هى جوهرها. لذا فإن المشكلة السكانية تكتسب معناها ومضمونها حينما نضع النمو السكانى فى إطار الحركة الأقتصادية والظروف المحيطة به وعلى هذا الأساس، فإن المشكلة السكانية والمظاهر التى تعبر بها عن نفسها تتفاوت من بلد لآخر، بل وداخل البلد الواحد بأختلاف مراحل تطوره فهناك دول تعانى حقا من الإختلال القائم بين النمو السكانى الكبير وبين النمو الأقتصادى والأجتماعى

---

* مدرس الجغرافيا بمعهد البحوث والدراسات الافريقية

المتواضع. ومن هذه الدول، تعبر المشكلة السكانية عن نفسها فى تفاقم مشاكل البطالة والغذاء وأنخفاض مستوى المعيشة والرعاية الصحية وأزمة المساكن والمواصلات،.. إلى أخره. وهناك دول، على العكس من ذلك، تعانى أختلالاً بين النمو السكانى المتواضع والطموحات التنموية الكبيره. وفى مثل هذه الدول، تعبر المشكلة السكانية عن نفسها فى صورة نقص الأيدى العاملة والحاجة إلى الأعتماد على عنصر العمل المستورد من الخارج(٣)

وسوف نهتم فى هذا الجزء بدراسة العناصر التالية:

أولاً:ـ أتجاهات النمو السكاني في قارة أفريقيا وعلي مستوي الدول الأفريقية.

ثانيا:ـ مكونات النمو السكاني ويشمل:ـ

١ ـ الزيادة الطبيعية

أ ـ المواليد   ب ـ الوفيات

٢ ـ الهجرة

أولا ـ اتجاهات النمو السكانى فى أفريقيا

١ ـ اتجاهات النمو السكانى فى أفريقيا حتى القرن العشرين

قدر عدد السكان فى أفريقيا فى القرن الأول الميلادى بما يتراوح بين ٢٥ ـ ٤٥ مليون نسمة(٤) وكان النمو السكانى بطيئاً للغاية. حتى أنه كان متوقفاً عند ١٠٠ مليون نسمة حسب تقديرات ويلكوكس، بل ومتدهور حسب تقديرات كارسوندرز وذلك خلال قرنين كاملين من الزمن (١٦٥٠ ـ ١٨٥٠).(٥) وقدرت بعض المصادر عدد سكان القارة بنحو ١١١ مليون نسمة عام ١٨٥٠. وعلى الرغم من أن معدل نمو السكان فى العالم قد بدأ فى الزيادة فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فقد تناقصت نسبة سكان القارة الأفريقية من ١٣,٤٪ من جملة سكان العالم عام ١٧٥٠ إلى ٨,٧٪ عام ١٨٥٠.(٦) ويرجع ذلك إلى عدة أسباب لعل أهمها ظهور الأوربيين على أرض القارة وما صاحب ذلك من ظروف وعوامل ساعدت على أنخفاض معدلات النمو لعل من أهمها هلاك عدد كبير من الأفريقيين فى العمليات الحربيه التى دارت بينهم وبين الأوروبيين(٧) وقيام الرجل الأبيض بأستغلال العمال الأفريقيين بأسلوب بشع فى جمع المحاصيل وفى المزارع الرأسمالية والأشغال العامة، إلى جانب ذلك فإن دخول الرجل الأبيض إلى أفريقيا أدى إلى ظهور أمراض غريبه فى القارة لم يكن للأفريقى مناعة ضدها مثل الأنفلونزا(٨). فضلاً عن تدهور مستوى الوعى الصحى والعلاج الطبي.

ولاشك أن عملية الأسترقاق التى مارسها الرجل الأوربى بوحشية ضد الأفريقى كانت عاملاً رئيسيا فى تدهور نمو سكان القارة خاصة وأنه كان هناك تركيز على الذكور ممن هم فى سن الشباب.

٢ ـ اتجاهات النمو السكانى فى افريقيا خلال القرن العشرين:

يوضح الجدول رقم (١) والشكل رقم (١) أنه إبتداء من القرن العشرين بدأت معدلات نمو السكان تأخذ طابعاً أكثر سرعة وأرتفاعاً حيث قفز سكان القارة من ١٣٣ مليون نسمة عام ١٩٠٠ (تقدير متوسط) إلى ما يقرب من ٢٢٤ مليون نسمة عام ١٩٥٠، ومعنى ذلك أنه خلال النصف الأول من القرن العشرين أزداد عدد سكان القارة بقدر يقل عن التضاعف لأنهم بلغوا نسبة ١٦٨,٤٪ فى عام ١٩٥٠ عما كانوا عليه فى عام ١٩٠٠ وإن معدل النمو السكانى بلغ ١,٠٤٪ سنويا تقريبا.

أما خلال الفترة بين أعوام ١٩٥٠، ١٩٩٥ فإنه يمكن القول بأن سكان القارة قد بدأت معدلات الزيادة السكانية ترتفع بينهم. ويحدث نمو سكانى سريع ففى خلال ٤٥ عاماً أصبح عدد السكان حوالى ثلاثة أمثال عددهم فى عام ١٩٥٠. إذ بلغ نحو ٧٢٨,١ مليون نسمة وبمعدل نمو سنوى بلغ ٢,٨١٪ خلال الفترة من ١٩٩٠ ـ ١٩٩٥ وهو من أعلى معدلات النمو بين قارات العالم بما فيها أمريكا اللاتينية. ومعنى هذا أن سكان القارة سوف يتضاعفون خلال ٢٥ عاماً(٩). ويرجع أرتفاع معدلات الزيادة بين سكان القارة إلى عامل الزيادة الطبيعية حيث ترتفع معدلات المواليد فى حين تنخفض معدلات الوفيات. ولا شك أن أرتفاع نسبة سكان الريف فى قارة أفريقيا والتى بلغت نحو ٦٥,٦٪ عام ١٩٩٥ (المتوسط العالمى ٥٤,٨٪)(١٠) تساعد على أرتفاع معدلات المواليد.

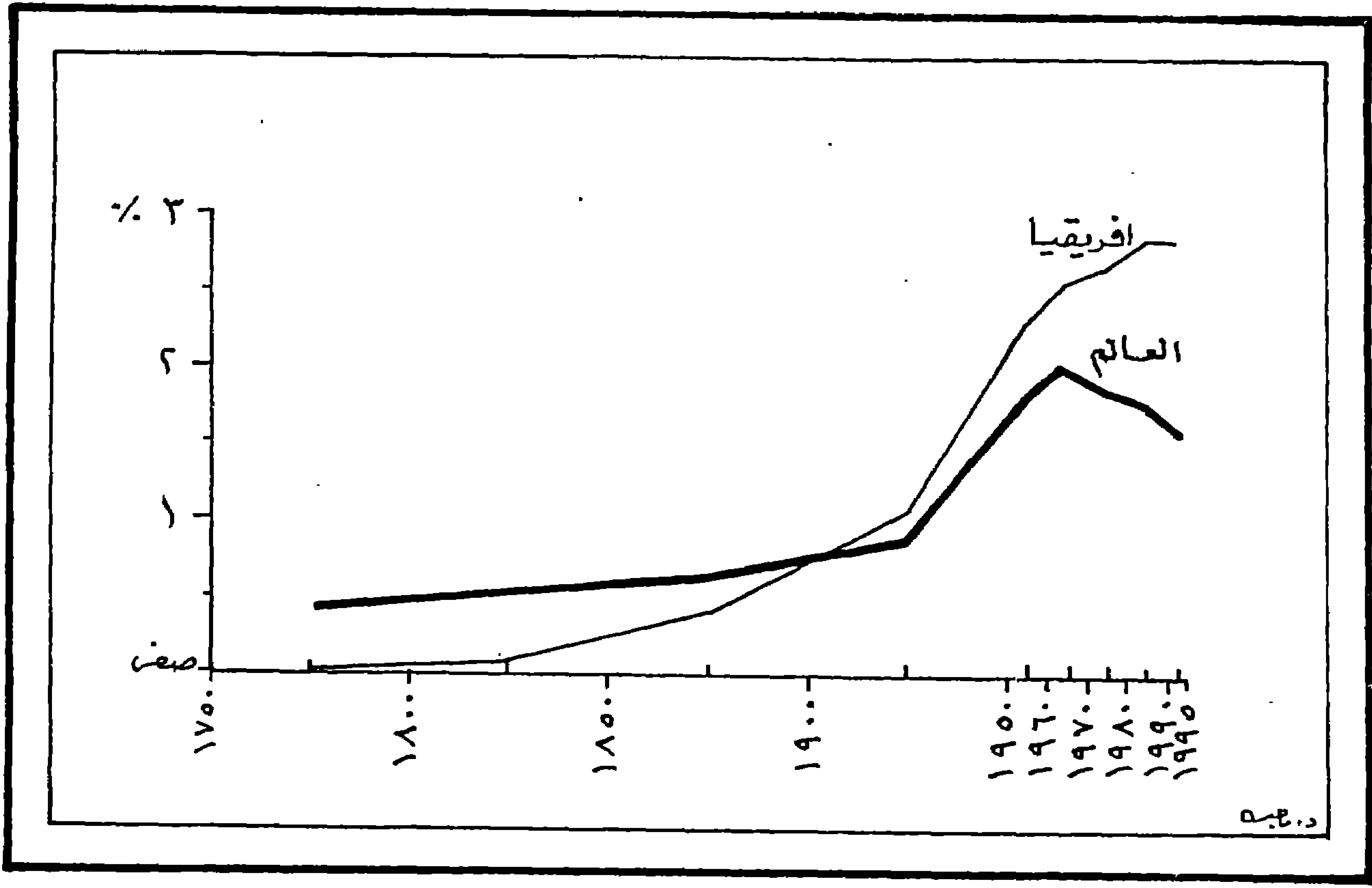
جدول رقم (١) نمو السكان فى أفريقيا

السنة	عدد السكان في أفريقيا (بالألف نسمة)	الزيـــادة المطلقـة (بالألف)	معدل النمو السكاني أفريقيا	العالم	٪ من جملة سكان العالم
١٧٥٠	١٠٦,٠٠٠	-			١٣,٤
١٨٠٠	١٠٧,٠٠٠	١,٠٠٠	,٠٢	,٤٤	١٠,٩
١٨٥٠	١١١,٠٠٠	٤,٠٠٠	,٠٧	,٥١	٨,٧
١٩٠٠	١٣٣,٠٠٠	٢٢,٠٠٠	,٣٦	,٦٣	٨,١
	تقديــرات الامـــم المتحـــدة				
١٩٥٠	٢٢٣,٩٦٧	٩٠,٩٦٧	١,٠٤	,٩٠	٨,٩
١٩٦٠	٢٨٢,١٣٦	٥٨,١٦٩	٢,٣١	١,٨٠	٩,٣
١٩٧٠	٣٦٤,٢٠٦	٨٢,٠٧٠	٢,٥٥	٢,٠٢	٩,٩
١٩٨٠	٤٧٥,٦٦٤	١١١,٤٥٨	٢,٦٧	١,٨٤	١٠,٧
١٩٩٠	٦٣٢,٦٦٩	١٥٧,٠٠٥	٢,٨٥	١,٧٣	١٢,٠
١٩٩٥	٧٢٨,٠٧٤	٩٥,٤٠٥	٢,٨١	١,٥٧	١٢,٧

المصدر من حساب الباحثة: ـ

- Clarke. J.I., "Population Geography" in An Advanced Geography of Africa by John, I. Clarke et. Cl, Hulton Educational publications Ltd, Great Britain, 1975, P 219

- U.N. World Population Prospects, the 1994 Revision, New York, 1995.



(شكل ١) معدلات النمو السكاني السنوي في أفريقيا مقارنة بالعالم (١٧٥٠ - ١٩٩٥).

٣ ـ اتجاهات النمو السكاني في اقاليم افريقيا.

يظهر من الجدول رقم (٢) أن أجزاء القارة نمت بمعدلات متباينة نسبياً خلال الفترة بين أعوام ١٩٥٠ ـ ١٩٩٥ إذ سجل شرقى أفريقيا أعلا معدلات للنمو السنوى للسكان خلال تلك الفترة، حيث بلغ السكان فى نهايتها ٣٤٦٪ عما كانوا عليه فى بدايتها وبمعدل نمو سنوى بلغ ٢,٧٦٪ للفترة كلها، ويليه غربى أفريقيا بنسبة ٣٣٤٪ ويمعدل نمو سنوى ٢,٦٨٪ ثم وسط أفريقيا (٣١٢٪، ٢,٥٣٪)، فجنوبى أفريقيا (٣٠٤٪، ٢,٤٧٪) وأخيراً يأتى شمالى أفريقيا (٣٠١٪، ٢,٤٥٪). شكل (٢). أما فى الفترة الأخيرة ١٩٩٠ ـ ١٩٩٥ فيلاحظ تفوق وسط وغربى أفريقيا على شرقها من حيث معدلات النمو السكانى والتى بلغت ٣,١٪، ٣,٠٢٪، ٢,٩٧٪ على الترتيب بينما تساوت معدلات النمو السنوى للسكان فى شمالى وجنوبى أفريقيا والذى بلغ ٢,٣٪.

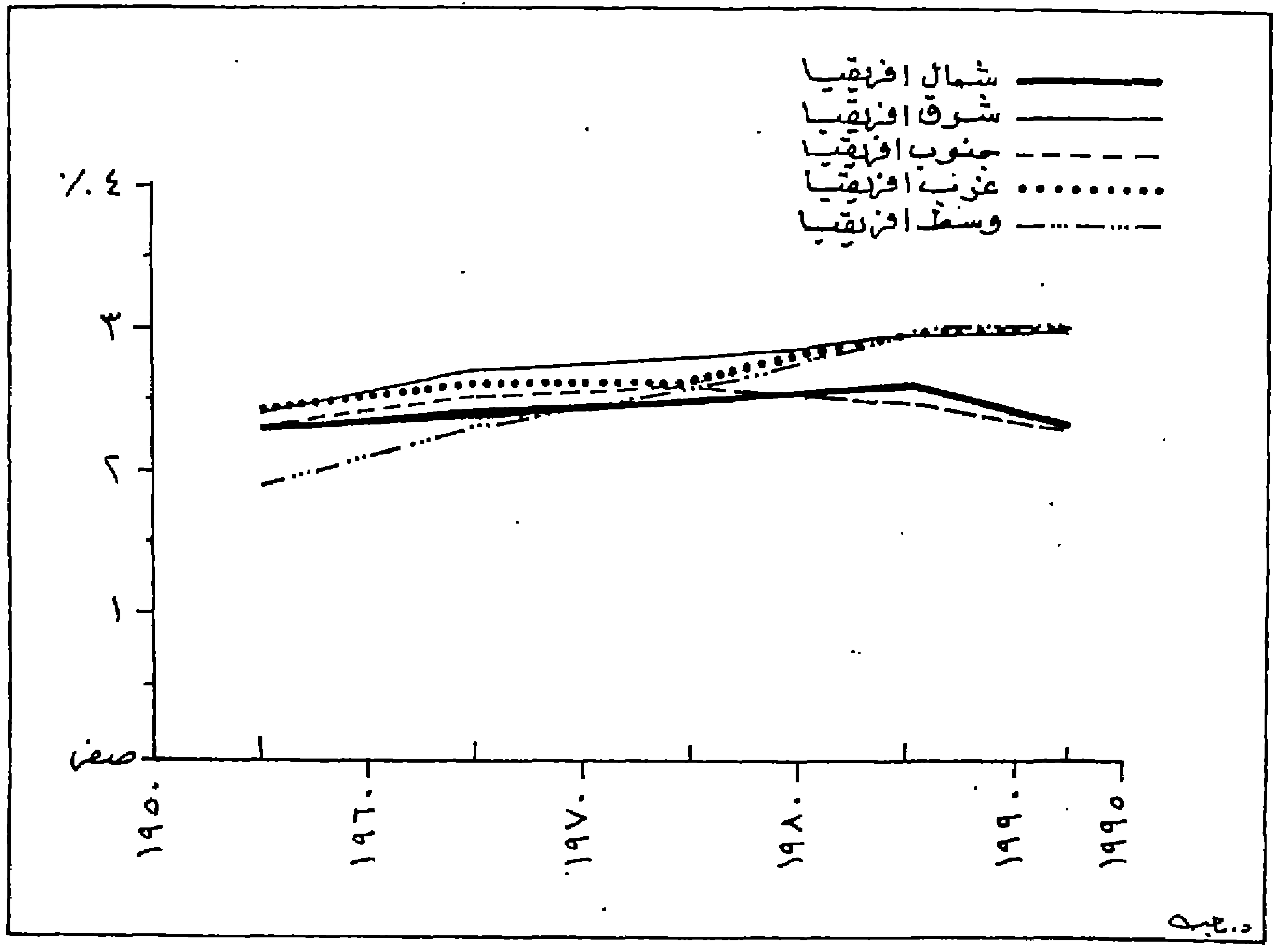
والواقع أنه يمكن أن نتعرف على عدد من أنماط النمو الأقليمى للسكان فى أفريقيا من دراسة الجدول رقم (٣) والشكل (٣) وذلك على النحو التالي:

جدول رقم (٢)

معدلات النمو السكانى فى أقاليم أفريقيا بين ١٩٥٠ ـ ١٩٩٥

الأقليم / السنة	شرق أفريقيا	وسط أفريقيا	شمال أفريقيا	جنوب أفريقيا	غرب أفريقيا
١٩٥٠ العدد بالألف	٦٥٦١٨	٢٦٣١٦	٥٣٣٠٢	١٥٥٨١	٦٣١٥١
١٩٦٠ العدد بالألف	٨٣٤٠٠	٣١٨٣٣	٦٧٠٣٣	١٩٦٩٨	٨٠١٧٣
معدل النمو٪	٢,٤	١,٩	٢,٣	٢,٣	٢,٤
١٩٧٠ العدد بالألف	١٠٩٦٥٢	٤٠١٠٢	٨٥٢٩٠	٢٥٣٧١	١٠٣٦٩١
معدل النمو٪	٢,٧	٢,٣	٢,٤	٢,٥	٢,٥٧
١٩٨٠ العدد بالألف	١٤٥٤٩٢	٥٢٢٣٣	١١٠١٠٩	٣٣٠٠٥	١٣٤٨٢٥
معدل النمو٪	٢,٨	٢,٦	٢,٥	٢,٦	٢,٦٣
١٩٩٠ العدد بالألف	١٩٥٨٠١	٧٠٤٨٤	١٤٣٠٢٣	٤٢٢٢٧	١٨١١٣٥
معدل النمو٪	٢,٩٧	٣,٠	٢,٦	٢,٥	٢,٩٥
١٩٩٥ العدد بالألف	٢٢٧١٠٧	٨٢٣٢٦	١٦٠٥٨٢	٤٧٣٩٦	٢١٠٦٦٣
معدل النمو٪	٢,٩٧	٣,١	٢,٣	٢,٣	٣,٠٢
نسبة الزيادة الكلية (١٩٥٠ـ١٩٩٥)	٣٤٦	٣١٣	٣٠١	٣٠٤	٣٣٤
معدل النمو السنوي (١٩٥٠ـ١٩٩٥)	٢,٧٦	٢,٥٣	٢,٤٥	٢,٤٧	٢,٦٨

المصدر: ـ نفس مصدر الجدول السابق



(شكل ٢) معدلات النمو السكانى السنوى فى الأقاليم الأفريقية

(١) الفئة الأولي : ـ

وتضم الدول الأفريقية التى يقل معدل النمو السكانى فيها عن ٢,٥٪ سنويا وعددها ١٦ دولة هى مصر، تونس والجزائر والمغرب فى شمال أفريقيا حيث يرجع إنخفاض معدلات النمو السكانى هنا إلى أنخفاض معدلات المواليد نتيجة لأتباعها لسياسات سكانية وبرامج قومية لتنظيم الأسرة منذ الستينات من هذا القرن (١١) كما يدخل ضمن هذه المجموعة الجزر المحيطة بقارة أفريقيا (موريشيوس ـ رينيون ـ سيشل ـ ساوتومى وبرنسيب، وسانت هيلانه) وعدد سكانها ضئيل بالمقارنه بقارة أفريقيا (٢٧, ٠٪ من إجمالي سكان القارة). كما يرجع أنخفاض معدلات النمو السكانى فى بعض دول هذه المجموعة إلى أرتفاع معدلات الوفيات (مثال أفريقيا الوسطي، سيراليون، جيبوتي، غينيابيساو وموزمبيق) أو إلى الظروف السياسية داخل الدول والتى تؤدى إلى أرتفاع معدلات اللاجئين إلى خارج الدولة كما هو الحال فى الصومال.

(٢) الفئة الثانية : ـ

تشمل مجموعة الدول الأفريقية التى يتراوح معدل النمو السكانى فيها بين ٢,٥ ـ < ٣٪ سنويا وعددها ١٩ دولة، يبلغ عدد سكانها ١٩٤,٦٨٢ مليون نسمة بنسبة ٢٦,٧٪ من إجمالى سكان القارة ويتركز معظمها فى شرقى ووسط أفريقيا هى أريتريا ـ أثيوبيا ـ رواندا ـ تنزانيا ـ زامبيا ـ زيمبابوى ـ الكاميرون ـ تشاد ـ الكنغو ـ غينيا الأستوائية ـ الجابون بالأضافة إلى السودان فى شمالى أفريقيا، ليسوتو ـ ناميبيا وسوازيلاند فى جنوبى أفريقيا، وبوركينافاسو، الرأس الاخضر، موريتانيا والسنغال فى غربى أفريقيا، وتتميز معظم هذه الدول بأرتفاع معدلات المواليد أكثر من ٤٠ فى الألف بالأضافة إلى الأرتفاع النسبى فى معدلات الوفيات والتى ترتفع فى معظمها عن ١٥فى الألف مما أنعكس على النمو السكانى .

(٣) الفئة الثالثة :-

وهى تضم مجموعة الدول ذات المعدلات المرتفعة من ٣ ـ ٣,٥٪ وعددها ١٦ دولة تتركز معظمها فى غربى أفريقيا وهى بنين ـ كوت ديفوار ـ غانا ـ غينيا ـ ليبيريا ـ مالى ـ النيجر ـ نيجيريا وتوجو كما يدخل ضمنها بوروندى ـ مدغشقر ـ ملاوى وأوغنده فى شرقى أفريقيا، زائير (وسط أفريقيا)، ليبيا (شمالى أفريقيا) ـ بتسوانا (جنوبى أفريقيا)، ويبلغ عدد سكان هذه الدول حوالى ٢٨٧ مليون نسمة بنسبة ٣٩,٤٪ من إجمالى سكان القارة ويرجع أرتفاع معدلات النمو السكانى هنا إلى أرتفاع معدلات المواليد والتى تزيد فى معظمها عن ٤٥ فى الألف إلى ٥٠ فى الألف بالأضافة إلى تحسن الرعاية الصحية والتى نتج عنها إنخفاض معدلات الوفيات بنسبة تتراوح بين ٢٠ و٥٠٪ فى العديد من الدول (١٢) كما تتأثر بعض هذه الدول بتيارات الهجرة الوافدة إليها سواء للعمل أو اللجوء السياسى نتيجة للظروف السياسية السائدة فى بلدان المصدر كما فى حالة أوغنده وملاوى فى شرقى أفريقيا.

(٤) الفئة الرابعة

وهى تشمل مجموعة الدول ذات المعدلات غاية فى الأرتفاع تزيد عن ٣,٥٪ وعددها ٥ دول هى جزر القمر ـ كينيا ـ أنجولا ـ الصحراء الغربية وغمبيا وحجم السكان فى هذه الدول نحو (٤١,٤ مليون نسمة) بنسبة ٥,٧٪ من إجمالى سكان القارة الافريقية.

جدول رقم (٣)

البيانات السكانية الأساسية للدول الأفريقية

الدولة	عدد السكان ١٩٩٥ بالألف	معدلات النمو السكاني ٩٠-١٩٩٥ ٪	معدلات المواليد الخام (في الألف) ٩٠-١٩٩٥	معدلات الوفيات العامة (في الألف) ٩٠-١٩٩٥	معدلات وفيات الأطفال الرضع (لكل ألف مولود حي) ٩٠-١٩٩٥	معدلات الزيادة الطبيعية ٩٠-١٩٩٥
شرق افريقيا	٢٢٧١٠٧	٢,٩٧	٤٦,٠٠	١٥,٨	١٠٦	٣٠,٢
بوروندي	٦٣٩٣	٣,٠٠	٤٦,٠٠	١٥,٧	١٠٢	٣٠,٣
جزر القمر	٦٥٣	٣,٦٨	٤٨,٥	١١,٧	٨٩	٣٦,٨
جيبوتي	٥٧٧	٢,٢٠	٣٨,١	١٦,١	١١٥	٢٢,٠
أريتريا	٣٥٣١	٢,٧٢	٤٣,٠٠	١٥,٢	١٠٥	٢٧,٨
أثيوبيا	٥٥٠٥٣	٢,٩٨	٤٨,٥	١٨,٠	١١٩	٣٠,٥
كينيا	٢٨٢٦١	٣,٥٩	٤٤,٥	١١,٧	٦٩	٣٢,٨
مدغشقر	١٤٧٦٣	٣,٢١	٤٣,٩	١١,٨	٩٣	٣٢,١
ملاوي	١١١٢٩	٣,٤٥	٥٠,٥	٢٠,٠٠	١٤٣	٣٠,٥
موريشيوس	١١١٧	١,١٠	٢٠,٨	٦,٦	١٨	١٤,٢
موزمبيق	١٦٠٠٤	٢,٤١	٤٥,٢	١٨,٥	١٤٨	٢٦,٧
رينيون	٦٥٣	١,٥٥	٢١,١	٥,٥	٨	١٥,٦
رواندا	٧٩٥٢	٢,٥٩	٤٤,١	١٦,٧	١١٠	٢٧,٤
سيشل	٧٣	١,١٠	–	–	–	–
الصومال	٩٢٥٠	١,٢٨	٥٠,٢	١٨,٥	١٢٢	٣١,٧
أوغندا	٢١٢٩٧	٣,٤٢	٥١,٨	١٩,٢	١١٥	٣٢,٦
تنزانيا	٢٩٦٨٥	٢,٩٦	٤٣,١	١٣,٦	٨٥	٢٩,٥
زامبيا	٩٤٥٦	٢,٩٧	٤٤,٦	١٥,١	١٠٤	٢٩,٥
زيمبابوي	١١٢٦١	٢,٥٧	٣٩,١	١٢,٠٠	٦٧	٢٧,١

تابع جدول رقم (٣)

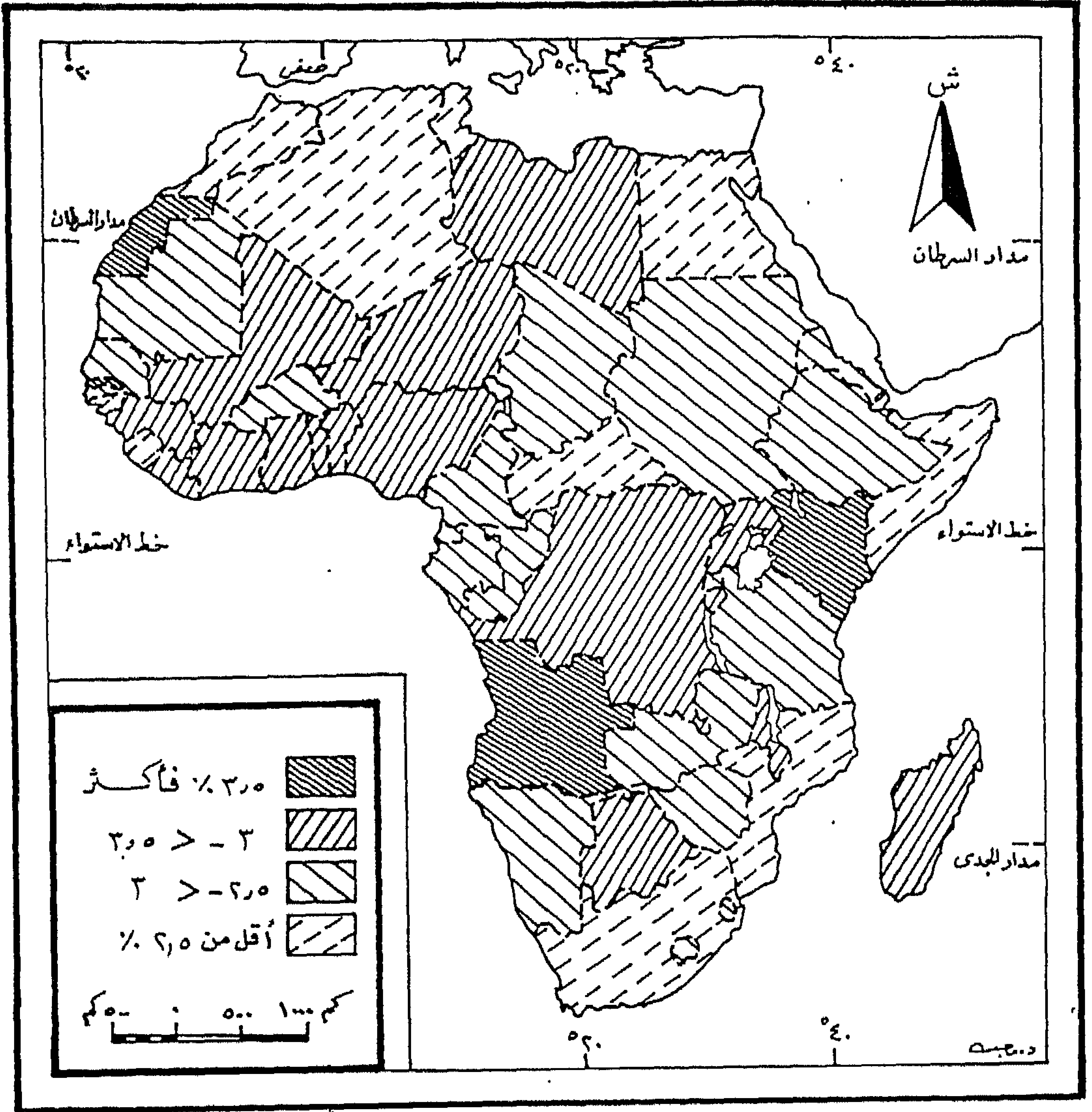
الـــــدولة	عدد السكان ١٩٩٥ بالالف	معدلات النمو السكاني ٩٠ـ ١٩٩٥ ٪	معدلات المواليد الخام (في الألف) ٩٠ ـ ١٩٩٥	معدلات الوفيات العامة (في الألف) ٩٠ ـ ١٩٩٥	معدلات وفيات الأطفال الرضع (لكل ألف مولود حي ٩٠ ـ ١٩٩٥	معدلات الزيادة الطبيعية ٩٠ ـ ١٩٩٥
وسط أفريقيا	٨٢٣٢٦	٣,١١	٤٦,١	١٥,٢	٩٥	٣٠,٩
أنجولا	١١٠٧٢	٣,٧٢	٥١,٣	١٩,٢	١٢٤	٣٢,١
الكاميرون	١٣٢٣٣	٢,٧٦	٤٠,٧	١٢,٢	٦٣	٢٨,٥
أفريقيا الوسطي	٣٣١٥	٢,٤٩	٤١,٥	١٦,٧	١٠٢	٢٤,٨
تشاد	٦٣٦١	٢,٧١	٤٣,٧	١٨,٠٠	١٢٢	٢٥,٧
الكونغو	٢٥٩٠	٢,٩٨	٤٤,٧	١٤,٩	٨٤	٢٩,٨
غينيا الاستوائية	٤٠٠	٢,٥٥	٤٣,٥	١٨,٠٠	١١٧	٢٥,٥
الجابون	١٣٢٠	٢,٨٣	٣٧,٣	١٥,٥	٩٤	٢١,٨
ساوتومي وبرنسيب	١٣٣	٢,٢٠	—	—	—	—
زائير	٤٣٩٠١	٣,١٩	٤٧,٥	١٤,٥	٩٣	٣٣,٠
شمال أفريقيا	١٦٠٥٨٢	٢,٣٢	٣١,٣	٨,٦	٦٧	٢٢,٧
الجزائر	٢٧٩٣٩	٢,٢٧	٢٩,١	٦,٤	٥٥	٢٢,٧
مصر	٦٢٩٣١	٢,٢٢	٢٩,٣	٨,١	٦٧	٢١,٢
ليبيا	٥٤٠٧	٣,٤٧	٤١,٩	٨,١	٦٨	٣٣,٨
المغرب	٢٧٠٢٨	٢,١٠	٢٩,١	٨,١	٦٨	٢١,٠٠
السوادن	٢٨٠٩٨	٢,٦٧	٣٩,٨	١٣,١	٧٨	٢٦,٧
تونس	٨٨٩٦	١,٩٢	٢٥,٦	٦,٤	٤٣	١٩,٢
الصحراء الغربيه	٢٨٣	٤,١٦	—	—	—	—
جنوب أفريقيا	٤٧٣٩٦	٢,٣١	٣١,٩	٨,٩	٥٤	٢٣,٠٠
بوتسوانا	١٤٨٧	٣,٠٦	٣٧,١	٦,٦	٤٣	٣٠,٥

تابع جدول رقم (٣)

الـــــدولة	عدد السكان ١٩٩٥ بالألف	معدلات النمو السكاني ٩٠ـ١٩٩٥ ٪	معدلات المواليد الخام (في الألف) ٩٠ ـ١٩٩٥	معدلات الوفيات العامة (في الألف) ٩٠ ـ ١٩٩٥	معدلات وفيات الأطفال الرضع (لكل ألف مولود حي ٩٠ ـ ١٩٩٥	معدلات الزيادة الطبيعية ٩٠ ـ ١٩٩٥
ليسوتو	٢٠٥٠	٢,٦٩	٣٦,٩	١٠,٠٠	٧٩	٢٦,٩
ناميبيا	١٥٤٠	٢,٦٥	٣٧,٠٠	١٠,٥	٦٠	٢٦,٥
جنوب أفريقيا	٤١٤٦٥	٢,٢٤	٣١,٢	٨,٨	٥٣	٢٢,٤
سوازيلاند	٨٥٥	٢,٧٨	٢٨,٥	١٠,٧	٧٥	٢٧,٨
غرب أفريقيا	٢١٠٦٦٣	٣,٠٢	٤٦,٢	١٦,٠	٩٧	٣٠,٢
بنين	٥٤٠٩	٣,١٠	٤٨,٧	١٧,٨	٨٦	٣٠,٩
بوركينا فاسو	١٠٣١٩	٢,٧٦	٤٦,٨	١٨,٢	١٣٠	٢٨,٦
الرأس الاخضر	٣٩٢	٢,٧٧	٣٦,٢	٨,٦	٥٠	٢٧,٦
كوت ديفوار	١٤٢٥٣	٣,٤٨	٤٩,٩	١٥,١	٩٢	٣٤,٨
غمبيا	١١١٨	٢,٨٣	٤٣,٧	١٨,٨	١٣٢	٢٤,٩
غانا	١٧٤٥٣	٣,٠٠	٤١,٧	١١,٧	٨١	٣٠,٠
غينيا	٦٧٠٠	٣,٠٤	٥٠,٦	٢٠,٣	١٣٤	٣٠,٣
غينيا بيساو	١٠٧٣	٢,١٤	٤٢,٧	٢١,٣	١٤٠	٢١,٤
ليبيريا	٣٠٩٣	٣,٣٢	٤٧,٣	١٤,٢	١٢٦	٣٣,١
مالي	١٠٧٩٥	٣,١٧	٥٠,٨	١٩,١	١٥٩	٣١,٧
موريتانيا	٢٢٧٤	٢,٥٤	٣٩,٨	١٤,٤	١٠١	٢٥,٤
النيجر	٩١٥١	٣,٣٧	٥٢,٥	١٨,٩	١٢٤	٣٣,٦
نيجيريا	١١١٧٢١	٣,٠٠	٤٥,٤	١٥,٤	٨٤	٣٠,٠
سانت هيلانه	٦	٠,٨٤	–	–	–	–
السنغال	٨٣١٢	٢,٥٢	٤٣,٠٠	١٦,٠	٦٨	٢٧,٠
سيراليون	٤٥٠٩	٢,٤٠	٤٩,١	٢٥,٢	١٦٦	٢٣,٩
توجو	٤١٣٨	٣,١٨	٤٤,٥	١٢,٨	٨٥	٣١,٧
افريقيا	٧٢٨٠٧٤	٢,٨١	٤١,٩	١٣,٧	٩٣	٢٨,٢
العالم	٥٧١٦٤٢٦	١,٥٧	٢٥,٠	٩,٣	٦٤	١٥,٧

المصدر: ـ الجدول من حساب الباحثة عن :

U.N., World population prospects, The 1994 Revision, New York, 1995, PP. 222 - 412



(شكل ٣) : معدلات النمو السنوى للسكان فى القارة الافريقية (١٩٩٠ - ١٩٩٥)

ثانيا: مكونات النمو السكاني

إن دراسة النمو السكانى فى أى أقليم هى الدلالة الهامة التى توضع أمام مخططى هذا الأقليم، لما لها من تاثير على المجتمع السكاني، وبالتالى بما يرتبط بها من أستغلال الموارد وتوزيع الناتج. كما أنه أحد الأركان الهامه فى الدراسة الديمغرافيه.

ومن أهم العوامل التى تؤثر فى نمو سكان أى اقليم هي

١ ـ الزيادة الطبيعيه ٢ ـ الهجرة

وسوف تتعرض الباحثة لكل عنصر بشئ من التفصيل فيما يلي: ـ

(١) الزيادة الطبيعية:.

الزيادة الطبيعية هى الفرق بين المواليد والوفيات ويوضح الجدول رقم (٣) السابق والشكل (٤) معدلات الزيادة الطبيعية فى دول القارة الأفريقية خلال الفترة (٩٠ ـ ١٩٩٥) ومنه يتضح الآتي: ـ

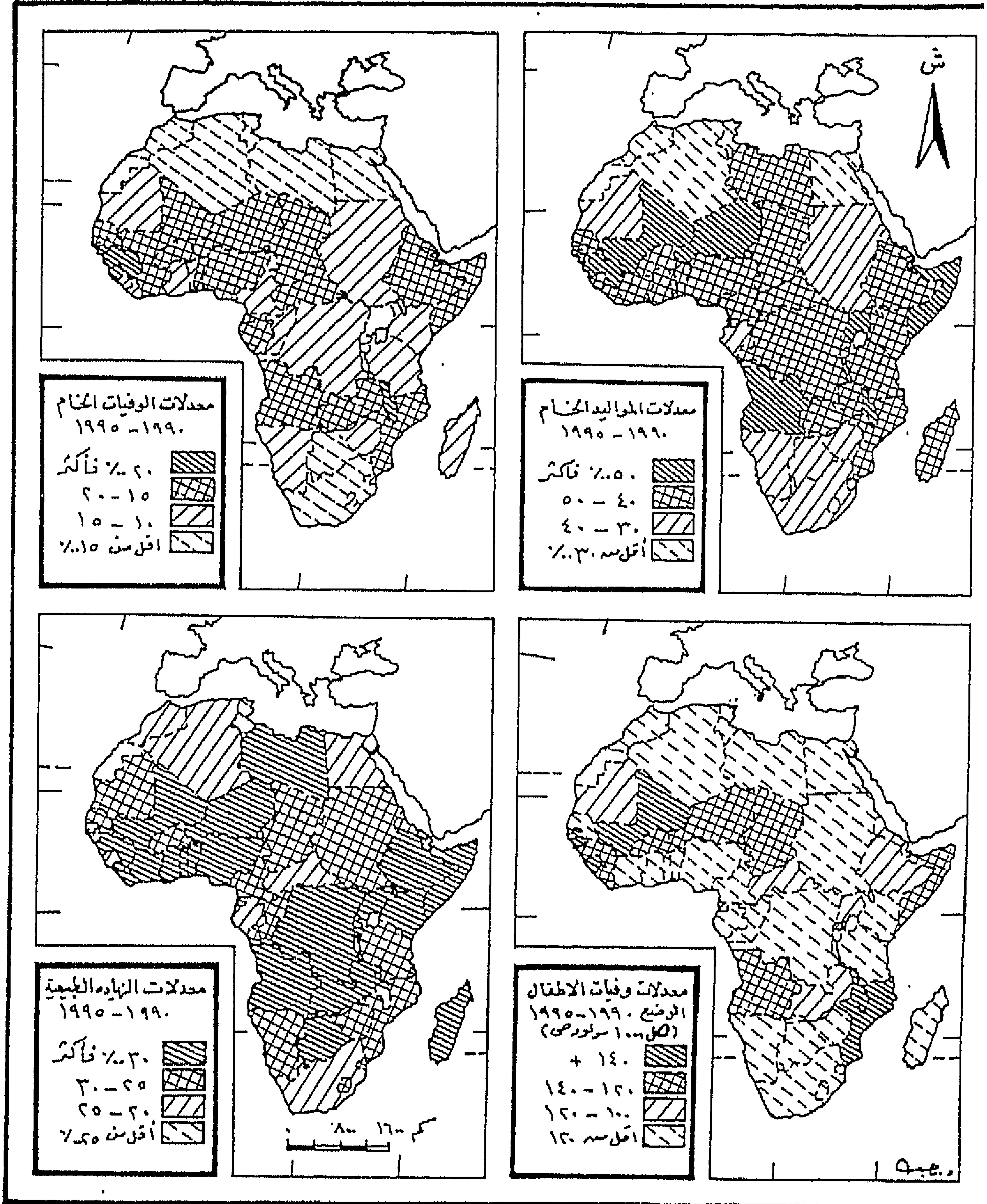
ـ تكون الزيادة الطبيعية مرتفعة جداً فى ٢١ دولة حيث تزيد عن ٣٠ فى الألف، يبلغ عدد سكانها أكثر من ٣٩١ مليون نسمة وتضم بذلك نحو ٥٣,٧٪ من جملة سكان القارة الأفريقية وتقع غالبية هذه الدول فى غربى أفريقيا (بنين، كوت ديفوار، غانا، غينيا، ليبيريا، مالي، النيجر، نيجيريا، وسيراليون)، أو فى شرقى أفريقيا (بورندى ـ جزر القمر، أثيوبيا، كينيا، مدغشقر، ملاوي، الصومال وأوغنده) بالأضافة إلى أنجولا وزائير فى وسط أفريقيا، وليبيا فى شمالى القارة ثم دولة بتسوانا فى جنوبى أفريقيا.

ـ ينمو سكان بعض الدول الأفريقية بمعدلات زيادة طبيعية مرتفعة تتراوح بين ٢٥ ـ ٣٠ فى الألف وعدد هذه الدول ١٨ دولة يبلغ عدد سكانها نحو ١٤٦ مليون نسمة تشكل نحو خمس سكان القارة الأفريقية معظمها يقع فى شرقى أفريقيا (أريتريا، موزمبيق، رواندا، تنزانيا، زامبيا وزيمبابوى) ووسط أفريقيا (الكمرون، تشاد، الكنغو، غينيا الأستوائية) إلى جانب بوركينا فاسو، والرأس الأخضر، موريتانيا والسنغال فى غربى أفريقيا والسودان فى شمالى أفريقيا، وليسوتو وناميبيا وسوازيلاند فى جنوبى القارة

ـ يتراوح معدل الزيادة الطبيعية من ٢٠ ـ ٢٥ فى الألف فى عشرة دول تشكل نحو ٢٣,٥٪ (١٧١,٣ مليون نسمة) من إجمالي سكان القارة وتتركز فى شمالى القارة (الجزائر ـ مصر ـ المغرب) وغربى أفريقيا (غمبيا ـ غينيا بيساو، وسيراليون) إلى جانب جمهورية جنوب أفريقيا والجابون وأفريقيا الوسطى ثم دولة جيبوتي.

ـ تتحقق أقل معدلات للزيادة الطبيعية فى القارة الأفريقية، وهى معدلات تقل عن ٢٠ فى الألف فى ثلاث دول هى جزر موريشيوس ورينيون فى غربى أفريقيا وتونس فى شمالى القارة وهى لا تضم سوى ٢,٨٪ من إجمالى سكان القارة الافريقية.

يتبين لنا من العرض السابق للزيادة الطبيعية لسكان القارة الأفريقية تفاوت معدلات هذه الزيادة بين أقاليم القارة. ولما كانت هذه الزيادة هى الفرق بين المواليد والوفيات يجدر بنا الآن تناول كل منها لمعرفة تأثيره على معدلات الزيادة الطبيعية الذى عرضنا له فى الجزء السابق.



(شكل ٤) : المؤشرات السكانية لقارة أفريقيا

١- معدلات المواليد

بلغ المعدل العام للمواليد والذى يعكس مستوى الخصوبة فى القارة الأفريقية ٤١,٩ فى الألف، ومع ذلك يتباين هذا المعدل من دولة إلى أخرى تبعا للتركيب العمرى للسكان. ولهذه المعدلات العالية للمواليد أثرها المباشر فى تزايد التراكم العددى فى قاعدة هرم السكان لهذه الدول مما يوجد الظاهرة المعروفة ديموجرافيا بظاهرة التجديد والتى ينتج عنها العديد من الظواهر الأجتماعية والأقتصادية المؤثره فى معدل نمو السكان فى مثل هذه الدول.

ويلاحظ أرتفاع معدلات المواليد فى أفريقيا عنها فى القارة الأسيوية ٢٥,٢ فى الألف وأوربا (١١,٦ فى الألف)، وهذا المعدل العالى للمواليد ينطبق على أقسام القارة المختلفة فهى ٤٦,٢ فى الألف فى غربى أفريقيا، ٤٦,١ فى الألف فى وسط أفريقيا و٤٦ فى الألف فى شرقى أفريقيا، بينما تبلغ أدناها فى جنوبي القارة (٣١,٩. في الألف) وشمالها (٣١,٣ فى الألف) وهى لا تزال مرتفعة كما نري. غير أن الأمر يتطلب فحصا متأنياً لتلك المعدلات على مستوى الأقطار الأفريقية للخروج منها بأنماط لا تأخذ الموقع الجغرافى من القارة فى إعتبارها ولكن تأخذ مدى أرتفاع تلك المعدلات أو إنخفاضها حيث يلاحظ من دراسة جدول رقم (٣) والشكل رقم (٤) الآتي: -

- ترتفع معدلات المواليد عن ٥٠ فى الألف فى سبع دول أفريقيه هى (أوغنده، ملاوي، الصومال فى شرقي أفريقيا، أنجولا فى وسط أفريقيا، غينيا، ومالي، النيجر فى غربى أفريقيا. وتضم هذه الدول حوالى ١٠,٩٪ من إجمالى سكان القارة الأفريقية.

- تتراوح معدلات المواليد بين ٤٠ - ٥٠ فى الألف فى ٢٨ دولة تضم

٥٨,٨٪ من جملة سكان القارة الأفريقية. ومعنى ذلك أن ٣٥ دولة تضم سكاناً تصل نسبتهم إلى حوالى ٧٠٪ من جملة سكان القارة تعتبر من أعلى دول العالم من حيث معدلات المواليد المرتفعة وهى تتركز بصفة أساسية فى شرقى وغربى القارة الأفريقية.

وتتعدد العوامل التى تقف إلى جانب أرتفاع معدلات المواليد فى أفريقيا بصفة عامة وفى هذه الدول بصفة خاصة مثل قيمة عمل الأطفال ونقص الضمان الأجتماعى وأرتفاع وفيات الأطفال(١٣) بالأضافة إلى العديد من المتغيرات الأجتماعية والثقافية التى تؤثر على أرتفاع معدلات المواليد وهى أن الزواج فى البلدان الواقعة جنوب الصحراء مبكراً وشاملاً، وأن متوسط المرأة التى تتزوج للمرة الأولى فى أفريقيا جنوب الصحراء يتراوح من أقل من سبعة عشر عاماً إلى حوالى ٢٢ عاماً. وهناك آلية أخرى لها فعاليتها هى ممارسة ضغوط أجتماعية على الأرامل فى سن الأخصاب حتى يتزوجن مرة أخرى حتى ولو أضطر أخ الزوج المتوفى من الزواج من أرملة أخيه.

وهناك ملامح أخرى لأنماط الزواج الأفريقى هى ثروة العروس والزيجات المرتبه فعلى سبيل المثال لاحظ فرانك Frank وماك نيكول Mcnicol فى كينيا أنه بدلاً من أن تحضر المرأة ثروتها معها بعد الزواج فى شكل دوطه، فإن الزوجه تتم مبادلتها بالثروه التى تتحول إلى أبويها وذريتهما وفى المقابل فإن عليها أن تلد أطفالاً ينتسبون لزوجها، وفى حالة الطلاق تترك أطفالها لزوجها(١٤)

والحاجة إلى الأطفال ملحة جدا وقوية فى أفريقيا جنوب الصحراء. وفى الواقع، فإن الأطفال فى بعض أجزاء أفريقيا ضرورة أساسية للزواج، حتى أنه بدون أنجاب تصبح المرأه بلا مكانه، وموصومه، وتستحق الرثاء، وتتهم بأنها

ساحره. علاوة على ذلك، فإن الأطفال وبخاصة الذكور ينظر إليهم على أنهم مصدر الثروة والمكانة المرموقة فهم يعملون فى المزارع، وهم أمان للآباء فى الكبر، وأنهم يواصلون حمل أسم العائلة، ويعتبرون أمتداد ا لذرية بعد وفاة الأب، ويشعر الأب بالسعادة وهو يتفحص بيت العائلة وقد أمتلأ بالأطفال وبالماشية. وحتى تعزز المرأة فى أفريقيا من مكانتها وأحترامها، فعليها أن تناضل من أجل نسبة خصوبة مرتفعة، لأن مكانتها ترتفع أرتفاعا يتناسب مع ما قدمتة من أطفال. بالأضافة إلى وجود رغبة عامة نحو تكوين عائلات كبيرة فى أفريقيا جنوب الصحراء تتراوح بين ١, ٦:٧, ٨ طفل. كما أن نظام رعاية الأطفال فى أفريقيا جنوب الصحراء يلعب دورا هاماً فى الأبقاء على الرغبة فى تحقيق أعلى نسبة للمواليد. حيث أنه لما كان من المتوقع أن تكون مسئولية الأطفال تقع على كاهل الأسرة الكبيرة وليس فقط على كاهل والدتهم فإن عبأ تربية الطفل يصبح أقل وطأه على الوالدين(١٥)

إلا أنه يلاحظ أن هناك أتجاه نحو إنخفاض معدلات المواليد فى بعض هذه الدول فى الفترة (١٩٩٠ ـ ١٩٩٥) عما كانت عليه فى الفترة السابقة (١٩٨٠ ـ ١٩٨٥) وذلك نتيجة لتزايد أنتشار وسائل منع الحمل وأرتفاع سن الزواج كما هو الحال فى كينيا حيث أرتفع الأستخدام الحالى لوسائل منع الحمل من ٧٪ فى ١٩٧٧/١٩٧٨ إلى ٣٣٪ فى عام ١٩٩٣ بالأضافة إلى أرتفاع نسبة تعليم الأناث وأرتفاع مركز المرأة فى المجتمع الكينى ومن ثم تناقص الرغبة فى العائلات الكبيرة. وكان نتيجة ذلك أن أنخفض حجم الأسرة من ٧,٢ طفل إلى ٣,٧ طفل فى الفترة السابقة. على التوالي. فى رواندا أيضاً تزايد أستخدام وسائل منع الحمل من ١٠٪ فى عام ١٩٨٣ إلى ٢١٪ فى عام ١٩٩٣.

نلاحظ فى بعض الأقطار أن أرتفاع سن الزواج بالأضافة إلى الرضاعة

الطبيعية قد لعبا الدور الأكبر فى خفض الخصوبة حتى ولو كان أستخدام وسائل منع الحمل منخفض فتنزانيا مثلاً نجد أن أنخفاض الخصوبة يرجع إلى أرتفاع سن الزواج من ١٨ سنة عام ١٩٧٨ إلى ٢١ سنة عام ١٩٨٨ بالأضافة إلى الرضاعة الطبيعية. أما تأثير أستخدام وسائل منع الحمل فهو محدود.

ونجد فى الكاميرون أيضاً أنخفاض طفيف فى الخصوبة حيث إنخفض متوسط عدد الأطفال من ٦,٤ طفل لكل أمرأة فى عام ١٩٨٠ ــ ١٩٨٥ إلى ٥,٧ طفل فى ١٩٩٠ ـ ١٩٩٥(١٦).

ـ وقد حققت بعض الدول معدلات مواليد متوسطة نسبيا بالقياس إلى أفريقيا حيث تتراوح معدلات المواليد فيها بين ٣٠ ـ ٤٠ فى الألف. وعددها ١١ دولة هى جيبوتى وزيمبابوى فى شرقى أفريقيا، الجابون فى وسط أفريقيا، السودان فى شمالى القارة، وكل دول جنوبي أفريقيا بالأضافة إلى الرأس الأخضر وموريتانيا فى غربى أفريقيا ويعيش فى هذه الدول حوالى ٩١,٣ مليون نسمة يشكلون حوالى ١٢,٥٪ من جملة سكان القارة. ويلاحظ أن معدلات المواليد متوسطة فى هذه الدول نتيجة لتزايد أنتشار وسائل منع الحمل وأرتفاع سن الزواج. ففى زيمبابوى زاد أستخدام وسائل منع الحمل من ٣٨٪ عام ١٩٨٤ إلى ٤٣٪ عام ١٩٨٩/٨٨ وفى السودان أنخفضت معدلات الخصوبة الكلية من ٦,٤ طفل إلي ٥,٧ طفل خلال الفترات ١٩٨٥/٨٠، ١٩٩٥/٩٠ على التوالي. كما يلاحظ أنخفاض معدلات الخصوبة العامة ب ٢ طفل فى الرأس الأخضر Cape - Verd من ٦,٣ طفل فى ١٩٨٥/٨٠ إلى ٤,٣ طفل فى ١٩٩٥/٩٠، وفى موريتانيا من ٦,١ طفل إلى ٥,٤ طفل خلال نفس الفترة.

أما فى جنوبي أفريقيا فقد أنخفضت الخصوبة مبكرا، وهناك مؤشرات على أنخفاض الخصوبة حديثا فى بوتسوانا ناميبيا وسوازيلاند، ويرجع أنخفاض

الخصـوبة فى بتسوانا إلى الأنخفـاض الحـاد فـى المناطق الريفيـة والذى كـان أستجابة للظروف الأقتصادية القاسية إلى حد ما والتى كانت نتيجة للجفاف. ففى أثناء هذه الفترة واجه المقيمون فى الريف عدة مواقف صارمة خفضت من خصوبتهم، على سبيل المثال. الرجال يعملون لفترات طويلة فى المزارع البعيدة تاركين أسرهم. أيضاً أدت الظروف الأقتصادية غير الملائمة إلى صعوبة تحمل الرجال لتكاليف الزواج، بالأضافة إلى أنتشار وسائل منع الحمل والتى أرتفعت من ٢٨٪ عـام ١٩٨٤ إلى ٣٣٪ عـام ١٩٨٨ هذا إلى جـانب أرتفـاع سـن الزواج (٢٦ سنة فى عام ١٩٨١) ساهم فى خفض الخصوبة،(١٧) كما يرجع فى بعض الدول إلى أرتفاع نسبة عقم المرأة كما هو الحال فى الجابون حيث أن ٣٢٪ من النساء فى سن الحمل لا ينجبن. (١٨)

ـ أما الدول الأفريقية التى تصل فيها معدلات المواليد أقل من ٣٠ فى الألف فعددها محدود فهى تقتصر على شمالى أفريقيا (مصر ـ الجزائر ـ المغرب ـ تونس) بالأضـافـة إلى الجزر المحيطة بالقـارة مـثل (ريونيـون) ويبلغ عـدد سكان هذه الدول نحـو ١٢٨,٧ مليـون يشكلون حـوالى ١٧,٧٪ من إجـمـالى سكان القارة الأفريقية ، ويلاحظ إن هذه البلاد ذات سياسـات سكانية وبرامج قومية لتنظيم الأسرة ففى مصر جاء الأعتراف بالمشكلة السكانية والحاجة إلى حلها فى ميثـاق العمل الوطنى الذى أعلنه الرئيس الراحل جمـال عبد الناصـر عـام ١٩٦٢، كما تهتم هذه الدول بتعليم المرأة ورفع سن الزواج كوسائل لتخفيض الخصـوبة، وتذهب تونس إلى أبعد من ذلك ببرنامج شامل لتحرير المرأة فقد أنشـأت مؤخـراً أول وزارة للمـرأة فى المنطقـة. كـمـا تشـجـع هذه الدول الهـجـره الخارجية المؤقته. (١٩)

وفى الجزائر أنخفضت الخصوبة بمعدل ٢,٥ طفل لكل أمرأة فى عقد واحد

من ٦,٣ طفل فى ٨٠/١٩٨٥ إلى ٣,٨ طفل فى ٩٠/١٩٩٥. فقد زادت نسبة أستخدام وسائل منع الحمل من ٣٦٪ فى ٨٦/١٩٨٧ إلى ٤٧٪ فى عام ١٩٩٢(٢٠)

ب ـ معدلات الوفيات :

تناولنا فيما سبق معدلات المواليد والعوامل المؤثرة فيها. وسنتناول الآن العوامل المؤدية إلى تناقص السكان من الناحية الطبيعية. وكما سبق القول بأن قارة أفريقيا تحظى بأعلى معدلات للوفيات بين قارات العالم، حيث يبلغ متوسط معدل الوفيات بها ١٣,٧ فى الألف فى مقابل ٩,٣ فى الألف بالنسبة للعالم خلال الفترة ٩٠ ـ ١٩٩٥. ويوضح الجدول رقم (٣) والشكل (٤) السابقين معدلات الوفيات في الدول الأفريقية ومنهما يلاحظ الآتى :

ـ ترتفع معدلات الوفيات عن ٢٠ فى الألف فى أربعة دول هى ملاوى فى شرقى أفريقيا وسيراليون وغينيا وغينيا بيساو فى غربي أفريقيا. وهذه الدول محدودة في عدد سكانها، حوالى ٢٣,٤ مليون نسمة تشكل نحو ٣,٢٪ من إجمالي سكان القارة.

ـ تتراوح معدلات الوفيات بين ١٥ ـ ٢٠ فى الألف فى ٢٢ دولة تتركز فى شرقى وغربى ووسط أفريقيا ويعيش فى هذه الدول حوالى ٣٢٣,١ مليون نسمة تشكل نحو ٤٤,٤٪ من إجمالى سكان القارة. ويلاحظ من الشكل الذى يوضح معدلات وفيات الأطفال الرضع في القارة الأفريقية بأن هاتين المجموعتين من الدول هما اللتين حققتا أعلى معدلات لوفيات الأطفال الرضع والتى ترتفع فى غالبيتها عن ١٠٠ فى الألف وقد سجلت سيراليون أعلى نسبة لوفيات الأطفال الرضع (١٦٦فى الألف) بين دول هاتين المجموعتين.

- مجموعة الدول التى تتراوح فيها معدلات الوفيات العامة بين ١٠ - ١٥ فى الألف وعددها ١٦ دولة هى كينيا - تنزانيا - زيمبابوى - مدغشقر - وجزر القمر فى شرقى أفريقيا. وليسوتو وناميبيا وسوازيلاند فى جنوبى أفريقيا. ويعيش فى هذه الدول نحو ٢٠٣,٨ مليون نسمة يشكلون حوالى ٢٨٪ من إجمالي سكان القارة. كما تتراوح معدلات وفيات الأطفال الرضع بهذه المجموعة من الدول بين ٦٠ فى الألف فى ناميبيا و١٢٦ فى الألف فى ليبريا.

- أما أدنى معدلات للوفيات العامة والتى تقل عن ١٠ فى الألف فهى توجد فى كل من مصر والجزائر وتونس والمغرب وليبيا فى شمالي أفريقيا وبوتسوانا وجمهورية جنوب أفريقيا فى جنوبى أفريقيا بالأضافة إلى الرأس الأخضر في غربى أفريقيا وجزر رينيون وموريشيوس فى شرقى أفريقيا ويرجع إنخفاض معدلات الوفيات هنا إلى تزايد نشر الوعى الصحى ومد الخدمات الطبية والصحية ودور وسائل الأعلام فى نشر الوعى بالنظافة وأزدياد السيطرة على الأمراض الأساسية للطفولة والأمراض المنقولة والتحسن الواسع النطاق فى خدمات صحة الأم.

* يلاحظ فى الدول الأفريقية بصفة عامة أن هناك توافقاً كبيراً بين أنخفاض معدلات وفيات الأطفال الرضع وأنخفاض معدلات الوفيات العامة. وأن ٤٣٪ من حالات الوفيات حدثت فى عمر أقل من ٤ سنوات، ١٦٪ فقط من حالات الوفيات فى الأعمار ٦٥ سنة فأكثر. على النقيض فى الأقطار المتقدمة ٢٪ فى الأعمار الأقل من ٤ سنوات و٧٥٪ حدثت فى الأعمار ٦٥ + (٢١) وترجع أسباب أرتفاع نسب الوفيات فى معظم الدول الأفريقية إلى عوامل متعددة من بينها العامل الأقتصادى والحالة التعليمية والحالة الصحية وعامل الحرب وسوف نتناول دور كل منها بشئ من التفصيل.

١ـ العامل الاقتصادى :.

من المقارنة بين متوسط معدل دخل الفرد ومعدل الوفيات فى الدول الأفريقية يلاحظ أنه كلما أرتفع دخل الفرد كلما أنخفضت نسبة وفيات الأطفال الأقل من خمس سنوات فدخل الفرد منخفض جداً فى موزمبيق، فهو ٨٠ دولارا فى سنه ١٩٩٤ ولديها نسبة مرتفعة من وفيات الأطفال (٢٧٧فى الألف) وكذلك الأمر بالنسبة لسيراليون وملاوى وأثيوبيا والصومال وأرتيريا وتنزانيا حيث يقل متوسط دخل الفرد عن ٢٠٠ دولار. (جدول رقم ٤) الا أن الأمر ليس مطلقا، ففى بعض الدول الأفريقية الأخرى حيث يرتفع دخل الفرد كما فى الجابون وأنجولا وليسوتوفنرى أن نسبة الوفيات عالية. ويمكن تفسير ذلك بأن دخل الفرد المشار إليه ليس معدل دخل الفرد الحقيقي، ومن ثم فإن أنخفاض دخل الفرد ينعكس بطبيعة الحال على وضع العائلات التى يعتبر دخلها منخفضا، ففى الجابون مثلاً نجد أن الجزء الأكبر من القوي العاملة (٧٥٪) يعمل في القطاع الزراعى ومعنى هذا بأن الجزء الأكبر من السكان يتعايش من مردود هذا القطاع، وإذا علمنا بأن هذا القطاع لا يسهم سوى بـ ٩٪ من الناتج المحلى الأجمالى نفهم بأن أرتفاع معدل الوفيات أحد أسبابه الرئيسية أنخفاض دخل الجزء الأكبر من السكان.

كذلك الامر بالنسبة للسنغال وغينيا حيث يعمل (٨١٪ ، ٧٨٪) من القوى العاملة فى القطاع الزراعي، ولايؤمن هذا القطاع سوى ١٩ ، ٢٩٪ من الناتج القومى فى ١٩٩١ على التوالى[٢٢] ويؤكد الجدول رقم (٤) ما نذهب إليه ففى الدول المتقدمة معدل دخل الفرد فيها مرتفع ومعدل الوفيات منخفض، فمعدل وفيات الأطفال دون الخامسة لا يتعدى ١٠فى الألف فى الولايات المتحدة الأمريكية، و٩ بالألف فى كوريا و ٨.فى الألف فى كندا، و٩ فى الألف فى فرنسا و ٦ فى الألف فى اليابان.

جدول رقم (٤)

نصيب الفرد من الناتج القومي ومعدلات وفيات الأطفال دون الخامسة في بلدان أفريقيا جنوب الصحراء عام ١٩٩٤

الدولة	نصيب الفرد من الناتج القومي بالدولار	معدل وفيات الأطفال دون الخامسه	الدولة	نصيب الفرد من الناتج القومي بالدولار	معدل وفيات الأطفال دون الخامسة
١ ـ الجابون	٣٥٥٠	١٥١	٢٥ ـ مالي	٢٥٠	٢١٤
٢ ـ موريشيوس	٣١٨٠	٢٣	٢٦ ـ غينيا بيساو	٢٤٠	٢٣١
٣ ـ جنوب أفريقيا	٣٠١٠	٦٨	٢٧ ـ مدغشقر	٢٣٠	١٦٤
٤ ـ بوتسوانا	٢٨٠٠	٥٤	٢٨ ـ النيجر	٢٣٠	٣٢٠
٥ ـ ناميبيا	٢٠٣٠	٧٨	٢٩ ـ زائير	٢٣٠	١٨٦
٦ ـ ليسوتو	٧٠٠	١٥٦	٣٠ ـ رواندا	٢١٠	١٣٩
٧ ـ أنجولا	٧٠٠	٢٩٢	٣١ ـ اوغنده	٢٠٠	١٨٥
٨ ـ الكاميرون	٦٨٠	١٠٩	٣٢ ـ تشاد	١٩٠	٢٠٢
٩ ـ الكونغو	٦٤٠	١٠٩	٣٣ ـ بوروندي	١٥٠	١٧٦
١٠ ـ السنغال	٦١٠	١٥٥	٣٤ ـ سيراليون	١٥٠	٢٨٤
١١ ـ غينيا	٥١٠	٢٢٣	٣٥ ـ ملاوي	١٤٠	٢٢١
١٢ ـ ساحل العاج	٥١٠	١٥٠	٣٦ ـ اثيوبيا	١٣٠	٢٠٠
١٣ ـ زيمبابوي	٤٩٠	٨١	٣٧ ـ الصومال	١٢٠	٢١١
١٤ ـ موريتانيا	٤٨٠	١٩٩	٣٨ ـ اريتريا	١٠٠	٢٠٠
١٥ ـ ليبيريا	٤٥٠	٢١٧	٣٩ ـ تنزانيا	٩٠	١٥٩
١٦ ـ غانا	٤٣٠	١٣١	٤٠ ـ موزمبيق	٨٠	٢٧٧
١٧ ـ بنين	٣٧٠	١٤٢			
١٨ ـ جنوب افريقيا	٣٧٠	١٧٥			
١٩ ـ غمبيا	٣٦٠	٢١٣	الولايات المتحدة	٢٥٨٦٠	١٠
٢٠ ـ زامبيا	٣٥٠	٢٠٣	الامريكية		
٢١ ـ توجو	٣٢٠	١٣٢	اليابان	٣٤٦٣٠	٦
٢٢ ـ بوركينا فاسو	٣٠٠	١٦٩	كندا	١٩٥٧٠	٨
٢٣ ـ نيجيريا	٢٨٠	١٩١	فرنسا	٢٣٤٧٠	٩
٢٤ ـ كينيا	٢٦٠	٩٠	كوريا	٨٢٢٠	٩

المصدر : من حساب الباحثه عن اليونسيف ، مسيرة الأمم (بلدان العالم مرتبه حسب انجازاتها في مجالات صحة الأطفال وتغذيتهم وتعليمهم)، ١٩٩٦، ص ص ٥٢ ـ ٥٣

إن أنخفاض نسبة أسهام القطاع الزراعي، إذا ما قيس بنسبة العاملين فيه يطرح أمراً في غاية الخطورة وهو أزدياد العجز الأفريقي في تأمين المواد الغذائية محلياً وبخاصة في أفريقيا جنوب الصحراء، ففي أحد عشر بلداً (ناميبيا، موزمبيق، أنجولا ، بورندي ، رواندا ، الصومال ، أثيوبيا ، جمهورية أفريقيا الوسطي، تشاد وسيراليون) يقل المتاح من موارد الطاقة اليومية عن ٢٠٠٠ سعر، كما يوجد في أفريقيا جنوب الصحراء أدنى معدل لأستهلاك المنتجات الحيوانيه حيث تمثل الجذور كاليام والمنيهوت في الأجزاء الوسطى والغربية مواد الغذاء الرئيسية، لكن أجزاء كبيرة من شرقي وجنوبي أفريقيا تعتمد على أنتاج الحبوب ـ الحبوب الخشنة أساساً كالذرة والدخن والسورجام ـ وتشير الأحصاءات المتاحة للأسف إلى أنحدار مستويات الأنتاج للفرد خاصة من مطلع السبعينات ومايليها.

كما يلاحظ أنه في أفريقيا جنوب الصحراء تمثل معونات الحبوب فيها أكبر قسم من الواردات. وعلاوة على هذا يبدو أن موقف هذه المنطقة من المساعدات الغذائية أخذ في التدهور لأن عدداً متزايد من البلدان يعجز عن دفع قيمة ما يكفيه من واردات غذائية وقد صنفت ١٣ دولة من ٤٤ كدول ذات أمن غذائي معقول. و٣١ كدول مزعزعة الأمن الغذائي. (٢٣)

أما نسبة الأطفال دون سن الخامسة والمصابين بسوء التغذية معتدل أو حاد فإنها ٣٢٪ في بلدان أفريقيا الصحراويه بصفة عامه وقد سجلت أعلى نسبة في أثيوبيا وموريتانيا ٤٨٪ لكل منهما ، ٤١٪ في أريتريا، ٣٦٪ في كل من النيجر ونيجيريا، ٣٥٪ في زائير، ٣٢٪ في مدغشقر، ٣٠٪ في بوركينافاسو ، ٢٩٪ في كل من تنزانيا ورواندا وسيراليون ، ٢٧٪ في كل من ملاوي وغانا*، ٢٦٪ في ناميبيا، ٢٥٪ في زامبيا، ٢٣٪ في كينيا، ٢١٪ في ليسوتو، ٢٠٪ ، في

---

* الأطفال دون الثالثه

السنغـال ، ١٦٪ فى زيمبابوى*، ١٤٪ فى الكاميـرون و ٩٪ فى جنـوب أفريقـيـا، أمـا بالنسبة لشمال أفريقيا فقد سجلت السـودان أعلي نسبـه للأطفال سيئى التغذية (٣٤٪) فى حين أن مصـر والجزائر والمغرب سجلت أدنى نسبة ٩٪ وذلك فى الفترة ما بين (١٩٩٠-١٩٩٥) (٢٤).

ويلاحظ مما سبق أن عدة بلدان أفريقيـة** تتزايد فيهـا معدلات سوء التـغذية تحت تأثير الديون والتكيف الـهيكلى وتزايد الفقر وتدهور خـدمـات البنيـه التـحتيـه الأسـاسـيـه. وعـلاوة علي ذلك فـإن التـأثيـر المروع لمرض نقص المناعـة المكتسبـة (إيدز) فى أفريقيـا يسـهم فى زيادة معدلات سـوء التغذية وزيـادة مـعدلات الوفـاة بين الأطفال فى البلدان الأفريقية التى تحمل ٢٥٪ من نسائها الحوامل فيروس نقص المناعه. (٢٥)

والأنيـمـيـا مـرض تغـذوى له أثار بالغـة فى مـعدلات وفـيـات الأطفـال وتـأخـر النشـاط العقلي. ويمكن أن تترك الأنيمـيـا أثاراً دائمـة على النمـو العصـبى لدى الرضـع والنمـو المعـرفى لدى صـغـار الأطفـال. ولقـد أتضـح بـأن الأنخـفـاض فى وفيات الرضـع فى البلدان الصناعية مرده إلى تحسن الأحـوال المعيشية العامة أكثر من تقدم العناية الطبية ففى عام ١٩٠٨ كان معدل وفيات الرضـع ٢٣٨ فى الألف فى أحد أحياء برمنجهام (المملكة المتحدة) أى أعلى منه فى معظم البلدان النامية في هذه الأيام. وبعد ٤٠ سنة هبط مـعدل الوفيات فى كل أنحاء بـريطانيا إلى ٢٥ فى الألف. والتـحليـلات للـهبـوط المذهل فى المعـدل الإجمـالى للوفـيـات أظهـرت بأن ذلك حـدث قـبل ظهـور العلاجـات الكيمـيـائيـه الحـديثـة والتـحـصين الوقائى الفعال (٢٦).

---

* الأطفال دون الثالثه

** يعانى زهاء ٢٤٠ مليون شخص (يمثلون حوالي ٣٠٪ من المجموع) من سوء التغذيه

يتضح مما تقدم أن تحس الأوضاع المعيشيه (العامل الأقتصادي) يساهم ى خفض سوء التغذيه وبالتالى أنخفاض معدل الوفيات. غير أن العامل لأقتصادى ليس هو العامل المؤثر الوحيد فى عملية التغذية وبالتالى تزايد لوفيات. ذلك أن عوامل أخرى هامة جداً تلعب دوراً بارزاً فى التأثير على معدلات الوفيات مثل العامل الصحى والعامل التربوي.

٢ ـ الحالة التعليمية

أثبتت الدراسة تلو الأخرى أن تعليم الفتيات هو أفضل الأستثمارات المتاحة لبلدان النامية . فهو يؤدى إلى زيادة الدخل ويساعد على تحرير المرأه من لتبعيه والأعتماد على الغير ويسهم فى تحسين صحة الطفل وتغذيته.

وفى دراسة للأمم المتحدة شملت ١١٥ بلداً كانت الصلة بين مستوى التعليم وأحتمال عيش الطفل عند الولادة أقوى من أى عامل مؤثر أخذ فى الأعتبار. ولقد أكدت الدراسات الحديثة أنه كلما زادت ثقافة الأم أرتفع إمكان بلوغ طفلها عامه الخامس. بل أن مستوى ثقافة الأم له تأثير كبير فى خفض الأمراض(٢٧).

وبرغم أهمية تعليم المرأه والذى يعتبر من أقوى المؤشرات على التقدم فإن عدد البنات اللواتى يلتحقن بالمدارس أقل من عدد الأولاد وترتفع النسبة فى بلدان أفريقيا الواقعة جنوب الصحراء. ففى الصومال لوحظ أن ٩٤٪ من الفتيات فى سن الدراسة لم يلتحقن بالمدارس الأبتدائية وحوالى ٨٦٪ فى كل من مالى والنيجر، ٨٤٪ فى أثيوبيا، ٧٦٪ فى أريتريا. ٧٥٪ فى بوركينا فاسو، ٧٣٪ فى تشاد، ٧٠٪ فى السنغال، ٦٨٪ فى غينيا بيساو، ٦٥٪ فى بنين وموزمبيق، ٥٤٪ فى غامبيا وجمهورية أفريقيا الوسطي، ٥٢٪ فى زائير وبورندي، ٥١٪ فى نيجيريا. وهذه الدول هى التى حققت نسباً أعلى من المتوسط

العام لبلدان أفريقيا جنوب الصحراء (٥٠٪) فى حين سجلت باقى الدول نسباً تقل عن هذا المتوسط.

ونجد فى شمال أفريقيا أن المعدل الأقليمى للبنات اللواتى لم يلتحقن بالمدارس الأبتدائية هو ٢٢٪ ، وقد بلغت النسبة فى مصر ١٨٪، المغرب ٥٥٪ وليبيا ٤٪ ، تونس ٥٪ ، الجزائر ١١٪(٢٨).

وبتفصيل أكثر نجد أن معدلات الأمية المرتفعة بين النساء مازالت موجودة فى معظم أنحاء شمال أفريقيا وأفريقيا جنوب الصحراء. وكثيراً ما تقترن معدلات الأمية المرتفعة بفروق اسعة بين النساء والرجال. ففى البلدان التى تشيع فيها الأمية يزيد معدل الأميه لدى الشابات فى سن (١٥ ـ ٢٤) بمقدار ٢٥٪ على الأقل على معدل الشبان. وأمية المرأة الأكبر سناً عاليه في معدلها في جميع البلدان الناميه تقريباً وهذه نتيجة طويله الأجل لأنعدام فرص المرأه فى التعليم أو لحصولها على فرص ضيقة جداً فى هذا المجال. ومعدلات الأمية بين النساء اللاتى تزيد أعمارهن على ٢٥ سنة تبلغ فى المتوسط ضعفى معدلات الشابات فى سن١٥ ـ ٢٤ أو تزيد على هذه المعدلات. وتعانى المرأة فى المناطق الريفية حرماناً بالغاً فى مجال محو الأمية. ففى البلدان القليلة التى تتوافر فيها بيانات حديثة نسبيا، فإن معدل الأمية بين الشابات فى المناطق الريفية يزيد على الدوام مرتين إلى ثلاث مرات على المعدل في المناطق الحضرية والفرق فى الكاميرون يبلغ أربعة أمثال.

وقد سجلت النيجر أعلى معدل للنساء الأميات فى سن ١٥ ـ ٢٤ حيث بلغت نسبتهن ٩٠٪ فى الفترة (٨٥ ـ ١٩٩١). مالى (٨١٪) ، السنغال (٦٩٪) كوت ديفوار وموريتانيا (٦٢٪) ، جمهورية أفريقيا الوسطى (٦٥٪) ، بورندى (٥٢٪) ، مصر (٤٦٪) ، الجزائر (٣٨٪) ، تونس (٢٨٪). (٢٩).

مما سبق يتضح أن جزءاً من أرتفاع معدلات وفيات الأطفال ناجم عن الجهل والأمية التى تتميز بها فئة هامة من النساء الأفريقيات. إلا أنه لا بد من الأشارة إلى أن هناك بعض الدول بدأت تتصدى لهذه المشكلة ففى مالى تم تأسيس ٧٥ مدرسة قروية متساوية الأعداد وتدير المدارس لجنة مختارة من قبل المجتمع المحلى وفى السنغال شنت منظمة توستان برنامجاً لتوفير مرافق التعليم غير النظامى لنحو ١٤٠٠ فتاه فى ٢٠ قرية. وفى بوركينا فاسو. تم أنشاء مدرسة غير نظامية لتوفير فرص متكافئة للأولاد والبنات الذين تسربوا من المدرسة ممن تتراوح أعمارهم ٧ ـ ٩ سنوات وبعد قضاء ثلاث سنوات فى هذه المدارس يستطيع الطالب أن ينتقل إلى المدارس الأبتدائية النظامية .(٣٠).

ولقد ركز المؤتمر الدولى للسكان والتنمية الذى أنعقد فى القاهرة فى سبتمبر سنه ١٩٩٤ على أهمية دور المرأة بأن جعلها ضمن التيار الرئيسى للتنمية. إذ لا يمكن أن تكون هناك تنمية بشرية مستدامة بدون مشاركة المرأة فيها مشاركة كاملة وعلى قدم المساواة مع الرجل لما للمرأة من تأثير على حياة الأسرة وحجمها وبالتالي على تطور المجتمع. ولذلك حث المؤتمر جميع البلدان على السعى جاهدة إلى كفالة توفير الأمكانية الكاملة لحصول البنات على التعليم الأبتدائى وتحصيلهم فعلا لذلك التعليم وذلك فى أقرب وقت ممكن وقبل سنة ٢٠١٥ بأى حال. كما حث على أمكانية حصول البنات والنساء على التعليم الثانوى والعالى على أوسع نطاق وفى أقرب وقت. وكذلك على التدريب المهنى والتدريب الفني، آخذه فى الأعتبار ضرورة تحسين نوعية ذلك التعليم ووثاقة صلته بفرص العمل (٣١).

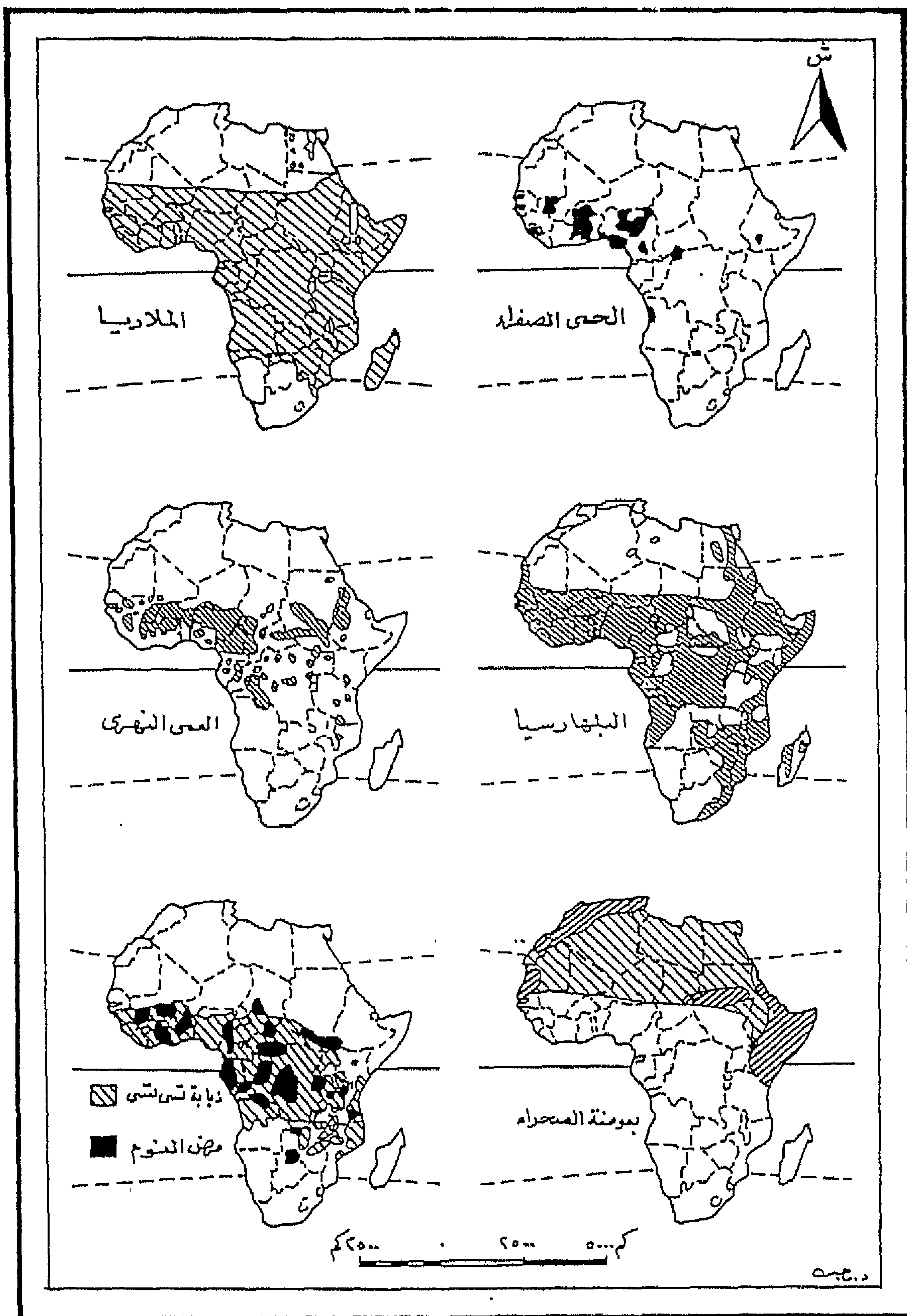
٣ ـ الحالة الصحية :

إذا كان العامل الأقتصادي له أثار على تأمين الغذاء وبالتالى على معدل

وفيات الأطفال. وإذا كانت الحالة التعليمية لها دور هام فى التخفيف من الوفيات كما وضح سابقاً. فإن الحالة الصحية لها دور هام فى تجنب حدوث الوفيات. ذلك أن الأسباب الرئيسية للوفاة فى البلدان النامية هى الأمراض المعدية والطفيلية التى تقتل ١٧ مليون شخص سنويا. من بينهم ٦,٥ مليون يموتون نتيجة لألتهابات الجهاز التنفسى الحادة، ٤,٥ مليون يموتون نتيجة لأمراض الأسهال. ٣,٥ مليون يموتون نتيجة للسل. ومعظم هذه الوفيات مرتبطة بسوء التغذيه وبالعيش فى بيئة غير سليمه - لا سيما شرب مياه ملوثة. مما يسهم فى حدوث زهاء بليون حالة إسهال فى كل عام (٣٢).

وتتسبب الأمراض المعدية فى وفيات النساء والرجال بنسبة ٥ - ٦٪ فقط فى المناطق المتقدمة النمو وحوالى ١٥٪ فى الصين وأن كانت النسبة فى أفريقيا جنوب الصحراء ترتفع إلى حوالى ٧٠٪ (٣٣). وينتشر على نطاق واسع فى أفريقيا جنوب الصحراء مرض الملاريا والتى تكون مسئولة عن وفاة حوالى مليون طفل سنويا. (٣٤). بالأضافة إلى الحمى الصفراء والكوليرا والطاعون والبلهارسيا وداء الديدان الخيطية (عمى الأنهار) والمثقبيات الأفريقية (مرض النوم) والسل وشلل الأطفال (٣٥). (انظر الشكل ٥).

وبالنسبة لمدى شيوع فيروس نقص المناعة البشرية HIV و الأيدز Aids فى أفريقيا، فإن هناك تباينات أقليمية داخلية حيث نجد أن وسط وشرقى أفريقيا أكثر فى معدلات الأصابة من غيرهما وأكثر شدة يليهما جنوبى أفريقيا وغربها. ثم يأتى شمال القارة فى أدنى مستويات الأصابة، ومن هنا نلحظ تبايناً فى شدة الأصابة على مستوى أقاليم القارة. وفى منتصف ١٩٩٠ كانت هناك سبع دول أفريقية تتركز بها معظم حالات الأيدز وأهمها، هى أوغندة وكينيا وزائير ورواندا وبورندى وهى ما يطلق عليهاحزام الأيدز Aids Belt



(شكل ٥): الأمراض المتوطنة فى أفريقيا

المصدر: Griffiths. I.L.I., The Atlas of African Affairs, Second edition, New York, 1994. P. 23

ويها ما يقرب من ٧٥٪ من إيدز أفريقيا. أما بالنسبة لمدى شيوع المرض حسب النوع فنجد أن أفريقيا تنفرد بين قارات العالم فى تصاعد الأصابة بمعنى أن نسبة النوع هى ١ : ١ أى تساوى المصابين من الذكور والنساء تقريبا (النسبة فى الولايات المتحدة هى ١٩ ذكرلكل أنثي مصابة) ومع أرتفاع معدلات الأصابة بين النساء يزداد عد المواليد المصابين، حتي أنه وجد في أوغندا أن أغلب الأطفال جري تشخيص المرض لديهم قبل بلوغهم السنة الثانية (٨٧٪) والأغلبية أكتسبت المرض قبل الولادة (٣٦).

وفى السنوات العشرين الأخيرة هبط العمر المتوقع لكل من المرأة والرجل هبوطاً كبيراً فى أثنين من بلدان جنوب الصحراء ـ فى أوغندا من ٤٨ إلى ٤٣ للمرأه ومن ٤٥ إلى ٤١ للرجل ، وفى زامبيا من ٤٩ إلى ٤٥ للمرأه ومن ٤٦ ـ ٤٣ للرجل. وتقدر شعبة السكان بالأمانة العامة للأمم المتحدة أن العمر المتوقع سيقل أكثر من ذلك بسبب الأيدز فى هذين البلدين فى السنوات الخمس القادمة ـ وأنه سيتجمد أو يقل فى ثمانية بلدان أخرى من بلدان جنوب الصحراء (جمهورية أفريقيا الوسطى ، جمهورية تنزانيا وروندا وزائير وزيمبابوى وكوت ديفوار والكنغو وملاوي). (٣٧).

ولو حاولنا رصد نسبة الأطفال المحصنون ممن تبلغ أعمارهم سنة لوجدنا أيضاً أن معدلات التحصين تختلف من دوله إلى أخري. فهى لاتتجاوز ١٤٪ فى أثيوبيا، ٢١٪ فى تشاد، ٢٨٪ فى النيجر، ٣٤٪ فى جزر القمر، ٢٤٪ فى الصومال، وتقل عن ٦٠٪ فى معظم دول شرقى ووسط وغربى أفريقيا، بينما ترتفع نسبة المحصنين فى شمالى وجنوبي أفريقيا. (٣٨) وإذا علمنا بأن جرعة كاملة من الأدوية الأساسية الضرورية لمواجهة معظم أمراض الطفولة الشائعة (مرض ذات الرئه ـ الدوسنتاريا ـ ألتهابات الأذن الوسطى ـ الملاريا ـ الجفاف

ـ الحصبة ـ الديدان المعوية ـ ألتهاب العيون ـ ألتهاب الجلد) تتكلف حوالى ١٥ سنت ، وإذا ما أخذ كل طفل دون الخامسة فى البلدان النامية جرعه كامله مرتين فى السنة فستكون التكلفة الأجمالية أقل بكثير من ٢٠٠ مليون دولار فى السنة(٣٩). لذلك يتبين أنه يتوجب العمل الكثيرلتحصين الأطفال فى البلدان الأفريقية.

وتتوفر الخدمات الصحية بنسبة ١٠٠٪ للسكان فى معظم الدول المتقدمة. ونرى أن تأمين هذه الخدمات يعوزه الكثير فى الدول الأفريقية فهى لا تتجاوز ١٥٪ فى ريف الصومال فى حين أن النسبة ٥٠٪ فى الحضر فى الصومال ، فى حين كانت النسب ١٣٪ ، ٨٨٪ للريف والحضر فى سيراليون على التوالى، ٢٢٪، ٥٠٪ فى جزر القمر ، ١٧٪، ٨٦٪ فى النيجر، وتتحسن الخدمات الصحية أكثر من ذلك فى موريشيوس، ليبيا، مصر ، لتصل إلى١٠٠٪ لكل من الريف والحضر.

وزيادة فى الأيضاح نجد أنه يوجد طبيب واحد لكل ١٨ ألف نسمة فى أفريقيا جنوب الصحراء بالمقارنة بطبيب واحد لكل ٧ الأف شخص فى العالم النامي، وطبيب واحد لكل ٣٩٠ نسمة فى البلدان الصناعية (٤٠) ونجد أن هناك فروقاً واضحه على مستوى الدول حيث أنه لكل ٧١٤٣٠ مواطن فى كينيا، ولكل ٦٢٥٠٠ مواطن فى زيمبابوى ولكل ٥٠ ألف مواطن فى رواندا وملاوى وموزمبيق وغينيا هناك طبيب واحد يشرف عليهم ويتحسن الأمر فى شمال أفريقيا حيث يقابل كل طبيب ١٣٢٠ مواطن فى مصر ، ٦٩٠ مواطن فى ليبيا ١٨٧٠ فى تونس، أما فى جمهورية جنوب أفريقيا فكانت نسبة السكان لكل طبيب هى ١٦٤٠ مواطن ، وأذا قارنا ذلك مع مثيلاته فى الدول المتقدمة لوجدنا أن الفرق مهم. ففى ألمانيا هناك طبيب لكل ٣٧٠ مواطن، وفى إيطاليا هناك طبيب

لكل ٢١٠ مواطن، وفى الولايات المتحدة الأمريكية هناك طبيب لكل ٤٥٠ مواطن وذلك عام ١٩٩٠(٤١).

وتبلغ النسبة المئوية من الناتج المحلى الأجمالى المخصصة لقطاع الصحة عام ١٩٩١ (٥,٦٪) فى جنوب افريقيا، ٧٪ فى الجزائر ، ٤,٩٪ فى تونس ، ٢,٦٪ لكل من مصر والمغرب والكاميرون ، ٢,٦٪ فى زيمبابوي، ٤,١٪ فى توجو، ٣,٢٪ فى زامبيا، ١,٥٪ فى الصومال فى حين لو قارنا تلك النسب بما هى عليه فى دول متقدمة لوجدنا بأن الولايات المتحدة الأمريكية تنفق ١٣,٢٪ من الموازنة على الصحة، وإن كندا تنفق ٩,٩٪، وفرنسا وإيطاليا تنفق ٩,١٪ على الصحة. (٤٢)

ولو أخذنا أيضا نسبة السكان الذين تتوافر لهم مياه مأمونة لوجدنا أن هذا الأمر مقصر عن أن يؤمن كامل الحاجات. فالحصول على المياه المأمونة أسوأ ما يكون فى أفريقيا، التى يوجد فيها أدنى مستويات الحصول على المياه التى تتمثل فى كل من أثيوبيا وموزمبيق وجمهورية أفريقيا الوسطى وزائير وأوغندا والكونغو ومدغشقر وغينيا الأستوائية. حيث لايكاد يحصل ثلث السكان بكل من الدول السابقة على حاجته من المياه المأمونة، فى حين أظهرت دول شمال أفريقيا تقدما فى مجال الحصول على المياه المأمونة فى الفترة من ١٩٨٨ ـ ١٩٩١. حيث بلغت نسبة السكان الذين يحصلون على مياه مأمونة ١٠٠٪ فى موريشيوس، ٩٩٪ فى تونس، ٨٨٪ فى مصر ، ٨٦٪ فى جيبوتى ، ٧٧٪ فى غامبيا ، ٧٠٪ فى موريتانيا والجزائر وكوت ديفوار.(٤٣)

وفى النهاية ترى الباحثة أن الأهتمام بالناحية التعليمية والصحية وإعاده هيكلة الأنفاق الحكومى فى معظم الدول الأفريقية سوف يكون له مردود إيجابى فى تحسين صحة الأنسان الأفريقى ورفع مستواه المعيشى ومن ثم يؤثر

على التنمية البشرية بالقارة والتى تقع الغالبية العظمى من دولها ضمن مناطق التنمية البشرية المنخفضة، وتحتل المراكز الأخيرة فى دليل التنمية البشرية.

٤ ـ الحـــــرب :ـ

تعـتـبـر الحـرب من العـوامل الهـامـة المؤديه لهـلاك الألوف، بل الملايين من السكان فى العديد من الحالات. ولطالما وقع الأطفـال ضـحـايا الحـروب، غيـر أن التطورات التى حدثت فى الأونة الاخيرة فى فنون القتال والحروب زادت كثيراً من أخطارها. اذ يقدر أن ضحايا الحروب من الأطفال، خلال العقد المنصرم كانوا على النحو التالى :ـ مليوني قتيل ، ما بين ٤ ـ ٥ ملايين من الأطفال المعاقين ، ١٢ مليون مشرد، وما يربو على مليون يتيم ومشتت عن والديه ، وزهاء ١٠ ملايين يعانون من الأثار النفسية للحرب.

وتفسر النسبه المرتفعه للوفيات بين المدنيين فى النزاعات التى وقعت مؤخراً هذا العدد المتزايد للضحايا من الأطفال وهذا يعود، جزئياً، إلى تكنولوجيا الحروب . فقد أدى القصف الجوى إلى توسيع منطقة المعركة لتشتمل كافة مناطق البلاد. بالأضافة إلى أن غالبية النزاعات المعاصره لاتقع بين دوله وأخري. بل فى الدول نفسها. ولم يعد الأطفال والعائلات عالقين بين نيران الأطراف المتقاتلة فحسب وانما أصحبوا هدفاً محدداً لها نظراً لأن العديد من الصراعات المعاصرة يقع بين الجماعات العرقية المختلفة فى نفس الدولة . وعندما تسود الولاءات العرقية، يبرز منطق خطير. إن التحول المتسارع من التفوق العرقى إلى التطهير العرقى وإلى الأباده الجماعية، يمكن أن يصبح عملية تتعذر مقاومتها ويصبح قتل الكبار غير كاف، اذ لا بد من القضاء على الأجيال القادمة للعدو.(٤٤)

وقد شهدت الدول الأفريقية أثاراً هامة للحروب تجلت فى التركيب النوعى والعمرى للسكان من جهة، وعلى النمو السكانى من جهه ثانيه وعلى التوزيع السكانى من ناحية ثالثة .

ففى نهاية عام ١٩٩٤ كان نحو ١١٤٠٠٠ طفل في رواندا مشتتين عن والديهم وقد حدثت أسوأ حالات فقدان الأطفال فى السودان أثر الحرب الأهلية فى جنوب السودان، حيث فر مالايقل عن ٢٠,٠٠٠ من الشباب السودانيين، غالبيتهم من الأولاد بين سن ٧ ـ ١٧ من بيوتهم. خوفاً من الموت أو الوقوع فى الأسر.

إن معظم الأطفال الذين يلقون حتفهم فى الحروب لا يذهبون ضحايا القنابل والرصاص، وإنما ضحايا الجوع والمرض. ففى الحروب الأفريقية أدى نقص الأغذية والخدمات الطبية، إضافة إلى الأجهاد الناجم عن الفرار من وجه الحرب إلي وفاة عدد من الأطفال يفوق ما قتلته الأسلحة بعشرين مره. وينجم معظم هذه الوفيات عن توقف أنتاج وتوزيع الأغذية. ويأتى نقص المياه النظيفة والرعايه الصحية المناسبة ليجعل الأطفال يدفعون ثمناً باهظاً ورهيباً ففى الجنوب الأفريقي. قدر عدد الأطفال الذين قضوا نحبهم فى الفترة ما بين ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨ جراء أسباب متصله بالحروب بنحو ٣٣٠,٠٠ طفل فى أنجولا ونحو ٤٩٠ ألف طفل فى موزمبيق.

وتجدر الأشارة إلى أن العديد من مشكلات التغذية والصحة لا ينجم عن الحروب العسكرية فحسب وأنما عن الحروب الأقتصادية أيضا. كما هو الأمر عندما يمارس العالم ضغوطه على الأنظمه الخارجه على الإرادة الدولية.

ويعانى الأطفال الذين ينجون من الحرب من مشكلات نفسية حادة. ففى

أنجولا أظهرت دراسة مسحية أجريت على عينه من الأطفال عام ١٩٩٥ أن ٦٦٪ منهم شاهدوا أناساً يقتلون و٩١٪ شاهدوا جثث القتلى و٦٧٪ شاهدوا إناساً يتعرضون للتعذيب أوالضرب أو الايذاء - إن ما يزيد عن ثلثى الأطفال عاشوا أحداثاً واجهوا خلالها الموت. (٤٥). مما يؤدى إلى صعوبة التركيز عند الأطفال والكآبه والشعور بأنعدام الأمل فى المستقبل.

وفى أفريقيا يوجد ثلاث نماذج واضحة بوجه خاص الصومال فى الشرق. وليبيريا فى الغرب. ورواندا في الجزء الأوسط. فقد تسببت الحرب الأهلية فى ليبيريا. على سبيل المثال، والتى يتقاتل فيها فى الوقت الراهن ست مجموعات مسلحة مختلفة فى ترحيل ما يزيد على ٥٠٪ من سكان هذا البلد الذى يبلغ تعداده (٢,٣ مليون نسمه) بالأضافة إلى قتل أكثر من ١٥٠٠٠٠ من غير المحاربين (٤٦). ونشأ عن الصراع القائم على أساس عشائرى فى الصومال حوالى ٥٠٠٠٠٠ لاجئ وأعداد لا تحصى من الأشخاص المشردين. وفى رواندا، تعتبر نتائج الصراع أشد فظاعه : فقد تم ذبح نصف مليون شخص فى النصف الأول من عام ١٩٩٤. وأعقب ذلك نزوح حوالى مليون لاجئ إلى تنزانيا وزائير. ومعظمهم هرب من وطنه خلال أسبوع واحد. (٤٧). بالأضافه إلى الصراعات الدائرة فى كل من سيراليون. بورندي، أنجولا، موزمبيق، زائير. والتى نتج عنها أعداد كبيرة من اللاجئين.

نستنتج من كل ما سبق أن أرتفاع نسبة الوفيات فى معظم الدول الأفريقية يعود إلى عوامل سوء التغذية. الأمية، نقص الرعاية الصحية والحرب.

٢ - الهجـــرة : -

يعد موضوع الهجرة من الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة فى دراسة مكونات النمو السكانى بالقارة الأفريقية والتى لها دور كبير فى تغيير حجم

السكان ومع ذلك فأن دراستها ليست ميسره، وذلك نظراً لصعوبة الحصول على البيانات. وما يعنينا هنا هو الهجرة الداخلية نظراً لضعف الأثر الذى تلعبه الهجره الخارجية فى نمو سكان القارة. وقد لعبت الهجرة الخارجية دوراً كبيراً فى التأثير على نمو سكان القارة من أواخر القرن السابع عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر حيث كان نظام أسترقاق العبيد والتى شكلت أساس أنتاج السلع فى المزارع والمناجم فى العالم الجديد. والتى كانت تشكل عصب المقدرة الأقتصادية والقوة السياسية لبريطانيا وفرنسا. وقدر أن نحو ١٥ مليون عبد (رجال ونساء) نقلوا من أفريقيا إلى أمريكا قبل عام ١٨٥٠ (٤٨) أما فى الوقت الحاضر فنلاحظ التأثير المحدود للهجرة الخارجية. حيث بلغ صافى الهجرة الخارجية للقارة الأفريقية (-) ٦٣ ألف مهاجر خسرتهم القارة لصالح القارات الأخرى وبمعدل هجرة صافيه هو - ١, ٠ لكل ألف من السكان. (٤٩) وهذا الرقم يبدو منخفض جداً عندما نعلم أن مستويات مرتفعه جداً للهجرة الخارجية تحدث داخل القارة.

ويلاحظ أن الهجرة السائدة فى أفريقيا هى تحركات اللاجئين والتى تحدث عادة داخل الأقاليم. كما أن هناك بعض الأختلافات عبر الأقاليم الأفريقية كما يوضحه الجدول رقم (٥) والذى يتبين منه أن أقليم شرقى أفريقيا يأتى فى مقدمة أقاليم القارة الأفريقية الطارده للسكان حيث بلغ صافى الهجرة (-) ١٢٨ ألف مهاجر وبمعدل - ٦١, ٠ لكل ألف من السكان خلال الفترة (١٩٩٠ - ١٩٩٥)، أما أكثر أقاليم القارة الأفريقية جذباً للمهاجرين فهو شمالى أفريقيا حيث بلغ صافى الهجرة ٦٩ ألف مهاجر بمعدل ٤٥, ٠ لكل ألف من السكان، أما باقى الأقاليم الأفريقية فصافى الهجرة إليها ليست ذا أهمية.

جدول رقم (٥)

تقديرات الهجرة الخارجية الصافية ومعدلات الهجرة (١٩٩٠ ـ ١٩٩٥)

الهجرة الخارجية السنوية الصافيـــــة	العـــدد (بالألف)	المعدل (لكل ألف من السكان)
شرقى أفريقيا	(–) ١٢٨	(–) ٠,٦١
وسط أفريقيا	(+) ٤	(+) ٠,٠٥
شمالى أفريقيا	(+) ٦٩	(+) ٠,٤٥
جنوبى أفريقيا	(+) ٢	(+) ٠,٠٤
غربى أفريقيا	(–) ١٠	(–) ٠,٠٥
أفريقيـــــا	(–) ٦٣	(–) ٠,٠٩

المصدر U.N. Op. Cit. p . 128

اولا :ـ واقع الهجرة البينية فى أفريقيا :ـ (٥٠)

تتميز القارة الأفريقية بكثافة تحركات السكان عبر حدودها المعروفة حالياً، ويمكن الوصول بتقدير الهجرة عبر الحدود إلى ٤٠ مليون من السكان الأفارقة وهو ما يمثل قرابة نصف عدد المهاجرين فى العالم فى حين أن سكان القارة لا يمثلون سوى ١٢,٧٪ من سكان العالم. وتشير بحوث ميدانية نفذت فى نيجيريا إلى أن ٧٥٪ من المهاجرين يعيشون مع زوجاتهم اللاتى رافقنهم أو التحقن بهم. كما لوحـــظ فى ساحل العاج أن عدد النساء من غانا فيها هو ثلاث أضعاف عدد الذكور.

وقد تبدو هذه التقديرات تجنح إلى المبالغة ذلك أن أجتهادات أخرى تبلغ

بعدد المهاجرين للعمل إلى ما بين ١٦ و٢٠ مليون بينهم ما بين خمسة أوسته ملايين قوه عاملة. وهناك كثير من المؤشرات ترجح التقدير المرتفع لأعداد المهاجرين وهى :-

١ ـ أن التعدادات التى تنفذ لا تشمل على الأرجح عدداً هاماً من المهاجرين غير المسجلين.

٢ ـ تميل الهجرة الأفريقية إلى الأستقرار بل الأستيطان وبذلك تضيع هوية المهاجر لتحل محلها هوية مواطن في حالات كثيرة.

٣ ـ أمتداد المجموعات العرقية الواحدة فى أكثر من بلد أفريقى وفى أفريقيا الغربية وحدها هناك ما يزيد عن ١٠٠ مجموعة عرقية يتجاوز مجال حياتها المجال الذى رسمته الحدود الدولية.

٤ ـ أعتماد بعض المجتمعات الأفريقية على الرعى الذى يقتضى الترحال المستمر حيث الكلا والماء.

٥ ـ شيوع الهجره الموسميه التى تكاد تكون يوميه أحيانا وهى تلاحظ مثلاً ما بين نيجيريا وبنين وما بين كينيا وتنزانيا .

٦ ـ حركات اللجوء الواسعه سواء الأقتصادى منها بحكم الجفاف والكوارث الطبيعية أو السياسى خاصة بسبب. الحروب الأهلية.

ثانيا : الهجرة الافريقية على المستوى شبه الاقليمى :

١ ـ شمالى افريقيا :

يعتبر شمالى أفريقيا أحد أقاليم أفريقيا الفرعية الذى تميز دائماً بالهجرة على نطاق واسع. فهذا الأقليم الفرعى بما له من موقع جغرافى مميز يتمتع بأتصالات سهلة ودائمة مع أوربا والعالم العربى وأفريقيا جنوب الصحراء.

والواقع إن هذا الأقليم يأوى شعوبا متجانسه من الناحيتين التاريخية والثقافية. لها نفس اللغة ونفس الديانة. وهذه الخصائص المشتركة تسهل التحركات أو الهجرة بين البلدان.

ومع أستقلال دول شمال أفريقيا، شجعت الحكومات الهجرة الواسعة خاصة إلى أوربا، نتيجة لزيادة الطلب الجماعي على الأيدى العاملة المغاربية التى كانت أقتصاديات أوربا فى أمس الحاجة اليها وخاصة العمالة غير المؤهله. ولكن منذ بداية السبعينات، أصبحت الدول الأوربية تغلق حدودها تباعاً فى وجه العماله المهاجرة إليها من المغرب، وذلك نتيجة لأرتفاع نسبة البطالة بين الأوربيين، بالأضافة إلي المشاكل الكبيره للأندماج مع المجتمع والتى بدأت تتطور.(٥١)

أما الهجرة نحو بلدان الخليج فهى ليست أقل أهمية. وإذا كانت الهجرة إلى تلك المنطقة قد بدأت مؤخراً فهى قديمة وواسعة النطاق بالنسبة لبلدان شمالى أفريقيا مثل جمهورية مصر العربية.

وتعتبر الهجرة نحو أفريقيا جنوب الصحراء محدوده للغاية ولكنها فى أزدياد مطرد. ومعظم المهاجرين هم من الشباب الباحثين عن عمل. كما أن هناك هجرة تتجه نحو أمريكا. وعلى الأخص الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأسيا وجزر أوقيانيا.

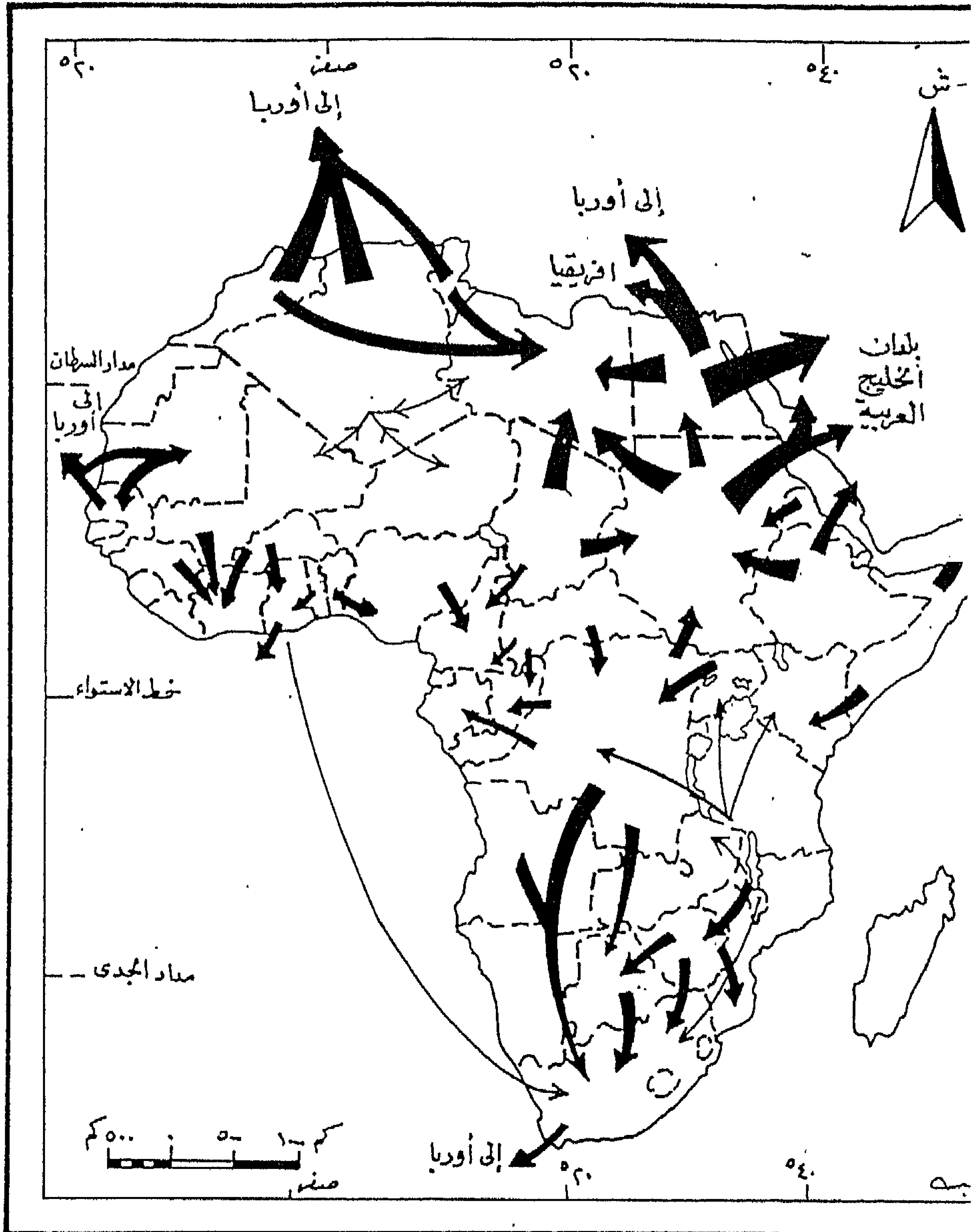
وعند تحليل سياسات هجرة العمالة فى العالم العربي، فقد لوحظ إن تلك السياسات تتراوح بين الخطر التام لهجرة العماله (الجزائر) والتشجيع الإيجابى (تونس) مرورا بالتحكم الأختيارى (مصر) وعدم المعارضه (المغرب) ويترتب على هذه الملحوظة أن تونس والمغرب تفتحان مجال السفر إلى الخارج أمام رعاياهما ودخول الأجانب إلى أراضيهما، والحقيقة أن هذين البلدين يصدران أيدى عاملة أكثر من أستقبالهما لها. وهما أيضاً أقل جاذبية للعمال الأجانب عن جيرانهما. (أنظر شكل ٦).

ورغم أن هجرة المغاربة أقرب عهداً وأقل حجماً من هجرة الجزائريين، فقد عوض المغاربة المقيمون فى الخارج هذا التأخر، ويوجد حالياً أكثر من ١,٥مليون مغربى في الخارج (٥٢) يعيش نصفهم فى فرنسا، وحوالى ١٢٪ فى كل من هولندا وبلجيكا، كما يعيش حوالى ٢٥٠٠٠٠ نسمة فى إيطاليا وأسبانيا وألمانيا، بينما تتوزع البقية على بعض الدول الأخرى مثل سويسرا، والسويد، والنرويج والدنمارك وفنلندا، وذلك عام ١٩٩٠.(٥٣)

وعلى خلاف الأتجاه نحو التناقص الذى سجلته الجالية الجزائرية فى أوربا، واصل عدد المغاربة أرتفاعه إذ أصبح عددهم قرابة ١٠٤٥ ألف مقابل ٦٤٢ ألف جزائريين وذلك عام ١٩٩٠، كذلك تغيرت أهمية البلدان المستقبلة فبعد أن كانت فرنسا تستقبل ٩٢٪ من المهاجرين الأفارقة (خاصة من المغرب العربي) أصبحت هذه النسبة قرابة ٦٠٪ فقط وذلك بأمتداد الهجرة الأفريقية إلى باقى الدول الأوربية كما سبق القول. (٥٤)

وفضلاً عن ذلك، نجد عدداً كبيراً من مواطنى المغرب يعيشون فى الوقت الحالى فى بعض الدول العربية. منها الجزائر (١٠٠ ألف مغربي) وليبيا (٩٠ ألف مغربي) أما البلدان الأخرى مثل تونس ومصر والسعوديه والكويت والأمارات العربيه المتحدة لا يتجاوز عددهم بضعة آلاف.

لقد بدأت الهجرة من المغرب أساساً بطبقة عاملة تنتمى أصلاً إلى الريف من (سوس) و(ريف) تفتقر إلى التأهيل، وهاجرت فى أتجاه أوربا والشرق الأوسط. ثم شهدت الهجرة المغربية إلى الخارج تغيرات كبيرة حتى أمتدت إلى كل أنحاء المغرب. وزاد أجتذابها لأبناء المدن. أى الكوادر المؤهلة ومعهم أيضاً بعض المشتغلين بالحرف الصغيره التى يفتقر إليها الأقتصاد المغربي. (٥٥)



٦) : إتجاهات الهجرة البينية والخارجية فى أفريقيا

: محمد الأمين فارس، واقع وآفاق الهجرة الافريقية والعربية والندوة الافريقية عن الهجرة (جنوب/جنوب) من افريقيا، القاهرة (٥-٩ ديسمبر ١٩٩٥)

ويستقر فى أوربا فى وقتنا الحالى ما يقرب من ٨٥٠ ألف جزائري، فضلاً عن الأعداد الكبيره التى حصلت على الجنسية الفرنسية حتى أصبح المهاجرون الجزائريون يمثلون ٣,٢٪ من سكان الجزائر. وجدير بالذكر أن كل ١٠ من المهاجرين إلى أوربا يعيش ٨ منهم فى فرنسا أما الجزائريون المهاجرون داخل العالم العربى فقد ظل عددهم محدوداً لا يتجاوز بضعة آلاف وهم يعيشون أساساً فى المغرب وتونس والمملكة العربية السعودية (٥٦)

وفيما يتعلق بتونس، بلغ عدد السكان التونسيين المهاجرين نحو ٥٦٤ ٠ ١١ عام ١٩٩١، بينما بلغ عام ١٩٩٣ نحو ٦٠٢٥٠٠ من جملة السكان، وتأوى دول المغرب العربي الأربع ١٩,٨٪ من إجمالى التونسيين المهاجرين، أى ٤٠٩٧٦ فى ليبيا، ٢٦٣٧٥ بالجزائر و٦٢٤٨ بالمغرب وموريتانيا، والواقع أن هجرة التونسيين إلى ليبيا هى أهم هذه الموجات نظراً للأغراءات الأقتصادية التى تقدمها الدولة الليبية (٥٧)

أما فى موريتانيا فتبادل المهاجرين مع السنغال كان هو السائد وقد جاءت أحداث ١٩٨٩ التى أدت إلى عودة ١١٢ ألف موريتانى فى السنغال مقابل عودة عدد أقل من السنغاليين فى موريتانيا ولعلها كانت بلد أستقبال قبل ذلك التاريخ لتصبح بلد أرسال بعد ذلك (٥٨)

أما فى السودان فقد بدأت الهجره الخارجية إلى الدول العربية البترولية فى منتصف السبعينات، للبحث عن فرص عمل أفضل ومرتبات أعلى بسبب الطلب المتزايد فى تلك الدول على العماله لتنفيذ مشروعات التنمية أثر تدفق البترول وتتسم ملامح هذه الهجره فى أنها عشوائيه وأنتقالية ومؤقته فى ذات الوقت لذلك أصبح من غير الميسور تقدير حجمها وخصائصها. ويقدر حجم الهجرة الخارجية بنحو ١,٥ مليون سودانى. وتأتى المملكة العربية السعودية على قائمة

دول الأستقبال بسبب سهولة الوصول إليها فى المواسم الدينية ثم ليبيا لعدم وجود قيود تحد من حرية الأنتقال والأقامة والعمل.

كما يوجد فى السودان عدد لا بأس به من اللاجئين والذى يقدر بأكثر من مليون لاجئ يتركز معظمهم فى الأقليم الشرقي.(٥٩)

أما فى مصر فقد بلغ عدد العاملين بالخارج نحو ٢,٩٧١ مليون وذلك وفقاً لتقديرات الأداره العامة للعلاقات العمالية الدولية بوزارة القوى العاملة والتدريب عام ١٩٩٢. وتحتل الجماهيرية الليبية المرتبة الأولى بين الدول المستقبله للعمالة المصرية حيث يصل عدد المصريين ١,٥١٩ مليون بنسبة ٥١٪ من جملة المصريين بالخارج. وتحتل المملكة العربية السعودية المرتبة الثانية حيث يوجد بها ٨٥٠ الف عامل بنسبة ٢٨,٦٪، ثم المملكة الأردنية الهاشمية التى تأتى فى المركز الثالث حيث يوجد بها حوالى ١٦٨ ألف عامل، تأتى بعدها كل من العراق والكويت ويأتى بعد ذلك اليونان وقطر واليمن وسلطنة عمان والبحرين.(٦٠)

ويبقى مركز الجذب الرئيسى للهجرة فى هذا الأقليم وهو الجماهيرية الليبية وذلك بفضل عوائد إنتاج النفط وسعة المساحة وتنوع النشاط. غير أن رصد حجم الهجرة إلى هذا البلد أصبح بالغ الصعوبة وذلك لتغيير حجم المهاجرين وتياراتهم وذلك للتغير فى سياسات الهجرة من أنفتاح واسع إلى تقييد شديد. وبشكل عام فهى تستقبل مهاجرين أغلبهم من البلدان المحيطة بليبيا خاصة مصر مع أختلاف أهمية باقى الجنسيات حسب الفترات (تونس ، السودان ، المغرب ، تشاد ، الجزائر).

٢ ـ غربى افريقيا (٦١)

تمثل منطقة غربي أفريقيا أكبر تجمع للمهاجرين. وعلى الرغم من بعض

القلاقل السياسية والحروب الأهلية التى شهدتها أجزاء من الأقليم الفرعى فإن الهجره مازالت فى جوهرها مسأله أقتصاديه. وكرد فعل إزاء أوجه التفاوت فى التنمية الأقتصادية ومستويات الدخل وفرص الأستثمار بين الدول الأعضاء. وقد كانت غانا تعتبر حتى عام ١٩٦٠ من أكثر بلدان الأقليم الفرعى رفاهية بسبب ما تملكه من مزارع الكاكاو الشاسعة والموارد المعدنية الغنيه، حيث كانت تجتذب العمال المهاجرين بصفة رئيسية من نيجيريا وبوركينافاسو وتوجو وساحل العاج، وكان الأجانب يشكلون ١٢٪ من سكان غانا المقيمين.

أما فى السبعينات وحسب التغيرات الأقتصادية ، والنمو السريع لأقتصاد ساحل العاج القائم على صادراتها للمنتجات الزراعيه والأستقرار السياسى النسبى أدى إلى إجتذابها للعمال المهاجرين من بوركينا فاسو ومالى وغينيا وغانا، وقد كشف الأحصاء السكانى لعام ١٩٧٥ أن نسبة المواطنين الأجانب فى ساحل العاج تقدر بحوالى ٢١٪ من إجمالى السكان المقيمين.

وتعتبر نيجيريا بلداً رئيسيا آخر كان يقصده العمال المهاجرين فى أواخر السبعينات حتى منتصف الثمانينات. وأن الأزدهار الأقتصادى الذى واكب أستغلال النفط قد أجتذب أعداداً كبيرة من العمال المهاجرين الذين يفدون إليها فى الغالب من غانا وبنين وتشاد والنيجر وقد عانى المهاجرون الغانيون من العمالة الأفريقية التقليدية لأن معظم الغانيين كانوا من المهنيين (المدرسون - المرضون - الصيادله - المهندسون - والمحاضرين الجامعيين) وقد قامت نيجيريا فى عام ١٩٨٣ ، ١٩٨٥ بطرد حوالى ١,٥ مليون وافد غير شرعى منهم ٧٠٠٠٠٠ غاني.(٦٢) وقدر عدد الأجانب المقيمين فى نيجيريا بصفه غير شرعية فى التسعينات بحوالى ٢ مليون شخص.

وفى إطار المجموعة الأقتصادية لدول غرب أفريقيا هناك بلدان أخرى كانت

فى وقت ما مضيفه للعمال المهاجرين الدوليين وهى غينيا والسنغال وليبيريا حتى نهاية السبعينات.

ومن الصعب تقييم حجم المهاجرين فى التسعينات ذلك لأن أحصاءات السكان التى أجريت فى الأقليم لم تنشر بعد. ولكن يلاحظ أن ساحل العاج فى مقدمه الدول المستورده للعماله المهاجره فى أفريقيا جنوب الصحراء. وأن واحداً من كل خمسه أشخاص مقيميين فى ساحل العاج مهاجر. وفى غمبيا التى تعتبر بلداً صغيراً نسبياً يشكل السكان الأفريقيون المهاجرون نسبه كبيره من السكان المقيميين ويعتبر واحداً من كل ١٠ أشخاص فى غمبيا عاملاً أجنبياًتقريبا.

ويلاحظ أن الدول الرئيسية المصدره للعماله المهاجره هى مالى وبوركينا فاسو وموريتانيا، بينما تعتبر السنغال وغانا مستوردتين ومصدرتين فى نفس الوقت للعماله المهاجره.

ولا يكاد يوجد دليل قوى على مدى هجرة العمالة الأقليمية بين دول غربي أفريقيا والأقاليم الأخرى لأفريقيا جنوب الصحراء فى الشرق والوسط والجنوب وتفيد الأحداث الأخيرة المتعلقة بطرد المهاجرين غير الشرعيين إن هناك مرورا منتظماً للمهاجرين من المجموعة الأقتصادية لدول غربي أفريقيا إلى أقليم وسط أفريقيا. وتشكل زائير والجابون ـ بسبب ما تزخران به من موارد معدنية غنية ـ مراكز يقصد إليها العمال المهاجرون من نيجيريا والنيجر، كما أن مزارع الكاكاو والبن في ساوتومى وبرنسيب وغينيا الأستوائية قد أجتذبت المهاجرين من بلدان غربي أفريقيا. كما أن المهاجرين فى أقليم وسط أفريقيا من السنغال ومالى وبنين والنيجر كانوا معروفين بأنهم تجار وعمال خدمات.

ويوجد أيضاً مهاجرين من غربي أفريقيا فى السودان، ويمكن ربط هذا النوع من هجرة المواطنين بعوامل تاريخية ودينية، حيث أن من المعتقد إن عدد من مسلمى نيجيريا والنيجر وموريتانيا ومالى قاموا بالسفر براً إلى مكه للحج عبر شرق أفريقيا، أما أولئك الذين أنقطعت بهم السبل فقد استقروا فى هذا الأقليم وسعوا إلى الحصول على أى شكل من أشكال العمل، كما أنه من المعروف أيضا أن المهاجرين والرحل من دول غربى أفريقيا هاجروا بمواشيهم نحو الجنوب بحثاً عن المرعي.

وقبل الثمانينات كانت هناك هجرة من دول الجنوب الأفريقى إلى دول غربى أفريقيا. وكان هؤلاء يشكلون بصفة رئيسية الطلبه واللاجئين السياسيين من زيمبابوى وجنوب أفريقيا وموزمبيق وأنجولا. وربما أنخفضت هذه النسبة بدرجة كبيرة بعد حصول هذه البلدان على الأستقلال.

ويبدو أن تدفق المهاجرين فى الأونة الاخيرة يتمثل فى الأيدى العاملة الماهره عاليه المستوى من دول غربي أفريقيا إلى دول الجنوب الأفريقى مثل زيمبابوى وبوتسوانا، وبرزت غانا كدوله رئيسيه توفر مستوى عالياً من الأيدى العاملة من المهنيين الذين أنتشروا فى كل مكان من أفريقيا بدءاً ببتسوانا وجنوب أفريقيا وحتى الجماهيرية العربية الليبية.

٣ ـ شرقى أفريقيا:

كانت منطقة شرقى أفريقيا بأكملها من تنزانيا وزامبيا إلى دول الجنوب الأفريقى لفترة طويلة مصدراً للعماله المهاجرة فى جنوب أفريقيا حتى قطعت هذه الدول علاقتها مع جنوب أفريقيا بسبب سياسة الفصل العنصري، كما كانت تتوافد أعداداً كبيرة على نحو تقليدى من بلدان القرن الأفريقى إلى دول الخليج الغنية بالبترول.

ولكن ينعكس الطابع المؤقت للهجرة الدولية للعمالة فى حالة موريشيوس. ففى أواخر السبعينات شاركت الجزيرة فى أنظمه لتشغيل العمال مؤقتاً وذلك بإرسال مواطنيها إلى بوتسونا ونيجيريا وزامبيا، وبحلول منتصف وأواخر الثمانينات أصبحت تفضل أستيراد العماله غير الماهره تشغيلها فى صناعة السكر التى تتبعها أستثمارات أخري.

ويتشابه هذا الوضع المتقلب مع ما كان يحدث فى قلب الشرق الأفريقى حيث كان العمال المهاجرون فى أوج عهود الأستعمار يدعمون الزراعه التجارية وتعدين النحاس فى مناجم كيلمبى بأوغندا ومزارع المناطق الجبلية للبيض سابقاً فى كينيا، ومزارع القرنفل والسيسل فى تنزانيا. (٦٣)

وقد كانت أوغندا أقليم جذب للمهاجرين من الأقطار المجاوره خاصة من رواندا، بورندي، كينيا، السودان وتنزانيا للعمل فى مزارع القطن. وقد قدر تعداد ١٩٦٩ أن نسبة المهاجرين فى أوغندا بلغت حوالى ٧,٥٪ من إجمالى سكان البلد ولكن مع التطورات الأخيرة والتى شملت الحروب الأهلية، والنواحى السياسية وأنهيار الأقتصاد الأوغندى كلها أدت إلى خروج السكان من أوغندا، ففى ١٩٧٢ قامت أوغندا بطرد حوالى ٤٠٠٠٠ أسيوي الذين كانوا مستقرين منذ الأستعمار، وفى عام ١٩٨٥ قدر صافى الهجره إلي أوغندا (-٧٥٠٠٠) هاجروا من أوغندا خاصة إلي كينيا وتنزانيا. ولكن في السنوات الحديثة ونتيجة لتزايد العماله الماهره فى كينيا وضغطها على سوق العمل الكينى مما كان من نتيجته أن أتجه الأوغنديون إلى مناطق أخرى داخل أفريقيا وخارجها(٦٤).

وفى تنزانيا، سجلت هجره العماله غير الماهرة فيها أتجاهاً نحو الأنخفاض مع هبوط أسعار السيسل وتفوق الألياف الصناعية، وكان يعيش فى جزيرتى زنجبار ويمبا ٤١٣٢٧ من السكان الأجانب أشترك معظمهم فى جمع محاصيل

القرنفل ـ بينما أستوطن فى تنجانيقا ٥٧٪ من إجمالى هذا العدد ومعظمهم من بورندى وروواندا(٦٥) وفى ١٩٨٥ قدر صافى الهجرة إلى تنزانيا بـ ١٠٠٠٠ فرد ومعظم المهاجرين اليها من كينيا، رواندا، بورندي، ملاوى ، وأوغندا وموزمبيق وكان كثير من مواطنى تنزانيا يعيشون فى كينيا، أوغندا، بورندي، وزامبيا(٦٦)

وقد قدر صافى الهجرة إلى كينيا فى عام ١٩٨٥ بحوالى ١٠٠٠٠، وتستقبل كينيا مهاجرين من أوغندا وتنزانيا أساسا كما أنها ترسل بمهاجريها إلى أوغندا وجنوب أفريقيا .(٦٧)

وقد أرتفع عدد العاملين فى قطاع التعدين فى زامبيا من مواطنى ملاوى وتنزانيا مما يؤكد المناخ الملائم الذى كانت زامبيا تحظى به في الماضى. غير أن الوضع قد تدهور مما إضطر الزامبيين إلى الهجرة إلى زيمبابوى فى الوقت الذى فرضت فيه حكومة زامبيا حظراً على هجرة مواطنيها إلى جنوب أفريقيا. مع العلم بأن هذا الوضع قد تفاقم من جراء زيادة هجرة المهنيين من زامبيا وأوغندا وتنزانيا وإثيوبيا وزيمبابوي. ولاسيما إلى جنوب أفريقيا بل وخارج أفريقيا. فالتقديرات تشير إلى أنه بحلول أبريل ١٩٩٤ كان ٢٠٠ ألف من الزيمبابويين (١٤٠٠ منهم أطباء) قد غادروا بلادهم للعمل فى جنوب أفريقيا. وقد تضمنت هجرة العمالة المذكوره العمال بعقود مؤقته والعاملين المهنيين المؤقتين والعمال السريين أو غير القانونيين وهى أشكال الهجرة السائدة فى مختلف بلدان شرقي أفريقيا .(٦٨)

وتمثل تحركات اللاجئين نوع الهجرة الدولية الذى يرتبط به شرقي أفريقيا أرتباطاً وثيقاً. فقد أتضح أنه فى عام ١٩٩٥ تركزت نسبة ٦٠,٣٪ من إجمالى عدد اللاجئين فى شرقي أفريقيا .(٦٩) وأنه قبل عام ١٩٩٠ كان هذا الأقليم

الفرعى يضم نحو ٨٣,٤٪ من هذا العدد ولا يوجد إلا عدد قليل من البلدان فى هذا الأقليم الفرعى لم تخرج منها أعداد كبيره من اللاجئين تثير الأنتباه العالمى.

وتوضيحا لذلك. أشتهرت أريتريا وأثيوبيا والصومال وروانـد وبورتـدى وزيمبابوى حتى أوائل الثمانينات وأوغندا خلال السبعينات وأوائل الثمانينات بكونها مصادر رئيسية للاجئيين وفى المقابل. تشير مصادر أكيده إلى أهميه تنزانيا وكينيا وأوغندا وملاوى وزامبيا وزيمبابوى كبلدان رئيسية مستقبله للاجئين.

٤ ـ أقليم وسط أفريقيا :

تشهد بلدان وسط أفريقيا حركات كثيفه للأشخاص سواء داخل حدودها الخاصه أو فيما بينها، أو بينها وبين بقية مناطق القارة الأفريقيه بل وأنحاء العالم. وتدل بعض البيانات على أن نسبة الأشخاص المولودين فى الخارج والمقيمين فى مختلف بلدان وسط أفريقيا تتراوح ما بين ١,٣٪، ٦,٦٪ بأستثناء رواندا التى توجد بها نسبة أقل.

وتدل الأحصائيات على أن عدد الأجانب فى مختلف بلدان وسط أفريقيا يشهد تغيراً كبيراً بصوره مستمره. ففى الجابون، بلغ عدد الاجانب ١١٪ سنه ١٩٧٦ و ١٤,٧٪ سنه ١٩٨٠ من إجمالى عدد السكان، وحسب أحصائيات ١٩٩٣ فإن نسبه الاجانب من بين السكان البالغين ١٨ عاماً فاكثر، تقدر بحوالى ١٨,٣٪ منها ١١,٣٪ يعيشون فى المناطق الحضرية، ٧٪ فى المناطق الريفيه وتشير تقديرات وزارة الدفاع والأمن والهجره، أنه خلال الفترة من ١٩٧٦ ـ ١٩٨٥، أرتفع عدد الرعايا من مالى فى الجابون من ٢٧٦٧ إلى ١٥٥٨٦، وعدد الرعايا من الكاميرون من ٨٢٤٦ إلى ١٤٢١٢. ومن توجو أرتفع عدد الرعايا

من ٢٩٤٤ إلى ٦٢٤٠، السنغال من ٥٣٥٨ إلي١٠٩٣٣. وترى الأداره العامه للوثائق أن السكان الأجانب فى الجابون سوف يتضاعف عددهم مرتين تقريباً ما بين ١٩٨٥ ، ١٩٩٥ ليرتفع من ١٠٧٨٠٧ إلى ٢٠٠٠٠٠ شخص . (٧٠)

وفى جمهورية أفريقيا الوسطى شهدت نسبة الأجانب أنخفاضاً ما بين ١٩٧٥ ، ١٩٨٨، حيث أنخفضت من ٣٪ إلى ٢,٦٪ معظمهم من زائير وتشاد والسنغال والسودان والكاميرون. ويعمل معظمهم فى التجارة والخدمات، وتعود الهجرة التشاديه إلي عهد قديم. وقد تضاعفت بسبب عدم الأستقرار السياسى فى تشاد. وفى مجال هجرة العماله من جمهورية أفريقيا الوسطى فإن أهم أتجاهاتها هى الكاميرون وتشاد ، زائير.

وتعتبر زائير أهم مستقبل للهجرة فى وسط أفريقيا (أكثر من ٦٠٠ ألف) للعمل فى المناجم ، وقد قل عدد المهاجرين بعد عام ١٩٩١ (٧١) ويعمل السنغاليون والماليون فى التجارة والحرف الصغيرة ويتخصصون فى بيع الأحجار الكريمة، وصنع المجوهرات والأعمال الحرفية. أما الوافدين من أنجولا فإنهم يعملون بالزراعة، ويشتغل الزامبيون فى تجارة التجزئة فى شرق البلاد. أما القادمون من الكنغو فإنهم يعملون فى التجارة أيضا. ويمارس الرواندبون والبوروندبون والتنزانيون الأنشطة الزراعية وصيد الأسماك وتربية المواشى فى شرق البلاد وتوجد فى زائير هجرة كبيرة للعقول نحو زامبيا والكنغو والجابون وجنوب أفريقيا.

ويمثل الأجانب نحو ٣,٥٪ من إجمالى عدد العمال فى الكاميرون. ويعمل نحو ٥٧,٢٪ فى الزراعة والصيد وتربية المواشى (مع تفوق رعايا نيجيريا وتشاد) ويشكل التجار والباعة نحو ٢٠,٨٪ أغلبهم من غرب أفريقيا (نيجيريا ، السنغال ، مالي) أما الصناع الحرفيون فتبلغ نسبتهم ١٢,٦٪ ، والعمال المتخصصون فى الفنادق وتقديم الخدمات نسبتهم ٦,٤٪.(٧٢)

ومعظم المهاجرين إلي الكاميرون من زائير من الذكور حيث تبلغ نسبة النوع ٢٥٩ ذكر / ١٠٠ أنثي، وترسل الكاميرون مهاجرين إلى نيجيريا والجابون وجمهورية أفريقيا الوسطي.(٧٣) وفى الكنغو كان السكان الأجانب يمثلون سنة ١٩٨٤ نسبة ٤,٥٩٪ من إجمالى السكان. يعمل معظمهم فى الزراعة والتجارة وعلى الأخص رعايا بلدان زائير وأنجولا وجمهورية أفريقيا الوسطى أما رعايا بلدان غرب أفريقيا. فيفضلون الأستثمار فى التجارة. وفقط نحو ٢,٨٦٪ من العمال الأفريقيين المهاجرين فى الكنغو يعملون فى القطاعات العلمية والفنية.

وفى غينيا الأستوائية لم يتجاوز عدد السكان الأجانب نسبة ١,٦٪ من إجمالي عدد السكان فى سنة ١٩٨٣. ومعظم العمال المهاجرين إليها من نيجيريا، ليبيريا وسيراليون ويعمل معظمهم فى مزارع الكاكاو (٧٤) وجوز الهند وبنجر السكر والبن.

٥ ـ جنوبى أفريقيا

تمثل جمهورية جنوب أفريقيا أهم قطب لجذب العمالة وذلك بالنسبة لقارة أفريقيا. وتفد إليها العمالة خاصة من بتسوانا وليسوتو وملاوى وموزمبيق وسوازيلاند ويعمل هؤلاء المهاجرين خاصة فى المناجم (٨٠٪) ويتحكم فى التوظيف غرفة المناجم. ولكن مع زيادة أهمية نقابات عمال المناجم أزداد عدد الوطنيين العاملين فى المناجم مع تحسن أوضاع وشروط العمل فيها.(٧٥)

ويصعب الحصول على أحصائيات دقيقة وصادقة عن الهجرة فى جنوبى أفريقيا. وتجدر الملاحظة أن صافى عدد المهاجرين من جماعة تنمية الجنوب الأفريقى إلى جنوبي أفريقيا. قد أنخفض فى السنوات القليلة الماضية من بتسوانا وموزمبيق وناميبيا كما أن الميل نحو الهجره قد تضاءل كثيراً فى جميع

الدول بأستثناء ناميبيا حيث ظل كما كان عليه ويعود ذلك إلى الأغراءات المحلية أو القوة الجاذبه من ناحية سياسة الهجرة التى تتبعها جنوب أفريقيا.

ويلاحظ أن زائير ومادير اوموريشيوس وكينيا أكبر مصادر المهاجرين على التوالي. أما عن هجرة مواطنى جنوب أفريقيا إلى دول أخرى فيبدو أن موريشيوس تستهوى الأغلبية تليها كينيا.

أن أغلب المهاجرين إلى جنوب أفريقيا من المهنيين ولكن هذا هو حال المهاجرين من جنوب أفريقيا. إلا أن جنوب أفريقيا فى نهاية الأمر هى المستفيد الأكبر من المهاجرين المؤهلين وهجرة العقول. وذلك يرجع إلى أن جنوب أفريقيا تدفع مرتبات أفضل وتوفر فرصاً أحسن للتقدم مما تستطيع أن توفره لهم أوطانهم. مما قد يسبب ضرراً أقتصادياً بالغاً على الأقتصاد الوطنى فى الدول المجاوره. وتعتبر زيمبابوى من أكثر دول الجنوب الأفريقى تأثرا بهجرة العقول.(٧٦)كما سبق القول.

دوافع الهجره

ـ أن معدلات النمو السكانى وحجم السكان لهما تأثير كبير على الهجرة بتخفيض فرص هذه الهجره ويعنى ذلك أن أنخفاض معدلات النمو السكانى والعدد الصغير للسكان يؤديان إلى الحد من الهجره حيث لا يوجد ضغط فى بلد الهجره. كما تؤدى نسبة دخل الفرد من إجمالى الناتج الوطنى ونسبة التحضر أيضا إلى تقليل فرص الهجرة. لأن التمدن بصفةعامه يرتبط بالتصنيع. وعليه فإن البلد الصناعي/ المتحضر يحتمل أن تتوفر لديه فرص أكثر للعمل وبالتالى يحتفظ بمواطنيه.

ـ عدم الأستقرار السياسي الذى لا يسعى لتسكين أعداد هائله من السكان

بل يرغمهم على ترك أوطانهم بحثا عن الأمان والأستقرار. إن نصيب أفريقيا هو ٦,٧٥ مليون من إجمالى حجم اللاجئين فى العالم عام ١٩٩٥ والذى يبلغ ١٤,٤ مليون وذلك طبقا لتقديرات المفوضية الساميه لشئون اللاجئين التابعه للأمم المتحده. أن الكثيرين منهم تم أستبغادهم من جراء الصراعات ويشمل هؤلاء المهاجرين العديد ممن فروا من صراعات التنافس على السلطه أو بسبب الصراعات الدينية والعرقية فى رواندا، السودان، أريتريا، ليبيريا، سيراليون، غانا، موزامبيق وأنجولا.

- أن العوامل الأقتصادية هى السبب الرئيسى لهجرة العمالة الأختيارية فى كل أقاليم القارة. إن عوامل الأمداد واضحة فى كثير من البلدان التى لا يتقدم فيها الأقتصاد بصوره سريعه تكفى لأستيعاب القوى العاملة التى تتزايد بسرعة. كما أن ترك كثير من العمال الأعمال الزراعية يرجع إلى ندرة الأراضى الصالحة للزراعة فى الأقاليم كثيفة السكان وكذلك الكوارث الطبيعية التى تسبب الهجرة. بالأضافة إلى تدهور التربة وهبوط محصول الفدان بحيث تصبح الأرض عاجزه عن أشباع حاجة السكان.

الخلاصة

نستطيع من خلال العرض السابق لأتجاهات النمو السكانى فى أفريقيا ومكونات هذا النمو خلال فترة الدراسه أن نخلص إلى ما يأتى : ـ

١ ـ نجد ان هناك تبايناً بين النمو السكانى فى أفريقيا. مقارنة بمثيله على مستوى العالم خلال فترة الدراسة بصفة عامه.

٢ ـ يلاحظ إنه قد ظهر التباين واضحاً على مستوى الأقاليم الأفريقية فى معدلات النمو بمقارنة ذلك بأفريقيا كوحدة مستقله ولعل من أوضح مظاهر هذا الأختلاف أرتفاع معدلات النمو السكانى فى شرق أفريقيا عن باقى الأقاليم الأفريقية. ما عدا الفترة الأخيرة (١٩٩٠ ـ ١٩٩٥) حيث تفوق أقليم وسط أفريقيا على باقى الأقاليم الأفريقية فى أرتفاع معدلات النمو السكاني.

٣ ـ أتضح من الدراسة أن عامل الزيادة الطبيعية هو أساس أرتفاع معدلات النمو السكانى فى القارة الأفريقية.

٤ ـ أوضحت الدراسة أيضاً أن منطقة غرب أفريقيا تمثل أكبر تجمع للمهاجرين ومعظمها لأسباب أقتصادية، بينما نجد على العكس من ذلك أن منطقة شرق أفريقيا تركز فيها أكبر عدد من اللاجئين. أما فى شمال أفريقيا فان الهجرة فى معظمها لأسباب أقتصادية وتعتبر ليبيا مركز الجذب الرئيسى للعمالة فى شمالي القارة.. وفى جنوبى أفريقيا فإن تيارات الهجرة يغلب عليها هجرة العماله إلى جمهورية جنوب أفريقيا: بالأضافة إلى نمو السكان اللاجئين فى الأقليم الفرعي. بينما نجد أن طابع الهجرة فى وسط أفريقيا فى معظمها هجرة مؤقته وتغلب نسبة الذكور على الأناث.

الهوامـــش

(١) U.N. World population prospects. The 1994 Revision. New york. 1995. p. 306

(٢) فتحى محمد أبو عيانه، جغرافية السكان ، دار النهضة العربية، بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٦ ، ص ٢٦٣.

(٣) رمزى زكي، المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الحديثة، عالم المعرفة، رقم (٨٤)، الكويت ١٩٨٤ ، ص ٢٥٨.

(٤) أحمد على أسماعيل، أمال أسماعيل شاور، أفريقيا المعاصرة ـ البيئة والأنسان والتحدي، دار الثقافة والنشر والتوزيع. ١٩٨٩ ، ص ١٩٦.

(٥) وارين س ، تومسون دافيدت ، لويس ، مشكلات السكان ، ترجمة راشد البراوي، الأنجلو، ١٩٦٨، ص ٥٩٢.

(٦) Clarke. J.I. "Population Geography" In An Advanced Geogra-phay of Africa. By John Clarke et. cl. Hulton Educational Publications Itd. Great Britain. 1975. pp. 218-219

(٧) Pritchard. J.M., Africa., Astudy Geography for Advanced Students. Revised Third Edition. Longman. 1986. p.59

(٨) محمد عبد الغنى سعودى ، أفريقيا، دراسة فى شخصية القارة وشخصية الأقاليم ، الأنجلو، ١٩٨٣، ص ٧١.

(٩) لحساب الوقت التقريبى اللازم لتضاعف عدد السكان عن طريق المعادلة التالية .

$$\frac{٧٠}{\text{معدل النمو السكانى}}$$.أنظـــر

صندوق الأمم المتحدة للسكان، قضايا سكانية، ملف أعلامى، ١٩٩٤، ص ١٠.

(١٠) صندوق الأمم المتحدة للسكان، حالة سكان العالم، ١٩٩٥ ، ص ٦٧.

(١١) عبد الرحيم عمران، سكان العالم العربى حاضراً ومستقبلاً، صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية، نيويورك، ١٩٨٨ ، ص ص ٣٣٩ ـ ٣٤٦.

(١٢) Baker. K.M., The changing Geography of west Africa and

The Middle East. Edited by : Chapman. G.P., & Baker. K.M. London and New york. 1992. p.83.

(١٣) Griffiths. i.li,. The Atlas of African Affairs. Second edition. London. 1994. p.137.

(١٤) شريف سونكو ، الخصوبة والثقافة فى أفريقيا جنوب الصحراء : نظره عامه، المجلة - الدولية للعلوم الأجتماعية، العدد ١٤١ ، اليونسكو، سبتمبر ١٩٩٤ ، ص ص ٩٩ ـ ١٠٨.

(١٥) المرجع السابق، نفس الصفحات.

(١٦) U.N. op.cit,pp. 10 - 15.

(١٧) Ibid. pp. 10 - 15

(١٨) الأمم المتحدة، المرأه فى العالم ١٩٩٥ ،أتجاهات وأحصاءات، السلسله كاف ـ الرقم ١٢ ، ١٩٩٥ ، ص ٨٠.

(١٩) عبد الرحيم عمران ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥.

(٢٠) U.N. op. cit. p. 14

(٢١) I bid. p .124

(٢٢) برنامج الأمم المتحدة الأنمائى ، تقرير التنمية البشرية في العالم ١٩٩٤ ، ص ١٦٣ ، ص ١٨١.

(٢٣) تيم دايسون، النمو السكاني العالمى وموارد الغذاء. ترجمة د. شريف بهلول، المجلة الدولية العلوم الأجتماعية، العدد ١٤١ ، سبتمبر ١٩٩٤ ، اليونسكو ، ص ص ٦٥ ـ ٧٤.

(٢٤) فوليمبرى راماالنقا سوامى ، أيريان جونسون وجون رودى ، اللغز الأسيوى المحير، مسيرة الأمم (بلدان العالم مرتبه حسب أنجازاتها فى مجالات صحة الأطفال وتغذيتهم وتعليمهم وتنظيم الأسره وتحسين أوضاع النساء)، اليونسيف ، ١٩٩٦ ، ص ١٨.

(٢٥) المرجع السابق ص ١٦.

(٢٦) عبد الهادى يموت، النمو السكانى والتنمية الأقتصادية والأجتماعية العربية، الدراسات الأقتصادية، معهد الأنماء العربى ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢٧) المرجع السابق، ص ٤٣.

(٢٨) باتريشيا لون ، إبقاء الفتيات فى المدارس ، مسيرة الأمم (بلدان العالم مرتبه حسب

أنجازاتها في مجالات صحة الأطفال وتغذيتهم وتعليمهم وتنظيم الأسره وتحسين أوضاع النساء) اليونسيف. ١٩٩٦ ، ص ٣٠.

(٢٩) الأمم المتحدة ، المرأه في العالم ، مرجع سابق ، ص ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٣٠) باتريشيا لون مرجع سابق، ص ٢٩.

(٣١) صندوق الأمم المتحدة للسكان، مرجع سابق، ص ص ٩ ـ ١٠.

(٣٢) برنامج الأمم المتحدة الأنمائي ، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٣٣) الأمم المتحدة، المرأه في العالم ، مرجع سابق ، ص ٧٢.

(٣٤) Nevill, C.G., Malaria in sub-saharan Africa. Social science Medical Vol . 31. No. 6. Great Britain. 1990 p. 668

(٣٥) Griffiths. I.li,. Op. Cit. p.22

(٣٦) فاتن محمد البنا، الأبعاد الجغرافية لمرض الإيدز في قارة أفريقيا، مجلة بحوث كلية الآداب. جامعة المنوفية، العدد ١١ ، ديسمبر ١٩٩٢ ، ص ١٣١ ، ص ١٤٧.

(٣٧) الأمم المتحدة ،المرأه في العالم، مرجع سابق ، ص ٦٦.

(٣٨) برنامج الأمم المتحدة الأنمائى ، مرجع سابق، ص ص ١٥٠ ، ١٥١.

(٣٩) مونيكا شارما وجيمز تولوخ، الصحة «مهمة لم تنجز»، مسيرة الأمم (بلدان العالم مرتبه حسب أنجازاتها في مجالات صحة الأطفال وتغذيتهم وتعليمهم)، اليونسيف، ١٩٩٦ ، ص ٢٥.

(٤٠) برنامج الأمم المتحدة الأنمائى ، تقرير التنمية البشرية في العالم ١٩٩٥ ، ص ٢٨.

(٤١) تقرير التنمية البشرية في العالم ١٩٩٤ ، مرجع سابق، ص ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٤.

(٤٢) المرجع السابق ، ص ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٨٧.

(٤٣) المرجع السابق ، ص ص ١٣٢ ، ١٣٣.

(٤٤) اليونيسف ، ملخص تقرير وضع الأطفال فى العالم ، ١٩٩٦ ، ص ٢.

(٤٥) المرجع السابق، ص ص ٣ ، ٤.

(٤٦) مفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين، حالة اللاجئين فى العالم، ١٩٩٥ ، مركز الاهرام للترجمة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٩٩٦ ، ص ١١٣.

(٤٧) المرجع السابق، ص ص ٢٢ ، ٢٣.

(٤٨) Castles. s,. & Miller. M.J. The Age of Migration. International population Movements in the Modern world" The Macmillan press ltd. london. 1993. p.48

(٤٩) U.N. op cit. p. 128

(٥٠) محمد الأمين فارس ، واقع وأفاق الهجرة الأفريقية والعربية ، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب / جنوب) فى أفريقيا، منظمة العمل العربية بالأشتراك مع منظمة الوحدة الأفريقية، المنعقدة فى القاهرة (٥ ـ ٩ ديسمبر ١٩٩٥) ص ص ٢ ـ ١٠.

(٥١) Joffe. G. "The changing Geography of north Africa. Development Migration and The Demographic time bomb." in : chapman G.P. & Baker. K.M,. The changing Geography of Africa and the Middle East. london & New york. 1992. p. 145.

(٥٢) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العمالة بين الدول الأفريقية فى الأقليم الفرعى لشمال أفريقيا، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب / جنوب) فى أفريقيا، مرجع سابق، ص ٩.

(٥٣) عبد الله براده، الهجرات الدولية فى المغرب العربي، المؤتمر العربى للسكان ٤ ـ ٨ أبريل ١٩٩٣ ، عمان ، ص ٥.

(٥٤) محمد الأمين فارس ، مرجع سابق ، ص ١٠.

(٥٥) عبد الله براده. مرجع سابق ، ص ٦.

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٤.

(٥٧) تقرير الأمين العام بشان هجرة العماله بين الدول الأفريقية فى الأقليم الفرعى لشمال أفريقيا، مرجع سابق، نفس الصفحة.

(٥٨) محمد الأمين فارس ، مرجع سابق ، ص ١٠.

(٥٩) عائشه عبد الله إدريس، التشغيل والهجرة فى السودان ، منظمة العمل العربية، المؤسسة العربية للتشغيل، ندوة التشغيل والهجرة فى الأقطار العربية، ٩ ـ ١٤ سبتمبر ١٩٩١، طنجه ١٩٩٢، ص ص ٢٤٣ ـ ٢٤٥.

(٦٠) رفعت نصر عبد الغنى ، سياسات الأستخدام فى مصر ، منظمة العمل العربى ومنظمة العمل الدولية والبرنامج الانمائى للأمم المتحدة، ندوة سياسات التشغيل فى البلدان

العربية، القاهرة (١٠ ـ ١٢ مايو ١٩٩٣) ، الجزء الثاني، الأوراق القطرية، أكتوبر ١٩٩٣ ، ص ٣١٧.

(٦١) تقرير الأمين العام بشان هجرة العماله الدولية داخل المجموعة الأقتصادية لدول غرب أفريقيا، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب / جنوب) فى أفريقيا، مرجع سابق، ص ص ٦ ـ ١٣.

(٦٢) Stock. R,. Africa south of the sahara. Ageographical inter pretation. New york. 1995. p. 139.

(٦٣) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العمالة الدولية داخل المجموعة الأقتصادية لدول شرق أفريقيا، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب/جنوب) فى أفريقيا، مرجع سابق، ص ص ٢٦ ، ٢٧.

(٦٤) Russell. S.S., & Jacobsen. K. & stanley W.D. International Migration and Development in sub-Saharan Africa. world Bank Discussion papers. No-102. Vol. ll. Washington. 1990. p. 40

(٦٥) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العمالة فى شرق أفريقيا، مرجع سابق ، ص ٢٧.

(٦٦) Russell S.S. (et-al) . op. cit. 107

(٦٧) lbid. p. 25

(٦٨) تقرير الأمين العام بشأن هجرة العمالة الدولية لدول شرق أفريقيا، مرجع سابق ، ص ٢١.

(٦٩) تم حساب هذه النسبة من الجدول رقم (٤) من :ـ

مفوضية الأمم المتحدة لشئون اللاجئين، حالة اللاجئين فى العالم بحثاً عن حلول ١٩٩٥، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٦ ، ص ٢٥١.

(٧٠) منظمة العمل العربية، منظمة الوحدة الافريقية، هجرة العمالة الدولية داخل المجموعة الاقتصادية لدول وسط أفريقيا، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب/ جنوب) فى أفريقيا، القاهرة ٥ ـ ٩ ديسمبر ١٩٩٥، ص ص ٨،٩.

(٧١) محمد الأمين فارس ، مرجع سابق، ص ٥.

(٧٢) منظمة العمل العربية ، منظمة الوحدة الأفريقية، مرجع سابق ص ٢٣.

(٧٣) Russell S.S. (et-al) op. cit. p.6

(٧٤) Ibid. p. 13

(٧٥) محمد الأمين فارس ، مرجع سابق، ص ٥.

(٧٦) تقرير الأمين العام حول هجرة العمالة الدولية فى الجنوب الأفريقى، الندوة الأفريقية عن الهجرة (جنوب/ جنوب) فى أفريقيا، القاهرة (٥ ـ ٩ ديسمبر ١٩٩٥) ص ص ١ ـ ١١ .

مقدمة عن النشاط الأقتصادى

إعداد

أ.د. السعيد البدوى

القاهـــــرة

١٩٩٧

مقدمة عن النشاط والاقتصادي

أ.د. السعيد البدوي

الملامح العامة : للنشاط الاقتصادى فى افريقيا

يوجد تنوع كبير فى الوضع الاقتصادى فى افريقيا بين الدول، كما يوجد اختلاف وتباين أيضا من إقليم إلى آخر داخل هذه الدول. وتعتبر جمهورية جنوب افريقيا وفقا لبعض المعايير الاقتصادية استثناء فى هذا المجال حيث انها تعتبر الدولة الافريقية الوحيدة التى تعد من الدول المتقدمة Developed، كما ان القطاعات الاقتصادية المختلفة بها أكثر توازنا عن أى دولة أخرى فى القارة الافريقية، ولكن يمكن ان يكون التعميم، فى مجال النشاط الاقتصادى مقبولا اذا كان هذا التعميم يسرى على المساحة العظمى من افريقيا، ولذا فاننا نورد هنا بعض الملامح الهامة والرئيسية التى يتسم بها النشاط الاقتصادى فى القارة الافريقية.

(١) التخلف :

تعتبر قارة افريقيا من القارات المتخلفة، كما أنها بطيئة السرعة فى التقدم إذا ماقيست بأى معيار فى مجال التقدم الاقتصادى، حيث تنخفض إنتاجية الفرد كإنسان عامل له نشاط وكذلك بالنسبة للمساحة المنتجة Per man & per area فى المجال الزراعى. فمازال جزء كبير من القارة يخضع لنمط الانتاج المعيشى، كما أن النشاط السائد فى معظم أنحاء القارة هو النشاط الاستخراجى extractive أو يمكن ان نسميه الاستغلال الهدمى سواء بالنسبة للزراعه أو التعدين. كما إن إنتاج القوى المحركة والانتاج الصناعى

يتطور بدرجة غير سريعة حيث يوجد نقص واضح فى الخبرة الفنية (العمال المهرة) هذا بالإضافة إلى النقص الكبير فى مجال الأعمال والإدارة. وبالتالى فان الحاجة ماسة إلى التوسع الكبير فى التعليم إذ أن معظم الاقطار الافريقية لايوجد بها إلا مدارس عليا قليلة، وبالتالى فان عدد خريجى الجامعات والمؤسسات العليا قليلة، وبالتالى فان عدد خريجى الجامعات والمؤسسات العليا قليل، ويضاف إلى ذلك انتشار الأمية وارتفاع نسبتها فى أنحاء القارة، كما أن البنية الأساسية infrastructure اللازمة لأى تنمية اقتصادية، واجتماعية غير متوفرة على نطاق ملائم باستثناء بعض التحسينات الحقيقية التى حدثت فى سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية بمعدل سريع واضح.

وتوضح التقديرات الحديثة ان متوسط الدخل السنوى للفرد فى افريقيا منخفض حيث يتراوح بين ١٥٠ ، ٢٨١ دولار.

وفى بداية العقد الماضى كان نصيب افريقيا من الواردات الحرة ٦ و٥٪ بالنسبة للعالم، وحوالى ٤ و٥٪ من الصادرات العالمية

(٢) الاقتصاد المعيشى والتبادلى:

تتميز قارة افريقيا بتعايش أو حتى تجاور أنواع متناقضة من الاقتصاد. وتمر معظم هذه الأنماط الاقتصادية من مرحلة الاقتصاد المعيشى إلى لاقتصاد التبادلي، ولكن توجد مجموعات قليلة نسبيا من السكان الذين لم يتأثروا ولو بشكل ما بالقوى الاقتصادية الحديثة. إذ قدرت المساحة الخاضعة للاقتصاد المعيشى بحوالى ٦٩٪ من المساحة الكلية المزروعة فى افريقيا المدارية ويعيش عليها حوالى ٦٠٪ من السكان الذكور الذين يزيد عمرهم عن الخمسين عاما. وقد انخفضت هذه النسبة فى السنوات التالية ولكن ليس بشكل واضح

وقد جاء فى تقرير اصدرته الامم المتحدة عن افريقيا : انه يوجد بالقارة نظامان اساسيان على طرفى نقيض، وبينهما يقع أغلب الاقتصاد الافريقى وفى كلا النظامين يوجد الاقتصاد التقليدى والاقتصاد الحديث

ففى النوع الاول

نجد ان النظام التبادلى التجارى Commercialization قد اصبح النظام السائد حيث انه حل محل جزء او أجزاء من الاقتصاد التقليدى، وذلك فى الغالب فى الانتاج الزراعى المخصص للتصدير أى المحصولات النقدية اساسا. وتوجد استثمارات قليلة نسبيا فى هذا الاقتصاد فى المشروعات الزراعية الواسعة، ومازالت حركة العمال نحو الاقتصاد الحديث قليلة نسبيا . ومن الدول التى تدخل بشكل واضح فى هذا النوع من الاقتصاد:-

غنيا ، ساحل العاج، مالى بوركينافاسو، النيجر، نيجيريا، تشاد، جمهورية افريقيا السطى، أوغندا ، تنزانيا .

اما النظام الاساسى الثانى:

فانه يتميز باقتصاد تبادلى يغلب عليه رأس المال الاجنبى والمشروعات الاجنبية ويعمل برأس مال كبير وطرق استغلال متقدمة اساسا فى التعدين والمشروعات الزراعية الواسعة، وتوجد حركة عمالية افريقية من النظام التقليدى نحو هذا النظام بشكل كبير. ويدخل فى هذا النظام جمهورية جنوب زمبابوى وزامبيا وكينيا وبالطبع جمهورية جنوب افريقيا ويؤدى الانتقال من النظام الاقتصادى التقليدى إلى النظام التبادلى الحديث إلى وجود بعض المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. حيث نجد أن النظام التقليدى للكية واستخدام الارض لايعرقل فقط المحافظة على التربة ولكن يتعارض ايضا مع

التنظيم الاقتصادى للأرضى ومن الواضح ان النظام القبلى القديم يتعارض بطريق مباشر مع الاتجاهات الحديثة الاقتصادية، ويؤدى هذا بالتالى إلى وجود بعض من اعقد المشكلات السياسية فى افريقيا. كما انه يمكن ان تؤدى هجرة العمال من المناطق التى يسود فيها النظام التقليدى إلى النظام الحديث إلى انهيار الانتاج القائم على النظام المعيشى، ومن ناحية اخرى يؤدى هذا إلى ايجاد كل المشكلات المرتبطة بعملية التحول إلى النظام الحضرى Urbaniza-tion وهى ظاهرة حديثة فى افريقيا ولكنها واحدة من تلك الظواهر التى تنتشر بسرعة واضحة كما ان لها ابعاداً عديدة.

وللملاحظ ان الدول التى تدخل فى النظام التقليدى تتحرك نحو الاقتصاد الحديث، ويؤدى هذا التحرك إلى تغييرات فى هيكل الاقتصادى القديم. أما الدول التى تدخل فى النظام الثانى فان النتيجة هى تدهور وانهيار الاشكال الاقتصادية السابقة وسيادة النظام التبادلى الاقتصادى الحديث.

(٣) سيادة النشاط الاستخراجي:

تعتبر اهمية الانتاج الأولى ملمحا سائداً فى الاقتصاد الحديث فى القارة الافريقية ويعطى الجدول الاتى بعض الايماءات عن الصادارات الافريقية المدارية فى خلال العقد الماضى وذلك بحسب نوع السلعة كنسبة مئوية للقيمة الكلية للصادرات ومقارنة ذلك بافريقيا كلها

القيمة الكلية المصادرات الافريقية

السلعة	افريقيا كلها	افريقيا المدارية
منتجاتنباتية	٪ ٤٥,٢	٪٦١,٣
انتاج معدني	٪٣٥,٩	٪٢٨,٦
انتاج حيواني	٪٥,٩	٪٣,٢
انتاج صناعى	٪٤,٤	٪١,٠٠
اخري	٪٨,٦	٦,٠٠
	٪١٠٠,٠٠	٪١٠٠,٠٠

ملحوظة:

المقصود بافريقيا كلها ـ القارة الإفريقية بما فيها جزر خليج بيافرا + مدغشقر والمقصود بافريقيا المدارية ـ افريقيا كلها باستثناء المغرب + الجزائر + تونس + ليبيا + مصر + جمهورية جنوب افريقيا والاقطار التى تدخل فى اتحاد جمركى مع جنوب افريقيا

ويلاحظ على هذا الجدول مايلي:

١) تأتى المنتجات النباتية فى مقدمة صادرات القارة الافريقية ككل اذ تصل إلى ما يقرب من نصف هذه الصادرت الكلية للقارة. ولكن هذه النسبة تزداد وضوحا فى افريقيا المدارية حيث تصل إلى ما يقرب من ثلثى الصادرات فى افريقيا المدارية.

٢) تأتى الصادرات المعدنية فى المرتبة الثانية فى كل من افريقيا عموما وافريقيا المدارية كذلك ولكنها فى الأولى تكون نسبة عالية تزيد عن ثلث الصادارات وفى الثانية تزيد قليلا عن الربع .

٣) كذلك تأتى الصادرات الحيوانية فى كل من افريقيا ككل وافريقيا المدارية بصفة خاصة فى المرتبة الثالثة وان كانت تحتل نسبة اكبر فى افريقيا ككل وذلك يرجع إلى ماسبق ان اشرنا اليه من عدم ملائمة الظروف المدارية لتربية الثروة الحيوانية بسبب أنتشار ذبابة تسى تسى على نطاق واسع فى هذه المنطقة

٤) يلاحظ على افريقيا المدارية ان نسبة صادراتها من المنتجات الصناعية اقل من تلك النسبة الخاصة بافريقيا ككل. وهذا شئ طبيعى لان التقدم الصناعى النسبى واضح فى افريقيا المعتدلة اكثر منه فى افريقيا المدارية

ومن الملاحظ بصفة عامة ان الانتاج التجارى مخصص للتصدير خارج القارة ولاتوجد إلا نسبة ضئيلة نسبيا من التجارة بين الاقطار الافريقية كما ان الاسواق المحلية فى الدول الافريقية ذاتها فقيرة او محدودة

ويعنى النشاط لاستخراجى ان افريقيا مازالت تعانى بشكل حاد وواضح من الانخفاض العام فى اسعار المواد الخام الذى بدأ فى أوائل الخمسينات وتوضح الارقام ان اسعار المواد الخام فى انخفاض مستمر، هذا فى حين ان مؤشرات أسعار المواد المصنوعة فى الخارج والتى تستوردها القارة فى ارتفاع مستمر، وقد يرجع هذا إلى مسألة العرض والطلب حيث أن المواد الخام التى تصدرها القارة الافريقية تشترك معها دول مداريات العالم الثالث ايضا، ومن ثم فان المعروض منها كثير - فيما عدا البترول الذى بدأت اسعاره ترتفع منذ نصف القرن الحالى - ولذلك نجد ان اسعارها تنخفض، فى حين ان الدول المتقدمة التى تصنع المنتجات الصناعية وتصدرها إلى الدول الافريقية اقل فى العدد كما ان الطلب عليها كبير وبالتالى ترتفع أسعارها وقد يرجع ذلك ايضا من ناحية ثانية إلى أن الدول الصناعية المتقدمة هى التى تفرض أسعارها على هذه الدول المتخلفة بحكم انها الدول الأقوى اقتصاديا وحضاريا وبصفتها الدول التى

تحتاج اليها الدول المتخلفة علما وصناعة وحضارة فى الاونة الراهنة. إلا ان هذا الاتجاه دفع الدول المنتجة للمواد الخام سواء الخامات الزراعية او المعدنية إلى تكوين منظمات لتحديد كميات الانتاج من هذه المواد لكى لايكون هناك فائض فى الانتاج عن الطلب يقلل من الاسعار. مثلا نجد منظمة «الاوبك» التى نجحت فى فرض شروطها على الشركات المنتجة للبترول ورفعت اسعار البترول اكثر من مرة. بل رأينا ان بعض الدول استطاعت ان تشترى اسهم الشركات المنتجة للبترول كلها وبالتالى لم تصبح مشاركة فى الانتاج ولكنها اصبحت المالكة الفعلية لهذه المادة الهامة وبالتالى اصبحت هذه الشركات مجرد شركات وظيفية تستخدمها الدول النامية لانتاج وتصدير البترول نظير عمولة معينة كذلك تكونت هيئات من الدول المنتجة للبن، لتسير فى نفس الطريق الذى سارت فيه منظمة (الاوبك) ولتنسيق الانتاج فيما بينها وان كان البعض منها لم يواته التوفيق. كما ان الدول الافريقية حاولت فى نفس الوقت تنويع الصادرات وقد نجحت هذه المحاولات إلى حد ما. وحيث أن التكهن او التنبؤ غير ملائم فان تحديدات السعر والسوق وأثرهما على زيادة المبيعات من الانتاج الافريقى فى الاسواق العالمية يعتبر من أعقد المشكلات التى تقابل التنمية فى القارة الافريقية.

وبعد ان استعرضنا بعض الملامح الرئيسية الخاصة بالاقتصاد الافريقى نذكر الآن لمحة سريعة عن أنواع هذا النشاط..

الإنتاج الحيوانى في القارة الأفريقية

إعداد

د. صلاح الدين حميدة عوض

القاهـــــرة

١٩٩٧

«الإنتاج الحيوانى فى القارة الأفريقية»

د. صلاح الدين صميدة عوض

تقـــديم

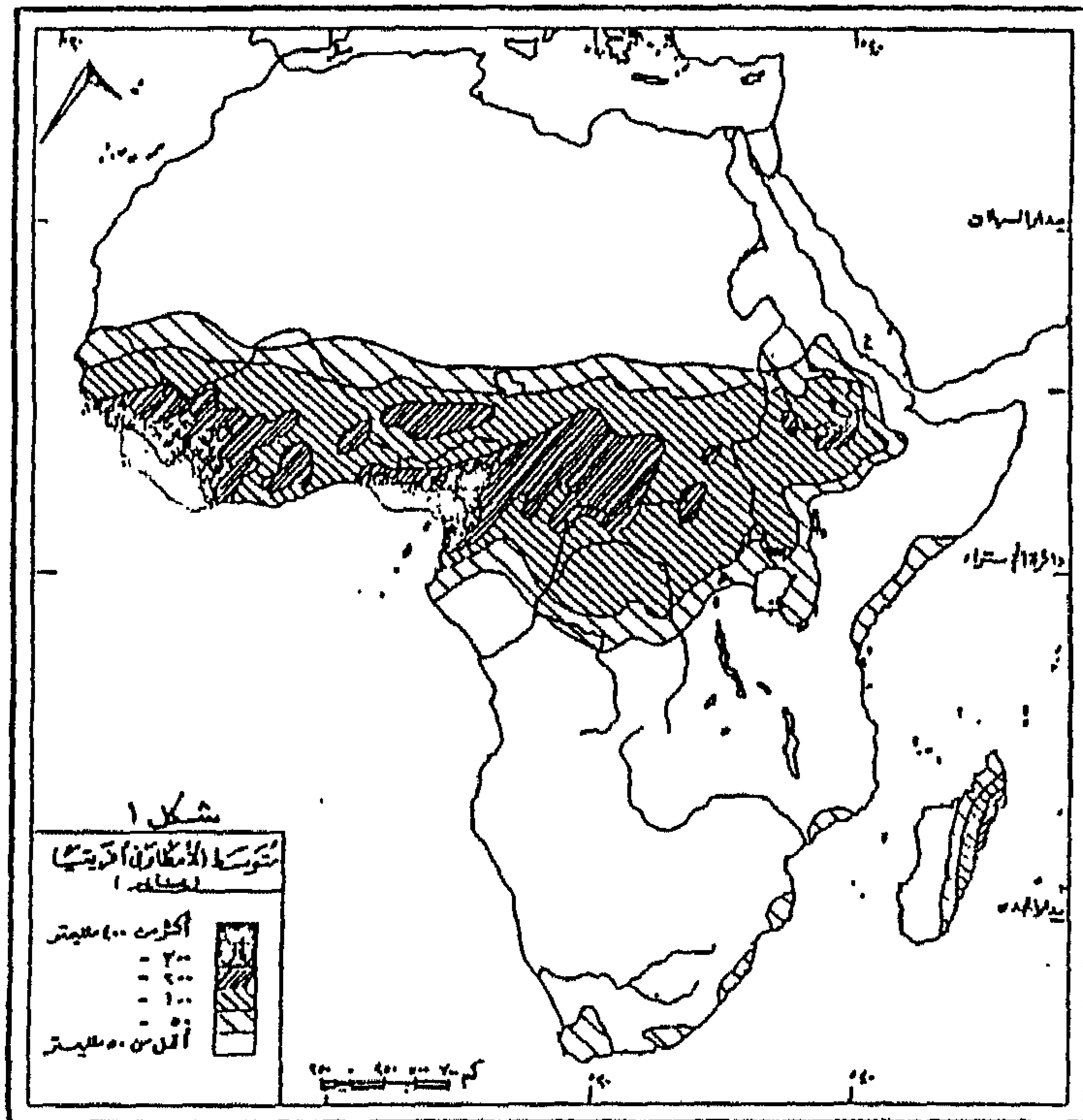
تتميز القارة الإفريقية بسمات جغرافية تجعلها تختلف جوهريا عن باقى قارات العالم، ولا يقتصر هذا التميز على الجوانب الطبيعية فقط بل ينسحب على تاريخها وتطورها البشرى أيضا.

تقع القارة فلكياً بين خطى طول ١٧° غربا و٥١° شرقا ودائرتى العرض ٣٧ ° شمالاً، ٣٥° جنوباً وبهذا يبلغ أقصى امتداد شمالى جنوبى لها حوالى ٧٩٨٠ كم، بينما أقصى امتداد شرقى غربى حوالى ٧٦٧٥ كم، يكاد خط الاستواء ينصف القارة، وإن كان حوالى ثلثا مساحتها يقع إلى الشمال منه.

هى ثانية قارات العالم مساحة (حوالى ٣٠ مليون كم٢)، ويبلغ طول سواحلها حوالى ٣٠٤٠,٠٠٠ كم، أى كيلو متر من الساحل لكل ألف متر مربع من المساحة (أوربا ٤ كم سواحل) وهذا يفسر ذلك العدد الكبير من الدول الحبيسة (١٤دولة) وأن حوالى ٤٢٪ من مساحة القارة يبعد حوالى ٥٠٠كم عن البحر المفتوح، ولاتوجد الخلجان الكبيرة (المكسيك أو هدسن) بالقارة، كما لاتوجد أشباه الجزر كبيرة المساحة، وتبلغ مساحة الجزر الأفريقية حوالى ٦٥٣ الف كم٢ أكبرها مدغشقر ٥٩٠ الف كم٢.

تشغل الصحارى مساحة واسعة من القارة (الصحراء الكبرى وحدها ٨

مليون كم٢ وهى أكبر الصحارى الحارة مساحة على الإطلاق، إضافة إلى صحارى مثل الصومال وناميب وكلهاري)، كما تتمثل فى القارة كافة الأقاليم المناخية المعروفة، وبالتالى فالقارة تضمن كافة الأشكال النباتية وإن كانت تتميز بسيادة المناخات المدارية الحارة، ولاتكاد توجد بها المناخات المعتدلة إلا فى أطرافها الشمالية والجنوبية أو على المرتفعات في وسط القارة سواء أكانت جبالا مفردة (كينيا ـ الجون ـ كليمنجارو مثلا) أو سلاسل تكونت نتيجة اندفاعات اللافا البركانية إبان تكون الأخدود الأفريقى بخاصة بداية من الزمن الجيولوجى الثانى وحتى بداية الزمن الثالث (رونزورى ـ مفيمبيرو) أو هضبات مثل أثيوبيا والبحيرات. ويتأثر الانتاج الحيوانى فى القارة بعدة ضوابط طبيعية وبشرية كما يلي:



أولا ـ الضوابط الطبيعية:

١ـ الظروف المناخية:

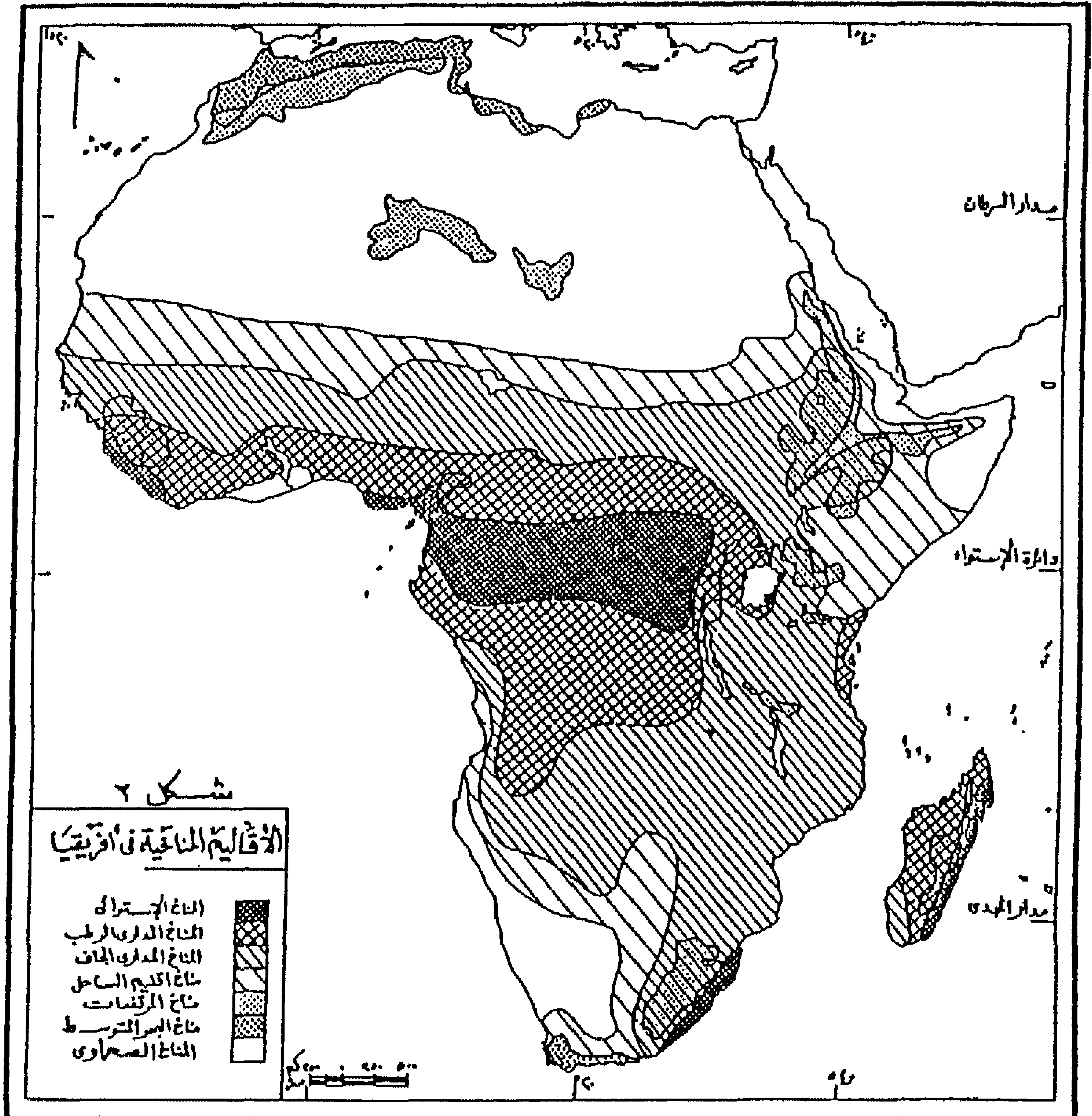
كما بينا سابقا ـ يؤثر الموقع الفلكى للقارة ـ إضافة إلى علاقات اليابس والماء وأشكال السطح وغيرها فى توزيع الأقاليم المناخية بها فتبدو متناظرة إلى حد ما بين الشمال والجنوب من خط الأستواء، كما أنه نظرا إلى ذلك، فإن أكثر من ثلثى مساحة القارة يقع بين المدارين، وتتأثر نطاقات الضغط الجوى فوق القارة بدرجات الحرارة وبالتالى تتشكل الأمطار كمية وموسما، وعليها وضوابط أخرى ـ يتوقف نمو النبات الطبيعى الذى يؤثر فى توافر النطاقات الرعوية المختلفة وبالتالى نوعية وكثافة القطعان.

ويمكن تقسيم القارة الأفريقيه من حيث أنظمة سقوط الأمطار (شكل ١ ،٢) إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى :

١ـ الاستوائى نو قمتى المطر ونو القمة الواحدة وهو إقليم واسع يمكن تقسيمة إلي:

* الاستوائى الرطب العام (وسط القارة) فى حوض زائير شمال عرض ٥° جنوبا، والمطر هنا انقلابى نو قمتين فى إبريل ونوفمبر، ويختلف هذا القسم عن نظيرة فى حوض الأمزون، فأمطار زائير بين ١٥٠، ٢٠٠ سم بينما هى فى الأمزون بين ٢٠٠ ، ٢٥٠ سم، وتشغل هذا القسم الغابة الاستوائية بأشجارها متعددة الأنواع، ونباتاتها المتسلقة وجوها الطارد للإنسان وغير المناسب لتربية الحيوان.

* ساحل غانا من سيراليون إلى الكمرون وحتى دائر العرض ٥٧ شمالا والمطر صيفى طبقا لنظام الرياح السائدة (الجنوبية الغربية الموسمية الصيفية) وتزداد الأمطار فوق المرتفعات (جبل الكمرون أغزر جهات أفريقيا مطر ١٢٠٠سم) وكمية الأمطار فى هذا القسم قد تزيد كثيراً عنها فى القسم السابق (متوسط فريتاون مثلا يبلغ ٣٤٠سم)، تنمو الغابة الاستوائية والحشائش الطويلة والمتسلقات فى هذا القسم، وهى لاتختلف نباتيا عن القسم السابق إلا فى ظهور الحشائش الطويلة وذلك لوجود قمة مطر واحدة بدلا من قمتين.



* الاستوائى المعدل (شرق إفريقيا) بين دائرتى العرض ٣° ، ٥° جنوبا حيث ترتفع هضبة شرق أفريقيا (+ ١٠٠٠ متر)، يغزر المطر حيث توجد بعض القمم التى ترتفع عن ٤٠٠٠ متر (كينيا - إلجون - كليمنجارو)، والمطر هنا نو قمتين أيضا لكنهما تختلفان عن قمتى القسم الأول فقد يتفقان فى الموعد ويختلفان فى الكمية وقد يختلفان فى الموعد والكمية أيضاً (أمطار نيروبى مثلا فى إبريل ونوفمبر بمتوسط ٩٠ سم، بينما فى أديس ابابا المطر صيفى بمتوسط ١٣٠سم)، وهكذا الحال حول بحيرة فيكتوريا أو مناطق البحيرات الأخدودية.

والنبات هنا متنوع بين الغابة والسافانا والحشائش والأعشاب بما يتيح مجال أكبر لرعى وتربية حيوان متنوع، إذا ما توافقت بقية العوامل المواتية لهذا النشاط كما سيأتى بيانه فيما بعد.

٢ـ المدارى وهو نظام يشغل مساحة كبيرة من القارة، ويتميز بتنوع أمطاره ولهذا يمكن تقسيمة إلى :

* الموسمى المطير أو السافانا أو السودانى ، ويتسم بزيادة الأمطار وطول موسمها وذلك بالاقتراب من خط الاستواء، والمطر هنا صيفي، ويمثل مرحلة انتقالية بين القسمين الاستوائى والصحراوى ويؤثر شكل اليابس فى طبيعة الأمطار فى هذا القسم، وعليه، تختلف الأشكال النباتية بين الشمال والجنوب فنظرا لاتساع القسم الشمالى من القارة واتصاله بقارة آسيا فإن الرياح الشمالية الشرقية (التجارية) تعمل على امتداد الظروف الصحراوية إلى مسافات طويلة داخل القارة حتى تصل الهرمتان إلى ساحل غرب أفريقيا فتعمل على تقليل الرطوبة وتحسين حالة الجو فى تلك الأجزاء.

أما الشكل النباتى فى هذا القسم فهو الأعشاب شبه الاستبسية وتتأثر

بكمية الأمطار وموسم سقوطها وهى عماد الغذاء لثروة حيوانية تتشكل من الأغنام والماعز والماشية والإبل.

أما الهضبة الجنوبية فتحيطها المياه من الشرق والغرب والجنوب ولهذا تتوغل التأثيرات المحيطية إلى الداخل أكثر من القسم الشمالي، وبالتالي، تزيد كمية الأمطار وينخفض المدى الحراري، والمطر هنا صيفى (١٠٠ سم فى المتوسط)، وهى إقليم رعى مثالى أصبح مجالا خصبا لتربية الحيوان (الماشية والاغنام بخاصة).

* النطاق شبه الجاف (الساحل) نطاق انتقالى إلى البحر المتوسط شمالا والسافانا جنوبا، وبهذا يتلقى قدرا من الأمطار الشتوية فى الشمال وهى أقل من تلك التى يتلقاها صيفا فى الجنوب، وعليها المعول فى قيام الزراعة وغنى المرعى ولكن أمطار النطاق تتسم بالذبذبة كمية وموسم سقوط، وهى ذبذبة شديدة تؤثر بعمق فى الكيان الاقتصادى والبشرى للسكان ولعل كارثة تصحر الساحل، وجفاف ١٩٧٣، وما خلفاه من آثار عميقة على النطاق ماثلة أمامنا ولسنوات قادمة قد تطول.

* تبدو الصحارى الأفريقية ملمحاً جغرافياً بارزاً ومميزاً ليس فقط فى القارة وإنما على مستوى العالم، فالصحراء الكبرى بمساحتها الشاسعة وقاريتها الشديدة تقف نموذجاً فريداً بين صحارى العالم، والجفاف وفقدان الغطاء النباتي، وارتفاع معدلات التبخر الأقصى PET عن معدلات التساقط تؤدى جميعا إلى وجود غطاء نباتى هزيل، شوكى غالبا، صنفه د كاندول De Can-dolle(١٨٧٤) على أنه من فصيلة Xerophytes وتناوله كبن Koppen (١٩١٨) ليستخرج له صيغة مناخية فى تصنيفه لمناخات العالم هى BW، وعلى أية حال فالصحارى الأفريقية تبدو كوحدة مناخية نباتية ليست متجانسة

تماما، حيث يختلف نباتها إلى حد ما من موضع إلى موضع طبقا لضوابط عديدة، والمدى الحرارى اليومى كبير قد يصل إلى ١٩° م (عين صلاح بصحراء الجزائر ٢٧° شمالا، ٢° شرقا)، والمطر عادة يقل متوسطه عن ٢٥ سم، وقد تعرف بعض مناطقها الفيضان!!

ومع كل ما سبق فالصحراء تبدو مرعى مناسبا لعديد من الحيوانات، تأتى الإبل في مقدمة المركب الرعوى الصحراوي، والماعز والأغنام مكملان لهذا المركب، وسقيا الحيوان هى مشكلة رعاة الصحراء الأفريقية أكثر من توافر العشب أحيانا، وهى تعتمد على المياه الجوفية، أو ما يتخلف من (برك) بعد الأمطار والنظام القبلى السائد يحدد مواطن المرعى لكل قبيلة كما سيأتى بيانه.

٣- مطر العروض المعتدلة شتوى شمالا وصيفى جنوبا على أطراف القارة:

* فى شمال القارة، حيث الصيف الجاف الحار فى إقليم أطلس ويمتد من ميناء آسفى فى المملكة المغربية وحتى ميناء صفاقس فى تونس، ثم فى مناطق محدودة حول طرابلس والجبل الأخضر وغرب برقة، أما الشتاء فهو دفئ، وغير قارس البرودة فى المرتفعات وذلك لتأثير البحر الذى يزداد مع تيار كنارى البارد، والأمطار الشتوية ناتجة عن زحزحة نطاقات الرياح مع حركة الشمس الظاهرية نحو القطب صيفا، والمتوسط العام ٤٠ – ٧٠ سم، وللمطر هنا طبيعة خاصة حيث أنه قد يسقط بكميات كبيرة وعلى هيئة السيل بما يؤثر على التربة فيجرفها والمحصولات الزراعية فيتلفها.

أما المطر الصيفى فيسقط فوق هضاب وسواحل جنوب شرق القارة وليس له نظير فى شمال شرق القارة، وتنال الهضبة - لارتفاعها وبعدها عن تيار موزمبيق الحار قدراً كبيراً، والرياح الجنوبية الشرقية هى جالبة تلك الأمطار،

ويبلغ المتوسط العام حوالى ١٠٠ سم، ويمتد فصل المطر غالبا من أغسطس وحتى إبريل (الصيف الجنوبي) والفرصة هنا مواتية لنمو حشائش طويلة وأعشاب جيدة لتغذية الحيوان فى المراعى الطبيعية أو تلك المخصصة لتربية الحيوان، وتنعكس الظروف الطبيعية المواتية على الثروة الحيوانية فى دول ذلك النطاق خصوصا جمهورية جنوب إفريقية ذات الإنتاج الحيوانى المتميز من الماشية والأغنام ومنتجات اللحوم والألبان والصوف.

٢ـ النبات الطبيعى : (شكل ٣)

هو ناتج التفاعلات بين مظاهر السطح وتكوينات التربة وعناصر المناخ، وهو فى النهاية يمثل أحد أهم العناصر المؤثرة فى الإنتاج الحيوانى فى القارة الأفريقية، حيث، عليه تعتمد كل من حرفتى الرعي المطلق وتربية الحيوان .

ويتشكل النبات الطبيعى فى القارة الأفريقية من مركب قد يبدو بسيطاً للوهلة الأولى لكنه مركب معقد غاية التعقيد، فصورته العامة هى ذلك الغطاء الغابى أو العشبى أو الحشائش، لكنه تفصيليا يختلف كثيراً عن ذلك ليس فقط من حيث مكونات النبات نفسه لكن من حيث توزيعه الجغرافي، ودرجة تكاثفه فى المكان، وأنواعه المفيدة للحيوان، ومحتواه المائي، إضافة إلى النظام البيئى الذى ينمو به، ومدى تكامله مع هذا النظام.

وتلعب دورة تجدد النبات دوراً مهماً فى توافر المراعي، كما يؤثر سيادة نوع منه دون آخر فى قابيلة الحيوان للغذاء عليه، أو العزوف عنه فى مواسم دون أخرى كما أن هناك ما هو دائم ومنها ما هو موسمي، وما يعود للنمو بعد انقطاع طويل أو قصير طبقا لظروف طبيعية أو بشرية أخري.

مدار السرطان

دائرة الإستواء

مدار الجدى

شكل ٣

الأقاليم النباتية فى أفريقيا

النطاق الإستوائى:
- غابات كثيفة
- غابات المرتفعات
- المانجروف
- أشجار الكاكاو

النطاق المدارى:
- سافانا غابية
- سافانا أشجار مبعثرة
- الإستبس

نطاق الصحراء:
- الإستبس الصحراوية
- الصحراء

نطاق البحر المتوسط:
- استبس البحر المتوسط
- غابات الجبال

وقد تغيرت صورة النبات الطبيعى فى القارة كثيراً حيث أزيلت مساحات واسعة منه لتحل محله الزراعة - المحاصيل النقدية بخاصة - أو حتى بغرض الاستخدام الزراعى والعمراني العاديين (البحر المتوسط وهضبات شرق أفريقيا)، كما يمكن القول بأن الرعى الجائر فى المناطق الحدية قد غير كثيراً من الصورة النباتية الطبيعية كثافة ونوعا.

وتتكون الحياة النباتية فى القارة الأفريقية من الأشكال الآتية:

(١) الحياة الشجرية وتشغل ما يزيد قليلاً على ٢٠٪ من مساحة القارة وهى تتركز بصفة خاصة - حوالي ثلثى المساحة - فى شرقى القارة وغربيها (أفريقيا المدارية)، لكن يمكن تصنيف تلك الأشجار كما يلي:

* الغابة المدارية المطيرة في غرب القارة فى نطاقين من سيراليون إلى غانا، ومن جنوب نيجيريا إلى وسط حوض زائير، وبين النطاقين توجد الفجوة الجافة على الساحل (بنين - توجو) كما توجد ملامح قوية لتلك الغابة فى جزيرة مدغشقر، والأشجار هنا من النوع صلب الأخشاب (الأبنوس - الماهوجني).

* المانجروف المستنقعية (دلتا النيجر) على السواحل المدارية بصفة عامة، ومن أشجارها التك.

* الغابة المدارية فوق المرتفعات (هضبة أثيوبيا وجبال كينيا - الجون - كليمنجارو).

* أحراج السافانا وقد تعرضت منذ الماضى لممارسات اقتصادية متعددة منها الأجتثاث والإحراق لإعداد التربة للزراعة البدائية أو الحديثة على حد سواء، واستغلال أشجار السنط والباوباب، ورعى قطعان من أبقار الزيبو، إضافة إلى

إنشاء المحميات الطبيعية والحدائق المفتوحة ورحلات السفارى والصيد، ويمكن القول أن هذا الاستغلال الاقتصادى قد تشوبه كثير من المحاذير حيث قد يؤثر فى التوازن البيئى بدرجة أو بأخرى إذا ما تحول إلى الاستغلال الجائر، وهو بالفعل قد نما نحو ذلك وبدأت آثار ذلك تظهر ممثلة فى انقراض الكثير من الأشكال النباتية والحيوانية، وانجراف التربة الزراعية وزيادة قلويتها أو تملحها، كما نال العقم الإنتاجى من مساحات واسعة من الأراضى الزراعية والرعوية.

* الأحراج المعتدلة فى مساحة ضيقة من المغرب العربي، وهذه قد نالها الكثير من الاستغلال الهدمى نظراً لقدم سكناها، وإزدحامها بالسكان، ونشأة المراكز الحضارية القديمة بها، ولهذا فقد أزيلت غالبا بهدف الزراعة والسكنى وإنشاء الطرق وغيرها من المشروعات العمرانية الضخمة.

ويعد البلوط والفلينى منه بخاصة ـ والصنوبر الحلبي، وأنواع من الماكى من أهم الأشكال النباتية فى هذا النطاق المحدود، وهى أشبه ببقايا حفرية أو قل متحفية لنمط نباتى آخذ فى الانقراض.

٢ـ الحشـائش

تمثل فى أشكالها المتعددة الغذاء الأول لحيوان الرعي، فهى الأسهل تناولاً، والأوسع انتشاراً، والأجود غذاءً والأكثر تعدداً وأنواعاً، ولكل هذا فهى ما يهمنا فى هذا المجال، وعلى مدى توافرها وجودتها تتوقف عائدات الإنتاج الحيوانى فى القارة، ويمكن تقسيم الحشائش فى أفريقيا إلى الأنواع الآتية:

* السافانا وتنتشر فى جهات متعددة وتغطى حوالى ١٦٪ من مساحة القارة وقد تتخللها مجموعات من الأشجار أو الشجيرات السنطية، ومن هنا

سميت بالسافانا البستانية، ويتراوح طول هذه الحشائش بين المتر والمتر ونصف وقد لايناسب هذا النوع من الحشائش تغذية الحيوان لخشونتها أو لوجود عوامل أخرى طاردة للحيوان والإنسان معا، لكنها تجود على ضفاف الأنهار وقد تنمو على المرتفعات فى جنوب القارة حيث المطر الصيفي، وتعرف هنا بالفلد المرتفع وهى مراع جيدة وصحية.

* السافانا المفتوحة وتنمو فى مجموعات وهى حشائش قصيرة نوعا وقد تتخللها بعض الشجيرات الشوكية ، وتنمو هذه الحشائش فى المناطق شبه الجافة إذا كانت ظروف التربة مواتية .

* الأعشاب الصحراوية وشبه الصحراوية وتغطى معظم مساحة القارة الأفريقية وهى مناط الرعى المتنقل فى القارة، وتشغل الأعشاب الصحراوية حوالي٤٢٪ من مساحة القارة، وتختلف من مكان إلى آخر طولاً وقصراً، طراوةً وجفافاً، تكاثفاً وتخلخلاً، والماء هنا هو العامل الحاسم فى نمو هذه الأعشاب، وقد تؤدى الأمطار الفجائية الغزيرة إلى نمو كثيف لتلك الأعشاب مما يشكل بدوره موسماً رعوياً مزدهراً، ويحدث العكس إذا انحبس المطر أو قل عن معدله فإن ذلك يشكل ما يشبه الكارثة الاقتصادية بالنسبة للرعاة فى هذا النطاق (جفاف ٧٣، ١٩٨٤ فى منطقة الساحل).

وقد تحصل تلك الأعشاب على متطلباتها المائية من الندى خصوصا فى المناطق الجافة فى الصحراء الكبري، وقد لجأ الرعاة قديما إلى تكثيف وجمع الندى عن طريق بناء أحواض دائرية حول الشجيرات التى قد تنمو فى النطاق، وبطبيعة الحال تزداد كميات الندى بوجود مسطح مائى قريب.

وتتعدد الأعشاب الصحراوية وشبه الصحراوية لكنها عموما تندرج تحت

الأنواع الجافة xerophytes وبعضها حوليات annuals تتحاشى الجفاف بقصر العمر وسرعة النمو، وبعضها دائم perennials تتحمل الجفاف فتبدو كالحة طوال فصل الجفاف لكن دون أن تموت، وبعضها من العصاريات suc-culents كالصبار تختزن الماء فى الجذور والسوق (السيقان) أو تحتمى من الجفاف بلحاء سميك وأوراق إبرية أو حتى بانعدام الأوراق تماما.

وعموما تنمو تلك النباتات متباعدة لأنها تمتاز بنظام جذرى ضخم أفقيا أو رأسيا للحصول على أكبر قدر من المياه، أغناها ما ينمو على ضفاف الأودية الجافة التى يصيبها وابل فى القليل من مواسم المطر أو ظل فى غالبية المواسم وتنمو ضمن هذا الغطاء بعض الشجيرات القصيرة وهى تشكل مراع مناسبة للإبل والماعز وقد تعرض هذا النوع من النبات للتدمير الشديد بفعل الإفراط الرعوى overgrazing وقد امتد التدمير ليشمل نوعا من التبدل النباتى حيث حلت أنواع غير متستحبه للحيوان بدلا منه (النال والعدار بدلا من السيحا فى البطانة شرق السودان والحوص بدلا من الحسكنيت فى دار فور).

ويمكن القول بصفة عامة أن فاعلية الأمطار ترسم الخطوط العريضة للحياة العشبية فى الصحراء وشبه الصحراء وشنبه الصحراء، وتحدد التربة تفاصيل تلك الحياة النباتية وعموماً يقل غنى النبات كلما بعدنا عن هوامش الصحراء وهذا إلى جانب فروق السطح والتربة يؤدى إلى اختلاف فى نوع الحيوان وحياة الرعاة، لكن، وبصورة أكثر عمومية لاتكفى الصحراء حياة حيوانية منتجة إلا تحت ضوابط خاصة، وذلك بعكس المراعى المعتدلة (الاستبس) وهذا من الفروق المهمة فى ما تتركه من آثار على حياة سكان هذين الإقليمين.

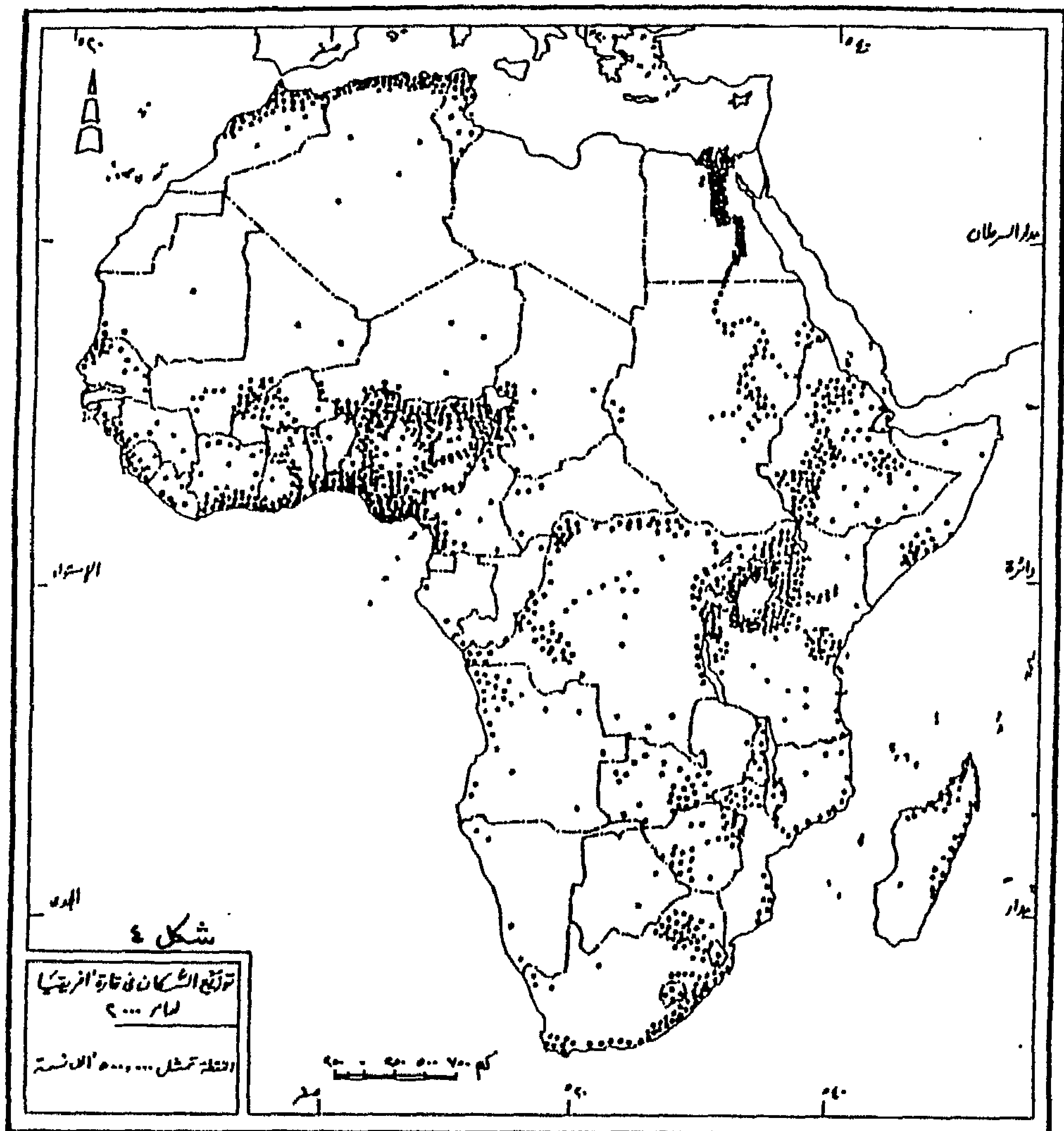
ثانيا : أوضاع السكان :

يؤثر السكان كثافة وحرفة، ونظما ثقافية، وخصائص اجتماعية فى الانتاج بعامة والحيوانى منه بخاصة، كما تلعب الظروف الاقتصادية وأنماط الاستهلاك وأساليب التغذية لهؤلاء السكان دوراً لايقل أهمية ـ كما سيتضح فيما بعد.

ويسكن القارة الأفريقية حوالى ٦٥٠ مليون نسمة (١٩٩٣) يعتمد ٧٥٪ منهم على الزراعة والإنتاج الحيوانى ٦٠٪ منهم على الأقل يعملون بحرفة الرعى (الجدول)، ويشوب القصور وعدم الدقة كثيراً من الاحصاءات المتعلقة بالقارة الأفريقية وذلك لأسباب منها الطريقة التى يجرى بها الأحصاء أو التعداد، ووضع السكان بين الظعن والارتحال، ورداءة المواصلات والاتصالات، وانتشار الأوبئة وتدنى الوعى الاحصائى لدى السكان إلى غير ذلك من الأسباب، لكننا، فى النهاية نتعامل مع هذه البيانات لانها وردت فى وثائق صادرة عن هيئات موثوقة كتلك التى تنشرها الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة كالمكتب الديموجرافى ومنظمة الأغذية والزراعة وغيرهما، ومن ثم فلا مفر من الاعتماد عليها لأنه ليس لدينا سواها هذا من جهة، ثم أنها قد تعطى لنا صورة تطورية مقنعة لما مرت به القارة من ظروف سكانية تبدو مختلفة إلى حد كبير عن ظروف غيرها من القارات .

جدول (١) بيانات مقارنة للعالم وافريقيا (جدول مجمع).

	عدد السكان مليون	المساحة مليون كم٢	الكثافة العامة نسمة / كم٢	يعملون بالزراعة مليون	يعتمدون علي الزراعة	مساحة المراعي مليون كم٢	الغابات والأحراج
العالم	٥٥٠٦	١٣٥	٤١	٢٤٠٠	١١١٠	٤١,٦	٤١
أفريقيا	٦٥٠	٣٠,٢	٢٢	٤٠٠	١٦٠	٩,٠	٧,٠
٪ من العالم	١٢	٢٢	–	١٧	١٤	٢٢	١٧


مدار السرطان
الاستواء
الجدي
شكل ٤
توزيع السكان في قارة أفريقيا
لعام ٢٠٠٠
كم

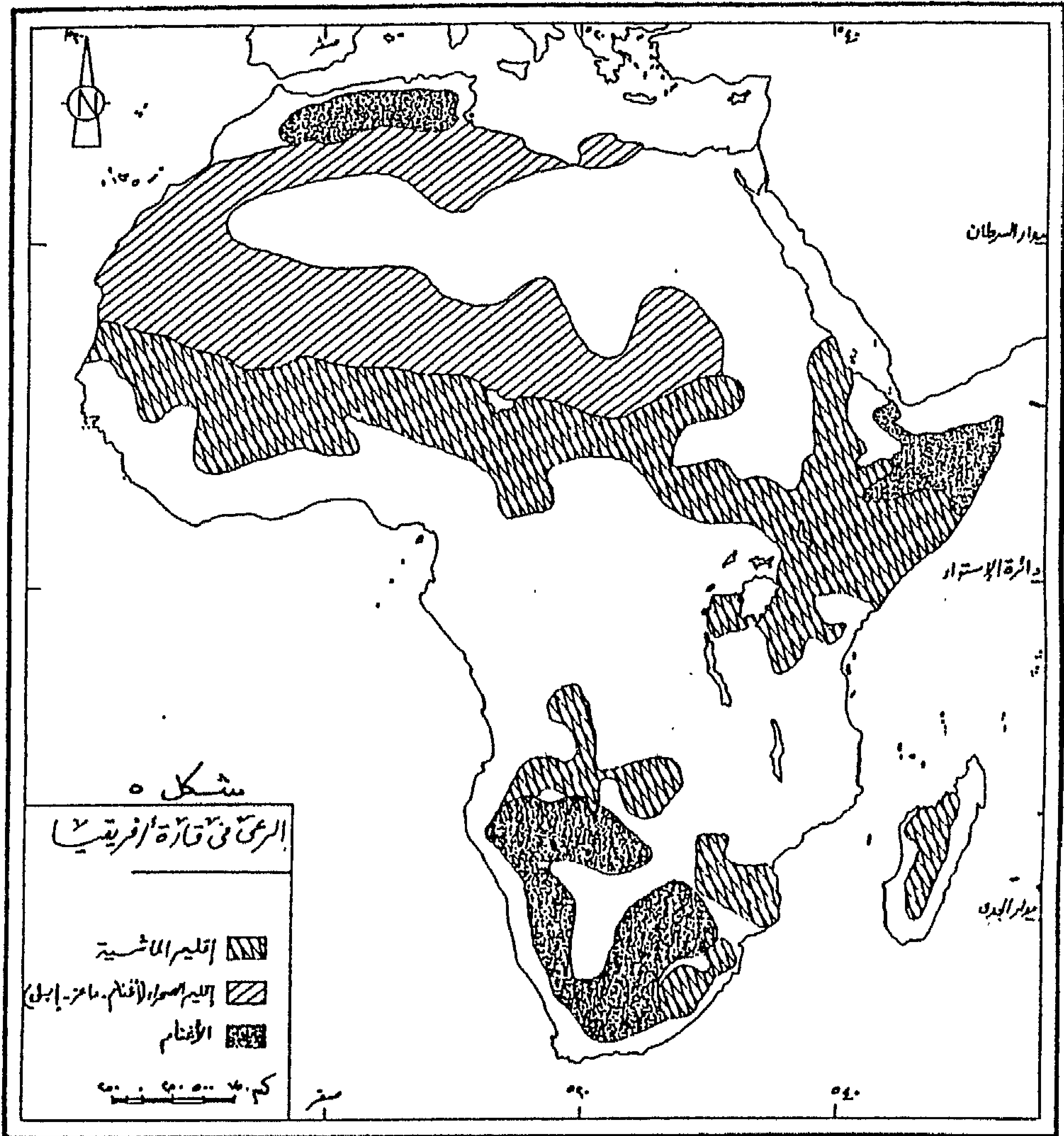
وتبدو الكثافة العامة للسكان فى القارة غير الواقع، فهناك مساحات واسعة تكاد تخلو من السكان كمناطق الغابة الاستوائية الموبوءة، أو المناطق شديدة الجفاف أو شديدة الوعورة، كما أن هناك مناطق يحتشد فيها السكان احتشاداً كدلتا النيل ووادية فى مصر، وبعض جهات المغرب العربي، وجنوب القارة وشرقها والجهات المرتفعة معتدلة المناخ جيدة التربة ونطاقات السافانا فى غرب أفريقيا.

* كما تؤثر الأحداث التاريخية التى مرت بها القارة فى توزيع السكان خصوصا ذلك النطاق المخلخل فى غرب القارة بين السافا والنطاق السودانى من جهة والغابة الاستوائية المعدله من جهة أخرى - حيث كان يمثل أرض النزال أو المعارك إبان حركة الكشف الجغرافى وتجارة الرقيق، أيضا هناك مناطق تبدو طاردة للسكان بحكم طبيعتها المضرسة لكنها تكتظ بسكانها لأسباب تاريخية كمناطق ملاجئ أو اختباء أو حماية أثناء الغزو (هضبة جوس فى نيجيريا وبعض مناطق الغابة الاستوائية).

* ويؤثر المطر كثيراً فى توزيع سكان القارة الأفريقية وذلك فى المناطق التى لايجرى بها نهر دائم الجريان، أو تمتلك قدراً كافياً من المياه الجوفية وينمو السكان حاليا بصورة متسارعة، خصوصا بعد أن تجاوزت معظم دول القارة مشكلاتها مع الاستعمار منذ الستينيات، وارتفاع مستوى الخدمات الصحية، وقضى على كثير من الأوبئة التى كانت تفتك بالأطفال خاصة ، ولهذا فالقارة مقبلة على مرحلة سكانية خطيرة إذا لم يتم تطوير الاقتصاد الأفريقى ٣٪ سنويا على الاقل فى معظم دول القارة، إضافة إلى ضبط وتنظيم النسل بعامة، ويهمنا فى هذا المجال أن التضخم السكانى يرتبط عادة بمشكلات إنتاج الغذاء - وهى مشكلة مزمنة فى القارة - و أن الإنتاج الزراعى والحيوانى يمثل

عنصـراً جوهرياً فى توفير الاحتياجات الغذائية للسكان، ناهيك عن التطوير الصناعي، والنهوض بالبنية التحتية والمواصلات منها بصورة خاصة.

* وتنتشر فى القارة بعض الحشرات ذات الخصائص التى تنفرد القارة الأفريقية بها ومنها ذبابة تسى تسى الناقلة لمرض النوم الذى يؤدى إلى نفوق الحيوان ووفاة الإنسان، وهذا، بطبيعة الحال طارد للسكان والحيوان معاً من مناطق وجود وانتشار هذه الحشرة التى تشغل مساحة واسعة من وسط أفريقيا وفى واقع الأمر فإن هناك علاقة عكسية بين وجود هذه الحشرة والإنسان ولا يعرف أيهما يطرد الأخر فالإنسان لكى يستخدم الأرض فى هذا النطاق - عليه أن يزيل الغطاء النباتى الذى يعد الملاذ الأساسى للذبابة فهى تعيش خلاله وفى الظل فإذا ما أزيل أو تخللته أشعة الشمس ابتعدت الذبابة، وعموما فالذبابة تعيش فى المناطق المدارية التى لايزيد ارتفاعها عن ١٠٠٠ متر حيث الغابة الرطبة والظل، وحيث تقل كثافة السكان عن ٥ نسمة / كم٢ فى المناطق قليلة المجارى المائية أو ٢٥نسمة / كم٢ فى المناطق كثيرة المجارى المائية فإذا ما انعدمت هذه الظروف اختفت الذبابة والعكس.



وتوجد إلى جانب ذبابة تسى تسى وحيث غابات الأورقة داخل السافانا فى الإقليم السودانى بين درجتى عرض ٩ ، ١٢ - توجد الذبابة المسببة للعمى النهرى مما أدى إلى تخلخل الكثافة السكانية فى تلك الأراضي، إضافة إلى مرض الطاعون البقرى وأمراض الطفيليات المعروفة (البلهارسيا - الانكلستوما) إلى جانب أمراض سوء التغذية والأمراض الفيروسية والميكروبية المرتبطة بالقارة الأفريقية

* تنخفض كثافة السكان فى زامبيا وأنجولا حيث إقليم السافانا فى شرق القارة والهضبة الوسطى وتصل إلى أدناها فى جمهورية أفريقية الوسطى (٢ نسمة كم٢) وقد يكون (التهاون) فى استخدام الأرض هو السبب المباشر لانخفاض الكثافة السكانية فى هذا النطاق.

وعلى العكس من ذلك فى هضبة شرق القارة حيث الاستخدام الكثيف للأرض والظروف المناسبة من مناخ وتربة وسهولة نسبية فى المواصلات ويتضح هذا فى كثافات الدول حول بحيرة فكتوريا (أوغنده ٦٩/ كم٢ ، ورواندا ٢٧٣/كم٢ ، وكينيا ٤٥/ كم٢، وتنزانيا ٢٥/ كم٢) وينسحب هذا أيضا على المرتفعات الأثيوبية والهضبات البركانية حيث زراعة الحاصلات النقدية .

«الرعى وتربية الحيوان»

أولا: ملامح عامة (شكل٥)

* يمثل الرعى حرفة راسخة القدم فى القارة الإفريقية، فهو نشاط قديم، إن كانت بعض الأراء تتفق بأن حيوانات المراعى الإفريقية قد استؤنست خارجها أولا، ثم انتقلت فيما بعد مع هجرة السكان، أو مع البدايات الباكرة لتعمير القارة وقد يصدق هذا القول على تلك المراعى لإفريقية جنوب الصحراء أما الشمالى فقد شهد حضارات مستقرة منذ القدم شملت ضمن مركبها الرعى وتربية الحيوان منذ مايربو على القرون العشرة

* تبلغ مساحة المراعى فى القارة حوالى ٩ مليون كم٢ (٣٥٪من اجمالى المساحة) بينما تمثل الأحراج والغابات الحوالى ٢٣٪ من مساحة القارة (٧ مليون كم٢) وهى مساحات متغيرة بالضرورة طبقا لمتغيرات طبيعية وبشرية تؤثر فيها وتتأثر بها، لكن المراعى بخاصة تتناقص بالتدريج إما لاستقرار الرعاة أنفسهم وممارستهم النشاط الزراعي، أو لظروف الجفاف وتقلص الغطاء العشبي، وقد يكون الرعى الجائر أو حرائق السافانا أو انتشار الأوبئة التى تفتك بالحيوان أو الحروب والهجرات الجماعية ... الخ.... كل ذلك أو بعضه يكمن وراء تغير مساحة المراعى الإفريقية.

* ويعد اتجاه الرعاة فى أفريقيا إلى الاستقرار أمرا مؤكدا، حيث تعمل الحكومات والهيئات على الحد من ارتحال الرعاة وراء قطعانهم لمسافات طويلة وذلك بتوطينهم، وتحسين سلالات الحيوانات التى يقومون برعيها، إضافة إلى

مساعدتهم وارشادهم لأحسن الطرق المتبعة للافادة من الثروة الحيوانية لديهم إلى اقصى حد ممكن، لكن ذلك مازال ينفذ فى مساحات محدودة للغاية ليظل الرعى المتنقل نشاطا ممارسا على نطاق واسع فى القارة الإفريقية خصوصا ذلك الممتد من الهضبة الأثيوبية إلى السنغال، ومن الصحراء إلى حدود السافانا الشجرية إضافة إلى نطاق أصغر يشمل سفانا هضبة البحيرات والسافانا الجنوبية ومدغشقر (شكل ٥)

* وترتكز اقتصاديات كثير من الدول الافريقية على الرعى والانتاج الحيوانى خصوصا دول الصحراء ومنطقة الساحل السودانى (موريتانيا ـ مالى ـ النيجر ـ تشاد ـ بوركينافاسو ـ السودان ـ الصومال ـ جيبوتى ـ إريتريا) وقد يتوقف مسار الاقتصاد والتنمية فى تلك الدول إذا ما أصاب الرعى فيها عامل محدد Limiting Factor كحالة الجفاف وانحباس المطر، أو الحروب والمشكلات السياسية (الحدود ـ الإنقلابات .. الخ) وقد يصعب الحكم أيها كان السبب وأيها كانت النتيجة خصوصا فى حالة حدوث هجرات ونزوح جماعي، أو انتشار أمراض سوء التغذية بين السكان وحدوث المجاعات.

ومن الجدول ٢ يمكن أن نتبين ما يلي:

* أن الإبل تمثل حيوان الرعى المثالى فى النطاق الصحراوى الشاسع بالقارة وفى هذا ـ تحتل القارة الإفريقية المركز بين قارات العالم (حوالى ٧٥٪ من العالم ١٩٩٠)، وقد كان دخول الإبل إلى القارة منذ القرن الأول قبل الميلاد، وهى فترة قصيرة نسبيا، ولم يكن دخولها مستمرا وبدرجة متساوية طوال تلك المدة، بل يمكن القول، بأن أوج إزدهارها كان إبان الفتح الإسلامي للقارة، والفترة التالية له كوسيلة انتقال مثالية خصوصا بين البحر المتوسط والسافانا عبر دروب القوافل التجارية الشهيرة فى الصحراء الكبري، ومع الإبل يوجد

الماعز والأغنام ، ولكن بصورة أقل من الماشية، أما الخنازير فلا تمثل إلا شظية صغيرة فى المركب الحيواني فى القارة (٦، ١٪ من العالم) وذلك لسيادة الدين الإسلامى الذى يحرم أكل لحومها .

جدول ٢ ماتملكه القارة الافريقية من ثروة حيوانية ١٩٩٠ (ألف رأس)

	الماشية	الإبل	الاغنام	الماعز	الخنازير
العالم	١٢٧٩٢٥٦	١٩٤٥٠	١١٩٠٤٩٩	٥٥٧٠٣٠	٨٥٦٧٦٢
إفريقية	١٨٧٧٧١	١٤٥٠٩	٢٠٥٠٩٤	١٧٣٩٤٤	١٣٥٨٥
٪ من العالم	١٤,٧٠	٧٤,٦٠	١٧,٢٠	٣١,٢٠	١,٦٠

كما يمكن القول أنه فيما عدا الإبل فإن نصيب القارة من بقية الحيوانات يتضاءل بالنسبة للعالم عدا ما تمتلكه من الماعز (٣١٪ من العالم) فنصيبها من الماشية لايزيد عن ١٥٪ وكذلك الأغنام ١٧٪ وقد يرجع ذلك إلى أن الإبل والماعز من الحيوانات التى تتحمل شظف المرعى من نقص المياه وخشونة العشب خصوصا فى النطاق الصحراوي.

وتعتمد على الإبل جماعات قبلية كثيرة فى القارة وهى بطبيعة الحال تعيش فى النطاق الصحراوى وشبه الصحراوى بعامة والنطاق السودانى بخاصة فهى تمثل موردا اقتصاديا مهما لدول الصحراء وساحل النيجر وتشاد ومالى إضافة إلى غرب السودان وموريتانيا وجنوب الجزائر وشمال نيجيريا والصومال وجيبوتى إضافة إلى دول المغرب العربى ومصر، لكن وجودها جنوب الصحراء والساحل محدود وذلك لأن الماشية تحل محله كما أن المراعى أغنى نسبيا فتصبح جدوى استخدامه للماشية والاغنام أقوي، و لاتحتل صحراء كلهارى دورا مهما فى رعى الإبل فسكانها لايعتمدون عليه فى مركبهم الاقتصادى حيث يعتمدون على صيد الحيوان وليس تربيته.

وتأتى الصومال فى مقدمة الدول التى ترعى الإبل (٦٨٥٥ ألف رأس وهو ما يساوى ٤٧٪ من القارة، ٣٢٪ من العالم) وهى ثروة ضخمة على مستوى القارة والعالم، لكن هناك معوقات للاستفادة من هذه الثروة وهى الجفاف والرعى الجائر وعدم الاستقرار السياسي، وهى مشكلات مزمنة فى الصومال تؤثر بدون شك على تنمية هذه الثروة من الإبل.

وتحتل السودان المركز الثانى فى القارة (٢٨٠٠ ألف رأس وهى مايساوى ١٩٪ من القارة وحوالى ١٠٪ من العالم) وتتركز مناطق الإبل فى غرب السودان (مديريات دار فور وكردفان٩ حيث تقوم قبائل الأبالة والكبابيش برعى هذا الحيوان، والكبابيش بخاصة لهم نظام مميز ورحلة رعى ذات مركب ثقافى خاص على مستوى القارة ثم إن مراعيهم، والطرق التى يسلكونها تعد إرثا حضاريا عريقا فى غرب السودان، بعد ذلك تأتى دول مثل الكمرون (١٠٨٠ الف رأس) وموريتانيا (٨٢٠ ألف رأس)، وتشاد (٥٤٠ ألف رأس) وليبيا ومصر (١٩٠ ألف رأس لكل).

ويلاحظ أن النطاق المثالى لرعى الإبل هو الصحراء وشبه الصحراء وفيه حوالى ٨١٪ من إبل القارة ٦١٪ من إبل العالم، وهى خاصية فريدة يتميز بها هذا النطاق دون غيره، وتشكل المظاهر الجيومورفولوجية المتمثلة فى بحور الرمال والغرود و الكثبان، ومناخات الساحل وتناثر الواحات ودروب الصحراء، والأسواق التقليدية في مدن هوامش الصحراء ونظام الرعى المتنقل - يشكل كل ذلك نسيجا اقتصاديا وحضاريا وثقافيا لايمكن أن يكتمل إلا بوجود الإبل كمحور أو كدعامة رئيسية لهذا النسيج أو المركب.

* ومع الإبل يعيش ٤٣٪ لكل من الأغنام والماعز فى النطاق نفسه وهى نسبة محدودة فهى لاتمثل إلا حوالى ٩٪ من العالم، لكن ما يلفت النظر أن أعداد

الأغنام تكاد تتساوى مع أعداد الماعز فى النطاق الصحراوى وشبه الصحراوى (٨.٧مليون اغنام ٧.٦ مليون ماعز) بينما تنحدر تلك الأعداد بشدة فى النطاق الرطب خصوصا فى الأغنام فهى لاتزيد عن ١.٧ مليون رأس (أقل من ربع عددها فى الصحراء وشبه الصحراء)، لكن تبقى الماعز أكثر عددا (٣.٥ مليون رأس) لكنها لاتزيد عن نصف عددها فى الصحراء وشبه الصحراء وهذا يفسر إمكانية تربية الماعز فى مختلف المراعى الإفريقية وذلك لأنها حيوان يتحمل ظروف المرعى أيا كانت إذا ما اهتم به المربون أو الرعاة لدرجة يمكن معها أن تسد احتياجات القارة من البروتين الحيواني، لكن ما يعوق ذلك هو موقف الأنظمة الاجتماعية القبلية، حيث ينظر إلى المعّازة على أنهم طبقة اجتماعية متدنية، وبالتالى فهم أسفل السلم الاجتماعى وكذلك الماعز فلا تستخدم فى دفع المهور أو ديات القتلى كالماشية والإبل. وأظن أن هذا الوضع مرهن بتقدم القارة الثقافي، والقضاء على تلك النظرة الضيقة لحيوان يمكن أن يسد عجزا غذائيا مؤثرا لو اهتم المسئولون عن تنمية الثروة الحيوانية باختيار سلالاته الجيدة، ورعايتها بيطريا وتحديد مراعى خاصة بها كما هى الحال فى جنوب إفريقية أو بعض دول شمال افريقيا.

ويهم أن نعرض لبعض المتغيرات المرتبطة بالرعى وتربية الحيوان فى النطاق الصحراوى وذلك لأنه يشغل حوالى ٥٢.٦٪ من مساحة القارة (١٦ مليون كم٢) ويسكنه حوالى ١٦٥ مليون نسمة (٢٨٪ من سكان القارة) كما أنه يمثل أمل مرجواً لأى توسعات فى الأراضى الزراعية وتوطين البدو وانشاء المراكز الحضرية والمدن الجديدة.

وأول هذه المتغيرات هو أن سكان النطاق يتزايدون حاليا بمعدلات كبيرة ويكفى أن نشير إلى أنهم قد زادوا من ٩٥ مليون ١٩٧١ إلى حوالى ١٦٥

مليون ١٩٩٣ أى بنسبة تتجاوز ٥٨٪ فى مدة لاتزيد عن عقدين فقط ويعنى هذا أن هناك زيادة مطردة للسكان وأعداد الحيوان، وهذا لا يعد مشكلة إذا ما كانت هذه الزيادة مرتبطة بخطة تنمية مدروسة من قبل حكومات النطاق، خطة تسعى لاستخدام أمثل للأراضي يلتزم بتوقيتات محددة ويرتكز على ضوابط وقواعد عملية تضع فى الحسبان دائما الإمكانات المتاحة فى النطاق من مياه جوفية او سطحية وطاقة مرعى تفى بحاجة القطعان من العشب والسقيا والحركة، إضافة إلى نظرة عميقة للتوسع الزراعى على حساب الرعي، كل ذلك مع دراسة المركب الثقافى والاجتماعى للنطاق، وكافة الممارسات الاقتصادية الأخرى التى يمارسها السكان (تحركات الرعاة ، الاحتطاب، الصيد الزراعة وتربية الحيوان، نظم الاستقرار .... الخ)

* الماشية (الأبقار بخاصة) هى الركيزة الثانية فى الانتاج الحيوانى بالقارة ولاتنتشر فى نطاق السافانا بالضرورة إلا تحت ظروف معينة ومع ذلك فالأبقار الإفريقية ذات قيمة اقتصادية محدودة، وذلك لقلة أوزانها رغم أحجامها الكبيرة نسبيا، كذلك فإن انتاجها من الألبان قليل وهى فى هذا تشبة أبقار الهند مع الفارق العددى (الهند ٢٠٠ مليون رأس، بينما افريقيا كلها ١٨٥ مليون رأس ١٩٩٠)، ولعله من الأمور المثيرة للدهشة أن أبقار إفريقيا تلعب دورا اجتماعيا أثقل وزنا من دورها الاقتصادى فعلى عددها فقط ـ وليس نوعيتها أو جودة لحومها وألبانها ـ يتحدد المركز الاجتماعى والوزن السلطوى فى القبلية أو بين القبائل، ومنها تدفع مهور الزواج وديات القتلي، كما أن هناك مجموعات قبلية يرتبط تراثها الحضارى والعقائدى بالأبقار وأن هناك من يتغذى بدمائها وليس بألبانها ولحومها.

* ولا ترتبط الماشية، كما ذكرنا بالنطاق السافانى الرطب الذى تبلغ مساحته

حوالى ٧,٥ مليون كم٢ (٢٥٪ من مساحة القارة) ويسكنه حوالى ٢١٠ مليون نسمة (٣٥٪ من سكان القارة)، ومعنى هذا أنه نطاق كثيف السكان نسبيا، والمطر هو عامل الجذب السكانى لممارسة الرعى والزراعة وتربية الحيوان، والنطاق يكاد يخلو تماما من الإبل، لكنه لايخلو من الخنزير حيث يضم مع النطاق الجبلى (جنوب القارة وشرقها) ما يقرب من ٨٤٪ من أعداده فى القارة، بينما تحتل الماشية فيه نسبة لاتتعدى ٨.٣٪ وتأتى دول مثل أنجولا ٣.١ مليون رأس، بتسوانا ٢.٦ مليون رأس، زائير ١.٦ مليون رأس - فى مقدمة دول النطاق في تربية الماشية بينما تبرز نيجيريا فى تربية الماعز والأغنام (٢٢ مليون، ٩ مليون رأس على التوالي) وذلك فى ثلثها الشمالى بعيدا عن النطاق الرطب وتمثل هذه الأعداد ٦٢٪ ، ٥٣٪ من ماعز وأغنام النطاق بل تتقدم نيجيريا دول القارة جميعا فى تربية الماعز تليها الصومال ٢١ مليون رأس (حوالى ١٣٪ من ماعز القارة ككل). ومن هذا يتبين أن الماشية فى هذا النطاق تعانى من انتشار بعض الحشرات الطاردة للإنسان والحيوان، وأن الرطوبة العالية والظل الكثيف وراء انتشار ذبابة «تسى تسى» وغيرها من الحشرات، وأنه لابد من الابتعاد عن تلك المناطق وبالتالى حصر نطاق المرعي فى المناطق المرتفعة أو المكشوفة أو تلك التى تقترب من الهامش شبه الصحراوى تفاديا للأخطار التى تحدق بالحيوان قريبا من الغابة المدارية أو شبه المدارية الرطبة.

وإذا كانت الصحراء الجافة والغابة الرطبة طاردتان للماشية فإن شبه الصحراء والنطاق الجبلى المعتدل المناخ جاذبتان لها، ففى الأولى تشح المياه ويندر العشب وفى الثانية تزداد الرطوبة والحشرات الضارة والعشب الخشن رغم وفرته أما شبه الصحراء والنطاق الجبلى فالماء والعشب مناسبان، والمناخ ملائم اذا روعيت الضوابط الجغرافية الحاكمة فى نطاق يتسم بالذبذبة المناخية

أو بظروف السطح ودرجة انحداره أو سهولته، ونظم استخدام الأرض فيه بما يحفظ عليه صيانة أنظمته البيئية وبالتالى ديمومة عطائه وانتاجه.

تبلغ مساحة النطاق ٧ مليون كم٢ (حوالى ٥ . ٢٣٪ من مساحة القارة) ويسكنه حوالى ٢٣٠ مليون نسمة (٣٨٪ من سكان القارة) فهو أكثف من النطاق الرطب سكانا رغم أنه أصغر منه مساحة، تمثل الماشية فيه أهم أنواع المركب الحيوانى (حوالى ٧٠ مليون رأس ، ٣٨٪ من جملة ماشية القارة) ويشكل مع النطاق شبه الصحراوى (الذى يحوى ٥٧ مليون رأس ، ٣٢٪ من جملة ماشية القارة) نطاقا كاملا يمكن أن نطلق عليه نطاق الماشية (١٢٧ مليون رأس ، ٧٠٪ من القارة)، لكن تتفوق ماشية النطاق الجبلى من حيث السلالة ونوعية المرعى.

ويمتطى النطاق الجبلى كافة المرتفعات الإفريقية الإلتوائية منها أو البركانية، أو الحافات القافزة من الأخدود الإفريقى كما يضم كافة الأشكال الهضبية فيما اصطلح عليه بإفريقية العليا، والى جانب الماشية تجود تربية الأغنام والماعز فى هذا النطاق (٤٦٪ ، ٥ . ٢٥٪ من القارة ككل).

وتأتى جمهورية جنوب إفريقيا فى مقدمة الدول ليس فقط على مستوى النطاق بل على مستوى القارة كلها حيث تضم ٣٥٪ من ماشية النطاق ١٦٪ من ماشية القارة، أيضا، إثيوبيا ٢٤٪ من النطاق، ١١٪ من القارة.

ويعد النطاق الجبلى والنطاق الرطب من مراكز تربية الخنزير فى القارة حيث يمتلك الأول ٤٦٪ من القارة، و الثانى ٣٨٪ (كل افريقيا ٧ . ٠٪ من العالم) تحتل جمهورية جنوب افريقيا المركز الأول (٥ . ١مليون رأس ٢٤٪ من القارة) ومالاجاش (٤ . ١مليون رأس ٢٣٪ من القارة) ثم الكاميرون بالعدد نفسه.

ويوضح الجدول ٣ بياناً بأعداد الخيل والبغال والحمير

فى القارة ١٩٩٠ بالألف رأس

النوع	العالم	افريقية	٪ من العالم
الخيل	٦٠٩٢٠	٤٩٨٧	٨,١
البغال	١٤٨١٨	١٣٦٩	٩,٢
الحمير	٤٣٥٧٧	١٠٢٧٦	٣٠,٠

وترتبط الخيل والبغال والحمير أساسا بالنشاط الزراعى بالدرجة الأولى ويوضح الجدول فقر القارة الشديد فى الخيل والبغال وقد يعزى ذلك لانتشار الإبل حيث تقوم مقامهما فى العمليات الزراعية والرعوية مع فارق أن الإبل تتحمل صعوبة الحياة على عكس الخيول التى تتطلب عناية خاصة من مربيها، ومراعى سهوبية واسعة، وقد تنتشر البغال فى المناطق الجبلية وذلك لملاءمتها - أما الحمير فهى ركيزة العمل الحقلى فى البلدان الزراعية ولهذا ترتفع نسبتها فى القارة خصوصا إذا عرفنا أن الاقتصاد الزراعى المعاشى يهيمن على كثير من البلدان الإفريقية وأن استخدام الحيوان فى العمليات الزراعية أمر قائم ومطلوب وليس الآلة.

وتمتلك مصر حوالى ٢,٥ مليون رأس جاموس، وهى الدولة الوحيدة فى القارة التى يربى فيها هذا الحيوان، وهو حيوان حقلى بالضرورة منتج للحوم والألبان ويستخدم فى كثير من العمليات الزراعية.

ولاتقل الثروة الداجنة أهمية والقارة تمتلك ٨٦١ مليون من الدجاج (٨٪ فقط من العالم ١٧ مليون من البط) (٣٪ فقط من العالم) أما الرومى فهناك مليون طائر (٢,٣فقط من العالم) وواضح مدى فقر القارة فى هذه الثروة المهمة، والتى يمكن أن تسد العجز الشديد فى نقص البروتين الحيواني.

واستكمالاً لصورة الانتاج الحيواني في القارة، نعرض لإنتاج الألبان والجبن والزيد وبيض المائدة ونصيب القارة بالنسبة للعالم هو:

٣٪ ألبان بقر ، ٢٢.٥٪ ألبان جاموس، ٣.٣٪ من الجبن ٢.٣٪ من الزيد ٤٪ من بيض المائدة

أما إنتاج الجلود المدبوغة فهي كالاتي:

١٠.٤٪ من جلود الأبقار، ١٣٪ من جلود الأغنام، ٢٣٪ من جلود الماعز.

وباستعراض تلك النسب نجد أنها تمثل إنتاجاً محدوداً نسبياً بالنسبة للعالم فيما عدا تلك الخاصة بإنتاج الجلود المدبوغة للأغنام والماعز (١٣٪، ٢٣٪ على التوالي)، ويعنى هذا أن القارة بصفة عامة - عدا بعض الدول القليلة فيها (مصر - جمهورية جنوب أفريقيا - بعض دول المغرب العربي) تعاني تدهورا شديداً في الانتاج الداجني ومنتجات الألبان، وهذا ينعكس بدوره على نقص المكون البروتيني في غذاء السكان، وما لذلك من آثار سيئة على الصحة والبنية الجسمانية لهم، وانتشار أنواع معينة من أمراض سوء التغذية وبالتالي ارتفاع معدلات الوفاة بعامة ووفيات الأطفال بخاصة .

ويضاعف من تلك الآثار أن كثيراً من القبائل الأفريقية (جنوب الصحراء بخاصة) لاتهتم بوجود البروتين الحيواني أصلاً في غذائها، حيث يقتصر الغذاء غالبا على المكون النباتي (الدرنيات بخاصة) ودماء الأبقار، كما أن قبائل أخرى يعزف أبناؤها عن تناول الأسماك.

ولايمثل الإنتاج السمكي في القارة إلا جزءاً يسيراً من الإنتاج العالمي ولاتكاد دول القارة - عدا المملكة المغربية وجنوب أفريقيا وناميبيا وموزمبيق - تنتج

مايسد احتياجاتها من الأسماك رغم أن هناك ما يقرب من ٤٠ دولة لها سواحل على المحيطين الأطلسي والهندي، والبحرين المتوسط والأحمر إضافة إلى أسماك المياه العذبة من البحيرات والأنهار داخل القارة على الرغم من أن الأسماك من العناصر المهمة فى الغذاء وغذاء الأطفال بخاصة.

ثانيا: ملاحظات عامة على الإنتاج الحيوانى فى افريقيا:

من خلال ما سبق يمكن أن نتبين بعض الملاحظات الخاصة على الإنتاج الحيوانى فى القارة كما يلى :

١ـ أن نظم الرعى السائد فى أفريقيا نظم تفتقر إلى وضع المعايير الاقتصادية للرعي وتربية الحيوان كنشاط اقتصادى مؤثر خصوصا فى قارة تتسع فيها نطاقات الرعي، ويمارسه سكانها منذ وقت طويل ويعتمد أغلبهم عليه وعلى الزراعة ويتضح هذا من الإحصاءات التى وردت فى مقدمة الدراسة .

٢ـ أن الذبذبة المناخية خصوصا فى النطاقات الهامشية (الساحل وشبه الصحراء) وما يكتنف تلك الذبذبة من ظروف عن الاستقرار وحدوث الجفاف، ونقص المياه والعشب ـ كل ذلك يعكس آثاراً قوية على الثروة الحيوانية من سنة إلى أخري، ومن موسم رعوى إلى آخر، حيث تطول رحلة الرعى بحثا عن الماء والعشب، ويختل تركيب القطعان (الصغار لاتتحمل وكذلك حالات الحمل)، إضافة إلى الهزال الشديد الذى يصيبها وبالتالى تزداد حالات النفوق فى الحيوان وتتناقص أعداد الحيوان سريعا وبصورة مذهلة (حالة تصحر نطاق الساحل منذ ١٩٧٣ وحتى ١٩٨٦ حيث نفقت ملايين الماشية والأغنام).

٣ـ قد تتفوق القارة فى حيوان دون آخر، وهذا أمر لابأس به، فالقارة تمتلك

ثروة ضخمة من الإبل (حوالى ٧٥٪ من العالم)، وهى كما ذكرنا حيوان مثالى فى الصحارى الأفريقية الشاسعة، لكنها لا تهتم بحيوان آخر يمكن أن يعيش نفس ظروف الإبل، ويكتفى بالقليل من الغذاء والماء وهو الماعز الذى يمكن أن يكون (بقرة الفقير بحق The cow of the poor)، ولكن، ولأسباب ثقافية - يهمل هذا الحيوان ولا ينال اهتمام الرعاة إلا قليلاً.

٤- تتفوق الماشية - الأبقار بخاصة - على غيرها من حيوان المرعى وذلك لارتباطها بالمركب الاجتماعى - وليس الاقتصادى - للقبيلة، والتفوق الذى نعنيه هو التفوق العددى فقط، فالأبقار بعامة من نوع هزيل قليل اللحم واللبن إلا فى دول مثل جمهورية جنوب أفريقيا وبعض دول المغرب ومصر، وهى فى هذا تشبه أبقار الهند عدداً فقط دون اهتمام بالنوع أو الجدوى الاقتصادية من تربيتها.

٥ - أن القارة تفتقر بشدة إلى الإنتاج الداجنى والسمكى ومنتجات الألبان وهذا بدوره ينعكس على ما يتناوله الفرد من بروتين حيوانى بديل وما يتبع ذلك من نقص الغذاء الصحيح، وانعكاسات كل ذلك على وضع الدول الأفريقية من حيث المستوى الصحى المتدنى إضافة إلى أثر ذلك على الحالة الاقتصادية وحتى السياسية فى تلك الدول.

ويمكن أن نتبين ما ذكرناه من ملاحظات إذا عرضنا لبعض البيانات والأرقام الخاصة بصادرات وواردات القارة من المنتجات الحيوانية فى الجدول التالي

جدول ٤ قيمة صادرات وواردات القارة
من المواد الغذائية الحيوانية (ألف دولار) ١٩٩٠

	ماشية	أغنام وماعز	دجاج طازج	أسماك	الزبد	الجبن
صادرات	١٩٥٧١٠	١٨٤٧٨٢	١٥١٠	٢٠٠	٤٧٦٠	٥١١٥
واردات	٢٧٤٥٩٩	٢٦٠١٢٢	١٣٧٠٩٣	٦١٨٧٥	٢٠٣٣٩٤	١٢٥٢٠٠

ويكفى أن ننظر إلى الأرقام الواردة فى ذلك الجدول لنتبين ذلك الفرق الكبير بين ما تصدره القارة من منتجات حيوانية وما تستورده، ويتضح ذلك فى النسب التالية لقيم الواردات (١٤٠٪ للماشية، ١٤٠٠.١٪ للأغنام والماعز، ٩٠٧٩٪ فى الدجاج الطازج، ٣٠٩٣٧.٥٪ من الأسماك، ٦٣٧٤٪ من الزبد ، ٢٤٤٨٪ من الجبن) وهى نسب لاتحتاج منا إلى تعليق.

عموما يمكن للقارة أن تنمى ثروتها الحيوانية بما يكفل لسكانها درجة من الإكتفاء من البروتين الحيوانى فى غذائهم، خاصة إذا ما عرفنا أن المجاعات وسوء التغذية وما يرتبط بهما من آثار مدمرة على البنية الاقتصادية والاجتماعية للقارة، من الأمور التى يتكرر حدوثها فى القارة، وكم شهدت القارة فى تاريخها الطويل من أحداث نتيجة المجاعات وسوء التغذية، ويمكن التغلب على هذه المشكلات باتباع برامج تنمية للإنتاج الزراعى بعامة والحيوانى منه بخاصة وذلك كما يلي:

١ـ أن تتبنى دول القارة برنامجا لتنمية الثروة الداجنة والسمكية وذلك بالإمكانات المتاحة لها ودون الاندفاع الذى يؤدى الى نتائج غير متوقعة، وأن يبدأ السكان أنفسهم بهذا النشاط فى مزارعهم الخاصة أو حتى فى بيوتهم فى الريف خاصة وبغرض الاكتفاء الذاتى من هذا النوع، وبطبيعة الحال يتبع ذلك ضرورة التوعية الغذائية لكافة القطاعات وطرق تناول الغذاء والتعرف على مكوناته الضرورية، إضافة إلى شرح أبسط الطرق لتربية الدواجن والأرانب وغيرها ، وإمداد السكان بالمعلومات البسيطة عن أجود السلالات وطرق العناية بها وتغذيتها.

٢ ـ أن يستفاد من برامج الأمم المتحدة (الفاو، برنامج الغذاء العالمي، برامج البيئة) فى كيفية التعامل مع الأنظمة البيئية المختلفة فى القارة بما يحافظ عليها

ويحميها من التدهور تحت ضغط الاستخدام الجائر سواء فى الزراعة أو الرعى أو الاحتطاب، وأن تنفذ البرامج التى وضعت لنماذج الاستخدام الأمثل للمزارع والمراعى وهى كثيرة وقد أعدها خبراء لهم مكانتهم العملية على مستوى العالم .

المراجـــع

اولا باللغة العربية:

١ـ أحمد اسماعيل، أمال شاور، «أفريقية المعاصرة، البيئة والانسان والتحدي» ، القاهرة، ١٩٨٩.

٢ـ السعيد ابراهيم البدوي، «النقل فى أفريقية، الأنماط ـ المشكلات ـ الحلول» القاهرة، ١٩٨٦

٣ ـ ....، مصادر الطاقة فى افريقية»، فى : مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد السادس، الرياض، ١٩٧٦.

٤ـ جمال حمدان «أنماط من البيئات»، القاهرة، بدون تاريخ (د.ت).

٥ـ زين الدين عبد المقصود ، «مشكلة التصحر فى العالم الاسلامى »، فى نشرة قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الكويتية، العدد ٢١ سبتمبر، ١٩٨٠

٦ـ عبد العزيز طريح، «الجغرافيا المناخية والنباتية، الأسس العامة»، ط٦، الأسكندرية، ١٩٧٤

٧ـ الفاو، معجم المصطلحات المستخدمة فى المراعى الطبيعية والمزروعة، روما، ١٩٧٩.

٨ـ فؤاد ابراهيم، «مشكلة التصحر فى السودان»، فى : المجلة الجغرافية السورية، المجلدان٧، ٨ دمشق ، مايو ١٩٨٣.

٩ـ كينيث والتون، «الأراضى الجافة» ترجمة على شاهين، الأسكندرية، ١٩٧٢.

١٠ـ محمد رياض، كوثر عبد الرسول، «الاقتصاد الإفريقي» القاهرة، ١٩٦٣.

١١ـ ....، «أفريقية، دراسة لمقومات القارة»، سبيروت ،١٩٧٣.

١٢ـ محمد عبد الغنى سعودى «أفريقية، دراسة شخصية الأقاليم»، القاهرة، ١٩٧٦

١٣ ـ ....، «الاقتصادى الإفريقى والتجارة الدولية»، القاهرة، ١٩٧٣.

١٤- محمد عبد المنعم القصاص، «زحف الصحراء ومسئولية الإنسان» ، فى مجلة رسالة اليونسكو، العدد ١٩٤، سبتمبر ١٩٧٧.

١٥- مصطفى خوجلي، «الأسس الاقتصادية لاستقرار البدو فى السودان» ، فى : المجلة الجغرافية العربية، العدد العاشر، القاهرة، ١٩٧٧.

ثانيا- باللغة الأجنبية

1- FAO, "Food supply situaton and crop prospects in sub - saharan Africa" special report, April, 1993

2- FAO, "Pasture and Good crops Studies, "No: 6,7.8, Rome, 1980

3- FAO, "Production year Bood, Vol. 44, 1990.

4- FAO, "Trade year Bok, Vol. 44, 1990.

5- U.N "Desertification, its causes and consequences, London, 1977.

6- Matlock, w., "Realistic Planning for arid lands, London, 1977

7- Meckelein, W., (Ed.), "Desertification in extremely Arid lands., Stuttgart, 1980.

8- Ojo, O., "The climates of West Agrica". London,. 1977.

9- Oliver, J. "Climatology, Selected Applications" London. 1981

10- Pollock, M., "Studies im emerging Africa", London., 1972

11- Spooner, B., &Mann, H., (Eds), "Desertification and Development". Lond., 1982

12- Stamp, D.,& Morgan, W., "Agrica, Astudy in Tropical Development. 3rd. ed., N. Y., 1972.

الأنماط الزراعية فى افريقية

(دراسة في التفاعل البيئى)

إعداد

أ.د. السعيد ابراهيم البدوى

القاهـــــرة

١٩٩٧

الانماط الزراعية فى افريقية
(دراسة فى التفاعل البيئى)

أ. د/ السعيد ابراهيم البدوي

مفهوم البيئة:

للبيئة مفاهيم كثيرة ومتنوعة، ولكن فى اطار الموضوع الذى نتناوله فإننا يمكن أن نذكر أن البيئة هى المعطيات الطبيعية والبشرية الموجودة فى منطقة معينة.

من الناحية الطبيعية يمكن أن يندرج الموقع والتكوين الصخرى وأشكال التضاريس، بالإضافة إلى الظروف المناخية والغطاء النباتى والتربة.

أما من الناحية البشرية فهى الإنسان ومكتسباته وانجازاته الحضارية ويدخل فى هذا المجال السكان وصفاتهم الديموجرافية المختلفة، العادات والتقاليد ومدى التقدم التقنى والنظام الاقتصادى والسياسى السائد، أو بمعنى آخر الاطار العام الذى يعيشون فيه وهو ما يطلق عليه بالفرنسية milicux

بهذا المفهوم الشامل فإن البيئة تلعب دورا كبيرا فى أى نشاط أو انجاز بشرى، بل اننا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أنها هى التى تضع بصمتها على هذا النشاط، وخصوصا تلك المناطق التى ما زال الناس يعيشون فيها على فطرتهم أو هم أقرب إلى ذلك.

وبقدر ما تؤثر البيئة على الإنسان فإن هذا الإنسان يؤثر فيها أيضا. فالتأثير والتأثر شئ ملحوظ فى البيئات المختلفة، وان اختلفت درجة التأثير من منطقة إلى أخرى وفقا لما بلغه الإنسان من تقدم من ناحية ووفقا لمدى صعوبة أو سهولة البيئة التى يعيش فيها . كما أن تأثير الإنسان يمكن أن يكون بطريقة سلبية أو ايجابية.

ولا شك أن معظم القارة الافريقية تعتبر من تلك المناطق التى ما زال للتأثير البيئى قوته على الإنسان الافريقي، ولهذا فإن التأثير البيئى على النشاط الاقتصادى واضح جلي. خصوصا فى المجال الزراعي والرعوى اللذان يرتبطان ارتباطا وثيقا وقويا بالظروف البيئية فى افريقية. ولهذا فإن هذين النشاطين يعتبران انعكاسا واضحا للبيئة الأفريقية.

الظروف البيئية والبشرية المؤثرة:

كما سبق أن اشرنا فإن «التركيبة» فى افريقية متنوعة وكثيرة ولكننا يمكن أن نذكر أن أهم هذه العناصر تأثيرا فى النشاط الزراعى تختزل فى ضوابط ثلاثة مؤثرة ورئيسية هى:

أولا: التربة باعتبارها «الزاد» الأول للنبات سواء الطبيعى أو المزروع.

ثانياً: الظروف المناخية خصوصا الحرارة والأمطار أو يمكن أن نقول بشكل أخص هى الأمطار التى هى أساس الحياة بالنسبة للانسان والنبات والحيوان كما أنها الأساس الرئيسى «لمصادر المياه المختلفة فى القارة» سواء فوق الأرض أو تحتها.

ثالثا: الإنسان وعلى وجه الخصوص درجة كثافة السكان ونوعيتهم فى أى منطقة من مناطق القارة الافريقية.

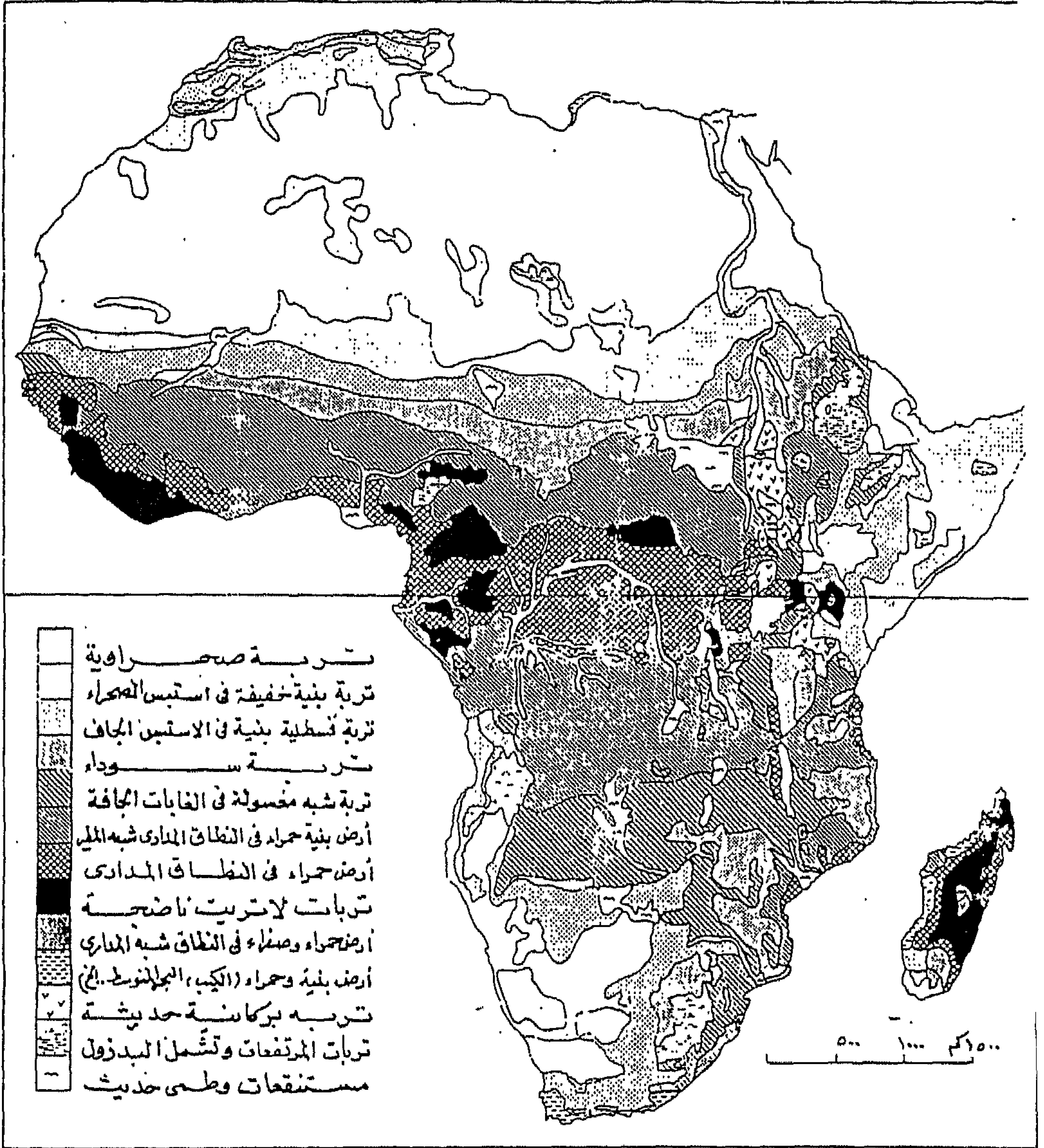
هذه الضوابط الثلاثة لها تأثيرها الواضح على تحديد الأنماط الزراعية فى قارة افريقية. ومن هنا يلزم علينا أن نعطى اشارة سريعة عن ما هية كل منها فى هذه القارة.

اولا: التـــربة:

هناك عوامل كثيرة تؤثر على التربة فى افريقية. ويعتبر المناخ أهم العوامل خصوصا كمية الرطوبة، ففى النطاق الرطب تحرم التربة من بعض العناصر فى الطبقة العليا منها، وبالعكس فى المناطق الجافة لأن الحركة فى النطاق الرطب إلى أسفل (التربة) وفى النطاق الجاف إلى أعلى بسبب التبخر والقوة الشعرية. كذلك فإن درجة مسامية التربة لها تأثير وكذلك كمية الأمطار وفترة ومدة سقوطها، كذلك فإن تأثير الغابات واضح على التربة حيث أنها تمنع جرف التربة بالإضافة إلى تخفيض تقلبات الحرارة على التربة والتبخر منها، ولكن من ناحية أخرى فإن الحرارة المرتفعة تؤدى إلى تحلل «الدبال» ويكون هذا التحلل أسرع من معدل تكوينه.

وتغطى التربة الحمراء حوالى ثلث مساحة القارة بين المدارين وما وراء مدار الجدى فى جنوب القارة.

وتختلف عملية تحويل التربة إلى لاتريت Laterization من منطقة لأخرى وفقا للظروف السائدة، ولذلك فإن تربة اللاتريت الناضجة ضئيلة المساحة فى افريقية، أما الجزء الأكبر فيطلق عليها الأرض الحمراء Red earths أو الصفراء اللون. وحينما توجد الظروف الرطبة الحارة فإن مادة السليكا تهبط إلى أسفل ويظل أوكسيد الحديد والألمونيوم على السطح أو قربة، وخلال فترة الجفاف النسبى تصعد هذه الأكاسيد إلى أعلى، لذا فإن تناوب الرطوبة



شكل رقم (١) : أنواع التربة فى أفريقيا

والجفاف يعتبر عاملا هاما لتكوين تربة اللاتريت الناضجة. كذلك فإن الإنسان له تأثير على التربة عندما يجتث مساحات من الغابة فتصبح التربة معرضه للانجراف خصوصا وقت تركها للراحة fallow ولذلك فإنه على الرغم من أن التربة تكونت عبر آلاف السنين إلا أنها يمكن أن تدمر بسهولة وسرعة بواسطة الطرق الزراعية غير الملائمة وبعد التدمير من الصعب عمل أى شئ لاستعادتها، ولذلك فإن التربة فى افريقية وفقا لهذه الظروف تعتبر «هشة» نسبيا بالمفهوم الطبيعى والكيماوى، ولذا ينبغى أن يراعى هذا عند التخطيط لأى تنمية زراعية(١).

ثانيا: الظروف المناخية ومصادر المياه:

تعتبر قارة افريقية أكثر قارات العالم مدارية حيث ينصفها خط الاستواء تقريبا ومن ثم جزأها الأكبر يقع فى العروض الاستوائية والمدارية. تحدد ظروف المناخ التى يتفاوت فيها المطر من أكثر من ١٠٠ بوصة من ناحيه إلى الجفاف التام من ناحية أخرى، تحدد الأنماط النباتية الكبرى فى القارة هى الغابات المدارية المطيرة وأراضى الحشائش ثم الصحراء الحارة حيث نجد التوافق - بصفة عامة - واضحا بين النطاقات المناخية والنباتية.

وتوضح خريطة الأمطار كمية الأمطار الساقطة على القارة حيث توجد بقع على الساحل الغربى للقارة يتجاوز كمية الأمطار ١٠٠ بوصة تجاورها مناطق أخرى يسقط عليها ٧١ بوصة وكذلك فى وسط حوض الكنغو أما معظم الحوض فتسقط عليها أمطار حوالى ٥٦ بوصة وتقل الأمطار كلما بعدنا عن خط الاستواء (من ٥٦ بوصة إلى لا شئ فى الصحراء الكبرى) ثم نجد نطاق البحر المتوسط شمالا وجنوبا حيث كمية الأمطار تدور حول ٨ بوصة فى السهول وفى المرتفعات حول ٢٠ بوصة.

ولكن اذا ما نظرنا إلى المناخ من وجهة النظر النفعية فاننا نجد أن جزءا كبيرا من القارة ذا انتاجيه منخفضة، اذ أن افريقية تأتى فى المرتبة الأولى عالميا بالنسبة لظروفها القارية من حيث المناطق التى يسودها المناخ الجاف حيث يوجد بها حوالى ثلث المساحة الجافة فى العالم كله، كما أنها تأتى فى المرتبة الثانية فى العالم بعد استراليا فى النسبة المئوية للأراضى الجافة بالمقارنة بالمساحة الكلية لكل قارة على حدة. حيث يقدر Meigs المساحة الجافة فى أفريقيا كالآتى:

شديد الجفاف	Hyper-arid	= ١٥,٢٪
جاف	Arid	= ٢٤,٣٪
شبه جاف	Semi-arid	= ٢٠,٢٪
		٥٩,٧

ويقرر ورثنجتون Worthington أن كمية التساقط فى افريقية ضئيلة فى حوالى ٧٥٪ من مساحتها الكلية هى العامل الطبيعى الأساسى الذى يقف أمام التقدم الاقتصادى والاجتماعى . وهذه المناطق لا تعانى فقط من قلة كمية الأمطار ولكنها تعانى أيضا من الذبذبة الواضحة من موسم لآخر، ونرى هذا واضحا فى المناطق الهامشية من النطاق السودانى (أى تلك المناطق شبه الصحراوية) وقد رأينا هذا واضحا فى العقدين الأخيرين.

ومن ناحية أخرى فإن افريقية تضم حوالى ٨٪ من المساحة الكلية يسود بها المناخ المدارى المطير حيث يمتد فصل الأمطار بين ٨ ـ ١٢ شهرا، ومعظم هذه المساحة غير مناسبة للمنفعة البشرية المثلى Optimum utility بسبب غزارة الأمطار على الأقل وفقا لطرق الاستغلال الحالى، ومع ذلك فإن ارتفاع الحرارة

المستمر والأمطار الغزيرة يمكن أن يقدم انتاجا احتياطيا كبيرا اذا ما استغل المناخ استغلال ملائما.

ومن هنا فإن أكثر المناطق الافريقية ملاءمة من وجهة النظر الاقتصادية فيما يتعلق بالمناخ هي أقاليم المرتفعات حيث الحرارة المعتدلة والأمطار المتوفرة. من ذلك هضبة الحبشة وهضبة الفلد الأعلى في جنوب القارة وغيرها من المناطق ذات المساحات الأصغر. أما مرتفعات شرق افريقية فيكتنفها صعوبة التضاريس كما أن بعض المرتفعات المدارية نائية الموقع مثل مرتفعات شرق الكنغو أو جنوب غرب تنزانيا.

أما الأقاليم شبه المدارية Sub-tropical فإنها صغيرة المساحة نسبيا، ويحدد المساحة المستغلة هنا درجة وعورة السطح.

ويمكن أن يقال بصفة عامة أن ٩٢٪ من مساحة القارة يعاني من عدم ملائمة الظروف المناخية لسبب أو لآخر، وتعتبر هذه الحقيقة من أهم الحقائق المتعلقة بالقارة، فمثلا فيما يتعلق بالأمطار فإنها غزيرة لدرجة تفوق الحد اللازم في بعض المناطق التي لا تحتاج اليها كثيرا في حين أنها في مناطق أخرى ضئيلة بشكل واضح هي في أشد الحاجة اليها.

ومن ناحية أخرى فإننا يجب أن نلاحظ أن المناخ في بعض المناطق لا يلائم المعيشه من وجهة النظر الصحية، وكذلك من ناحية النشاط والحيوية على الرغم من عدم وجود برهان للتدليل على هذه النظرية، حيث يذكر بعض الباحثين أنه بجانب قلة الرغبة في النشاط فانه لا توجد آثار أو نتائج مضرة على صحة الإنسان الذي يعيش في المنطقة المدارية. كما أن كثيراً من الحيوانات لا تستطيع التأقلم مع الظروف المدارية الصعبة ومن ثم تقل تربية المواشي وينعكس

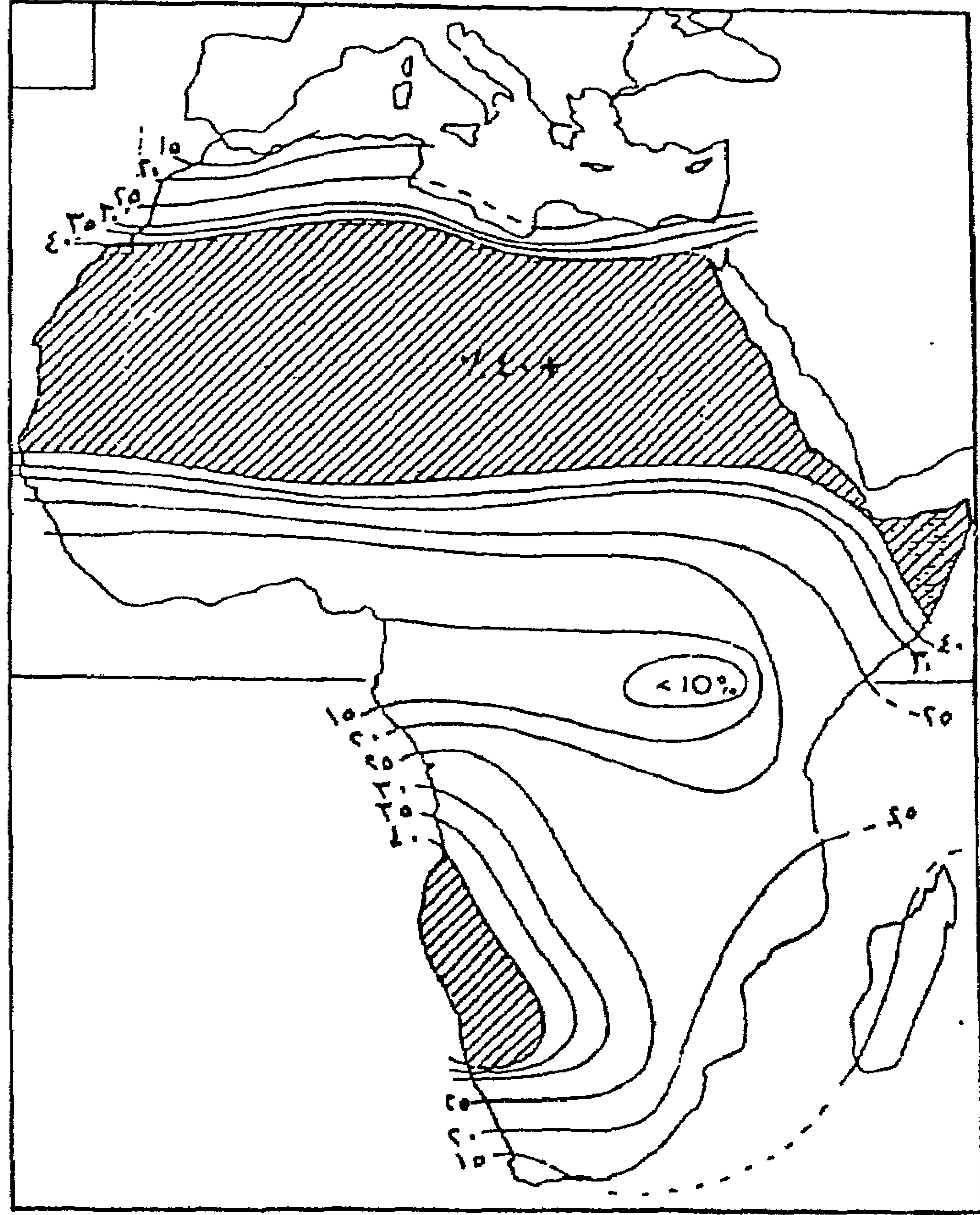
هذا على النواحى الاقتصادية المختلفة، كذلك فإن الحرارة المرتفعة والأمطار الغزيرة تساعد على تكاثر الحشرات والحياة البكتيرية الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى الاضرار بالانسان والحيوان.

أما بالنسبة لمصادر المياه الأخرى وهى الأنهار والمياه الباطنية فإن قارة افريقية تتمتع بشبكة جيدة من الأنهار ولكن فعاليتها بالنسبة للزراعة تختلف من منطقة إلى أخرى، ففى المناطق الاستوائية والمدارية المطيرة حيث تغزر الأمطار فى معظم شهور السنة فإن الحاجة إلى الأنهار ضئيلة ولكن هذه الأهمية تزداد فى المناطق الجافة وشبه الجافه، ولعل نهر النيل يمثل هذه الحقيقة بوضوح حيث تزداد أهمية مياهه كلما اتجهنا ناحية الشمال حيث تقل الأمطار خصوصا فى شمال السودان ومصر ، وعلى العكس من ذلك فى جزئه الجنوبى، وعكس ذلك نجد نهر زائير وروافده حيث غزارة الأمطار فى النطاق الاستوائى. كذلك نجد أنهار النيجر والزمبيزى وطبوبو والسنغال وفولتا وغيرها حيث تزداد أهميتها فى المناطق الجافة وشبه الجافة

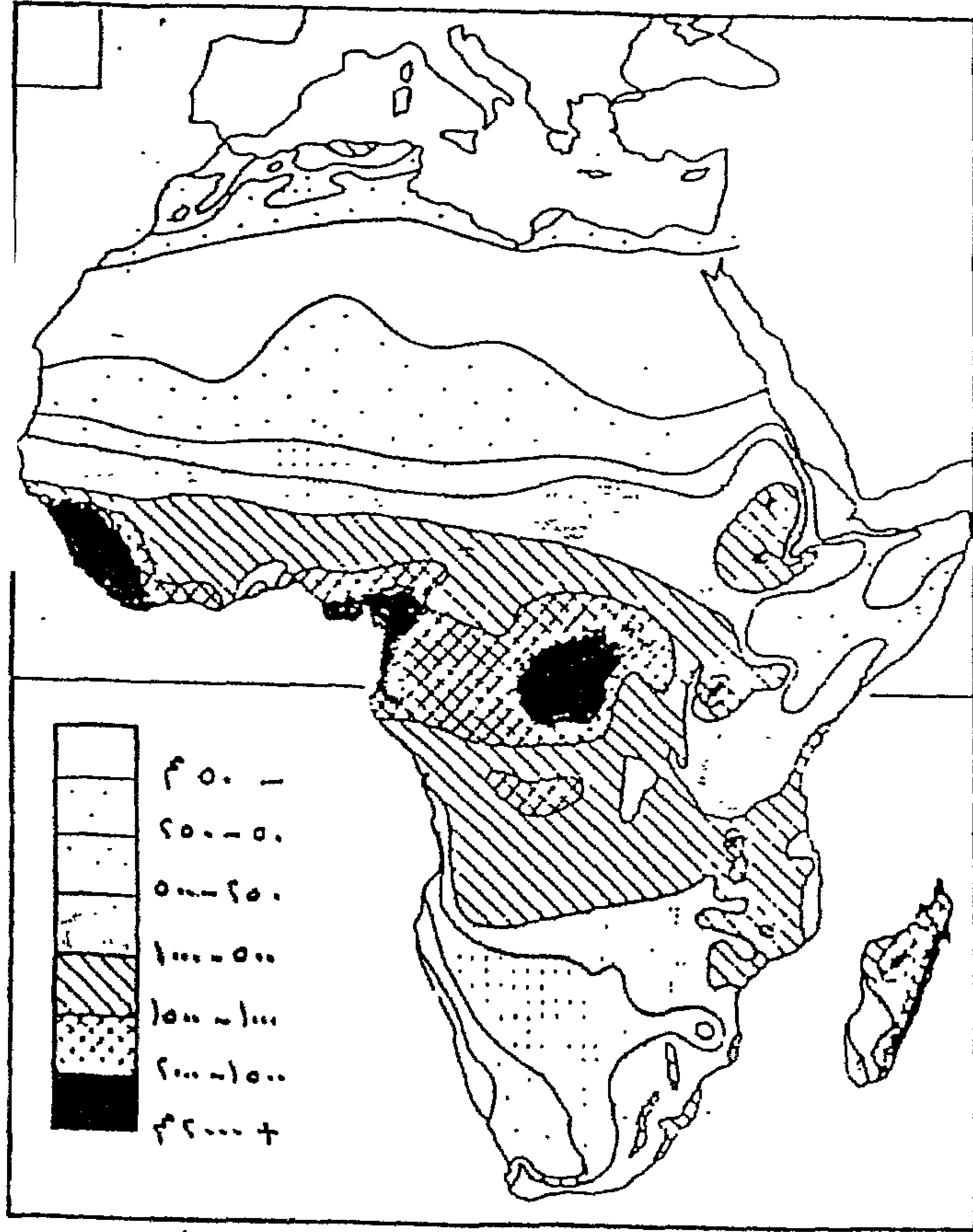
أما بالنسبة للمياه الجوفية فتزداد أهميتها بدرجة واضحة حيث تقل الأمطار أو تندر ومع عدم وجود أنهار كما هو الحال فى الصحراء الكبرى، هنا نجد الواحات المتناثرة التى تعتمد اعتمادا رئيسيا على المياه الجوفية خصوصا وأن التكوينات الصخرية فى شمال القارة ذات تكوين رسوبى مسامى.

ثالثا: كثافة السكان:

يختلف توزيع السكان فى قارة افريقية وفقا للظروف الطبيعية السائدة . فكلما كانت الظروف الطبيعية من ناحية الحرارة والأمطار والتربه ملائمة الحياه كلما كان هناك تركز للسكان وازدياد فى الكثافه ، والعكس اذا ارتفعت الحرارة



شكل رقم (٢) ذبذبة الأمطار فى أفريقيا



شكل رقم (٢) متوسط الأمطار السنوى فى أفريقيا

أكثر من اللازم أو كانت التربة ضعيفة فقيرة أو كانت التضاريس وعرة، فإن هذا يجعل السكان يعزفون عن سكنى هذه المناطق، ومعنى ذلك أن خريطة توزيع السكان تعتبر الصورة النهائية للتفاعل بين عناصر البيئة الطبيعية والعناصر البشرية.

ويمكن أن نقسم توزيع السكان في افريقية إلى قسمين.

١ ـ القسم المعمور.   ٢ – القسم اللامعمور.

وفى الواقع فإنه لا توجد منطقة فى القارة غير معمورة بصورة مطلقة، وإنما هناك تدرج فى الكثافة السكانية من منطقة لأخرى حيث نرى أنه رغم صعوبة الظروف الصحراوية إلا أنها معمورة من جانب بعض الجماعات التى تأقلمت مع الظروف الصعبة، وكذلك فى بيئة الغابات الاستوائية الكثيفة حيث يعيش الأقزام، كذلك نلاحظ أن المعمور يختلف من عصر إلى آخر ، مثلا اكتشاف البترول فى الصحراء الليبية ساعد على الاستقرار وكذلك صحراء الجزائر وصحراء مصر الغربية.

وتعتبر قارة افريقية فى الوقت الحالى من المناطق التى تسود فيها الكثافة المنخفضة (١٨ نسمة /كم٢) ويحدث فيها نمو سريع للسكان وبالتالى سوف ترتفع الكثافة تدريجيا، ولكن هناك بعض المناطق فى القارة التى ترتفع بها الكثافة بشكل واضح فى دلتا مصر وجزء من الوادي، وفى منطقة تجاور مدينة (كانو) فى شمال نيجيريا وكذلك شمال لاجوس وجوار نيروبى فى كينيا ومنطقتى دربان وجوهانسبرج فى جنوب افريقية وتصل الكثافة فى هذه المناطق إلى أكثر من ١٠٠ نسمة/كم٢.

وتلى هذه المناطق ذات الكثافة المرتفعة مناطق أخرى تتراوح فيها الكثافة بين ٢٥ ــ ١٠٠ نسمة/كم٢ فى وادى النيل حتى الخرطوم أى فى مصر والسودان ومعظم مناطق نيجيريا والأجزاء الجنوبية من غينيا وسير اليون وأجزاء من بوركينا فاسو (فولتا العليا سابقا) ورواندا، بوروندى وشمال بحيرة فيكتوريا فى أوغندا ومنطقة جنوب شرق جمهورية جنوب افريقية وكذلك شمال غرب المغرب العربى الاساحلي.

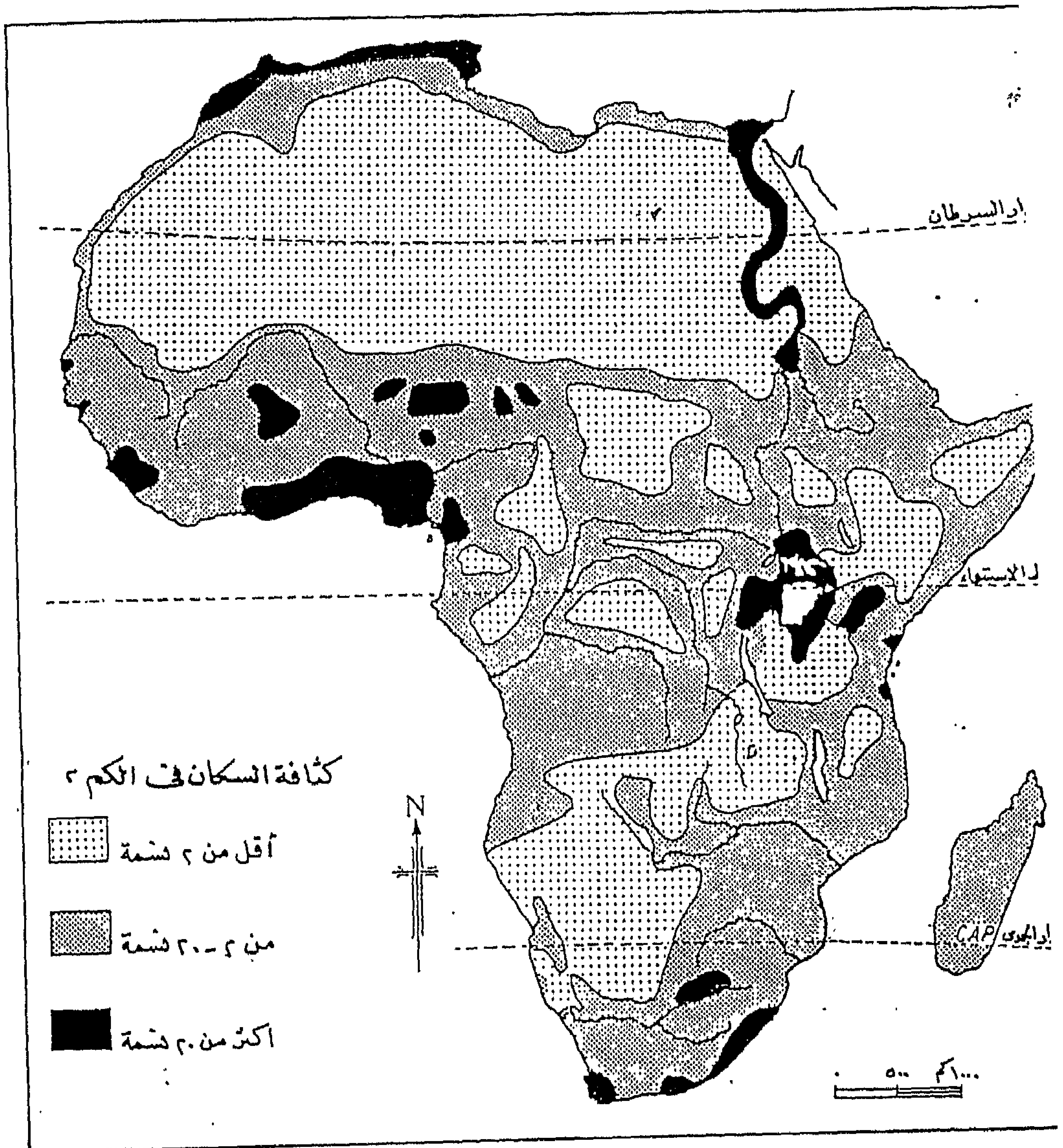
أما بقية افريقية عدا الصحراء ــ فإن الكثافة ترواح بين ٣ ــ ١٢ نسمة/كم٢ وتقل الكثافة بشكل واضح فى المناطق الصحراويه وشبه الصحراوية حيث تترواح بين ١ ــ ٣ نسمة/ كم٢ فى الصحراء الكبرى وصحراء الصومال وناميبيا وشمال كينيا وأجزاء من تنزانيا الداخلية وأجزاء من زائير الغابية الكثيفة وأجزاء من بتسوانا وبعض المناطق الوعرة القاحلة فى جنوب افريقية.

وبصفة عامة لا توجد أجزاء مكتظة بالسكان فى القارة إلا فى دلتا النيل وجزء من الوادى وبعض أجزاء من ساحل غينيا.

وسوف نلاحظ أن هناك علاقة بين كثافة السكان والأنماط الزراعية، حيث أن ارتفاع الكثافة يؤدى إلى سيادة نمط الزراعة الكثيفة ذات الدور ة الزراعية حيث المحصولات النقدية والغذائية، والعكس فى المناطق ذات الكثافة المنخفضة (ذات الأمطار) حيث تسود الزراعة المتنقلة التى تعتمد على اراحة الأرض لفترة من الزمن تختلف من منطقة لأخرى حسب درجة الكثافة ونشاط السكان.

اهمية الزراعة فى افريقية:

أفريقية عالم ريفى. وترجع أصالتها أساسا إلى حضارتها الزراعية، فمن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب، وعبر تنوع التربة



شكل رقم (٣) : كثافة السكان في أفريقيا

والظروف المناخية، نجد أن الشعوب الأفريقية لديها بصفة عامة خبرة ومعرفة طويلة بالزراعة وطريقة الحياة الريفية، ففى كل مكان فى افريقية البحر متوسطية. وافريقية المدارية نجد أن العمل والنظام اليومى يرتبط ارتباطا وثيقا بفصول السنة المختلفة.

ففى خلال فصل الأمطار تزرع المحصولات، أما فى فصل الجفاف فهو بداية لفترة طويلة من الراحة الاجبارية، ولكن هذه الفترة هى فى نفس الوقت فترة الاحتفالات الشعبية والهجرة المؤقتة إلى المدن، ويعتمد حجم (وفرة) الحصاد على كمية الأمطار. ولذلك فإن ذبذبة الأمطار وعدم انتظامها فى المناطق التى يطول فيها موسم الجفاف يعتبر بمثابة نقطة الضعف فى النظام الزراعى السائد، كما أن ذلك يؤدى إلى عدم تطور الوسائل المستخدمة فى الزراعة بسبب ضعف المحصول والتغير الكبير فى الانتاج من عام إلى آخر. ولكن الزراعة المستقرة يمكن أن تكون مضمونة نسبيا فى المناطق التى تسقط. عليها أمطار أكثر من ٤٠٠ مم، أما أقل من ذلك فليس هناك شيئ مضمون.

وتعتبر الزراعة فى افريقية جنوب الصحراء الحرفه الأساسية المطلقة لأكثر من ٨٠٪ من السكان، ربما فيهم الجزء الأكبر من هؤلاء الذين يعيشون فى المدن. وغالبا ما يكون المظهر الريفى غير منظم حيث الحقول صغيرة غير منتظمة الشكل، وحدودها غير محددة بدقة، كما تتناثر بقايا جذوع الأشجار، كما أن الحقول تتناثر على نطاق واسع وسط مناطق تسود فيها الاشجار ، وقد يعطى هذا انطباعا بأن الإنسان هنا ليس له الا تأثير محدود ولكن هذا ليس صحيحا على الإطلاق.

تفرض الطبيعة الصارمة للأمطار المدارية مجموعة من الضوابط على الزراعة، كذلك فإن التربة التى غسلتها الأمطار والتى تخضع فى نفس الوقت

لعملية التقشر السريع خلال فصل الجفاف تعانى من الانجراف والانهاك السريعين. ومن أجل تعويض خصوبتها بعد عامين أو ثلاثه من الزراعة فإن المزارع الأفريقى يعطيها فترة طويلة من الراحة، ولهذا فإن هذه الفترة التى تسمى Fallow Period يمكن أن تستمر ما بين بين ٣ إلى ٧ أو ٨ سنوات أو ٩ وربما تمتد ما بين ١٢ ـ ٢٠ عاما ، ثم تزرع الأرض مرة أخري(٢)

شكل رقم (٤) : الأقسام العامة للنبات الطبيعى فى أفريقيا

أهمية الزراعة (فى بعض الدول الأفريقية)

الدولة	النسبة المئوية للعمالة في الأنشطة المختلفة سنة ١٩٨١			مساهمة الأنشطة في الدخل القومى ٪ سنة ١٩٨٣		
	الزراعة٪	الصناعة٪	الخدمات٪	الزراعة	الصناعة	الخدمات
اثيوبيا	٪٨٠	٪٧	٪١٣	٤٨	١٦	٣٦
مالي	٪٧٣	٪١٢	٪١٥	٤٦	١١	٤٣
زائير	٧٥	١٣	١٢	٣٦	٢٠	٤٤
بوركينافاسو	٨٢	١٣	٥	٤١	١٩	٤٠
تنزانيا	٨٣	٦	١١	٥٢	١٥	٣٣
توجو	٨٧	١٥	١٨	٢٢	٢٨	٥٠
غانا	٥٣	٢٠	٢٧	٥٣	٧	٤٠
سيراليون	٦٥	١٩	١٦	٣٢	٢٠	٤٨
كينيا	٧٨	١٠	١٢	٣٣	٢٠	٤٦
ليسوتو	٦٠	١٥	٢٥	٢٣	٢٢	٥٥
زامبيا	٦٧	١١	٢٢	١٤	٢٨	٤٨
مصر	٥٠	٣٠	٢٠	٢٠	٣٣	٤٧
المغرب	٥٢	٢١	٢٧	١٧	٣٢	٥١
نيجيريا	٥٤	١٩	٢٧	٣٦	٢٤	٤٠
الجزائر	٢٥	٢٥	٥٠	٦	٥٤	٤٠

المصدر: Mountjoyt, A. & Hilling, D. Africa: Geography and Development Table 6, P. 69 + Table 47, P. 436.

انماط الزراعة فى افريقية

باستقراء الظروف البيئة والنشاط الزراعى فى افريقية كما سبق أن أوضحناأن هناك مجموعة من الأنماط الزراعية الواضحة يمكن أن نحصرها فيما يلى:

أولا: نمط الزراعة المطرى وينقسم إلى الأقسام الرئيسية الأتية:

١ ـ الزراعة المتنقله فى النطاق الاستوائي.

٢ ـ زراعة «الحريق» فى نطاق السفانا.

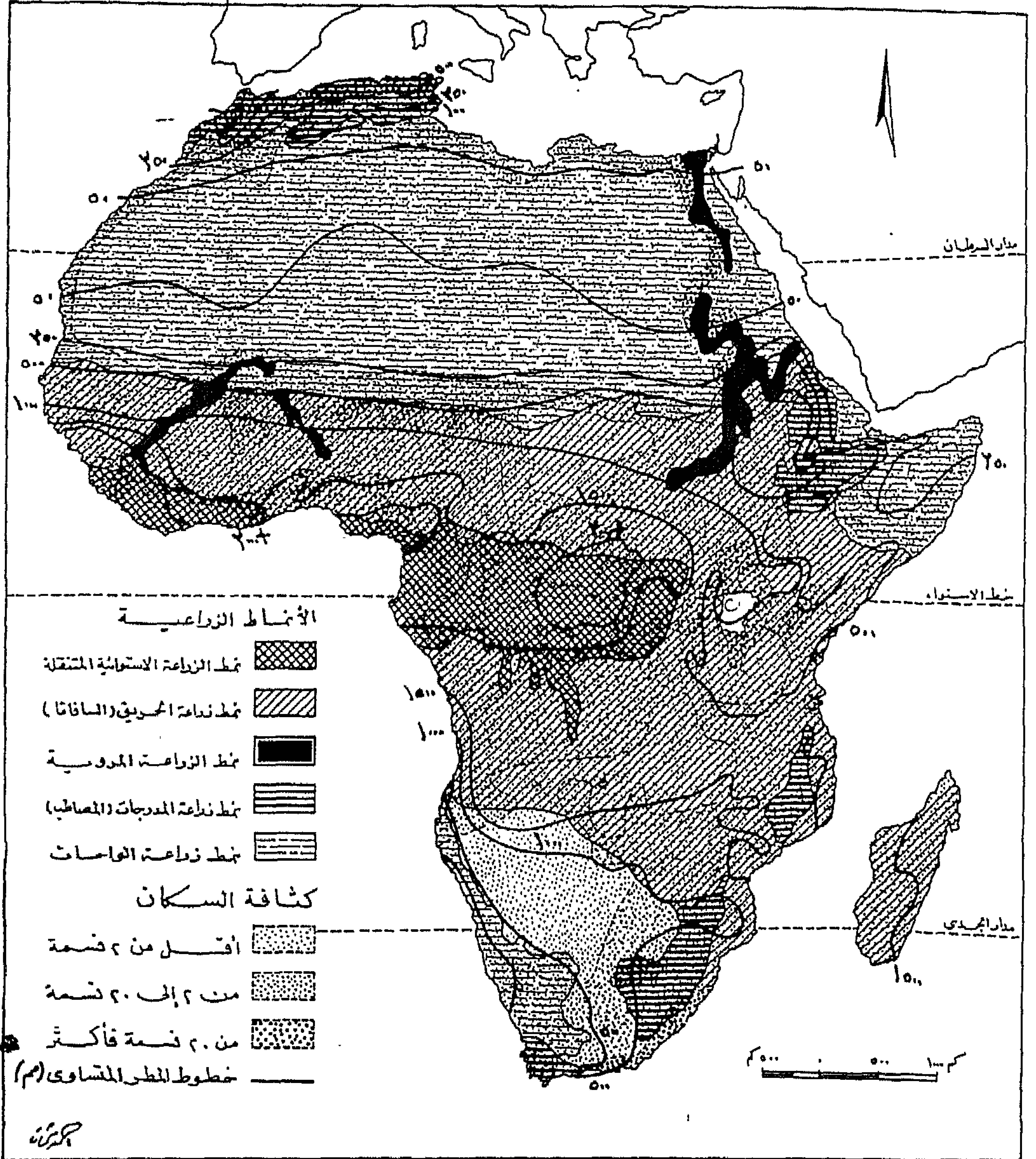
٣ ـ زراعة «المدرجات» فوق المرتفعات.

٤ ـ زراعة «السهول» سواء الساحلية أو الداخلية.

كما هو الحال فى سواحل افريقية وخصوصا شمال افريقية وغربها فى سهول السودان الوسطى.

ثانيا: نمط الزراعة المروية، وهذه نجدها حيثما تتوفر مياه الرى بواسطة الأنهار التى أقيمت عليها السدود كما هو الحال فى مصر والسودان وغيرهما.

ثالثا: نمط الزراعة الذى يعتمد على المياه الجوفية فى واحات الصحراء الكبرى على وجه الخصوص وكذلك فى بعض المناطق الأخرى الجافة.



شكل رقم (٥) : الأنماط الزراعية فى أفريقيا
« نتاج التفاعل البيئى »

رابعا: نمط الزراعة الفيضى flush cultivation حيثما تنساب المياه عند نهاية الأودية بعد فصل الأمطار كما هو الحال فى منطقة دارييى القاش وبركة فى السودان وغيرهما.

اولا: نمط الزراعة المطرية Rain cultivation

تزرع مساحات واسعة فى قارة افريقية معتمدة على الأمطار مباشرة، خصوصا وان هناك نطاقات مناخية تسقط فيها الأمطار بشكل يكفى حاجة الزراعة وتزيد. ويعتبر النطاق الاستوائى من أهم النطاقات الزراعية فى افريقية التى تقوم على الأمطار حيث تسقط الأمطار بغزارة طول العام وبصفة تكاد تكون يومية، ولكن ليس كل أجزاء النطاق سواء فى كمية الأمطار. ثم يأتى بعد ذلك النطاق المدارى المطير حيث الأمطار الصيفية ثم النطاق. الموسمى ذو الأمطار الشتوية (نطاق مناخ البحر المتوسط) وبالاضافة إلى هذه النطاقات المطرية الثلاثة هناك أيضا المرتفعات التى تتناثر فى أنحاء القارة وخصوصا فى شمال وشرق وجنوب القارة.

وفيما يلى استعراض للنطاقات الزراعيه المطريه المختلفه في القاره بشكل مختصر وسريع.

١ ـ الزراعة المتنقلة في النطاق الاستوائى:

Equatorial shifting cultivation

يعبر هذا النمط عن الظروف البيئية التى توجد فى النطاق الاستوائى الافريقى حيث الأمطار الغزيرة حيث أن الأمطار الغزيرة طول العام تؤدى إلى غسل «التربة» Leached soil فقيرة هشة تعلو أكاسيد الحديد والألمنيوم على السطح، ومن هنا كان التلاؤم مع هذه الظروف مؤديا إلى الزراعة غير الكثيفة

حيث توجد فترة «راحة» follow طويلة. إلا عندما تزداد كثافة السكان بشكل واضح، ومن هنا يعتبر هذا النظام الزراعي ملائما صبورا من جانب المجتمعات الريفية التقليدية مع الظروف الطبيعية غير المواتية، ويعنى هذا النظام التغير المستمر فى الحقول الزراعية. وبالتالى التغيرات القصوى فى الموطن الريفى Rural habitation والأداة الأساسية للزراعة هنا هى الفأس التى يتعدل شكلها باختلاف طبيعة نوع التربة ولكنها بصفة عامة ذات نصل من الحديدة الثقيل يتصل بيد خشبية طويلة وتستعمل لتقليب التربة بعكس الحال فى بيئة البحر المتوسط حيث يستعمل المحراث الخشبى القديم وان حدثت بعض التغيرات فى بعض المواقع حيث تستخدم الآلة الحديثة.

أما من حيث الأساليب المتبعة فى الزراعة فإنها تجمع بين الدهاء والابتذال (عدم الاهتمام) فى نفس الوقت، حيث أنها ثمرة توازن معقد مع البيئة الايكلوجية Eco-equilibrium، ونادرا ما نجد حيوانات هنا ترتبط مع الزراعه (بسبب سيادة ذبابة تسى تسى والظروف المناخية الصعبة) ولذا فإن المخصبات الطبيعية غير موجودة فيما عدا الرماد الناتج عن حرق الأعشاب والحشائش الضارة فى نهاية موسم الجفاف (النسبى) قبل الزراعة مباشرة.

هذا النوع من الزراعة غير الكثيفة يوجد ضمن اقتصاد معاشى -Subsis tence Economy فقير ليس له إلا فرصة ضئيلة للتجارة ، وفى مناطق ليس لسكانها ضغط كبير على الأرض ولهذا فإن المكان متسعا يسمح بنقل الزراعة من مكان إلى آخر، ومع ادخال النظام الزراعى النقدى -Commercial Econo my وزراعة المحصولات النقدية عبر عقود عديدة، بدأ هذا النظام المعاشى يتحسن فى عديد من الاقاليم خصوصا فى المناطق الساحلية وبالتالى انكمشت فترة «الراحة» من ٥ ـ ٧ سنوات أو أكثر إلى سنة واحدة خصوصا اذا كانت

كثافة السكان مرتفعة، ففى السهول الساحلية فى خليج غينيا (ابتداء من ساحل العاج حتى نيجيريا) على سبيل المثال أصبحت الزراعة الكثيفة بشكل واضح وأصبح المنظر الريفى مستغل تماما، هنا وصلت الكثافة ما بين١٠٠ إلى ٦٠٠ نسمة/كم٢، حيث حول شعب الفون Foon فى داهومى الأدنى (بنين) الإقليم الساحلى إلى مزرعة واسعة لنخيل الزيت تتخللها زراعة الذرة الشماية المانيوق. كذلك اندفع اليوروبا فى نيجيريا والاشانتى فى غانا والايفى (الايوى) فى توجو الأدني، وشعب الأجنى Agni والبوليBaoule فى ساحل العاج إلى زراعة التربة بشكل كثيف للغاية، وقد دفعهم إلى ذلك الحوافز النقدية الناتجه عن الاقتصاد الزراعى التجارى.

ومن سمات الأساسية فى هذا النظام عدم تملك الفرد مطلقا للأرض، إذا أن المزارع يملك فقط حق الاستغلال، فهى ذات نظام جماعى ولا يمكن التصرف فيها و بيعها لأنها ملك للجماعة سواء الأسرة أو مجتمع القرية أو العشيرة وان كانت الملكية الفردية قد ظهرت فى بعض المناطق بصفة محدودة فى المناطق التى تحتاج إلى مجهود شخصى شاق واستثمار نقدى حيث ظهر هنا حافز الربح وهناك سمة أخرى وهى العمل الزراعى الجماعى سواء بواسطة «جمعات العمل» التى ربما تكون جماعات «السن» age groups أو العائلات أو جماعات المقاولات ، ولذا فإن فرق العمل موسمية تتكون من الرجال والنساء فى بداية كل موسم زراعي، ورغم أن هذه غير ثابتة التنظيم (هشة) إلا أنها فعالة كما يسود روح التعاون بين أفرادها (jouno Airlqno, p, 02)

تسود هنا المحصولات النشوية بصفة أساسية مع قليل من محصولات البروتين وأهم المحصولات الذرة الرفيعة والشامية، اليام ، الكسافا، الموزولكن الانتاج ضعيف وسوء التغذية متفشي. أما المحصولات النقدية التى أدخلت

حديثا فأهمها الكاكاو (غانا + نيجيريا + سيراليون + كوت ديفوار)، القطن (أوغندا + الكنغو)، نخيل الزيت (نيجيريا + سيراليون +كوت ديفوار)، البن (أو غندا + كوت ديفوار + الكنغو +الكمرون).

وبجانب سوءة ربط رفاهية المزارع الأفريقى بالأسواق العالمية البعيدة وغير المضمونة فإن هذا النظام (النقدى) أدى إلى سيادة المحصول الواحد-Mono Culture وكل هذا يؤدي الي مقدمة لانهاك التربه إذ أنه على الرغم من أن زراعة المحصول الواحد مجزئ إلا إنه يدمر نفسه أكثر من أن يكون ثابتاً مستمراً كما أنه ليس عمليات تجمع بتزايد سكانه بسرعة في حين ان نظام الزراعة المعاشيه أن لم يكن مجزيا في حد ذاته إلا إنه يضمن الاستمرارية ولذا فإن نظام الدورة الزراعية والزراعة المختلطة حيثما أمكن وجودها يعتبران الحل المرغوب فيها، ولكن هذا يستدعى عمل زراعى شاق(٣).

٢ ـ الزراعة المتنقلة فى نطاق السفانا (زراعة الحريق):

وهذا النمط أيضا يعتبر نوعا من الزراعة المتنقلة وان كان يوجد في بيئة تختلف إلى حد كبير عن البيئية فى النمط الاستوائى، حيث نلاحظ هنا أن الأمطار فصلية تسقط خلال فصل الصيف على وجه الخصوص، الأمر، الذى يؤدى الى نمو السفانا على نطاق واسع، وهذا النوع النباتى ينمو ويزدهر عند سقوط الأمطار وبعدها مباشرة، ثم يذبل النبات ويجف خلال موسم الجفاف (الشتاء) ومن هنا فان هذا المظهر النباتى أوحى الى المزارع الأفريقى باستغلال الموقف لصالحه عن طريق حرق هذه ا(الثروة النباتية) الجافة واستخدامها فى تخصيب التربة التى هى خصبة أصلا نتيجة لارتفاع نسبة «الدبال» بها بسب وجود هذه الحشائش التى تتراكم سنويا. وفى كثير من الأحيان يترك المزارع هذه الحشائش الجافة لأكثر من عام حيث تتكون طبقة سميكة متراكمة من

بقاياها ثم يضرب فيها النيران دفعة واحدة وتبدأ بعد ذلك عملية الزراعة بعد أن تكون قد أضيفت ثروة «سمادية» عضوية ضخمة تعمل على تخصيب التربة بشكل مستمر واضح. ولكن بعد أن تزرع الأرض فترة من الزمن وتبدأ التربة فى الإنهاك ينتقل المزارع الى قطعة أرض جديدة «مخصبة» بالطريقة السابقة ثم الى قطعة أرض ثالثة وهكذا.

هنا نجد أن «الضابط» الرئيسي المتحكم هو «النبات السفاني» الناتج أصلا عن الأمطار الموسمية «الصيفية» والحرارة المرتفعة طوال العام بالإضافة الى التربة الخصبة والارث الحضارى البشري، ويساعد على ذلك أيضا اتساع رقعة الأرض الصالحة للزراعة وانخفاض كثافة السكان، نسبيا(٤).

أما بالنسبة للمحصولات السائدة هنا فهى القطن وقصب السكر والذرة الرفيعة والعريضة فى السودان ونيجيريا وافريقية الوسطى ومناطق من شمال كل من غانا وسيراليون وبنين وفولتا العليا وانجولا وزامبيا وزمبابوى وموزمبيق وتنزانيا وأجزاء من كينيا.

٣ ـ زراعة الكنتور (المصاطب) على جوانب المرتفعات:

Terraces cultivation

يوجد هذا النمط الزراعى حيثما توجد المرتفعات بالإضافة الى الأمطار. وقد نشأ هذا النمط بصفة أساسية للتلاؤم مع هذين العاملين الطبيعيين، حيث حتمت هذه الظروف الطبيعية على السكان فى هذه المناطق انشاء المصاطب من أجل الوصول إلى هدفين:

الأول: التغلب على مشكلة جرف التربة من على جوانب هذه المرتفعات بفعل الأمطار التى تهطل على هذه الجوانب.

الثاني: ايجاد رقعة من الأرض شبه مسطحة ذات مساحة معقولة لقيام الزراعة عليها وايجاد حواجز حولها يمكن عن طريقها تمرير المياه (الأمطار) بنظام محدد ومقنن.

ويتمثل هذا النمط خير تمثيل فى المغرب العربى وعلى وجه أخص فى الجزائر ، وكذلك يوجد فى كينيا (المرتفعات البيضاء) وجبل كينيا (فى كينيا) وجبل كلمنجارو فى تنزانيا ومرتفعات أوغندا وخصوصا جبل «الجون» ومرتفعات الكمرون وفى مرتفعات جمهورية جنوب افريقية. كما يوجد هذا النمط الزراعى بشكل طبيعى (دون اعداد المدرجات) فى هضبة الحبشة حيث «تتدرج» الأرض طبيعيا وفقا لطبقات التكوينات البركانية المتراكمة والتى تتكون منها هذه الهضبة. وكذلك الحال فى مناطق من مرتفعات جنوب شرق أفريقيا، وكما أشرنا فإن «الضابطين» المؤثرين هنا هما: المرتفعات والأمطار بالاضافة الى خبرة السكان فى الزراعة.

ومن الواضح أن المحصولات تتنوع فى هذا النمط وفقا لمحورين أساسين:

الأول : الارتفاع فى التضاريس فى موقع ما.

الثاني: الموقع الجغرافى والفلكى فى أنحاء القارة.

وبالاضافة الى ما سبق هناك مناطق أخرى كثيرة مرتفعة يمارس فيها المزارع الأفريقى الزراعة على جوانب المرتفعات دون القيام باعداد «المصاطب» وانما يعتمد على اختلاف مناسيب الارتفاعات نفسها أو جود الأودية حيث يزرع جوانبها والقيعان بعد جفافها، بالاضافة الى تلك المرتفعات التى توجد بين تضاعيف المرتفعات.

وجدير بالذكر أن التوسع فى هذا النمط الزراعى يمكن أن يكون له فوائد كثيرة منها: ـ

١ ـ التوسع فى الرقعة الزراعية وبالتالى زيادة الانتاج الزراعى خصوصا فى مناطق الكثافة السكانية المرتفعة كما هو الحال فى الشمال الافريقى الساحلي.

٢ ـ المحافظة على التربة وتثبيتها على جوانب المرتفعات.

ولكن يقف أمام ذلك مشكلة المواصلات وعدم توفر رأس المال فى كثير من مناطق المرتفعات بالاضافة إلى عدم الاستقرار السياسى وأفضل مثال على ذلك اثيوبيا .

وكما أشرنا فان المحصولات هنا متنوعة ولكن أهمها فى بيئة البحر المتوسط الفواكة وخصوصا الموالح، والزيتون، والقمح، وفى اثيوبيا البن والذرة الرفيعة، وفى شرق افريقية القمح والشاى والبن، وفى هضبة افريقية الجنوبية الطباق والشاى.

٤ ـ النطم الزراعى المطرى فى السهول: Rain plain cultivation

وكما سبق أن أشرنا هناك السهول الساحلية فى شمال افريقية وغربها وشرقها، هذا بالاضافة الى السهول الداخلية فى أنحاء القارة. ومن أبرز الأمثلة سهول شمال افريقية الساحلية فى الجزائر والمغرب وتونس وليبيا . ونلاحظ هنا تداخلا بين الزراعة السهلية المطرية والزراعة المرويه حيث الأودية والأنهار، وأهم المحصولات هنا فواكه البحر المتوسط والزيتون والقمح والشعير والخضروات والذرة العريضة، أما فى سهول شرق افريقية فتوجد الذرة الرفيعة

والمحـصـولات الشـجـرية مـثل جـوز الهند. وفى غـرب افـريقـيـة البن والكاكـاو والكاسافا ونخيل الزيت.

أما فى السهول الداخلية فى نطاق السودان الجغرافى (والسودان السياسى على وجه الخصوص) فيزرع القطن (قصير التيلة) والذرة الرفيعة وعلى حواف الصـحـراء نجـد الفـول السـودانى والسـمـسم ، والأرز والذرة فى مـدغـشـقـر والسيسل فى شرق افريقية.

ثانيا: نمط الزراعة المرويه : Irrigater cultivation

يتركز هذا النوع من الزراعة ذى الدوره الزراعية المنتظمة فى مناطق محددة فى مصر والسودان، هنا يعتبر نهر النيل والمشروعات المقامة عليه هو «الضابط» الرئيسى المتحكم، وبالاضافة الى التربة الخصبة التى جلبها النيل أصلا. ولقد تطور هذا النوع من الزراعة مرحلة بعد أخرى، فمن الرى الفيضى الحوضى الى الرى الدائم الذى يعتمد على دورة زراعية مقننة، ولقد لعب العامل البشرى دورا واضـحـا فى هـذا النمط، حـيث قـامت الحـضـارة المصرية القـديمة على الزراعة فى الوادى ثم الدلتا. كذلك نجـد هذا النمط فى السـودان ـ ولو أن ذلك ظهر حـديثا ـ حـيث أقيم مـشـروع الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق ثم بدأ التوسع فيه تدريجيا، كذلك هناك الرى بالطلمبات على النيلين الأبيض والنوبى. ولاشك أن التحكم فى مياه النيل عن طريق اقامة السدود كان له الأثر الأكبر لتكوين بيئة مثالية لقيام هذا النمط وقد تأكد ذلك بالارث الحضارى البشرى.

وبالاضـافـة إلى مـصـر والسـودان هناك بعض المناطق المروية مـعـتمـدة على مـيـاه بعض الأنهار الافـريقـيـة وانشـاء السـدود عليـهـا للافـادة فى تخـزين المياه وتوليد الكهرباء مثل نهر الفولتا (غانا) ونهر السنغال (السنغال) ونهر النيـجير (نيجيريا) ونهر الزمبيزى (زامبيا وزمبابوى) وغيرها؛ ولكننا ينبغى أن نلاحظ أن

الزراعة المروية فى مصر على وجه الخصوص أكثر كثافة more intensive عنها فى أى منطقة أخرى مروية فى القارة الافريقية كلها، وتفسير ذلك أن الازدحام البشرى والتكثف الحضارى قد لعبا دورا واضحا فى هذا المجال.

اضافة الى ما سبق كان انشاء سد على نهر جوبا/ شبيلى فى الصومال له الأثر الواضح على قيام الزراعة المرويه فى جنوب الصومال. وكذلك الحال فى المغرب العربى على أنهار وأودية أم الربيع وتنسفت وبورقراق وسيبو وملوية فى المملكة المغربية، والأوديه الكثيرة القصيرة والسريعة الهابطة من مرتفعات أطلس في تونس والجزائر وكذا فى ليبيا. خصوصا بعد انشاء «النهر العظيم» الذى يحمل مياهه من أقصى جنوب ليبيا (مياه جوفية) الى اقصى الشمال.

وفى اطار هذه المساحات المروية الكبيرة تزرع محصولات متنوعة حيث القطن والأرز والقمح والذرة والخضروات فى مصر والسودان، والفواكه (خصوصا الموالح) والقمح والشعير والذرة والخضروات فى المغرب العربى، والموز والفواكه المدارية والذرة الرفيعة فى شرق افريقية، والقطن والدخن والطباق والشاى فى أفريقيا الجنوبية، والقطن والفول السودانى والذرة فى غرب افريقية شبه الجافة.

ثالثا: *الزراعة الفيضية المحدودة*: Flush Irrigation

يوجد هذا النوع من الزراعة فى مناطق مصبات الأودية فى أنحاء متفوقة من القارة الأفريقية، والعامل الحاسم فى هذا النمط هو المياه الفيضية الموسمية، بالاضافة الى التربة الفيضية الخصبة فى هذه المناطق، وهى مناطق (بقع) محدودة بالطبع، من أوضح الأمثلة على ذلك خورى القاش وبركة فى شرق السودان حيث ينحدر هذان الخوران بشدة وسرعة من مرتفعات الحبشة

الشمالية متجهان نحو الشمال الغربى ولكنهما سرعان ما ينتهيان وسط مناطق مسطحة حيث يفرغان حمولتهما من المياه والطمى مكونان ما يسمى بالمراوح الفيضية Aliuvial fans وسط مفازات شرق السودان.

ومن الواضح أن الزراعة هنا مرة واحدة فى السنة بعد عملية الفيضان الموسمي وتختلف المحصولات التى تزرع فى هذه «البقع» وفقا للموقع الجغرافى والفلكي ومدى كمية المياه وخصوبة التربة. ففى دلتا خورى القاش وبركة يزرع القطن والذرة الرفيعة والخضروات.

ولقد مرت مصر بمرحلة الرى الفيضى قبل انشاء السدود والقناطر خصوصا سد أسوان والسد العالى التى حدت من غلواء فيضان النيل وفى نفس الوقت نقلت الزراعة فى مصر من المرحلة الفيضية إلى مرحلة الرى الدائم المنظم، وكان لهذه السدود أثر واضح على تدهور التربة وارتفاع المياه الجوفية ونحر الترع كما سوف نعالج ذلك لاحقا.

رابعا: النمط الزراعى فى واحات الصحراء

تكون المناطق الجاف فى افريقية نسبة كبيرة من المساحة الكليه كما سبق أن أشرنا، وتعتبر الصحراء الكبري فى شمال القارة ملمحا رئيسيا من الناحية الجغرافية سواء الطبيعية أو البشرية (تضاريسيا ومناخيا ونباتيا وكثافة سكان ونوع حياتهم وحرفتهم) فى القارة كلها، حيث انعكست الظروف الجافة فى هذه الصحراء على نمط الاستغلال الزراعى، هنا نجد الحرارة المرتفعة صيفا على وجه الخصوص وأثناء النهار على وجه العموم (صيفا وشتاء) ولذا قيل أن نهار الصحراء هو صيفها وشتاؤها يتمثل فى ليلها. والأمطار قلية نادرة واذا سقطت فهى سريعة فجائية تهطل كأنها ماء مصبوب من أفواه القرب أما لتربة هنا... فهى فقيرة فى المادة العضوية وان كانت غنية فى نسبة الكربون. والأملاح واضحة ناتجة عن الخاصة الشعرية.

ومن هنا كانت الواحة هى الملاذ لتجمع السكان وقيام نمط من الزراعة يتلاءم مع هذه الظروف الصعبة حيث أن الواحة تتمع بميزتين واضحتين: ـ

الأولى: يؤدى انخفاضها الى تقريب المسافة (العمق) إلى المياه الجوفية (السطحية أو العميقة) تلك التى انحدرت اليها فى الحاضر القريب أو الماضى السحيق. وخصوصاً التكوينات الصخرية الرملية هى السائدة فى أنحاء هذه الصحراء، وهذه التكوينات تعتبر بمثابة «اسفنج» يتشبع بالمياه الجرفية حتى يتم استغلالها ويدعم ذلك وجود طبقة صلبة غير منفذة المياه تحتها.

الثانية: وجود التربة الدقيقة الخصوبة نسبيا فى هذه الواحات بسبب:

(١) دقة الحبيبات حيث ارتفاع نسبة الطمى والطفلة.

(ب) وجود نسبة من المواد العضوية ناتجة عن نمو النبات الطبيعى (حيث ترتفع نسبة الرطوبة الأرضية بسبب الانخفاض) أو عن بقايا زراعة المحصولات.

هذه الظروف الطبيعية دفعت سكان هذه المناطق، وهم رعاة أو تجار رحل ـ إلى التلاؤم مع ظروف البيئة وقيام هذا النمط الزراعى المتميز فى الصحراء الكبرى فى واحات الداخلة. والخارجة. الفرافرة، سيوه، وليبيا (جغبوب، الكفرة .. الخ) والجزائر (عين صلاح وغيرها) وتونس وموريتانيا وجنوبا المملكة المغربية والصحراء الاسبانية وشمال السنغال والنيجر وتشاد وشمال السودان.

ولقد كانت الصحراء الكبرى هى نمط الواحات الزراعى بامتياز، أما الصحراوات الأخرى فى بقية القارة فى الجنوب الغربى والصومال والأجزاء الداخلية من كينيا وتنزانيا فهى شبه صحراوية أو هى صحراء غير حقيقية. نتيجة لظروفها الخاصة بالموقع الجغرافى والفلكى بالاضافة الى ارتفاع

التضاريس نسبيا فى جنوب وشرق القارة عن شمالها الصحراوى، ومن هنا كانت هذه الصحراء (جنوب وشرق القارة) أقل حدة فى الحرارة وأقل اتساعا فى المساحة وأيسر فى الأمطار والمعيشة.

وجدير بالذكر أن ضيق الرقعة الزراعية فى بعض الدول الصحراوية فى افريقية - وخصوصا مصر - قد دفعها الى تحويل أجزاء من الصحراء الى مناطق زراعية معتمده على مياه النيل أو المياه الجوفية، كما حدث فى مديرية التحرير، منطقة الصالحية (غرب وشرق الدلتا على التوالى) كما يجرى الآن نقل المياه تحت قناة السويس الى شمال سيناء لزراعة مناطق فيها. هنا ينبغى أن تطبق طرق ووسائل جديدة فى الرى والزراعة تتلاءم مع ظروف هذه البيئة تختلف عن تلك الموجودة فى الوادى والدلتا (مثل الرش والتنقيط) كما أن هناك مشروعا لاستغلال مساحة كبيرة صالحة للزراعة بجوار جبل عوينات فى جنوب غرب مصر اعتمادا على المياه الجوفية التى تدل التقارير أنها بكميات كبيرة، وقد سبق أن أشرنا إلى مياه «النهر العظيم» فى ليبيا التى هى مياه جوفية صحراوية و التى تحاول بدورها اقتحام الصحراء وزراعتها.

أما بالنسبة لمحصولات الواحات فأهمها تمر النخيل والخضروات والشعير وهى محصولات تتلاءم فى الواقع مع ظروف الصحراء الكبرى. أما صحراء جنوب وشرق افريقية فغالباً ما تستخدم فى تربية الحيوان عن طريق حرفة الرعى.

النمط الزراعى الأوربى: European cultivation

تتميز قارة افريقية بتعايش أو حتى تجاور أنواع متناقضة من الاقتصاد. وتمر معظم هذه الأنماط الاقتصادية من مرحلة الاقتصاد المعيشى الى

الاقتصاد التبادلى ·التجارى Commercial ولكن توجد مجموعات قليلة من السكان الذين لم يتأثروا ولو بشكل ما بالقوى الاقتصادية الحديثة، إذا قدرت المساحة الخاضعة للاقتصاد المعيشى بحوالى ٦٩٪ من المساحة الكلية المزروعة فى أفريقيا المدارية ويعيش عليها حوالى .٦٠٪ من السكان الذكور الذين يزيد عمرهم على الخمسين عاما، وقد انخفضت هذه النسبة فى السنوات الأخيرة الى حد ما . وقد جاء فى تقرير أصدرتة الأمم المتحدة عن أفريقيا أنه يوجد بالقارة نظامان أساسيان على طرفى نقيض ا(التقليدى والأوربى الحديث) وبينهما يقع أغلب الاقتصاد الافريقى، وفى كلا النظامين يوجد اختلاط ولكن بنسب مختلفة من منطقة الى أخرى.

ويتميز النظام الأوربى (التجارى) الحديث بأنه يغلب عليه رأس المال والمشروعات الأجنبية، كما أن رأسماله كبير وطرق الاستغلال متقدمة، كما تسود المزارع الواسعة plantations Estates وتنتشر هذه المزارع فى أماكن كثيرة من القارة أهمها جنوب افريقية وزامبيا وزمبابوى وكينيا وليبيريا وساحل العاج ونيجيريا، أوغندا، سيراليون والكنغو بشقيه.. وبصفة عامةفان المزارع الأوربية الواسعة تتركز فى غرب وجنوب القارة.

أما أهم محصولات هذه المزارع فهى البن والكاكاو ونخيل الزيت والمطاط والموز وهى من المحصولات الاستوائية والقطن والقصب وهما من المحصولات المدارية المطيرة، وكذلك الطباق والشاى فى المناطق المرتفعة المدارية والموالح والكروم فى النطاق المعتدل الدفئ (بحر متوسط)، والفول السودانى فى النطاق المدارى شبه الصحراوى، وان كان قد فشل مشروعه فى تنجانيقا فى الماضى الا انه يزرع وفق النظام التقليدى الافريقى المعدل.

نتاج التفعال بين الانماط الزراعية والبيئة:

يتضح مما سبق أن هناك مجموعة من الأنماط الزراعية هى نتاج لتفاعل الانسان مع البيئة التى يعيش فيها فى مجال النشاط الزراعى، ولكن هذا التفاعل يؤدى فى بعض الأحيان وفى بعض المناطق إلى آثار ايجابية أو سلبية أو هما معا، ومن هنا استلزم رصد هذه النتائج فى الأتى:

النوع الأول : هدم أو تخريب أحد مكونات (عناصر) البيئة أو عدة عناصر، كما يحدث فى الزراعة المتنقلة فى النطاق الاستوائى حيث تؤدى عملية اجتثاث الأشجار أو حرقها إلى تعريض التربة الاستوائية (اللاتريت وأشباهها) الى الانجراف Soil erosion خصوصا من على جوانب المرتفعات، وهى فقيرة أصلا، كذلك فإن حرق الأشجار يؤدى إلى اصابة التربة بالضرر بسبب ارتفاع درجة الحرارة عليها، وقد ينطبق هذا الوضع على المزارع الأوربيه الواسعة الا أن نظام قطع الأشجار بها والزراعة لا يساعدان على تدهور التربة، ويرجع ذلك إلى:

١ ـ الزراعة الواسعة مستقرة غير متنقلة، كما أن نوع المحصولات التى تزرع بها محصولات شجرية (الكاكاو، نخيل الزيت، المطاط.. الخ) وبالتالى فانها مماثلة إلى حد ما للغابة الطبيعية، ومن هنا فإن التربة ليست معرضة تماما للظروف الجوية (خصوصا الأمطار) كما هو الحال فى الزراعة المتنقله لدى الافريقيين حيث تزرع أساسا المحصولات الغذائية.

٢ ـ نظم التسميد والرعاية التى يمارسها الأوربيون فى هذه المزارع الأمر الذى يساعد على الاحتفاظ وتجديد خصوبة التربة بصفة مستمرة./

النوع الثانى: الاستغلال الزراعى مع المحافظة على مكونات (عناصر) البيئة

وخصوصا خصوبة التربة، ويتمثل هذا فى نمط زراعة «الحريق» حيث أن هذا النمط يساعد على ارتفاع نسبة «الدبال» باستمرار كما سبق إشرنا ــ والمحافظة عليها ، ولكننا نلاحظ فى نفس الوقت أن كثرة الحرائق وانتشارها فى موسم الجفاف يؤدى الى تلوث الهواء من ناحية أخرى.

النوع الثالث: تحسين ظروف البيئة أملا فى استغلال أفضل فى مجال الزراعة ويتمثل هذا فى زراعة «الكنتور» أو المصاطب، حتى لو تركت جوانب المرتفعات بدون مصاطب وبدون زراعة لجرفت مياه الأمطار التربة، وبالتالى تصبح عملية الاستغلال الزراعى ضئيلة وغير جيدة. ولكن نلاحظ أيضا وفى نفس الوقت أن ازالة الغطاء النباتى من على جوانب هذه المرتفعات قد يؤدى على المدى الطويل الى تغيير فى مكونات البيئة وبالتالى تدهور بطئ فى نواحى معينة مثل الغطاء النباتى والثروة الخشبية وينعكس ذلك على الظروف المناخية والحيوية الأخرى.

النوع الرابع: يؤدى نمط زراعة الصحراء. بما يواكبه من ادخال نظم رى وزراعة لاتتلاءم مع «المركب» البيئى، إلى مشكلات بيئية واضحة، فاستخدام طريقة الغمر فى الرى يؤدى الى تكون طبقة محلية علي سطح الأرض وارتفاع مستوى المياه الجوفية وبالتالى تدهور التربة والانتاج الزراعى على المدى الطويل، ولذا لابد من استخدام الطرق الملائمة للرى والزراعة.

النوع الخامس: وهو الزراعة المروية الكثيفة فانها بقدر ما هى ذات انتاج زراعى وفير سواء على مستوى الوحده المساحية أو الفرد فان هذا النمط وما يستدعية من إقامة السدود والخزانات المائية لاستخدامها وقت الحاجة، كما حدث فى مصر والسودان وغيرهما، تودى إلى حجز الطمى الخصب (السد العالى فى مصر) وقد انعكس ذلك على ضعف التربة، ونحر قاع النيل والترع

وانهيار الجسور، كما أن التعويض باستخدام المخصبات الكيماوية لتخصيب التربة يودى إلى سلسلة أخرى من المشكلات البيئيه والاقتصاديه هذا فضلاً عن ارتفاع ستوى المياه الجوفيه فى الأرضى الزراعيه والقرى ومن هنا تكون مجموعه من حلقات سلسله البيئه قد انكسرت تماماً

النوع السادس: أما بالنسبة للنظام المطرى فانه يتمشى مع ظروف البيئة الى حد كبير ، حيث تقوم الزراعة على أساس كمية الأمطار سواء قلت أو كثرت، تقدمت أو تأخرت فى السقوط، ولكن المشكلة الملحة فى افريقية هى ذبذبة الأمطار ـ كمية ومدة ـ وبالتالى انعكاس ذلك على الزراعة كما رأينا فى العقدين الأخيرين وبالتالى تدهور الإنتاج الغذائى والتصديرى. وعلى الرغم من أن الانسان كان له دور فى ظاهرة التصحر Desertification إلا أن نقص الأمطار وارتفاع الحرارة على المستوى العام كان له دور أيضا فى انتشار هذه الظاهرة . (أنظر خريطة ذبذبة الأمطار).

النوع السابع وهو النمط الزراعى الأوربى حيث المزارع الواسعة التى تنتج المحصولات النقدية بصفة أساسية من أجل التصدير ، ورغم أن انتاج هذا النوع مرتفع بالنسبة للوحدة المساحيه والفرد إلا أن المردود منه على الاقتصاد الافريقى الوطنى قليل: ذلك لأن الفائدة موجهة أساسا لصالح الشركات الأوربية، كذلك فإن اتجاة المزارعين الافريقيين لزراعة هذا النوع من المحصولات واعتماد الاقتصاد الافريقى الوطنى على سلعة واحدة للتصدير one crop economy يؤدى الى تدهور الاقتصاد الوطنى اذا ما حدثت هزة فى أسعار السوق العالمى بالنسبة لهذه السلعة (الكاكاو، البن ، زيت النخيل، المطاط .. الخ) ويضاف إلى ذلك أن جذب العمال الأفارقة من أعمالهم الأصلية للعمل فى هذه المزارع الأوربية بسبب ارتفاع الأجور نسبيا ينعكس على قطاعات الاقتصاد الافريقى الأخرى.

التغير والثبات فى علاقة الأنماط الزراعية بالبيئة.:

من المعروف أن الجغرافيا فى التحليل الأخير تدور أساسا حول العلاقات المتبادلة بين الإنسان والبيئة التى تعيش فيها Inter relationship بين العوامل البشرية والظروف الطبيعة. وهذا التفاعل مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ولكن نظرا لأنه ليس هناك ثبات أصيل ودائم فى مفردات هذه العلاقة المتبادلة أو هذا التفاعل فإن الناتج النهائى يختلف من زاويتين:

الأول: اختلاف زمنى، من فترة زمنية إلى أخرى.

الثانى: اختلاف مكانى وفقا لشخصية المكان وظرووفه الطبيعية والبشرية.

وفى مجال دراسة الأنماط الزراعية فى افريقية وعلاقتها بالبيئة فإننا يمكن أن نحدد المعايير أو الأسس التى يقوم عليها هذا التفاعل، وهى نوعان:

الأول: الظروف الطبيعية التى غالبا ما تكون أقرب إلى الثبات متمثلة فى التكوين الصخرى والتضاريس والحرارة والأمطار والغطاء النباتى والتربة.

الثانى: الظروف البشرية التى هى غالبا ما تكون أقرب إلى التغير المستمر وتتمثل فى الإنسان من حيث إلارث الحضارى، والعدد السكانى، ومدى التقدم التقنى الذى يحرزه هولاء السكان باستمرار، بالإضافة الى خدمات النقل والمواصلات، ورأس المال، وانتهاء بالنظام الاقتصادى والسياسى السائد.

فبالنسبة للظروف الطبيعية السائدة فى افريقية، فإنه رغم الثبات النسبى لها، إلا أننا نستطيع أن نتبين ذبذبات وتحولات، وأوضح مثال على ذلك ذبذبة الأمطار ونقصها التى حدثت خلال السبعينيات والثمانينيات، الأمر الذى انعكس أثره على الزراعة والرعى فى القارة الافريقية، وظهور ظاهرة التصحر Deser-tification التى حدثت بشكل واضح فى نطاق «الساحل» الافريقى، ورغم أن

الظروف البشرية كان لها تأثيرا فى هذه الظاهرة إلا أن العامل الطبيعى (الأمطار) كان هو الأساس.

كذلك فإن متوسطات الحرارة تتغير من عام إلى آخر وفقا لعوامل منها ما هو أرضي ومنها ماهو كوني، وينعكس هذا أيضا على الغطاء النباتى الطبيعى والتربة وبالتالى على أنماط الزراعة فى افريقية.

أما بالنسبة للعوامل البشرية فى أفريقيا فقد حدث فيها تغيير واضح سواء من حيث عدد السكان (العدد الآن حوالى ٦٦٥ مليونا) أو التقدم التقنى الذى كان التقدم فيه بطيئا لا يتناسب مع التطور العددى أو التقدم الهائل والسريع فى مستحدثات العصر، وحتى مع هذا التقدم النسبى الضئيل فقد كان أثره على البيئة مدمرا من حيث التلوث وحرق الغابات والحشائش واجتثاثها خصوصا فى ظل التزايد العددى الرهيب فى السكان وكان لهذا أثره على وضوح ظاهرة التصحر كما سبق أن أشرنا.

أما بالنسبة للنقل والمواصلات فقد حدث تطور ضئيل وما زالت الحاجة ماسة إلى رأس المال المحلى والخارجى من أجل تدعيم البنية الأساسية وبالتالى الاتجاه نحو تنمية الموارد المحليه، وخصوصا الزراعة والرعى والتعدين.

أما بالنسبة للنظام الاقتصادى والسياسى فإن قارة أفريقيا قد شهدت خلال العقود الثلاثه الأخيرة تغيرات وتقلبات واضحة وقد انعكس أثر هذا التغير وعدم الاستقرار على ضعف معدلات التنمية فى جميع المجالات رغم وجود بعض الاستثناءات على مستوى القارة، ويكفى أن نذكر أن معظم الدول الافريقية تدخل فى عداد الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط المنخفض (انظر تقرير البنك الدولى ـ تقرير التنمية فى العالم لعام ١٩٨٨.

ملحـــق

انتاج أهم المحصولات فى الأنماط الزراعية (بالألف طن مترى)

الأنماط الزراعية المحصولات والدول	١٩٨٦	١٩٩٠	الأنماط الزراعية المحصولات والدول	١٩٨٦	١٩٩٠	ملاحظات
(١) زراعة بحر متوسط:			**الليمـــون**	٥٣٥١	٦٦١٨	
الكروم			العالم	٤٠١	٤٧٨	
العالم	٦٦٩٩٠	٥٩٩٤٣	افريقية	١٥٤	٢٤٠	
افريقية	٢٦٣٤	٢٨٢٧	جنوب افريقيا	٦٢	٤٥	
جنوب افريقيا	١٥٢٠	١٤٦٣	السودان	٥٢	٥٢	
الجزائر	٤٦٥	٣٦٣	كينيا	٣٠		
مصر	٣٣٠	٥٨٠	**القمح**			
المغرب	١٧٠	٢٣٢	العالم	٥٣٥٨٤٢	٥٩٥١٤٩	
البرتقـال			افريقية	١١٥٤٧	١٤٠٣٢	
العالم	٤١٤٣٨	٥٢٢١٦	المغرب	٣٨٠٩	٣٧١١	
افريقية	٣٥٠٤	٣٦٦٠	جنوب افريقية	٢٠٣٤	١٧٩٤	
مصر	١١٧٠	١٤٢٠	مصر	١٩٢٩	٤٢٦٧	
المغرب	٨٤١	٧٧١	الجزائر	١٤٤٥	٧٥٠	
جنوب افريقية	٥٣٥	٥٢٠	**الزيتون**			
الجزائر	٢٢٠	١٧٧	العالم	٩١٤٨	٩٢٢٨	
تونس	١٥٦	١٤٠	افريقية	١٢٤٨	١٠١٩	
			المغرب	٣٣٠	٣٥٠	
			تونس	٦٥٠	٣٢٠	

الأنماط الزراعية المحصولات والدول	١٩٨٦	١٩٩٠	الأنماط الزراعية المحصولات والدول	١٩٨٦	١٩٩٠	ملاحظات
الجزائر	١٤٠	١٧٩	افريقية	١٣٦٠	١٢٠٤	
ليبيا	١٢٠	١٢٥	كوت ديفوار	٢٨٠	٢١٩	
(٢) زراعة استوائية:			اثيوبيا	٢٢٥	١٩٥	
الكاكاو			كينيا	١٢٥	٩٠	
العالم	٢٠٠٢	٢٣٩٨	الكمرون	١٢٢	١٠٠	
افريقية	١٠٦١	١٢٦٣	أوغندا	١٩٥	١٦٨	
كوت ديفوار	٥٢٠	٧٠٠	**المطاط البرى**			
غانا	٢٤٠	٢٤٥	العالم	٤٣٧٢	٥١٠٨	
نيجيريا	١٢٥	١٥٥	افريقية	٢٤٩	٢٨٦	
نخيل الزيت			ليبيريا	٩٠	٧٠	
العالم	٨٢٢٧	١١٠٨٤	نيجيريا	٦٠	٨٠	
افريقية	١٤٩٧	١٧٦٢	كوت ديفوار	٤٨	٧٤	
نيجيريا	٧٦٠	٩٠٠	زائير	٢٣	٢٠	
كوت ديفوار	١٨٠	٢١٤	**الكسافا**			
زائير	١٦٠	١٨٠	العالم	١٣٧٣٩٧	١٥٧٦٥٦	
الكمرون	٨٥	١٠٨	افريقية	٦٠٨٥٠	٧٣٣٠٧	
البن			زائير	١٥٥٧٠	١٧٥٠٠	
العالم	٥١٨٨	٥٩٦٤	نيجيريا	١٤٧٠٠	٢٦٠٠٠	

الأنماط الزراعية المحصولات والدول	١٩٨٦	١٩٩٠	الأنماط الزراعية المحصولات والدول	١٩٨٦	١٩٩٠	ملاحظات
			الذرة الرفيعة			
تنزانيا	٥٥٠٠	٥٥٠٠	العالم	٣٠٨٠٠	٢٩٨١٧	
أوغندا	٥٠٠٠	٣٢٠٠	افريقية	١١٧٤٣	٩٠٦٦	
(٣) زراعة مدارية مطيرة:			نيجيريا	٣٧٨٠	٤٠٠٠	
قصب السكر			النيجر	١٣٨٣	١١٣٣	
العالم	٩٣٢١٧٨	١٠٣٥٠٩٦	مالى	١٢٨٤	٦٩٥	
افريقيا	٧٢٨١٩	٧٢٩٨٢	بوركينا فاسو	٦٨٧	٥٩٧	
جنوب افريقية	٢٠٥٠٠	١٨٧٠٠	السنغال	٧٠٣	٥١٤	
مصر	٩٤٥٠	١١١٤٣	المـــوز			
موريشيس	٦١٣٠	٥٥٤٨	العالم	٤١٢٩٩	٤٥٨٤٥	
السودان	٥٢٠٠	٤٣٠٠	افريقية	١٥٩٣	٦٢١٠	
القطـــن			بوروندى	١٢٦٠	١٦٠٨	
العالم	١٥٠٤٨	١٨٤٥٧	تنزانيا	١١٠٠	١٣٨٠	
افريقية	١٢٨٨	١٣١٧	أوغندا	٤٤٠	٤٩٠	
مصر	٤٣٤	٣٣٠	زائير	٣٣٥	٤٠٤	
السودان	٧٠	١٢٥	(٤) مدارى مطير(مرتفعات)			
مالى	٧٠	٩٧	التبغ (الطباق)			
زمبابوى	٦٩	٧٩	العالم	٦١٠٩	٦٦٣٤	
			افريقية	٣٣٩	٣٦٧	

الأنماط الزراعية المحصولات والدول	١٩٨٦	١٩٩٠	الأنماط الزراعية المحصولات والدول	١٩٨٦	١٩٩٠	ملاحظات
زمبابوى	١١٨	١٣٩	**السمسم**			الأجزاء شبه
مالاوى	٧١	٩١	العالم	٢٣٨١	٢٠١٤	
جنوب افريقية	٣٩	٣٤	افريقية	٦٢١	٣٩٦	
تنزانيا	١٢	١٥	السودان	٣٠١	٦٦	
الشـــاى			نيجيريا	٧٦	٧٠	
العالم	٢٢٩٨	٢٥٢٢	الصومال	٤٥	٥٠	
افريقية	٢٦٧	٣٢٣	أوغندا	٤٣	٤٦	الجافة
كينيا	١٤٠	١٩٧	اثيوبيا	٣٧	٣٨	
مالاوي	٤٢	٣٩	**الشعـــير**		٠	
زمبابوى	١٦	١٧	العالم	٧٥٥٢٧	٧١٤٩٣	
موزمبيق	١٥	٢	افريقية	٤٥٠٦	٥٣٢٣	
(٥) شبه الصحراوى:			المغرب	٢٤٩٩	٢٤١٥	
الفول السوادنى			الجزائر	٦٧٤	١٠٦٠	
العالم	٢١٥١٢	٢٢١٠٩	اثيوبيا	٩٠٠	٩٥٠	
افريقية	٤٤١٠	٤٧٦٥	ليبيا	١٣٥	١٣٨	
مالاوى	١٨٠	١٨٠	تونس	١٥١	٥٨٠	
بوركينا فاسو	١٥٢	١٤٠	المصدر:			
افريقية الوسطي	١٤٢	١٠٠	الأجزاء			FAO Production yeaar Book, Rome 1987 & 1991
الكمرون	١٤٠	١٠٠	الشمالية			
غـــانا	١٢٩	١٨٠				

المصـــــادر

1- Hodder, B.W. : Economic Development in the Tropees.

2 - Michie, W.D. &Peoples of Central Africa, 1985.

3 - Mountjoy, A.B. &Hilling, P. : Africa: Geography and Dve- lopment, 1988.

4 - Ominde, S.H. (editor): Studies in East African Geography and Development, 1977.

5 - Turner, H. : Africa, a New Study Geography, 1985.

6 - Turner, H. : Africa South of The Sahara, 1986,

7 - Wrigley, G. : Tropical Agricultlure

مراجــــع

(١) راجع كتاب Mountjoy & Hilling انظر قائمة المصادر ص ٣٤ ـ ٣٧.

(٢) (Jeune Afrique Atlas, P. 62)

راجع تركيب الانتاج فى افريقية ـ جدول ٤٧ ص ٤٢٦ من كتاب:

Alan Mountjoy & David Hilling : Africa Geoggraphy and Development.

وكذلك التركيب الحرفى فى افريقية سنة ١٩٦٦/٦٥ جدول (٦) ص ٦٩ نت تفس الكتاب.

(٣) (Montjoy & Hilling, P. 65-67)

(٤) انظر خرائط توزيع الامطار وكثافة السكان.

الصناعة

أ. د/ السعيد إبراهيم البدوى

القاهرة

١٩٩٧

الصناعة

مازالت معظم الصناعات فى افريقيا مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالحرف الاستخراجية Extra otive activities حيث ترتبط بالعمليات الاستخراجية سواء فى التعدين أو الغابات أو صيد الأسماك، وتمثل جمهورية جنوب افريقيا حوالى ٥/١ الانتاج الصناعى فى افريقيا كلها، وفى نفس الوقت تعتبر الدولة الافريقية الوحيدة التى يعتمد بناؤها الاقتصادى على القطاع الصناعى، كذلك نلاحظ أيضا أنه فى بعض دول شمال أفريقيا وخصوصا فى مصر والجزائر والمغرب يشتغل عدد كبيز من السكان فى الحرف الصناعية سواء بالحرف التقليدية اليدوية Hand erafts أو الصناعات الحديثة التحويلية Recentindustries وكذلك نلاحظ أن زيمبابوى تعتبر من الدول التى بدأت فيها بدايات صناعية وخاصة بين الدول المدارية التى تنخفض بها نسبة التصنيع ـ كذلك هناك بعض الدول الأخرى داخل النطاق المدارى التى تقوم فيها صناعات تجهيزية، وخاصة تجهيز المعادن تمهيداً لتصديرها إلى الخارج وكذلك تجهيز المنتجات الزراعية قبل عملية التصدير، ولاشك أن هناك عوامل كثيرة لعبت دوراً كبيراً فى تأخير التنمية الصناعية فى القارة الافريقية وأهم هذه العوامل مايلى:–

(١) نقص الخبرة الفنية :-

وقد أشرنا الى ذلك عند الحديث عن الملامح الاقتصادية للقارة الافريقية، ويرجع هذا النقص إلى عوامل كثيرة: أهمها: انتشار الأمية على نطاق واسع، بالاضافة الى ان الشركات الاجنبية التى تستغل الموارد الاقتصادية في القارة حرصت كل الحرص على عدم تكوين كوادر فنية يمكنها القيام بالتصنيع فى القارة.

(٢) نقص رأس المال :-

ويرجع هذا الى عوامل كثيرة أهمها :- ان معظم المواد الخام تصدر كمواد، وبالتالى تكون اسعارها منخفضة اذا ما قورنت بأسعار السلع الصناعية المستوردة من الخارج.

(٣) ان السوق الداخلى محدود :- وخصوصا فى القوة الشرائية وليس القوة العددية.

الأمر الذى لا يساعد على وجود انتاج صناعى ذا حجم كبير Mass Pro-ductiun وبالتالى تقل تكلفة الوحدة المصنوعة وبالتالى تستطيع المنافسة للسلع المصنعة والمستوردة من الخارج.

(٤) العادات والتقاليد السائدة :-

أو بمعنى أدق الجو غير الصناعى السائد فى القارة الافريقية حيث ان الحرف الأولية هى التى يقبل عليها السكان بشكل واضح نتيجة للمرحلة الحضارية التى يمر بها هؤلاء السكان، وبناءاً على ما سبق فإننا نلاحظ أن عدد الذين يعملون فى الصناعة بالقارة عدد محدود إذا قورن بالأعداد التى تعمل فى الحرف الاخرى كذلك نلاحظ أن مساهمة الانتاج الصناعى فى الانتاج القومى محدود Gross Domestic Production = (الناتج القومى).

كذلك نلاحظ أيضاً أن مساهمة الانتاج الصناعي في الصادرات الافريقية محدود للغاية هذا فى حين أننا نجد أن الصناعات تكون نسبة عالية من الواردات الافريقية القادمة من الخارج بل إن هذه المصنوعات التى تأتى من الخارج تُكوّن البند الاول فى الواردات الافريقية ولاشك ان القطاعات الاقتصادية Economlc Sectors تختلف من دولة لأخرى وفقا لمدى التقدم الذى وصلت إليه هذه الدولة ـ وكذلك وفقا لهذه الموارد المتاحة فى داخل كل دولة.

وعلى سبيل المثال نلاحظ أن الصومال تعتبر الثروة الحيوانية بها القطاع الاقتصادى الرئيسى. هذا فى حين أن السودان تكوّن الزراعة فيه القطاع الاقتصادى الرئيسى، وفى مقابل ذلك نجد أن زامبيا أو زائير يكون الانتاج المعدنى الاستخراجي يعد الاقتصاد الرئيسى، وكذلك الحال فى ليبيا حيث يكون البترول عمادا اقتصاديا.

وهناك بعض الدول ذات الاقتصاد المتوازن - وعلى رأس هذه الدول جمهورية جنوب أفريقيا وهناك بعض الدول الاخرى التى بدأت فيها الصناعة تنمو وخصوصا فى مصر والجزائر والمغرب.

وكما يذكر برتشرد Prichard, Africa, astudy geography For advanced studends 1979.

تعتبر القارة الافريقية المحطة الاخيرة فى التطور الصناعى ويعتبر اللاندسكيب الافريقى ريفى الطابع عدا أجزاء من جنوب افريقيا حيث لا توجد أقاليم يبدو فيها الدخان الذى يؤدى الى السواد كما هو الحال فى أوربا أو أمريكا، وأن المناطق الصناعية فى القارة متناثرة ومخطط لها جيداً وتقع خارج المدن الكبرى.

ويذكر أيضا أن نمو وتوطن الصناعات الحديثة فى افريقيا يعتمد على عوامل عديدة منها :-

توفر الفحم والبترول والطاقة الكهربائية المولدة من المياه، وكذلك الأيدى العاملة ذات المهارة المتقدمة وامكانية الوصول إلى الاسواق الكبيرة ذات القدرة الشرائية، ووجود شبكة نقل ذات كفاءة لكى تخدم الأسواق ووجود المواد الخام بمعدلات اقتصادية مناسبة.

اذا ما استثنينا منطقة الترنسفال فإننا لانجد نوعاً من الترابط (التجمع) لوجود الحديد مع الفحم، وكذلك وجود بعض المعادن المفيدة الاخرى. حيث أن كل هذا يؤدى إلى وجود صناعة ثقيلة للحديد والصلب.

هذا بالرغم من أن نيجيريا خطت خطوات متقدمة لصناعة الصلب وكذلك مصر التى تنقل المواد الخام لمسافات طويلة.

ولهذا فقد لعبت القارة الافريقية دور المورد للمعادن إلى الدول الصناعية المتقدمة ومازالت عمليات تجهيز المعدن فى مراحلها الأولى فى أفريقيا وتنتج قارة أفريقيا ١٪ فقط من الحديد الزهر و ١٪ فقط من الصلب الخام، ٣٪ فقط من الرصاص والزنك بالنسبة للإنتاج العالمى، وفى نفس الوقت فإن افريقيا مع ذلك تعتبر المنتج الكبير الثالث بالنسبة للنحاس وبعد الولايات المتحدة وشيلى .. وفى نفس الوقت تملك رواسب غنية من المعادن الحيوية التى تهم الاقتصاد العالمى :-

الماس ٨٠٪ من الانتاج العالمى

الذهب ٦٦٪ « « «

المنجنيز ١٨٪ « « «

الكروميت ٣٣٪ « « «

كما ان انتاجها من البوكسيت قد تزايد من ٢٪ سنه ١٩٥٧ الى حوالى ٧٪ فى الوقت الراهن.

ويشير بريتشارد إلى أن جنوب أفريقيا تعتبر الدولة الوحيدة التى تتميز بالتقدم الصناعي علاوة على بعض المناطق المتناثرة كما هو الحال فى نيجيريا وزائير وفي الجزائر وليبيا -كما يشير أيضا الى انتاج الكهرباء المولدة من المياه التى بدأ استغلالها فى القارة والتى تعتبر أفريقيا من القارات الهامة التى تختزن امكانيات هائلة من هذا لمصدر تصل الى حوالى ٢٣٪ من احتياطى العالم فى هذا المصدر.

ويشير بريتشارد فى نفس الوقت الى أن القارة تعتبر القارة الاخيرة التى لم تمسح مسحاً جيولوجيا دقيقاً حتى الآن وبالتالى فان هناك امكانيات كثيرة

مازالت لم تكتشف بعد داخل هذه القارة الافريقية ثم يشير الى فحم باعتباره من دعائم الصناعة ويوزع هذا المعدن فى المناطق المنتجة له فى قارة افريقيا وخاصة فى جمهورية جنوب افريقيا وفى زيمبابوى، وأيضا فى نيجيريا- كذلك يشير الى البترول باعتباره من مصادر الطاقة الأساسية فى الدول المنتجة وخاصة في الجزائر ونيجيريا ومصر والجابون وتعتبر مراكز تكرير البترول من الصناعات الأساسية فى قارة أفريقيا. وتوجد خامات مختلفة بالقارة أهمها النحاس والحديد والذهب والقصدير والماس ومن ثم قامت بعض بعض الصناعات الاستخراجية وكذلك الصناعات الاخرى المتمثلة في صناعات الأخشاب وخاصة فى منطقة غرب ووسط أفريقيا، أما عن مستقبل التصنيع في القارة الافريقية فإنه ليس هناك من شك فى أن القارة تلعب دوراً كبيراً كمصدر أساسى من مصادر الطاقة والمعادن على مستوى العالم، ومثال ذلك انه فى عام ١٩٦٠ كان انتاج القارة من البترول ١٪ من الانتاج العالمى لكنه وصل الان الى حوالى ١١٪ وتستورد قارة اوربا حوالي ٣٠٪ من بترولها من القارة الافريقية أن القارة يوجد بها احتياطى بترولى يصل إلى ما هو موجود في الاتحاد السوفيتى وشرق اوربا والصين مجتمعة- وأكثر من ذلك فان انخفاض نسبة السلفور فى البترول الافريقى يجعله أكثر أهمية بالنسبة للسوق العالمى عن بترول الشرق الأوسط.

كذلك فان أفريقيا تتميز بوجود الغاز الطبيعى على نطاق واسع وتعتبر الجزائر المصدر الأول الهام لهذا المعدن، كما أن تدفق الغاز بدأ فى مصر فى العقد الأخير.

ومن المتوقع أن يصبح الغاز الطبيعى المصدر الاساسى للعمله الاجنبية فى اكثر من البترول -حيث يصدر الغاز الطبيعى المسيل (السائل) Liquified إلى الولايات المتحدة وأوربا ويكون هذا الغاز حوالى ٨٪ من مجموع الغاز الطبيعى الذي يدخل فى التجارة الدولية، وعلى الرغم من أن نسبة الاحتياطى من الفحم ضئيلة على مستوى القارة وهى حوالى ١٪ إلا أن أسعاره فى افريقيا لاتزال منخفضة.. ولهذا فانه يمكن أن يكون من المعادن الأساسية التى يمكن أن

تصدر الى الخارج- أما بالنسبة للطاقة النووية فان جمهورية جنوب افريقيا تمتلك الاحتياطى الثانى الضخم على مستوي العالم من اليورانيوم ويمكن أن يغطى هذا الاحتياطى ثلث احتياجات العالم كله.

وفيما يلى نبذة عن كل من الصناعة الأولية (الاستخراجية) والصناعة التحويلية

أولا: الصناعة الاستخراجية :

الانتاج المعدنى

ترتبط الثروة المعدنية ارتباطا وثيقا بالتكوين الصخرى للقارة الافريقية حيث نجد أن الضخور الاركية القديمة تضم المعادن الفلزية مثل الذهب والنحاس وغيرها.

اما الصخور الحديثة فانها تضم المعادن اللافلزية مثل البترول والفوسفات وغيرهما وبناءا على ذلك فان القارة الافريقية نظراً لانها تكونت اساسا من الصخور الاركية القديمة فان معظم المعادن الموجودة بها معادن فلزية وتفتقر للمعادن اللافلزية Non-Metalic وان كانت هذه المعادن اللافلزية تتركز بوضوح على هوامش القارة الافريقية التى تكونت فيها الصخور الحديثة ويأتى التعدين فى المرتبة الثانية بعد الزراعة من الأنشطة الاستخراجية Extractive من حيث قيمة الانتاج، ويشتغل فى هذا القطاع اكثر القطاعات الاقتصادية الافريقية تنظيما وتركيزا على رأس المال فى كل فروع الاقتصاد النقدى، وقد بدأ هذا النشاط التعدينى فى القارة منذ زمن بعيد ولكنه اخذ قيمته الاقتصادية على نطاق واسع منذ ان دخل الاستعمار الاوربى الى القارة الافريقية.

ومن ناحية أخرى فان هذا النشاط التعدينى لايتوزع توزيعا منتظما على جميع ارجاء القارة اذ انه يتركز بصفة عامة فى الجزء الجنوبى والاوسط من افريقيا، وكذلك على الهوامش الشمالية وبقع صغيرة فى غرب افريقيا.

اما بالنسبة للاجزاء الشرقية والغربية والجزء الاوسط الغربى فان هذا النشاط ضئيل الى حد كبير والدليل علي ذلك اننا نلاحظ ان حوالى ثلاثة اربا ع القيمة الكلية من الانتاج المعدنى الافريقى يتركز في كل من جمهورية جنوب افريقيا وناميبيا وزيمبابوى وزامبيا وزائير، وتكون جنوب افريقيا وحدها حوالى ٥،٢ من القيمة الكلية من الانتاج المعدنى فى افريقيا.

اما بالنسبة لافريقيا ككل فان الانتاج المعدنى يصل الى حوالى ٣٦٪ من القيمة الكلية للصادرات وفى افريقيا المدارية تكون هذه القيمة حوالى ٣٠٪ فقط.

وتساهم افريقيا فى الخامات المعدنية والمعادن الخرده Scrap بنسبة لابأس بها فى الصادرات العالمية.. وفيما يلى بعض الامثلة التى توضح اهمية افريقيا في هذا المجال:-

(١) النحاس

يعتبر النحاس من المعادن الهامة التى تعدن فى القارة الافريقية ويمثل النحاس المركز الثانى فى الصادرات الافريقية بعد البترول، وهناك دول كثيرة تنتج هذا المعدن وخصوصا دولة زامبيا التى يوجد فيها النحاس على شكل نطاق Belt ويعتبر هذا النطاق امتداداً لمخزن المعدان الموجودة فى شابا، وتحتل زامبيا المركز الثالث فى انتاج النحاس بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى إذ تنتج حوالى ١٣٪ من الانتاج العالمى، ونسبة النحاس فى الخام مرتفعة تتراوح مابين ٣ . ٥ ويضاف إلى ذلك أن المنطقة تحتوى على احتياطى ضخم من هذا الخام.

أما بالنسبة لزائير فانها تنتج حوالى ٦٪ من الانتاج العالمى أي نصف انتاج زامبيا تقريبا، ولذلك فانها تأتى في المرتبة السادسة فى انتاج النحاس على مستوى العالم ويتركز الانتاج كما سبق ان أشرنا فى منطقة شابا على شكل نطاق يبلغ طوله حوالى ٣٠٠كم فى اقصى الجنوب الشرقى من زائير، ومعنى ذلك ان الموقع يشكل عقبه أمام تصدير هذا المعدن الأمر الذى أدى الى انشاء خط السكة الحديد الذى يصل من هذه المنطقة إلى لوبيتو فى أنجولا على الساحل الغربى والي بييرا (فى موزمبيق) على الساحل الشرقى فكان لهذا الخط الحديدى أثره الواضح على زيادة الصادرات سواء من شابا أو من نطاق النحاس في شمال زامبيا، ولكن قبل استقلال كل من أنجولا وموزمبيق كانت هناك اضطرابات بالنسبة لعملية التصدير خصوصا وان زامبيا وزائير استقلتا قبل استقلال هاتين الدولتين يضاف الى ذلك ان هذا الخط المتجه نحو المحيط الهندى كان يمر عبر روديسيا التى كانت تسيطر عليها العناصر البيضاء قبل استقلال هذه الدولة التى اصبح اسمها فيها بعد زيمبابوى.

وبجانب زامبيا وزائير تنتج ايضا زيمبابوى وجمهورية جنوب افريقيا كميات من النحاس. ويلاحظ على انتاج النحاس فى القارة الافريقية انه يرتبط ارتباطا وثيقا بالتكوين الصخرى القديم إذ أن النحاس من المعادن الفلزية.

(٢) البوكسيت

وهو من الخامات التى تنتشر على نطاق واسع في القشرة الأرضية ولكن استغلال هذا الخام وتحويله الى معدن الالوميت ثم الالومنيوم ظل حتى وقت قريب سراً مغلقا الى أن توصل الى ذلك احد العلماء واستطاع ان يستخلص المعدن من الخام ولكن ليس كل منطقة فيها هذا الخام يمكن أن تستخلص المعدن وهذا يرجع إلى أن عملية الاستخلاص تحتاج الى الكهرباء الرخيصة بشكل واضح ومن ثم فقد ارتبط استخلاص هذا المعدن بوجود الكهرباء الرخيصة.

وبناءًا على ذلك فقد دخلت افريقيا فى مجال الانتاج الحديث واهم الدول المنتجة غينيا حيث تقع مناطق الانتاج فى الداخل بعيدا عن كوناكرى العاصمة.

كذلك يوجد الخام فى الجزر الساحلية المجاورة خصوصا كاسا Kassa وقد استغل الخام اعتمادا على الكهرباء المولدة من الانهار التى تهبط من منطقة هضبة فوتا جالون نحو المحيط الاطلنطى.

كذلك يوجد البوكسيت فى غانا على شكل نطاق ممتد من الساحل الى الداخل وأهم ما فى مناطق هذا الخام تلك التى تقع الى الغرب من كوماسى وقد استغل المعدن أيضا نتيجة لتوليد الكهرباء من سد الفولتا الذى اقيم على هذا النهر وينقل بالسكة الحديد الى ميناء تاكورادى من اجل التصدير.

(٣) القصدير

عرف القصدير منذ فترة طويلة من الزمن لصناعة البرونز، وتعتبر منطقة افريقيا الوسطى أهم مناطق انتاج القصدير فى افريقيا وخصوصا فى زائير ورواندا بالاضافة الى نيجيريا حيث تنتج هذه المنطقة حوالى ٩٪ من الانتاج العالمى ولكن يلاحظ ان هذا الخام يصدر كما هو دون تصنيع فى الداخل.

(٤) الفوسفات

وهو من المعادن اللافلزية ولذلك فان وجوده يرتبط ارتباطا وثيقا بالصخور الرسوبية الحديثة، وينتشر على نطاق واسع فى القشرة الارضية، ويتركز انتاج الفوسفات فى افريقيا فى منطقة المغرب خصوصا فى المملكة المغربية وتونس حيث يكونان حوالى ١٧٪ من الانتاج العالمى، وتنتج المملكة المغربية وحدها حوالى ١٣٪ وهى بهذا تحتل المرتبة الثالثة بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى.

كذلك تنتج مصر كميات لاباس بها ومن الملاحظ ان احتياطى المغرب يشكل نسبة عالية من احتياطى العالم.

(٥) الفحم

افريقيا فقيرة فى انتاج الفحم ولكن توجد مصادر اخرى للطاق اهمها البترول والطاقة الكهربائية المولدة من المياه، وتعتبر جمهورية جنوب افريقيا أعظم الدول الافريقية فى انتاج الفحم، وقد زاد انتاجه في السنوات الاخيرة حتى وصل الانتاج الي مايقرب من ٥ .٢٪ من الانتاج العالمى، وتساهم الترانسفال بأكثر من نصف الانتاج فى هذه الدولة ويوجد اهم الحقول بالقرب من جوهانسبرج الى الشرق من ناتال، وسمك الخام هنا كبير لدرجة واضحة، وهو من النوع البتومينى الجيد وبالتالى فانه يصلح لاستخراج الكوك منه والذى يعتبر من الخامات الضرورية لصناعة الحديد والصلب، ولذلك قامت فى منطقة جوهانسبرج صناعة متقدمة تعتمد على هذا الفحم وهى صناعة الحديد والصلب التى تتركز بالاضافة الى جوهانسبرج فى بريتوريا وغيرها.

كذلك توجد التكوينات الفحمية في ناتال على حافة وراكزبرج ويستخرج الفحم هنا حول مدينة نيوكاسل الواقعة الى الشمال الغربى من ميناء دربان بحوالى ٤٠٠ كم، وتمتاز مناجم نيوكاسل بفحم الكوك الجيد الذى يخلط بفحم الترانسفال، كذلك نجد الفحم فى روديسيا (زيمبابوى) حيث يوجد على نطاق

واسع فى حقل وانكى ولهذا الحقل أهمية كبيرة حيث قامت على الفحم صناعة الحديد والصلب لحديثة فى مدينة كويكى Queque التى تقع فى الجـزء الاوسط من زيمبابوى.

كذلك يوجد الفحم فى نيجيريا حيث يوجد فى حقل صغير في منطقة إنوجو الواقعة على الخط الحديدى شمال ميناء بورت هاركورت Harcourt.

وكما أن أفريقيا ذات انتاج ضئيل من الفحم فانها ايضا لاتحوى من الاحتياطى الا كميات ضئيلة لاتزيد عن ٥ . ١٪ فقط من الانتاج العالمى.

(٦) البترول

يعتبر البترول من المعادن الرئيسية التى تنتجها افريقيا، ويرتبط وجود البترول بوجود الصخور الرسوبية الحديثة ولذلك فانه يتركز فى الاجزاء الهامشية من القارة وقد زاد انتاج افريقيا من البترول فى خلال العقد الماضى (السبعينيات) على وجه الخصوص حيث انضمت الى مصر وليبيا والجزائر دول أفريقية اخرى هى نيجيريا وجابون وانجولا ورغم التقليات العالمية في الأسعار والتى تنعكس بدورها على كميات الانتاج البترولية فاننا نلاحظ انه فى الفترة الاخيرة زادت معدلات الانتاج بشكل واضح واهم مناطق الانتاج هى ليبيا والجزائر ونيجيريا وجابون وانجولا بالاضافة الى مصر.

ومن الملاحظ على انتاج البترول فى دول شمال افريقيا أنه يتركز فى المناطق الصحراوية والتى كانت فى الماضى جزءا من بحر التتش القديم وعن الارسابات البحرية والبرية فى هذا البحر الضحل تكون خام البترول.

كذلك نجد أن بترول نيجيريا يتركز فى الاجزاء الهامشية الساحلية منها خصوصا فى الجزء الجنوبى الشرقى من هذه الدولة.

لذلك نجد البترول فى جابون وفى أنجولا، وقد عرض البترول نقص الفحم فى القارة الافريقية ولكن من الملاحظ ان معظم البترول يصدر على هيئة مادة خام دون الاستفادة الاقتصادية المرجوه من هذا المعدن الحيوى الهام.

وبجانب المعادن السابقة فان افريقيا تنتج كميات كبيرة من معادن اخرى بل قد تحتل المرتبة الاولى بالنسبة لهذه المعادن حيث نجد ان قارة افريقيا تساهم بحوالى ٧٠٪ من الانتاج العالمى من الذهب الذى يتركز فى جمهورية جنوب افريقيا التى تنتج حوالى ٧١٪ من الانتاج العالمى باستثناء الدول الشيوعية.

كذلك نجد أن افريقيا تكاد تحتكر انتاج الماس على مستوى العالم حيث تنتج حوالى ٩٣٪ من الماس الذى يستخدم فى الزينة، ٩٨٪ من الماس الذى يستخدم فى الصناعة.

ايضا تنتج افريقيا كميات ضخمة من اليورانيوم الاستراتيجى الهام ويتركز الانتاج في منطقة شابا التى تنتج وحدها حوالى نصف الانتاج العالمى هذا بالاضافة الى جمهورية جنوب افريقيا وجابون.

ومن الملاحظ ان انتاج اليورانيوم يرتبط بانتاج الذهب، ولكننا فى نفس الوقت لابد أن نلاحظ ان الاحصائيات الخاصة بمثل هذه المعادن الاستراتيجية غير حقيقية لان الشركات الاجنبية التى تقوم بالانتاج تخفى حقيقة الاوضاع بالنسبة لهذا المعدن وغيره من المعادن المماثلة.

كما نجد أن المنجنيز يوجد فى القارة بشكل لابأس به حيث تساهم افريقيا بحوالى ٢٠٪ من الانتاج العالمى، وتكاد تحتكر غانا هذا الانتاج اذ انها مع جابون تصدر حوالى ثلث الصادرات الافريقية، ومن المعروف أن هذا المعدن له أهمية كبيرة فى صناعة الحديد والصلب.

وبالإضافة الى كل ماسبق فان افريقيا غنيه فى خام الحديد حيث تنتج حوالى ٨٪ من خام الحديد العالمى وتشير الدلائل الى أن القارة الافريقية سوف يزداد انتاجها من هذا المعدن الهام واكبر الدول انتاجا للحديد هى ليبيريا وجمهورية جنوب افريقيا وموريتانيا وكذلك يوجد فى انجولا وفى سيراليون وفى الجزائر وغينيا ومصر.

والخام الافريقى من الخامات الجيدة حيث يترواح المعدن فى الخام مابين ٥٢٪ الى ٦٦٪ كما ان نسبة الشوائب من الكبريت والفسفور منخفضة كما ان معظم الخام ينتج عن طريق الفتحات المكشوفة نظرا لوجود هذا الخام على سطح الارض، وبالتالى يقلل هذا من تكاليف الانتاج، ويلاحظ على هذا المعدن ان بعض الدول الافريقية هى التى تقيم عليه صناعة الحديد والصلب نظرا لتوافر العوامل الاخرى اللازمة وأهمها فحم الكوك والمنجنيز والجير والمياه الوفيرة بالاضافة الى الايدى العاملة الفنية المدربة، ولذلك نجد أن جمهورية جنوب افريقيا تعتبر الدولة الرائدة فى مجال صناعة الحديد والصلب، وأيضا مصر الذى قامت فيها هذه الصناعة. اما بقية الدول الاخرى فانها تصدر الخام بعد تركيزه نظراً لعدم توفر العوامل الاخرى.

ثانيا: الصناعة التحويلية

تعتمد الصناعات التحويلية فى أفريقيا على مجموعة مختلفة من العوامل أهمها: البنية الأساسية الملائمة، إمكانية توفر الأيدى العاملة الفنية من العمال المهرة والمهندسين، السوق الواسعة فى القوى الشرائية، الاستثمارات المتزايدة.

والى جانب جمهورية جنوب أفريقيا المتقدمة صناعيا عن غيرها من دول القارة، توجد بعض الدول الأخرى -فى مجال الصناعات التحويلية التى تتركز فى عمليات الانتاج الأولى وغيرها من الصناعات- توجد زمبابوى، مصر، وأهم هذه الصناعات طحن البن، واستخراج زيت النخيل، وإعداد الأخشاب، وتعليب الأسماك وغيرها، وفى معظم أفريقيا المدارية يوجد تزايد كبير فى الصناعات الغذائية.

ونلاحظ تزايد استخراج زيت النخيل- فى بنين وساحل العاج والسنغال، والكمرون. كما أن زائير وملاجاش يوجد بهما صناعة تكرير السكر، بينما نجد تزايدا لصناعة طحن الدقيق فى عديد من الدول الأفريقية نتيجة لتزايد الحاجة الى منتجات الدقيق بالاضافة الى ماسبق تنتشر صناعة الغزل والنسيج والملابس سواء من جانب الشركات الوطنية أو الأجنبية. كما ان هذه الدول الأريقية تشجع أيضا الصناعات المتعلقة بالتشييد والبناء والمعادن والمطاط. ولكن معظم هذه المنشآت ذات أحجام صغيرة أو متوسطة الحجم باستثناء مصانه صهر الخامات المعدنية، وتجهيز الأخشاب والقشرة وبعض المصانع المرتبطة بصناعة النسيج.

جذور الحضرية الأفريقية

« نموذج شمال إفريقيا »

د. فاتن محمد البنا

استاذ مساعد

بقسم الجغرافيا

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

١٩٩٧

رغم أن موضوعات الحضرية الأفريقية حديثة التناول ومليئة بعلامات الاستفهام، إلا أن الثابت أن مواقع معينة من القارة قد شهدت نماذج حضرية أكيدة، ورغم أن الحضرية فى معظم القارة لها سمات القرن العشرين، إلا أن للقارة تاريخ طويل فى النمو الحضرى والحضرية.

وتختلف الحضرية الافريقية كثيراً نتيجة تشابك المؤثرات خلال القرون حيث تداخلت المؤثرات الوطنية الافريقية مع المؤثرات العربية الاسلامية، والمؤثرات الأوربية فى كثير من الأحيان لتخلق نمطاً حضرياً افريقيا مميزاً. ويشير "ستوك Stock " إلى أن الحضرية الأفريقية يمكن التعرف عليها من خلال المحيط البيئ، وأختلاف الموارد التى أثرت فى نموها من ناحية، ومن خلال التاريخ السياسى والاقتصادى لكل مجتمع وكل أقليم من ناحية أخرى (Stock, 1995:193)[1] ويؤكد "حمدان" أن المدينة الافريقية ليست اضافة أوربية من فيض الرجل الابيض ولكنها ثمرة التفاعل بين التراث الافريقى الأصيل والطارئ الاوربى الدخيل، وهى بذلك على أسواء تقدير مخلوق خلاسى وتركيب مزجى يجمع بين التقاليد والتقليد، والخلق الافريقى والنقل الاوربى (جمال حمدان :١٩٦٦:١٣٢)[٢].

والمدينة فى افريقيا ليست ظاهرة حديثة، بل ترجع فى نشأتها إلى عهود بعيدة، ارتبطت بإستيطان الانسان السهول الفيضية الزراعية، فى الشرق الأوسط.

ويشير "هانس Hance " إلى أنه رغم كثرة عدد المدن التى نشأت بالقارة حتى الحرب العالمية الأولى، الا أن نمو السكان بالمدن الافريقية حتى هذه الفترة كان فى معظمها بطئ، ولم تظهر المدن ذات الاحجام الكبيرة (نسبياً) إلا فى شمال وجنوب القارة. وقد اصبح النمو السكانى السريع والتضخم من السمات المميزة لمعظم المدن الافريقية فى العصر الحديث وأصبح التحضر Urbanization يتم بمعدلات كبيرة فى دول القارة مثلما يحدث بالدول التى أخذت بأساليب التنمية منذ عهد قريب. (Hance W., 1970:216)[٣].

وتهدف الدراسة الى القاء الضوء على نشأة المدن الافريقية وتطورها فى العهود المختلفة، وتحليل نمط التباين الاقليمى لتلك النشأة لدحض الفكرة القائلة بأن أفريقيا لم تعرف ظاهرة المدن قبل مجئ الاستعمار الأوربى، فالحضرية الافريقية ليست بالقطع اضافة أوربية، وليست نتاج الاتصال أو الاستعمار الأوربى فقط بل هى نتاج العديد من المؤثرات.

وقد تناولت الدراسة الاختلافات والتباينات الاقليمية ومدى تلقيها للمؤثرات الحضرية عبر الزمن، والذى نتج عنه أن اجزاء من القارة شهدت مولد المراكز الحضرية، أو حتى تعرضت للارهاصات الحضرية قبل غيرها، فالمدينة الافريقية مثل باقى مدن العالم الثالث ليست منفردة Single وليست مجموعة متشابهة Homogeneous Group، وتختلف ديناميكياتها الداخلية Internal dynamis مثلها مثل علاقاتها الخارجية External Relation اختلافا كبيرا من اقليم إلى آخر. (Hartshorn, T.,A., 1992:47)(٤).

وتعد افريقيا اليوم أقل قارات العالم تحضرا، ورغم ذلك فقد عرفت المدن قبل أقاليم كثيرة من العالم، ويحلو للبعض الربط بين الحضرية واستعمار القارة، وهى رابطة لاينهض عليها اى دليل، إذ أن الدلائل العلمية تشير الى أن القارة قد عرفت منذ العصور التاريخية العديد من المدن التى تعددت أنماطها.

والدراسة الحالية، ترمى الى اثبات هذه الحقيقة، إضافة الى تحليل الحضرية الافريقية القديمة تحليلاً جغرافيا ضمن إطار جغرافية المدن التاريخية Historical Urban Geography وسوف نرى، كما هو الحال فى التوزيع الحديث لمراكز الحضر الافريقية، انها تتصف بتوزيع غير متساو Uneven من الناحية الاقليمية، وذلك بتأثير النواحى الطبيعية والاقتصادية والحضارية التى تقف وراء هذا التوزيع. ومعنى ذلك. أن مناطق من القارة، إستأثرت بكثافة حضرية وشبكة مدنية أكبر من غيرها، وسيتضح ذلك فى تحليل الموضوع.

نظـرة تاريخيــة:

يُرجع "رودز مورفى" بذور الحضرية فى مصر والعراق الى ٤٠٠٠ سنه قبل الميـلاد، وذلك بحكم تأثيـر النيل والفـرات ودجلة، إذ أن تـوزيع المدن عكس محـاولتـها الاسـتـفـادة بقدر الامكان من الجبـهـة المائيـة، كـمـا أنهـا إحـتلت مـواضـع ومـواقع تتـيـح لهـا سـهـولة تـوزيع السـلع والخـدمـات فى اقليـمـهـا (Murphy, 1970:25-6)(٥) وفى افـريقـيـة، تخـتلف ظروف نشـأة المدن بإختلاف الاقـاليم، ومن أهم الملامح المرتبطة بنشـأة المدن الافريقية وخاصـة فى شـمـال افريقيـا (مصـر) كانت ظروف سـيـادة الجـفـاف، واضطرار الجمـاعـات المتجولة الي الاستقرار بجوار المجارى المائية، ثم معرفـة الزراعة، وتوفر الفائض مما أتاح ظهور اشكالا حضرية عديدة (محمد مدحت جابر: ١٩٨٥ : صفحات متعددة).

وفى اجزاء افريقية أخرى، أجبر الجفاف العديد من الزراع والرعاة فيما بين سنه٥٠٠٠ – ٢٠٠٠سنه قبل الميلاد إلى النزوح إلى منطاق أكثر ملاءمة فى النطاق السودانى عند الحافة الجنوبية للصـحراء الكبرى، إذ تشير الأدلة الأثرية إلى وجود مـجـتمع زراعى ورعوى فى مـوقع ديمـا Daima وغـيـره فـى شـمـال نيجيريا، ازدهر منذ الألف الأولى ق.م، كذلك وجد إلى الغرب من Dhartichitt فى موريتانيا ما يدل على وجود مجتمعات منتجة للغذاء فى وقت مبكر، وقاموا أيضا برعى الحيوان، وعاشوا فى قرى صخرية حوالى سنه ١٢٠٠ ق.م، وعرفوا زراعة الدخن Millet وزاد عددهم مع الاستقرار بسرعة، ووصلوا لقمة عددهم فى عام ٨٠٠ ق.م، ووجد قطاع سكانى منهم سكن المدن الكبيرة جيدة التشييد، والتى يرى الأثريون انها كانت لها علاقات تجارية مع جماعات Garamantes فى فـزان بليـبـيـا (Lamphear & Falola; 1995:81)(٦)، ومـع تـزايـد الجـفـاف، اجـبـر هؤلاء على النزوح وهـاجـروا إلى مناطق اخـصب فـى الجنوب، وهناك أدلة على وجود نظام إدارى وزراعى قوى وجد فى هذه المدن الصخرية، وأتاح الفـائض الزراعى تدعيم الحياة الحضرية والنمو السكانى وقيام حياة اقتصادية واجتماعية، وهذه المجتمعات هى التى كونت بذور الحضرية من غرب

افريقيا فى النطاق السودانى، وعملت هذه التطورات على قيام كيانات سياسية فى المدينة قادرة على وقف زحف البدو من الشمال الطارد، مما كثف الحاجة للسلطة، وعزز العلاقات التجارية والتى ظهرت بوادرها فى هذا النطاق فى الألف الأولى قبل الميلاد (Lamphear and Falola; 1995:81)(٧).

وتجدر الإشارة إلى انه ليس من السهل دائما فى كافة انحاء افريقيا تتبع تلك الارهاصات الحضرية، فإن العديد منها قد اختفى بفعل الزمن كما تشير إلى ذلك مهريتو (Mehretu,1983:244) (٨).

أما شرق افريقيا فقد نُظر اليه دائما كما يشير "أبونجو" على أنه تلقى تأثيرات خارجية فى وقت مبكر، وعُمق فيه التأثير العربى والفارسى على وجة الخصوص (Abungo and Mutora, 1993:695)(٩) وقد كانت المحلات الباكرة فى الساحل الشرقى لأفريقيا تجنح لأن تحتل مواضع دفاعية كالجزر مثل ماندا وباتى Pate وكانت هذه المحلات القديمة هى نوايا الحضرية فى شرق افريقيا والتى تأثرت بالمؤثرات الخارجية بشدة كما أسلفنا، لدرجة أن نظر الى الساحل الشرقى لإفريقيا على أنه ينظر إلى البحر ومنفصل عن افريقيا Sea-Facing, Cut from theAfrican Continent، أو انه إحدى مقاطعات الشرق الأوسط، أى انه غريب عن افريقيا (Chittick and Rotberg,1975) (١٠).

ويرى كل من "ابونجو وموتورو"، أن بذور الحضرية فى هذا الساحل كانت فى صورة محلات عمرانية تسمى ماكايا Makaya (المفرد Kaya) أقامتها جماعات Mijikenda وكانت لها طبيعة دفاعية Fortified Settlements جنحت لأن تأخذ أحيانا مواقع داخلية بعيداً عن الساحل فى منطقة الغابات فى ظهير الساحل الكينى (Abungu & Mutoro, 1993:699)(١١).

وفى القسم الجنوبى والأوسط من افريقيا، كانت هناك ايضا ملامح باكرة للمدن، وخاصة حول مدينة زيمبابوى الكبرى، اى العاصمة لنفس المملكة، (Sinclaire, et al, 1993:705)(١٢).

خلاصة القول أن افريقيا عرفت المدن فى فترة مبكرة، وانها اى افريقيا، حين وصل الأوربيون كانت حضارة المدن تغطى نصفها على الاقل (جمال حمدان -١٩٦٦:١٣٢)[١٣]، ولكى نكون صورة مكانية عن المدن الأفريقية قبل وصول المستعمر، فلابد من العرض الاقليمى لمراكز الحضر على صفحة افريقيا لتتبين أهم الملامح المتضمنة من الناحية الجغرافية، واوجه التشابة والاختلاف التى أملتها البيئة الجغرافية فى كل أقليم من أقاليم القارة، ونظراً لاتساع نطاق هذا الموضوع، وتعدد الاقاليم الافريقية، فسوف تبدأ الباحثة بتناول شمال أفريقيا كنموذج إقليمى نشأت به أقدم المراكز الحضرية بالقارة، تتبعه دراسة تفصيلية لباقى اقاليم القارة الافريقية.

مدن شمال افريقيا (محور وادى النيل والقرن الافريقى)

المدينة فى البداية والأصل من صنع الشرق الأوسط القديم بعامة وقطاعة الأفريقى بخاصة، وإذا ذكرت افريقيا، ذكرت بلدانها ذات الحضارةالقديمة الفيضية وعلى رأسها مصر، والتى عرفت الاستقرار والتحضر منذ القدم، ولعل اقدم المدن التى نشأت فى مواطن حضارات العالم هى تلك التى نشأت فى مصر (احمد على اسماعيل، ١٩٩٠:٤١)[١٤]، أى أن المدن المصرية هى من اقدم المدن فى العالم، واقدمها فى افريقيا بلا نزاع، ساعد على قيامها تلك الحضارة الزراعية التى يسرتها الثورة المائية Hydroulic revolution، كما أوضح "بوتزر Butzer" (Butzer K., 1976:11-34)[١٥] وإذا صحت آراء العالم ساور Souer عن مواطن الزراعة وانتشارها فإن هذه المجتمعات الزراعية الحضرية Agricultural Urban Societies تكون قد ظهرت منذ فترة تتراوح بين ٤٠٠٠-٥٠٠٠سنة فى كل من الشرق الاوسط والصين (فتحى محمد ابو عيانه:٩٩٦:٧٨)[١٦].

العوامل التى اثرت على الحضرية المصرية:-

١ - لقد لعب وادى النيل دوراً محورياً فى تاريخ الحضرية فى مصر، حيث ارتبط توزيع العمران منذ البداية بالمعطيات الطبيعية فى الوادى والدلتا، وكان

لاتساع السهل الفيضى وحجم احواض الرى دورها الكبير فى توزيع السكان وكثافتهم وبالتالى كثافة المحلات العمرانية، ويعد الفرق فى التطور العمرانى بين الوادى والدلتا واضحاً منذ البداية، وبدا ذلك فى عدد المقاطعات وحدودها التى كانت أكثر ثباتا عبر التاريخ فى الوادى عنها فى الدلتا المتغيرة نتيجة تحول المجارى والفروع النيلية واستصلاح الأراضى مما أثر على العمران وعدل من الحدود كثيراً (محمد مدحت جابر، ١٩٨٤:٢٣، ٧٨)(١٧).

وعندما قام بوتزر Butzer بتصوير الشبكة العمرانية فى مصر فى الفترة من حوالى ٣٢٠٠ ق.م الى ٣٣٢ ق.م أى فى عهد الاسرات، حدد هذه الشبكة فى مصر العليا ومقاطعة منف لكونهما الأكثر ثباتا واستقرارا عمرانيا عبر التاريخ، ومن خلال محاولة بوتزر الافتراضية لتصوير الشبكة العمرانية فى مصر العليا وجد أن هذا النطاق ضم مايقرب من ١١٩ مركزا عمرانيا حضريا و١٨٧ قرية كبيرة، ومن بين المراكز العمرانية الحضرية هناك ١٨ مدينة كبيرة الحجم هى عواصم النومات فى مصر العليا (المقاطعات) منها شطب واخميم واطفيح والكاب وإدفو والفنتين وقفط وهو وغيرها(Butzer, 1976:74-75)(١٨).

٢ – كذلك لعب العامل الإدارى والسياسى دورا كبيرا فى الحضرية المصرية، حيث كانت مصر مقسمة إلى مقاطعات مستقلة منذ فجر التاريخ ثم اصبح للوجة البحرى مقاطعاته والقبلى مقطاعاته، وكانت المقاطعة وعاصمتها تمثل الخلية الأولى للتكوين السياسى والإدارى والروحى لمصر الفرعونية.

وقد عرفت مصر مدن العواصم نتيجة لاندماج واتحاد المقاطعات المصرية منذ فجر التاريخ، فظهرت على سبيل المثال مدينه بحدت (قرب دمنهور) عاصمة للوجة البحرى، ونقادة (قرب قفط) عاصمة للوجة القبلى، كذلك كانت بوتو (قرب دسوق) عاصمة للشمال، ونخن (شمال ادفو) عاصمة للجنوب، إلا أنه مع بداية الوحدة الدائمة لمصر فى ٣٢٠٠ ق.م، ومع بداية عصر الاسرات ومع التوحيد وتكوين الدولة ظهرت المدن العواصم. فعرفت مصر العواصم السياسية، التى كان لها اشعاعها الثقافى والدينى (محمد فتحى مصيلحى، ١٩٨٨:٢٨)(١٩).

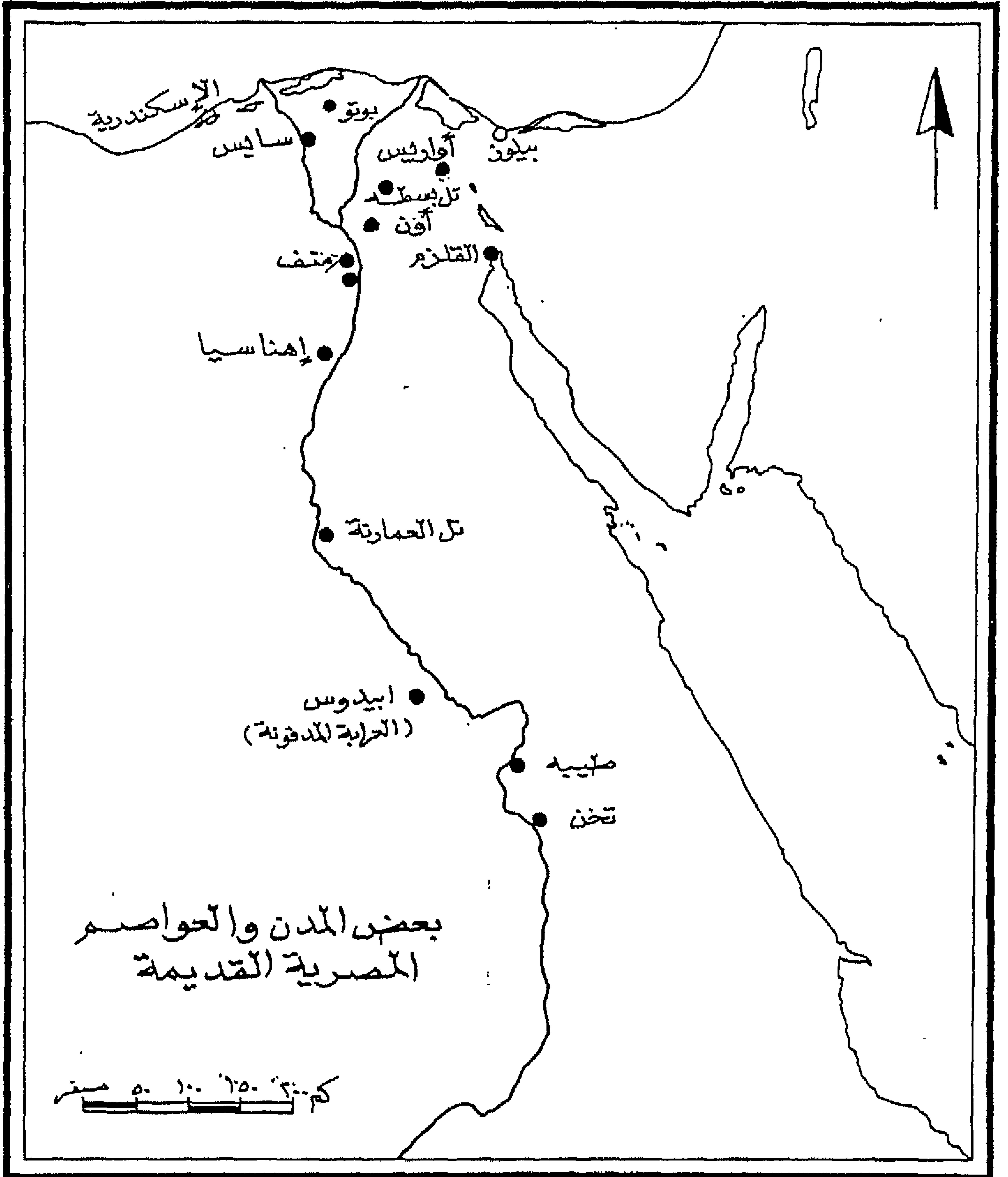
ومن أشهر المدن التى اضطلعت بدور العاصمة السياسية مايلى :-

برزت "**هليوبوليس**" كعاصمة لمصر ينظر لها على أنها رمز الوحدة (أُنشأت قبل اختيارها عاصمة فى ٤٢٤٠ ق.م) وتعد مدينة أولى Primate Citye، ومركزا لعبادة اله الشمس فى مصر، وبالاضافة الى أهميتها الدينية والثقافية كان لها الدور والاهمية التجارية عن طريق استقبال تجارة أسيا عبر برزخ السويس (محمد السيد غلاب :١٩٧٢: ٤٠٨: ٤١٠)[٢٠].

وجاءت "**منف**" عاصمة مصر المركزية (الحائط الأبيض) معبرة عن فهم عميق من قبل فرعون مصر (مينا) لمزايا الموقع والموضع، حيث حقق الموقع مزايا سهولة الاتصال بين الشمال والجنوب والربط بينهما، وكان اختيار موضع العاصمة على الضفة الغربية لمجرى النيل عند رأس الدلتا معبراً عن ميزة استخدام النيل كفاصل جغرافى له شأنه فى رد هجمات بدو الصحراء الشرقية وبدو شرق الدلتا عن العاصمة، ويشير "جيمس بيكى" إلى أن "مينا" مؤسس مدينة منف لم يقنع بميزات الموضع الطبيعية، ولكنه اضاف إلى هذه الخصائص خصائص جديدة من صنع الأنسان لتصبح العاصمة أكثر قدرة على الدفاع عن نفسها ضد المغيرين، فعدل فى الموضع، وربطها بالقنوات ودعم جسور النيل (جيمس بيكى-١٩٦٣: ٢٠١ - ٢٠٢)[٢١].

وظلت منف عاصمة مزدهرة ذات سلطة طاغية وذات مركزية واضحة حيث اختيرت ثلاث مرات لتكون عاصمة للدولة خلال عمر الوحدة المصرية الدائمة، فى العصر الفرعونى الذى يمتد من ٣٢٠٠ الى ٣٢٢ ق.م، واستمرت منف تحكم مصر لثمانية قرون تقريباً (٧٧٨ عام)، ولكن فى فترات متقطعة وغير مستمرة، كما كانت مقر القيادة العسكرية وثكنات الجيش فى فترات حكم عواصم مصرية اخرى. (فتحى مصيلحى :١٩١٨: ٥٧-٥٩)[٢٢].

وتعد "**اهناسيا**" (عند مدخل الفيوم) من المدن المصرية التى ظلت طوال فترة حكم الاسرة التاسعة والعاشرة عاصمة لمصر، وأظهرت خلال هذة الفترة نفوذاً ثقافياً كبيراً تعدى فى بعض الأحيان حدود البلاد (محمد مدحت جابر-١٩٨٤: ١٢٨-١٢٩)[٢٣].



شكل (١) المصدر: فتحى مصيلحى خطاب - تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى
القاهرة - ١٩٨٨ - ص

ويرجع البعض نشأة **طيبة** إلى ٣٠٠٠ ق.م (فتحى ابو عيانة، ١٩٩٦: ٨٤)(٢٤)، او ترجع فى نشأتها إلى الاسرة الاولى ممثلة فى نواة المدينة وقلبها القديم الواقع بين معبدى الأقصر والكرنك شرق النيل وبين ذراع أبو النجا ومدينة هابو على الشاطئ الغربى، وأصبحت طيبة عاصمة لمصر خلال حكم الأسرة الحادية عشر، وحكم الاسرة الثامنة عشر، وهى بذلك بنيت فى فترة أقدم من الفترة التى اختيرت فيها كعاصمة، وقد اختيرت طيبة عاصمة الدولة اربع مرات، وقدرت فترة حكمها كعاصمة بـ ٤٠٢ سنة (فتحى محمد مصيلحى، ١٩٩٨: ٣١)(٢٥)، وامتد نفوذ طيبة العاصمة (فى عهد الاسرة الثامنة عشر) السياسى والتجارى والحربى خارج حدود مصر إلى العالم المعروف آنذاك عاكسا قوة السلطة المركزية للدولة.

تعد **"اواريس"** من عواصم مصر الشمالية المتطرفة (عند اطراف الدلتا الشرقية) وقد نشأت عاصمة لمصر فى عهد الاسرة الخامسة عشر واستمرت حتى حكم الاسرة الثامنة عشر (استمرت عاصمة لمصر أكثر من مائة عام اثناء حكم الهكسوس) وموضع اواريس الذى تدخل فى اختياره قوى خارجية كان يهدف إلى تحقيق الحماية فى المقام الأول حيث اقيمت المدينة فوق كثبان رملية تطل على الفرع التانيسى وتحميها المناقع، كما حقق موقعها عند اطراف الدلتا الشرقية مزايا القرب من الموطن الاصلى للهكسوس فى آسيا والقرب من الطريق التجارى الذى يصل الشام ومصر (فتحى مصيلحى، ١٩٨٨: ٤٦)(٢٦).

وتعد مدينة **"تل العمارنة"** من العواصم المصرية المتفردة فى العديد من المظاهر والصفات، فهى أقصر العواصم المصرية عمراً (كانت العاصمة فى الفترة من ١٣٥٣ الى ١٣٣٥ ق.م)، وقد اقيمت على الجانب الشرقى لنهر النيل بين النيل والجبل (احمد على اسماعيل، ١٩٩٠: ٤٥)(٢٧)، عند منحدر صخرى يتراجع ليكون نصف دائرة ضخمة بطول ٧ ميل وعرض يتراوح بين ٢.٥ و ٣ ميل، والعاصمة بذلك يكون قد اختير لها موضعا جديدا محميا طبيعيا لم يختر من قبل لتكون مركزا للعبادة الجديدة عبادة (أتون) بعيدا عن طيبة العاصمة التقليدية ومركز عبادة أمون (Morris A., 1994:27)(٢٨)، كذلك يأتى تفرد تل العمارنة من خلال بنائها دفعة واحدة ووفق خطة موضوعة ومدروسة وهى بذلك من المدن المصرية القلائل التى اقيمت وفق خطة هندسية منتظمة ومدروسة.

ورغم ان العـامل الادارى والسـيـاسى ادى الى ظهـور مـدن العـواصم السياسية فى مصر الفرعونية، الا أن المدن المصرية لم تكن تضطلع بالوظيفة الادارية او السياسية فقط، بل تعددت الوظائف التى كانت تقوم بها المدن فى تلك الفترة، حيث قامت بعض المراكز بوظائف خاصة بالتوزيع والتسويق كمناطق عقدية، وكمراكز لإعادة التوزيع مثل الموانى التى كانت واقعة على الجبهة النيلية، وظهرت مراكز الحصون والقلاع، وعرفت بعض المراكز العمرانية كنقاط مزارات ومدن حج ومدن النبوءات والعرافة، وهذة كانت عديدة فى مصر، وارتبطت أهمية هذة المدن بالآلة المحليين واستمدت هذه المراكز أهميتها من قوة الإله الكائن فى معبدها، ولم ترتبط اهميتها او تقترن بكبر حجم المدينة السكانى أو المادى، ولعل أوضح الأمثلة على هذه النوعية من المدن مدينة "سيوة" مقر معبد آمون صاحب النبوءات. (Fakhry, A., 1973 :١٢٥ ـ ١٢٩)(٢٩).

كما عُرفت هليوبوليس وإبيدوس ومنف كمراكز ثقافية هامة فى مصر فمنها ما كان مركزا للاشعاع الثقافى الدينى وللعبادة مثل "إبيدوس" ومنها ما أشتهر بدورة وهيمنته فى مجال الفكر والثقافة والإبداع مثل "منف".

أما فيما يختص بأحجام المدن المصرية فى العصر الفرعونى، فيرى "ديبلچى" De blij أنه من الصعب تحديد أحجام المدن القديمة بدقة، ولكنه قدر متوسط أحجام المدن القديمة فى مصر وبلاد مابين النهرين فى مدى حجمى يتراوح بين ١٠,٠٠٠ إلى ١٥,٠٠٠ نسمة، وقد أشار إلى أن هذة المدن قد كانت جزر حضرية وسط مجتمع ريفى سائد، وأن المجتمعات الحضرية المتعارف عليها الأن لم تنشأ الا بعد عدة ألاف من السنوات اللاحقة (De Blij, A. J., 1996:377)(٣٠).

كذلك يرى جونز Jones أن الأساس الزراعى للاقتصاد المصرى القديم لم يسمح بظهور مدن كبيرة الحجم السكانى، ورغم صعوبة تقدير حجم سكان المدن فإنه افترض احجاماً للمدن المصرية تراوحت بين ٧٠٠٠ و ٢٠,٠٠٠ نسمة (Jones, E.,1976:19)(٣١).

ومما لاشك فيه بأن المدينة بمقايسها الحجمية والوظيفية السائدة اليوم لم تكن موجودة، ففى مصر لم يكن يسمح الاساس الزراعى للاقتصاد المصرى القديم ينمو مدن كبيرة الحجم، بل كان له الأثر الأكبر فى أن قطاعاً كبيراً من سكان المدن المصرية يعمل بالزراعة، وأن المدن كانت تحوى قطاعاً زراعيا داخلا فى حدودها.

وجدير بالذكر أن درجة الحضرية فى مصر القديمة قد قدرت فى ازهى عصور الازدهار والرخاء المصاحب بالنمو السكانى بين ٨ إلى ١٢٪ حين قدر عدد سكان مصر بحوالى ١٠,٥ مليون نسمة، يضاف اليهم مليون نسمة هم سكان المدن فيكون اجمالى عدد سكان مصر يتراوح ما بين ١١ إلى ١٢ مليون نسمة (عبد الفتاح وهيبة، ١٩٧٥:٣٥-٤٠)(٣٢).

٣ – لعب العامل الدينى دوراً كبيراً فى التأثير على الحضرية فى مصر الفرعونية، حيث ارتبطت المدن المصرية الباكرة بالدين الذى يمكن اعتباره عنصر التمييز الرئيسى بين المدينة والقرية، فقد كان المعبد يمثل مركز الحياة والعمران فى المدينة المصرية ومن حوله كانت المدينة تنمو وتمتد مساحتها وتدور صور الحياة بها، ويشير "أحمد اسماعيل" إلى دور الآله المحلية للمقاطعات كعامل هام عمل على نشأة المدن الأقليمية بمعابدها (احمد اسماعيل -١٩٩٠:٤٠)(٣٣).

وجدير بالذكر أن العقيدة المصرية والاعتقاد الدينى والدنيوى فى الملك الإله قد خلق المدن (التوأمية) Twin City فى مصر او بمعنى آخر مدن الموتى الملحقة بالمدينة الأصلية، حيث كانت تقام مدن الأحياء على جانب من النهر يقابلها مدن الموتى على الجانب الآخر، وهو مظهر موفولوجى لم يتطور بهذا الشكل سوى فى مصر القديمة، وقد أدى الأهتمام بمدن الموتى او مدن المعابد Temple Cities أن حظيت بإستخدام مواد البناء الصلبة القوية المتنوعة مثل الجرانيت والحجر الرملى والحجر الجيرى الذى كان مادة البناء الرئيسية خاصة بالمعابد والمنشآت الدينية والمقابر، فى حين لم تنل مبانى الأحياء بمثل هذا

الاهتمام، حيث استخدم فى بنائها الطوب اللبن Mud-Bricks ولذا فقد عصفت بها السنون وعوامل الزمن وفتتت المواد الطينية البسيطة التى بنيت بها، مما أدى الى انطمار معظم مدن الأحياء فى مصر الفرعونية واختفائها تحت مستوى الأرض الزراعية أو العمران التالى (احمد اسماعيل: ١٩٩٠:٤٠)(٣٤).

وقد أدى هذا الاطمار للمدن المصرية إلى غموض فى ملامح المدن القليلة المتبقية، ولذلك قد وصف العديد من علماء الآثار مدن مصر الفرعونية بأنها مدنا غير باقية Non-existent وذلك بالمقارنة بالعديد من المبانى الباقية الشامخة للمعابد والمبانى الدينية (Morris, 1994:26-27)(٣٥).

كذلك كان للعقيدة المصرية، والاعتقاد فى الملك الإلة دورهما الطاغى على خطة المدينة المصرية وموفولوجيتها، فالمعبد دائما كان يتوسط المدن، وكانت المدينة فى أوائل عصر الاسرات وحتى عصر الامبراطورية، مركزا لإقامة الطقوس الدينية، وكان قوامها القصر والمعبد والهيكل، ولم تعرف المدن المصرية فى تلك الفترة الاسوار، ولم يكن للسور المحيط بالمدينة أهمية، إذ أن اعتقاد المصرى فى الملك الالة وبأنه هو حامية ومنقذه جعل مسألة قيام السور ليست واردة، وأكمل هذه الصورتكما اوضحها "محمد مدحت" العزلة النسبية التى ميزت المعمور المصرى فترة من الزمن وحمايه ذلك المعمور فى معظم الجهات بالصحراء (محمد مدحت جابر :١٩٨٥:٧٢، ١٨٢)(٣٦) ولذا فقد كان التكوين الحضرى فى مصر تكوينا حضريا مفتوحا فى تلك الفترة وليس مشابها لما كان سائدا لدى معظم الحضارات الأخرى، وتعد مدينة "تل العمارنة" من أشهر المدن المصرية القديمة التى لم يكن يحيط بها السور.

وقد جاء السور كأحد المعالم فى مورفولوجية المدينة المصرية فى عهد متأخر وزادت أهمية السور نتيجة تأثيرات اجنبية منها مثلا غزو الهكسوس الذى ساعد فى ظهور السور كمعلم فى موفولوجية المدينة (محمد مدحت جابر: ١٩٨٥:١٨٣)(٣٧).

التأثير المصرى على الحضارات المجاورة والحضرية بها

قد ظلت مصر القديمة الموحدة (من ٢٢٠٠ ق.م الى ٣٣٢ ق.م) نشطة لعدة آلاف من السنين، تمثل مركز اشعاع ثقافى وتجارى ودينى وقوة سياسية، ولقد كان لهذه الدولة تأثير على نمو الممالك الأفريقية اللاحقة، ويبدو هذا التأثير مباشرا على ممالك الجنوب التى امتد النفوذ المصرى اليها جنوبا على طول وادى النيل حتى النوبة وكوش.

وقد نمت مملكة كوش Kush وازدهرت خاصة من القرن الثالث ق.م عندما تحركت او انتقلت عاصمتها تجاة الجنوب من نباتا Napata إلى مروى Meroe، وقد ميز هذه العاصمة وقوعها قرب طرق التجارة التى ربطت وادى النيل شمالاً بإقليم السودان فى الغرب، كذلك استفادت من الوقوع قرب طريق تجارة القوافل على محور نهر عطبرة وشمال اثيوبيا وصولاً الى موانى المحيط الهندى، ويرى البعض أنه كان هناك تبادل بين حديد مروى وحرير الصين والبرونز أيضا، وكذلك المنسوجات القطنية من الهند إضافة إلى منتجات شبة الجزيرة العربية (Pritchard,1979,49-51)[٣٨] وقد أدى توفر الحديد الخام والأخشاب فى مدينة مروى إلى اشتهارها كمركز صهر وتعدين الحديد، وقد بدى التأثير المصرى واضحا فى شكل ووظائف هذة المدن (نباتا ومرروى) حيث انشئ بهما المعابد والاهرامات ذات الطابع المصرى وهذا قد عكس الروابط القوية بمصر كما ذكر "ستوك" (Stock, R., 1995:194)[٣٩].

وجدير بالذكر أن لامبير Lamphear قد رأى أن تأثر مروى ونباتا بالمؤثرات والممارسات المصرية لم يتم بصورة مباشرة بل اضيف اليها المؤثرات المحلية الخاصة بالمنطقة ويبدو ذلك واضحا فى لغة الـ Meroitic وأشكال الفن الجديد المستمدة من مصر وكذلك الأهرامات التى كانت تحاكي مثيلتها المصرية (Lamphear .J., 1995 :80)[٤٠].

ونمت فى أواخر القرن الأول الميلادى مدينة أكسوم كعاصمة سياسية تمثل قوة مملكة أكسوم فى منطقة القرن الافريقى (صلاح عبد الجابر عيسى، ١٩٩٦:١٧١)[٤١] وازدهرت أكسوم من خلال وظيفتها السياسية ونشاطها

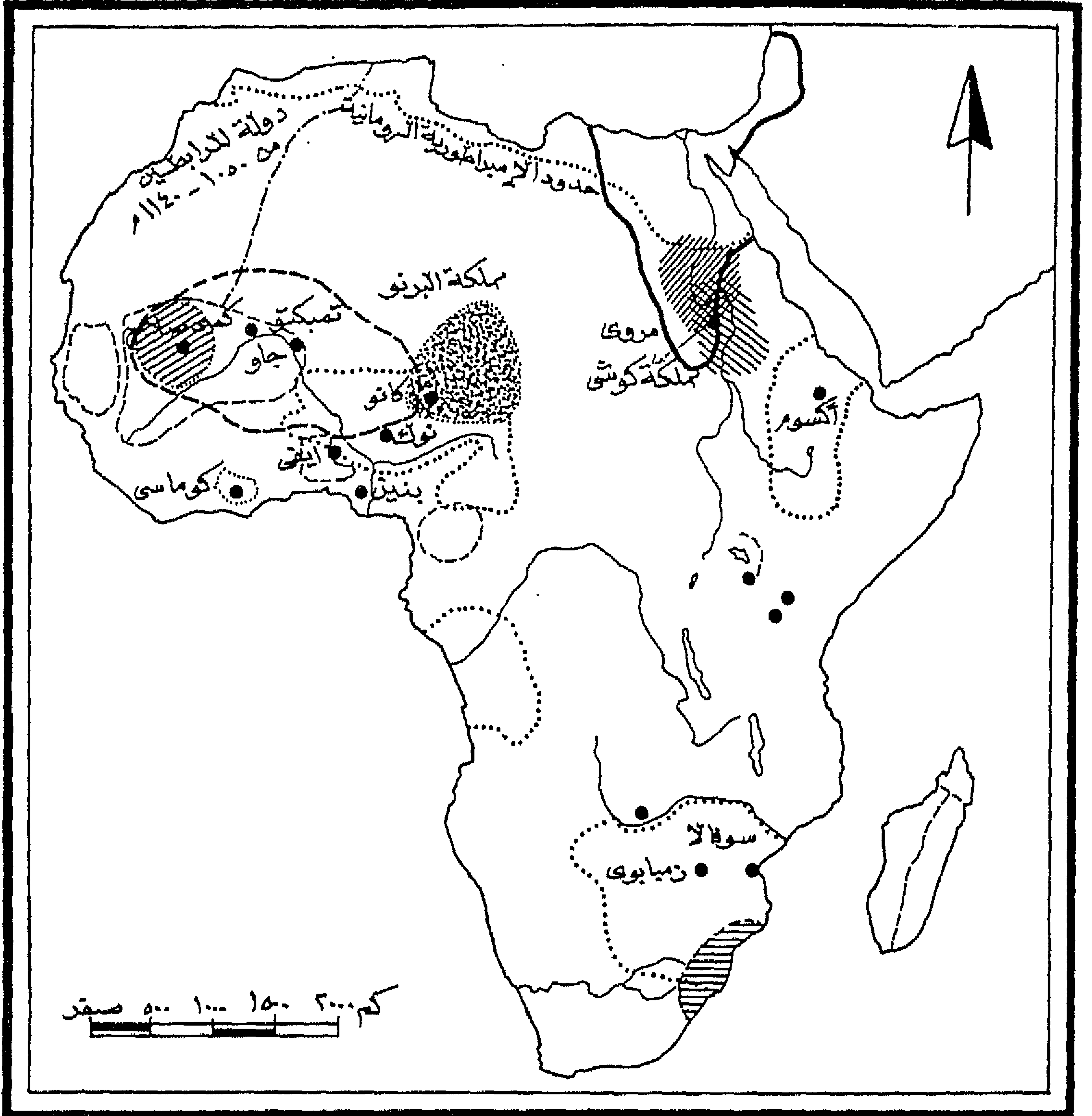
التجارى خاصة تجارة الذهب والفضة والعبيد، كما أشتهرت بسوقها الضخم الخاص بتجارة العاج، وعرفت أكسوم صناعة الفخار وتميزت مبانيها بالضخامة واستخدام الأحجار كمادة بناء أساسية لهذه المدن (Pritchard, 1977:55).

المؤثرات الخارجية على الحضرية المصرية

تعرضت مصر خلال العصر الفرعونى الذى قدر بنحو ٣٠٠٠ سنه (٣٢٠٠ الى ٣٣٢ ق.م) إلى العديد من التدخلات والمؤثرات الخارجية، قدرت الفترات الاستعمارية التى شهدتها مصر خلال العصر الفرعونى بحوالى ٦٥٠ سنه منها فترات حكم الهكسوس فى حوالى القرن ١٨ ق.م والذى استمر لمدة ١٥٠ سنه تم التدخل الليبى الذى استمر لمدة ٢٠٠ سنه (من الاسرة ٢٢ الى الاسرة ٢٥) ثم جاء التأثير الاثيوبى خلال الاسرة ٢٥ واستمر لمدة ٨٠ سنه ثم تلاه التدخل الاشورى فى الاسرة ٢٥ إستمر ١٠٠ سنه ثم حكم الفرس فى الاسرة ٢٧ لمدة ١٥٠ سنه (جمال حمدان: شخصية مصر، ١٩٨١:٦٤٩)(٤٢).

كذلك أشار جمال حمدان إلى فترة استعمارية اخرى أسماها بالأستعمار الكلاسيكى وقد كانت إستعماراً بحرياً استمر لمدة ١٠٠٠ عام (من القرن ٣ ق.م إلى القرن ٧ .م) وتمثل فى الاستعمار اليونانى والرومانى والبيزنطى، شهدت مصر بعدها المرحلة الاسلامية والتى كانت ممثلة لسيطرة القوى البرية الأتية من الشرق (جمال حمدان-شخصية مصر:٢٤٩)(٤٣).

رأينا فيما سبق كيف أن المدن فى مصر كانت وطنية النشأة Indigenous نمت وتطورت كنتاج لظروف البيئة المصرية، فكانت تبدى استقلالا وتفرداً، ومع دخول المؤثرات الاجنبية، وبدخول الاستعمار مصر تأثرت الحضرية المصرية، وقد شمل التأثير الاجنبى شبكة المدن المصرية، كما أبدت المدن المصرية فى ظل التدخل الاجنبى انماط ووظائف مختلفة عما كانت سائدة طوال الفترة السابقة لهذا التدخل، وهذا ماسيتضح من الأمثلة التالية:-



شكل (٢) بعض الممالك القديمة فى إفريقيا

المصدر: Pritchard, J.M.; Africa, Longman, England, 1979, P.46

أولا: بدا التـأثيـر على شـبكة المدن فى شـرق الدلتـا واضـحـاً إثر غـزو الهكسوس لمصر، فقد كان هذا الغزو دافعاً لحكام مصر بالإهتمام بشرق الدلتا كمدخل شرقى لمصر، وصاحب هذا الاهتمام محاولة للتطوير الاقتصادى أدى إلى تزايد سكانى ترتب عليه نمو وتخطيط عمرانى فى هذا النطاق، كانت من أهم نتائجة العمرانية نشأة إحدى عشر مدينة جديدة ظهرت لأول مرة زمن الرعامسة (الاسرة ١٢) (Butzer, 1976: 95)(٤٤).

وبتـأثير تزايد نفوذ الهكسوس انشئ العديد من الحصون والمعسكرات فى شرق الدلتا على نمط غير مصرى (محمد مدحت جابر:١٩٨٥:١١١)(٤٥).

وجدير بالذكر انه لن يقتصر التأثير الاجنبى على شبكه المدن المصرية فى شرق الدلتا فقط، بل شهدت منطقة شمال الدلتا ومنطقة مريوط نشأة ٣٥ مدينة جديدة، حين جرى الاستقرار لأول مرة فى المناقع الشمالية بعد عمليات الاستصلاح التى تمت زمن البطالمة فى الفترة من ٩٥٠ إلى ٦٠٠ ق.م فى هذا النطاق.

وفى بعض الاحيان لعبت المؤثرات الوطنية الداخلية دورا مع الأخرى الخارجية فى خلق نمواً عمرانياً جديداً شهدته شبكة المدن فى بعض مناطق مصر ومنها منطقة الفيوم، فقد شيدت نهضة عمرانية نتيجة لعملية ضخمة لإستصطلاح اراضى زراعية نمت فى فترتين الأولى زمن الدولة الوسطى من العصر الفرعونى (٢١٦٠-١٧٧٥ ق.م) والثانية زمن حكم البطالمة، وقد أشار "نصحى" إلى أنه اقيم بالمنطقة ١١٤ قرية ومدينة قد كانت من نتاج هذه النهضة، وواكب هذا التوسع فى المجالات العمرانية نمواً سكانياً كبيراً (ابراهيم نصحى، ١٩٦٦ ، صفحات متعددة)(٤٦).

وأضيف على ساحل البحر الأحمر بعض المدن بفضل المؤثرات الخارجية زمن الرومان منها مدينة ليكوس ليمن "Leukes Limens" "القصير" والقلزم انشأت مصاحبة لحفر قناة تراجان وقد ورثتها السويس الحالية (احمد اسماعيل:١٩٩٠:٦٣)(٤٧)، ومن المدن التى أضيفت لشبكة المدن المصرية زمن الرومان مدينة بابيلون Babylon ، ويؤكد "موريس لومبارد" انها بدأت كقلعة

تشغل موقعاً استراتيجيا عند ذروه الدلتا، لتسيطر على الطريق البرى المؤدى إلى بلاد الشام، وغرباً نحو افريقيا والمغرب متحاشية بذلك مروحة الدلتا، كذلك حقق موضعها نقطة انطلاقة إلى قناة تراجان Trajani ammis التى تحقق الوصول إلى البحر الأحمر (موريس لومبارد -١٩٧٩: ١٧٩)(٤٨).

وكما كانت المؤثرات الاجنبية فى بعض الاحيان عاملاً مساعداً على نمو العمران والاهتمام بالتخطيط العمرانى فى مصر (كما سبقت الاشارة) فقد كانت فى احيان أخرى سببا ساعد على افول نجم بعض المدن والعواصم الهامة فى مصر، ومثال ذلك أنه بقدوم الرومان مصر افل نجم مدينة هليوبوليس وهجرت، واصبحت بعض المراكز الحضرية الأخرى مثل "ابيدوس" و "طيبة" مجرد مجموعة من المحلات العمرانية المتواضعة "Hamlets".

كان العالم الاسلامى بين القرنيين الميلاديين السابع والحادى عشر ميدانا لنهضة عمرانية خارقة، تميزت هذه النهضة اولا بإنشاء شبكة من المدن تحول بعضها بسرعة الى أكبر مدن فى العالم (منها القاهرة) بالاضافة إلى ما أضافته هذه النهضة من رصيد من المدن الجديدة فقد منحت العديد من المدن القديمة مزيدمن النمو والازدهار وهكذا انشأت شبكة حضرية واسعة، كانت تشكل بسبب اتصالها من مدينة لمدينة أخرى الهيكل المادى للعالم الاسلامى.

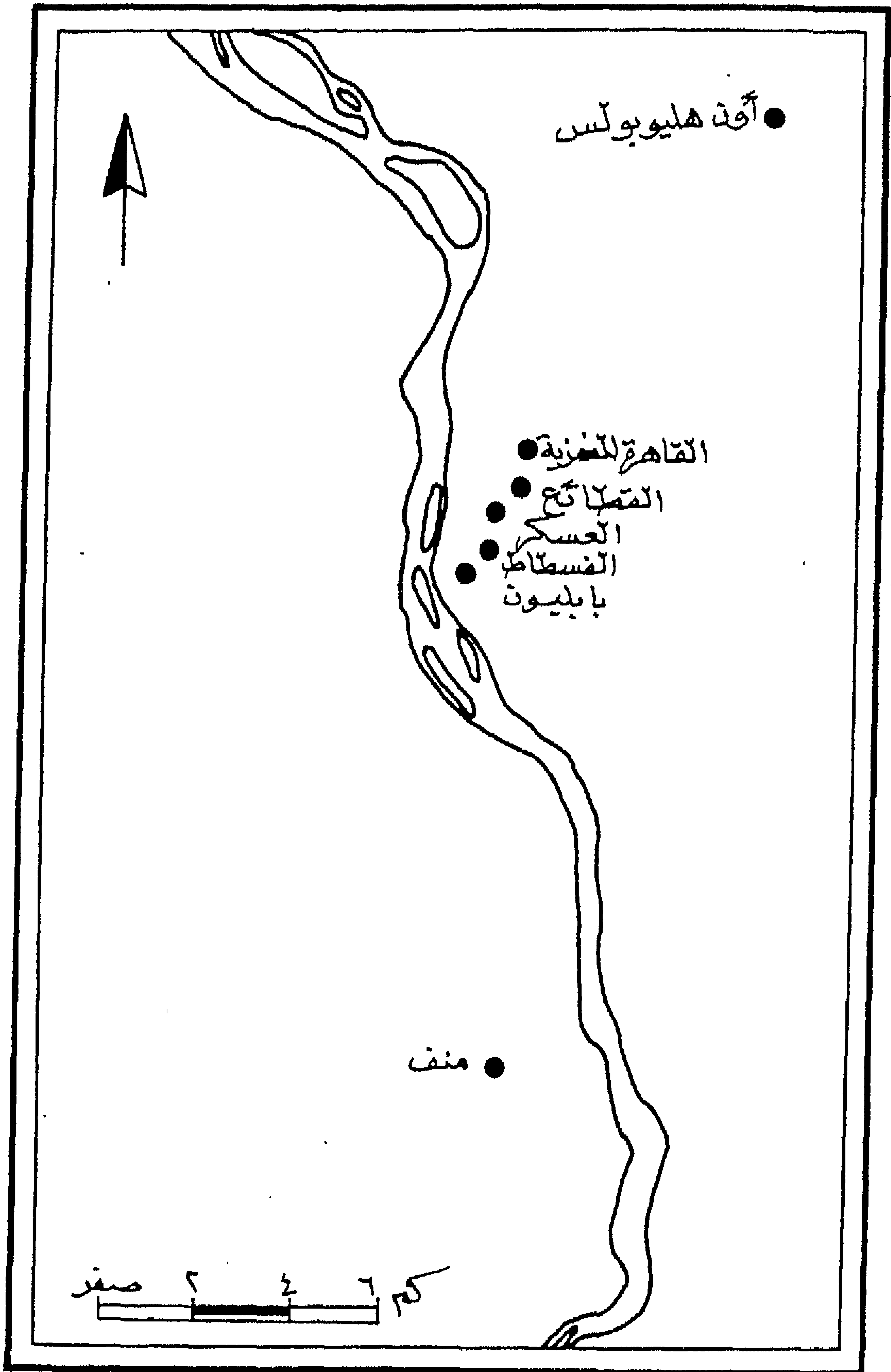
ويشير "موريس لومبارد" إلى أن قوة اتساع العمران فى العهد الاسلامى قد جاوزت من حيث القوة والاتساع حركة العمران الكبيرة التى شهدتها كل من العصريين الهلينيسى والرومانى (موريس لومبارد ١٩٧٩: ١٦١)(٤٩).

ومن المناطق التى شهدت حركة عمرانية كبيرة فى ظل العصر الاسلامى المناطق التى تبعت الدولة البيزنطية ومنها الشام ومصر، حيث استئونفت نهضة عمرانية كانت راكدة فى العصر البيزنطى، الذى تقلص فيه النشاط العمرانى والحضرى واقتصر على بعض المدن الكبرى فى ذلك الحين مثل الاسكندرية وانطاكية والقسطنطينية.

وقد أثر الفتح الاسلامى لمصر تأثيراً كبيراً على شبكة العمران الحضرية المصرية مثلما وضع البصمات الإسلامية على مورفلوجيه المدنية المصرية، وتركيبها الداخلى. وقد نكتفى هنا بالتعرض لقمة التأثير الاسلامى على العاصمة المصرية والتى تقف الآن على قمة الهرم المدنى المصرى.

تعد مدينة القاهرة سلسلة متعاقبة من المواضع التى كانت وليدة للفتح العربى (خريطة شكل ٣) واولى هذه المواضع ما أقامة عمرو بن العاص سنه ٦٤١م، كمعسكر شمال حصن بابيلون والذى تحول الى مدينة الفسطاط حيث دعمها انشاء جامع عمرو الكبير ودار الامارة والاسواق، وفى سنه ٧٤٩-٧٥٠م تأسست مدينة جديدة شمال الفسطاط هى مدينة العسكر، وضمت بدورها قصر الحاكم والاسواق إلى جانب الجامع الكبير، ثم انشأ احمد بن طولون فى عام ٨٧٢-٨٨٥م مدينة القطائع شمال العسكر وقد تم دعم هذه المدينة انشاء قصر عند اقدام جبل المقطم وانشاء جامع فوق جبل يشكر سنه ٨٧٥م ثم اكتملت بعض ذلك باقى المنشأت الحضرية للمدينة، ثم انشأت القاهرة فى عهد الفاطميين ٩٦٩م على يد جوهر الصقلى القادم من افريقيا الشمالية، وقد دعمت القاهرة ببناء الجامع الأزهر ٩٧٢م ونمت المدينة حول الابنية الرسمية، وبلغت عصرها الذهبى فى القرن العاشر والحادى عشر، حين شيدت العديد من المبانى التى وصلتها بالقطائع، وكانت المدينة تحوى حينذاك قرابة نصف مليون نسمة (موريس لومبارد :١٩٧٩:١٨١-١٨٢)(٥٠).

وجدير بالذكر أن التأثير الاسلامى كما كان بانيا ومنشأ للعاصمة المصرية القاهرة، كان مؤثراً بصورة سلبية على بعض المراكز الحضرية الأخرى فى شبكة المدن المصرية، ولعل أوضح الامثلة على ذلك الأهمال والاضمحلال الذى شهدته مدينة الأسكندرية العاصمة المصرية (فى العصر البطلمى والعصر الرومانى)، ويشير "محمد صبحى عبد الحكيم" إلى أن التأثير السلبى للاسكندرية الذى اقترن بالعهد الاسلامى لم يكن تأثيرا مباشراً، بمعنى أن العرب لم يحملوا معهم للاسكندرية الخراب والاضمحلال، وانما كانت مقدمات الاضمحلال تسبقهم الى المدينة المزدهرة، كل ما فى الأمر أن ظروف الفتح



شكل (٣) سلسلة المواضع المتعاقبة للعاصمة المصرية "القاهرة" منذ العصر الفرعوني وحتى العصر الإسلامي

المصدر: فتحي محمد مصيلحي - مرجع سبق ذكره ص

وانصراف العرب عن الاسكندرية إلى الفسطاط ساعد استمرار ظاهرة الاضمحلال والانكماش التى كانت قد بدأت تشهدها المدينة قبل وصول العرب اليها (محمد صبحى عبد الحكيم، ١٩٥٨، ١١٦-١١٧)(٥١). (خريطة شكل ٤).

ثانياً: شهد البناء الحضرى فى مصر نتيجة للقوى الاجنبية الوافدة، انماطاً حضرية غريبة على نمط الحضرية المصرية، ففى بعض الاحيان نشأت مراكز حضرية داخل مصر منقولة من بيئات حضارية أخرى، ممثلة بذلك شتلات منقولة من بيئات اخرى ولم تكن نتاجاً محليا مصريا. ومن امثلة هذه المدن مدينة "نقراطيس"، والتى يمكن أن نشبهها بما يعرف اليوم بنمط المدينة الدولة "City State" وقد عكس هذا النمط الحضرى البيئة الاساسية لحياة الأغريق بعامة، والتى تمثلت فى العيش "بالمدينة" حيث حرص الاغريق على إنشاء مدنا مستقلة لأنفسهم فى أى مكان ينزلون به ويتخذونه مستقراً لهم.

وتعد "نقراطيس" (المدينة الاغريقية القديمة التى أسسها التجار الاغريق فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد (عهد الاسرة ٢٦) والتى اقيمت على الشاطئ الشرقى للفرع الكانوبى قرب الاسكندرية)، ممثلة لهذا النمط العمرانى الفريد والغريب على نمط العمران المصرى، حيث كانت بمثابة دولة اغريقية خالصة مستقلة داخل الدولة المصرية، وقد كانت على درجة كبيرة من الثراء نتيجة لوظيفتها التجارية وتحكمها فى تجارة مصر مع دول البحر المتوسط فى تلك الفترة، ولم تفقد هذه المدينة اهميتها التجارية الا بعد أن سلبتها اياها الاسكندرية (محمد صبحى عبد الحكيم، ١٩٥٨: ٨٨-٨٩)(٥٢).

كذلك كانت اواريس عاصمة مصر زمن حكم الهكسوس تمثل نشازاً حضريا ضمن شبكة المدن المصرية، فقد كانت ذات طابع عسكرى محصنة ومسورة، تمثل بؤرة دخيلة وسط وجود مصرى صميم (محمد مدحت جابر، ١٩٨٥:١٣٢)(٥٣).

ثالثاً: شهدت العديد من المدن المصرية تغيرات فى وظائفها بفعل المؤثرات الأجنبية الوافدة، والأمثلة على ذلك عديدة ولعل ابرزها ما حدث من تحول وظيفى

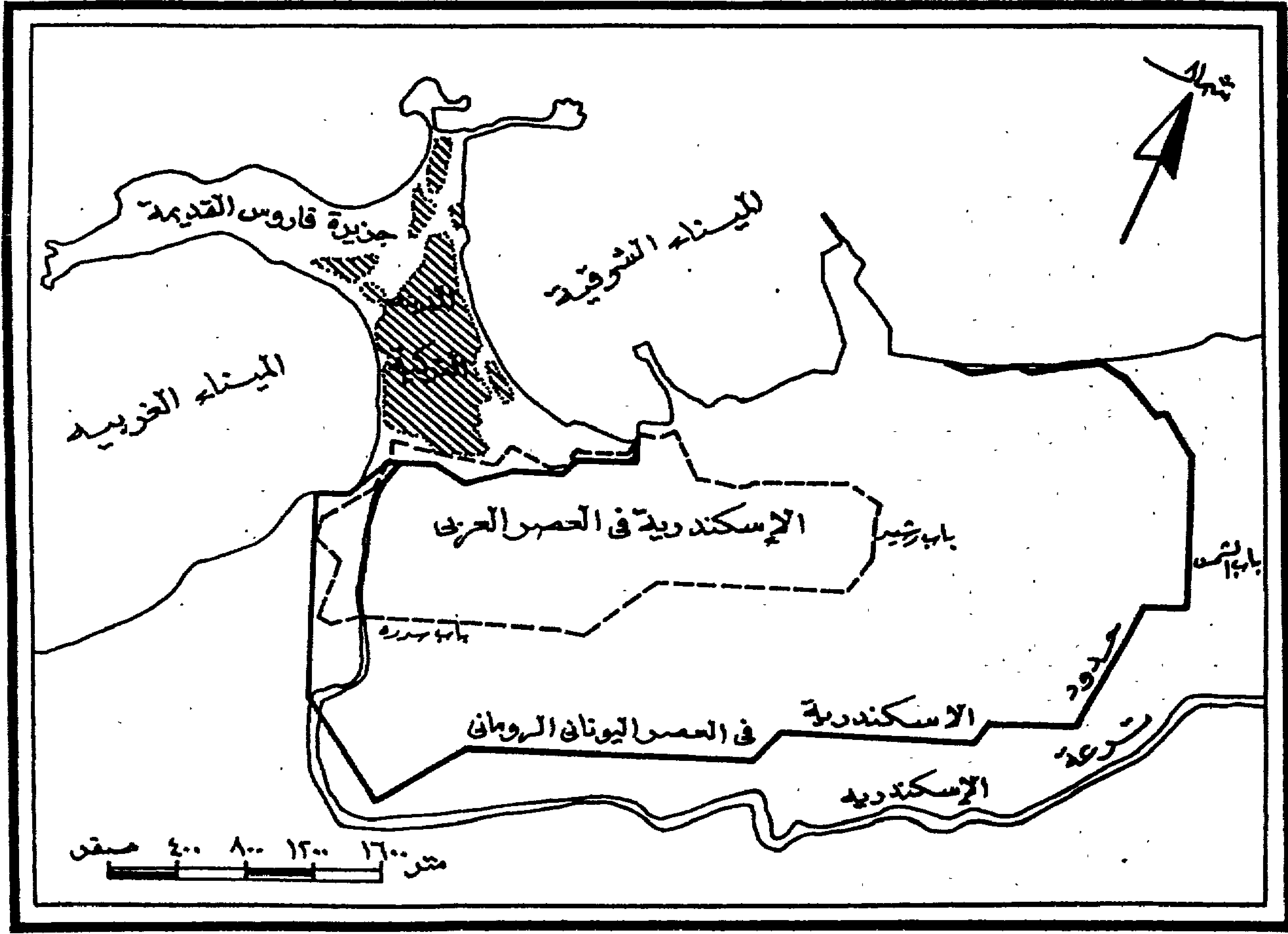
لمدينة الاسكندرية كان جد مختلف عما كان سائداً بها فى فترات سابقة للتغيرات الاجنبية الوافدة.

من الثابت ان الاسكندرية مُنحت اسمها من الاسكندر الأكبر فى عام ٣٣٢ ق.م وكان مقدر لها أن تصبح اعظم المدن بل اعظم العواصم فى العالم الاغريقى، وقد قامت بدورها كعاصمة لمصر فى العصرين الأغريقى والرومانى، واضطلعت بوظيفة العاصمة لإمبراطورية الاسكندر، كما اضطلعت بوظيفتها كمركز تجارى هام وميناء رئيسى يخدم التبادل التجارى العالمى فى ذلك الوقت حيث كانت احدى أهم ثلاث مدن (الاسكندرية-انطاكية-القسطنطينية) تضطلع بالنشاط التجارى فى عهد الدولة البيزنطية.

هذه المدينة كان يشغل موضعها فى العصر الفرعونى قرية أو بلدة راقودة (Rhakotis) وهناك من يرى انها بلدة فرعونية قامت بوظيفة العاصمة لاقليم شامل لست عشرة بلدة أخرى، كما كانت تقوم بوظيفة الحصن الامامى فى الاقليم الغربى الواقع على الحدود تجاه ليبيا منذ الأسرة الثانية عشر، (زمن الرعامسة)، وكذلك اضطلعت بالوظيفة التجارية حيث كانت المنفذ للتجارة بين مصر وبلاد البحر المتوسط، كانت مركزاً تجاريا تعامل مع بلاد الاغريق فى عصر الاسرات السادسة والعشرين والتاسعة والعشرين والثلاثين، ساعدها على ذلك سهولة الاتصال بالعالم الاغريقى من خلال مرفأها على الساحل الشمالى لمصر. (محمد صبحى عبد الحكيم، ١٩٥٨: ٩٤)(٥٤).

وفى ضوء ماتقدم فقد كانت مدينة الاسكندرية بلدة قديمة فرعونية أعيد تأسيسها وبناؤها، كما اختلفت وظائفها بفعل المؤثرات الاجنبية الوافدة حيث تغيرت وظائفها من عاصمة اقليمية صغيرة الى عاصمة عالمية، ومن مركز تجارى متواضع النشاط إلى مركز عالمى يعد من أكبر المدن التجارية فى عهد الدولة البيزنطية ومن مرفأ صغير على ساحل البحر المتوسط إلى ميناء تجارى رئيسى ومنفذ رئيسى لتجارة مصر مع بلاد البحر المتوسط، لذلك لم يقف التأثير الناتج عن الوفود الاجنبى لمدينة الاسكندرية عند التغيرات فى وظائف المدينة بل امتد إلى تطور وظائف المدينة ايضا.

وجدير بالذكر أن التأثير الوافد فى احيان أخرى قد صحبة اضمحلال وتراجع لبعض وظائف مدينة الاسكندرية، ففى الفترة الممتدة منذ الفتح العربى وحتى اواخر العصر الايوبى، فقدت الاسكندرية دورها ووظيفتها كميناء مصر الأول، (رغم تمتعها بمكانه تجارية مرموقة)، وسلبتها دمياط دورها التجارى حين اصبحت ميناء مصر الأول فى هذه الفترة.



شكل (٤) إنكماش الإسكندرية فى العصور الوسطى

المصدر : محمد صبحى عبد الحكيم ، مدينة الإسكندرية ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١١٩

مدن شمال إفريقيا (محور البحر المتوسط)

التأثير الفينيقى على الحضرية فى شمال أفريقيا :-

يرى "اندرى جوليان" أن الشمال الافريقى لم يشهد الارهاصات الحضرية إلا بعد الوصول الفينيقى، حيث كان معظم السكان البربر من الرعاة ومربى الحيوانات دائمى التنقل والترحال من مكان إلى آخر، ولهذا فهم يقبلون على سكنى المنازل المتنقلة، اما الذين عرفوا الزراعة منهم واستقروا فقد كانت سكناهم فى اخصاص من فروع الشجر تميل إلى الطول أو فى أكواخ مربعة من حجر أو طين جاف، وكانت تتجمع هذه الأكواخ فى اماكن صالحة مختارة لتكون قرى كانت تعرف عندهم بإسم كستلا "Castella" وكانت تعد بالمئات، ولذلك يقرن "جوليان" وجود المدن ونشأتها بالمعنى المفهوم فى الشمال الافريقى بالقدوم الفينيقى (اندرى جوليان : ١٩٦٩:٧٦)(٥٥).

ومن هذا المنطلق نجد أن الحضريةالافريقية فى شمال القارة وعلى طول محور البحر المتوسط قد تأثرت بالمؤثرات الخارجية منذ ١٢٠٠ ق.م حيث اقيمت شبكة من المدن والمراكز التجارية على طول الشاطئ الشمالى لإفريقيا بفضل النشاطات التجارية التى كان يقوم بها الفينيقيون على طول ساحل البحر المتوسط والتى استمرت لقرن كامل تقريباً (السيد الحسينى:١٩٨١:٢١٣)(٥٦).

وارتبط بهذه الشبكة من المدن طوال العصر الفينيقى اى من الألف الثانية ق.م وحتى ١٤٦م. تنظيم اقتصادى واجتماعى متطور ومتشابك وأدى النشاط التجارى والقوة الاقتصادية المصاحبة له على طول هذا المحور (البحر المتوسط) إلى قيام العديد من المدن فى الشمال الافريقى من ليبيا شرقاً وحتى المغرب غرباً (احمد اسماعيل: ١٩٩٠:٥٢)(٥٧).

وقد أسس اهل صور (Tyriens) مراكز تجارية على السواحل الافريقية منذ القرن الثانى عشر ق.م نذكر منها مايلى:-

من اقدم المراكز التجارية التى اقامها الفينيقيون او تيكة "Utique" على الساحل الغربى من خليج تونس وذلك فى سنه ١١٠١ ق.م و لوكسيس Lixus على الساحل الأطلسى للمغرب الاقصى ويقال أنها تأسست سنه ١١١٠ ق.م وطنجة التى انشأت فى سنه ١١١٠ ق.م، ويبدو أن هذة المراكز قد اقيمت فى طور التعرف والاكتشاف الذى قام به الفينيقيون ليفسح المجال للتجارة وليس فى طور الاستقرار الحقيقى الذى تؤسس فيه المراكز التجارية على سواحل القارة، حيث ان الاستقرار الفينيقى على مايبدو لم تتوطد أركانه الا شيئا فشيئا من الشرق إلى الغرب، فقد استقر الفينيقيون فى أول الامر على سواحل "سرتا" ثم اقاموا فى قرطاج قبل أن يؤسسوا مستعمرات او مراكز تجارية حقيقية (اندرى جوليان: ١٩٦٩:٧٥-٨٦)(٥٨).

تعد قرطاج من أهم المدن التى تأست على يد الفينيقيين عام ٨١٢ ق.م وتأتى اهمية هذه المدينة فى أنها قد خلفت مدينة صور فى الدور الذى كانت تلعبة كمدينة أم، وكقاعدة تجارية، وذلك منذ بداية النصف الثانى من القرن الخامس قبل الميلاد، وعلى الرغم من تعدد المدن والمراكز الحضرية الا أن قرطاج كانت اعظم مركز تجارى فى حوض البحر المتوسط منذ القرن السادس ق.م، واستطاعت ان تبسط نفوذها على غرب جزيرة صقلية وجزر البليار وجنوب اسبانيا وضمت اليها الجانب الشمالى الشرقى من تونس وكان سلطانها يمتد بصفة غير مباشرة إلى داخل البلاد، وقد لقبت مدينة قرطاج بملكة افريقية بفضل هيمنها على تجارة المدن الأخرى، والتى لعبت دوراً كبيراً فى تجارة البحر المتوسط والداخل عبر الصحراء الكبرى قاصدة بلاد السودان لجلب الرقيق والعاج والذهب وغير ذلك من انواع البضائع الثمينة (عزيزة بدر:١٩٨٤:١٢)(٥٩).

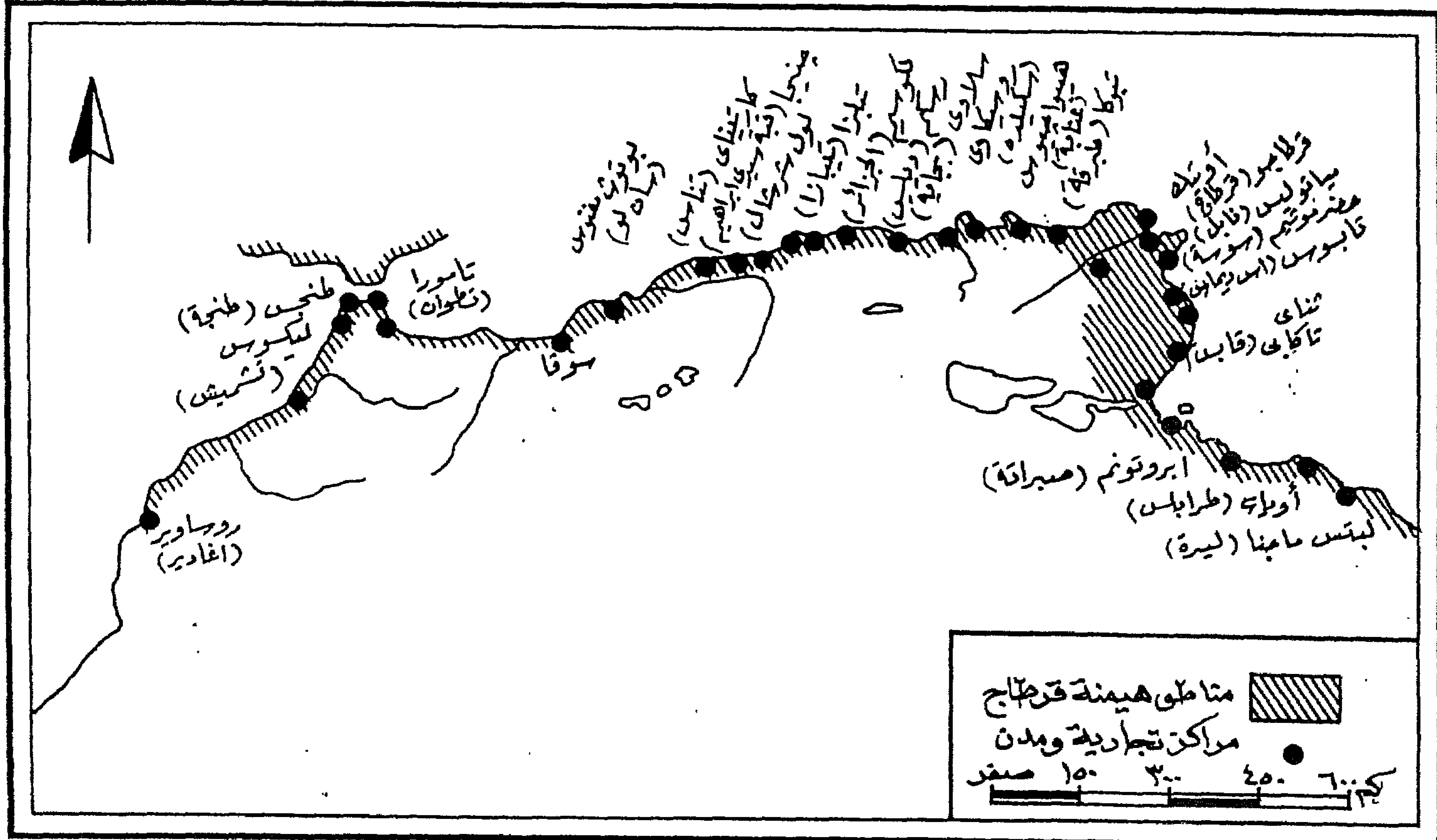
وقد كان موقع قرطاج عاملا مساعدا على التوسع الافريقى وسهولة التبادل مع العالم الشرقى أو الغربى، حيث تمتعت المدينة بموقع فريد على ضفة خليج منفتح صوب المضيق الموصل بين حوض البحر المتوسط الشرقى والغربى واقيمت فى موضع له مزايا المنعة مثل اغلب المدن الفينيقية، فقد اقيمت فى رقعة

من الأرض متوغلة في البحر لايربطها باليابس سوى جزء ضيق من الارض لايزيد عرضه على بضع كيلومترات ينحسر بين بحيرة تونس وسبخة اريانة (اندرى جوليان: ١٩٦٩:٨٧)(٦٠).

وكذلك تعد مدينة طرابلس من المدن ذات النشأة الفينيقية والتى يرجع تاريخ نشأتها فيما بين القرنين السابع والثامن ق.م وقد كانت هذه المدينة احدى المراكز التجارية الساحلية الثلاثة على الساحل الليبى والتى ضمت ماركا اويات Marca Uiat وليدة Leptis Magna وصبراته Abrotonom (فاتن محمد البنا: ١٩٧٧:٣٠)(٦١).

وقد تحدد موضع طرابلس الفينيقية او ماركا أويات Marca Uiat بواسطة مينائها الصخرى المحصن طبيعياً (محمد السيد غلاب: ١٩٧٢:٢٥١)(٦٢)، ويمكن القول أن موقع اويات الجغرافى كان يساعد على تحقيق التلاحم التجارى بينها وبين تلك المدن التى تحتل مكانها على الشواطئ الخاصة بالامبراطورية الفينيقية، كذلك لعبت اويات (طرابلس) دوراً رئيسياً فى عقد صلات قوية فى التجارة الصحراوية وفى تنمية النشاط التجارى داخل افريقيا، ومما زاد من أهمية المراكز التجارية والمدن على الساحل الليبى ذلك الطريق الرئيسى الذى اسسه الفينيقيون والذى امتد بمحازاه الساحل مبتدئا من قرطاج منتهيا عند أويات وقد كان لوجود مثل هذه الطريق الفضل فى زيادة حجم المعاملات التجارية مع العاصمة البونيقية (قرطاج) (نجم الدين غالب الكيب: ١٩٧٠:١٢)(٦٣).

وأدى توجيه الفينيقيين جل اهتمامهم نحو النشاط التجارى "البحرى او البرى التبادلى" إلى نوع من الفصل شهدته المدن الساحلية الفينيقية بينها وبين الداخل الافريقى، فقد اشار "كولين ماكيفيدى" إلى وجود انفصال تام بين الحضريين الذين كانوا يقيمون فى مدن الشاطئ الافريقى وبين السكان داخل الأراضى الافريقية جنوب تلك المدن والمراكز التجارية الساحلية (كولين ماكيفيدى: ١٩٨٧:٤٩)(٦٤)، كما أشار "الصديق" إلى الاهتمام الأحادى



شكل (٥) المراكز الفينيقية فى العهد القرطاجى

المصدر: تشارل إندرى جوليان - تاريخ شمال إفريقيا - ١٩٦٩ص ٨٨

للفينيقيين (بالنشاط التجارى وما يخدمه و يرتبط به) دون الأهتمام بجوانب العمران الأخرى مثل إقامة المنشآت العمرانية داخل المراكز الساحلية التجارية الفينيقية ومنها مدن اويات ولبدة وصبراته، وكان الاهتمام ينصب على الاكتفاء بصيانه المبانى المشيدة من قبل السكان المحليين، ولم تكن البقايا المعمارية القليلة التى وجدت تحت الأنقاض فى العصر الحديث فى "اويات" او غيرها إلا صورة من عمارة الفينيقين انفسهم فى بلادهم الاصلية مقلدة ومقتبسة (محمود الصديق ابوحامد:١٩٦٨:١٢٧-١٣٧)[٦٥].

وتعد مدينة **طنجة** من اقدم المراكد التجارية التى أسسها الفينيقيون على الساحل الافريقى، وقد اختلفت الآراء حول تأريخ تأسيس هذة المدينة، فيرجع البعض تأسيسها إلى عام ١١١٠ ق.م (عزيزة بدر:١٩٩٦:٨٢٢)[٦٦]، ونظراً لما شهدته المدينة من ازدهار تجارى فقد انتعشت اقتصادياً كميناء وكقاعدة لاقليم خاصة فى الفترة من ٥٥٠ ق.م إلى ٣٨ ق.م، اى فى العصر القرطاجى، أدى ذلك الى استقرار السكان حول خليج طنجة وامتداد العمران خارج نواة المدينة، كما نشأت عدة مراكز عمرانية هامة فى الاقليم تحيط بمدينة طنجة (عزيزة بدر:١٩٩٦:٨٣)[٦٧].

وجدير بالذكر أن الفترة القرطاجية (٥٥٠ ق.م إلى ٣٨ ق.م) قد شهدت توزيعاً جيدا لمراكز تجارية كانت اسواقاً ومراكز تسويق (أطلق عليها أساكل مفردها اسكلة) على طول البحر المتوسط، وسواحل المحيط الأطلنطى وقد وقعت جميع هذة المراكز تحت هيمنة العاصمة اليونيقية قرطاج وتوضح الخريطة شكل(٥) والجدول (١) أهم او بعض هذه المراكز الفينيقية فى العهد القرطاجى.

جدول (١) اهم المراكز التجارية الفينيقية فى العهد القرطاجي فى الشمال الافريقى *

المركز الفينيقى		إسم المدينة الحالى	الموقع
لبتس ماجنا	leptis Magna	لبدة	واقعة على البحر المتوسط
تاقابس	Tacapas	قابس	»
تابسوس	Thapsos	رأس الديماس	»
حضرموت	Hadrumete	سوسة	»
لبتيس مينور	Leptis	لمطة	»
اوتيك	Utique	أوتيكة	»
هيبو دياريتس	Hyppo Diarrytus	بنزرت	»
هيبو رجيوس	Huppa Regius	عنابة	»
ريسكادى	Rusicade	سكيكدة	»
سالداى	Saldae	بجاية	»
رسكم	Rusccum	دلس	»
رسجنيا	Rusguniae	ماتيفو	»
لكوسيم	Lcosium	الجزائر العاصمة	»
لول	Lol	شرشال	»
	Guniga	قبة سيدى ابراهيم	»
	Cartennae	تناس	»
			على المحيط الأطلنطى
لوكسيس	Luxus	تشميش	»

* تشارل اندرى جوليان -مرجع سابق ١٩٦٩-ص ١٠٩

ويتضح من الجدول (١) والخريطة (٥) مايلى :

شغلت كل المراكز التجارية الفينيقية فى الفترة القرطاجية مواقع ساحلية، معظمها يطل على البحر المتوسط، والقليل منها يطل على المحيط الأطلنطى.

يشير "جوليان" إلى أن معظم هذه الفترة قد شغلت المراكز مساحات صغيرة او متواضعة نسبياً، ولم يكن لهذه المراكز العمرانية نفوذ سياسى أو تداخل داخل البلاد المحتلة سواء كانت فى افريقيا او فى غيرها (أسبانيا او مالطة)، يستثنى من ذلك هيمنة مدينة قرطاج التى قد امتدت فى بعض الاحيان إلى الاجزاء الشرقية الداخلية فى تونس، والخريطة توضح الحد التقريبى لهيمنة قرطاج الممتدة نحو الداخل.

تشير الخريطة السابقة إلى أن المدن الساحلية الفينيقية لم تكن الا نقاط ارتكاز فى الفترة الفينيقية تؤدى دوراً اقتصاديا رئيسيا فى المقام الأول، ويتمثل فى جمع المواد الأولية وتوزيعها، او بمعنى آخر هو دور تجارى فقط، ولم يتم تفاعل بين سكان هذة المدن من الفينيقين التجار وسكان البلاد الاصليين.

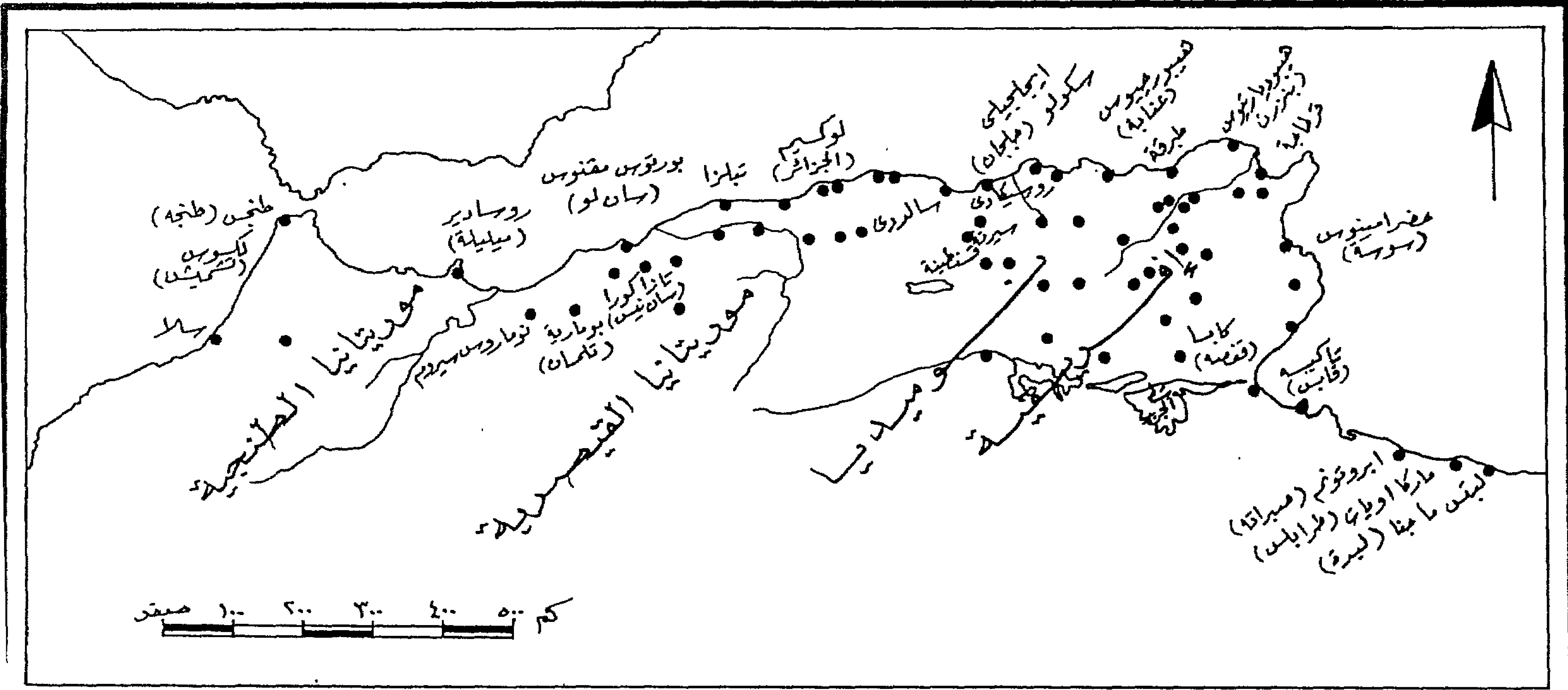
التأثير الرومانى على الحضرية فى شمال أفريقيا :-

تلقت شمال افريقيا المؤثرات الحضرية الرومانية حين وقعت البلاد تحت تأثير الاستعمار الرومانى منذ عام ١٤٦م والذى استمر حتى بداية الفتح العربى فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى.

وجدير بالذكر أن التأثير الرومانى الوافد قد اختلف اختلافاً جذريا عما سبقه من تأثيرات اجنبية، ويرجع ذلك لعدة أسباب منها أن الرومان كانوا غزاة محتليين، دفعهم التوسع السياسى إلى احتلال اجزاء متسعة من شمال افريقيا ومصر وأوربا وآسيا الصغرى. (خريطة شكل (٦))، وقد كان استعمارهم لبلاد البربر استعماراً للإستغلال قبل أن يكون للعمران، لذلك أهتم الرومان بتهيئة بلاد البربر وتنظيمها بما يسهل وييسر هذا الاستغلال، ومثال ذلك أنهم قد

شجعوا على ازدهار الزراعة وخاصة زراعة القمح والزيتون والكروم لسد حاجة الامبراطورية الرومانية من هذه المحاصيل، ولتحقيق هذا الازدهار قد قاموا بتوطيد الأمن فى ارجاء البلاد وحفرت مئات الآبار، وفجرت العديد من الآبار الارتوازية فى الواحات، واهتموا بإقامة السدود، وكانوا يراقبون بكل عناية المياه الجارية وينتفعون بها، كما كانوا يجمعون حتى اصغر الجداول المنسابة أمام السدود المقامة فى الأودية، وكذلك اهتموا بتعديد وسائل الانتاج وإحياء الأراضى، وتنظيم الاسواق (اندرى جوليان، ١٩٩:٢٠٥-٢١٢)(٦٨)، وقد ساعدهم فى ذلك انهم مهندسون ومحاسبون ومنظمون مهرة (احمد خالد، وآخرون:١٩٩٣:١٠١)(٦٩).

ويعد اهتمامهم بعمل وانشاء شبكة من الطرق فى الولايات أو الإدارات التابعة لهم، والتى لاتزال بعض اجزائها موجودة إلى اليوم، احد عوامل التطور الأقتصادى الذى شهدته افريقيا فى تلك الفترة، كذلك أدت هذه الطرق إلى ربط شبكة المدن المقامة، وعلى سبيل المثال ربطت الطرق مدينة Ammaedara حيدرة و Tacapas قابس، ومدينة تبسة و Hippo Reguis (عنابة)، وبين طنجة وسلا و طنجة ووليلى. وحظيت ولاية افريقية او البروقنصلية بشبكة كثيفة من الطرق، كانت قرطاج محورها الرئيسى، فمنها يتفرع طريقان طريق نحو Hippo Regius (عنابة) ماراً ببنزرت Hippo Diarrhytus و Chullu (القاله) والثانى شق وادى مجردة حتى وصل إلى شمتو، ومن أهم الطرق الطريق الذى ربط بين قرطاج وتبسه والذى بلغ طوله ٢٧٥كم، كذلك من الطرق الهامة التى كان لها فضل ربط شبكة مدن الإقليم، الطريق الساحلى المتجهة نحو الجنوب الى لبدة. Liptis M. و Hadrusetum (سوسة) (وطرابلس) اويا Oea وقد تجاوز طولة ٨٠٠ كم، وكما اختلفت شبكة الطرق فى اطوالها فقد اختلفت فى اتساعها حيث تراوحت بين ٢,٣٧ مترا و ٧,٥٠ مترا كما كانت تقام الكبارى لإجتياز الأودية (اندرى جوليان، ١٩٦٩: ٢١٤-٢١٨)(٧٠) حيث برع الرومان فى تشيد الجسور والكبارى والأقواس والطرق الاستراتيجية كما برعوا فى بناء وتشييد المدن (Pritchard, 1979:45)(٧١).



شكل (٦) شبكة المدن فى شمال أفريقيا فى العصر الرومانى

ويوضح الجدول (٢) والخريطة (٦) مدى ارتباط العصر الرومانى بإنتشار وازدهار شبكة المدن على صفحة الاقليم، ومن الخريطة والجدول يلاحظ مايلى:-

١ - تم تقسيم شمال افريقيا إلى اربع وحدات إدارية هى إفريقية البروقنصلية او "إفريقية" و "نوميديا" و "مويتانيا القيصيرية"، و "موريتانيا الطنجية"، كذلك قسمت هذه الوحدات إلى مناطق ثم قسمت كل منطقة بدورها إلى جهات. ويلاحظ أن الجدول قد اضيف اليه مدن طرابلس الواقعة إلى الشرق من ولاية افريقية والتى تمتد بالاراضى الليبية الآن.

٢ - لم يقتصر وجود المدن على النطاق الساحلى بل امتد انتشار المدن فى المناطق الداخلية، ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة فى ولايات افريقية وموريتانا القيصرية ونوميديا، فالأولى كانت زاخرة بالمدن الواقعة على الساحل او بالقرب منه مثل قرطاج Carthage وبنزرتHippo Diarrht والمهدية Gummi وغيرها، ومن المدن الداخلية والتى ارتبطت بوادى مجردة ووادى مليان، حيدرة Ammaedara والكافSicca Yeneria وهنشير Althiburos وغيرها.

وضمت ولاية موريتانيا القيصرية العديد من المدن الواقعة على الساحل كما أنتشرت بها المدن الداخلية بتأثير المستعمر الرومانى، حيث نظمت فى خطين عسكريين، يحازى الأول البحر وهو يمر من عين تيمو نشانت (Albalae) وحمام ابو حجار (Dracones) وأربال Regiae وسان دونيس (Tasaccora) وغيرها من المدن.

اما الثانى ويقع إلى الجنوب ويمر بتلمسان (Pomaria) و لاموريسيا (Al-tava) وشانزى (Caputtasaccora) وتمزدين (Lucu) وغيرها، وقد تم توزيع الأراض الزراعية على قدماء الجند حول هذه المدن فنشأت المداشر او المدن السابقة الذكر (اندرى جوليان :١٩٦٩:٢٣٨)(٧٢).

٣ - توضح الخريطة السابقة أن معظم المدن فى إدارة اولاية موريتانيا الطنجية (الواقعة فى اقصى الغرب) كانت تقع على السواحل سواء السواحل

المحيطية (الاطلنطى) او ساحل البحر المتوسط، كذلك شهدت المنطقة الواقعة شرق ولاية افريقية المدن الساحلية الموقع فى معظمها.

٤ - توضح الخريطة السابقة والجدول (٢) ارتفاع كثافة المحلات العمرانية الحضرية بصورة كبيرة فى ثلاث ولايات هى ولاية افريقيا ونوميديا وموريتانيا القيصرية، وقد اشار "سليمان" إلى أنه مع نهاية القرن الثالث الميلادى زاد عدد المدن بهذة الولايات زيادة كبيرة (سليمان عبد الستار خاصر، ١٩٧٨:٥-٦)(٧٣).

سبقت الاشارة الى انه فى ظل النفوذ الفينيقى لم تخرج المراكز العمرانية فى ساحل شمال افريقيا عن كونها مراكز للتجارة، ولم يستثنى الا بعض المدن (قرطاج) التى اضطلعت بالعديد من الوظائف بالاضافة لوظيفتها التجارية، وقد شهدت المدن مع القدوم الرومانى الوظائف المتعددة والمتباينة، وعلى سبيل المثال كانت قرطاج تمثل عاصمة لولاية افريقية وثالثة أكبر المدن بعد روما والاسكندرية على مستوى الامبراطورية الرومانية، ومثلت سيرته (قسنطينة) عاصمة اقليمية لولاية نوميديا وقامت بعض المدن بالوظيفة الإدارية مثل Dollfusville سوفسار فى ولاية نوميديا فقد كانت مركزاً إداريا لدائرة رومانية، وظهرت مدن الحصون مثل سور الغزلان فى نوميديا Auzia وقد شيدت فوق منطقة مرتفعة تنحصر بين نهرين، وقامت بعض المدن مثل Am-maedara حيدرة وقرطاج بوظيفة المدن العقدية Nodel Point، حيث سيطرة الأولى على المواصلات التى ربطت بين ولاية نوميديا والبروقنصلية واحتلت موقعاً استراتيجياً هاماً، وكانت الثانية نقطة تفرع وتلاقى العديد من الطرق الرئيسية سواء الذى امتد منها موازيا للساحل او امتد الى داخل البلاد كما سبق الذكر، وقامت العديد من المدن الساحلية بوظيفة الميناء مثل قالة Chullu وبجاية Saldae والجزائر Lcosium وغيرها.

جدول (٢) اهم المدن فى شمال افريقيا فى العصر الرومانى *

إسم المدينة الرومانية	اسم المدينة الحالى
١ – مدن طرابلس :–	
OEA	طرابلس
Sabratha Vulpia	صبراته
Leptis Magna	لبدة
٢ – مدن البروقنصلية :–	
Gummi	المهدية
Thapsur	رأس الديماس
Leptis Minor	قلمطة
Ruspina	المنستير
Taparura	صفاقس
Hadrumetum	سوسة
Carthage	قرطاج
Utiqua	اوتيكه
Hippo Diarrhytus	بنزرت
Hippo Regius	عنابة
Thelepte	تلابت
Cillium	القصرين
Ammaedara	حيدرة
Sicca Veneria	الكاف
Althiburos	هنشير
Mactaris	مكثر
Calama	قالمة
Thubursicu Numidarum	الخميسة
Madauras	مداورروش
Capsa	تبسة

تابع جدول (٢) اهم المدن فى شمال افريقيا فى العصر الرومانى

إسم المدينة الرومانية	اسم المدينة الحالى
٣ – مدن نوميديا :–	
Cirta	قسنطينة
Chullu	القالة
Mascula	خنشلة
Thamugadi	تيمقاد
Culcal	جميلة
٤ – مدن موريتانيا القيصرية:–	
Lgilgili	جيجلى
Saldae	بجاية
Lomnium	تغزرت
Rusuccru	دلس
Rusguniae	ماتيفو
Lcosium	الجزائر
Tipaza	تبازة
Gunugu	قبة سيدى ابراهيم
Cartennae	وتنس
Lol	شرشال
Tanaramusa	تناراموزا
Dollfusville	سوفسار
Malliana	افرفيل
Zucchabar	المليانة
Albulae	عين تيمو
Dracones	حمام بوحجار
Regiae	أريال
Tasaccora	سان دونيسى

تابع جدول (٢) اهم المدن فى شمال افريقيا فى العصر الرومانى

إسم المدينة الرومانية	اسم المدينة الحالى
Pomaria	تلمسان
Altava	لاموريسيار
Coputtasaccora	شانزى
Lucu	وتمزوين
Ala Miliaria	وبنيان
Cohars Breucorum	تعزامرات
٥ - مدن موريتانيا الطنجية:-	
Tingis	طنجة
Lixus	تشميش
Volubilis	وليلى

* شارل اندرى چوليان -مرجع سابق- ١٩٦٩-٢٢١-٢٣٩.

خضعت المدن في شمال افريقيا الى الخطة الشترنجية التى حرص على تطبيقها الرومان عند انشائهم للمدن، فعادة تقام المدينة على شكل مربع او مستطيل يخترقها طريقان رئيسيان متعامدان احدهما من الشمال الى الجنوب ويسمى كاردو Cardo والآخر من الشرق إلى الغرب ويسمى Decomanus وبذلك تنقسم المدينة اربعة اقسام، وغالبا ما يقع هذان الطريقان فى وسط المدينة وعند تقاطع الطريقين يخطط ميدان رئيسى مفتوح، ويحيط بالمدينة سور له بوابات (احمد خالد علام واخرون، ١٩٩٢ ,١٠٢)(٧٤).

وكانت المدن الرومانية تخطط لإستيعاب ٥٠ ألف نسمة كحد آمثل لأحجام المدن، الا أن هذا الرقم قد زاد فى الكثير من الأحيان وقل فى احيان أخرى خاصة فى المناطق الخاضعة للإستعمار الرومانى، وعلى سبيل المثال فإن متوسط احجام المدن في ولاية افريقية كان عشرة آلاف نسمة بما حولها من ضواحى، وكان الكثير من المدن يتراوح سكانها ما بين ٢٠٠٠، ٦٠٠٠ نسمة، وكانت المدينة مركزا سياسياً ودينياً بما فيها من مساحة عامة ومحكمة، وهياكل، وكانت ايضا مركزاً اقتصاديا بأسواقها وحوانيتها وصناعتها، وكانت مقر اجتماع ومكان للهو بما حوت من مسارح وحمامات (عزيزة بدر: ١٩٨٤، ٢١)(٧٥).

مما سبق يتضح أن التأثير الرومانى الوافد على الشمال الافريقى، قد اثر بما لايدع شك فى العمران الحضرى فى هذا الجزء من القارة الافريقية وأدى الحرص الشديد على التخطيط واقترن التخطيط الخاص بالمدن بتخطيط مصاحب للاراضى الزراعية وامتداد التخطيط إلى الطرق وتقسيم الحقول والاهتمام بالامداد بالمياة هذا جعل هناك محافظة على التوازن بين الريف والحضر فى الاراضى التى امتد اليها النفوذ الرومانى، ومنها شمال افريقيا.

تدهور الحياة الحضرية فى نهاية الحكم الرومانى :-

تعد المدينة ظاهرة حضارية يصعب فصلها عن المستوى الحضارى العام الذى تمر به الشعوب، وهى تكون فى العادة تعبيرا صادقاً عن المرحلة

الحضارية للاقليم (احمد اسماعيل، ١٩٩٠، ٦٦)[٧٦]، وجدير بالذكر أن المرحلة الحضارية التى مرت بها شمال افريقيا فى القرن الخامس الميلادى قد تركت بصماتها واضحة على الحياة الحضرية فى هذا النطاق، حيث يرى "هانس" Hance أنه قد حدث تدهور شديد قد أصاب المدن فى كل مكان وفى ارجاء الشمال الافريقى فى فترة القرن الخامس الميلادى (Hance, W.A 1970:210)[٧٧]، وصحب هذا التدهور تقهقر فى حركة العمران، وانكماش وتقلص فى رقعة الاراضى الزراعية والمناطق الريفية المحيطة بالمدن والتى كانت تعتمد عليها (المدن) فى الامداد بالمؤن الغذائية، وأصبحت مظاهر الطمس للمؤثرات الرومانية واضحة، وأصاب العمران الحضرى اندثار فى كثير من المواقع، وشهدت هذه الفترة زحفاً للبداوة مرة أخرى.

ويمكن أن نرجع هذا الوضع المتدهور إلى الأزمة الكبرى التى انتابت الامبراطورية الرومانية فى الفترة من ٢٣٥-٣٩٥م (أى الحقبة الثانية من الامبراطورية الرومانية) بتأثير غزوات البرابرة (أقوم قدمت من سهول أسيا الوسطى إجتاحوا أوربا من الشرق على فترات متعددة منهم الهون والجرمان..الخ) ويذكر "موريس لومبارد" أن المحاولة التى قامت بها الدولة البيزنطية عند ضم شطر صغير ساحلى فى الفترة من ٥٣٣ إلى ٦٤٧م اليها للحيلولة دون تقلص التيارات التجارية والتقهقر الاقتصادى بالمنطقة لم تأتى بالنتائج المرجوة، ولم تفلح هذه المحاولة فى تخفيف نتائج انكماش وتقلص الأراضى الزراعية او وقف اختناق الحياة الحضرية فى الشمال الافريقى (موريس لومبارد ١٩٧٩: ٧٦-٧٨)[٧٨]، وجدير بالذكر أنه مع استمرار هذه الأحوال المتردية للعمران فى الشمال الافريقى فقد بقيت بعض المدن والنويات الحضرية مثل قرطاج وفولوبيليس (وليلى) وتنجيس (طنجة) وسبتم (سبته)، غير أنها كانت فى حالة من الضعف والتدهور نتيجة لزحف واتساع حياة البداوة فى انحاء الأقليم.

ويتضح مما سبق أن بلاد المغرب العربى كانت تعانى عشية الفتح الأسلامى من تقهقر عمرانى مقترن بتدهور اقتصادى شديد. وبدخول الاسلام

افريقيا الشمالية نجح الحكم الاسلامى فى رد اقطار افريقيا الشمالية إلى الحياة الاقتصادية المزدهرة وإلى انبعاث مذهل فى الحياة الحضرية، وعادت الحضارة العمرانية للظهور، فظهرت المدن الاسلامية النشيطة تجاريا، ذات المورفلوجية المميزة، ومع المدينة الاسلامية نمى نمط جديد من الافراد، وهو بريرى اثر فيه الاسلام بصورة عميقة، وبفضل جهوده اخذت المؤثرات العمرانية فى الانتشار (موريس لومبارد: ١٩٧٨: ١٠٣)(٧٩).

التأثير الاسلامى على الحضرية فى شمال افريقيا :-

يشير "أبن خلدون" إلى مدى الإرتباط الوثيق بين قوة الدولة وازدهار العمران الحضرى بها ويؤكد أن دور الدولة القوية لا يقتصر على زيادة معدل نمو العمران وازدهار المدن القائمة، بل يتعدى ذلك إلى إستحداث مدنا جديد، وخاصة زمن الفتوحات الكبيرة لهذه الدولة، حيث انها تكون فى حاجة إلى إستحداث بعض المدن والثغور لإيواء حامياتها وحماية حدودها الجديدة من غارات الدول المجاورة.

كذلك ربط "أبن خلدون" بين رقى الدول وما يطرأ على المدن من ازدهار ونمو تبعاً لذلك، وبين اضطراب احوال الدول فى أواخر أيامها وما تتعرض له المدن من تدهور وخراب، وذلك لما يحدث فى مثل هذه الفترات من أحداث ترتبط بطبيعة هذه المرحلة من حياة الدولة، فمما لاشك فيه يؤدى التدهور الاقتصادى وعدم الاستقرار السياسى إلى تدهور المدن واضمحلالها. (عبد العال عبد المنعم الشامى - ١٩٧٨ : ١٣٢ - ١١٣) (٨٠).

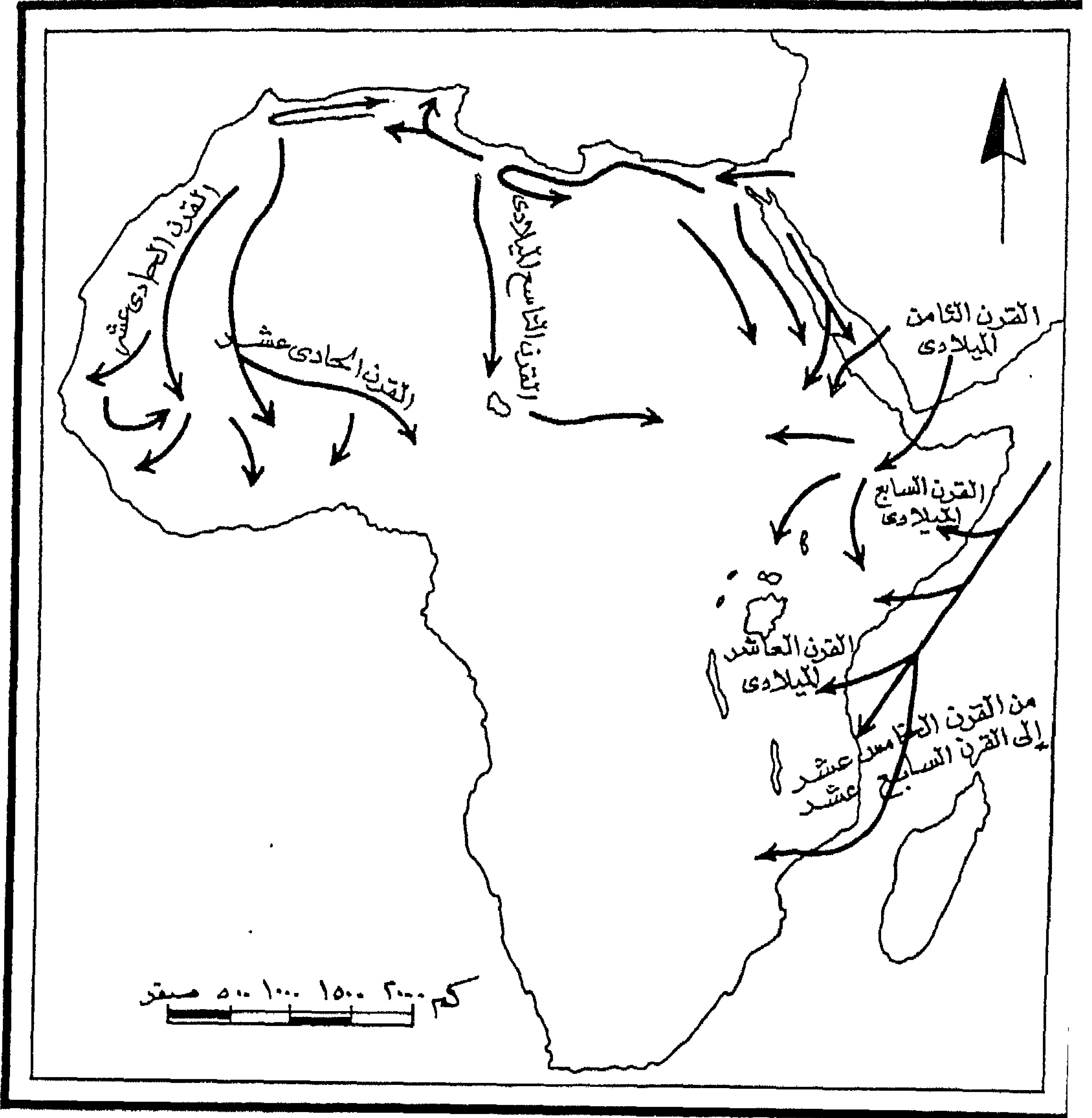
ويمكن تطبيق ذلك على الفتوحات الاسلامية فى شمال افريقيا والتى صاحبها إقامة أمصار جديدة وسلسلة من المدن والثغور، شُيد بعضها مع بداية الفتح الاسلامى. وشُيد البعض الآخر مع قيام دول إسلامية مستقلة بالمغرب العربى. فيما بعد، وذلك فى خلال فترة الحكم الاسلامى فى شمال أفريقيا التى امتدت من القرن السابع الميلادى حتى بداية القرن السادس عشر الميلادى.

وجدير بالذكر أن العديد من هذه المدن شهدت فترات من النمو والازدهار ومرت بفترات أخرى من التدهور والتدني، وذلك تبعاً لما تعرضت له أحوال الدول المتعاقبة التي قامت على صفحة الاقليم. وهذا ما سيتضح فى العرض التالى :-

كان استيلاء المسلمين على مصر عام ٦٤١م، يعد بداية التأثير الاسلامى على الشمال الافريقى، حيث كان هذا ايذانا بإمتداد سلطانهم غرباً، فتوالت حملاتهم على هذه البلاد حتى دخل الشمال الافريقى كله فى كنف الدولة العربية الإسلامية (شوقى عطاالله الجمل ـ عبد الله عبد الرازق ١٩٩٦:٤٥)(٨١).

وقد واجه الانتشار Diffusion العربى الاسلامى العديد من الصعوبات فى بادئ الامر سواء من قبل البدو من البربر أو من قبل البيزنطيين، إلا أن الاسلام قد استطاع أن يرسى قواعد الوحدة بين أقاليم الشمال الافريقى فى العديد من الفترات. (Best and De Blij,1977 : 67) (٨٢) فقد تم وحدة الشمال الافريقى فى عهد الدولة الاموية (حين خرج عقبة بن نافع ٦٨١م من القيروان كنقطة إنطلاق إلى الغرب، فسار إلى الزاب (جنوب قسنطينة) ثم إستولى على تلمسان واتجه جنوب المغرب الأقصى فإستولى على طنجة، وتقدم فى بلاد المغرب فوصل إلى السوس الأدنى والسوس الأقصى وانتهى إلى مدينة اسفى على المحيط الأطلنطى) (شوقى الجمل ـ ١٩٩٧: ٨)(٨٣)، كذلك شهد الشمال الافريقى الوحدة فى عهد الدولة الفاطمية، وفى غيرها من الفترات.

وفى ظل الاسلام شهد الشمال الافريقى قيام العديد من الأمصار والمدن كان أولها نشأة مدينة "**القيروان**" على يد عقبة بن نافع عام ٦٧٠م، وقد شيدت المدينة فى موقع داخلى بعيدا عن البحر، حيث تحاشى العرب فى بادئ الامر الاقتراب من المناطق الساحلية (Best and De Blij, 1977 : 67)(٨٤) واستكملت مقومات مدينة القيروان كمدينة إسلامية ببناء جامع عقبة بن نافع فى وسط المدينة، وخططت لتكون موقعاً دفاعياً ومعسكر للإنطلاق، وتعرضت القيروان للتخريب فى اواسط القرن الثامن الميلادى، نتيجة للإضطرابات سياسية تعرضت على إثرهما العديد من المدن والقرى للتدمير والتخريب .شوقى الجمل ـ ١٩٩٧:٩)(٨٥).



شكل (٧) إنتشار الإسلامى فى إفريقيا منذ دخولة إلى القارة فى القرن السابع الميلادى

المصدر: Pritchard, J. M., op. cit, p. 47.

المصدر : شوقي الجمل - مرجع سابق - ١٩٩٧ - ص٥٨٤ (شكل ٨)

وقد اعيد بناء القيروان عام ٧٧٢م واضطلعت بدور العاصمة فى عهد دولة الأغالبة المستقلة التى قامت فى ولاية افريقية (من ٨٠٠م الى ٩٠٩م)، وكان جامع القيروان الذى شيد بالمدينة منارة علمية لعبت فى شمال أفريقيا دور ثقافى ودينى كبير (شوقى الجبل - ١٩٩٧: ١٣)(٨٦).

وبذلك تعددت وظائف القيروان حيث اضطلعت بالعديد منها فقد كانت العاصمة، ومركز اشعاع دينى، وثقافى، ومركز تجارى يعد من أكبر المراكز التجارية فى غرب البحر المتوسط، وأصبحت طرقها تربطها بأوربا المسيحية، وكانت تلك الطرق تربط القيروان بأواسط أفريقيا مصدر التبر والعبيد من الزنوج، وتربطها بالشرق الثرى حيث كانت تصدر له العبيد والزيوت (عزيزه محمد على بدر - ١٩٨٤:٣١) (٨٧).

وضمت شبكة المدن الإسلامية مدينة العباسية **(القصر الجديد)** التى انشأت سنه ١٨٥هـ/٨٠١م جنوب القيروان بأربعة كيلومترات. وقد شيدت لتكون مقراً للحاكم (ابراهيم بن الاغلب) ومعسكر لجنده، وأقيم بها القصور والحدائق واماكن القيادة، إلا أن هذه المدينة قد انطمست معالمها فى الوقت الحاضر ولم يبقى منها سوى الأطلال التى يطلق عليها قصور الاغالبة.

وتعد مدينة **"رقادة" أو "القصر الجديد"** من مدن الوسط التونسى والمقامة فى منطقة داخلية فى عهد اسرة الأغالبة أيضا (انشأت ٢٦٤هـ / ٨٧٨م) وقد اتخذت مقراً وعاصمة لحكم هذة الاسرة فى أواخر ايامها، ولذلك فقد عمرت بالاسواق، والحمامات والفنادق والعديد من المنشأت العمرانية وأقيم حولها سور من الطوب اللبن لإستكمال دواعى الامن المعروفة فى فترة العصور الوسطى لمعظم المدن (الرفيق القيروانى - ١٩٩٤: ٣٦) (٨٨).

ويضم نطاق المدن الإسلامية الداخلية مدينة "فاس" التى نشأت فى عهد دولة الأدارسة سنة ١٩٠هـ / ٨٠٨م (فى عهد ادريس الثانى) وقد اختير لإقامة المدينة موضع فى سهل سايس على ضفتى وادى فاس (سيبو الحالى)، ولهذا تعد فاس من المدن التو أمية "Twin City"، حيث تنقسم إلى شطرين الشطر

الأيسر من المدينة ويطلق عليه عدوة القرويين، والشطر المشيد على الضفة اليمنى وهو الشطر القديم وقد اطلق عليه فيما بعد عدوة الاندلسيين، وقد تم توحيد شطرى المدينة فى عهد أول ملوك دولة المرابطين (يوسف بن تاشفين)، (المكتب الوطنى المغربى للسياحة ١٩٩١: ٦ ـ ٧) (٨٩).

واكتسبت المدينة اشعاعاً فكريا وحضاريا بعد التأسيس جامع القرويين بها سنة ٨٥٩م، والذى أصبح جامعة شهيرة، وأصبح منارة للإسلام ومركزا هاماً للدراسة. (شوقى الجمل ـ ١٩٩٧ : ٢٤)(٩٠)، واضطلعت مدينة فاس بوظيفة العاصمة فى عهد الأدارسة وفى عهد حكم الاسرة المرينية ١٢٤٨م، وقد ضمت العديد من المؤسسات والمنشآت الحضارية من أهمها القصر الملكى الحالى وعدة مدارس منها مدرسة الصفارين والعطارين وغيرها (المكتب الوطنى المغربى للسياحة : ١٩٩١ ـ ١٠)(٩١).

اسست مدينة **مكناس** فى القرن العاشر الميلادى، فى موقع يتوسط سهل سايس الكائن بين سفوح جبال أطلس الوسطى وهضبات ما قبل الريف، وتعد مكناس من المدن الداخلية التى توسعت عمرانيا على مر عهود الدول المتعاقبة عليها، فقد حصنها المرابطون فى القرن الحادى عشر، واتسعت رقعتها العمرانية فى القرن الثامن عشر على يد الموحدين، وقد اضطلعت بوظيفة العاصمة فى عهد الدولة العلوية (١٦٧٢م ـ ١٧٢٧م) حيث شملتها نهضة عمرانية وثقافية مكثفة، فشيد بها القصور والاسوار والأبواب والمدارس والحدائق وغيرها من المؤسسات العمرانية.

أما مدينة **مراكش** فقد أنشئت فى عام ٤٦٢هـ ـ ١٠٦٩م زمن دولة المرابطين (فى عهد يوسف بن تاشفين) وقد تم بناء المدينة فى موضع بواحة تلتقى عندها الطرق الى كانت تمر بها قوافل الجنوب (المكتب الوطنى المغربى للسياحة:١٩٩١: ١٠)(٩٢)، وهى بذلك تميزت بموقع عقدى طبيعى، حيث توفر لها امكانيات الحماية والإتصال الجيد، وبرزت مدينة مراكش كعاصمة لدولة المرابطين التى اتسعت دولتهم حتى صارت تجمع ما بين المغربين الأقصى

والأوسط شرقا، وبلاد الاندلس شمالاً وتمتد إلى بلاد السودان جنوبا (شوقى الجمل ـ ١٩٩٧ : ٢٠ ـ ٢١)(٩٣) وقد حصنت المدينة بالأسوار، واقيم بها العديد من المنشأت العمرانية.

شهدت المدينة فترات من الازدهار والنمو العمرانى (مثلما كان فى عهد يعقوب المنصور فى الفترة من ١١٨٤ إلى ١١٩٩م)، كما شهدت فترات أخرى من الانحطاط كما حدث لها فى عام ١٢٦٣م (فى عهد الدولة المرينية) وفى أواخر عهد السعديين.

ومن المدن الاسلامية الساحلية مدينة "المهدية" التى أنشأت فى عام ٩٢١م فى عهد الدولة الفاطمية العبيدية، لتكون عاصمة ومنطلقاً للحملات الموجهة صوب الشرق، وقد بنيت على موضع عتيق يرجع إلى القرنين الرابع والثالث ق.م، تمثل فى شبه جزيرة تعرف بقصر جمة على الساحل الشرقى لولاية افريقية، وقد أنشأت بالمدينة العديد من المنشأت العمرانية مثل دار الصناعة ومخازن المياه، وسراديب داخل المدينة وغير ذلك، وجدير بالذكر انه قد تم ردم مقدار من البحر مساوى مقدار أو مساحة المدينة وضم اليها، وفى هذا الجزء أقيم الجامع الأعظم (الجامع العبيدى) ودار المحاسبات. وشيد المهدى مؤسس المهدية مدينة أخرى تسمى "زويلة" جعل بها الاسواق والفنادق وادار حولها خنادق متسعة تجمع فيها مياه الامطار وكان يطلق عليها اسم إحدى المهديتين (عزيزة على بدر ـ ١٩٨٤ ـ ٣٤)(٩٤).

ترجع نشأة مدينة تونس إلى عهد الدولة الاموية على يد حسان بن النعمان، بعد قيامه بتخريب مدينة قرطاج (حسين مؤنس ـ ١٩٩٢ : ٦٧ ـ ٦٨)(٩٥)، وقد خلفت تونس مدينة قرطاج حيث شيد بها المبانى والاسواق ودار صناعة السفن، وقد اضطلعت تونس بوظيفة العاصمة فى عهد الموحدين (١١٣٠م) وفى عهد حكم الدولة الحفصية بتونس (الحالية) (١٢٣٠ ـ ١٥٧٤م) وقد ساعد موقعها المنيع وانفتاحها على البحر واهتمامها بالتجارة البحرية يوفر لها موارد هامة مما أدى إلى استمرار ازدهارها (عزيزة على بدر ـ ١٩٨٤ : ٤١)(٩٦).

نشـأت مـدينة الربـاط فى القرن العاشر الميلادى فى موضع على الجانب الأيسـر لوادى نهـر أبى الرقراق لتكون حـصناً واقـيا للدفـاع عن مـدينة "سـلا" المقامة على الضفة اليمنى للنهر، وأطلق على هذا الحصن ربطاً ومن هنا سميت المدينة بالرباط. وفى عهد الموجدين تحولت إلى مركز محصن اطلق عليه "رباط الفـتح"، وبدأت تسـتـقـبل مـدينة الموحـدين افـواج المسلمين النازحين من بلاد الاندلس منذ عـام ١٦١٠م. الا أن توحـيـد المدينتين أو المدينة "سـلا" والحـصن "الرباط" قـد تم فى عـهـد الدولة العلوية عـام ١٦٦٦ (المكتب الوطنى المغـربى للسياحة ـ ١٩٩١ : ٣)(٩٧).

رغم تعـدد المدن التى تم تناول نشـأتهـا فى العرض السـابق الا انه يبـقى العديد من المدن التى تم تأسيسـها خلال الفترة الاسلامية فى الشمـال الافريقى والجدول التالى يتناول بعضها.

جدول (٣) تاريخ نشأة بعض المدن الاسلامية فى شمال افريقيا*

المدينة	تاريخ النشأة	المدينة	تاريخ النشأة
القيروان	٦٧٠م	تاهرات	٧٦١م
تونس	–	تينس	٨٧٥–٨٧٦م
المهدية	٩٥١م	وهران	٩٠٢–٩٠٣م
عشير	٩٣٥م	فاس	٨٠٧م
الجزائر	٩٥٠م	مكناس	٩٦٠م
مليانة	٩٤٦م	وجدة	٩٦٤م
ميدية	٩٤٦م	مراكش	١٠٧٧م
قلعة بنى حماد	١٠٠٧م		

*Hance W.M., op cit,

– موريس لومبارد – مرجع سابق– ص ص١٨٢–١٨٧

يتضح مما سبق انه ارتبط بالفتح العربى الإسلامى للمغرب العربى نشأة شبكة كثيفه من المدن اتخذت قواعد متقدمة لتدعيم أنتشار الاسلام والحضارة العربية فى هذا الاقليم، وأهم ما يلاحظ على هذه الشبكة ما يلى :-

نمت العديد من المدن الاسلامية فى الفترة من القرن الثامن إلى الحادى عشر مستفيدة من التجارة والنشاط التجارى، وخاصة تجارة العبور (ترانزيت) التى كانت تتم بين الشرق الاسلامى وبين صقلية واسبانيا، وبين البلاد الإسلامية ككل وبين منطقة السودان الغربى عبر الطرق الصحراوية المخترقة الصحراء الكبرى.

وجدير بالذكر أن النهضة العظيمة التى شهدها الشمال الأقصى والقائمة فى جزء منها على التجارة العابرة للصحراء، قد دفعت الى انشاء سلسلة من المدن شمال الصحراء الكبرى تخدم هذه التجارة، ومن هذه المدن على سبيل المثال لا الحصر مدينة سجلماسة، ورقلة، والمزاب وإيعلى التى شيدت فى القرن التاسع فى منطقة السوسى الأقصى، كنقطة نهاية لأحد الطرق او المسالك العابرة للصحراء الكبرى، ويؤكد "موريس" أن انشاء كلا من مدينتى فاس والقيروان كان له صلة مع تلك الواجهة الجنوبية لتجارة شمال افريقيا مع السودان الغربى (موريس لومبارد : ١٩٧٩ : ١٨٢)(٩٨).

- قد شهد النظام الحضرى تحولا أساسيا فى بلاد المغرب العربى نتيجة للإهتمام بالتجارة الداخلية، وعلى سبيل المثال تحول النظام الحضرى فى تونس فى الفترة من منتصف القرن السابع وحتى اواسط القرن الحادى عشر الميلادى، والذى كان متركزا فى القسم الشمالى الشرقى من افريقية (تونس الحالية) حول قرطاج واقليم بنزرت، إلى الوسط التونسى فى منطقة داخلية بعيدة عن البحر، واصبحت شبكة المدن والعمران الجديدة تعتمد على طرق تجارية برية داخلية تربطها بالمغرب الأوسط والأقصى من ناحية، وافريقيا جنوب الصحراء أو السودان الغربى من ناحية أخرى، كذلك بالشرق العربى الاسلامى بواسطة طريق طرابلس البرى (فتحى محمد ابو عيانه - ١٩٨٩ : ١٢٢)(٩٩).

أدى التدهور الأقتصادى والسياسى والذى تفاقم فى القرن الحادى عشر وحتى بداية القرن الثالث عشر، مع قدوم بنى هلال وبنى سليم من البدو العرب الى الشمال الافريقى والذين تمكنوا من مهاجمة المراكز العمرانية والسكان المستقرين الى تقلص المدن الداخلية والحياة الحضرية بل قد زالت وهدمت بعض المدن مثل مدينة المنصورية (التى اسست قرب القيروان فى عهد الدولة الفاطمية)، كما أصاب مدينة القيروان الكثير من الأضرار وقد قيل أنها زالت فى هذا الوقت (عزيزة على بدر ١٩٨٤-٣٧)(١٠٠)، وبينما شهدت القيروان والمدن الداخلية والصحراوية تدهور عمرانياً مستمراً، ازدهرت فى تلك الفترة العديد من المدن الساحلية مثل مدينة تونس وبنزرت وسوسة والمهدية وصفاقس وقابس وغيرها (فتحى محمد ابوعيانه ١٩٨٩-١٢٣)(١٠١).

ارتبط فى كثير من الاحيان عمر العاصمة بعمر الدولة التى شيدتها، فمع امتداد عمر الدولة تقام المبانى وتتسع الأسواق وتزداد رقعه المدينة. كما حدث فى مدينة القيروان عاصمة الاغالبة، وفاس عاصمة الأدارسة. ويؤدى انقراض الدولة وضعفها الى تدهور العاصمة ونقص العمران بها حتى تنتهى المدينة الى خراب، وقد حدث ذلك لكل من مدينة العباسية ومدينة المنصورية وغيرهما من العواصم، وقد لايتحقق تدهور العواصم على النحو السابق وذلك حين تقف الظروف البشرية وراء بقاء العواصم على حالها، وذلك إذا بقيت العاصمة مركزاً ومقراً لحكم الدولة الجديدة. واستغنت الدولة بها عن اختطاط عاصمة جديدة على نحو ماحدث لفاس ومراكش وغيرها من مدن العواصم، وقد يكون للعاصمة ظهير بشرى فى ضواحيها والمناطق المحيطة بها يمدها بالسكان فيؤدى هجرة أو تحول سكان الريف والبادية الى سكنى المدن الى الحفاظ على بقاء العاصمة كما هو الحال بفاس وجاية بالمغرب (عبد العال عبد المنعم الشامى ١٩٧٨:١٣٤)(١٠٢).

وقد شهد النظام الحضرى فى الشمال الافريقى العديد من الظاهرات والمؤثرات الحضرية الوافدة مع الفتح الاسلامى للإقليم ونستطيع أن نعدد بعض هذه الظاهرات فيمايلى:

١ – ظاهرة الإلتحام والإزدواج، تعد ظاهرة "التحام المدن" كثيرة الحدوث في الاقطار العربية الإسلامية ومن أشهر الامثلة عليها الفسطاط –القاهرة، وتعد القيروان مثال آخر على ظاهرة الالتحام التى تتم نتيجة كثاة سكانية مرتفعة وانفجار عمرانى ثم تلاحم، أو تحدث نتيجة لضم الحصون والأربضة الخاصة بالجيش المجاورة للمدن، ففى حالة القيروان التى تأسست عام ٦٧٠م. وكانت معسكراً او موقعاً دفاعياً فى بادئ الامر، وعلى مر العصور شهدت المدينة نموا عمرانياً كبيراً، ونمت الضواحى حولها ونشأت مراكز جديدة، كانت مدناً سكنية او قصور سرعان ما أحيطت بأسوار وأصبحت مراكز لنوايا عمرانية أهلة بالسكان، وقد التحمت هذه النوايا العمرانية بالمدينة الأم، ومن أشهر النوايا التى اضمت الى القيروان مدينة "صبرة منصورية" التى انشأت خلال عامى ٩٤٨ و ٩٤٩م، وأسسها الخليفة الفاطمى المنصور. وقد كانت "صبرة" كثيرة القصور وبها العديد من المؤسسات التجارية وواقعه الى الشرق من القيروان وقد أدمجت فى داخل سور القيروان الموسع وأصبحت أحد أحياء المدينة، وتعد "المهدية و زويلة" من الأمثلة الأخرى لظاهرة الالتحام.

٢ – شهد الشمال الافريقى نمطا آخر للمدن وهو المدن التوأمية "Twin City" وتعد مدينة فاس من أشهر الأمثلة على هذة الظاهرة فقد اقيمت فاس "القديمة" على الضفة اليمنى لنهر فاس (نهر سيبو حاليا) سنه ٧٨٩م، وتعد المدينة القديمة بربرية الطراز، تضم تجمع من الخيام وجامع ومساكن سيئة التشييد وحظائر للماشية ويحيط بالجميع سور من جذوع الاشجار ومن القصب، واجمالاً كانت متواضعة، وفى عام ٨٠٨م، انشأت فاس الجديدة على ضفة النهر اليسرى، وأصبحت هى المدينة الرسمية، بها الجامع الكبير، والاسواق ومقر الحكم (موريس لومبارد: ١٩٧٩:١٠١)[١٠٣]، كذلك تعد مدينة الرباط من المدن التوأمية.

٣ – من الظاهرات والمؤثرات الوافدة مع الفتح الاسلامى، ظاهرة انتشار "الرباطات" وهى المدن العسكرية او الحصون للمتطوعين من المجاهدين الذين كانو يتناوبون على مراقبة حركات العدو فى البحر وكانت تنتشر على جميع

الشـواطئ البحـرية بواقع رباط واحـد لكل سـتـه كـيلومـتـرات (فـتـحى مـصيلحى-١٩٩٥:٢٤٣)(١٠٤)، ومن الرباطات رباط سوسة ورباط "المنستير"، وكان رباطاً أو قصراً يرابط فيه المسلمون لحماية ثغور إفريقيـة من الغارات البحرية التى كان يقوم بها الروم. وقد بنى عام ١٨٠هـ، وهو من أقدم وأجمل الرباطات من الناحة الهندسيـة، وقد إتسـع هذا الرباط حتى أصبح على شكل حصن كثير السكان. (الرفيق القيروانى ـ ١٩٩٤ : ٣٥)(١٠٥).

٤ ـ شهد الشمال الافريقى فى الفترة الاسلامية ظاهرة "المواضع المتعاقبة" او المدن "البـدائل"، أو ظاهرة هجـرة المدينة على مـر العـصـور بين عـدد من المواضع داخل نفس الموقع الواحد تلبية لحاجة السكان للأمن والحماية ومثال ذلك تتـابع منف ثم الفسطاط ثم القاهرة على رأس الدلتـا فى مـصـر، وتتـابع قـرطاج وتينس Tyns الرومانية وتونس فى رأس تونس، وتتابع فاس مع مدينة فولوبيليس (وليلى) فى سهل سايس. ووحدة الوظيفة وعدم اختلافها بين المواضع كـان شـرطاً من شـروط التـتـابع المدنى أو مـدن البـدائل التى أوردها "اندريه اليكسى"، بشرط تحقيق الموضع الجديد لوظيفة الموضع القديم فى ظل ظروف أكثر امنا وحماية للسكان (جمال حمدان ١٩٧٢ : ٢٧٨ ـ ٢٧٩)(١٠٦).

ومع المد العربى الاسلامى انتقل إلى مدن الشمال الافريقى أساليب وأسس هندسية البناء الاسلامى، وكانته المدينة العربية الاسلامية متـأثرة فى نشـأتها بالطابع الدينى، وبالطابع الحربى للامصـار التى أنشـأت لتكون معسكرات فى بادئ الامر، فهذا الخليط من الاعتبارات المدنية والحربية أوجد اسلوب للمدينة الاسلامية مالبث أن انتقل إلى البلاد التى انتشر بها الاسلام.

اثر الاسلام على مورفولوجية المدينة فى شمال افريقيا

ان تعبير "المدينة الاسلامية"تعبير فضفاض وذلك لأن الطابع المحلى كان يميز كل جزء من أجزاء العالم الاسلامى، ويُرجع "أحمد اسماعيل"، هذا التباين المحلى إلى العديد من العوامل منها المناخ والتراث الحضارى ونظم التجارة بين مختلف اجزاء العالم الإسلامى الواسع، فتأثر القسم الغربى بالتراث اليونانى والرومانى، كما تأثر بوقوعة بين البحر المتوسط والصحراء، اما القسم الشرقى فيمكن أن تميز فيه تراث الحضارات الإيرانية والهندية (أحمد اسماعيل ـ ١٩٩٠ : ٧١) (١٠٧).

ويضم الشمال الافريقى العديد من المدن الاسلامية التى ورثت مدنا يونانية أو رومانية؛ مثل طنجة التى تعد وريثة طنجست الرومانية، وإطرابلس الاسلامية التى ورثت ماركا أويات الرومانية، وتونس التى خلفت قرطاج الرومانية وأصيلة (على المحيط الأطلنطى) التى ورثت زيليس التى كانت إحدى كبريات مدن موريتانيا الطنجية، (المكتب الوطنى المغربى للسياحة :١٩٩٠ :٢)(١٠٨)، وفى كل هذه الحالات وغيرها اكتسبت كل مدينة مع دخول الاسلام خصائص عمرانية واسلامية واضحة، حيث تكيفت سائر المدن المفتوحة (ذات النشأة والاصول السابقة للعصر الاسلامى) مع الاسلام وقيمة ومعاييره الحضارية والعمرانية.

أما المدن الإسلامية النشأة والتى سبق التعرف على العديد منها، مثل القيروان ومراكش وغيرها، فهى مدن إسلامية ذات تخطيط عمرانى إسلامى مميز منذ نشأتها ثم تعرضت للإضافات العمرانية والمعمارية من قبل كل دولة حاكمة أو فى فترات تتابع الدول الحاكمة والمتعاقبة على كل منها خلال الفترة الإسلامية.

ومما لا شك فيه أن الاسلام قد أثر فى مفردات مورفولوجية المدينة من خطة وشبكة شوارع، وطراز عمرانى، ومادة بناء وغير ذلك. فمدينة أطرابلس "الاسلامية (على سبيل المثال) كانت عبارة عن رقعة شطرنجية (قد خططت وفق المخطط المعمارى الرومانى حيث يقطعها طريقان رئيسيان أحدهما يتجه من

الشمـال إلى الجنوب والآخر من الشرق إلى الغرب، الأول يطلق عليه Cardo والثـانى Decumanus وعند إلتقاء هذان الشارعان الرئيسيان يكون الميدان الرئيسى أو الفوروم Forum وحول الميدان أقيم المعبد Capital والاسـواق والحمامات).

وأحيط بالمدينة فى العصر الاسلامى سور مزدوج أو سور ستارة فى القرن السابع الهجرى، ونمت أطرابلس الاسلامية داخل هذا السور الذى يمثل التقليد الاسلامى فى بناء الأسوار، حيث كانت تبنى الأسوار المزدوجة (سور ستارة) ويفتح بالسور عدة أبواب (منها باب زناتة وباب هوارة وباب البحر)، وحول المدينة حفر خندق فى القرن الثامن الهجرى، وقد تضافر السور مع الخندق الخارجى فى جعل المدينة كالجزيرة، وبداخل المدينة أقيمت القلعة والمساجد والحمامات والأسواق المختلفة (فاتن محمد البنا ١٩٧٧ : ٣٥)(١٠٩).

والاسوار سمة مورفلوجية هامة شهدتها المدن الإسلامية، حيث أن الحاجة إلى الحماية احتلت مكان الصدارة، وهى فى هذا تتفق مع المدن فى العصور الوسطى فالمدينة فى تلك الفترة هى المدينة ذات الاسوار.

ولذلك نرى المدن الاسلامية يحيط بها السور دائما، فقد احيطت القيروان بسور من اللبِن والطين (فى بداية نشأتها)، وأحيط مدينة سفاقس سور من التراب واللبن ثم دُعم بعد ذلك بالاحجار ودُعم بستارة مبنية من الحجر المصقول وقطع من الحجارة غير المهذبة، كذلك بنى بالسور أبراج مستطيلة الشكل مستديرة الرؤوس، وسورت مدينة العباسية وكان يفتح بأسوارها خمسة أبواب منها باب الرحمة والحديد فى السور القبلى، وباب غليون والريح فى السور الشرقى، وباب السعادة فى السور الغربى، كذلك سورت مدينة سوسة بسور مبنى من الحجر المصقول، ودعم بأبراج ضخمة، كان أكثرها أرتفاعاً البرج المقام فى الزاوية الجنوبية الغربية من اسوار المدينة وقد كان مربع الشكل ويبلغ ارتفاعه ما يزيد عن ثلاثين متراً (السيد عبد العزيز سالم : ١٩٨٢ : ١١٢، ٣٧٠، ٣٦٨)(١١٠).

وداخل أسوار المدينة العربية الاسلامية إمتدت شبكة الشوارع الضيقة، (وضيق الشوارع فى العصور الوسطى كانت سمة مشتركة بين المدينة العربية والأوربية وإن أختلفت الأسباب) (عبد العال الشامى ـ ١٩٧٨ : ١٤٢)[١١١]، فى نظام تراتبى هرمى، حيث كان للمدينة شارعها الاعظم ثم تأتى بعد ذلك السكة ثم الزقاق (عبد العال الشامى ـ ١٩٧٨ : ١٤٢)[١١٢]، ويمكن التعرف على هذه الشبكة التراتبية فى مدينة تونس الاسلامية، فيمتد المستوى الأول لشبكة الشوارع بها والذى يعتبر عصب نظام الشبكة حيث يربط بوابات المدينة بمركزها حيث المسجد الجامع والاسواق التى تحيطه، ثم يأتى المستوى الثانى لشبكة الطرق الذى يلاحظ فى شوراع الاحياء (المحلات) أما المستوى الثالث من الشبكة، فيضم مجموعة الشوراع التى تربط المناطق داخل الأحياء (فتحى محمد مصيلحى ـ ١٩٩٥ : ٧٩)[١١٣].

ويعد المسجد الجامع من أبرز المكونات العمرانية والمعمارية فى المدينة الإسلامية، فقد كان مركز للحياة الدينية والسياسية و الإجتماعية إلى جانب مهمته الاساسية فى أداء الصلاة، فقد كانت تعقد فيه الإجتماعات العامة الكبيرة، وتنظر فيه القضايا، وتعطى فى رحابه الدروس، ومن فوق منبرة كانت تقرأ النشرات الرسمية والخطابات التى تتضمن أخبار هامة كالإنتصارات الحربية وغير ذلك (عبد العال الشامى ـ ١٩٧٨ : ١٦٢)[١١٤]، ونظراً لأهمية المسجد الجامع فى المدينة العربية فقد نظر اليه على أنه أساس التنظيم العمرانى للمدينة ومن حوله بقية الأنشطة (السيد محمود عبد العزيز سالم ـ ١٩٥٧ : ٥٤)[١١٥]، وأنه بهذا يمثل موضعاً هو بمثابة القلب أو المركز الرئيسى للمدينة الاسلامية، تنتشر حوله الأحياء والخطط المختلفة بما حوته من دور ومساكن وأسواق وغيرها.

ومن اقدم وأكبر المساجد المغرب العربى الجامعة جامع عقبة بن نافع (القيروان) الذى أنشأ سنة ٥٠ هـ وجدد عدة مرات ويبلغ طوله ١٢٦ متراً وعرضه ٧٧ مترا، وجامع الزيتونية الذى اسس عام سنة ١١٤ هـ فى مدينة تونس من أشهر المساجد الجامعة، كذلك أنشئ المسجد الجامع بسوسة فى عام

٢٣٦ هـ حيث أقيم فى الطرف الشمالى الشرقى من المدينة قريبا من باب البحر، ومن المساجد الجامعة المسجد الجامع بسفاقس (السيد محمود عبد العزيز سالم - ١٩٨٢ : ٣٣٦، ٣٤٨، ٣٥٧، ٣٦١)(١١٦).

والمدينة الاسلامية فى شمال افريقيا كانت تضم، أكثر من مسجد جامع بها، كما كانت تضم العديد من المساجد التى كان يشيدها الأمراء والقواد والتجار وغيرهم من أفراد المجتمع، هذا بالإضافة إلى العديد من المبانى والمنشآت الدينية الى لا يقتصر دورهما على لحياء الشعائر الدينية بل تعدى ذلك إلى تقديم خدمات تعليمية وثقافية وإجتماعية ومن هذه المنشآت الخوائق والرباطات والزوايا.

وتعد الأسواق من أهم مرافق المدينة التى أثر فيها الاسلام، ففى ظل الاسلام عرفت المدن العربية الاسواق المنتظمة، وكان للحسبة دورها فى تنظيم الأسواق، وتميزت الأسواق بالمدن العربية بالتخصص حيث تتجاور بها الحرف والأنشطة المتجانسة، وتتباعد الصناعات والأنشطة المتنافرة التى يخشى من بعضيها على البعض (أحمد اسماعيل - ١٩٩٠:٦٩)(١١٧)، واتخذت مواضع الاسواق أو الحى التجارى بالمدن العربية الاسلامية بالقرب من المسجد الجامع فى قلب المدينة الا أن هناك بعض السلع خصصت لها أماكن خارج المدن، ففى مدينة طنجة وجد السوق "الداخل"، الذى يتميز بكونه الحى التجارى الهام بالمدينة فى وسط المدينة وقلبها بالقرب من المسجد الأعظم «المسجد الجامع الكبير» حيث تمركزت كل الوحدات التجارية حول هذا المسجد، وكانت مساحة السوق الداخل ذات أهمية تجارية كبيرة، أما مساحة "السوق البرانى" فقد كانت خارج المدينة حيث توجد ساحته أمام باب الفحص، ويتم فى هذا لسوق المبادلات التجارية بين أهل الريف وسكان المدينة (عزيزة بدر :١٩٩٦ : ٩٤، ١٠٢)(١١٨).

وعرفت عواصم آخرى فى الشمال لأفريقى نظاماً فريداً للاسواق فنجد مدينة المهدية قد أتخذت إلى جوارها ربض زويلة» وجعله المهدى مسكنا للرعية

بناها لهم وسكن هو وجنده المهدية، وكانت الرعية تبيت بزويلة عند أهاليهم وفى الصباح يتجهون الى حوانيتهم ومعايشهم بالمهدية (عبد العال الشامى : ١٩٧٨: ١٥٤)(١١٩).

وبعد المنزل العربى من أهم مكونات المدن الاسلامية ولعل أهم ما يميز المنازل العربية الإسلامية على اختلاف انواعها وجود صحن أو فناء مكشوف يتوسط كتلة المبنى، وتلتف حوله بقية الوحدات المعمارية الرئيسية منها والثانوية، كى تستمد منه معظم حاجتها من الضوء والتهوية ويعد المسكن العربى المراعى للتقاليد الاسلامية والمتوافق معها من أهم المؤثرات الوافدة مع الاسلام إلى مدن الشمال الأفريقى.

تحليل جغرافى لخصائص مدن ماقبل الاستعمار «الحديث» فى أقليم شمال افريقيا :-

من الدراسة السابقة نستطيع ان نخلص لبعض خصائص مدن شمال أفريقيا قبل أن تطالعها المؤثرات الاستعمارية الحديثة، وهذه الخصائص تتضح فيما يلى :-

١ - تمتد جذور المدن فى إقليم شمال أفريقيا إلى عمق التاريخ وقد تطورت على طول فترة زمنية تمتد من ٤٠٠٠ سنة ق.م وحتى بداية التواجد الاستعمارى الحديث، اضطلعت فيها هذه المدن بوظائف متباينة من العاصمة القومية (كمدن مصر القديمة والتى شهدت منها أكثر من ٣٠ عاصمة)، وحتى المدن الصغيرة الاقليمية.

٢ - توضح نماذج مدن تلك الفترة أنها كانت انعكاساً لبيئتها الطبيعية والحضارية، كذلك عكست المدن النواحى الحضارية من حيث كونها وطنية خالصة كمدن مصر الفرعونية (فى معظم فترات التاريخ الفرعونى) أو تعرضت لمؤثرات خارجية كمدن السواحل الشمالية لأفريقيا، والتى ظهرت فيها المؤثرات الفينيقية واليونانية والرومانية وغيرها من المؤثرات.

٣ ـ كانت التجارة سبباً واضحاً فى نشأة وتطور المدن، ففى نطاق المدن الداخلية أو مدن النطاق الأوسط فى "شمال أفريقيا" استفادت هذه المدن من التجارة البرية العابرة للصحراء (خاصة فى العصر الاسلامى) وفى المدن تراكمت عائداتها، كذلك إستفادت المدن الساحلية بتجارة البحر المتوسط، وشهدت العديد من المدن مثل تونس وطرابلس وطنجة وسوسة فترات من الأزدهار بفضل نشاطها التجارى وتوجهها البحرى.

٤ ـ اختلفت مدن اقليم شمال أفريقيا فى درجة تلقيها للمؤثرات الخارجية. فقد وجدنا أن المدن المصرية لم تتلقى المؤثرات الخارجية إلا بعد تعرضها للإستعمار فى فترات مختلفة ومتقطعة فى حين أن المدن فى الشمال الأفريقى تلقت المؤثرات الخارجية مع بداية نشأتها الأولى.

٥ ـ انعكست المؤثرات الخارجية على خطة المدن وطرزها المعمارية، ويتضح ذلك حالياً فى الخطة الشطرنجية الرومانية التى خطت فى معظم المدن التى وقعت تحت السيطرة الرومانية، فقد وجدت هذه الخطة فى النواة القديمة لمدينة الأسكندرية، ومدينة طرابلس، ومدينة طنجة وغيرها من المدن ومع التواجد الاسلامى أضيف الكثير إلى مفردات مورفلوجية المدن فى الشمال الأفريقى، مثل المساجد الجامعة والأسوار المزدوجة المحيطة للمدن، وخطة الشوارع التراتبية الهرمية والمسكن العربى المعبر عن روح التقاليد الاسلامية وغير ذلك.

٦ ـ اختلفت الاسس الاقتصادية لمدن إقليم شمال أفريقيا، فبينما كان النشاط التجارى واضحاً كأساس إقتصادى لمدن محور البحر المتوسط، كان الاساس الاقتصادى القائم على الزراعة أكثر وضوحاً لمدن محور نهر النيل، خاصة فى العصور القديمة.

٧ ـ ارتبطت المدن وخاصة مدن العواصم فى أقليم شمال إفريقيا بدولها التى تولت الحكم، أى أنها كانت تعبيراً ورمزاً على قوة الدولة، تقوى بقوتها

وتزول بزوالها، وهكذا كانت القيروان رمزاً لحكم الأغالبة، وفاس رمزاً لحكم الإدارسة وأواريس رمزاً لحكم الهكسوس وهكذا.

٨ - رغم أن الكثير من المدن الافريقية قبل مقدم المستعمر لم تكن تلبى الحد الأدنى من معايير ومتطلبات جغرافية المدن الحديثة أو مفهوم المدينة بالمعنى الحديث (Mologunje, 1974 :26)[١٢٠]، إلا أنها مع ذلك عكست الكثير من التضمينات الجغرافية التى أنتجته عمليات Processes معنية أسهمت فيها مؤثرات أفريقية داخلية وأخرى جاءت من خارج أفريقيا، وهذه المدن مارست الأنشطة الاقتصادية جميعاً، وتأثير هذه المدن فى أقليمها تم من خلال عمليات الانتشار Diffusion.

1 - Stock R., Africa South of Shara A **Geographical** Interpretation, London, 1995, P . 193

٢ - جمال حمدان- افريقيا الجديدة "دراسة في الجغرافيا السياسية" - مكتبة النهضة المصرية- القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣٢.

3 - Hance W.A., Population, Migration, and Urbanization in Africa, London, 1970, p. 216

4 - Hartshorn, T.A., Interpreting The city An Urban Geography, New York, 1992, P 47

5 - Murphy, R., Historical Comparitive Urban Studies, in Putnam, R., etal, A Geography of Urban Places, Methuen, Toronto, 1970, PP 25-32

6 - Lamphear, J., and Falola. D.T., Aspects of Early Africa History, in Martin, P.M. nd Meara, P. Africa, Third Edition, Indiana University Press, Jamer Carray, London, 1995,pp. 72-96.

7 - Ibide, 81.

8 - Mehratu, A., Cities of Sub - Saharan Africa, in Brunn, S.D., et al., eds., Cities of The World regional urban development, Harper and row publishers, New York, 1983,244

9 - Abungo, G., and Matoro, H., Coast -inlerior Settlements social relation in the Kenya Coastal hinterland, in Shaw, T., et al., eds., The Archaelogy of Africa, Food. Metals and Towns, Routledge, London and New York, 1993, 244.

10 - Chittick, H.N., and Rotberg, R.I., eds., East Africa and The Orient Cultural Synethesses in Precolonial Times, New York, Africana Publishing Company,

11 - Abungo, G., and Matoro, H., oP. cit, P. 699.

12 - Sinclaire, P.J., et al., Urban Trajectories on the Zimbabwean plateau, in Shaw, T., et al., The Archaelogy of Africa, 1993, P. 705.

١٣- جمال حمدان - مرجع سابق- ص ١٣٢.

١٤ - احمد على اسماعيل -دراسات فى جغرافية المدن- دار الثقافة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة. القاهرة. ١٩٩٠-ص٤.

15 - Butzer, K.W., Early Hydraulic Civilization in Egypt, Chicago and London, 1976,pp. 11-34.

١٦ - فتحى محمد او عيانه -جغرافية العمران- "دراسة تحليلية للقرية والمدينة" -دار المعرفة المصرية الجامعية- الاسكندرية، ١٩٩٦-ص٧٨.

١٧ ـ محمد مدحت جابر ـ بعض جوانب العمران فى مصر القديمة ـ مكتبة نهضة الشرق ـ القاهرة ـ ١٩٨٤ ـ ص ص ٢٣، ٧٨.

18 - Butzer, K. W., oP cit, PP. 74-75

١٩ - فتحى محمد مصيلحى -تطور العاصمة المصرية والقاهرة الكبرى (تجربة التعمير المصرية من ٤٠٠٠ ق.م إلى ٢٠٠٠م) -القاهرة- ١٩٨٨،ص٢٨.

٢٠ - محمد السيد غلاب -يسرى الجوهرى- جغرافية الحضر دراسة فى تطور الحضر ومناهج البحث فيها- منشأة المعارف- الاسكندرية- ١٩٧٢-ص ص٤٠٨-٤١٠.

٢١ - جيمس بيكى -الآثار المصرية فى وادى النيل- ترجمة لبيب حبشى وشفيق فريد -مجموعة الألف كتاب- دار الكرنك، القاهرة، ١٩٦٣-ص ص ٢٠١-٢٠٢.

٢٢ - فتحى محمد مصيلحى -مرجع سابق- ص ص ٥٧-٥٩.

٢٣ - محمد مدحت جابر -مرجع سابق- ص ص ١٢٨-١٢٩.

٢٤ - فتحى محمد او عياته -مرجع سابق- ص ٨٤.

٢٥ - فتحى محمد مصيلحى -مرجع سابق- ص ٣١.

٢٦ - المرجع اعلاه - ص ٤٦.

٢٧ - احمد على اسماعيل -مرجع سابق-ص ٤٥.

28 - Marris , A.E.J., History of Urban Form Before The Industrial Revolutions, Third Edition, Longman Scientific and Technical, New York, 1994, P. 27.

29 - Fakhry, A, The Oases of Egypt "Siwa-Oasis" Volume 1., Cairo, 1973, PP. 125 - 129.

30 - De Blij, A.J., Human Geography Culture Society and Space, New York, 1996-P. 477.

31 - Jones, E., Towns and Cities, Oxford Univ. Press 1976, P. 19.

٣٢ - عبد الفتاح وهيبة -مصر والعالم القديم- منشأة المعارف، الاسكندرية-١٩٧٥ ص ص ٣٥-٤٠.

٣٣ - أحمد اسماعيل -مرجع سابق- ص ٤٠.
٣٤ - المرجع اعلاه -ص ٤٤.
35 - Marris, A. E.J., op. cit, pp. 26-27.
٣٦ - محمد مدحت جابر -مرجع سابق- ص١٨٢.
٣٧ - المرجع اعلاه -ص١٨٣.
38 - Pritchard, J. M., Africa, Longman, England, 1979, P. 45
39 - Sock, R, op. cit, 1995,p. 194
40 - Lamphear, J., 1995, P. 80.
٤١ - صلاح عبد الجابر عيسى -دولة اريتريا من منظور الجغرافيا السياسية المجلة الجغرافية العربية -العدد ٢٨- القاهرة، ١٩٩٦-ص١٧١.
٤٢ - جمال حمدان - شخصية مصر 'دراسة فى عبقرية المكان - الجزء الثانى - عالم الكتب - القاهرة -١٩٨١: ٦٤٩.
٤٣ - المرجه اعلاه - ٢٤٩
44 - Butzer, op. cit, P. 95.
٤٥ - محمد مدحت جابر - مرجع سابق- ص١١١
٤٦ - ابراهيم نصحى -تاريخ مصر فى عصر البطالمة، الجزء الثانى -مكتبة الانجلو المصرية- ١٩٧٦ -صفحات متعددة.
٤٧ - احمد على اسماعيل -مرجع سابق ص٦٣.
٤٨ - موريس لومبارد -الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامى خلال القرون الاربعة الأولى -ترجمة عبد الرحمن حميدة -دار الفكر -الرياض- ١٩٧٩ - ص١٧٩.
٤٩ - المرجع اعلاه -ص ص ١٨١ -١٨٢.
٥١ - محمد صبحى عبد الحكيم -مدينة الاسكندرية -مكتبة مصر -القاهرة- ١٩٥٨ ص ص ١١٦-١١٧.
٥٢ - المرجع اعلاه -ص ص ٨٨-٨٩.
٥٣ - محمد مدحت جابر -مرجع سابق- ص ١٢٣
٥٤ - محمد صبحى عبد الحكيم - مرجع سابق ص ٩٤.
٥٥ - شارل اندرى جوليان -تاريخ شمال افريقيا -ترجمة محمد مزالى -نشر الشركة التونسية للفنون الرسم جويلية -١٩٦٩-ص٧٦.
٥٦ - السيد الحسينى - المدينة دراسة فى علم الاجتماع الحضرى -دار المعارف- ١٩٨١- ص ٢١٣.
٥٧ - احمد على اسماعيل -مرجع سابق- ص٥٤.

٥٨ – شارل اندرى جوليان –مرجع سابق –ص ص ٨٥–٨٦.
٥٩ – عزيزة محمد على بدر –الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن، ماجستير غير منشورة –قسم الجغرافيا– معهد البحوث والدراسات الافريقية –جامعة القاهرة–١٩٨٤– ص١٢.
٦٠ – شارل اندرية جوليان –مرجع سابق– ص٨٧.
٦١ – فاتن محمد محمد البنا –محافظة طرابلس دراسة فى جغرافية العمران –ماجستير غير منشورة –قسم الجغرافيا– معهد البحوث والدراسات الافريقية –جامعة القاهرة ١٩٧٧–ص٣٠.
٦٢ – محمد السيد غلاب –مرجع سابق–ص٢٥١.
٦٣ – نجم الدين غالب الكيب –مدينة طرابلس عبر التاريخ ٠القاهرة –١٩٧٠– ص١٢.
٦٤ ـ كولين ماكيفيدى ـ أطلس التاريخ الإفريقى ـ ترجمة مختار السويفى ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٨٧ ـ ص ٤٩.
٦٥ – محمود الصديق ابو حامد–مظاهر الحضارة الفينيقية فى طرابلس–فى ليبيا فى التاريخ–المؤتمر التاريخى ١٦–٢٣ مارس ١٩٦٨– ص ص ١٢٧–١٣٧.
٦٦ – عزيزة محمد على بدر –طنجة بوابة إفريقيا دراسة فى جغرافية المدن– القاهرة، ١٩٩٦–١٩٩٧–ص٨٢.
٦٧ – المرجع اعلاه–٨٣
٦٨ – اندرى جوليان –مرجع سابق– ص ص٢٠٥–٢١٢.
٦٩ – احمد خالد علام، محمد احمد عبد الله، مصطفى الدينارى –تاريخ تخطيط المدن –الطبعة الاولى –مكتبة الانجلو المصرية –١٩٩٣–ص١٠١.
٧٠ – اندرى جوليان –مرجع سابق –ص ص ٢١٤–٢١٨.
71 - Pritchard, J, M., op cit, P. 45.
٧٢ – اندرى جوليان –مرجع سابق –ص ٢٣٨.
٧٣ – سليمان عبد الستار خاطر –مدن شمال افريقيا دراسة تحليلية– مجلة البحوث والدراسات الافريقية –العدد التاسع– ١٩٧٨– ص ص ٥–٦.
٧٤ – احمد خالد علام واخرون –مرجع سابق ص١٠٢.
٧٥ – عزيزة محمد بدر –الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن –مرجع سابق– ص٢١.
٧٦ – احمد اسماعيل –مرجع سابق– ص ٦٦
77 - Hance, W.A., op. cit, P 210
٧٨ – موريس لومبارد –مرجع سابق– ص ٧٦–٧٨.

٧٩ – المرجع اعلاة – ص ١٠٣.
٨٠ ـ عبد العال عبد المنعم الشامى ـ جغرافية المدن عند العرب ـ عالم الفكر ـ المجلد التاسع ـ العدد الأول ـ ١٩٧٨ ـ ص ص ١٣٢ ـ ١٣٣.
٨١ ـ شوقى عطاالله الجمل وعبد الله عبد الرازق ابراهيم ـ تاريخ المسلمين فى افريقيا ـ ومشكلاتهم ـ دار الثقافة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٩٦ ص ٤٥.
82 - Best and De Blij, African Survay , London 1977, P. 67.
٨٣ ـ شوقى عطاالله الجمل ـ المغرب العربى لكبير من الفتح الاسلامى إلى الوقت الحاضر ـ المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات ـ ١٩٩٧ ـ ص ٨.
84 - Best and De Blij, op. cit , P. 67.
٨٥ ـ شوقى عطاالله الجمل ـ مرجع سابق ـ ص ٩.
٨٦ ـ المرجع اعلاه ـ ص ١٣.
٨٧ ـ عزيزة محمد على بدر ـ الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن ـ مرجع سابق ـ ص ٣١.
٨٨ ـ الرقيق القيروانى ـ تاريخ افريقية والمغرب ـ تقديم وتحقيق وتعليق ـ محمد زينهم محمد عزب ـ دار الفرجانى للنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ ١٩٩٤ ـ ص ٣٦.
٨٩ ـ المكتب الوطنى المغربى للسياحة ـ المملكة المغربية ـ المدن العتيقة ـ المغرب ١٩٩١ ـ ص ص ٦ ـ ٧.
٩٠ ـ شوقى الجمل ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤.
٩١ ـ المكتب الوطنى المغربى للسياحة ـ مرجع سابق ـ ص ١٠.
٩٢ ـ المرجع اعلاة ـ ص ١٠.
٩٣ ـ شوقى الجمل ـ مرجع سابق ـ ص ص ٢٠ ـ ٢١.
٩٤ ـ عزيزة على بدر ـ الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن ـ مرجع سابق ص ٣٤.
٩٥ ـ حسين مؤنس ـ تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط الأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية ـ الدار المصرية اللبنانية ـ القاهرة ـ ١٩٩٣ ـ ص ص ٦٧ ـ ٦٨.
٩٦ ـ عزيزة على بدر ـ الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن ـ مرجع سابق ـ ص٤١.
٩٧ ـ المكتب الوطنى المغربى للسياحة ـ مرجع سابق ـ ص ٣.
٩٨ ـ موريس لومبارد ـ مرجع سابق ص ١٨٢.
٩٩ ـ فتحى محمد أبو عيانة ـ جغرافية تونس ـ دار المعرفة الجامعية الاسكندرية ـ ١٩٨٩ ـ ص ١٢٢.
١٠٠ ـ عزيزة على بدر ـ الجمهورية التونسية دراسة فى جغرافية المدن ـ مرجع سابق. ص ٣٧.

١٠١ - فتحى محمد أبو عيانة - جغرافية تونس - مرجع سابق - ص ١٢٣ .
١٠٢ - عبد العال عبد العظيم الشامى - مرجع سابق - ص ١٣٤ .
١٠٣ - موريس لومبارد - مرجع سابق - ص ١٠١ .
١٠٤ - فتحى محمد مصيلحى - تخطيط المدينة العربية بين الأطار النظرى والواقع والمستقبل - القاهرة - ١٩٩٥ - ص ٢٤٣.
١٠٥ - الرفيق القيروانى - مرجع سابق - ص ٣٥.
١٠٦ - جمال حمدان - جغرافية المدن - عالم الكتب - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٩٨٢ - ص ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
١٠٧ - أحمد إسماعيل - مرجع سابق - ص ٧١.
١٠٨ - المكتب الوطنى المغربى للسياحة - مرجع سابق - ص ٢.
١٠٩ - فاتن محمد البنا - مرجع سابق - ص ٣٥.
١١٠ - السيد عبد العزيز سالم - تاريخ المغرب فى العصر الاسلامى - مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية - ١٩٨٢ - ص ص ١٢٢، ٣٧٠ ، ٣٦٨.
١١١ - عبد العال عبد العظيم الشامى - مرجع سابق - ص ١٤٢ .
١١٢ - المرجع اعلاة - ص ١٤٢ .
١١٣ - فتحى محمد مصيلحى - مرجع سابق - ص ٧٩.
١١٤ - عبد العال عبد المنعم الشامى - مرجع سابق - ص ١٦٣ .
١١٥ - السيد عبد العزيز سالم - التخطيط ومظاهر العمران فى العصور الوسطى - المجلة - العدد ٩ سبتمبر - ١٩٥٧ - ص ٥٤.
١١٦ - السيد عبد العزيز سالم - مرجع سابق - ص ص ٣٣٦ - ٣٦١.
١١٧ - أحمد إسماعيل - مرجع سابق - ص ٦٩.
١١٨ - عزيزة محمد على بدر - طنجة بوابة إفريقيا دراسة فى جغرافية المدن - مرجع سابق - ص ص ٩٤ - ١٠٣.
١١٩ - عبد العال عبد المنعم الشامى - مرجع سابق - ص ١٥٤ .
120 - Mobogunje, A.L., The Pre - Colonial development of Yoruba Town, in Dwyer, D. J., ed .,The City in The third world, Maemillan. London, 1974 P. 26.

التحضر والحضريه فى إفريقيا

Urbanization and Urbanism in Africa

دكتوره

عزيزه محمد على بدر

مدرس الجغرافية البشرية

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

١٩٩٧

التحضر والحضرية فى إفريقيا

Urbanization and Urbanism in Africa

تمهيد

يفرق الباحثون بين التحضر (Urbanization) والحضرية (Urbanism) كما يختلفون فى تعريف وتفسير كل من المفهومين وتشخيص أركان وأبعاد كل منهما، ويعرف التحضر لأغراض إحصائية وتحليلية بأنه مجموعة من السكان المقيمة فى تجمعات بشرية تقع فى تصنيف المدن (١). وقد أشار إلدردج El-dridge إلى عنصرين يتضمنهما مفهوم التحضر الاول، تعدد محاور التمركز. والثانى زيادة حجم الكثافة السكانية، الأمر الذى يؤدى إلى إرتفاع نسبة السكان فى المدن (٢). أما لمبارد Lampard(٣) فقد ميّز ثلاثة تعريفات أو تفسيرات لظاهرة التحضر، وهى التفسير السلوكى، والتفسير الاقتصادى والتفسير الديموغرافى، بينما حدد قسم السكان فى هيئة الأمم المتحدة عملية التحضر بأنها تركز السكان فى مراكز حضرية ذات حجم سكانى معين وبالتالى عرفها على أنها نمو نسبة السكان الذين يعيشون فى المناطق الحضرية، وهذا يعنى أنه طالما هناك زيادة فى نسبة سكان الحضر كان هناك إستمرارية فى عملية التحضر، وعلى هذا يمكن القول بإن التحضر هو عملية التركز السكانى فى المناطق الحضرية (٤).

ويميز ديفز Davis التحضر على أنه نسبة السكان الذين يستوطنون المراكز الحضرية عن نمو المدن (٥) ويرى البعض أن التحضر هو عمليات إعادة توزيع السكان من الريف إلى المراكز الحضرية، كما إستخدم سابا شبر مصطلح التمدين أى التحول إلى سكنى المدن، كما عرفه علماء الإجتماع بتعريفات عديدة، يضاف إلى ذلك أن تصنيفات التجمعات السكانية الحضرية والريفية تخضع إلى عدة إعتبارات، منها الإدارية، والسياسية، والتاريخية والثقافية والديموغرافية، كما تتفاوت التصنيفات الحضرية بين دولة وأخرى(٦) بل ومن تعداد لآخر فى نفس الدولة.

ولغرض البحث تحدد ظاهرة التحضر بالتركيز السكاني في المراكز الحضرية حسب المتاح من بيانات في المصادر المختلفة والتي تم الإتفاق عليها، وتحديدها في البيانات الواردة ضمن دراسات وإحصاءات الأمم المتحدة، ولذلك سينظر إلى التحضر على أنه تغير كمي، في ظل صعوبة تحديد الحضر وعدم الإتفاق على ذلك وخاصة في إفريقيا، وذلك رغم الصعوبات التي تكتف ذلك أيضا، وبالتالي يقصد بدرجة التحضر مستوى التحضر في تاريخ محدد ويقاس بنسبة السكان الحضر إلى مجموع السكان، أي ($\frac{\text{السكان الحضر}}{\text{مجموع السكان}}$ ١٠٠٪) وتنطبق هذه القاعدة على درجة التريّف إذ أنها تعني مستوى التريّف في تاريخ محدد، أما معدل التحضر فيقصد به التغير في درجة التحضر من فترة لأخرى.

بالنسبة للحضرية Urbanism فيختلف الباحثون في تعريفها أيضاً، فهي بالنسبة للبعض "عملية تغير نوعي في نظرة الناس للحياه وأنماط سلوكهم، وفي مجموعة التنظيمات التي أوجدوها ومارسوها" في حين أنها "حضارة المدن وطريقة حياة سكانها" للبعض الآخر، أي أسلوب حياه متميز، له قيمة الاجتماعية و ركائزه الحياتية، وتختلف هذه القيم وتلك الركائز فهي ليست متناظرة على المستوى العالمي، اذ لكل حضارة قيمها وأصالتها وركائز حياتها وبالتالي لها أنماط حضريتها وتحضرها (٧).

والسؤال الذي يُطرح في هذا المجال عن مدى تلازم وتزامن كل من التحضر والحضرية. .يؤكد الواقع أن هاتين الظاهرتين قد لا تتلازمان بنفس الدرجة في الزمن وفي المكان حيث تشير الأرقام المرتبطة بالنمو الحضري الى أن سكان الحضر قد تضاعف عددهم خلال العقود الماضية، بمعنى مرور السكان في العالم والدول النامية بخاصة، بمرحلة من التحضر السريع لم يسبق لها مثيل. وهي قفزة كمية هائلة في نمط التغير المكاني لتوزيع السكان، لم يواكبها أسلوب حياة حضرية فعلية في نوعية الحياة (Life Quality)، ومظاهرها المادية والسلوكية والاجتماعية لسكان الحضر أو المدن في الدول النامية وخاصة في القارة الإفريقية، والدليل على ذلك انتشار الفقر وتدني

مستوى الدخل والمسكن والتغذية وتدهور البيئة الحضرية والريفية المتاخمة لها ونقص الإمدادات فى مياه الشرب، ونقص شبكات الصرف الصحى والطرق ..إلخ. بالإضافة إلى البطالة ومايصاحب المظاهر السابقة من إنتشار للأمراض والجريمة والإحباط لهؤلاء البشر الذين يمثلون الاضافة الكمية للمراكز الحضرية، تلك الاضافة التى لم تعش محتوى الحضرية وتفتقر لمعظم مقوماتها. فهم الريفيون الحضر الذين هاجروا من مجتمع زراعى أو رعوى ذى دخل محدود إلى مجتمع حضرى ذى دخل محدود أيضا. ويعنى هذا بدوره نقل كثير من ظروف الفقر والجهل والمرض وانخفاض مستوى المعيشة، وبالتراكم تتفاقم هذه الظوهر فى المدن. ويطلق جيرالدبريز. (G. Breeze) على هذه الظاهرة التحضر الحدى، أو تحضر الكفاف Subsistence Urbaniztion(٨) فلم تكن المدن مهيأه لاستقبال هذه الوفود النارحه اليها.

هذا فى الوقت الذى يحلو لبعض العلماء والدراسين للدول المتقدمة أن يقسم هذه البلدان ذاتها إلى قسمين، قسم يسوده التحضر الصناعى والآخر هو الذى يسوده تحضر ما بعد الصناعة(٩)، حيث مجتمع الرفاهية والطاقة النظيفة والتخطيط، والتعاون وإعتبار الإفراد منتجين ومستهلكين أكثر مما فى المجتمع الصناعى نتيجة لتزايد التحضر وتزايد رغبات الأفراد وطموحاتهم(٩).

لقد سبقت الدول الغربية غيرها فى تحقيق معدلات عالية من التحضر الصناعى ومابعد الصناعى، ذلك رغم أن كثير من الدول المتخلفه والدول النامية كانت تشهد معدلات تحضر عالية فى الوقت الذى كان سكان أوربا من البدو الرحل، الا أن عدم إستمرار هذه البلدان فى مسيره التطور من ناحية، وخضوعها لفترة طويلة من الإحتلال الاجنبى من ناحية أخرى- بالاضافة إلى المشكلات العديدة الأخرى- قد أدى إلى تدهور معدلات التحضر والحضرية فى العالم النامى إلا أن الدول النامية تشهد حاليا نمواً كمياً بسرعة فائقة بعد حصولها على الإستغلال أو بالأحرى بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أنه أدى الى خلق أنماط حضرية ليست مألوفة، فأصبحنا نتحدث عن التحضر فى الدول

النامية (العالم الثالث) ومدينة العالم الثالث وطبيعة العلاقات الإجتماعية والاقتصادية المصاحبة للتحضر في هذا العالم، فقد أضاف التحضر فى إفريقيا وجنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية أبعاداً جديدة، بل مراحل جديدة لدراسة المدن. مع ذلك فلا يمكن الجزم بأن مدن هذه الدول النامية متجانسة متشابهة فى خصائصها الحضرية، ويمكن القول بتباين هذه الخصائص مع تشابه الظروف التى شكلتها وهو مايفرض الحاجة لإجراء دراسات مقارنة على نطاق واسع لطبيعة التحضر وأبعاده فى هذه الدول. وقد أجريت الكثير من الدراسات التى توصلت الى أهم خصائص التحضر فى الدول النامية فى إفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية(١٠)، ومازالت هذه الدراسات مستمره.

وتمثل القارة الإفريقية مجموعة من المتناقضات الحضرية، فهى القارة الريفية بين قارات العالم والأسرع من حيث معدلات النمو الحضرى، والأعرق من حيث تاريخ العمران الحضرى ونشأته فى نفس الوقت. كما يعانى سكان المدن العديد من أسوأ وأصعب المشكلات الإجتماعية والاقتصادية على مستوى المدن فى العالم النامى. بالإضافة الى تباين المدن الافريقية فيما بينها تبايناً شديداً على طول تاريخها الممتد وانتشارها المكانى الواسع.

وتهدف هذه الدراسة الى القاء الضوء على واقع التحضر والحضرية فى إفريقيا من خلال إستعراض سريع لمراحل التحضر، ثم التركيز على دراسة وتحليل أنماط توزيع السكان بين الريف والحضر، وتتبع اتجاهات نمو كل من هذين النمطين من أنماط العمران البشرى فى القارة، مع دراسة مايرتبط بذلك من مؤشرات وضوابط تنعكس على مستوى التحضر وتغيره وإيقاعه، وعلى توزيع سكان الحضر بين الرتب الحجمية للمدن، وذلك بتتبع هذه المتغيرات والمظاهر منذ سنة ١٩٢٠ وحتى سنة ١٩٥٠ كمرحلة من مراحل التحضر ذات سمات معينة فى إفريقيا، ثم خلال الفترة من سنة ١٩٥٠ حتى سنة ١٩٩٥ وربطها باتجاهات النمو الحضرى ومستوياته وتوزيعه حتى سنة ٢٠٢٥ ـ كلما أتاحت البيانات ذلك – لما فى ذلك من أهمية فى تفهم المشكلات، ممايساعد على

وضع السياسات المناسبة لها. فقد أثبتت الدراسات، وكذلك واقع المدن، أن هناك الكثير من هذه السياسات والخطط التى توضع لتنظيم البيئة الحضرية مضافاً اليها بعض التصورات لمستقبل إتجاهات النمو الحضرى سكانياً ومكانياً، إلا أن هذه الخطط الاساسية Masterplans نادراً ما تتحقق أو تنجح، ويكمن السبب ببساطة فى أن إسقاطات السكان لاتؤخذ فى الإعتبار ولاتلبى الخطط السكنية والعمرانية متطلبات السكان المبنية على سرعة نموهم، وطريقة إنتشارهم ومستوياتهم الإقتصادية والإجتماعية فى أغلب الاحوال، يقود ذلك إلى دراسة مشكلات البيئة الحضرية فى إفريقيا يتبعها محاولة لإلقاء الضوء على السياسات الحضرية المختلفة التى إتخذتها الحكومات الإفريقية لحل هذه المشكلات الحضرية. اى أنها دراسة مسحية لحاله التحضر والحضرية.

وفى ذلك تعتمد الباحثة على مايتوافر من بيانات حكومية أو دراسات علمية أو دراسات واحصاءات وتقارير لهيئات عالمية كالامم المتحدة ومنظماتها وإداراتها المتخصصة. وتتبع هذه الدراسة مناهج ومسالك عده لخدمة اغراض البحث، منها المنهج التاريخى التطورى، والمنهج الوصفى التحليلى والمنهج الإقليمى.

أولا: مراحل التحضر والحضرية فى إفريقيا

أما عن مراحل التحضر والحضرية فى افريقيا فقد مرت القارة بمراحل عديدة نوجزها فيما يلى:

فقد عرفت إفريقيا أقدم مراكز العمران، والعمران الحضرى فى العالم فكانت ممفيس وطيبة والاسكندرية وقرطاج وطنجة مدناً وعواصم زاهرة عامرة منذ التاريخ الفرعونى مروراً بالفترة اليونانية فالفينيقية فالرومانية فالبيزنطية ثم خلال الفتح العربى حيث القاهرة (أقدم عواصم العالم) والقيروان وفاس ومراكش وكان الشمال الإفريقى الأقدم من حيث العمران الحضرى أما إفريقيا جنوب الصحراء فقد عرفت العمران التقليدى قبل الاستعمار، منذ ١٠٠٠ سنه

فيما سمى بالنطاق السودانى، ومعظم هذه المدن، نمت بين القرن العاشر والقرن التاسع عشر وكان هناك مدنا نمت وانتهت كما بقيت بعض المدن حتى القرن العشرين وإكتسبت أهمية مثل إبادان وكانو وكوماسى، التى ترجع أصولها الى القرن السابع عشر الميلادى حيث كانت عاصمة الأشانتى وكان هناك ثلاثة من المدن الكبرى ـ فى مملكة اليوربا– إبادان Ibadan وأويو Oyo و إبيكوتا Abe-okuta يقدر سكان كل منها بحوالى ١٠٠,٠٠٠ ساكن بالاضافة الى حوالى عشرين مركزاً حضريا قدر سكان كل منها بين ١٠,٠٠٠ و ٦٠,٠٠٠ ساكن وذلك فى أواخر القرن التاسع عشر. مما يعنى أن إفريقيا قد عرفت المدن بإختلاف احجامها وتنظيمها المكانى وتخطيطها ووظائفها قبل دخول الاستعمار.(١١) كما كانت تمبكتو وكانو وجاو ومالى، حيث مثلت هذه المدن مراكز ادراية وعواصم سياسية للمالك، والامبراطوريات، ومواقع عقديه للتجاره عند تقاطع الطرق الى إمتدت إلى جميع الاتجاهات كما كان لها أهمية إقتصادية حيث يقع بعضها قرب موارد الثروات الخام (١٢) وفى السودان كانت سنار عاصمة الفونج والدامر، وشندى وأم درمان حيث لعب القطاع الأوسط من وادى النيل دوراً مهماً فى تاريخ التحضر فى إفريقيا، أما فى شرق إفريقيا فكانت مدن جوندار وبربرة وأديس أبابا فى القرن الإفريقى، وفى ساحل الزنج كانت العواصم والمدن من صنع المؤثرات الخارجية خاصة العربية فكانت زنجبار ودار السلام وممبسه ومالندى وسفاله (ظفار) كذلك تناناريف، مدناً ناحجه حتى وصول البرتغال، ويذكر "جمال حمدان" فى هذا الصدد "إن لدخول أوربا الى إفريقيا أثر عكسى مدمر على هذه المدن التى ضعف معظمها، أما ضغط القوى الاقتصادية والمادية والسياسية التى صاحبت الاستعمار فكان على يدية وأدها وإندثارها، إذ خلق الاستعمار من العواصم والمدن الجديدة ماسحب من هذه المدن وظائفها وورث دورها. فورثت داكار عواصم السودان الغربى الداخلية فى إفريقيا الغربية الفرنسية، وورثت لاجوس إيبادان فى نيجيريا، وفى الشرق أدال الاستعمار العاصمة من أم درمان الى الخرطوم، ومن بربره الى هرجيسه فى الصومال البريطانى ، والقلة هى التى أفلتت من هذا المصير(١٣).

معنى ذلك أن الاستعمار عندها دخل إفريقيا وجد المدن بها فى مناطق عديدة، كما أن هناك مناطق لم يوجد بها مدن اذ لم يحتاج السكان رغم كثافتهم الى إنشاء مدن.

ومع دخول الاستعمار بدأت مرحله جديدة فى إنشاء المدن فى إفريقية لتكون قواعد له وإمتد إنتشارها فى إفريقيا المدارية أو إفريقيا جنوب الصحراء. وهى فى معظمها مدن حديثه قد ترجع الى آواخر القرن التاسع عشر، وان كان هناك بعض المراكز الأقدم مثل لورانسو ماركيز التى ترجع نشأتها الى سنه ١٥٤٥ ولونداسنة ١٥٧٦، والكاب سنة ١٦٥٢. وعلى العكس من ذلك تقع المدن الأحدث فى الداخل حيث يرجع تاريخ إنشاء مدينة بريتوريا الى سنة ١٨٥٥، ومفكنج الى سنة ١٨٨٥، سالسبورى وكمبالاالى سنة ١٨٩٠، وبولاوايو وعنتبه الى سنة ١٨٩٣، ثم نيروبى والخرطوم معاً فى سنة ١٨٩٩، وفورلامى سنة ١٩٠٠، ولفنجستون سنة ١٩٠٥. وقد تميزت المدن والعواصم خلال فترة الاستعمار بعدم الاستقرار الذى يؤكده هجرة العواصم وإنتقالها اكثر من مره، لذا تكثر العواصم (الحفرية) فى إفريقيا، وكان تغيرها إما لأسباب طبيعية أو سياسية، أو لتغير وسائل المواصلات حيث كان تحرك طرق التجارة وإستبدال الطرق المائية الداخلية بالسكك الحديدية عوامل حاسمة فى تغير موقع العاصمة، كما تميز توزيع مواقع المدن الاستعمارية بالتطرف وبكثير من مظاهر الشذوذ السياسى وخاصة العواصم التى تميزت الى جانب تغيرها بالتعدد والاستعاره والتطرف(١٤)، وكانت مدن الاستعمار هذه صغيرة الحجم لكنها نواه للنمو الكبير، فكانت أبواب للتجارة الاستعمارية، وقد تضاعف حجمها وتميزت بالتنظيم والتخطيط الحضرى الأوربى حيث نجد سالسبورى هرارى (Salsbury - Harare) ونيروبى ووند هوك، كما نشأت سلسلة من المدن مرتبطة بالتعدين فى كمبرلى Kimberley-وجوهانسبرج واليزابث ڤيل وندولا وبولاوايو، وقد جذبت هذه المدن كل من المستوطنين والأفارقة فكان نموها سريعا.

ويتضح من العرض السابق ان كل مرحلة تاريخية تركت آثارها على الواقع الحضرى فى إفريقيا، ويمكن تصنيف المدن فى افريقيا الى مدن إفريقية أصيله وطنية (Indigenous) مثل أديس آبابا وإبادن، ثم مدن ذات أصول استعمارية Colonial in origen واضحة مثل دار السلام وفريتون، ومدن أخرى مذدوجه أو خلاسيه مثل كمبالا وكوماسى Kumasi فى غانا التى تظهر خصائصها الخلاسية Hybrid Character فى تاريخها حيث كانت عاصمة امبراطورية الأشانتى فى القرن السابع والتاسع عشر بحجم سكانى قدر بحوالى ٥٠,٠٠٠ ساكن ثم إنكمشت الى ٣٠٠٠ ساكن سنة ١٩٠١و بعد الاحتلال البريطانى تكيفت فى منطقتها الادارية و إنتعشت مرة أخرى كمركز تجارى هو الأكبر فى الدولة. وهناك سبب وجيه لاختيار لاجوس أيضا مدينة خلاسية حيث نمت كمحله داخلية فى اليوربا وبسرعة نمت وتعاظمت كعاصمة إستعمارية مع تأثير وجاذبيه محلية خلال نموها، ويتقاسم كل من النواه اليورباويه والمدينة الإستعمارية قلب المدينة.

وتعتبر أكرا من نماذج المدن الخلاسية فى الفرانكفون والتى كانت مركزا بؤرياً لشعب الموسى، ثم تكيفت مع الإستعمار الفرنسى كعاصمة للفولتا العليا (١٤)، وهناك العديد من الأمثلة على ذلك.

وقد تضخمت أحجام هذه المدن بعد الحصول على الاستقلال، وجذبت الإستثمارات وتميزت بالمركزية الشديدة وجذبت المهاجرين ووصل النمو الحضرى إلى معدلات كبيرة قد تصل الى ١٠٪ سنويا، وترتفع عن ذلك كثيرا فى هوامش المدن، وإرتفع مستوى التحضر ودرجته بسرعة فى القارة الافريقية خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وذلك ماسيتضح فى الدراسة التفصيلية لهذه الاتجاهات فيما بعد. وكان ذلك سبباً فى العديد من المشكلات المرتبطة بمستوى الحضرية. كما تضخمت المدن الكبرى وسادت الهيمنة الحضرية وأصبح منحنى المدن مطابقا للشكل (L) Shaped "L" للعلاقة بين الرتبة والتوزيع (Rank distribution Curve) كما سيتضح فيما بعد (١٥)، واصبحت هذه

المدن تضم نسبة كبيرة من سكان الحضر بالدولة قد تزيد على ٥٠٪ فى العديد منها. وفاقت جاذبية المدن طاقة إحتوائها للسكان وإمكاناتها لتحقيق مستوى لائق بحياه الانسان مما أدى الى إنتشار الفقر الحضرى بكافة عناصره وأشكاله وصار الإتجاه نحو تحضرالفقر فى إفريقيا. Urbanization of Poverty in Africa وذلك بسبب الزيادة السريعة فى المناطق الحضرية المتدهورة Urban Slums وفى الهوامش الحضرية حيث مستعمرات وضع اليد غير الحكومة Squatter Settlements حيث تقطن نسبة كبيرة من سكان المدن الإفريقية فى هذه الظروف المعيشية غير اللائقة، حيث المناطق غير القانونية وغير المخططة ودور الصفيح والأكواخ بنسب قدرت بحوالى ٨٥٪ فى أديس آبابا. و٧٠٪ فى لواندا و ٦٠٪ فى دار السلام و ٥٠٪ فى لوساكا و ٤٥٪ فى تونس و٣٣٪ فى نيروبى وهكذا فى معظم المدن الإفريقية سنة ١٩٨٠، [١٦] والحالة تسير الى أسوء حيث يتزايد عدد ونسبة من هم دون خط الفقر فى إفريقيا سنوياً فصار الفقر إفريقيا كما سيتضح عند معالجة مشكلات الحضرية فى إفريقيا.

ثانياً: سكان إفريقيا بين الريف والحضر (من ١٩٢٠ الى ١٩٥٠)

يقصد بالحضر خلال هذه الفترة سكان المحلات العمرانية ذات الأحجام ٢٠,٠٠٠ ساكن فأكثر وذلك حسب تقديرات الامم المتحدة لها، ونظراً لأن الدول الإفريقية كانت تتميز خلال تلك الفترة بالمحلات العمرانية الحضرية الصغيرة الحجم فسوف ينظر أيضا الى الحضر حسب تقدير الحكومات الإفريقية لحجمهم[١٧]، وترتبط هذه الفترة بتواجد الاستعمار الأوربى فى القارة الذي ارتبط به أيضا نمو العديد من المدن والموانئ ومدن المناجم والأسواق[١٨]، والتى يرجع بعضها الى أواخر القرن التاسع عشر. (كما إتضح من العرض السابق).

١ - اتجاهات النمو السكانى ومستوى التحضر من ١٩٢٠ إلى ١٩٥٠:

اذا حاولنا تلمس الوضع بالنسبة لسكان القارة وتوزيعهم بين الأرياف، والمناطق الحضرية، فسنلاحظ من خلال إستقراء الجدول رقم (١) مايلى:

جدول (١)

أ ـ حجم سكان إفريقيا ونموهم من عام ١٩٢٠ الى ١٩٥٠م

حضر ٢٠,٠٠٠ ساكن فأكثر وأرياف + حضر أقل من ٢٠,٠٠٠ ساكن (بالمليون)

السنة / جملة	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠	حجم الزيادة الكلية ١٩٢٠-١٩٣٠	١٩٣٠-١٩٤٠	١٩٤٠-١٩٥٠	حجم الزيادة من ١٩٢٠ الى ١٩٥٠	نسبة الزيادة الكلية من ١٩٢٠ الى ١٩٥٠
جملة سكان إفريقيا	١٤٢,٩	١٦٣,٨	١٩١,٥	٢٢١,٥	٢٠,٩	٢٧,٧	٣٠,٢	٧٨,٨	٪٥٥,١٤٣
حضر	٦,٩	٩,٧	١٣,٨	٢١,٥	٢,٨	٤,١	٧,٧	١٤,٦	٪٢١١,٦
أرياف	١٣٦,٦	١٥٤,١	١٧٧,٧	٢٠٠,٠	١٨,١	٢٣,٦	٢٢,٣	٦٣,٤	٪٤٦,٤

المصدر U.N., (1969), OP cit. pp.24.

النسب من حساب الباحث

ب ـ المعدل السنوى لنمو السكان والحضر والأرياف فى إفريقيا والعالم

من عام ١٩٢٠ ـ ١٩٥٠ (٪) (حضر ٢٠,٠٠٠ ساكن فأكثر)

إفريقيا	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠	العالم	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠
جملة السكان	١,٤	١,٦	١,٥	٢,١	جملة	١,١	١,١	١,٩	١,٧
حضر	٣,٦	٣,٦	٤,٥	٥,٤	حضر	٢,٤	٢,٥	٢,١	٤,٦
أرياف	١,٣	١,٤	١,٢	١,٧	أرياف	٠,٨	٠,٧	٠,٦	١,٢

المصدر Ibid , P27,

جـ ـ مستوى التحضر فى إفريقيا والعالم من ١٩٢٠ ـ ١٩٥٠

الحضر ٢٠,٠٠٠ ساكن فأكثر

المناطق	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠	العالم	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠
إفريقيا	٪٥	٪٦	٪٧	٪١٠	الأوقيانوسية	٪٣٧	٪٣٨	٪٤١	٪٤٦
العالم	٪١٤	٪١٦	٪١٩	٪٢١	امريكا اللاتينية	٪١٤	٪١٧	٪٢٠	٪٢٥
أوربا	٪٣٥	٪٣٧	٪٤٠	٪٤١	شرق آسيا	٪٧	٪٩	٪١٢	٪١٤
امريكا الشمالية	٪٤١	٪٤٦	٪٤٦	٪٥١	جنوب آسيا	٪٦	٪٧	٪٨	٪١١

المصدر Ibid , P.31

تابع جدول (١)

د ـ مستوى التحضر فى إفريقيا والعالم وأمريكا اللاتينية

حسب تقدير الحكومات من عام ١٩٢٠ الى ١٩٥٠

	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠
إفريقيا	٪٧	٪٩	٪١١	٪١٤.٧
العالم	٪١٩	٪٢٢	٪٢٥	٪٢٨
امريكا اللاتينية	٪٢٢	٪٢٨	٪٣١	٪٤١

المصدر Ibid , P25,

– بلغ حجم جملة سكان إفريقيا حوالى ١٤٢,٩ مليون ساكن سنه ١٩٢٠ يمثلون ٧.٧٪ من جملة سكان العالم (جملة مساحة إفريقيا ٢٢٪ من جملة مساحة العالم) وقدر حجم سكان المراكز الحضرية بحوالى ٦,٩ مليون ساكن (للمراكز ذات حجم ٢٠ ٠٠٠ ساكن فأكثر)، يمثلون ٢,٦٪ من جملة الحضر فى العالم، بينما يمثلون أقل من ٥٪ من سكان إفريقيا، معنى ذلك أنه بنهاية الخُمس الأول من القرن لعشرين كانت درجة التحضر أو مستوى التحضر بقارة إفريقيا ٤.٨٣٪، أما سكان المناطق الريفية فكانوا أكثر من ٩٥٪ من جملة سكان القارة، معنى ذلك أن قاره إفريقيا كانت قاره ريفيه بحق لم يقاربها فى ذلك سوى جنوب قاره آسيا حيث مستوى التحضر ٦٪، وشرق آسيا ٧٪، أما أمريكا اللاتينية فكانت نسبه سكان الحضر بها ١٤٪ من جملة السكان..

وكان مستوى التحضر بالدول المتقدمة حوالى ٣٥٪ فى دول قارة أوربا، و ٤١٪ فى أمريكا الشمالية، و٣٧٪ فى الأقيانوسية وكان مستوى التحضر على مستوى العالم ١٤٪ ذلك عام ١٩٢٠.

شهدت السنوات والعقود التالية لعام ١٩٢٠ نمواً سكانياً حضريا وريفياً يفوق فى معدلاته نفس المعدلات على مستوى العالم، فقد تزايد حجم السكان من ١٤٢.٩ مليون ساكن عام ١٩٢٠، الى ٢٢١.٥ مليون ساكن عام ١٩٥٠ يمثلون

٨.٨٪ من سكان العالم بزيادة سكانية تقدر بحوالى ٧٨.٧ مليون ساكن وبنسبه زيادة كلية ٥٥,٢٪ تقريباً فى الفتره من ١٩٢٠ الى ١٩٥٠.

اما سكان الحضر فقد تزايد حجمهم من ٦.٩ مليون ساكن عام ١٩٢٠ الى ٢١.٥ مليون ساكن عام ١٩٥٠، وأصبحو يمثلون ٤٪ من سكان الحضر فى العالم بزيادة كلية بلغت ١٤.٦ مليون ساكن، ونسبه زياده حوالى ٣١١.٦٪ خلال الفترة، وكان معدل نمو سكان الحضر فى العقود الثلاثة من أعلى معدلات النمو الحضرى فى العالم ،لا يقارن به سوى معدل نمو سكان الحضر فى أمريكا اللاتينية.

بالنسبة لسكان الأرياف والمراكز الحضرية الأقل من ٢٠,٠٠٠ ساكن فقد تزايد حجمهم بإيقاع أقل سرعه من سكان الحضر، إذ قدروا بحوالى ٢٠٠ مليون ساكن عام ١٩٥٠ (١٠.١٪ من سكان الأرياف فى العالم) بزيادة كلية قدرها ٦٣.٤ مليون ساكن تقريبا خلال الفترة، مما يعنى نسبة زيادة كلية تقل عن نسبه الزيادة الكلية لجملة السكان وبالتالى سكان الحضر إذ قدرت بحوالى ٤٦.٤٪ . ويعنى هذا مؤشراً لبداية نمو حضرى متسارع إذ تضاعف سكان الحضر أكثر من ثلاثه مرات، بينما لم يتضاعف سكان الأرياف خلال الفترة. ويشير ذلك إلى جاذبية المدن لتيارات الهجرة المبكرة وإستقطابها للانشطة والسكان فى القارة.

أما معدلات النمو السنوى لجمله السكان فكانت مرتفعة فى إفريقيا نظرا لنمو حجم السكان المشار اليه. وكانت بمعدل ١,٤٪ سنويا فى عام ١٩٢٠و ١,٦٪ سنويا. حتى عام ١٩٣٠، و ١,٥٪ حتى عام ١٩٤٠، تزايدت الى ٢,١٪ حتى عام ١٩٥٠، أما معدلات نمو سكان العالم فكانت ١,١٪ عام ١٩٢٠، و ١,١٪ سنويا فى عام ١٩٣٠، تزايدت الى ١,٩٪ حتى ١٩٤٠ وأصبحت ١,٧٪ سنوياً حتى ١٩٥٠.

بالنسبة لمعدل النمو السنوى لسكان الحضر فى إفريقيا فقد فاق ذلك إذ كـان ٣,٦٪ عـام ١٩٢٠، ثم ٣,٦٪ سنوياً حتى عام ١٩٣٠، ارتفع الى ٤,٥٪ سنويا حتى عام ١٩٤٠، وتسارع الى ٥,٤٪ سنوياً حتى عام ١٩٥٠، وهى معدلات تفوق مثيلاتها على مستوى العالم الذى حقق معدلات نمو حضرى منخفضه عن المعدلات فى إفريقيا وهى ٢,٤٪ عام ١٩٢٠، زادت الى٢,٥٪ سنويا حتى عام ١٩٣٠، ثم كانت ٢,١٪ سنوياً عام ١٩٤٠، تسارعت الى ٤,٦٪ سنويا عام ١٩٥٠.

أما معدل النمو السنوى لسكان الأرياف فى إفريقيا فقد فاق هو الاخر مثيله على مستوى العالم. فكان فى إفريقيا ١,٣٪ سنوياً حتى عام ١٩٢٠، ثم ١,٤٪ سنوياً حتى عام ١٩٣٠، ثم ١,٢٪ سنويا حتى عام ١٩٤٠، وصل الى ١,٧٪ سنوياً حتى ١٩٥٠ ورغم انه كان أقل من معدلات النمو السنوى للحضر فى إفريقيا فقد كان أعلى من معدلات النمو السكانى لسكان الأرياف فى العالم الذين كان معدل نموهم ٠,٨٪ عام ١٩٢٠، و ٠,٧٪ حتى عام ١٩٣٠، ثم ٠,٦٪ سنوياً حتى عام ١٩٤٠ و ١,٢٪ سنوياً حتى عام ١٩٥٠.

ارتفعت بذلك درجة التحضر فى إفريقيا الى ١٠٪ عام ١٩٥٠، أما نسبة سكان الأرياف والمراكز الحضرية الأقل من ٢٠,٠٠٠ ساكن فكانت٩٠٪ من جمله السكان عام ١٩٥٠، حسب تقديرات الامم المتحدة.

ويمقارنه مستوى التحضر أو درجته فى إفريقيا بالقارات والمناطق الأخرى سنجد درجه التحضر فى أمريكا اللاتينية ٢٥٪ وفى شرق آسيا ١٤٪ وفى جنوب آسيا ١١٪ أما درجة التحضر على مستوى العالم فكانت ٢١٪، ترتفع فى أوربا الى ٤١٪ وفى أمريكا الشمالية الى ٥١٪، وفى الأوقيا نوسيه إلى ٤٦٪، وذلك عام ١٩٥٠. مما يعنى أن قارة افريقيا كانت أكثر القارات ريفية فى عام ١٩٥٠، مع مؤشرات واضحه نحو التحضر السريع، والواقع أن تقدير الحكومات لسكان الحضر بها كان مختلفا بعض الشئ وذلك مايوضحه الجدول رقم (١) أيضا فى القسم د ومنه يتضح ان حجم سكان قد تزايد من ١٠ مليون

عام ١٩٢٠، الى ٣٠ مليون ساكن ١٩٥٠، يمثلون ١٤,٧٪ من جملة السكان بزيادة قدرها ٩ مليون ساكن عن تقدير الأمم المتحدة أو (٤,٧٪).

تميزت إفريقيا خلال تلك الفترة أيضا بالتباين الواضح فى مستويات التحضر بين ثلاث مناطق متمايزه حضريا وهى شمال إفريقيا، وإفريقيا المداريه وجنوب إفريقيا، وكانت نسبه سكان الحضر فى المراكز الحضرية ذات الحجم ٢٠,٠٠٠ ساكن فأكثر - مع ملاحظة إختلاف هذه النسب لو أخذنا فى الاعتبار المراكز الحضرية الأقل من ذلك الحجم، كما يوضحها الجدول التالى :

جدول رقم (٢)

مستويات التحضر فى إفريقيا للتجمعات ذات حجم ٢٠,٠٠٠ ساكن فاكثر من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٥٠ (حسب الاقاليم الرئيسية)

السنة / الإقليم	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠
شمالى إفريقيا	١٢٪	١٤٪	١٧٪	٢١٪
إفريقيا المدارية	٢٪	٢٪	٣٪	٤٪
جنوب إفريقيا	١٥٪	١٩٪	٢٢٪	٤٨٪
قارة افريقيا	٥٪	٦٪	٧٪	١٠٪

المصدر : Ibid Table. 56

من الملاحظ تدنى مستوى التحضر فى إفريقيا المدارية وارتفاعها الملحوظ فى جنوب إفريقيا حيث وصلت درجه التحضر الى ٤٨٪ عام ١٩٥٠، مقارنا ب ٤٪ فى إفريقيا المدارية و ٢١٪ فى الشمال الإفريقى فى نفس السنه.

وتمثل دول الشمال الإفريقى أعرق دول القاره من حيث نشأه المدن وتطورها التاريخى يليها جنوب إفريقيا فى الفترة الحديثة نسبياً. ذلك رغم عراقة العديد من مدن إفريقيا جنوب الصحراء والتى سبقت الإشاره إليها لكنها تأثرت بفتره الإستعمار الذى تسبب فى تدهورها لحساب مراكز ومدن أخرى[١٩].

٢ - توزيع سكان الحضر حسب الرتب الحجمية للمدن من عام ١٩٢٠ـ ١٩٥٠:

من استقراء الجدول رقم (٣) نلاحظ تميز سكان الحضر فى إفريقيا بسكنى المدن صغيرة الحجم، فقد كان ٣١٪ من سكان الحضر يسكنون مراكز حضرية يقل حجمها عن ٢٠,٠٠٠ ساكن، بينما كان يسكن ٣٨٪ من جملة الحضر فى مراكز يتراوح حجمها بين ٢٠.٠٠٠ ساكن إلى أقل من ١٠٠ الف ساكن، مما يعنى أن ٦٩٪ من جملة سكان الحضر كانوا يقطنون مدناً صغيرة ذات حجم أقل من ١٠٠ الف ساكن. بينما كان يسكن المدن ذات ١٠٠ الف ساكن وأكثر حتى حجم نصف مليون ساكن حوالى ٢٢٪ من جملة الحضر و ذلك عام ١٩٢٠ معنى ذلك أن ٩١٪ تقريباً من سكان الحضر فى إفريقيا كانو

جدول رقم (٣)

التوزيع النسبى لسكان الحضر فى قارة إفريقياحسب الرتب الحجمية للمدن فى سنة ١٩٢٠، ١٩٤٠، ١٩٦٠

رتب الحجم / الاقليم القارة	اقل من ٢٠,٠٠٠ ساكن	من ٢٠,٠٠٠ الى ٩٩,٩٩٩ ساكن	من ١٠٠,٠٠٠ الى ٤٩٩,٩٩٩ ساكن	من ٥٠٠,٠٠٠ الى ٢,٤٩٩,٩٩٩ ساكن	اكثر من ٢,٥٠٠,٠٠٠ ساكن
إفريقيا					
١٩٢٠	٣١٪	٣٨٪	٢٢٪	٩٪	صفر
١٩٤٠	٣٠٪	٣٢٪	٢٣٪	١٥٪	صفر
١٩٦٠	١٩٪	٢٦٪	٢٦٪	٢٢٪	٧٪
العالم					
١٩٢٠	٢٥٪	٢٧٪	١٨٪	٢٠٪	١٠٪
١٩٤٠	٢٤٪	٢٥٪	١٩٪	١٩٪	١٣٪
١٩٦٠	٢٠٪	٢٣٪	١٩٪	٢١٪	١٧٪
أمريكا اللاتينية					
١٩٢٠	٣٥٪	٢٢٪	١٦٪	٢٧٪	صفر
١٩٤٠	٣٦٪	٢٠٪	١٤٪	٢١٪	٩٪
١٩٦٠	٣٣٪	٢٠٪	١٣٪	١٤٪	٢٠٪

المصدر Ibid, P.34

يسكنون مدناً تقل فى حجمها عن نصف مليون ساكن، فى حين كان ٩٪ من الحضر يسكنون المدن الأكبر فى الحجم من نصف مليون ساكن.

تغيرت صورة التوزيع عام ١٩٤٠ عنها فى عام ١٩٢٠ فكان الإتجاه نحو سكنى المحلات الحضرية الاكبر حجما والتى تفوق نصف مليون ساكن إذ سكنها حوالى ١٥٪ من سكان الحضر. مما يشير أيضا إلى بدايه إنفجار حضرى بالمدن الكبرى مع إحتفاظ إفريقيا بتركز سكان الحضر فى المدن الصغيرة بوضوح.

فى عام ١٩٥٠ كان يسكن المدن الأقل من نصف مليون حجماً حوالى ٨١.٣٪ من جمله سكان الحضر، وبلغ عدد المدن ضمن هذه الفئة ٢٧ مدينة على مستوى القارة. حسب تقدير الحكومات(٢٠).

عند مقارنة ذلك التوزيع بنظيره فى العالم نلاحظ أن ١٠٪ من سكان الحضر فى العالم كانوا يسكنون مدناً يزيد حجمها عن ٢.٥ مليون ساكن ثم ١٤٪ عام ١٩٤٠. ولم يكن بإفريقيا ذلك الحجم إنذاك وسبقت أمريكا اللاتينية إفريقيا فى التضخم الحضرى بالمدن الكبرى إذ أصبح يسكن المدن ذات نصف مليون ساكن وأكثر بها حوالى ٩٪ من جملة سكان المدن. ذلك عام ١٩٤٠.

بينما كان يسكن حوالى ٥٢٪ من سكان الحضر فى العالم مراكز حضرية تقل عن ١٠٠ الف ساكن عام ١٩٢٠، وأمريكا اللاتينية ٥٧٪ وذلك عام ١٩٢٠، مقارنا ب ٦٩٪ من سكان الحضر فى إفريقيا فى نفس السنه.

من ناحية أعداد المدن الكبيرة فى إفريقيا فقد ظلت القارة مفتقرة إلى وجود المدن الكبرى فترة طويلة وكانت صورة التوزيع "كما يلى من حيث عدد المدن ذات الحجم من $\frac{1}{2}$ مليون ساكن إلى أقل من $\frac{1}{2}$ ٢ مليون ساكن (٢١).

السنه	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠
العدد	١	٢	٣	٦

مما يعنى أيضا مؤشراً لتزايد أحجام وأعداد المدن الكبيرة فى القارة وكان ذلك بتأثير الإستعمار وزيادة نشاط النقل البرى والصناعة والتجارة وتنظيم البيئة الحضرية فكان التراكم الحضرى للمدن وخاصة مدن الموانى(٢٢) ويؤكد ذلك ارتفاع نسبة سكان مدن الموانئ من جملة سكان الحضر بإفريقيا كمايلى:

السنه	١٩٢٠	١٩٣٠	٩٤٠	١٩٥٠	١٩٦٠
نسبة سكان مدن الموانئ إلى جملة الحضر	-	٣٥٪	٢٦٪	٤٦٪	٥٣٪

تميزت إفريقيا أيضا فى هذه الفترة - ومازالت - بالهيمنة الحضريه التى بدأت إرهاصاتها بنمو المدن الكبرى أو مدن العواصم والموانئ، ويشير الجدول رقم (٤) الى هذه الظاهرة المبكرة بالقارة. ومن استقراء الجدول يلاحظ أن أحجام المدن المختارة بين عام ١٩٣٠-١٩٤٠ و ١٩٥٠-١٩٥٨ قد جنحت إلى التضاعف وإن كانت قد بدأت بدايات حجمية متواضعه. فقد تضاعفت أبيدجان أكثر من ست مرات، من ١٠,٠٠٠ ساكن عام ١٩٣٠ الى ٦٩٠٠٠ عام ١٩٥٨. وكونكرى التى تضاعفت أكثر من سبع مرات من ٧٠٠٠ ساكن إلى ٣٩٠٠٠ ساكن عام ١٩٣٠و داكار أكثر من خمس مرات من ٥٤٠٠٠ ساكن إلى ٣٠٠,٠٠٠ ساكن، وكذلك كنشاسا (٢٤).

وكما يذكر (هانس) أن الزيادة الطبيعية وحدها لاتفسر هذه الزيادة غير الطبيعية فى أحجام المدن لكن ترجع إلى الهجرة والهجرة الريفية ـ الحضرية خاصة (٢٥).

من الملاحظ على المدن المذكوره بالجدول أن أحجامها متواضعه ولم يكن بينها مدينة ذات ثقل سكانى سوى مدينة القاهرة التى تخطت بسكانها حاجز المليون فى ثلاثينيات هذا القرن. وفيما عدا ذلك كانت جوهانسبرج أكثر من نصف مليون ساكن عام ١٩٣٠. وبعد عام ١٩٥٠ لم يكن بالقارة سوى مدينة واحدة مليونيره هى مدينة القاهرة التى تخطت حجم نصف مليون ساكن وأصبح سكانها ٢.٦ مليون.

ويذكـر (de Blij) أن الزيادة الطبيعية كانت مرتفعة فى المدن وربما تفوق الزياده الطبيـعـيـة فـى المناطق الريفـيـة، ذلك بسـبب إرتفـا ع مـعـدلات المواليـد والخصوبة مع السيطرة على معدلات الوفيات الخام، ومعدلات وفيات الأطفال الرضع باستـمرار فى نفس الوقت (٢٦) يضـاف الى ذلك عامل الهجرة الريفية الحضرية مما يفسر سرعة إيقاع نمو المدن فى إفريقيا والعالم الثالث بصفه عامة فى هذه الفترة.

جدول رقم (٤)

تطور احجام بعض المدن الإفريقية الرئيسية المختاره في الفترة من ١٩٣٠ ـ ١٩٥٨

المدينة	الحجم ١٩٣٠ ١٩٤٠	الحجم ١٩٥٠ ١٩٥٨	المدينة	الحجم ١٩٣٠ ١٩٤٠	الحجم ١٩٥٠ ١٩٥٨
أبيدچان	١٠٠٠٠	٦٩٠٠٠	كنشاسا	٣٣٠٠٠	١٩١٠٠٠
اديس ابابا	٣٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	لاجوس	١٢٧٠٠٠	٢٦٧٠٠٠
برازاڤيل	٢٤٠٠٠	٨٤٠٠٠	لوساكا	–	٥٨٠٠٠
القاهرة	١٣١٢٠٠٠	٢٦٠٢٠٠٠	مونروڤيا	١٠,٠٠٠	٢٧٠٠٠
كزابلانكا	٢٥٧٠٠٠	٦٨٢٠٠٠	نيروبى	٥٠٠٠٠	٢٢٢٠٠٠
كونكرى	٧٠٠٠	٣٩٠٠٠	نجامينا	٨٠٠٠	٢١٠٠٠
دار السلام	٣٤٠٠٠	٩٩٠٠٠	سالزبورى	٣٢٠٠٠	٢٣٣٠٠٠
جوهانسبرج	٥١٩٠٠٠	٩١٩٠٠٠	طرابلس	–	١٣٠٠٠٠

المصدر : Best,A.C.G., and de Blij, H.J, (1977)

من الواضح أيضا أن هناك تبايناً كبيراً بين أحجام المدن وكذلك إيقاع نموها كما أن هناك تمايزاً فى وظائف سكان هذه المدن والثروة ونوعيه الحياه والمسكن والخدمات الاجتماعية المتاحة، الا أن هناك تشابهاً مهماً فى أنماط التحضر بين دولة وأخرى من الدول الإفريقية. أهمها هيمنه المدينة الاولى ونموها السريع واستقطابها لأكبر نسبه من سكان الحضر فى هذه الفترة المبكرة نسبياً مثل أديس آبابا التى ضمت ٥٩٪ من الحضر و كونكرى ٥٩٪ و طرابلس ٦٣٪ و كمبالا ٦٨٪ وغيرها يستثنى من ذلك لاجوس١٤٪ وجوهانسبرج ١٤٪ و الجزائر ١٤٪ كنشاسا ٣٤٪ (٢٧) من جملة سكان الحضر بدولها فى نهاية تلك الفترة.

ثالثا: إتجاهات التحضر فى إفريقيا من عام ١٩٥٠، ١٩٩٥ وتوقعاته حتى عام ٢٠٢٥.

تتميز تلك الفترة من الناحية الديموجرافية باتجاهين واضحين يمثلان أهم مفاتيح الشخصية الديموجرافية للقارة وهما إتجاه معدل النمو المرتفع لسكان القارة وسرعه النمو الحضرى أيضاً(٢٨). ولايمكن تفهم عملية التحضر ومدى سرعتها وتأثيرها على حاله السكان وبيئة القارة إلا من خلال مقارنتها بجملة السكان ونمو السكان فى المناطق الريفية.

١ - تطور حجم سكان الحضر والأرياف.

لقد تطور حجم سكان الحضر فى إفريقيا من ٣٢.٨٣ مليون ساكن عام ١٩٥٠ إلى ٦٦.٥ مليون ساكن تقريبا عام ١٩٦٥، أى أنهم تضاعفوا خلال هذه الفترة واستمرت الزيادة فى حجم سكان الحضر إذ تضاعفوا مرة أخرى فأصبح حجمهم ١٣٠ مليون ساكن عام ١٩٨٥، وفى عام ١٩٥٥ قدر سكان الحضر فى إفريقيا بحوالى ٢٥٠.٣ مليون ساكن مما يعنى أن سكان الحضر فى إفريقيا قد تضاعف حجمهم بما يقرب من ثمانى مرات خلال الفترة من ١٩٥٠ حتى ١٩٩٥ أى بنسبه ٧٨٠٪ تقريبا.

من إستقراء الجدول رقم (٥) والشكل رقم (١) يتضح مدى تطور حجم سكان الحضر كما يتضح أن تزايد حجم سكان الأرياف لم يكن بنفس السرعة فقد تزايد حجمهم من ١٩١,١ مليون ساكن عام ١٩٥٠ الى ٢٥٤ مليون ساكن عام ١٩٦٥ الى ٣٨٧ مليون ساكن عام ١٩٨٥، وتزايدو إلى أن وصل حجمهم إلى ٤٧٧.٨ مليون ساكن ١٩٩٥ مما يعنى أن سكان الأرياف قد تضاعفوا بنسبه ٢٥٠٪ تقريباً بينما كانت جملة السكان قد تزايدت من ٢٢٤ مليون ساكن تقريباً إلى ٧٢٨ مليون ساكن تقريباً عام ١٩٩٥ أى بنسبه زيادة قدرها ٣١٤٪، مما يشير إلى زيادة حضرية كبيرة تفوق نسبه الزيادة لجملة السكان التى تفوق بدورها زيادة سكان الأرياف.

ومن المتوقع أن تستمر الزيادة السكانية لجملة السكان وسكان الحضر والأرياف حسب إسقاطات قسم الدراسات السكانية بالأمم المتحدة[٢٩]، فمن المتوقع ان يصل حجم سكان الحضر الى ٣١٠,٢ مليون ساكن عام ٢٠٠٠ والى ٨٠٤.٢ مليون ساكن تقريباً بحلول عام ٢٠٢٥، بينما قدر لسكان إفريقيا ان يقترب حجمهم من مليار ونصف مليار ساكن عام ٢٠٢٥، اما سكان الأرياف فسيصل حجمهم حسب التوقعات الى ٦٩١,٥ مليون ساكن عام ٢٠٢٥.

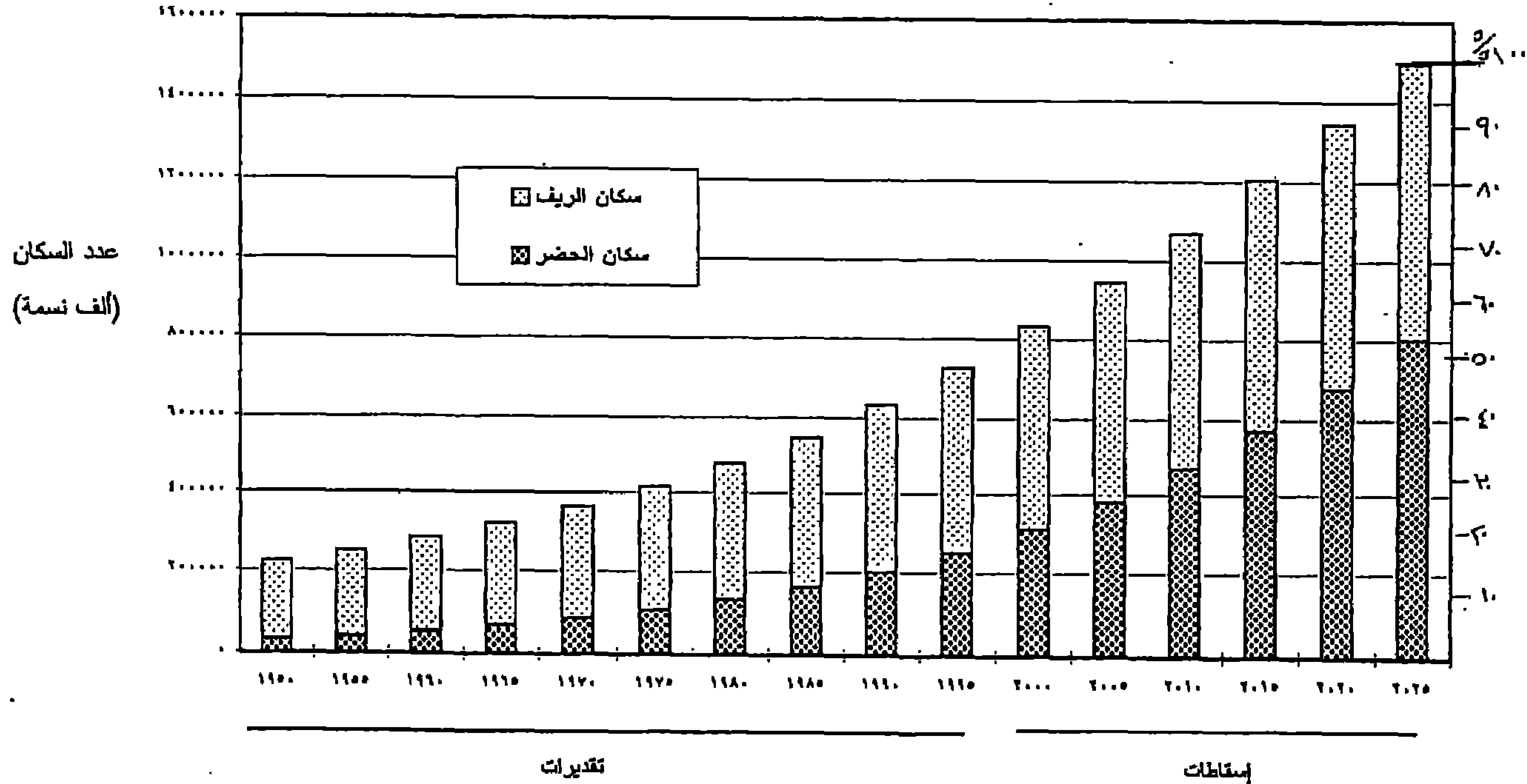
جدول رقم (٥)

تطور سكان إفريقيا وتغير مستويات الحضر والأرياف في الفترة

من عام ١٩٥٠ ـ ٢٠٢٥

السنوات	جملة سكان إفريقيا (الف)	جملة سكان الحضر (الف)	جملة سكان المناطق الريفية (الف)	درجة التحضر (%)	نسبة سكان المناطق الريفية (%)
١٩٥٠	٢٢٣٩٦٧	٣٢٨٢٤	١٩١١٤٤	١٤,٧	٨٥,٣
١٩٥٥	٢٥٠٣٦٠	٤١١٨٤	٢٠٩١٧٦	١٦,٥	٨٣,٥
١٩٦٠	٢٨٢١٣٦	٥٢٠٣٠	٢٣٠١٠٦	١٨,٤	٨١,٦
١٩٦٥	٣٢٠٤٨٥	٦٦٤٦٢	٢٥٤٠٢٤	٢٠,٧	٧٩,٣
١٩٧٠	٣٦٤٢٠٦	٨٣٨٠٦	٢٨٠٣٩٩	٢٣	٧٧
١٩٧٥	٤١٣٩٨٨	١٠٤١٢٣	٣٠٩٨٦٥	٢٥,٢	٧٤,٨
١٩٨٠	٤٧٥٦٦٤	١٢٩٨٨١	٣٤٥٧٨٣	٢٧,٣	٧٢,٧
١٩٨٥	٥٤٨٨٠٠	١٦١٧٨٣	٣٨٧٠١٦	٢٩,٥	٧٠,٥
١٩٩٠	٦٣٢٦٦٩	٢٠١٠٣٧	٤٣١٦٣٢	٣١,٨	٦٨,٢
١٩٩٥	٧٢٨٠٧٤	٢٥٠٢٧٦	٤٧٧٧٩٨	٣٤,٤	٦٥,٦
٢٠٠٠	٨٣١٥٩٦	٣١٠١٥٨	٥٢١٤٣٨	٣٧,٣	٦٢,٧
٢٠٠٥	٩٤٥٠٤٤	٣٨٢٣٢٦	٥٦٢٧١٨	٤٠,٥	٥٩,٥
٢٠١٠	١٠٦٩٣٧٨	٤٦٧٢٩٦	٦٠١٠٨١	٤٣,٨	٥٦,٢
٢٠١٥	١٢٠٢٩١٩	٥٦٧٩٢٦	٦٣٥٩٩٣	٤٧,٢	٥٢,٨
٢٠٢٠	١٣٤٧٧٨٩	٦٨٠٦٩٩	٦٦٧٠٩٠	٥٠,٥	٤٩,٥
٢٠٢٥	١٤٩٥٧٧٢	٨٠٤٢٣٩	٦٩١٥٤٣	٥٣,٨	٤٦,٢

مصدر الأرقام: U.N., (1995), World Urbanization Prospects: Estimations and Projection of Urban and Rural Population of Urban Agglomerations, Naw York, tabl, A2 - A3 - A4



مصدر الأرقام
U.N. (1995), World Urbanization Prospects ; Estimations and Projection of Urban and Rural Population of Urban Agglomerations, New York, table, A2-A3-A4

شكل (١)

وتتميز صورة توزيع السكان فى إفريقيا بالتباين المكانى الواضح وخاصة بالنسبة لسكان الحضر عام ١٩٩٥، الذى يستأثر إقليم إفريقيا الغربية بحوالى ٣٠,٨٪ منهم ثم إفريقيا الشمالية ٢٩,٤٣٪ يليه إقليم إفريقيا الشرقية ١٩,٧٪ ثم إفريقيا الوسطى ١٠,٩٣ بينما يقطن إقليم إفريقيا الجنوبية حوالى ٩,١١٪ من جملة سكان الحضر بالقارة عام ١٩٩٥(٣٠).

من اللافت للإنتباه بالنسبة لتوزيع سكان الحضر على مستوى الدول بالقارة عام ١٩٩٥ أن يتركز معظم سكان الحضر بالقارة التى تضم اكثر من ٥٠ دولة فى عدد محدود من الدول، إذ يتركز حوالى ٥٣٪ منهم فى ست دول فقط هى بالترتيب نيجيريا ١٧.٥٪ مصر ١١.٢٪ ثم جنوب إفريقيا ٨.٤٪ فالجزائر ٦.٣٪ ثم زائير ٥.١٪ فالمغرب ٤.٤٨٪ وهى الدول التى يضم كل منها أكثر من ١٠ مليون ساكن حضرى عام ١٩٩٥ (٣١).

ويوضح الشكل رقم (٢) مدى التباين فى توزيع أحجام السكان وسكان الأرياف والحضر بين دول القارة الافريقية عام ١٩٩٥، وباستقراء الشكل رقم (١)، والشكل رقم (٢) والجدول رقم (٥) يمكن تتبع مستويات التحضر بالقارة.

٢ - مستويات التحضر فى إفريقيا Levels of Urbanzation

تتميز قارة إفريقيا بمستوى تحضر منخفض نسبيا إذا ماقورنت بمناطق العالم الأخرى وقد توصلنا من خلال دراسة مستويات التحضر فى الفترة من عام١٩٢٠ إلى ١٩٥٠ إلى أن درجة التحضر وصلت عام ١٩٥٠ إلى ١٤,٧٪ حسب تقدير الحكومات وإلى ١٠٪ حسب تقدير الأمم المتحدة لسكان المراكز الحضرية الأكثر من ٢٠,٠٠٠ ساكن، والملاحظ أن مستوى التحضر فى إفريقيا قد أخذ فى الإرتفاع، إذ تضاعف فوصل إلى ٢٩,٥٪ عام ١٩٨٥، وأصبح ٣٤,٤٪ عام ١٩٩٥، وهو مستوى - وإن إرتفع كثيراً - يعد أخفض من نظيره على مستوى العالم ومناطقة الكبرى التى سجلت فى عام ١٩٩٥ المستويات التالية.

٢ . ٤٥٪ على مستوى العالم

٩ . ٧٤٪ فى الدول الأكثر تقدما

٦ . ٣٧٪ فى الدول النامية

٤ . ٢٢٪ فى الدول الأقل نمواً والتى يقع معظمها فى إفريقيا(٣٢).

ومن إستقراء الإسقاطات الخاصة بمستوى التحضر نلاحظ أن مستوى التحضر فى إفريقيا سيواصل إرتفاعه، فيصل إلى ٥٤٪ من جملة سكان القارة عام ٢٠٢٥، (شكل رقم ١) وجدول رقم (٥).

بالنسبة لمستوى التريف فى القارة فقد إنخفضت نسبه سكان الأرياف من ٣ . ٨٥٪ عـام ١٩٥٠ إلى ٦ . ٦٥٪ عام ١٩٩٥، ومن المتوقع إذا أن تنخفض إلى ٢ . ٤٦٪ عام ٢٠٢٥ فى ظل إرتفاع نسبه سكان الحضر.

١- التباين الجغرافى فى مستويات التحضر وتغير ها.

تضم إفريقيا اكبر حشد من الدول على مستوى العالم (٥٤ دولة)، تتوزع بين خمس أقاليم كبرى (حسب تقسيم الأمم المتحدة)، وتتباين أقدار هذه الدول مساحة وسكانا وبالتالى تتباين مستويات التحضر - التى ترتبط بالمستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والظروف السياسية والتاريخية والديموغرافية - بين أقاليم ودول القارة، والواقع أنها تتباين على مستوى الأقسام الإدارية داخل كل دولة، و لغرض البحث سيتم تحليل مستويات التحضر وتتبع إتجاهاته بين أقاليم ودول القارة بمايسهم فى وضع صوره مسحيه عامه لمدى التباين وإتجاهاته فى المكان والزمان.

١-٢ - مستويات التحضر وتغير ها على المستوى الإقليمى.

يتضح من إستقراء الجدول رقم (٦) تباين مستويات التحضر كثيراً على مستوى أقاليم القارة منذ عام ١٩٥٠، وحتى عام ١٩٩٥ مع إتجاه عام نحو ارتفاعها فى كل الأقاليم، ونحو تقاربها مع إسقاطات مابعد عام ١٩٩٥ حتى عام ٢٠٢٥.

فى عام ١٩٥٠ كان التفاوت بين مستوى تحضر منخفض قدر بحوالى ٥,٣٪ فى اقليم إفريقيا الشرقية إلى مستوى ٢ ,٣٨٪ فى إفريقيا الجنوبية. وتتدرج مستويات التحضر فى باقى الأقاليم بين هذين المستويين. حيث إفريقيا الغربية ٣. ١٠٪ ثم إفريقيا الوسطى ١٤,٢٪، فإفريقيا الشمالية ٢٤,٧٪.

حافظت الأقاليم الإفريقية على هذا الترتيب حتى عام ١٩٨٠ مع إتجاه مستويات التحضر إلى الإرتفاع خاصة فى الأقاليم التى تميزت بإنخفاض مستوى التحضر قبل ٣٠ سنه، فكانت مستويات التحضر متفاوته بين تحضر منخفض مستواه ١٤,٦٪ فى إقليم افريقيا الشرقية أيضا (وهو مستوى التحضر فى قاره إفريقيا عام ١٩٥٠ تقريباً) الى أعلى مستوى من التحضر فى القارة فى إقليم إفريقيا الجنوبية ٤٤,٥٪، وتتدرج مستويات التحضر أيضاً فى باقى الأقاليم حيث إفريقيا الغربية التى تضاعف مستوى التحضر بها مرة ونصف فوصل الى ٢٥,٨٪ ثم بإفريقيا الوسطى التى تضاعفت مستوى التحضر بها أيضا إلى مستوى ٢٨,١٪ ثم بإفريقيا الشمالية التى إرتفع مستوى التحضر بها إلى ٤٠,٤٪ من جمله السكان عام ١٩٨٥.

واصلت مستويات التحضر إرتفاعها بأقاليم إفريقيا حتى عام ١٩٩٥، وخاصة تلك الأقاليم التى تميزت فى العقود السابقة بإنخفاض مستوى التحضر، الا أن الترتيب إختلف بتقدم إفريقيا الغربية على إفريقيا الوسطى، وارتفع الحد الأدنى لمستوى التحضر إلى ٢١,٧٪ فى إفريقيا الشرقية والأعلى إلـى ٤٨,١٪ فى إفريقيا الجنوبية واحتلت إفريقيا الشمالية المركز الثانى بنسبه ٤٥,٩٪، ثم إفريقيا الغربية فى المركز الثالث بدرجه تحضر ٣٦,٦٪ يليها إفريقيا الوسطى فى المركز الرابع بمستوى تحضر ٣٣,٢٪ فإفريقيا الشرقية أخيراً بمستوى ٢١.٧٪ حيث أدنى مستويات التحضر فى القارة.

جدول رقم (٦)

التباين الاقليمى فى مستويات التحضر وتغيرها من ١٩٥٠ ـ ٢٠٢٥ (٪)

السنة / الاقليم	١٩٥٠	١٩٥٥	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠	١٩٨٥	١٩٩٠	١٩٩٥	٢٠٠٠	٢٠٠٥	٢٠١٠	٢٠١٥	٢٠٢٠	٢٠٢٥
إفريقيا الشرقية	٥,٣	٦,٣	٧,٤	٨,٨	١٠,٤	١٢,٥	١٤,٦	١٦,٩	١٩,٢	٢١,٧	٢٤,٦	٢٧,٦	٣٠,٧	٣٤,١	٣٧,٦	٤١,٢
إفريقيا الوسطى	١٤,٢	١٥,٩	١٧,٩	٢١,١	٢٤,٨	٢٦,٦	٢٨,١	٢٩,٣	٣١,٠	٣٣,٢	٣٥,٩	٣٩,١	٤٢,٩	٤٦,٧	٥٠,٤	٥٤,٠
إفريقيا الشمالية	٣٤,٧	٢٧,٣	٣٠,٢	٣٣,٨	٣٦,٤	٣٨,٦	٤٠,٤	٤٢,٢	٤٣,٨	٤٥,٩	٤٨,٣	٥١,٠	٥٤,١	٥٧,٣	٦٠,٥	٦٣,٤
إفريقيا الجنوبية	٣٨,٢	٤٠,٠	٤١,٩	٤٢,٨	٤٣,٦	٤٤,١	٤٤,٥	٤٥,٠	٤٦,٢	٤٨,١	٥٠,٧	٥٣,٨	٥٧,٣	٦٠,٧	٦٣,٧	٦٦,٦
إفريقيا الغربية	١٠,٣	١٢,٢	١٤,٥	١٦,٩	١٩,٦	٢٢,٦	٢٥,٨	٢٩,٢	٣٢,٨	٣٦,٦	٤٠,٦	٤٤,٥	٥٨,٥	٥٢,٣	٥٥,٨	٥٩,٢
قارة أفريقيا	١٤,٧	١٦,٥	١٨,٤	٢٠,٧	٢٣,٥	٢٥,٢	٢٧,٣	٢٩,٥	٣١,٨	٣٤,٤	٣٧,٣	٤٠,٥	٤٣,٨	٤٧,٢	٥٠,٥	٥٤

المصدر U.N., (1995), op. cit, Table .A.2.

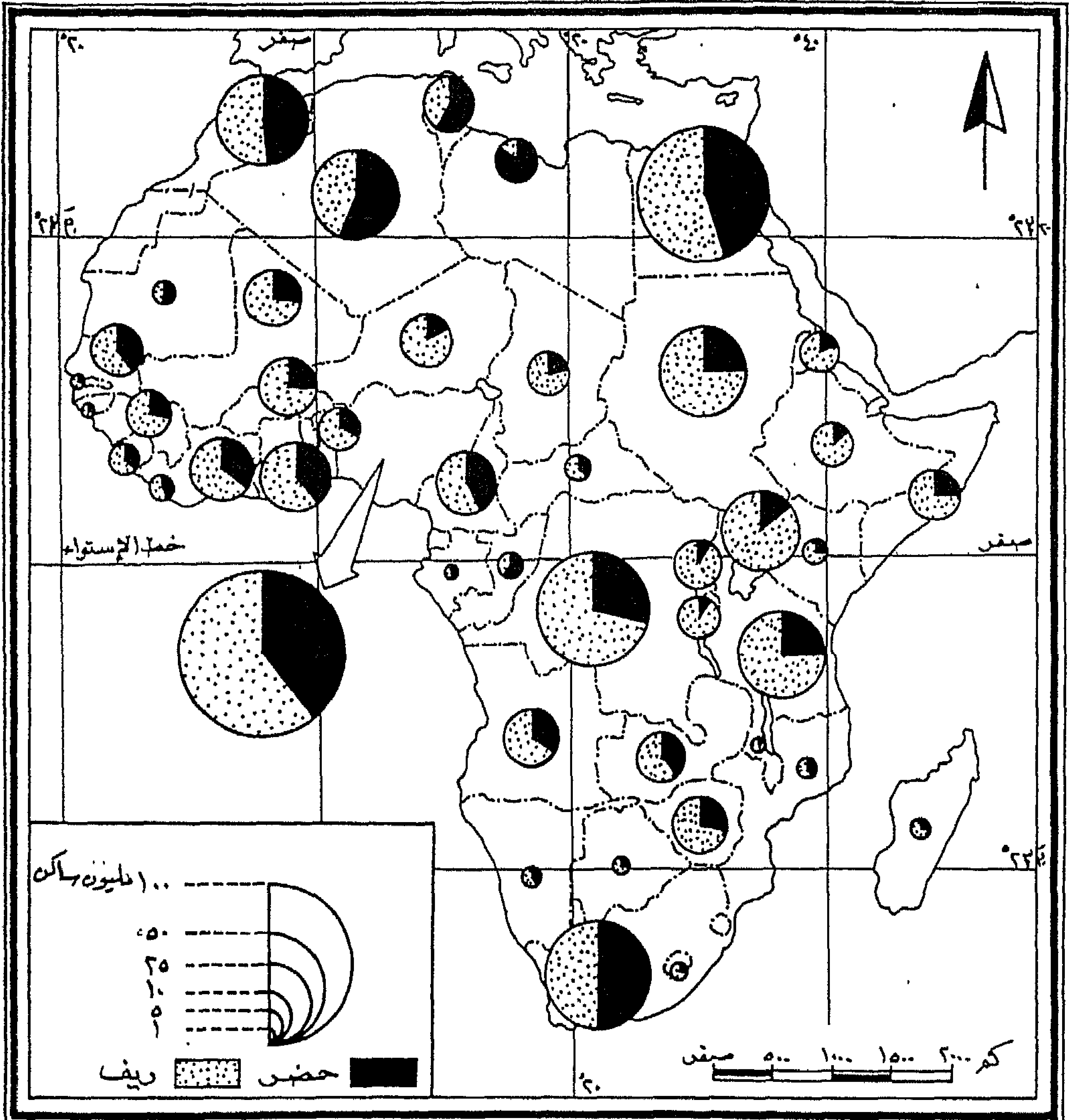
من المتوقع أن يستمر إرتفاع مستويات التحضر فى أقاليم القارة بسرعة كبيرة خاصة فى الأقاليم التى مثلت مستويات منخفضة عن مستوى التحضر بالقارة، وهى إفريقيا الشرقية وإفريقيا الوسطى. وكذلك إفريقيا الغربية التى كانت قد إرتفعت عن مستوى التحضر بالقارة عام ١٩٩٥، ذلك مع الحفاظ على نفس الترتيب. فمن المتوقع أن يرتفع الحد الأدنى لمستويات التحضر الى ٤١,٢٪ بأقليم إفريقيا الشرقية، يليه إفريقيا الوسطى ٥٤٪، ثم غرب افريقيا ٥٩,٢٪، أما إقليم إفريقيا الشمالية فسيرتفع مستوى التحضر به الى ٦٣,٤٪، ويرتفع الى أعلى مستوياته بالقارة فى إقليم إفريقيا الجنوبية ليصبح ٦٦,٦٪ ومن المتوقع أن يتوافق مستوى التحضر فى إفريقيا الوسطى مع مستوى التحضر فى كل القارة (٥٤٪) بينما ينخفض مستوى التحضر فى إفريقيا الشرقية عن مستوى القارة بينما يرتفع عنه فى الأقاليم الثلاثة المتبقية.

ويعنى ماسبق أن الاتجاه نحو إرتفاع مستوى التحضر واضح رغم الارتفاع النسبى لسكان المناطق الريفية والذى سيظل مميزاً للقارة وخاصة فى شرقيها ووسطها وغربيها، ويصاحب هذا التسارع فى مستوى التحضرالقاء العديد من المشكلات والأعباء على الحكومات والهيئات والسكان الجدد والقدامى. ويرتبط هذا الارتفاع فى مستوى التحضر بالعديد من الأسباب سنعرض لها بعد تتبع اتجاهات التحضر من حيث المستوى وسرعه النمو (ايقاع النمو).

٢-ب - تباين مستويات التحضر وتغير ها بين الدول الإفريقية

تباينت مستويات التحضر على مستوى الدول تبايناً شديداعن مثيله على مستوى الأقاليم فى إفريقيا، وتتميز بعض الدول بسيادة النمط الريفى بين سكانها رغم ارتفاع مستوى التحضر بها من عام ١٩٥٠ الى ١٩٩٥.شكل (٢)

- فقد تفاوت بين ١,٧٪ فى بورندى وأعلى مستوى فى الصحراء الغربية وكان ٦٧,٨٪ وذلك عام ١٩٥٠.



شكل (٢) سكان إفريقيا بين الأرياف والحضر سنة ١٩٩٥م

- فى عام ١٩٦٥ تفاوت المستوى بين ٢,٢٪ فى بورندى الى ٥٥,١٪ فى جيبوتى.

- فى عام ١٩٨٠ ظل التفاوت كبيراً بين الحد الأدنى الذى حافظت عليه بورندى وإن ارتفع مضاعفاً الى ٤,٣٪، وحافظت جيبوتى على الحد الأعلى وإن إرتفع أيضا الى ٧٣,٧٪.

- فى ١٩٩٥ ارتفعت مستويات التحضر فى كافه الدول الإفريقية وإرتفع الحد الادنى إلى ٦,١٪ لكن فى روندا التى تمثل أدنى مستويات الحضرية بالقارة، وإرتفع الحد الأعلى الى ٨٦٪ لكن فى ليبيا هذه المرة.

ويوضح الشكل رقم (٣ - أ،ب،جـ،د) مستويات التحضر وتغيرها بين الدول الإفريقية معبراً عن سنوات ١٩٥٠ و ١٩٦٥ ثم عام ١٩٨٠، واخيراً الوضع الراهن فى عام ١٩٩٥. ومن إستقراء الخرائط نستنتج الإتجاه الواضح نحو ارتفاع مستوى التحضر باستمرار بين الدول الإفريقية كما يتضح تفاوتها البينى فى هذا الصدد من خلال شكل رقم (٢)، ومن إستقراء الشكلين المعبرين عن عام ١٩٩٥، (٣,٢) نلاحظ مايلى.

- إرتفعت مستويات التحضر فى كل الدول العربية بإفريقيا الشمالية عن ٤٠٪ بإستثناء السودان وترتفع فى بعضها عن ٨٠٪ كما فى الجماهيرية الليبية، وجيبوتى بينما تقع باقى الدول العربية بين مستوى ٤٠٪ و ٦٠٪ من جمله السكان بمعنى أنه لاتوجد فئه من ٦٠٪ إلى ٨٠٪ بين الدول العربية فى شمالى إفريقيا.

- فى إفريقيا جنوب الصحراء تتفاوت المستويات ويمكن حصرها فى المستويات التالية:

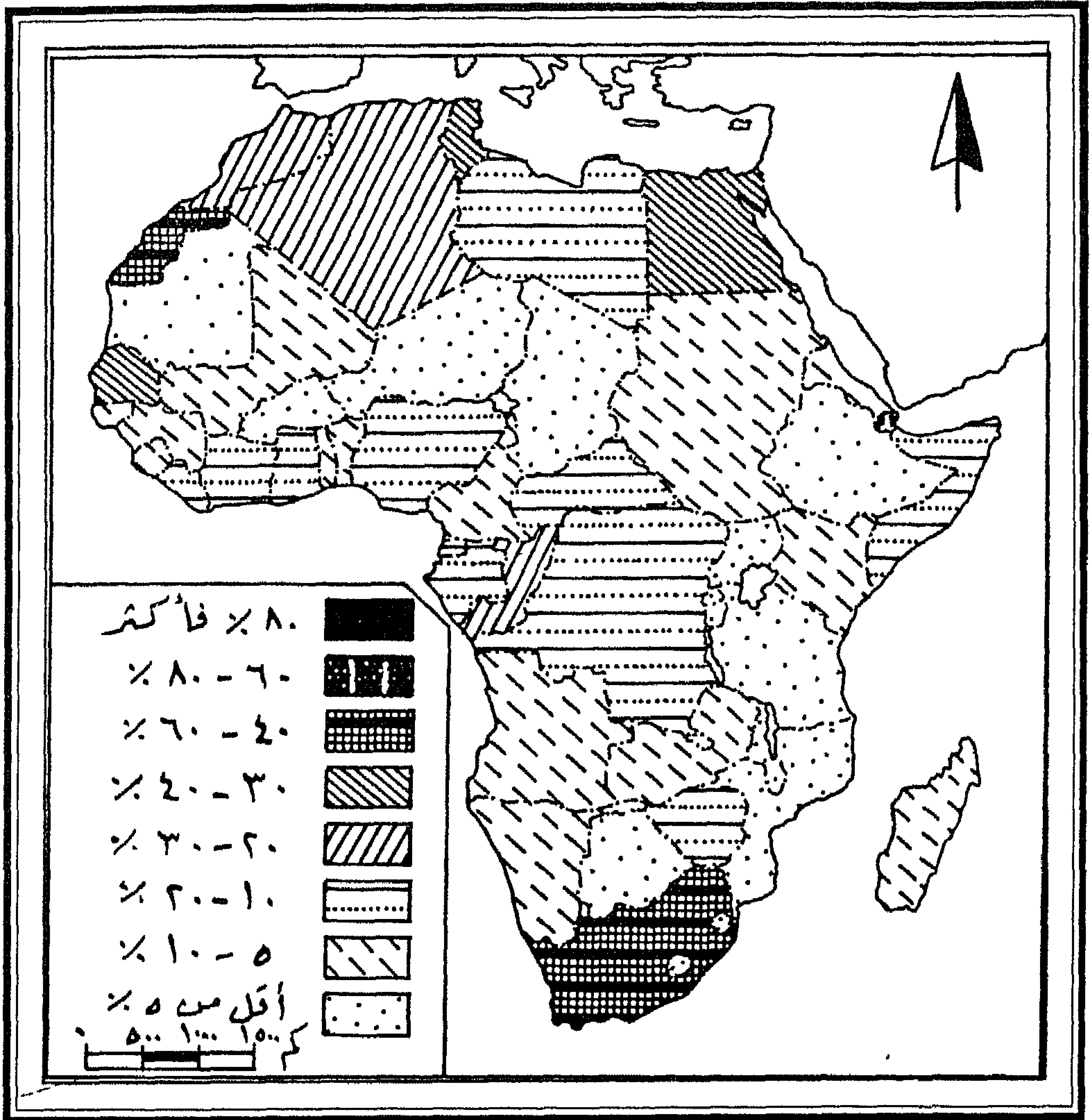
- مستوى يرتفع عن مستوى القارة ويحقق مستويات تحضر مرتفعه، وفى دول الكميرون وكيب ڤيرد والسنغال وكوت دى ڤوار وزامبيا وجنوب إفريقيا

(والجزر) سيشل موريشيوس رينيون، ساوتومى وبرنسيب وكلها ترتفع بها مستويات التحضر عن ٤٠٪.

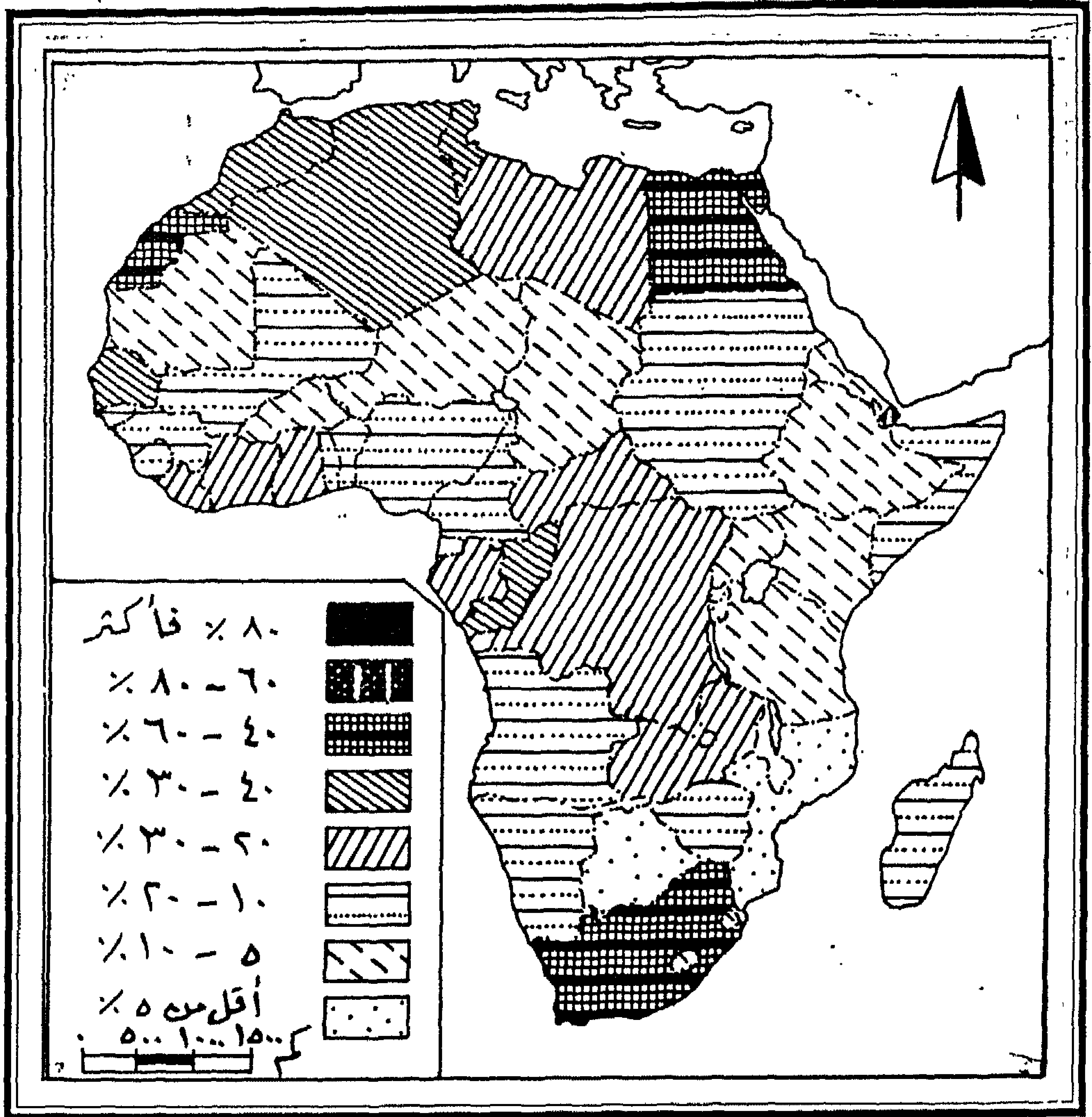
– دول ذات مستوى تحضر بين ٤٠ و ٢٠٪ وهى نيجيريا وبنين وغانا وسيراليون وتوجو وموزامبيق وسوازيلاند وناميبيا وانجولا، يليها مجموعة دول تنزانيا، كينيا، والصومال ومدغشقر وليوسوثو وبتشوانا ثم زائير، وتشاد، ومالى وغينيا بيساو وغنيا، بالاضافة الى السودان وتضم هذه الفئة أكبر مجموعة من الدول الإفريقية.

– دول ذات مستوى تحضر منخفض أقل من ٢٠٪ وهى إرتريا، إثيوبيا، أوغندا، مالاوى، والنيجر، بينما يوجد أدنى مستوى (أقل من ١٠٪) فى بورندى وروندا [٣٣] ومن بين ٢٠ دولة هى الاقل نمواً فى العالم يوجد ١٩ دولة إفريقية من بينها كل الدول ذات مستوى التحضر الأقل انخفاضا حسب تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٥ [٣٤].

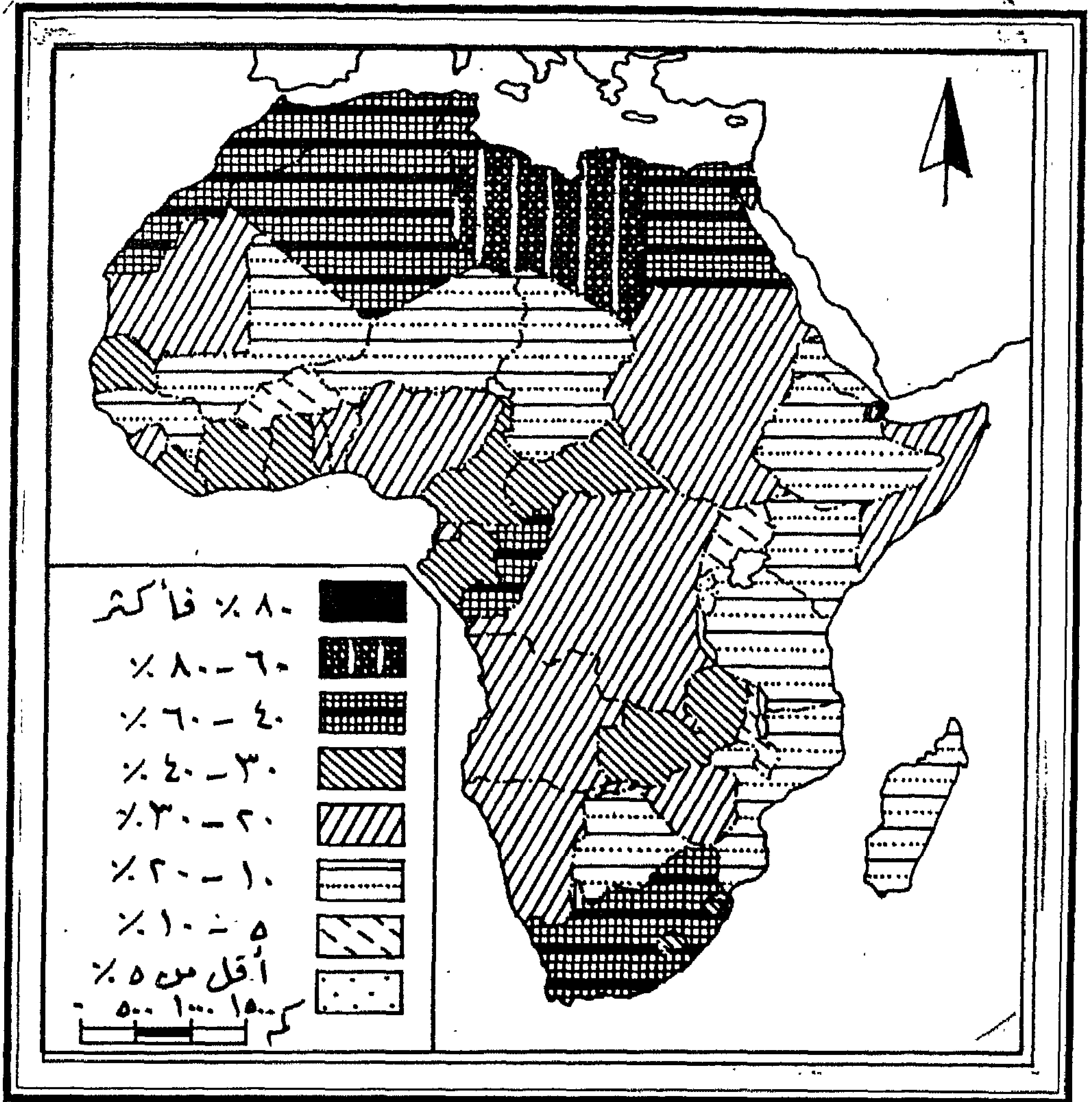
اما عن مستويات التحضر المتوقع إحرازها حتى عام ٢٠٢٥ حسب إسقاطات الأمم المتحدة المبنية على دراسات واسقاطات معدلات المواليد والوفيات والخصوبة والعمر المتوقع والهجرة وغيرها. فيوضحها الشكل رقم (٤)، ومن إستقراءه يتضح أن معظم الدول العربية إن لم يكن كلها تتجه نحو إرتفاع مستويات التحضر بها. وتمثل الدول التى تميزت بمستويات تحضر منخفضة أو منخفضة جدا أكثر الدول تغيراً فى إتجاه تحقيق مستويات تحضر أكثر إرتفاعاً، وسيرتفع الحد الأدنى إلى ١٥٪ فى رواندا والأعلى الى ٩٢،٧٪ فى الجماهيرية الليبية. ولن ينخفض عن مستوى ٣٠٪ سوى أثيوبيا وأوغندا وبورندى ثم رواندا. ومن المتوقع أن تؤثر الحروب الأهلية وحالات اللجوء السياسى واللجوء البيئى بالاضافة إلى المشكلات الاقتصادية والاجتماعية وخصائص السكان الديموغرافية فى رسم صورة المستقبل مضافا اليها السياسات التى تنتهجها الحكومات إزاء الارتفاع المتواصل فى درجة التحضر بالدول الإفريقية.



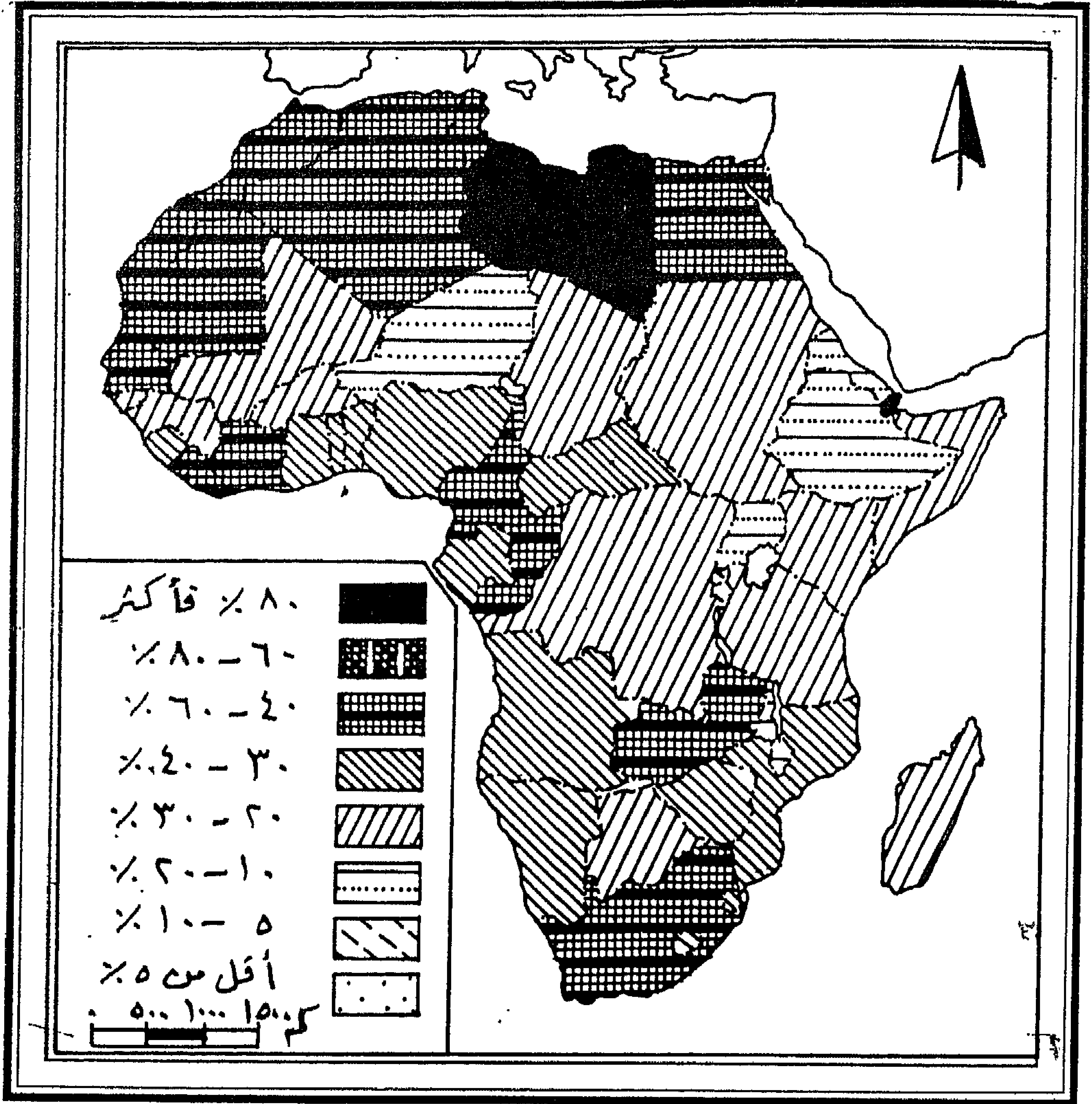
شكل (٣ - أ) مستويات التحضر فى إفريقيا عام ١٩٥٠



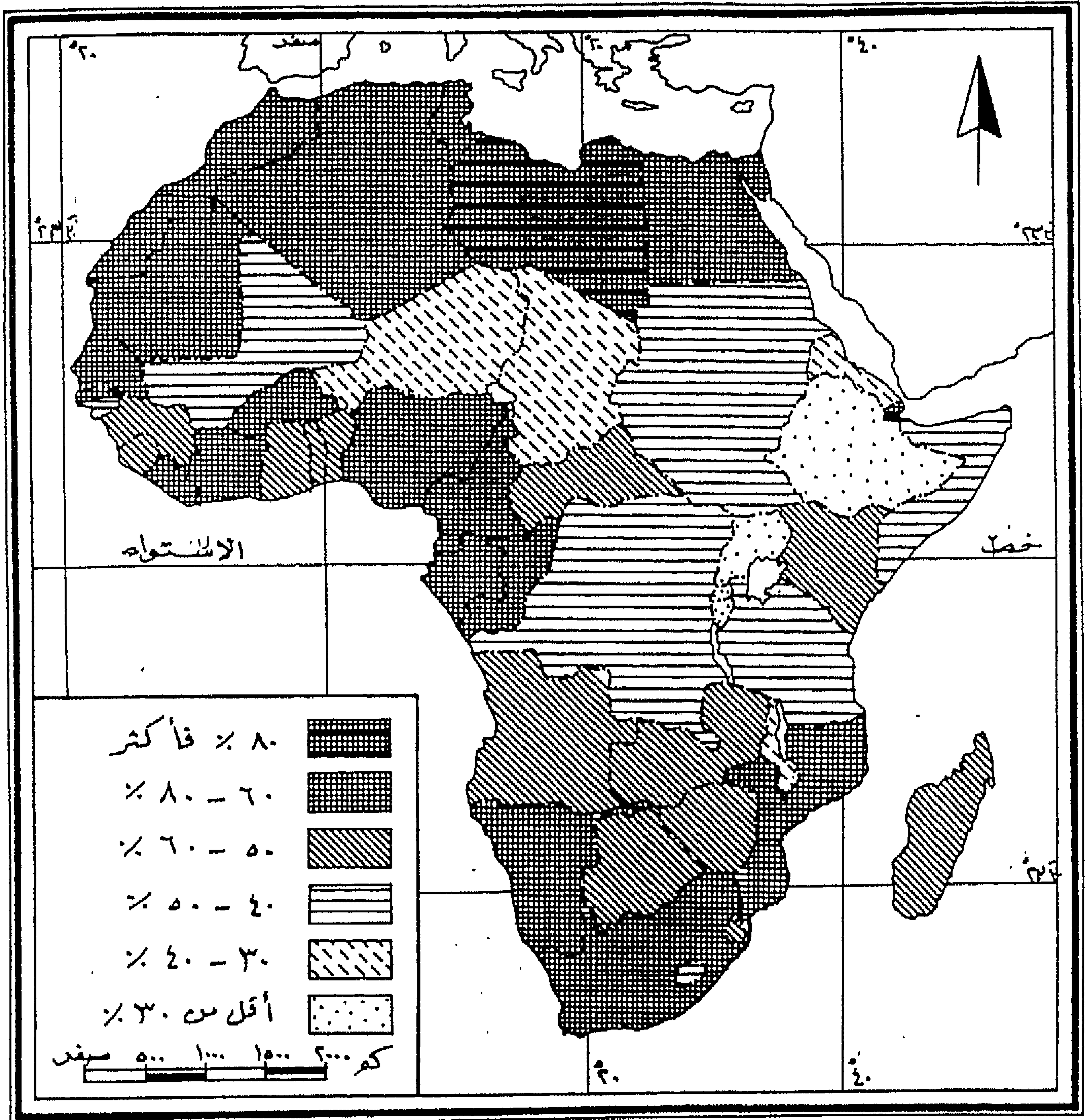
شكل (٣ ـ ب) مستويات التحضر فى إفريقيا عام ١٩٦٥



شكل (٣ ـ جـ) مستويات التحضر فى إفريقيا عام ١٩٨٠



شكل (٣ ـ جـ) مستويات التحضر فى إفريقيا عام ١٩٩٥



شكل (٤) مستويات التحضر المتوقعة في إفريقيا عام ٢٠٢٥
حسب إسقاطات الأمم المتحدة

٣ - إرتفاع معدلات النمو الحضرى وتسارعها فى إفريقيا.

يعكس الإتجاه الواضح نحو إرتفاع مستوى التحضر إتجاها مرتبطاً بارتفاع معدلات النمو السنوى لسكان الحضر فى القارة، ومن الأهمية بمكان تتبع هذه المعدلات، والأهم من ذلك ملاحظة مدى تسارعها أو (ايقاعاتها Pace of Urbanization) وذلك حتى يمكن تحليل عملية التحضر ووضع السياسات المناسبة لمواجهة مشكلاتها، والتى كثيراً ماتفشل بسبب عدم أخذ عملية النمو وسرعتها واسقاطاتها ومكوناتها وأسبابها فى الاعتبار عند وضع هذه السياسيات.

وتعد معدلات النمو الحضرى فى إفريقيا من أعلى المعدلات فى العالم ومن المتوقع أن تظل مرتفعة فى العقود التالية حسبما تشير الإسقاطات العديدة التى تتضمنها الدراسات والتقارير. وترتفع معدلات نمو سكان إفريقيا وسكان الحضر والأرياف على السواء عن مستوى العالم ومناطقه المختلفة المشابهة لإفريقيا فى ظروفها أى الدول النامية، وغير المشابهه أو الدول المتقدمة. وحسب معدلات النمو الحضرى ومستوى التحضر واسقاطاته يمكن تصنيف أنماط التحضر فى العالم إلى أربع مجموعات تندرج تحتها أقاليم ودول العالم وهى.

- أقاليم ذات مستوى تحضرمرتفع ومعدلات نمو بطيئة أقل من ٢٪ سنويا.
- أقاليم ذات مستوى تحضر متوسط مرتفع ومعدلات نمو معتدله أكثر من ٢٪ سنويا.
- أقاليم ذات مستوى تحضر متوسط ونمو سريع معدله ٣,٥٪ سنويا.
- أقاليم ذات مستوى تحضر منخفض ونمو سريع معدله ٣,٥٪ فأكثر سنوياً.

تنتمى أوربا وأمريكا الشمالية واستراليا وروسيا إلى النمط الأول، بينما تصنف أمريكا اللاتينية والكاريبى ضمن النمط الثانى. أما الثالث فيمثل غرب

آسيا بينما تصنف إفريقيا بأقليمها الخمسة، عدا بعض الدول كما اتضح، ضمن النمط الرابع مضافا اليها جنوب شرق وشرق آسيا وجزر ميلانزيا وميكرونزيا ويمثل هذه المجموعة المنحنى الخاص بشرق إفريقيا(٣٥).

توضح الاشكال رقم (٧،٦،٥) والجداول رقم (٩،٨،٧) اتجاهات معدلات النمو السنوى وسرعتها فى إفريقيا وأقاليمها مقارنه بمعدلات نمو سكان العالم ونمو سكان الحضر وكذلك سكان المناطق الريفية، وذلك عام ١٩٥٠ حتى ١٩٩٥، واسقاطات النمو السكانى والحضرى والريفى حتى عام ٢٠٢٥، ومن استقرائها يمكن استنتاج مايلى:

– ترتفع معدلات نمو سكان إفريقيا بصفة عامة على معدلات نمو سكان العالم خلال كل الفترة من ١٩٥٠ حتى ١٩٩٥، ومن المتوقع إستمرار إرتفاعها عن مستوى العالم حتى عام ٢٠٢٥ رغم اتجاهها الى الانخفاض البطئ من عام ١٩٩٥.

من الملاحظ اتساع الفجوة بين معدلات نمو سكان العالم ونمو سكان إفريقيا ومن المتوقع استمرار اتساعها. فقد كان المعدل السنوى لنمو سكان العالم من عام١٩٥٠ الى عام ١٩٥٥ حوالى ١,٧٨٪ سنويا وكان معدل نمو سكان إفريقيا فى نفس الفترة ٢.٢٣٪، لايقل بين أقاليم إفريقيا كلها عن ذلك سوى فى إقليم افريقيا الوسطى حيث كان ١,٨٠٪ سنويا. بينما يرتفع فى باقى الأقاليم عن معدل القارة.

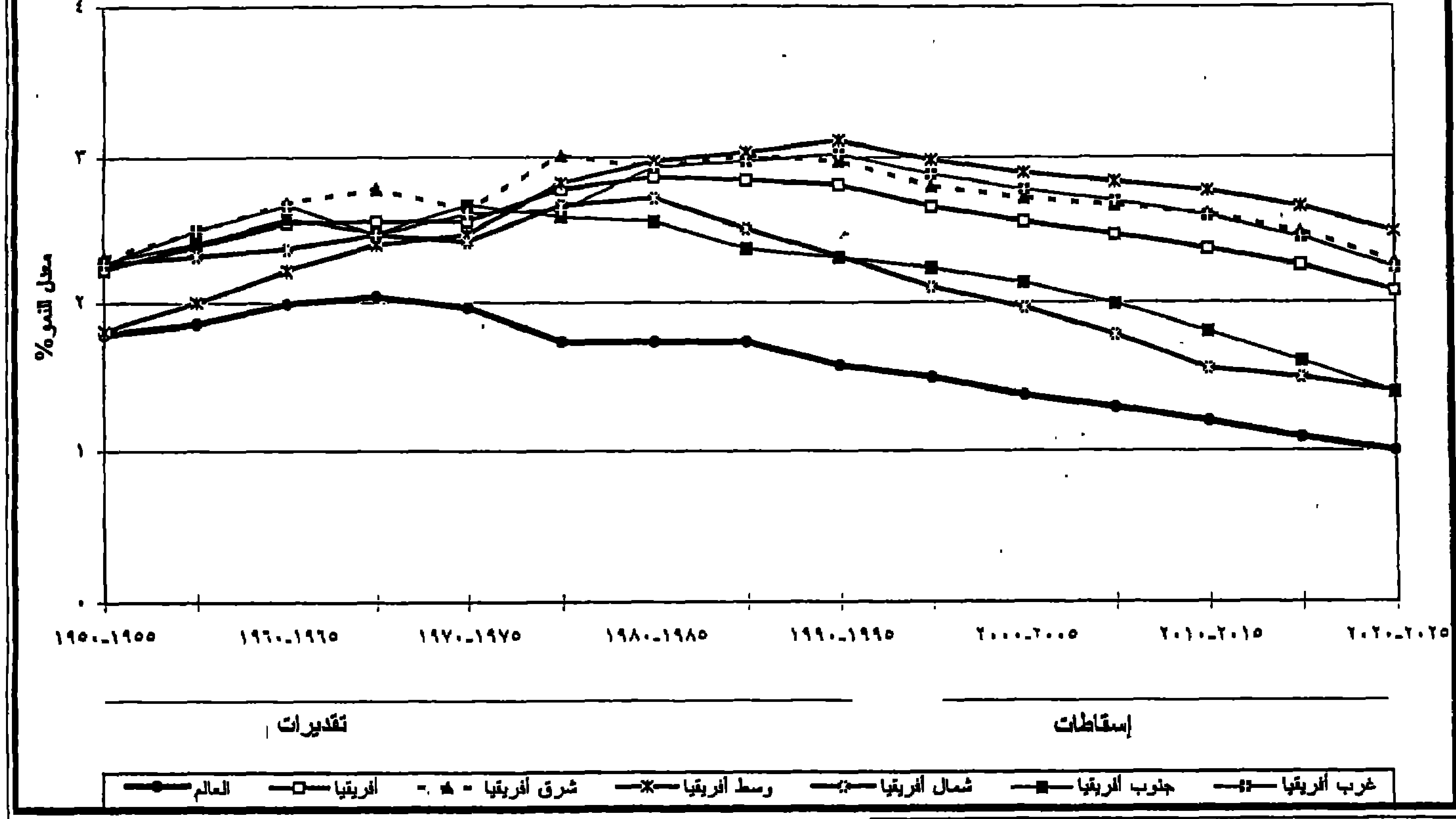
– ظل إتجاه نمو سكان إفريقيا مرتفعا عن معدلات نمو سكان العالم ومتزايداً فى الوقت الذى حقق فيه نمو سكان العالم هبوطا منذ عام ١٩٦٥ ثم ثباتاً من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٩٠ ثم واصل الهبوط فى عام ١٩٩٥، بينما حقق سكان إفريقيا نمواً متسارعا ـ حتى أصبح معدل نمو سكان العالم ١,٥٧٪ سنوياً بينما معدل نمو سكان إفريقيا ٢,٨١٪ سنوياً.

من المتوقع أن يواصل معدل نمو سكان العالم هبوطه ليصل إلى ١٪ سنويا حتى عام ٢٠٢٠ و عام ٢٠٢٥.. بينما سيهبط أيضا معدل النمو السنوى لسكان إفريقيا لكن سيكون أكثر من ضعف معدل نمو سكان العالم أى ٢،.٨٪ سنويا بين عامى ٢٠٢٠-٢٠٢٥.

وتتباين هذه المعدلات على مستوى الأقاليم والدول فى قارة إفريقيا منذ بداية الفترة وحتى عام ١٩٩٥، فقد سجل معدل النمو السنوى تزايداً واضحاً فى كل الأقاليم وإن كان الاتجاه العام نحو الإرتفاع فقد كان معدل النمو السنوى مرتفعاً فى كل الاقاليم بين عامى١٩٧٠-١٩٧٥ عن نفس المعدل بين ١٩٥٠-١٩٥٥ وبين عامى ١٩٩٠-١٩٩٥ كان مرتفعاً فى شرق إفريقيا(٢,٩٧٪) ووسط افريقيا (٣.١١٪) سنويا وغرب إفريقيا (٣,٠٢٪) سنويا عن معدل القارة بينما إنخفض عنه فى إقليمى افريقيا الشمالية وإفريقيا الجنوبية. (شكل رقم ٥ وجدول رقم ٧).

من المتوقع أن تظل معدلات أقاليم شرق ووسط وغرب القارة محققه لمعدلات نمو سكانى أعلى من معدل القارة، بينما من المقدر أن ينخفض فى اقليمى شمالى وجنوبى القارة بمعدلات ١,٤٠٪ سنويا و ١,٣٩٪ سنوياً على التوالى.

ويرجع هذا الإرتفاع فى معدلات النمو إلى إرتفاع معدلات المواليد الخام والخصوبة والإنخفاض النسبى فى معدلات الوفيات فقد سجل معدل المواليد الخام ٤٩.٢٪ فى إفريقيا من عام ١٩٥٠ إلى عام ١٩٥٩، وأصبح ٤١.٩٪ فى الألف بين عامى١٩٩٠- ١٩٩٥. ومن المتوقع أن يهبط الى ٣٠,٧ فى الألف بين عامى٢٠١٥-٢٠٢٠، وقد كان مرتفعاً فى كثير من دول وأقاليم القارة عن هذا المعدل، أما معدلات الخصوبة فهى مرتفعه أيضا على مستوى القارة، إذ سجلت ٦,٦٤ بين عامى١٩٥٠-١٩٥٥ وظلت مرتفعة اذ سجلت ٦,.٨ بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٠اما معدلات الوفيات الخام فقد كانت مرتفعه فى أول الفترة إذ سجلت بين عامى١٩٥٠-١٩٥٥ معدل ٢٦,٨ فى الألف وإنخفض هذا المعدل الى ١٣,٧ فى الألف ومن المتوقع أن يواصل معدل الوفيات إنخفاضه ليصل الى ٨,١



شكل (٥)

مصدر الأرقام

U.N. (1995) World Urbanization Prospects :The 1994 Revision, Estimates and Projection of Urban and Rural Population andUrban Agglomeration, New York, Table,A8

جدول رقم (٧)

معدل النمو السنوى وتغيره لسكان أقاليم القارة الإفريقية مقارناً بمعدل النمو السنوى لسكان القارة الإفريقية والعالم من عام ١٩٥٠ - ١٩٩٥ و إسقاطات عام ٢٠٢٥ (٪)

الأقاليم / السنة	١٩٥٠ - ١٩٥٥	١٩٥٥ - ١٩٦٠	١٩٦٠ - ١٩٦٥	١٩٦٥ - ١٩٧٠	١٩٧٠ - ١٩٧٥	١٩٧٥ - ١٩٨٠	١٩٨٠ - ١٩٨٥	١٩٨٥ - ١٩٩٠	١٩٩٠ - ١٩٩٥	١٩٩٥ - ٢٠٠٠	٢٠٠٠ - ٢٠٠٥	٢٠٠٥ - ٢٠١٠	٢٠١٠ - ٢٠١٥	٢٠١٥ - ٢٠٢٠	٢٠٢٠ - ٢٠٢٥
جملة العالم	١,٧٨	١,٨٥	١,٩٩	٢,٠٤	١,٩٦	١,٧٣	١,٧٣	١,٧٣	١,٥٧	١,٤٩	١,٣٧	١,٢٩	١,٢٠	١,٠٩	١,٠٠
قارة أفريقيا	٢,٢٣	٢,٣٩	٢,٥٥	٢,٥٦	٢,٥٦	٢,٧٨	٢,٨٦	٢,٨٤	٢,٨١	٢,٦٦	٢,٥٦	٢,٤٧	٢,٣٧	٢,٢٦	٢,٠٨
اقليم إفريقيا الشرقية	٢,٣١	٢,٤٩	٢,٦٩	٢,٧٨	٢,٦٤	٣,٠١	٢,٩٣	٢,٩٧	٢,٩٧	٢,٨٠	٢,٧٢	٢,٦٧	٢,٦١	٢,٤٩	٢,٢٨
أقليم إفريقيا الوسطى	١,٨٠	٢,٠٠	٢,٢٢	٢,٤٠	٢,٤٧	٢,٨٢	٢,٩٧	٣,١١	٣,١١	٢,٩٨	٢,٨٩	٢,٨٣	٢,٧٧	٢,٦٦	٢,٤٩
أقليم إفريقيا الشمالية	٢,٢٧	٢,٣٢	٢,٣٧	٢,٤٧	٢,٤٢	٢,٦٧	٢,٧٢	٢,٣٢	٢,٣٢	٢,١١	١,٩٦	١,٧٨	١,٥٥	١,٤٩	١,٤٠
أقليم إفريقيا الجنوبية	٢,٢٨	٢,٤١	٢,٥٨	٢,٤٨	٢,٦٧	٢,٥٩	٢,٧٢	٢,٣١	٢,٣١	٢,٢٤	٢,١٤	١,٩٩	١,٨٠	١,٦٠	١,٣٩
أقليم إفريقيا الغربية	٢,٢٧	٢,٥٠	٢,٦٧	٢,٤٧	٢,٦١	٢,٦٤	٢,٥٦	٣,٠٢	٣,٠٢	٢,٨٨	٢,٧٨	٢,٧٠	٢,٦٠	٢,٤٥	٢,٢٤

المصدر U.N., (1995), op . cil Table .A.8. P. 118.

فى الالف بين عـامى ٢٠١٥-٢٠٢٠، مما يؤدى إلى ارتفـاع مـعـدلات الزيادة الطبيعية بين السكان فى إفريقيا (٣٦) مضافاً الى ذلك عامل الهجرة.

أمـا مـعدلات نمو سكان الأرياف فقد سجلت مـعدلات نمو تعد الأعلى بين أقاليم ومناطق العـالم باسـتثناء أقل الدول نمواً التى يقع مـعظمـها فى قارة إفريقيـا، وذلك فى بعض الفتـرات خلال الفترة من عـام١٩٥٠-١٩٩٥ ذلك على الرغم من أن مـعدلات نمو سكان المناطق الريفية يعد أقل من مـعدلات نمو جمله السكان على مستوى العالم، وعلى مستوى قاره إفريقيا بصفه عـامه (شكل رقم ٦ وجدول رقم ٨) ويتضح من إستقراء الشكل والجدول الذبذبات الواضحة فى مـعدلات النمـو السنوى وإن جنحت نـحو الهـبوط بصـفة عـامـة.ˆبالنسبة للعـالم والقـارة والأقـاليم داخل القـارة، إذ يرتبط مـعدل نمـو سكان الأرياف بـالظروف المناخية والاقتصادية والاجتمـاعية والمرضية المرتبطة بالقارة كمـا يتـأثربهـا نمو السكان وسكان الحضـر، مـثل الجفـاف والكوارث الطبيـعيـة وارتفـاع مـعـدلات الاصـابة بمرض الإيدز وإنتشـار الأمـراض المدارية فى مناطق عـديده من القـاره بالإضـافـة إلى هبـوط أسـعـار المحـاصـيل النقـديه والمواد الخـام ونقص الغـذاء والتصحر وتملح التربة والتلوث والحروب الأهلية....الخ(٣٧) إذ تـؤدى الظـروف السـابقة إلى إرتفـاع مـعدلات الهجرة النازحه كمـا تؤثر على مـعدلات الوفيـات وخـاصة وفيات الأطفال، كمـا يرتبط بها تغير التركيب العمرى والنوعى للسكان ممـا يؤثر ـ على المدى القـريب أو البـعـيـد ـ فى نمو السكان وكـذلك تركـيـبـهم وتوزيعـهم بين مناطق النزوح ومناطق الاسـتـقـبـال كـمـا سـيـتـضـح عند دراسـة مكونات النمو الحضرى وأسبابه.

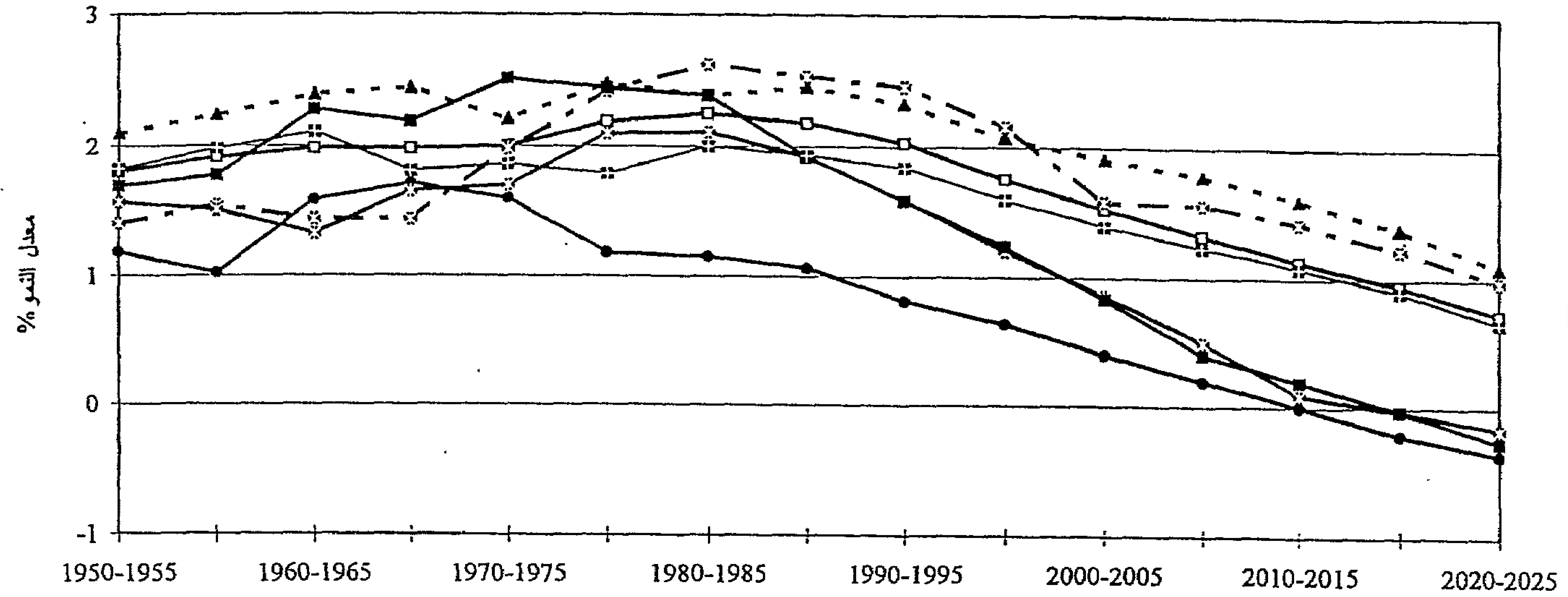
وقد سجلت معدلات نمو سكان المناطق الريفية فى العالم ١,١٨٪ سـنـويـاً بين ١٩٥٠- ١٩٥٥، وكان معدل سكان هذه المناطق فى إفريقيا أعلى من ذلك إذ سـجل ١,٨٠٪ سنويا وسجل إقليم إفريقيا الشرقية أكثر مـعدلات نمو سكان المناطق الريفية إرتفاعا حيث كان معدل نموه٢,١٠٪ سنوياً يليه إقليم إفريقيا

جدول رقم (٨)

معدل النمو السنوى وتغيره لسكان المناطق الريفية فى أقاليم القارة الإفريقية مقارنا بمعدل النمو السنوى فى القارة والعالم من ١٩٥٠ - ١٩٩٥ و إسقاطات حتى عام ٢٠٢٥ (٪)

السنة / الاقاليم	١٩٥٠ ١٩٥٥	١٩٥٥ ١٩٦٠	١٩٦٠ ١٩٦٥	١٩٦٥ ١٩٧٠	١٩٧٠ ١٩٧٥	١٩٧٥ ١٩٨٠	١٩٨٠ ١٩٨٥	١٩٨٥ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٩٥ ٢٠٠٠	٢٠٠٠ ٢٠٠٥	٢٠٠٥ ٢٠١٠	٢٠١٠ ٢٠١٥	٢٠١٥ ٢٠٢٠	٢٠٢٠ ٢٠٢٥
العالم	١,١٨	١,٠٢	١,٥٨	١,٧١	١,٥٩	١,١٨	١,١٥	١,٠٦	٠,٨١	٠,٦٣	٠,٣٩	٠,١٩	٠,٠٠	سالب ٠,٢٢-	سالب ٠,٣٧-
إفريقيا	١,٨٠	١,٩١	١,٩٨	١,٩٨	٢,٠٠	٢,١٩	٢,٢٥	٢,١٨	٢,٠٣	١,٧٥	١,٥٢	١,٣٢	١,١٣	٠,٩٥	٠,٧٢
إقليم إفريقيا الشرقية	٢,١٠	٢,٢٤	٢,٣٩	٢,٤٤	٢,٢١	٢,٤٧	٢,٣٩	٢,٤٥	٢,٣٣	٢,٠٧	١,٩١	١,٧٨	١,٦٠	١,٣٨	١,٠٩
إقليم إفريقيا الوسطى	١,٤٠	١,٥٤	١,٤٣	١,٤٣	١,٩٨	٢,٤٢	٢,٦٢	٢,٥٣	٢,٤٦	٢,١٦	١,٨٥	١,٥٦	١,٤٢	١,٢٢	٠,٩٨
إقليم إفريقيا الشمالية	١,٥٦	١,٥٠	١,٣٢	١,٦٥	١,٧٠	٢,١٠	٢,١١	١,٩٢	١,٥٨	١,٢٠	,٨٦	,٤٩	,٠٩	سالب ٠,٠٣-	سالب ٠,١٧-
إقليم إفريقيا الجنوبية	١,٦٩	١,٧٧	٢,٢٨	٢,١٩	٢,٥١	٢,٤٤	٢,٣٩	١,٩٢	١,٥٨	١,٢٣	٠,٨٣	,٣٩	٠,١٩	سالب ٠,٠٣-	سالب ,٢٧-
إقليم إفريقيا الغربية	١,٨٢	١,٩٨	٢,١١	١,٨١	١,٨٦	١,٧٩	٢,٠٠	١,٩٣	١,٨٤	١,٥٩	١,٣٩	١,٢٣	١,٠٨	٠,٩٠	,٦٥

المصدر U.N., (1995), op . cit, Table .A.6. P. 110



شكل (٦) مصدر الأرقام:

U.N. (1995) World Urbanization Prospects :The 1994 Revision, Estimates and Projection of Urban and Rural Population andUrban Agglomeration, New York, Table,A7

الغربية بمعدل ١,٨٢٪ سنويا ينخفض فى الأقاليم الثلاثة الباقية عن معدل القاره، واقل المعدلات سجلها إقليم افريقيا الوسطى (١,٤٪ سنوياً).

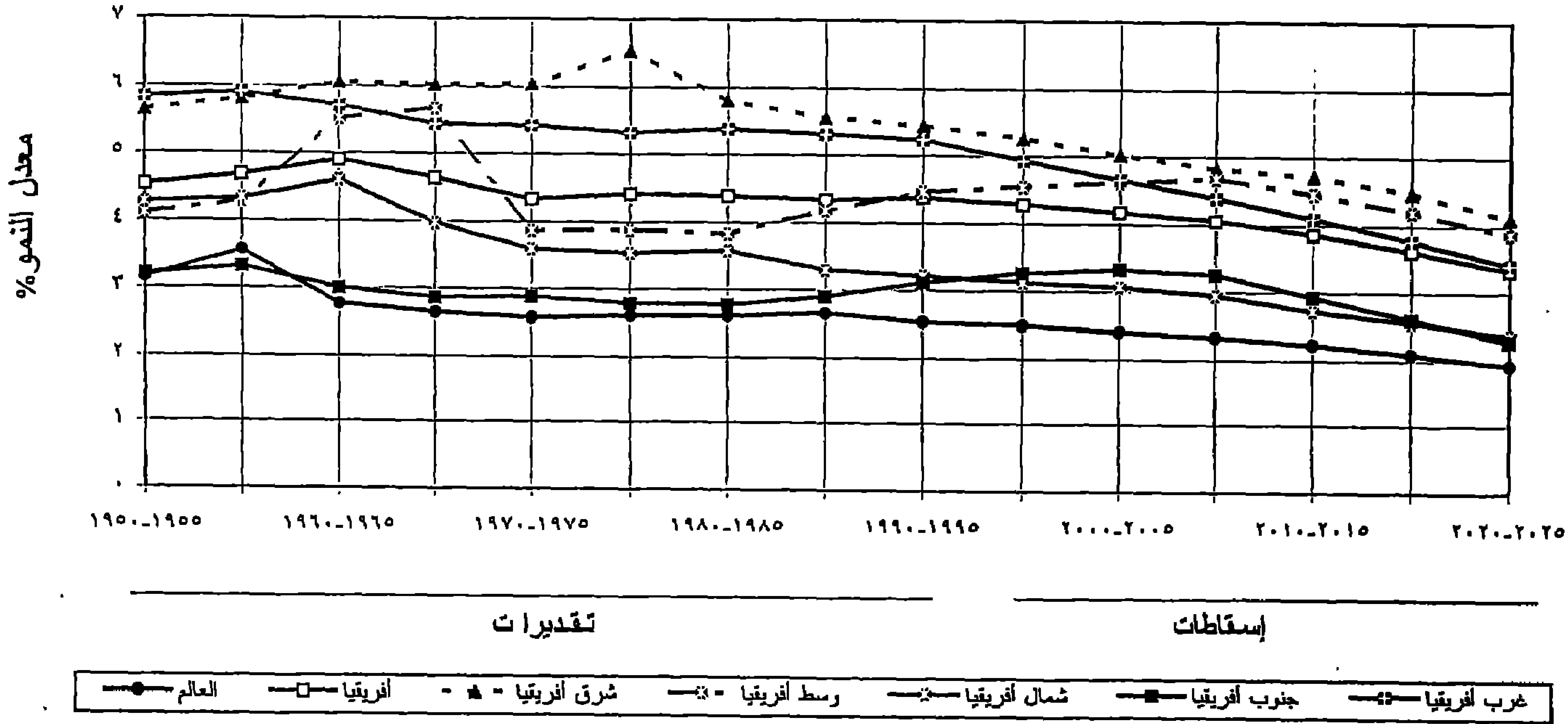
سجلت معدلات نمو سكان المناطق الريفية ارتفاعاً من عام ١٩٥٥ وحتى عام ١٩٨٥ فى إفريقيا بصفة عامة ليصبح ٢,٢٥٪ بينما كانت أكثر تذبذباً على مستوى العالم، وان كان الإتجاه العام يسير نحو التناقص الذى استمر واضحاً من عام١٩٧٥ (١,٥٩٪ سنوياً) حتى ١٩٩٠- ١٩٩٥ فأصبح ٠,٨١٪ سنويا ومن المتوقع أن يستمر التناقص حتى يصل إلى صفر٪ بين عامى٢٠١٠- ٢٠١٥ ثم يتناقص ليصبح ناقص -٣٧,٪ بين عامى٢٠٢٠- ٢٠٢٥ (حسب تقديرات الامم المتحدة). بينما أخذت هذه المعدلات فى الإنخفاض البطئ فى إفريقيا بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٠ و ١٩٩٠- ١٩٩٥، ليصبح ٢,٠٣٪ أى أكثر من ضعف معدل نمو سكان الأرياف فى العالم فى ذلك الوقت، ومن المتوقع أن يستمر الانخفاض البطئ حتى عام ٢٠٢٥ ليصبح ٠,٧٢٪ سنويا أى مايقارب ثلاثه أضعاف نمو سكان الأرياف فى العالم فى ذلك الوقت.

من المتوقع أن تصبح معدلات نمو سكان الأرياف فى إقليمى إفريقيا الغربية وإفريقيا الجنوبية أقل من معدلات نمو سكان الأرياف على مستوى القارة. وأن تحقق معدلا متناقصا من عام ٢٠١٥ وحتى ٢٠٢٥. أما الأقاليم الثلاث الباقية فمن المتوقع أن تحقق معدلات نمو مقاربه لنمو سكان القارة فى المناطق الريفية وان إنخفض عنها فى إقليم إفريقيا الوسطى. (شكل ٦ وجدول ٨) وتتفاوت هذه المعدلات على مستوى الدول فى القارة حيث يسجل بعضها نمواً سالبا فى فترات متباينه نتيجة للظروف السابق الإشارة اليها. مثل جزر رينيون، وسيشل، وغينا الاستوائية والجماهيرية الليبية وكيب فيرد وسانت هيلانه. ومن المتوقع فى العقود المقبلة أن يسجل سكان الأرياف نمواً متناقصا فى دول إقليم شمال إفريقيا عدا السودان وفى جنوب إفريقيا وسوزيلاند.(٣٨).

أما معدلات النمو السنوى لسكان الحضر فى إفريقيا فقد فاقت معدلات نموهم كل المعدلات السابقة والخاصة بجمله السكان وسكان الأرياف على

مستوى العالم ومناطقة والقارة الإفريقية، وهذا مايوضحه الشكل رقم ٧ والجدول رقم ٩، ومنه نلاحظ انه منذ عام١٩٥٠، إستمرت معدلات نمو سكان الحضر فى إفريقيا مرتفعه عن معدل نموهم فى العالم فكانت ٣,١٦٪ سنويا للعالم و ٤.٥٤٪ فى إفريقيا ثم انخفضت على مستوى العالم تدريجيا مع بعض الذبذبات وإن إتجهت نحو الانخفاض الواضح لتصبح ٢,٢٣٪ سنويا بين عامى ١٩٩٠– ١٩٩٥، بينما واصلت إرتفاعها فى إفريقيا حتى أصبحت ٤,٩٪ سنويا بين عامى١٩٦٠– ١٩٦٥ ثم أخذت فى الانخفاض البطئ حتى أصبحت ٤,٣٨٪ سنويا بين عامى١٩٩٠ و ١٩٩٥ مما يعنى أن معدلات إفريقيا تقترب من ضعف معدلات العالم، ومن المتوقع أن تظل معدلات النمو الحضرى لقارة إفريقيا أكثر من ٤٪ حتى عام ٢٠١٠، وبعدها تتوقع الإسقاطات انخفاضها إلى ٣,٣٤٪ سنوياً بين عامى٢٠٢٠– ٢٠٢٥، وتعكس معدلات النمو الحضرى على مستوى اقاليم القارة الإفريقية تباينا واضحاً. إذ يمثل إقليم إفريقيا الشرقية أعلى معدلات النمو الحضرى على مستوى القارة إذ سجل أكثر من ، ٦٪ وحتى ٦,٥٢٪ سنوياً حتى عام ١٩٨٠ وأكثر من ٥,٥٪ حتى عام ١٩٩٠ وبين ٥,٥٪ و ٥٪ حتى عام ١٩٩٥ ومن المتوقع أن يحقق إنخفاضا طفيفاً لكن سيظل أكثر من ٤٪ سنوياً حتى عام ٢٠٢٥ وهو معدل من أعلى معدلات النمو الحضرى بين مناطق وأقاليم العالم مع ملاحظة إنخفاض مستوى التحضر فى هذا الأقليم بالذات، يلى إقليم إفريقيا الشرقية إقليم إفريقيا الغربية حيث ظل معدل نمو سكان الحضر فى إرتفاع من عام ١٩٥٠– حتى ١٩٦٠، فكان يقترب من ٦٪ سنوياً ثم بدأ فى الانخفاض الطفيف وإن ظل أكثر من ٥٪ حتى عام ١٩٩٥، ومن المتوقع أن يواصل إقليم إفريقيا الغربية انخفاضه، لكن يظل معدل النمو أكثر من ٤٪ حتى ٢٠١٥ ثم ينخفض إلى ٣,٤٢٪ عام ٢٠٢٥.

أما إقليم إفريقيا الوسطى فيسجل معدلات متذبذبه أكثر من أى اقليم آخر فى القاره وأن كانت ستُظهر إتجاهاً نحو الإرتفاع منذ عام ١٩٩٠ وحتى عام ·



شكل (٧) مصدر الأرقام

U.N. (1995) World Urbanization Prospectsts :The 1994 Revision, Estimates and Projection of Urban and Rural Population andUrban Agglomeration, New York, Table,A6

٢٠٢٥ ليصبح معدل نمو سكان الحضر فى هذا الإقليم أعلى المعدلات على مستوى القارة ٥.٨٧٪ سنوياً بين عامى٢٠٢٠و ٢٠٢٥.

تسجل الأقاليم الثلاث السابقة معدلات نمو أعلى من معدل نمو سكان الحضر على مستوى القارة وخاصة مع إسقاطات النمو عام ٢٠٢٥ بالنسبة لوسط إفريقيا.

أما إقليمى إفريقيا الشمالية وإفريقيا الجنوبية فتشمل معدلات النمو الحضرى بهما معدلات مرتفعه نسبيا لكن أقل من معدلات النمو الحضرى على مستوى القارة، ويمثل إقليم إفريقيا الجنوبية أقل أقاليم القارة من حيث معدل نمو سكان الحضر وإن كان متذبذباً، لكنه يُظهر إنخفاضاً حتى عام ١٩٩٠. ومن المتوقع أن يرتفع هذا المعدل حتى عام ٢٠١٥ ثم ينخفض حتى ٢٠٢٥ ليصبح ٢,٢٨٪ سنوياً وهو أقل المعدلات المتوقعه للنمو الحضرى فى القارة. بينما كان المعدل ٣,٢١٪ عام ١٩٥٠ أما شمالى إفريقيا، فقد كان معدل النمو الحضرى به مرتفعاً من عام١٩٥٠- ١٩٥٥ فكان ٤,٢٨٪ سنويا إستمر فى الإرتفاع حتى عام ١٩٦٥ ليصبح ٤,٦١٪. ثم أخذ فى الانخفاض التدريجى ليصبح ٢,٢٢٪ سنوياً بين عامى ١٩٩٠- ١٩٩٥، ومن المتوقع أن يواصل إنخفاضة ليصل إلى ٢,٣٦٪ سنوياً بين عامى ٢٠٢٠ و ٢٠٢٥ (شكل ٧ و جدول رقم ٩).

من الواضح أن الاقاليم ذات معدلات النمو الحضرى السريع هى فى نفس الوقت الأقاليم ذات مستوى الحضرية الأكثر إنخفاضا على مستوى القارة وهى الأقاليم الأكثر ريفية خاصة أقاليم إفريقيا الشرقية والوسطى والغربية، بينما أكثر الأقاليم ارتفاعا فى مستوى الحضرية،إقليمى إفريقيا الجنوبية ثم إفريقيا الشمالية و هما الأقل فى معدلات النمو الحضرى على مستوى القارة.

تتباين معدلات النمو الحضرى تبايناً شديداً بين الدول داخل أقاليم القارة

جدول رقم (٩)

معدل النمو السنوى لسكان االحضر فى أقاليم القارة الإفريقية مقارنا بمعدل النمو السنوى فى القارة والعالم من عام ١٩٥٠ ـ ١٩٩٥ وإسقاطات حتى عام ٢٠٢٥ (٪)

السنة / الاقاليم	١٩٥٠ ١٩٥٥	١٩٥٥ ١٩٦٠	١٩٦٠ ١٩٦٥	١٩٦٥ ١٩٧٠	١٩٧٠ ١٩٧٥	١٩٧٥ ١٩٨٠	١٩٨٠ ١٩٨٥	١٩٨٥ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٩٥ ٢٠٠٠	٢٠٠٠ ٢٠٠٥	٢٠٠٥ ٢٠١٠	٢٠١٠ ٢٠١٥	٢٠١٥ ٢٠٢٠	٢٠٢٠ ٢٠٢٥
العالم	٣,١٦٪	٣,٥٩	٢,٧٦	٢,٦٤	٢,٥٧	٢,٦٠	٢,٦٠	٢,٦٥	٢,٢٣	٢,٤٩	٢,٤٠	٢,٣٣	٢,٢٣	٢,٠٩	١,٩٣
قارة إفريقيا	٤,٥٤	٤,٦٨	٤,٩٠	٤,٦٤	٤,٣٤	٤,٤٢	٤,٣٩	٤,٣٤	٤,٢٨	٤,٢٩	٤,١٨	٤,٠٦	٣,٨٦٪	٣,٦٢	٣,٣٤
اقليم إفريقيا الشرقية	٥,٦٤	٥,٨٠	٦,٠٦	٦,٠٣	٦,٠٤	٦,٥٢	٥,٨٠	٥,٥٥	٥,٤٤	٥,٢٦	٤,٠٢	٤,٨٢	٤,٧١	٤,٤٧	٤,١١
اقليم إفريقيا الوسطى	٤,١١	٢,٢٩	٥,٥١	٥,٦٧	٣,٨٧	٣,٨٨	٣,٨٣	٤,١٨	٤,٤٦	٤,٥٤	٤,٦١	٤,٦٧	٤,٤٥	٤,٢٠	٥,٨٧
اقليم إفريقيا الشمالية	٤,٢٨	٤,٣٤	٤,٦١	٣,٩٨	٣,٦٠	٣,٥٤	٣,٥٨	٣,٣٠	٣,٢٢	٣,١٣	٣,٠٧	٢,٩٥	٢,٧٢	٢,٥٥	٢,٦٣
اقليم إفريقيا الجنوبية	٣,٢١	٣,٣٢	٣,٠٠	٢,٨٦	٢,٨٨	٢,٧٨	٢,٧٧	٢,٩٠	٣,١٢	٣,٢٧	٣,٣٣	٣,٢٦	٢,٩٣	٢,٦٠	٢,٢٨
اقليم إفريقيا الغربية	٥,٨٣٪	٥,٩٠	٥,٧٠	٥,٤٤	٥,٤٢	٥,٣٢	٥,٣٨	٥,٣١	٥,٢٤	٤,٩٣	٤,٦٥	٤,٣٩	٤,١٠	٣,٧٧	٣,٤٢

المصدر : U.N., (1995), op . cit., Table .A.7, P. 11.

الافريقية – بل داخل الاقسام الادارية فى الدوله الواحدة كما تتباين ايضا معدلات نمو السكان وسكان الأرياف.

ويوضح الشكل رقم ٨ وكذلك الشكل رقم ٩، مدى التباين، **فى معدلات النمو الحضرى على مستوى الدول فى القارة.** خلال السنوات الأخيرة من عام ١٩٩٠-١٩٩٥.

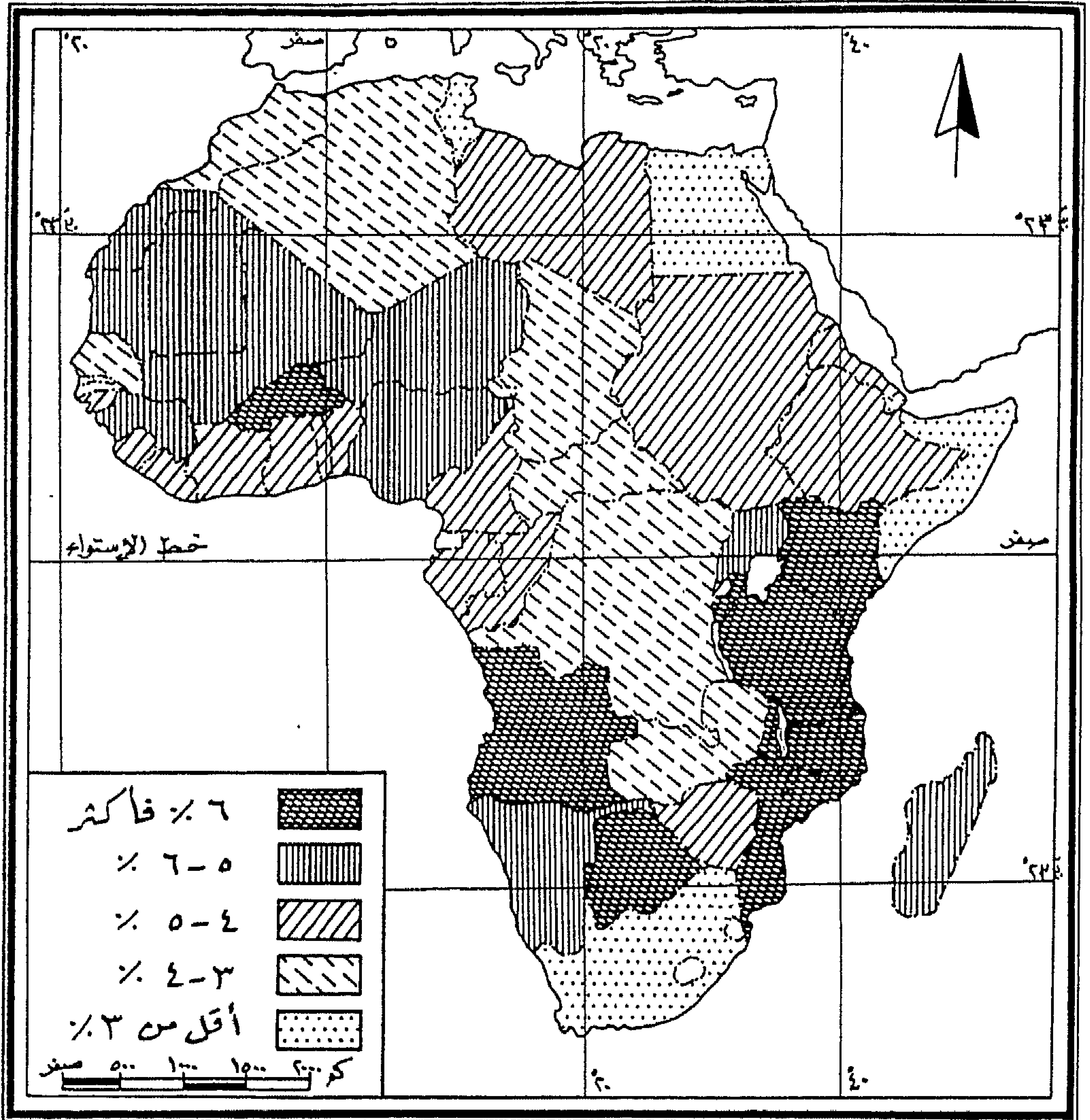
ومن استقراء الأشكال يتضح أن مدى التفاوت كبير بين دول القارة إذ يربو على ١١٪ سنويا فى بوركينا فاسو وينخفض إلى ١,١٦٪ سنويا فى موريشيوس. ويمكن التمييز بين أنماط النمو الحضرى وإتجاهاته فيما يلى :

– دول ذات نمو حضرى سريع جداً يفوق معدله السنوى ٦٪ سنوياً وعلى رأس هذه الفئه بوركينا فاسو ١١,٢٠٪ وموزمبيق، وبورندى وكينيا، ومالاوى، وجمهورية تنزانيا، وانجولا، وبتسوانا، وليوسوثو، وسوازيلاند، وكيب ڤيرد.

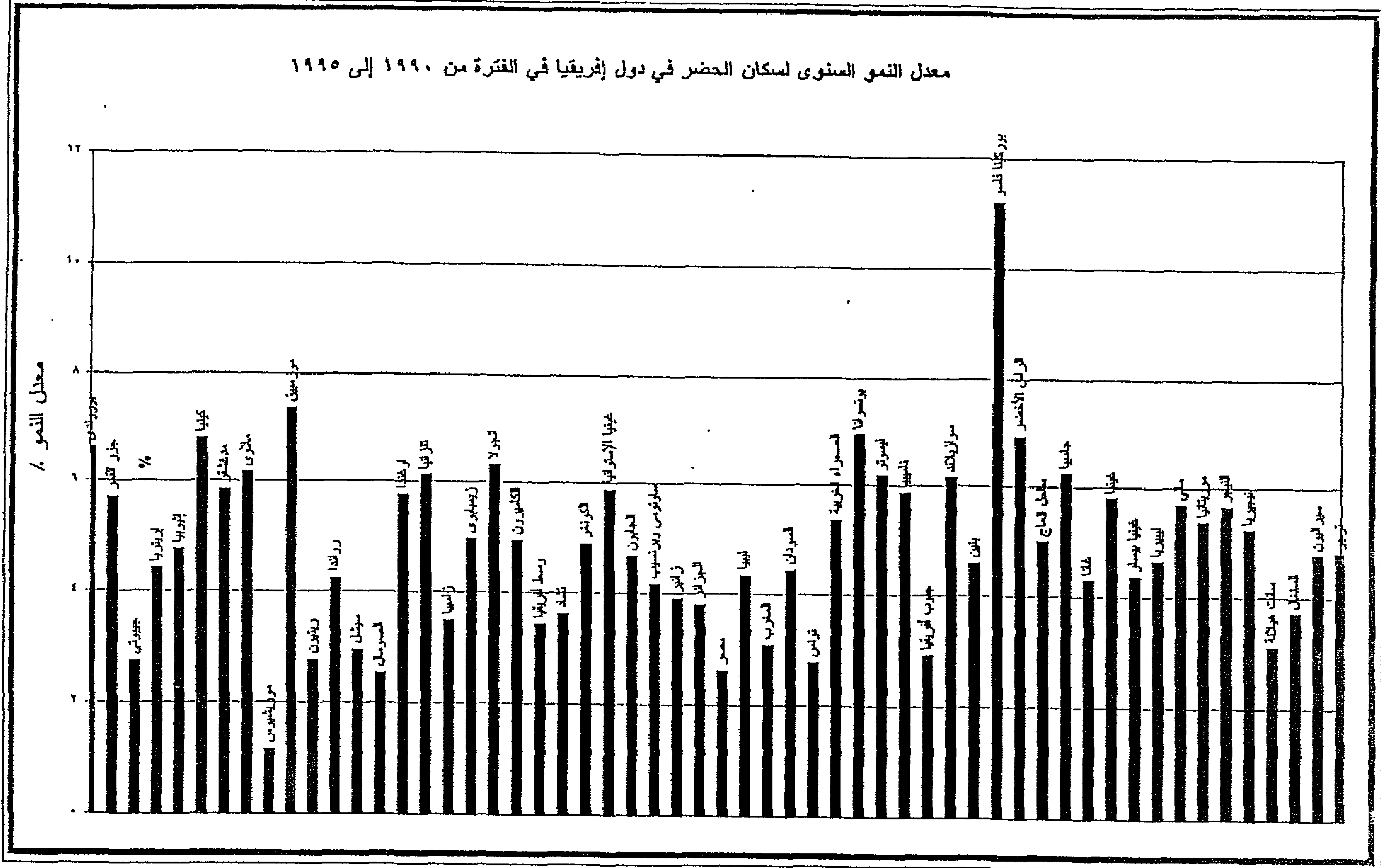
– دول ذات نمو حضرى سريع بين ٦٪ و ٤٪ سنويا وهى دول جزر القمر، وإرتريا، وإثيوبيا، ومدغشقر، ورواندا، وأوغندا، وزيمبابوى، والكميرون، والكنغو، وغينيا الإستوائية، والجابون، وساوتومى وبرنسيب، وليبيا، والسودان، والصحراء الغربية، وناميبيا، وبنين، وساحل العاج، وغانا، وغينيا، وغينيا بيساو، وليبيريا، ومالى، وموريتانيا، والنيجر، ونيجيريا، وسيراليون ثم توجو. أى أكثر من ٦٠٪ من دول القارة الإفريقية.

– دول ذات نمو حضرى متوسط مرتفع من ٤ إلى ٣٪ وإلى ٢٪ وهى دول الجزائر، والمغرب، وتشاد، وجمهورية وسط إفريقيا، وزائير، وزامبيا، والسنغال، وسيشل، والصومال، ومصر، وجنوب إفريقيا، وتونس، وسانت هيلانه، وتمثل مصر والصومال أقل المعدلات فى هذا النمط.

– دول ذات نمو حضرى بطئ أقل من ٢٪ سنويا لايوجد فى قارة إفريقيا فى هذه الفئة سوى جزر موريشيوس.



شكل (٨) المعدل السنوي لنمو سكان الحضر في إفريقيا
من سنة ١٩٩٠ حتى ١٩٩٥م



شكل (٩) مصدر الأرقام

U.N. (1995) World Urbanization Prospects :The 1994 Revision, Estimates and Projection of Urban and Rural Population andUrban Agglomeration, New York, Table,A6

رابعاً: الرتب الحجمية للمدن الافريقية .

يمكن دراسة التركيب الحضرى من منظور توزيع سكان الحضر حسب مستويات حجمية مختلفة، لما فى ذلك من أهمية للدلالة على مدى الإنتشار الحضرى أو تركزه فى عدد كبير من المدن باحجام متباينه متراتبه، أو فى عدد محدود من المدن متضخمة متراكزه من حيث الرتبة والحجم بدون تراتب منتظم، مما يعنى إختلال نظام توزيع المدن وبالتالى إختلال العلاقات المدنية الريفية التى من المفترض أن تكون علاقة تبادلية، مما يقود لدراسة وقياس مدى السيطره أو الهيمنة الحضرية وإتجاهاتها فى المكان.

لذا لزم التنويه فى عجاله عن ذلك الترتيب الحجمى للمدن فى إفريقيا، مع ضروره الأخذ فى الاعتبار ان الأرقام المتوافرة لدينا هى الارقام الواردة فيما تنشره الامم المتحدة من خلال أقسامها ومنظماتها، والدراسات أو التعدادات المتوافرة أى أنها مصادر متباينه فى تحديدها للمناطق الحضرية، وبالتالى يمكن لهذه البيانات ومايترتب عليها أن تحمل قدراً من عدم الدقه، فقد أثبتت الدراسات التفصيلية للمدن وخاصة فى العالم الثالث، أن النمو الحضرى يمثل سرطانا مستشريا فى الهوامش الحضرية من نواه كتلتها باتجاه المتصل الريفى الحضرى، وفى كثير من الأحيان يخرج هذا التمدد الحضرى عن الحدود الإدارية أو البلدية (كردون المدينة)، والذى تظل التعددات والتقديرات معتمده فى بياناتها على حجم السكان داخل الحدود الادارية للمدينة حتى يتم تعديلها بعد سنوات وسنوات، أى حينما تلتفت الحكومات لتجد مئات الهكتارات من الأراضى حول المدن قد شغلت بمستعمرات وضع اليد غير المحكومة Squatter، والتى يعتمد سكانها على المدينة ويحسبون ضمن الحضر أو على الحضر عدداً فى الدراسات العلمية التى تنظر إلى المدينة جغرافيا لا إدارياً فقط[٤٠] يضاف الى ذلك أن بعض المدن قد تضخمت بالفعل كنتيجة للتحام عده مدن أو مراكز حضرية أو غير حضريه، وأصبحت ذات حجم يضم عده ملايين من البشر ومع ذلك لاتظهر بحجمها الحقيقى فى تقديرات الامم المتحدة، وربما ترد على أنها

اكثر من مدينة مما يخل بمصداقية الرتبة والحجم على مستوى العالم أو القاره أو الدولة... ولعل فى مدينه القاهرة خير مثال على ذلك، حيث لاتظهر بحجمها الحقيقى، أى القاهرة الكبرى، بل تذكر مدينة القاهرة ومدينة الجيزة أو إمبابة، ثم شبرا الخيمة، وبالتالى لاتأخذ ترتيبها الحقيقى ضمن جدول المدن الكبرى فى العالم. وبالتالى فالصوره التالية تقريبية إلى حد ما، كما أنها سريعة التغيير كمحصلة لعوامل النمو والياته، خاصه أن معدل نمو الهوامش قد يفوق ٢٠٪ سنويا [٤١]. وقد قُسمت المدن حسب فئاتها الحجمية إلى خمسة رتب:

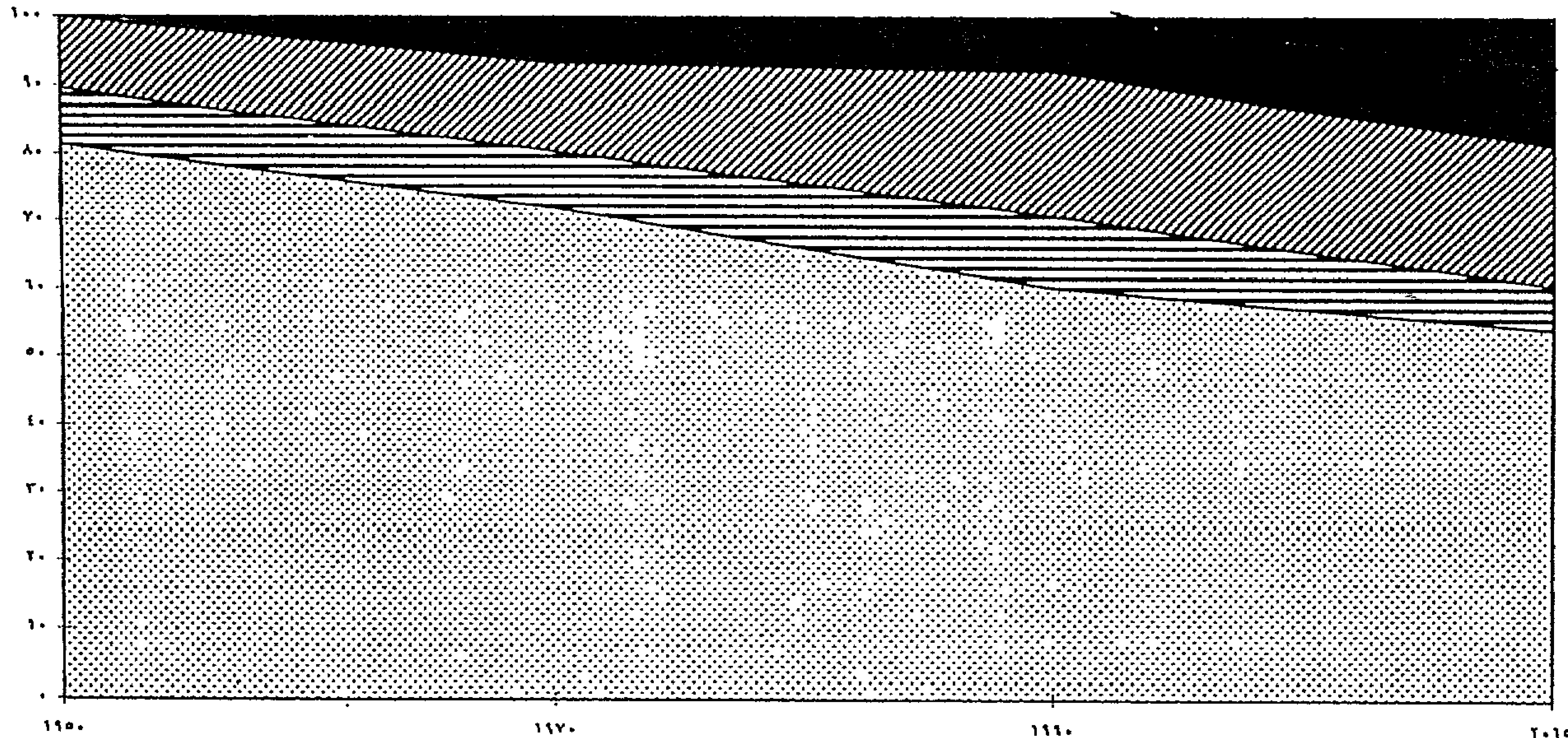
مدن أكثر من ١٠ مليون ساكن وهى المدن العملاقة Mega Cities
مدن من ٥ مليون إلى ١٠ مليون ساكن.
مدن من ١ مليون إلى ٥ مليون ساكن.
مدن من نصف مليون إلى ١ مليون ساكن.
مدن أقل من نصف مليون ساكن.

ذلك ضمن أحدث تصنيف صادر عن قسم الدراسات السكانية وتحليل المعلومات وسياسات السكان بالأمم المتحدة[٤٢] سنة ١٩٩٥.

يوضح الجدول رقم (١٠) والشكل رقم (١٠) توزيع سكان الحضر فى إفريقيا وفق هذا التصنيف خلال سنوات ١٩٥٠-١٩٧٠، ١٩٩٠ ثم توقعات ذلك التوزيع عام ٢٠١٥. ومن إستقراء الجدول والشكل نستنتج الملاحظات التالية.

١- المدن ذات حجم ١٠ مليون ساكن فأكثر Mega Cities

لم يكن لهذاا الحجم وجود بإفريقيا حتى ١٩٩٠ (وفق التقديرات المشار اليها)، ثم ظهرت مدينتين بهذا الحجم عام ١٩٩٤، وهو الحجم الذى يطلق عليه المدن العملاقة أو Mega Cities وهاتين المدينتين هما لاجوس (نيجيريا) والقاهرة (مصر) ومن المتوقع أن تنضم كنشاشا (زائير) لتلحق بهذه الفئة بعد عام ٢٠٠٠م.



شكل (١٠)

مصدر الأرقام

U.N. (1995),World Urbanization Prospects :Estimations and Projection of Urban and Rural Population of Urban Agglomerations,New York,table,5

جدول رقم (١٠)
توزيع سكان الحضر فى إفريقيا حسب الرتب الحجمية للمدن
فى الفترة من عام ١٩٥٠ ـ ٢٠١٥

احجام المدن	١٩٥٠			١٩٧٠			١٩٩٠			٢٠١٥		
	عدد السكان (مليون)	(%) من السكان	عدد المدن	عدد السكان (مليون)	(%) من السكان	عدد المدن	عدد السكان (مليون)	(%) من السكان	عدد المدن	عدد السكان (مليون)	(%) من السكان	عدد المدن
أقل من ٠,٥ مليون	٢٧	٨١,٣	–	٦٠	٧١,١	–	١٢١	٦٠,١	–	٣٠٦	٥٤	–
من٠,٥ إلى ١ مليون	٣	٨,٢	٤	٧	٨,٦	١١	٢١	١٠,٥	٣٠	٣٧	٦,٥	٥٣
من ١ مليون إلى ٥ مليون	٣	١٠,٥	٢	١١	١٢,٨	٧	٤٣	٢١,٣	٢٣	١١٨	٢٠,٨	٥٥
من ٥ مليون إلى١٠ مليون	٠	٠	٠	٥	٦,٤	١	١٦	٨,١	٢	٦٨	١١,٩	١١
مدن١٠ مليون فاكثر	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٣٩	٦,٩	٢

مصدر الأرقام: U.N., (1995), World Urbanization Prospects: Estimations and Projection of Urban and Rural Population of Urban Agglomerations, Naw York, tabl, 5

ويعد الإتجاه إلى تضخم المدن أحد سمات التحضر فى الدول النامية والتى كانت تضم ٥ مدن من هذا الحجم عام ١٩٧٠ من جملة ١١ مدينه على مستوى العالم، أصبحت تضم ١٦ مدينه من جملة ٢٢ مدينة عام ١٩٩٤، ومن المتوقع تضخم ١٩ مدينة فى الدول النامية من جملة ٢٥ مدينه على المستوى العالمى بنهاية القرن العشرين لتصبح ٢٧ مدينه من جمله ٣٣ مدينه فى العالم فى عام ٢٠١٥، يتحكم فى ذلك ويدفع اليه إرتفاع معدلات النمو الحضرى وتسارع إيقاع هذا النمو بإستمرار. والواقع أنها ظاهره أصبحت تميز المدن الكبرى والصغرى

فى الدول النامية. ذلك فى الوقت الذى تتميز فيه الدول المتقدمة بإتجاه معاكس لذلك، إذ تحقق معظم المدن الضخمة او العملاقة معدلات من النمو السالب أو المتباطئ خلال العقود الأخيرة مثل مدينه نيويورك من عام ١٩٧٠ الى ١٩٩٠. وهو ما يسمى بظاهرة عكس التحضر The Phenomenon of Counter Urbanization والتى ظهرت لأول مره على يد بيرى Barry عام ١٩٧٦ فى الولايات المتحدة، ثم ظهرت تيارات مشابهه فى الدول الغربية ثم فى اليابان، مما يعنى تناقص حجم المدن الكبرى وسكان الحضر فى الحجم والكثافة، ومازالت هذه الظاهره مستمره ممثله فى التحركات السكنيه والهجرة العكسية من المدن الكبرى أو مراكزها صوب المدن الأصغر أو الضواحى البعيدة، وقد لوحظت مؤخراً فى إسبانيا منذ النصف الاول من عام ١٩٩٠، ويتوالى انخفاض معدلات نمو المدن الكبرى حاليا فى أمريكا اللاتينية والكاريبى بينما تسجل مدن إفريقيا معدلات نمو كبيرة تصل إلى ٢,٤١٪ سنويا فى القاهرة بين عامى ١٩٧٠ و ١٩٩٠ والمتوقع ان يتناقص إلى ٢,٠٨٪ بين عامى١٩٩٠ و ٢٠٠٠ والى ٢٪ سنوياً بين عامى٢٠٠٠ و ٢٠١٥، اما كينشاسا فكان معدل النمو السنوى لسكانها أعلى من ذلك إذ سجلت ٤,٦٢٪ سنوياً بين عامى١٩٧٠-١٩٩٠ ومن المتوقع ان يصبح معدل النمو السنوى ٣,٩٣٪ حتى عام ٢٠٠٠، لكن سيتزايد إلى ٤.٣٦٪ سنويا بين عامى ٢٠٠٠ و ٢٠١٥، فى حين كان معدل النمو السنوى لمدينة لاجوس فى نيجيريا ٦.٧٠٪ سنوياً، أصبح ٥.٥٢٪ سنويا ومن المتوقع ان ينخفض إلى ٣.٣٨٪ سنوياً خلال الفترات الزمنية المذكورة (٤٣).

من المتوقع لهذه الفئة الحجمية من المدن أن تضم ٣٩ مليون ساكن نسبتهم ٦.٩٪ من جملة سكان الحضر فى إفريقيا عام ٢٠١٥ (٤٤).

٢ - مدن ذات فئه حجم من ٥ مليون الى ١٠ مليون ساكن .

ارتفع عدد المدن فى هذه الرتبة فى إفريقيا من لاشئ عام ١٩٥٠ إلى مدينة واحدة عام ١٩٧٠ (القاهرة)، ثم الى مدينتين عام ١٩٩٠ (القاهرة ولاجوس)

ومن المتوقع أن يرتفع عدد مدن هذه الرتبة إلى ١١ مدينه عام ٢٠١٥، كما تزايد حجم سكان هذه الرتبة ونسبتهم من جملة الحضر فى القاره. إذ كانت نسبتهم صفر عام ١٩٥٠ إرتفعت الى ٦,٤٪ عـام ١٩٧٠ وإلى ٨,١٪ عـام ١٩٩٠ ومن المتوقع أن تصبح نسبتهم ١١,٩٪ من جملة سكان الحضر عام ٢٠١٥. أما حجم سكان هذه الفئة فقد تزايد أيضا من لاشئ عام ١٩٥٠ الى ٥ مليون ساكن عام ١٩٧٠ إلى ١٦ مليون ساكن عام ١٩٩٠ ومن المتوقع أن يتضاعف حجم سكان هذه الفئة عده مرات ليصبح ٦٨ مليون ساكن عام ٢٠١٥.

ذلك فى الوقت الذى يتزايد فيه السكان نحو هذه الرتبة بإيقاع أكثر بُطئا فى الدول المتقدمة حيث إرتفع عدد المدن فيها من ٥ مدن إلى ٦ مدن وتزايد حجم السكان من ٣٢ مليون ساكن إلى ٤٤ مليون ساكن فقط فى الفترة من عام١٩٥٠ إلى ١٩٩٠. ومن المتوقع ان يصل حجم سكان هذه الفئة فى هذه الدول المتقدمة الى ٥٦ مليون ساكن فقط. بينما تحقق الدول النامية تزايداً ملحوظاً فى الاتجاه نحو هذه الفئة من الحجم، فقد ارتفع عددها من مدينتين إلى ١٥ مدينه، وارتفع حجم السكان من ١٠ مليون إلى ١١٠ مليون وذلك بين عامى١٩٥٠ و ١٩٩٠ ومن المتوقع أن يستمر الاتجاه نحو هذه الفئة الحجمية ليصبح سكانها ٢٢٦ مليون ساكن عام ٢٠١٥، وذلك فى الدول النامية. مما يعنى اتجاه واضح نحو سكنى المدن المتعدده الملايين أو المدن الكبرى التى ستتضخم بإستمرار ذلك الاتجاه.

٣ - مدن ذات فئة حجم مليون الى ٥ مليون ساكن .

ضمت هذه الرتبة الحجمية من المدن فى إفريقيا مدينتين فقط عام ١٩٥٠ قفز عددها إلى ٧ مدن عام ١٩٧٠ وقفز مره أخرى إلى ٢٢ مدينه عام ١٩٩٠ ومن المتوقع ان يتضاعف أكثر من مره ليصبح عددها ٥٥ مدينه بحلول عام ٢٠١٥، وتزايد كذلك حجم سكان هذه الرتبة من ٣ مليون ساكن عام ١٩٥٠ إلى ١١ مليون ساكن عام ١٩٧٠، إلى ٤٣ مليون ساكن عام ١٩٩٠ ومن المتوقع ان

تأوى هذه الرتبة ١١٨ مليون ساكن عام ٢٠١٥، مما يعنى إرتفاع نسبتهم من جملة سكان الحضر باستمرار من عام١٩٥٠ إلى ١٩٩٠ حيث كانت نسبة سكان هذه الفئة ١٠,٥٪ أصبحت ١٢.٨٪ عام ١٩٧٠ إرتفعت إلى ٢١,٣٪ عام ١٩٩٠ ومن المتوقع أن تتناقص نسبه سكان هذه الرتبه إلى ٢٠,٨٪ من جملة سكان الحضر عام ٢٠١٥ رغم الزيادة المطلقة فى عدد المدن والسكان بها، وذلك لحساب الفئات الأخرى الآخذة فى النمو.

٤ - مدن فئة حجم نصف مليون الى مليون ساكن .

تزايد عدد المدن في هذه الرتبة من ٤ مدن عام ١٩٥٠ إلى ١١ مدينة عام ١٩٧٠ ثم قفز إلى ٣٠ مدينة عام ١٩٩٠، ومن المتوقع أن يرتفع عددها باطراد ليصبح ٥٣ مدينه عام ٢٠١٥، أما حجم السكان بها فقد ارتفع من ٣ مليون ساكن عام ١٩٥٠ إلى ٧ مليون ساكن عام ١٩٧٠، إلى ٢١ مليون ساكن عام ١٩٩٠، ومن المتوقع أن يصل إلى ٣٧ مليون ساكن عام ٢٠١٥، بنسبه ارتفعت من ٢.٨٪ عام ١٩٥٠ إلى ٨,٦٪ عام ١٩٧٠، إلى ١٠,٥٪ عام ١٩٩٠، لكن من المتوقع ان تتناقص نسبه هذه الفئة إلى جملة سكان الحضر لتصبح ٦,٥٪ فقط بحلول عام ٢٠١٥، وذلك مثلما توقعت الاسقاطات للفئة من مليون إلى ٥ مليون ساكن.

٥ - مدن اقل من نصف مليون ساكن .

بالنسبة لمراكز العمران الحضرى الأقل من نصف مليون ساكن فالإتجاه أيضا نحو تناقص نسبة سكانها إلى جملة سكان الحضر، بينما عددها وحجم سكانها المطلق فى زيادة مستمره فقد كانت نسبة سكان هذه الرتبة ٨١.٣٪ ١٩٥٠ أخذت فى الهبوط إلى ٧١,٧٪ سنة ١٩٧٠ ثم هبطت إلى ٦٠,١٪ عام ١٩٩٠ ومن المتوقع أن يمثل سكان هذه الرتبة ٥٤٪ من جملة سكان الحضر فى إفريقيا عام ٢٠١٥ رغم تزايد الحجم المطلق لسكان هذه الفئة من حوالى ٢٦,٦ مليون سكان عام ١٩٩٥٠ الى ٣٠٦,٧ مليون ساكن حسب توقعات عام ٢٠١٥.

وقد تزايد عدد المدن فى هذه الفئة من ٢٧ مدينة عام ١٩٥٠ الى ٦٠ مدينة عام ١٩٧٠ الى ١٢١ مدينة عام ١٩٩٠ ومن المتوقع لعددها أن يتزايد بشدة ليصبح ٣٠٦ مدينة عام ٢٠١٥.

الخلاصة أن أنماط التحضر فى قارة إفريقيا تتميز بالنمو السريع كما تتميز بالمدن ذات فئات الحجم الصغيرة حيث سكن المدن دون المليون ٧١٪ من جملة السكان الحضر عام ١٩٩٠، ذلك مع وضوح الإتجاه إلى سكنى وتضخم المدن الكبرى خاصة المدن ذات الخمسة مليون فاكثر وهى الفئات الحجمية التى أصبحت تحقق تزايدا فى نسبه السكان بها إلى جملة الحضر حتى عام ٢٠١٥، بينما سجلت الفئات الأقل من ٥ مليون ساكن هبوطا فى نسبة سكانها إلى جملة سكان الحضر بالرغم من التزايد فى عدد المدن والحجم المطلق لسكانها، وتضم المدن المليونية ومتعددة الملايين مايقرب من ثلث سكان القارة عام ١٩٩٠ (شكل ١٠ وجدول ١٠).

خامساً: الانظمة الحضرية والهيمنة الحضرية فى الدول الإفريقية.

يتميز النظام الحضرى Urban System فى معظم الدول الإفريقية بخصائص متشابهة إلى حد كبير، كما تتوافق هذه الخصائص مع سائر الأنظمة الحضرية فى الدول النامية والأقل نمواً. وتتمثل هذه الخصائص فى سيادة ظاهرة الهيمنة الحضرية Urban Primacy وقد أكدت الدراسات العديدة الى قام بها الدارسون للنظم الحضرية(٤٦)، فى الدول العربية، وفى دول إفريقيا المدارية أو (جنوب الصحراء)، وكذلك دول أمريكا اللاتينية والكثير من دول جنوب وشرق آسيا وحتى بعض دول أوربا، أن ظاهرة سيطرة أو هيمنة مدينة أو مدينتين على باقى النظام الحضرى، تكاد تكون القاسم المشترك الأعظم فى هذه الأنظمة، عن الاتجاه نحو التوازن الحضرى Urban Balance الذى يتحقق من خلال قاعدة (زيبف Zipf) Rank-Size "Rule" . إذ يتسم التنظيم الحضرى فى الدول الإفريقية والنامية بالإتجاه نحو نمط من التوزيع

الحجمى ذو قاعدة عريضة من المدن الصغيرة وعدد قليل من المدن الكبيرة وعادة ما تتسع الفجوة بين رتب هرم الأحجام. وبالتالى يأخذ منحنى المدن فى معظم دول القـــارة الشكل (L) وهو المعبر عن العلاقة بين التوزيع والرتبة والحجم (Rank distrubution Curve) وتتضح هذه الهيمنة الحضرية ليس من خلال مقياس حجم السكان الكبير للمدن فقط - التى عادة ماتكون العواصم او الموانئ الكبرى - بل من خلال إستخدام أى مقياس أو مقاييس أخرى إقتصادية أو اجتماعية أو سياسية لقياسها.

يشير واقع الأمر إلى أهمية دور الفترة الإستعمارية قبل الاستقلال، وإلى الاستعمار الجديد بعد الاستقلال فى التأثير العميق على نمط توزيع المدن (من حيث الحجم والتباعد) فى إفريقيا. كما كان لظروف القارة الداخلية الطبيعية والبشرية - ومازال - أثارها المهمة. يضاف إلى ذلك نمط توزيع سكان الأرياف والموارد الأساسية، والتفضيل الثقافى لسكنى المحلات العمرانية النووية أو المبعثرة.. وهناك عوامل أخرى ذات تأثير فى نمط توزيع المدن وتنظيمها مثل المواقع المناسبة للموانئ، وأنماط انتاج المحاصيل النقدية، والتى تصبح ذات أهمية كبرى من خلال التفاعل والاحتكاك بين القوى الداخلية والخارجية. كما كان لسياسات التنمية الجزئية فى إفريقيا – بعد الاستقلال – مساهماتها فى ظهور التباين الواسع في مستويات التنمية بين المدن مثلما كان للاستعمار دوره فى التركيب الحضرى المتميز بالمستوى المرتفع من الهيمنه الحضرية The high levels of urban primacy داخل معظم الدول الإفريقية وإستمراره حيث يتركز معظم النمو الحضرى فى دول إفريقيا فى مدينة واحدة قومية. ويعكس توزيع المراكز الحضرية فى إفريقيا رغبات الإستعمار إلى حد بعيد أكثر مما يعكس الحاجات المحلية من حيث الموقع والحجم والتوزيع، والأمثلة على ذلك كثيرة منها داكارا وبرازفيل ومدن شرق إفريقيا....الخ. فقد كانت الهيمنه الفعلية لباريس ولندن وبروكسل ولشبونة فأصبحت المدن الإفريقية لاترتبط بظهيرها الزراعى او الريفى - بصفه عامه - بروابط قويه (٤٧). منها أيضا مدن شمالى إفريقيا ذات التوجيه الساحلى ويظهر أثر العوامل السابقة وغيرها على

الانظمه الحضرية فى عدم وجود حدود فاصلة يمكن الإعتماد عليها للفصل بين المراكز الحضرية الصغيرة والمناطق الريفية المركزية Rural Central Places فى معظم الدول.

كما أدت المركزية الشديدة فى المدن الكبرى بالدول إلى سرعة نموها عن غيرها من المدن الصغيرة مما زاد من حدة التباين فى توزيع المدن داخل الدول بعد الإستقلال، والمرتبط أيضا بنمط توزيع الانشطة والثروة والصناعة والخدمات الخ، فتمددت المدن الرئيسية فى الدول والمقاطعات ونشأت المجاورات والمدن التوابع والإمتدادات العمرانية للمدن الكبرى داخل النظام الحضرى القومى فأدى ذلك إلى حالة حرجة من استمرار تعقد المناطق الحضرية التى زادت نوويتها فأصبحت تعرف بالمجمعات الحضرية Conurbation، والتى تناول إمتدادها كثير من الدراسين فى إفريقيا المدارية وغيرها، وهى لاتقارن بالمجمعات الحضرية فى الغرب الأوسط البريطانى أو الرور فى المانيا، أو فى ويتواترسراند Witwatersrand فى جنوب إفريقيا. إلا أنها واقع حضرى له مشاكله العديدة فى التنظيم الحضرى بإفريقيا. وأقرب الأمثلة على ذلك إقليم نطاق النحاس فى زامبيا Copper belt of Zambia حيث أعظم تجمع لأكبر مدن الدولة تقع فى جزءصغير من جملة مساحة الدولة. حيث مدن ندولا Ndola ولوانشيا Lunshya وكيتوى Kitwe وميوفيولارى Mufuliry و Ralulushi و Chambishi و شنجولا Chingola و Chililabombwe، ومع ذلك كان تباعد هذه المدن عن بعضها يتراوح بين ١٠ الى ٣٠ كم حيث تفصل بينها مساحات كثيفه من السڤانا البستانية (٤٨)، فى أواخر الستينات. والمثال الآخر من نيجيريا حيث تجمعات المدن المرتبطة كل منها معاً، بينما تفصل بينها مساحات واسعة وتمثل أنظمة حضرية ثانوية داخل النظام الحضرى القومى. حيث كانوا Kano وزاريا Zaria وكادونا Kaduna تمثل مجموعة، بينما بنين Benin وسابل Sapele وورى Warri من مجموعة أخرى، لكن تفصلها مسافات كبيرة من الأراضى الزراعية، أما أكبر المجموعات فى كثافة المدن فهى

التى تضم بورت هاركوت Port Harcourt وأبا Aba و أويرى Owerri وأوماهيا Umuhia حيث تنمو باتجاه بعضها أسرع مما تنمو مجموعة مدن اليوربا فى الجنوب الغربى، وتفصل بينها مساحات واسعة مأهولة بكثافة سكانية ريفية (٤٩) ونظراً لنمو هذه المدن السريع وإمتدادها المكانى السريع أيضا من الطبيعى أن تتصل بالمدن الصغيرة التى كانت منفصلة من قبل. مثلما حدث مع داكار الكبرى، والقاهرة الكبرى أو حيث إتصلت بعض المناطق التى خطط لها أن تصبح مدن توابع للصناعة مثلما إتصلت تيما Tema مع أكرا الكبرى وإكيجا Ikeja مع لاجوس الكبرى وثيكا Thika إلى حد ما مع نيروبى، وشبرا الخيمة وحلوان مع القاهرة الكبرى، ويرى البعض فى الخرطوم الكبرى نفس الظاهرة والحالات كثيرة (٥٠) وينظر إلى هذه الظاهرة على أنها أحد أشكال نحو المدن المُمثلة للمدن الغربية وليست سائدة فى المدن الإفريقية، وإن كان توقيع المناطق الصناعية والمشروعات الكبرى بصفة عامة ذو أثر بعيد فى جذب الأيدى العاملة المحلية والمهاجرة، مما يؤدى فى النهاية إلى تضخم الحجم وإتساع المكان بتداعى الوظائف وجاذبية فرص العمل وثبات الأجور مما يؤدى إلى تفاقم مشكلات المدن فى إفريقيا والدول النامية عامة،

وبصفة عامة يمكن القول بأن النمو الحضرى والنظام الحضرى فى الدول الإفريقية يعتمد على الدور الادارى والتجارى للمراكز الحضرية أكثر من إعتماده على التصنيع(٥١) لذلك فإن النمو الكبير فى أحجام هذه المدن ليس إلا اضافة كمية لعملية التحضر ومستواه دون محتواه، أدت اليها سياسة المركزية الى إتبعتها حكومات الدول النامية لفترة طويلة، مما أخل بالتوازن الحضرى فاستقطبت المدن الرئيسية الخدمات والاستثمارات والتيارات المتدفقة من البشر والبضائع، وربما كانت عوامل الطرد فى المناطق الريفية أقوى.

ويمكن قياس مدى سيطرة المدن الكبرى فى إفريقيا من خلال عدة مقايس ترتبط بمقياس الحجم السكانى والنمو، من حيث نسبة سكان المدن الكبرى إلى كل من جملة الحضر وجملة السكان عام ١٩٩٥ مقارنا بمثيلتها عام ١٩٧٥،

وتوقـعـاتهـا عـام ٢٠١٥. ومـعـدل النمـو السنوى لسكان المدن بين عـامى ١٩٧٥-١٩٨٥ مـقارنا بمثيله بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٥، ثم حـجم سكان المدينة عام ١٩٩٥ وتوقعاته عام ٢٠١٥، وذلك بهدف رصد إتجاهات السيطرة خلال الفترة المذكورة وتوقعاتها المستقبلية وأهميتها بالنسبة للتخطيط المستقبلى ووضع السياسات الحضرية. ويوضح الجدول رقم (١١) المؤشرات المذكورة بالنسبة لعدد كبير من المدن الإفريقية خاصة المدن التى يزيد حجم سكانها على ٧٥٠,٠٠٠ ساكن عام ١٩٩٠ ويوضحها شكل رقم (١١).

- بالنسبة لمعدلات نمو المدن الكبرى يلاحظ إرتفاع معدلات نمو هذه المدن إذ ترتفع عن ٦٪ سنوياً فى عدد من المدن هى دوالا، ونيروبى، ومابوتو ١٤ .٧٪ ومقديشو ولوساكا بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٥، ومعظمهالم ينخفض كثيراً عن الفترة السابقة من ١٩٧٥-١٩٨٥ وإن تزايد فى نيروبى،

- مدن يتراوح معدل نموها السنوى من ٦٪ إلى ٤٪ من هذه المدن لواندا، والجزائر، وبرازفيل، وأبيدجان، وشبرا الخيمة (وهى ضمن القاهرة الكبرى) ثم كونكرى، وطرابلس، والرباط، ولاجوس، وداكار، والخرطوم، وكمبالا، ودار السلام ثم كنشاسا، وذلك فى الفترة بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٥ أيضا.

- مدن يتراوح معدل نموها بين ٤٪ و ٢٪ سنوياً. وهذه المدن هى: الأسكندرية والقاهرة وأكرا وبنغازى والدار البيضاء، ثم إبادان وكيب تاون، وتونس العاصمة وهرارى.

- لايقل عن ٢٪ كمعدل سنوى للنمو الا بعض مدن جنوب إفريقيا حيث جوهانسبرج ٠,٨٥٪ وديربان ١,٢٪ حيث تتميز جنوب إفريقيا بخصائص حضرية ومعدلات تنمية مختلفة عن باقى القارة الافريقية، وإن كانت معدلات النمو الحضرى ترتفع عن ذلك فى مدن أخرى مثل كيب تون كما سبق وأوضحنا.

جدول رقم (١١)

بعض المؤشرات الخاصه بالمدن الكبرى فى إفريقيا (المدن ذات حجم ٧٥٠ الف ساكن وأكثر سنة ١٩٩٠)

الدولة	المدينة (مدن اكثر ٧٥٠٠٠٠ ساكن) سنة ١٩٩٠	معدل النمو السنوى % فى الفتره		نسبة سكان المدينة من جملة الحضر فى الدولة		حجم المدينة بالاف		النسبة من جملة السكان ١٩٧٥-١٩٩٥		توقعات عام ٢٠١٥	
		من ١٩٧٥ الى ١٩٨٥ %	من ١٩٨٥ الى ١٩٩٥ %	١٩٨٥ %	١٩٩٥ %	عام ١٩٩٥	توقعات عام ٢٠١٥	١٩٧٥ %	١٩٩٥ %	من جملة السكان %	من جملة الحضر %
الجزائر	الجزائر	٤,١٥	٤,٧	٢٥,١٩	٢٣,٧٥	٢٠٣٤	٥٣٨٤	١٠,١٦	١٣,٢٥	١٥,٦٥	٢٢,٦٤
انجولا	لوندا	٦,١٧	٥,٨	٦١,٥٦	٦١,٨٦	٢٢٠٧	٥٥٤٨	١٠,٠٨	١٩,٩٤	٢٧,٢١	٥٦,٥٥
الكميرون	دوالا	٦,٨٢	٦,٥٤	١٨,٧٩	٢٢,٢٦	١٣٢٢	٣٠٢٦	٥,٠٥	٩,٩٩	١٣,١٦	٢١,٦٧
»	ياوندى	٧,٥	٦,٧٥	١٣,٦٥	١٨,٧٩	١١٢١	٢٦٥١	٣,٦٧	٨,٤٧	١١,٥٣	١٨,٩٩
الكنغو	برازافيل	٥,٨	٥,٥٥	٦٧,٠٩	٦٦,٢٦	١٠٠٩	٢٠٨١	٢٣,٣٨	٣٨,٩٦	٤٧,٣٥	٦٥,٦٦
كوت ديفوار	أبيدجان	٥,٤٣	٥,٣٦	٤٤,٢٩	٤٥,٤	٢٧٩٧	٦٦١١	١٤,٢١	١٩,٦٣	٢٤,٣٩	٤٢
مصر	الاسكندرية	٢,٣٥	٢,٣٢	١٣,٢٨	١٢,٧٠	٢٨٣٥	٥٥٤٦	٥,٣٧	٥,٦٨	٦,٤٠	١١
»	القاهرة	٢,٣٥	٢,٢٧	٣٦,٢	٣٤,٢٨	٧٦٩١	١٤٤٩٤	١٥,٦٥	١٥,٣٤	١٦,٧٢	٣٠
»	شبرا الخيمة	٦,٢٦	٥,٦٤	٢,٩	٤,١٢	٦٦١	٢١٢٠	٠,٩١	١,٨٥	٢,٤٥	٤
أثيوبيا	اديس ابابا	٤,٧	٣,٩٥	٣٠,٣٥	٢٩,٩٦	١٤٨٨	٥٨٥٠	٢,٥٤	٤,١	٥,٩٧	٢٦
غانا	اكرا	٣,٣٠	٣,٥٤	٢٨,٨١	٢٦,٦٤	١١٨٤	٣٧٢٦	٨,٦٦	٩,٦٧	١٢,٣٢	٢٤
غينيا	كونكرى	٧,٩٥	٥,٥٦	٥٥,١٥	٧٦,١٠	٨٢٥	٣٨٧٣	٨,٩٩	٢٢,٥٠	٣٢,٨٢	٧١
كينيا	نيروبى	٥,١٢	٦,١١	٣٨,١٣	٢٦,٥٩	٢٠٧٩	٥٣٦١	٤,٩٢	٧,٣٦	١٠,٧٥	٢٤,٦١
ليبيا	بنغازى	٨,١	٣,٧٠	٢٢,٠٧	٢٢,٧٩	١٠٥٩	١٩٨٠	١٣,٤٥	١٩,٥٩	١٩,٧٠	٢١
»	طرابلس	١٠,٥٤	٥,٢٥	٤٥,٢٩	٧٠,٤٠	٣٢٧٢	٦٠٤٤	٢٧,٦٠	٦٠,٥٢	٦٠,١٤	٦٥,٧٩
المغرب	الدار البيضاء	٣,١١	٣,١١	٢٧,٠٨	٢٥,١٦	٣٢٨٩	٥١١٤	١٠,٢٠	١٢,١٧	١٤,٠٧	٢٣٤٥
»	الرباط	٤,٥٢	٤,٥٢	٩,٧٩	١٢,٠٧	١٥٧٨	٢٧٧٣	٣,٦٩	٥,٨٤	٧,٦٣	١٤,٧٢
موزمبيق	مابوتو	٧,١٨	٧,١٤	٥٨,٧٧	٤٠,٦٤	٢٢٢٧	٥٧٦٠	٥,٠٧	١٣,٩٢	٢٠,٦٥	٣٨,١١
نيجريا	ابادان	٢,٨٠	٢,٨٠	٥,٧٧	٣,٣٨	١٤٨٤	٢٩٨٢	١,٣٥	١,٣٣	١,٥٦	٢
»	لاجوس	٥,٦٨	٥,٦٨	٢٢,٤٩	٢٣,٤٤	١٠٢٨٧	٢٤٤٣٧	٥,٢٦	٩,٢١	١٢,٨٠	٢٣
السنغال	داكار	٤,٩٥	٤,٦٢	٤٦,٧٧	٥٦,٥٦	١٩٨٦	٤٠٨٠	١٥,٩٨	٢٣,٩٠	٢٩,٦٥	٥٣,٥٥
الصومال	مقديشيو	٧,٤	٦,٠١٥	٢٣,٢٩	٤١,٢٤	٩٨٢	٢٤٦٣	٤,٩٥	١٠,٦٢	١٤,٨٢	٣٩,١٣
جنوب أفريقيا	كيب تون	٣,٦٨	٣,٢٣	١٠,٨٧	١٢,٧٦	٢٦٧١	٤٥٠٨	٥,٢٢	٦,٤٤	٧,٣٣	١١,٦٨
»	جوهانسبرج	,٧٤	٠,٨٥	١٢,١٦	٨,٧٧	١٨٤٩	٣٠٥٩	٥,٨٣	٤,٤٦	٤,٩٧	٥,٠٢
»	ديربان	٠,٩٧	١,٢	٧,٢٦	٥,٤٥	١١٤٩	١٩٣٩	٣,٤٨	٦,٤٤	٣,١٥	٥,٣١
السودان	الخرطوم	٥,٤٨	٤,٥٥	٢٩,٤٤	٣٥,١٣	٩٤٢٩	٥٧٨٢	٥,٥٤	٨,٦٥	١٢,٣٣	٣٢,١٣
تونس	تونس	٣,١٨	٢,١٤	٣١,٠٣	٤٠	٢٠٣٧	٣٠٩٢	١٥,٤٧	٢٢,٩٠	٢٥,٩٥	٣٧,٨٢
أوغندا	كمبالا	٤,١	٤,٦٩	٤٢,٧٩	٣٥,٧٢	٩٥٤	٢٦١٠	٣,٥٧	٤,٤٨	٧,٠٤	٣٢,٤٣
تنزانيا	دار السلام	٥,٤١	٤,٥٨	٣٩,٨١	٢٣,٩٨	١٧٣٤	٣٩٦٥	٤,٠١	٥,٨٤	٧,٩٣	١٩,٦٦
زائير	كنشاسا	٤,٧٢	٤,١٥	٢٥,٢٩	٣٣,١	٤١٢٤	٩٨٥٥	٧,٤٦	٩,٦٠	١٢,٣٦	٢٧,٤٧
زامبيا	لوساكا	٦,٣٠	٦,٨	٢٢,٨١	٣٢,٦١	١٣٢٧	٣٠٣١	٧,٩٤	١٤,٠٤	١٩,٧٢	٣٧,٢٨
زيمبابوى	هرارى	٣,٢	٣,٨	٤٤,٠١	٢٨,٨٦	١٠٤٤	٢١٨٦	٨,٦٣	٩,٢٨	١٣,٠٥	٢٧,٢٢

المصدر : مجمع من عدة جداول :-
Table .A12 , Table A15, Table A14 Table A16, PP.151 - 158
PP143 - 150 PP159 - 166
U . N .; (1995) ,World urbanizatian Prospects.

– بالنسبة لنصيب المدن الكبرى من جملة سكان الحضر وجملة السكان فمن الملاحظ أيضا إرتفاع نسبتها فى كثير من الدول رغم التفاوت الواضح بينها، كما يتضح تغيرها عند مقارنه هذه النسب بين عامى ١٩٧٥ و١٩٩٥. ومن تحليل الجدول (رقم١١) أيضا يتضح مايلى:

– يظهر إرتفاع نسبة سكان المدن الكبرى (الأولى عادة أو الأولى والثانية فى بعض الأحيان) إلى سكان الحضر فى الدولة عن ٤٠٪ من جملتهم فى ٢٨,٢٪ من جملة المدن المذكوره بالجدول (٣٢ مدينة عام ١٩٩٥).

– بلغت نسبة المدن التى تتراوح نسبة ساكنيها بين ٤٠٪ و ٢٠٪ من جملة الحضر حوالى ٤٣,٧٪ عام ١٩٩٥.

– ترتفع نسبة سكان بعض هذه المدن (٧ مدن) عن ١٩٪ من جملة سكان الدول التى تقع بها وترتفع عن ٦٠٪ من جملة سكان الدولة فى حالة طرابلس (مثلا) عام ١٩٩٥.

– يتضح من مقارنة نسب عام ١٩٧٥ بنسب عام ١٩٩٥ وبتوقعات عام ٢٠١٥ الإتجاه نحو استمرار الهيمنه فى حالات عديدة من الدول الإفريقية، كما يظهر من الأرقام الواردة بالجدول وغيرها إتجاه المدن الإفريقية نحو المركزية وخاصة مدن العواصم فيما عدا حالات الدار البيضاء وجوهانسبرج ولاجوس بعد تغيير العاصمة.

– تُظهر كل من لواندا وكونكرى وطرابلس وبرازافيل حالات صارخه للتركز والهيمنة إذ ترتفع نسبة سكان هذه المدن عن ٧٠٪ و ٦٠٪ من جملة سكان الحضر، كما يظهر إرتباط معدل النمو الكبير أو السريع مع إرتفاع نصيب كل منها من جملة سكان الحضر وجملة سكان الدول الواقعة بها فى حالات عديدة.

- يتضح من تحليل أرقام الجدول أيضا إتجاه الهيمنة فى الفترة بين ١٩٧٥-١٩٩٥ فالملاحظ أن نسبة سكان المدن الكبرى قد إرتفعت فى ٤٧٪ من جملة المدن المذكوره إلى سكان الحضر بدولها بينما ثبتت النسبة فى ١٥,٥٪ من جملة المدن، فى حين تناقصت تناقصاً طفيفاً جداً فى حوالى ٣٧,٥٪ من جملة الحالات المذكوره، مما يعنى أنه فى حوالى ٨٤,٥٪ من جملة المدن المذكوره بالجدول لم تنخفض نسبة سكان هذه المدن إلى جملة سكان الحضر بدولها بين عام ١٩٧٥-١٩٩٥ بل إرتفعت فيما يقرب من نصف جملة الحالات، وترتفع إلى جملة السكان حينما ترتفع درجة التحضر، وتشير الإتجاهات أيضا الى إستمرار هذه الظاهرة لفترة مقبله حتى عام ٢٠١٥ حيث يظهر من تحليل الاسقاطات الخاصة بذلك أن المستوى الحالى من نسبه المدن الكبرى إلى جملة الحضر لن يطرأ عليه إلا إنخفاض طفيف لايتجاوز ٤٪ فى أكثر الحالات إنخفاضا.

بينما من المتوقع لمدينة لوساكا خاصة أن ترتفع نسبتها وهيمنتها الحضرية من ٣٢,٦١٪ عام ١٩٩٥ الى ٣٧,٢٨٪ عام ٢٠١٥، وهى ظاهرة إتضحت فى زامبيا حيث أخذت لوساكا مكانه مرموقه فى الدولة بعد الاستقلال وحققت معدلات نمو سكانى تفوق ماكانت تحققه مدن حزام النحاس التى حققت نسبه زيادة بلغت حوالى ١٤٠٪ خلال الفترة الممتدة من عام ١٩٦٠ الى ١٩٨٠ (٥٢) بينما كانت نسبة الزيادة فى جملة الحضر حوالى ٢٢٠٪ من نفس الفترة، فى الوقت الذى كانت نسبة الزيادة الكلية فى لوساكا ٣٣٦٪ إذ زادت من ١٨٣ الف ساكن عام ١٩٦٠ الى ٦١٥ الف ساكن عام ١٩٨٠، ثم الى مليون و٤٤ الف ساكن عام ١٩٩٥، ومن المتوقع أن يتضاعف حجم السكان عام ٢٠١٥ ليصبح ٢.٢ مليون ساكن تقريباً (٥٣) ويعبر ذلك عن التناقض الواضح بين التحضر والتنظيم الحضرى قبل الإستقلال وبعده فى زامبيا كما فى غيرها من دول القارة.

تعد نيجيريا من النماذج الإفريقية من حيث تعقد النظام الحضرى وتناقض المدن وإنقلاب تراتبها وتغير معدلات النمو بها، إذ تشير الدراسات والإحصاءات إلـى أن Ibadan إبادان كانت ذات حجم ٤٢٧ الف ساكن عام ١٩٥٠، وكانت تمثل المدينة الاولى فى الدولة بل فى إفريقيا المدارية، تليها لاجوس بحجم ٢٨٨ الف ساكن أى أكثر قليلا من نصف حجم إبادان إلا أن معدل نمو لاجوس المرتفع وصل بها إلى ضعف حجم إبادان عام ١٩٦٥ واستمر معدل نمو لاجوس متسارعاً (كما اتضح سابقا) فى الوقت الذى يتباطئ فيه نمو إبادان التى أصبحت توازى مايقرب من سبع حجم لاجوس عام ١٩٩٥، أى أنها فاقت قانون المدينة الاولى لمارك جفرسون بكثير - وتمثل لاجوس ٢٣,٥٪ من جملة سكان الحضر بنيجيريا بينما تمثل إبادان المدينة الثانية ٣,٤٪ منهم عام ١٩٩٥ (٥٤)، وقد كان للازدهار الناتج عن البترول مضافا اليه عوامل أخرى كالاضطرابات السياسية والحروب واعادة التقسيم الإدارى... فى نيجيريا أثارها فى تغاير معدلات نمو المدن من إرتفاع إلى هبوط كما فى حالة إبادان، ومن إنخفاض لارتفاع كما فى حالات اخرى مثل كادونا، وزاريا، والسوير Elsawhere وكذلك ميناء بورت هاركورت (بسبب البترول) كما أدت الحرب الأهلية فى السودان إلى نمو مدن مثل أبا Aba و إنيوجو Enugu بسبب وفود نسبه كبيرة من اللاجئين إلـى هـذه المـدن (٥٥) كما أدت موجات الجفاف فى إقليم الساحل إلى نفس النتائج فى فترات مختلفة خلال العقود الماضية.

ومن المتوقع لمدينة لاجوس - المدينة القافزة بسرعة صاروخية والتى لم تكن ضمن أكبر ٣٠ مدينة فى العالم حتى قبل ١٩٩٠ حيث إحتلت المركز الثانى والعشرين بحجم ٧,٧ مليون ساكن -، أن تحتل المركز التاسع بحجم ١٣,٥ مليون ساكن عام ٢٠٠٠، لتقفز الى المركز الرابع بحجم ٢٠,١ مليون ساكن عام ٢٠١٠، ومن المتوقع أن تواصل قفزها لتتبوأ المركز الثالث بين مدن العالم العملاقة بحجم ٢٤,٤ مليون ساكن وفق تقديرات قسم الدراسات السكانية بالأمم المتحدة (٥٦) لسنة ٢٠١٥.

أما مدينة القاهرة التى كانت أكبر مدن القارة قاطبة حتى ١٩٩٠ وكان ترتيبها ١٨ بين أكبر ٣٠ مدينة فى العالم، من المتوقع لها (حسب تقديرات الامم المتحدة) أن تصبح فى المركز السادس عشر على مستوى العالم عام ٢٠١٥ بحجم ١٤,٧ مليون ساكن والثانية على مستوى قارة إفريقيا بعد لاجوس. وأن كان ذلك الحجم لايعبر عن حجم القاهرة الفعلى إذ من المقدر لإقليم القاهرة الكبرى أن يصل إلى حوالى ١٦,٩٢ مليون ساكن عام ٢٠٠٠م وذلك وفق توقعات الهيئة العامة للتخطيط العمرانى، ومعهد التخطيط والتحضر لإقليم باريس فى مخطط التنمية بعيد المدى لإقليم القاهرة الكبرى (٥٧)، مما يعكس مشكلة المفاهيم فى تحديد المناطق الحضرية، لانها فى هذه الحالة تعتبر أكبر من الحجم المقدر لمدينة لاجوس وهو ١٣,٥ مليون ساكن عام ٢٠٠٠ وترتيبها سيكون الخامس، معنى ذلك أن تصبح القاهرة الكبرى عام ٢٠٠٠ فى المركز الخامس بين مدن العالم العملاقة بعد طوكيو، وبومباى وساوباولو وشنغهاى (٥٨) ويتغير ذلك الترتيب وفق إعتبار المنطقة الحضرية المعتمد عليه فى التقدير.

أما المدينة الثانية فى مصر وهى الأسكندرية فتدور حول ثلث حجم القاهرة ٣٦٪ (أى تتوافق مصر مع قانون المدينة الأولى (٥٩) Low of Primate City حيث تقل نسب المدن الأخرى إلى المدينة الأولى عن ذلك كثير، ويتكرر هذا الترتيب فى العديد من الدول الإفريقية حيث كانت نسبه المدينة الثانية فى تونس وهى صفاقس تمثل ٢٩٪ من حجم المدينة الأولى وهى تونس العاصمة بينما كانت سوسه المدينة الثالثة تمثل ١٩,٩٪ من حجمها وذلك عام ١٩٧٥، كما كانت كل المدن التونسية تقل فى أحجامها الفعلية عن الحجم الانسب لكل منها فيما عدا حجم مدينة تونس العاصمة التى إرتفع حجمها الفعلى كثيرا عن الحجم الأنسب لها فى سنوات ١٩٦٥-١٩٦٦-١٩٧٥، وذلك عند تطبيق طريقة بروننج وجبس Browning and Gibbs لدراسة العلاقة بين المرتبة والحجم وحساب الحجم الأمثل (٦٠)، والملفت للإنتباه هنا أن نسبه سكان مدينة تونس الى جملة سكان الحضر قد إرتفع من ٣١٪ عام ١٩٧٥ الى ٤٠٪ عام ١٩٩٥؟.

من المتوقع لمدينة كنشاسا فى زائير أيضا أن تقترب من ١٠ مليون ساكن عام ٢٠١٥ بترتيب ٢٩ بين مدن العالم العملاقة، رغم أن حجمها بالاضافة الى المدن الستة التالية لها فى الحجم كان حوالى ١,٧ مليون ساكن ١٩٧٥ مما يؤكد هيمنتها الحالية والمستقبلة، وتتكرر نفس الحقائق فى غرب إفريقيا حيث كانت نسبه المدينة الثانية الى باماكو فى مالى أقل من ٢٠٪ (٦١). كما تتعرض باماكو وسائر العواصم فى دول إقليم غرب إفريقيا الى نمو كبير، وكذلك (عواصم الأقاليم) وذلك مع موجات الجفاف حيث تشتد تيارات الهجرة.

وتمثل تنزانيا فى شرق إفريقيا النظام الحضرى الذى تسوده مدينة واحدة بالفعل، فقد كانت دار السلام عام ١٩٧٨ تساوى المدن العشر التالية لها فى الحجم وكان حجم المدينة التالية وهى زنجبار يساوى أقل من سُبع حجمها ومن المتوقع لدار السلام أن تصل الى مايقارب ٤ مليون ساكن عام ٢٠١٥.

فى أنجولا كان حجم المدينة الأولى ٤٧٥ الف ساكن عام ١٩٧٠، بينما حجم ثانى مدينة كان ٦٢ الف ساكن فقط أى ١٣٪ من حجم لمدينة الأولى لواندا والتى من المتوقع لحجمها أن يصبح ٥,٥٥ مليون ساكن عام ٢٠١٥.

وهكذا أكدت معظم الدراسات التفصيلية للأنظمة الحضرية لمعظم الدول الإفريقية عدم التوازن الحضرى بها وهيمنه مدينة واحدة أو اثنتين، كما أشارت التوقعات الى استمرار هذه الحالة الى فترة قادمة ويوضح الشكل رقم (١١) أحجام العواصم والمدن الكبرى الإفريقية سنة ١٩٩٠.

سادسا: مكونات النمو الحضرى وآلياته فى إفريقيا .

تقود الدراسة السابقة الى طرح سؤال مهم عن مكونات هذا النمو الكبير للمدن وخاصة العواصم والمدن الكبيرة وعواصم الأقاليم بالقارة، وماهى آليات أو (ميكانزمات) هذا النمو الذى يعكس التفاعل المكانى الاجتماعى (Spatial- Social Interaction) بين سائر عناصر منظومة السكان والمكان والتباين بينهما. والمؤثرات المرتبطة بكل منهما وتؤثر على الأخر فى آن معاً.

شكل (١١) أحجام العواصم والمدن الكبرى (٧٥٠ ألف ساكن فأكثر) فى إفريقيا سنة ١٩٩٠.

لقد أصبح من المتعارف عليه أن عملية التحضر (Process of Urbaniz tion) تعنى إستمرارية الزيادة فى سكان الحضر وهى عملية تختلف عن تحديد درجة أو مستوى التحضر. ومن الأهمية بمكان تحديد مصادر ومكونات هذا النمو في سكان الحضر، لما في ذلك من ضرورة كأول خطوة نحو فهم العمليات الديموجرافية والإجتماعية والاقتصادية والإدارية والسياسية والثقافية كمقدمة أساسية تُبنى على نتائجها سياسات التخطيط والتنمية بأنواعها الديموجرافية والاقتصادية ثم الاجتماعية (كما ظهر مفهوم التنمية أول ماظهر)، ثم التنمية المتواصلة فالتنمية البشرية، فالبشرية المتواصل التى باتت تشمل كل أنواع التنمية حيث البشر هم عناصر التنمية وهدفها فى أن معاً. وإن أى سياسة تنموية يخطط لها، أو أى قرار سياسى يتخذ لابد وأن يُراعى فيه البعد البشرى والإجتماعى فى الأجيال الحالية والأجيال القادمة ضماناً لتحقيق نوعية أفضل للحياة وحفاظاً على الموارد والبيئة وإستثمارها وتنميتها، ومن هنا تأتى أهمية تحديد مكونات أو عناصر النمو السكانى عامة، والنمو الحضرى بصفة خاصة، وبدقة حتى تأتى السياسات والمخططات بحلول للمشكلات القائمة، وبخطط مستقبلية تضمن عدم تكرار المشكلات أو حدوث غيرها و تضمن أيضا أفضل إدارة للمدن وموارد البيئة.

أفادت الدراسات الحضرية العديدة بإمكان تحديد مكونات النمو الحضرى من خلال حركة السكان الطبيعية وغير الطبيعية، أى معدلات الزيادة الطبيعية Natural increase من خلال الفرق بين المواليد والوفيات مع الأخذ فى الاعتبار خصائص التركيب الديموجرافى للسكان، ثم الزيادة غير الطبيعية والتى يقصد بها تغيير مكان الإقامة أي الهجرة Migration سواء كانت هجرة داخلية Internal فى الدولة أى بين مناطقها Inter - Regions أو هجرة خارجية دولية .External or International Migration، وقد اكدت الدراسات أن الهجرة الداخلية تأخذ أربعة أنماط حسب مناطق الإرسال ومناطق الإستقبال وهى :

هجرة ريفية – ريفية	Rural - Rural - Migration
هجرة ريفية – حضرية	Rural - Urban - Migration
هجرة حضرية – حضرية	Urban - Urban - Migration
هجرة حضرية ريفية	Urban - Rural - Migration

وتؤثر الأنماط الثلاث الأخيرة في النمو الحضرى، وتشير الدارسات التفصيلية للمدن فى إفريقيا والدول النامية إلى أن انماط الهجرة الريفية-الحضرية والحضرية-الحضرية أكثر تأثيرا فى النمو الحضرى بينما يتأثر نمو الأرياف بالأنماط الأخرى إلى جانب الهجرة الريفية الحضرية.

هناك مكونات أخرى تساهم فى نمو سكان الحضر والتوسع الحضرى المكانى والسكانى رغم عدم الاهتمام بها كثيراً، وذلك لصعوبة قياسها-إلا بالدراسة التفصيلية لكل حالة- ومن أهم هذه المكونات، عملية إبتلاع أو إمتصاص Engulfing or Absorption ، المجتمعات والمناطق الريفية من قبل المدن أثناء توسعها وتمددها على حساب المناطق المحيطة بها فتدخل بسكانها فى المناطق الحضرية جغرافياً وفعلياً قبل أن يتضمنها التعداد رسمياً بتغير الحدود البلدية أو الادارية للمدينة، وعلى مر السنوات تنمو المدن في كثير من الأحيان قبل توسيع المدينة إدارياً وتتخطى بذلك حدودها لتضم هذه الهوامش التى يذداد نموها السكانى أيضا بإستقبالها للمهاجرين فتنمو بها مستوطنات وضع اليد غير الحكومية والعشوائية، فتصبح من أهم مناطق المضاربة العقارية والتلوث البيئى والتدهور البيئى والاجتماعى و نقص الأمن والراحة والخدمات.

معنى ذلك أن هذا التوسع يمثل مكوناً واقعياً من مكونات نمو المدن لكنه غير رسمى(Informal)، ويعترف به بعد سنوات حينما يُضم إداريا للمدينة.

من ناحية أخرى هناك عملية إعادة تصنيف المراكز العمرانية Re Clas-sification أى تحويل القرى إلى مدن صغيرة Transformation of Village into Small Towns ويقلل البعض من أهمية [illegible]

إن الدراسات التفصيلية قد أثبتت أهميتها في حالات كثيرة بأشكال متعددة أيضا ، منها على سبيل المثال حالة مدينة كمبالا فى أوغندا، فقد ورد حجمها فى تعداد عام ١٩٥٩ بأنه ٤٧٠٠٠ ساكن وهم سكان المدينة داخل الحدود الإدارية، الا أن حجم المنطقة الحضرية الفعلى كان أكثر من ١٠٠.٠٠٠ ساكن ولم يذكر هذا الفرق فى التعداد ضمن المدينة وقتها، وفى تعداد ١٩٦٩ ضُمت هذاالمناطق الخارجة عن الحدود إلى المدينة بحدود جديدة لتصبح كمبالا آليا ذات حجم ٣٣٢٠٠٠ ساكن (٦٢)، مما يعنى إحصائياً أن الحجم قد تضاعف سبع مرات تقريباً.. فهل هذا هو واقع النمو ؟! وتكرر نفس الوضع مع معظم المدن الكبرى فى الدول أو الأقاليم داخل الدول فقد إبتعلت داكار منطقة Yoff أثناء توسعها وإبتلعت نيروبى مقاطعة Kiambu (٦٢) الريفية إبان تمددها، وحدث نفس الشئ فى القاهرة التى إبتلعت المناطق الريفية فى القليوبية والجيزة، وكذلك الاسكندرية، كما رصدت الباحثة عملية إبتلاع المدينة للدواوير والمناطق الريفية المحيطة بمدينة طنجة فى جماعات العوامة وإجزنايه وبحراويين الريفية منذ أواخر الستينات وحتى عام ١٩٩٢، من خلال تحليل الصور الجوية المتتابعة ودراسة خصائص السكان والمسكن والتحولات الديموجرافية والاقتصادية والاجتماعية التى حدثت فى سكان هذه الجماعات، والذين كانوا يعملون فى قطاعات الأنشطة الاقتصادية المختلفة بالمدينة ويرتبطون بها ولم تُضم هذه المناطق إدارياً إلى المدينة الا فى تعداد أواخر عام ١٩٩٤، ذلك مع الأخذ فى الإعتبار أن هذه المناطق هى بالإضافة إلى زيادة سكانها تستقبل المهاجرين من مناطق الإرسال الأخرى، بل ومن داخل المدينة، كما أنها سجلت أثناء الدراسة معدلات نمو سريعة جداً وصلت فى بعض المناطق إلى أكثر من ٥٠٪ سنوياً، مع الأخذ فى الاعتبار أيضا أن مدينة طنجة عاصمة إقليمية ترتيبها السادس أو السابع بين المدن(٦٣)، والأمثلة كثيرة على أهمية هذه العملية كمكون للنمو الحضرى. ففى الجمهورية التونسية تطور عدد المدن (البلديات) من ٨٠ بلدية سنة ١٩٥٦ إلى ١٥٥ بلدية أو مدينة سنة ١٩٧٥ أى أن

عدد المدن تضاعف بقانون البلديات الذى تحولت بعض القرى بموجبه الى مدن، نفس الشئ حدث فى مصر إذ كان عدد المدن (فى تعداد سنة ١٩٤٧) ٩٨ مدينة، أصبح عددها ١١٧ مدينة سنة ١٩٦٠ ثم ١٣٦ مدينة سنة ١٩٦٦ ثم ١٥٧ مدينة سنة ١٩٧٦ وأخيراً ١٥٧ مدينة سنة ١٩٨٦ وهكذا.

يضاف إلى ماسبق عملية أخرى ترتبط ببعد النتائج الإحصائية عن الواقع والتى قد تحمل قدراً من التضليل، خاصة عند وضع حد أدنى لإحجام المدن، فعند تحديد المحلات الحضرية بحد أدنى ٢٠.٠٠٠ ساكن على سبيل المثال ماذا عن المحلات التى تقل بقدر ضئيل عن ذلك وحجمها ١٩٩٠٠ ساكن -مثلا- عند إجراء تعداد ما، بالقطع ستنمو المحلة خلال الفترة التعدادية خاصة إذا كانت متميزة بميزات محفزة للنمو، وربما يصل حجمها الى ٢٥٠٠٠ ساكن أو أكثر عند بدء التعداد التالى وفى هذه الحالة ستصنف ضمن المحلات الحضرية. ماذا عنها إذاً فى الفترة بين التعداديين؟!.

قد يؤدى تنفيذ مشروعات إعادة التوطين الريفى Rural Resettlement بغرض حل مشكلات المدن أو المناطق الريفية لإحداث التنمية الريفية الى زيادة النمو الحضرى فى بعض الأحيان، عندما تتحول بعض القرى الكبيرة المتميزة بمركزية وظيفية وموقعية نوعا ما بين أقرانها فى التجمع الجديد، إلى مدينة صغيرة تملك محفزات للنمو، وذلك ماحدث بالفعل عند تنفيذ برنامج Ujamaa Vijijini فى تنزانيا لإعادة التوطين والتنمية الريفية حيث إختيرت أفضل الأماكن لتوقيع قرى نووية كبيرة Nucleated Village فكان هذا كافياً لأن تصبح مناطق مركزية Central Place وظيفية فتحولت الى مدن صغيرة(٦٤)، ذلك بإعتبار التصنيف الوظيفى.

يضاف الى مكونات النمو الحضرى السابقة بعض الآليات التى تدفع بهذا النمو وتحفز مكوناته، منها إعادة التقسيم الإدارى فى الدولة بزيادة عدد المحافظات أو المقاطعات أو الولايات التى تبرز بها بعض المحلات وتُرفع إدارياً

إلى مرتبة أعلى بأن تصبح عاصمة إقليمة، ويؤدى إعادة تصنيفها من مركز تابع إلى عاصمة إلى تغيرات عديدة فى مكونات النمو الذى كان ضمن المعدلات البطيئة بسبب النزوح الحضرى-الحضرى والأمثلة على ذلك كثيرة أيضا منها على سبيل المثال حالة نيجيريا التى أدى إعادة التقسيم الإدارى بهاعام ١٩٦٧ إلى إضافة ١٢ ولاية جديدة، أعيد تقسيمها أيضا عام ١٩٧٦، مما أدى الى توقيع عواصم جديدة لهذه الولايات برفع مدن كالابار Calabar وجوس Jos وماديجيورى Maiduguri وسكوتو Sokoto وبعدها أبوكيوتا Abeokuta وأكيور Akure وبوتشى Bauchi وماكيوردى Makurdi ومينا Minna وأويرى Owerri؛ وقد كانت هذه المدن قبل رفعها Before Gaining إلى وضعها الجديد من بين أقل وأبطئ المراكز الحضرية نمواً فى إفريقيا فأصبحت بعد ذلك من أسرع المدن نمواً فى نيجيريا والمدن الإفريقية(٦٥)، وتغير نصيب الهجرة الوافدة اليها فى مكونات نموها، بعد أن كانت مصدراً للنزوج الحضرى.

يعنى ماسبق أن مكونات النمو الحضرى متعددة، كما أنها متغيرة وفقاً للظروف والمتغيرات السابق ذكرها وغيرها، وتُواجه دراسة هذه المكونات المختلفة بنقص فادح فى البيانات مع عدم دقتها لعدم دقة التسجيلات الحيوية، وعدم دقة بيانات التعدادات أو إغفالها لجوانب ترتبط بهذه العناصر، يضاف إلى ذلك عملية التضارب فى البيانات التى يواجهها الباحث إذا عثر على بيانات بسبب إختلاف الأساليب والمفاهيم المرتبطة بذلك بين الدول الإفريقية وبعضها، وبين التعدادات وبعضها، وبين تقديرات الأمم المتحدة وغيرها، و لتجنب الصعوبات المشار اليها اتجهت الأبحاث نحو تفريع مكونات النمو الحضرى الى مكونين أساسين أولهما: الزيادة الطبيعية، والثانى الهجرة بأنواعها وانماطها مضافاً اليها معظم المكونات الأخرى المذكورة سابقاً، أو غير المذكورة مثل الإبتلاع والضم الإدارى وإعادة التصنيف والرفع الإدارى إلى آخر هذه المكونات والآليات، بمعنى آخر يُحسب مقدار الزيادة الطبيعية من النمو ثم يُنسب المقدار الباقى إلى الهجرة والمكونات الأخرى التى ترتبط في الغالب الأعم بإعادة التصنيف بأشكال عديدة.

ولحساب معدل صافى الهجرة مضافاً اليه المكونات الأخرى يُطرح معدل نمو جملة السكان من معدل نمو سكان الحضر. أو يطرح معدل الزيادة الطبيعية من معدل النمو الحضرى فتصبح النسبة الباقية معبرة عن معدل صافى الهجرة و المكونات الأخرى(٦٦)، وبالتالى تعتبر هذه الأساليب وغيرها تقريبية الى حد بعيد..

١ - الزيادة الطبيعية واثرها فى نمو سكان الحضر.

وتشير الدراسات إلى أن نمو سكان الحضر يمكن أن يتحقق من خلال معدلات مرتفعة للزيادة الطبيعية، لكن فى حالة تساوى معدلات الزيادة الطبيعية المرتفعة بين كل من سكان الحضر وسكان المناطق الريفية لن تحدث عملية تحضر (أى زيادة في نسبة سكان الحضر عن سكان الأرياف)، بدون عملية إنتقال السكان الى المراكز الحضرية، ويتناقص سكان الحضر فى حالة غياب أو أنعدام الهجرة الى المراكز الحضرية، خاصة مع إستمرار انخفاض معدلات الزيادة الطبيعية.

ويتفاوت نصيب كل من الزيادة الطبيعية والهجرة في مكونات النمو الحضرى بين الدول النامية والأقل نمواً، والدول المتقدمة والأكثر تقدماً، كما يظهر التفاوت فى معدلات الزيادة الطبيعية بين سكان كل من الحضر والأرياف فى الدول المتقدمة، عنه بين كل من سكان الحضر والأرياف فى الدول النامية التى أثبتت دراسات عديدة إرتفاعها بين سكان الحضر والأرياف على السواء فى هذه الدول، لذلك تُرجع دراسات عديدة أيضا معظم النمو الحضرى فى الدول النامية وبالأخص فى أقل الدول نمواً إلى الزيادة الطبيعية لسكان الحضر إذ يرجع اليها حوالى ٦٠,٧٪ من جملة الزيادة فى سكان الحضر. مقارناً بحوالى ٣٩,٣٪ لمكون الهجرة من جملة النمو الحضرى. بينما يحدث عكس ذلك فى الدول المتقدمة إذ يرجع نمو الحضر إلى الهجرة وإعادة التصنيف والضم الإدارى بنسبة ٦٦.٦٪ بينما يرجع إلى الزيادة الطبيعية ٣٢,٣٪ فقط من جملة

نمو سكان الحضر، بينما يرتفع نصيب الزيادة الطبيعية فى المناطق التى تستقبل هجرات خارجية مثل فرنسا والسويد ولوكسمبرج وأستراليا..الخ. حيث ترتفع معدلات الزيادة الطبيعية بين المهاجرين وتصبح العلاقة ذات درجات عالية من التعقيد، كما أن هناك تفاوتاً كبيراً بين الدول والأقاليم داخل المجموعات الكبرى على مستوى العالم فى تقدير نصيب كل من الزيادة الطبيعية والهجرة من النمو الحضرى، ويرجع هذا التفاوت الكبير إلى التفاوت فى معدلات الزيادة الطبيعية الحضرية فى الدول النامية بصفة خاصة، وقد أصبح من المؤكد إذاً أن أسباب النمو الحضرى السريع تكمن في مجموعة كبيرة من الأسباب المعقدة والمتداخلة ينال مكوّن الزيادة الطبيعية المرتفعة نسبة كبيرة منها بلغت ٦٣,١٪ فى إفريقيا و٦٣,٧٪ في أمريكا اللاتينية (الجنوبية) ، وتفاوتت بين ٣٥ الى ٧٧,٩٪ فى أمريكا الوسطى، و٥٣,٢٪ فى آسيا وتفاوتت أيضاً بين ٣٦٪ و٦٠٪ بها، بينما كانت فى الأوقيانوسية ٦٥,٢٪ (بسبب إرتفاع معدلات الزيادة الطبيعية بين المهاجرين) وكذلك أمريكا الشمالية ٦٦,٣٪ لنفس السبب، بينما تفاوت نصيب الزيادة الطبيعية بين ٦٪ فى النمسا و٦٣,٦٪ فى النرويج، وذلك وفقاً لتقديرات الأمم المتحدة فى الفترة من الخمسينات إلى السبعينيات(٦٧) من القرن العشرين ويوضح الجدول رقم (١٢). هذه الحقائق كما يبين مدى تباينها بين الدول المختلفة.

من الواضح إرتفاع مساهمة الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى لسكان إفريقيا. ويرجع ذلك إلى إرتفاع معدلات الزيادة الطبيعية فى إفريقيا فى المناطق الريفية والحضرية على السواء لعدة أسباب متداخلة منها أرتفاع معدلات المواليد (أكثر من ٤٠ فى الالف) والخصوبة (أكثر من ٦) وإنخفاض معدلات الوفيات نسبياً (حوالى ١٠ فى الالف) ولسوء الحظ ليس هناك تسجيل كاف (للبيانات الحيوية) فى معظم الدول الإفريقية خاصة فى إفريقيا جنوب الصحراء، والموجود ليس أكثر من بعض المسوحات الخاصة والتى قد تؤدى

جدول رقم (١٢)
مصادر نمو سكان الحضر فى إفريقيا مقارنه بقارات العالم
(وبعض الدول المختاره من عام ١٩٥٠ - ١٩٧٥حسب التعدادات)

القارات والدول	مصادر نمو سكان الحضر		القارات والدول	مصادر نمو سكان الحضر	
	الزيادة الطبيعية %	الهجرة الداخلية واعادة التصنيف %		الزيادة الطبيعية %	الهجرة الداخلية واعادة التصنيف %
إفريقيا	٦٣,١	٣٦,٩	**أسيا**	٥٣,٤	٤٦,٦
غانا ٦٠ - ١٩٧٠	٥٧,٦	٤٢,٤	بنجلاديش	٤٤,٦	٥٥,٤
المغرب ٦٠ - ١٩٧٠	٦٣	٣٧	الهند	٦٩,٩	٣٠,١
جنوب إفريقيا ٥٠ - ١٩٥٠	٥٧,٤	٤٢,٦	اليابان	٣٥,٦	٦٤,٤
جنوب إفريقيا ٦٠ - ١٩٧٠	٧٤,٦	٢٥,٤	ج كوريا	٣٩,٥	٦٠,٥
أمريكا الشماليه والوسطى	٦٤,١	٣٥,٩	**أوربـا**	٣٣,٤	٦٦,٦
كندا ٦١ - ١٩٧١	٦٤,١	٣٥,٩	النمسا	٦,٠	٩٤,٠
الدومنيكان ٦١ - ١٩٧١	٥١,٨	٤٨,٢	بلغاريا	٢٢,٩	٧٧,١
السلفادور ٦١ - ١٩٧١	٧٧,٩	٢٢,١	فنلنده	١٥,١	٨٤,٩
المكسيك	٦٨,٣	٣١,٧	فرنسا	٤٤,١	٥٥,٩
بورتريكو	٣٥,٨	٦٤,٢	ايرلندا	٥١,٩	٤٨,١
الولايات المتحدة	٧٠,٨	٢٩,٢	النرويج	٦٣,٦	٣٦,٤
أمريكا الجنوبية	٦٣,٧	٣٦,٣	السويد	٥٠,٥	٤٩,٥
الأرجنتين	٤٩,٢	٥٠,٨	**الأوقيانوسية**	٦٥,٢	٣٤,٨
البرازيل	٥٠,٤	٤٩,٦	استراليا	٧٩,٧	٢٠,٣
أكوادور	٧٠,٤	٢٩,٦	نيوزيلندا	٥٠,٦	٤٩,٤
أرجواى	٩٢,٧	٧,٣	**الدول النامية**	٦٠,٤	٣٩,٦
بيرو	٨٥,٤	٤١,٦	**أقل الدول نموا**	٦٠,٧	٣٩,٣
فنزويلا ٥٠ - ١٩٦٠	٦٣,٣	٣٦,٧	**الدول المتقدمة**	٤٢,٦	٥٧,٤
فنزويلا ٦٠ - ١٩٧٠	٧٢,٢	٢٧,٨	**الأقل تقدما**	٤٠,٢	٥٩,٨

المصدر : الهجرة واعادة التصنيف مستخرجه من :

United Nation, (1980), OP. Cit . ,PP.23 - 24

الزيادة الطبيعية من حساب الباحث

إلى نتائج سطحية وجزئية، حيث هناك من العوامل ما يؤدى إلى بيانات متضاربة بين الريف والحضر.

وقد أشارت دراسات عديدة إلى إحتمالات إنخفاض معدلات الزيادة الطبيعية فى الحضر، وتُرجع السبب فى ذلك إلى ارتباط الخصوبة المنخفضة بالتحضر. وهو تبنٍ واضح للنموذج الغربى، لكن الواقع فى إفريقيا يؤكد أن إنخفاض الخصوبة لايميز سوى النخبة قليلة العدد Small Part of The elite من جملة سكان الحضر أو المدينة، وهم الحضر الأكثر عراقة حيث نسبة التعليم مرتفعة والحصول على الخدمات الصحية ميسور، أما غالبية السكان فى المدن الإفريقية والمدن فى الدول النامية عموماً فهم من محدثى التحضر حيث مازال السلوك الإنجابى متأثراً بالقيم الريفية والقبلية، ونظراً لإنخفاض الوفيات بمجرد تحسن الأحوال الصحية وخاصة وفيات الأطفال لذلك قد ترتفع الزيادة الطبيعية فى بعض المدن إرتفاعاً طفيفاً عن المناطق الريفية المجاورة رغم انخفاض المواليد قليلاً عنها فى الأرياف أيضا.

تفيد المؤشرات الديموجرافية لدول إفريقيا إلى ارتفاع معدل الخصوبة عن ٦ أطفال في معظم الدول ومن المأمول أن تنخفض هذه المعدلات مع إنتشار التعليم، وقد وجد مورجان عام ١٩٧٥ (Morgan) أن معدل الخصوبة يرتفع فى أبيدچان عن الأرياف المجاورة (٦٨). ومثلة طومبسون فى عام ١٩٧٨ (Thomp-son) (٦٩). حيث وجد أن معدل الخصوبة لدى الحضر يرتفع عنه فى الأرياف بأوغندا، وقد وجُد أن أخفض معدل للخصوبة بالمناطق الحضرية بإفريقيا جنوب الصحراء (المدارية) قد سُجل فى إثيوبيا، كما لوحظ أيضاً إنخفاض معدل المواليد الخام فى حضر إثيوبيا عن الأرياف المجاورة. أما (Caldwel,1975) كالدويل(٧٠)، فقد لاحظ العديد من الإختلافات بين دولة وأخرى، منها غانا حيث ينخفض معدل الخصوبة فى الحضر عنه فى الأرياف، بينما كان معدلها أكثر ارتفاعا فى الحضر عن الأرياف فى زائير والجابون، وقد ترتفع الخصوبة فى الحضر فى بعض المجتمعات البدائية لإرتباطها بالعادات التى تحبذ الحمل

أثناء فترة إرضاع الطفل السابق، بينما بعض المجتمعات تفضل إناثها الحمل كل ٣ أو ٤ سنوات فى الحضر مع توافر الرعاية الصحية التى تقلل من إحتمالات الإجهاض أو وفيات الأطفال، كما تتأثر الخصوبة بالزواج المبكر أو تأخر سن الزواج خاصة فى الحضر حيث تتم نسبة من الإناث المرحلة الثانوية من التعليم والمرحلة الجامعية منه، لكنها ترتفع أيضا كلما إرتفع معدل وفيات الأطفال فترغب المرأة (أو الأسرة) فى إنجاب ١٠ أطفال ربما يعيش ٥ أطفال. كما تتأثر بسياسات التخطيط العائلى وإنتشار وسائل منع الحمل، أما إرتفاع معدلات الطلاق فقد كان سبباً مهماً يفسر إنخفاض معدلات الخصوبة والمواليد فى آديس آبابا بإثيوبيا [٧١] على سبيل المثال. ويوضح جدول رقم (١٣) ارتفاع معدلات الخصوبة والمواليد والوفيات والزيادة الطبيعية فى أقاليم إفريقيا وبعض دولها.

والواقع أن دور الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى في الدول النامية يستمد أهميته من عامل الإستمرارية الذى يميزه ليس فقط بين سكان الحضر القدامى أو القاطنين بالمدن لفترة طويلة، بل إن دوره أكثر أهمية بين المهاجرين وخاصة الأحدث من بينهم فى الوصول إلى المدينة، كما إن آثار الهجرة الواضحة على هرم السكان فى إرتفاع نسبة الفئات العمرية الشابة قد ترفع من معدلات الزيادة الطبيعية. إلا أن الدراسات ركزت على الهجرة ودورها فظهرت مبالغا فى أهميتها Exaggerated بينما ظهر دور الزيادة الطبيعية أقل من واقعة Understated لذلك لم تجذب الزيادة الطبيعية الإنتباه بالقدر الكافى كما فعلت الهجرة فى جذب الإنتباه، وتشير كل المؤشرات إلى أن معظم المدن بالدول الإفريقية متورطه فى عمليات النمو السريع التى تنعكس على معدلات النمو السكانى السريع على المستوى القومى، والتى تمثل الزيادة الطبيعية قسط وافر منها. كما يوضح الجدول رقم (١٣) حيث تتراوح فى معظم الدول بين ٢٪ و ٣٪ وقد ترتفع عن ٣٪ سنوياً.

جدول رقم (١٣)
معدلات الزيادة الطبيعية والمواليد والوفيات والخصوبه
فى إفريقيا وبعض دولها المختاره فى الفتره من عام ١٩٨٠ ـ ١٩٩٥

	معدل الخصوبه		معدل المواليد الخام فى الالف		معدل الوفيات الخام فى الالف		الزيادة الطبيعية %	
	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥
★إفريقيا	٦,٣	٥,٧	٤٤,٨	٤٠,٩	١٥,٦	١٣,٣	٢,٩٢	٢,٧٦
إفريقيا الشمالية	٥,٢	٤	٣٧,٣	٣٠,٣	١١,١	٨,٢	٢,٦٢	٢,٢١
الجزائر	٥,٧	٣,٧	٣٧,٣	٢٨,٤	٩,١	٦,١	٢,٨٢	٢,٢٣
مصر	٤,٨	٣	٣٦,٩	٢٨,١	١١,٢	٧,٧	٢,٥٧	٢,٠٤
ليبيا	٧	٦,٢	٤٤,٨	٤١,١	١٠,١	٧,٦	٣,٤٧	٣,٢٥
المغرب	٤,٨	٣,٥	٣٣,٤	٢٧,٦	١٠,٤	٧,٧	٢,٣	١,٩٩
إفريقيا الغربية	٦,٦	٦,٤	٤٧,٤	٤٥,	١٨	١٥,٤	٢,٩٤	٢,٩٦
بنين	٧,١	٦,٩	٤٩,٢	٤٧,٥	٢٠	١٧,٢	٢,٩٢	٣,٠٣
بوركينا فاسو	٦,٥	٦,٣	٤٧,١	٤٥,٧	١٩,٢	١٨,١	٢,٧٩	٢,٧٦
كوت ديفوار	٧,٤	٧,٢	٥٠,١	٤٩	١٥,٣	١٥,٢	٣,٤٨	٣,٢٨
غينيا	٧	٦,٨	٥١,٢	٤٩,٤	٢٢,٩	١٩,٥	٢,٨٣	٢,٩٩
مالى	٧,١	٦,٩	٤٧,٣	٤٦,٢	١٦,٣	١٣,٥	٣,١	٣,٢٧
موريتانيا	٥,٩	٥,٣	٤١,٧	٣٩,٢	١٧,٢	١٣,٩	٢,٤٥	٢,٥٣
نيجريا	٦,٥	٦,٣	٤٦,٤	٤٤,١	١٧,٦	١٤,٨	٢,٨٨	٢,٩٣
إفريقيا الوسطى	٦,٧	٦,٥	٤٦,٢	٤٤,٣	١٦,٣	١٤,٨	٢,٩٩	٢,٩٥
تشاد	٥,٩	٥,٧	٤٦,٤	٤٤,٤	١٧,٥	١٥,٢	٢,٩١	٢,٩٢
الكنغو	٦,٣	٦,١	٤٤,١	٤٣,٨	١٥,٣	١٥	٢,٨٨	٢,٨٨
الجابون	٤,٨	٥,٥	٣٥,٢	٣٧,٨	١٧,٤	١٥	١,٧٨	٢,٢٨
زائير	٦,٧	٦,٥	٤٨	٤٦,٤	١٥,٦	١٤,٣	٣,٢٤	٣,٢١
إفريقيا الشرقية	٦,٨	٥,٩	٤٧,٩	٤٢,٩	١٧,٤	١٤,٣	٣,٠٥	٢,٨٦
كينيا	٧,٢	٦,١	٤٧,٤	٤٣,٨	١٢,٥	١١,٧	٣,٤٩	٣,٢١
مالاوى	٧,٥	٧	٥٢,٨	٤٩,٢	٢٠,٩	١٩,٨	٣,١٩	٢,٩٤
موريشوس	٢,٣	٢,٣	٢٠,٩	٢٠,٢	٦,٣	٦,٦	١,٤٦	١,٣٦
موزمبيق	٦,٥	٦,٣	٤٥,٧	٤٤,١	١٩,٦	١٨,١	٢,٦١	٢,٦
ج جنوب افريقيا	٤,٦	٤	٣٤,٢	٣٠,٥	١٠,٤	٨,٤	٢,٣٨	٢,٢١

المصدر : مستخرج من :
E C A.(1995), African socio - economic indicators,
U N ..P.P. 6 - 8

٢ - الهجرة وأثرها فى نمو سكان الحضر.

تسهم الهجرة بنصيب وافر أيضاً فى نمو سكان الحضر فى إفريقيا، وتشير الدراسات العديدة التى تناولت قضية سرعة نمو سكان الحضر في إفريقيا سواء فى دولها العربية أو دولها المدارية على أساس إقليمى أو من خلال الدول، كذلك دراسات المدن التفصيلية، إلى أهمية دور الهجرة فى هذا النمو السريع، وقد أوضح هانس عام ١٩٧٠(Hance) أن الهجرة الداخلية وخاصة الريفية الحضرية منها تعد إلى جانب الزيادة الطبيعية أهم أسباب النمو السريع للمدن فى إفريقيا، مما أضعف العلاقة بين معدلات النمو الحضرى والنمو الإقتصادى، كما لم ترتبط زيادة معدلات التحضر فى إفريقيا بتنمية ريفية فاتسعت الفجوة بين المناطق الحضرية والمناطق الريفية، مما يدفع إلى النزوح الريفى والنمو الحضرى، مما يعنى أن علاقة المدينة الإفريقية بظهيرها الريفى علاقة قوامها السيطرة الاقتصادية والبشرية والثقافية خاصة المدينة الاولى والمدن الكبرى (٧٢).

وقد عرفت إفريقيا الهجرة الداخلية بأنماطها الأربعة السابق الإشارة اليها، كما عرفت الهجرة الخارجية وسائر أنواع الهجرة، وتُواجة دراسة الهجرة فى إفريقيا بضعف البيانات وندرتها نظراً لتخلف معظم دول القارة تعدادياً وأقصى ماتتضمنه التعددات سؤال عن محل الاقامة وسؤال عن محل الميلاد ومده الأقامة وغيرها من الأسئلة التى تمكن من تحديد تيارات وإتجاهات الهجرة عن ذلك الطريق غير المباشر، بينما تفتقر التعدادات حتى فى الدول الرائدة فى إجراء التعدادات كمصر وتونس والمغرب إلى حد ما...الخ، إلى أسئلة عن مدى الهجرة وطبيعتها وأسبابها وأثارها وخصائص المهاجرين عند الهجرة وعقبها ونوعية الأعمال التى مارسها المهاجرون منذ نزوحهم والدخول التى حصلوا عليها وأوجه إنفاقها، وتفاصيل أخرى عديدة تتطلبها الدراسات التطبيقية بهدف وضع مخططات التنمية والسياسات المختلفة، لذلك تعتمد معظم الدراسات على دراسة حالات معينة، أو بعض المسوحات الخاصة، لذلك كان معظم التركيز على الهجرة

الوافدة والهجرة النازحة وحساب صافى الهجرة. وقد دارت مناقشات كثيرة حول أسباب التدفقات البشرية صوب المدن، وكذلك حول فائدتها بالنسبة للمجتمعات، وإختلفت النظرة إلى الهجرة الداخلية إلى المدن من الاستحسان إلى الاستهجان قبل الستينات وبعدها، ومازالت الآراء مختلفة حولها، إلا أن الواقع الاقتصادى والاجتماعى للدول الفقيرة جعل من الهجرة الداخلية سبباً رئيسياً للعديد من المشكلات التى تعانى منها المدن وسكانها(٧٣).

وتتباين مشاركة الهجرة الداخلية وإعادة التصنيف من إقليم إلى آخر، ومن دولة إلى أخرى ومن مدينة إلى أخرى، ويوضح الجدول التالى نصيب الهجرة من النمو الحضرى فى أقاليم إفريقيا وذلك خلال الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٥. مقارناً بنسبة الزيادة الطبيعية من هذا النمو.

جدول رقم (١٤)

مكونات النمو الحضرى فى أقاليم إفريقيا فى الفتره من عام ١٩٥٠إلى ١٩٧٥.

الإقليم	١٩٥٠ - ١٩٦٠		١٩٧٠ - ١٩٧٥	
	نسبة الزيادة الطبيعية%	نسبة الهجرة الداخلية وإعادة التصنيف %	نسبة الزيادة الطبيعية%	نسبة الهجرة الداخلية وإعادة التصنيف %
إفريقيا الشرقية	٣٨,٥	٦١,٥	٤٨,٣	٥١,٧
إفريقيا الوسطى	٣١,٣	٧٨,٧	٣٨,٩	٦١,١
إفريقيا الشمالية	٥٤,٥	٤٥,٥	٤٢	٥٨
إفريقيا الجنوبية	٦٣,٥	٣٦,٥	٧١,٧	٢٨,٣
إفريقيا الغربية	٤٢,٥	٥٧,٨	٥١,٣	٤٨,٧

المصدر : مستخرج من :

World Bank Staff Paper, N . 342, (1979), Policies for efficient Equitalbe Growth of Cities in D eveloping Countries, July , P.72

وذلك باعتبار تساوى الزيادة الطبيعية فى كل من الريف والحضر.

يتضح من تحليل الجدول تباين مساهمة الهجرة واعادة التصنيف فى النمو الحضرى بين ٧٨,٧٪ لإقليم إفريقيا الوسطى و ٣٦,٥٪ لإقليم إفريقيا الجنوبية، أى أن التباين كان بنسبة ٤٢.٢٪ ذلك بين ١٩٥٠ و ١٩٦٠ بينما كان التباين بين ٦١,١٪ لإفريقيا الوسطى أيضا و ٢٨,٣٪ فى افريقيا الجنوبية وكان الاتجاه العام نحو تناقص نصيب الهجرة من النمو الحضرى فى كل الأقاليم فيما عدا إقليم إفريقيا الشمالية، وبصفة عامة ترتفع مساهمة الهجرة خلال السنوات المذكورة عن ٥٠٪ فى إفريقيا الشرقية والوسطى والشمالية، بينما تنخفض عن ٥٠٪ فى إفريقيا الجنوبية وإفريقيا الغربية، مما يرفع من مساهمة الزيادة الطبيعية فى نمو سكان الحضر خاصة فى إقليم إفريقيا الجنوبية إلى ٧١,٧٪ بين عام ١٩٧٠-١٩٧٥.

ويوضح الجدول رقم (١٥) مكونات نمو سكان الحضر وفق مساهمة كل من الهجرة والزيادة الطبيعية من ذلك النمو فى الفترة الممتدة من عام ١٩٨٥ إلى ١٩٩٥، ومن تحليل الجدول يتضح إستمرار الإتجاه نحر تزايد مساهمة الهجرة فى النمو الحضرى فى كل أقاليم القارة خلال العشر سنوات من عام ١٩٨٥ إلى ١٩٩٥، ذلك رغم تفوق نصيب الزيادة الطبيعية من النمو الحضرى على نصيب الهجرة منه، وإن كان قد تناقص من ٦٦,١٪ الـى ٦٤,٤٪ على مستوى القارة وبالتالى كان نصيب الهجرة متزايداً من ٣٣,٩٪ فى النصف الأول من الفترة إلـــى ٣٥,٦٪ فى آخر الفترة، كما يُميز هذه الفترة تفوق مساهمة الهجرة على النمو الطبيعى لسكان الحضر بإقليم إفريقيا الغربية خلال السنوات السابقة من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٥، وذلك لأول مرة، ربما كان للجفاف بإقليم الساحل دور مهم فى إشتداد تيارات النزوح إلى المدن.

أما إقليم إفريقياالجنوبية فمازال حول معدله حيث تتفوق الزيادة الطبيعية على مساهمة الهجرة، ذلك بسبب القوانين الصارمة التى تطبقها جنوب إفريقيا ضمن سياسة إقرار السكان وإغلاق بعض المدن أمام الهجرة.

بينما إنعكست الصورة فى إقليم شمالى إفريقيا وعادت ،مساهمة الزيادة الطبيعية إلى إرتفاعها حيث تساهم بنحو ٧٦,٦٪ بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٠، وإن انخفضت قليلاً إلى ٧٠,٥٪ بين عامى ١٩٩٠-١٩٩٥. والتالى إنخفض نصيب الهجرة من ٥٨٪ بين عامى ١٩٧٠-١٩٧٥ إلى ٢٣,٤٪ بين عامى ١٩٨٥-١٩٩٠، ثم أرتفع مرة أخرى الى ٢٩,٥٪ بين عامى١٩٩٠-١٩٩٥،

بينما إرتفع أيضا نصيب الزيادة الطبيعية وإنخفض نصيب الهجرة وإعادة التصنيف فى إقليم إفريقيا الوسطي من ٣٨,٩ خلال الفترة السابقة إلى ٧٢,٥٪ فى الفترة من عام ٨٥-١٩٩٠، وإن انخفضت قليلاً الى ٦٩,٣٪ فى الفترة من عام١٩٩٠ إلى ١٩٩٥. وبالتالى إنخفضت مساهمة الهجرة من ٦١,١٪ إلــى ٢٧,٥٪، ثم ارتفعت إلى ٣٠,٧٪ فى آخر الفترة، أما إقليم إفريقيا الشرقية فكان الإقليم الثانى الذى تزايد فيه نصيب الهجرة من النمو الحضرى بنسبة كبيرة من ٣٣,٤٪ عام ١٩٨٥-١٩٩٠ إلى ٤٤,٥٪ بين عامى ١٩٩٠-١٩٩٥، الى جانب اقليم إفريقيا الغربية ٦١,٥٪ وإن كانت هذه المساهمة أقل من مثيلتها خلال الفترة من ١٩٧٠ الى ١٩٧٥ فى شرقى إفريقيا.

ويعكس ذلك ظروف الجفاف بإقليم شرق وغرب وشمال إفريقيا إلى حد ما.. كما يعكس أثار الحروب الأهلية والنزاعات وتزايد أعداد اللاجئين، كما تعتبر هذه التقديرات وغيرها تقريبية لتعقد آليات النمو الحضرى وضوابطه وتغيرها إنعكاسا للظروف المحيطة والمؤثرة. ومن هنا تبرز الذبذبة الواضحة وتأرجح مساهمة كل من الزيادة الطبيعية والهجرة في ذلك النمو، مع ملاحظة أن الهجرة تضم مكونات نمو أخرى سبقت الاشارة اليها. أهمها إعادة التصنيف والضم الإدارى . وبصفة عامة مازالت النسبة العامة لمساهمة الهجرة وإعادة التصنيف - وبالتالى نسبة مساهمة الزيادة الطبيعية - حول معدلاتها خلال الفترة من ١٩٥٠-١٩٧٥، وبالتالى تدور حول ١ إلى ٣ من مكونات النمو على مستوى القارة من ١٩٥٠ حتى ١٩٩٥. وتتباين بين الأقاليم والدول، ويبرز غرب إفريقيا كأكثر الأقاليم تأثراً بالهجرة فى أواخر هذه الفترة ٦١,٥٪، يليه شرق إفريقيا

جدول رقم (١٥)

مكونات نمو سكان الحضر فى قارة إفريقيا والاقاليم من سنة ١٩٨٥إلى ١٩٩٥(٪).

	معدل الزيادة الطبيعية لجملة السكان ٪		معدل النمو السنوى لسكان الحضر ٪		تقدير معدل الهجرة السنوى ٢ ــ ١ = معدل الهجرة ٪		مساهمة الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى ٪		مساهمة الهجرة واعادة التصنيف فى النمو الحضرى ٪	
	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥	١٩٨٠ ١٩٩٠	١٩٩٠ ١٩٩٥
إفريقيا	٢,٨٧	٢,٨٢	٤,٢٤	٤,٣٨	١,٤٧	١,٥٦	٦٦,١	٦٤,٤	٣٣,٩	٣٥,٦
إفريقيا الشرقية	٣,٠٧	٣,٠٢	٥,٥٥	٥,٤٤	١,٨٥	٢,٢٤	٦٦,٦	٥٥,٥	٣٣,٤	٤٤,٥
إفريقيا الوسطى	٣,٠٣	٣,٠٩	٤,١٨	٤,٤٦	,٨٨	,٥٦	٧٢,٥	٦٩,٣	٢٧,٥	٣٠,٧
إفريقيا الشمالية	٢,٥٣	٢,٢٧	٣,٣٠	٣,٢٢	,٧٧	,٩٥	٧٦,٦	٧٠,٥	٢٣,٤	٢٩,٥
إفريقيا الجنوبية	٢,٣٨	٢,٣	٢,٩٠	٣,١٢	,٥٢	,٨٢	٨٢	٧٣,٧	١٨	٢٦,٣
إفريقيا الغربية	٢,٩٨	٢,٠٢	٥,١٢	٥,٢٤	٢,٣٣	٣,٢٢	٥٦	٣٨,٥	٤٤	٦١,٥

المصدر : تم حساب الزيادة الطبيعية اعتماداً على معدلات المواليد والوفيات من :

- U.N., (1990),World populatoin, populatoin Prospects, P. 302, P346 Tables A - 14 , A - 15, A - 22 , A - 23

ـ معدلات النمو الحضرى مستخرجة من :

- U.N.,(1995), World Urbanzation Prospects, OP, Cit, P, ` 114 ` Table A.7

ـ تقدير معدل صافى الهجره من حساب الباحثة بإعتبار تساوى معدلات الزيادة الطبيعية بين الريف والحضر عمود ٢ ـ عمود ١

ـ التوزيع النسبى لمكونات نمو سكان الحضر بين الزيادة الطبيعية والهجرة وإعادة التصنيف من حساب الباحثة.

٤٤,٥٪ ثم وسط إفريقيا ٣٠,٧٪ ثم شمالى إفريقيا ٢٩,٥٪ فجنوبى إفريقيا ٢٦,٥٪ خلال السنوات الخمس الأخيرة من ١٩٩٠ الى ١٩٩٥.

وقد توصل حمادى بثبوت عام ١٩٩٣ إلى مدى التفاوت بين نسبة كل من الزيادة الطبيعية والهجرة الخارجية والنزوح الريفى مضافا اليه إعادة التصنيف وخلافه كمكونات للنمو الحضرى فى الدول العربية خلال الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٩٠، وقد إستُخلص الجدول رقم (١٦) من دراسته (٧٤).

جدول رقم (١٦)
التوزيع النسبى لمكونات النمو الحضرى فى الدول العربية الإفريقية
فى الفتره من سنة ١٩٥٠ الى سنة ١٩٩٠ (٪)

الدولة	١٩٥٠ ـ ١٩٥٥			١٩٦٥ ـ ١٩٧٥			١٩٨٥ ـ ١٩٩٠		
	الزيادة الطبيعية ٪	الهجرة الخارجية ٪	الهجرة الداخلية وإعادة التصنيف ٪	الزيادة الطبيعية ٪	الهجرة الخارجية ٪	الهجرة الداخلية وإعادة التصنيف ٪	الزيادة الطبيعية ٪	الهجرة الخارجية ٪	الهجرة الداخلية وإعادة التصنيف ٪
مصر	٥٦٪	صفر	٤٤	٧٥	صفر	٢٥	٦١	٦	٣٣
الجزائر	٤٨	صفر	٥٢	٨٢	صفر	١٨	٧٠	صفر	٣٠
ليبيا	٦٣	صفر	٣٧	٢٤	٣٣	٤٣	٦١	٦	٣٣
موريتانيا	١٤	صفر	٨٦	١٩	صفر	٨١	٤١	صفر	٥٩
المغرب	٦٦	صفر	٣٤	٦٦	صفر	٣٤	٥٣	١٦	٣١
الصومال	٣٠	٣١	٣٩	٤١	١٩	٤٠	٤٠	٤٤	١٦
السودان	٢٥	صفر	٧٥	٣١	صفر	٦٩	٦٧	صفر	٣٣
تونس	٨٣	صفر	١٧	٦٤	صفر	٣٦	٧٤	١٥	١١

المصدر : عن حمادى بتبوت ، (١٩٩٣)، مرجع سابق ص ٥٢، ٥٥، ٥٦

يتضح من تحليل الجدول أهمية مساهمة الهجرة فى النمو السكانى الحضرى فى دول شمال إفريقيا العربية، حيث يمثل أكثر من ثلث جملة النمو فى عدد كبير من هذه الدول، وإن تميز بالتذبذب من فترة إلى أخرى لكن يلاحظ بصفه عامة إرتفاع نصيب الهجرة الداخلية في نمو سكان الحضر بموريتانيا إلى ٥٩٪ بين ١٩٨٥-١٩٩٠، وإن كان قد إنخفض من ٨٦٪ بين ١٩٥٠-١٩٥٥ إلى ٨١٪ بين ٦٥-١٩٧٠، وفى المقابل إرتفع نصيب الزيادة الطبيعية من ١٤٪ إلى ١٩٪ إلى ٤١٪ خلال الفترات المذكورة، ويرجع ذلك إلى الإستقرار النسبى وتحسن الأحوال الصحية فى المدن نسبياً بالإضافة الى موجات الجفاف والقحط فى المناطق الريفية والصحراوية حيث ترتفع نسبة البداوة فى موريتانيا. كذلك

إنخفض نصيب الهجرة الداخلية فى نمو سكان الحضر بالسودان من ٧٥٪ سنه ١٩٥٠، ١٩٥٥ إلى ٦٩٪ فى عام ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥، ثم إلى ٣٣٪ بين ١٩٨٥–١٩٩٠، كما إنخفض فى مصر من ٤٤٪ إلى ٢٥٪ إلى ٣٣٪، وكذلك الجزائر من ٥٢٪ إلى ١٨٪، ثم إرتفع إلى ٣٠٪ ويظهر أيضا إرتفاع نصيب الهجرة الخارجية فى نمو السكان فى الصومال خلال كل الفترات المذكورة متغيراً من ٣١٪ إلى ١٩٪، ثم مرتفعاً إلى ٤٤٪، أى أكثر من نصيب الهجرة الداخلية وهو ١٦٪ ونصيب الزيادة الطبيعية أى ٤٠٪ بين ١٩٨٥–١٩٩٠، ربما يرجع ذلك إلى اللجوء والإضطرابات السياسية فى القرن الإفريقى خلال هذه الفترة بالاضافة الى الجفاف، كما يظهر نصيب الهجرة الخارجية واضحاً فى ليبيا من ١٩٦٥، حيث وصل إلى ٣٣٪ بين ٦٥–١٩٧٠، ثم إنخفض إلى ٦٪ بين ١٩٨٥–١٩٩٠، فى حين ظهر نصيب الهجرة الخارجية فى كل من تونس ١٥٪، والمغرب ١٦٪ ومصر ٦٪ فى نفس الفترة ٨٥–١٩٩٠، والإتجاه العام الذى يتضح من تحليل ذلك الجدول هو تزايد نصيب الزيادة الطبيعية من مكونات النمو الحضرى فى معظم الدول خلال كل الفترات، بينما ظهر إرتفاع نصيب الهجرة فى أول الفترة عن آخرها فى معظم الدول مع ظهور نصيب الهجرة الخارجية فى آخرها أيضا فى دول عديدة وفى الصومال وليبيا من قبل.

وتعد البداوة أحد الأسباب فى عدم تحديد حجم الهجرات الداخلية بدقة فى العديد من الدول حيث ترتفع نسبتهم، وقد أثبتت الدراسات أن الهجرة الداخلية تشمل نسبة كبيرة من سكان العديد من الدول الإفريقية تصل إلى أكثر من ٢٠٪ فى كوت ديفوار، وليبريا وزامبيا وتتراوح بين ١٥ و ٢٠٪ فى غانا وسيراليون وأوغندا وبين ١٠ و ١٥٪ فى كل من تونس، توجو وكينيا وجامبيا وملاوى والسنغال، وذلك فى الفترة من عام ١٩٦٠ إلى ١٩٨٠(٧٥).

وكما إتضح التباين فى مساهمة كل من الهجرة وإعادة التصنيف والزيادة الطبيعية فى النمو لحضرى بين الدول العربية، يظهر هذا التباين أيضاً على

مستوى الدول فى إفريقيا غير العربية، ويمكن ملاحظة ذلك من إستقراء الجدول رقم (١٧)، من خلال بعض النسب المرتبطة بعدد من الدول الإفريقية(٧٦).

جدول رقم (١٧)
التوزيع النسبى لمكونات النمو الحضرى فى بعض دول إفريقيا
(خلال تعدادات مختلفة فى الفتره من ١٩٦٠ ـ ١٩٨٠) ٪

الدولة	نسبه مساهمة الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى السنوى ٪	نسبة مساهمة الهجرة وإعادة التصنيف فى النمو الحضرى السنوى ٪	الدولة	نسبه مساهمة الزيادة الطبيعية فى النمو الحضرى السنوى ٪	نسبة مساهمة الهجرة وإعادة التصنيف فى النمو الحضرى السنوى ٪
كينيا	٥٢,٦	٤٧,٤	بوركينا فاسو	٤٥	٥٥
تنزانيا	٣٨,١	٦١,٩	كوت د فوار	٤١	٥٩
زيمبابوى	٤٠	٦٠	جامبيا	٣٥	٦٥
بتسوانا	٤٦,٣	٥٣,٧	ليبريا	٤٠	٦٠
غانا	٥٨,٥	٤١,٥	السنغال	٦٠	٤٠
توجو	٥٩,٧	٤٠,٣	سيراليون	٥٦	٤٤
جنوب افريقيا	٧٤,٤	٢٥,٦			

المصدر : نسبة الهجرة وإعادة التصنيف من :

- E CA , (1994), Pattern , Causes and consequences for development Planning of Female Migration in Selected ECA Member States, Dec. 1994, ECA / POP./ TP 194 / 3 (6) . P. 70.

من إستقراء الجدول يتضح إرتفاع مساهمة الهجرة فى النمو الحضرى فى كل من تنزانيا إلى ٦١.٩٪ وجامبيا ٦٥٪ وليبريا ٦٠٪ وزيمبابوى ٦٠٪، وفى كوت ديفوار ٥٩٪ وفى بوركينا فاسو إلى ٦٠٪ وفى بتشوانا إلى ٥٣.٧٪، وبذلك ترتفع عن مساهمة الزيادة الطبيعية فى ذلك النمو، والتى تصبح غالبة فى كينيا ٥٢,٦٪ وغانا ٥٨.٥٪ وتوجو ٥٩.٧٪ والسنغال ٦٠٪ وسيراليون ٥٦٪ ويتضح من تحليل هذه الأرقام التقارب النسبى فى مساهمة تلك المكونات مع وضوح مساهمة الزيادة الطبيعية، مع عدم الإستهانة بنسبة مساهمة عامل الهجرة والتى

ترتبط فى إفريقيا بالتفاوت الإقتصادى وجذب مناطق الصناعة والتعدين وخاصة تعدين الماس والذهب فى جنوب إفريقيا، وتعدين النحاس فى زامبيا وزائير الخ. والمزارع الواسعة فى شرق إفريقيا ونشاط التجارة والخدمات فى العواصم والموانى، وتساهم الهجرة بنصيب وافر فى الدول والمدن التى تتميز بإرتفاع معدلات النمو السنوى لسكان الحضر عن معدل النمو العام.

لذلك تتميز المدن الكبرى سريعة النمو بإرتفاع نسبة المهاجرين وانخفاض نسبة المولودين بها خاصة فى الفئات العمرية الوسطى التى تمثل القوة العاملة المهاجرة نسبة كبيرة منها، كذلك بين الذكور بهذه الفئات العمرية مما يؤثر على هرم السكان العمرى النوعى لسكان المدن المتأثرة بالهجرة عنه فى المدن غير الجاذبة للهجرة، وكذلك عن هرم السكان العمرى النوعى فى المناطق الطاردة وخاصة المناطق الريفية كمحصلة لتأثر التركيب العمرى والنوعى للسكان بالهجرات بأنواعها. ويوضح الجدول رقم (١٨) مدى إنخفاض نسبة المولودين فى بعض المدن الكبرى إلى جملة سكانها الذين ترتفع نسبة المهاجرين بينهم بدرجة ملحوظة، ومن الملاحظ أن معظم المولودين بالمدن الكبرى من الفئات العمرية الصغيرة، كما أوضحت الدراسات المسحية والتفصيلية لبعض المدن الإفريقية، فقد وجُد فى لوساكا أن معظم المولدين بها من الأطفال، وكذلك معظم المولدين بالمدن الكبرى فى زامبيا وكينيا وتنزانيا وأوغندا خلال السنوات منذ ١٩٦٠ إلى ١٩٨٠ (٧٧). كما يتضح إرتفاعها فى بعض المدن الأخرى.

تركز الدراسات بإستمرار على أهمية دور الهجرة الريفية الحضرية فى إفريقيا، إلا أن الدراسات التفصيلية قد أكدت أن أنماط الهجرة الداخلية الأخرى ذات أهمية واضحه فى حالات عديدة حيث وجد (Zachariah and Comde : 1981) فى غانا أن نسبة واضحة من المهاجرين إلى المدن الكبرى قد نزحوا من مدن أخرى صغيرة، كما اتضح "لبيل" سنة Peil١٩٧٢ من خلال مسح عمال الصناعة أن ١٩٪ فقط ولدوا بالمدينة بينما ٧٪ نزحوا من مدن كبرى

جدول ١٨

التوزيع النسبى لسكان المدن الإفريقية حسب محل الميلاد

نسبه المولدين بالمدينة إلى نسبة المهاجرين اليها (٧٨)

المدينة	السنة	نسبة المولودين بالمدينة من جملة السكان %	نسبة المهاجرين من جملة سكان المدينه %	المدينة	السنة	نسبة المولودين بالمدينة من جملة السكان %	نسبة المهاجرين من جملة سكان المدينه %
(١)نيروبى ـ كينيا	١٩٧٩	٢٦	٧٤	بلانتيرى ـ مالاوى	١٩٧٠	٢٧	٧٣
ممبسا ـ كينيا	١٩٩٧	٣٩	٦١	العاصمة ليلو نجاو د	١٩٧٠	٢٥	٧٥
دار السلام (تنزانيا	١٩٦٧	٣٢	٦٨	اكرا ـ غانا	١٩٧٠	٥٠	٥٠
مدن تنزانيا الاخرى	١٩٦٧	٢٨ ـ ٣٦	٧٢ ـ ٦٤	كوماس ـ غانا	١٩٧٠	٥٣	٤٧
كمبالا ـ اوغندا	١٩٦٩	٣٠	٧٠	ساكوندى ـ تاكورادى	١٩٧٠	٢٧	٧٣
لوساكا ـ زامبيا	١٩٦٩	٢٦	٧٤	ليبجان ـ كوت ديفوار	١٩٧٠	٢٤	٧٦
مدن حزام النحاس د	١٩٦٩	٢٥	٧٥				
لاجوس	١٩٦٩	٥٠	٥٠	باماكو ـ مالى	١٩٨٥	٦٤,١	٣٥,٩
(٢) القاهرة	١٩٧٦	٧١,٩	٢٨,١	(٣) تونس	١٩٦٦	٦٩,٦	٣٠,٤
الجيزة	١٩٧٦	٧٢,٣	٢٧,٧	تونس	١٩٧٥	٦٦,٢	٣٣,٨
الاسكندرية	١٩٧٦	٨١,٧	١٨,٣	طنجة	١٩٧١	٥٨	٤٢
الخرطوم	١٩٧٦	٥٦,٥	٤٣,٥	طنجة	١٩٨١	٦٠,٧	٣٩,٣
				الدار البيضاء	١٩٨١	٥٥	٤٥

المصادر : النسب مستخرجة من مصادر عده هى :

(١) ـ نسب المولودين بالمدن الإفريقية جنوب الصحراء من.

Connor, A.O. ; (1983) , op.cit , pp. 60 - 62.

نسب باماكو من

- Thiam , B., (1994) , Environmental impact on Migration and on the spatial Redistribution of the Population in Mali ; in Population Environment Development, U. N, PP. 175 - 185.

(٢) – نسب المولودين بالقاهرة والجيزة والخرطوم والاسكندرية من.

ـ فتحى محمد ابو عناية (١٩٨٧)، مرجع سابق صـ ٧.

ـ نسب مدينة تونس من

(٣) ـ عزيزة محمد على بدر (١٩٨٤)، الجمهورية التونسية ، مرجع سابق صـ ٢٢٥.

ـ نسب مدينة طنجة من.

ـ عزيزة محمد على بدر (١٩٩٧)، مدينة طنجة، مرجع سابق صـ ٢٠٨.

ـ نسب الدار البيضاء من

Direction de la statistique (CERED), (1992), Population et Emploi , Rabat , P 117.

ـ نسب المهاجرين من حساب الباحثة.

أخرى، و ٢٨٪ نزحوا من مدن صغرى، و ٤٦٪ ينتمون إلى مناطق ريفية، أى ٣٥٪ نتيجة هجرات حضرية ـ حضرية، و ٤٦٪ هجرات ريفية ـ حضرية. كما أكد "كالدويل" من خلال مسح سنة ١٩٦٩ أن الهجرة الريفية ذات تأثير كبير مع وجود الأنماط الأخرى، كما تميزت نيجريا أيضا بخروج على النمط العام للهجرة تجاه المدن. ويعكس الإختلاف الحاد فى التركيب الديموجرافى لسكان المدن. التناقض الحاد فى أنماط الهجرة السابقة والتالية، سواء فى لاجوس أو فى المدن التى جذبت الهجرات مثل كادونا و جوس حيث ٣٠٪ فقط من سكان هذه المدن قد ولدوا بها، و٧٪ فقط من البالغين فى كادونا ولدوا بها أيضا، ومعظم البالغين وفدوا إلى المدينة منذ سنة ١٩٦٠، كما أشارت المسوحات الى أن الهجرة بين المدن واضحة. كما إنعكس إتجاه بعض تيارات الهجرة مع التغيير الإدارى، وقد جذبت بعض المدن القديمة تيارات من الهجرة فى الفترة الأخيرة. كما حدث نمو كبير كمحصلة لتيارات الهجرة في المدن الشرقية، كما عرفت نيجيريا الهجرات العائدة أيضاً[٧٩] وللعوامل الاقتصادية دور فى ذلك.

وقد كان من أهم نتائج دراسة تيارات الهجرة التى قامت بها الباحثة فى الجمهورية التونسية أن ٦٩٪ من حجم الهجرة كان هجرة حضرية أى نزوح حضرى، بينما ٣١٪ من حجم الهجرة كان نزوحاً ريفياً، وكان ٥٠٪ من المهاجرين يمثلون هجرات حضرية – حضرية، و١٨٪ هجرات ريفية –حضرية، وفى المقابل كان حوالى ١٦,٣٪ هجرة حضرية – ريفية، بينما ١٤,٧٪ ريفية – ريفية، وذلك فى تعداد عام ١٩٧٥. والواقع أن معظم الهجرات الحضرية نازحة من مدن داخلية وجنوبية صغيرة صوب العاصمة التى استقطبت ٦٠٪ من جملة المهاجرين فى الدولة يمثلون ثلث سكانها[٨٠].

كما إتضح أيضاً من الدراسة التفصيلية لمدينة طنجة أن حوالى ٢٥٪ من المهاجرين إلى المدينة فى عام ١٩٨١ ينتمون إلى أصل حضرى يمثلون حوالى ١٠٪ من سكان المدينة، ترجع نسبة كبيرة منهم إلى موظفى الإدارات المختلفة

كما جذبت الصناعة نسبة كبيرة منهم إلى جانب نشاط الميناء والسياحة (٨١)، وهى نموذج لعاصمة إقليمية وميناء مهم، كما أثبتت الدراسة مساهمة كل من الزيادة الطبيعية والهجرة فى نمو المدينة بـ ٥٠٪ لكل منهما.

بينما أثبتت دراسة حديثة أن الهجرة الريفية – الحضرية تمثل أهم أنماط الهجرة فى تنزانيا، ويمثل المهاجرون نصف سكان دار السلام عام ١٩٨٨، كما إرتفع معدل الهجرة من الريف إلى الحضر من ٩,٨٪ عام ١٩٦٧ الى ١٦,٤٪ ١٩٨١، وقد أرجعت الدراسة التحضر السريع فى تنزانيا إلى الهجرة الداخلية والريفية ـ والحضرية خاصة (٨٢).

ويظهر أثر الهجرة الخارجية كمكون للمدن حينما يرتفع حجم ونسبة الأجانب بالدولة حيث يسكن هؤلاء المدن عادة. كما فى كوت ديڤوار التى كان الأجانب يمثلون ٢١,٣٪ من جملة سكانها، وجامبيا ٦,١٠٪ سنة ١٩٩٠(٨٣)، وكما كانت ومازالت مدن التعدين فى جنوب إفريقيا، وقد ميز المدن فى عصر الإستعمار جذبها للأجانب والمستوطنين بنسبة كبيرة مما أثر فى نموها فى تلك الفترة، كما تظهر هجرة العمالة واضحة.

والخلاصة أن الهجرة الداخلية جزء مكون للنمو فى معظم المدن الكبرى لكن الإختلاف فى سرعتها وتباينها مكانياً، ومازال معدل صافى الهجرة السنوية متزايداً فى بعض المدن، وتؤدى التباينات الثقافية والاقتصادية والادارية وعدم الدقة فى البيانات إلى ظهور نتائج مبالغ فيها عن صافى الهجرة الريفية – الحضرية. ومن الملاحظ أيضاً الإتجاه نحو تزايد تيارات الهجرة الحضرية – الحضرية فى إفريقيا نسبياً. وتكمن الدوافع الاقتصادية والاجتماعية وراء إتخاذ قرار الهجرة، كما كان للجفاف دور كبير فى تحركات النازحين فقد أكدت دراسة لأسباب الهجرة فى مالى أن ٥١,٥٪ من حالات الهجرة كانت بسبب الجفاف و٤٥,٧٪ كانت لأهداف العمل أو الدراسة، و٢,٨٪ لأغراض عائلية أو أخرى. ويرتبط النزوح عامه بفئات العمر من ١٥ إلى ٢٤

سنه وكذلك كبار السن من ٦٠ سنه إلى ٧٩ سنه أو أكثر بصفة عامة، بينما إرتبطت الهجرة بسبب الجفاف بصغار السن حتى ٣٥ سنه، أما الهجرة للعمل فقد ارتبطت بها فئات العمر من ٣٥ إلى ٦٠، وأما الفئات الأكثر من ٦٠ سنه فقد إرتبطت بالجفاف أيضاً (٨٤).

سابعا: مشكلات الحضرية فى إفريقيا.

للمدن خصائص مميزة من التركيب الاقتصادى ومستوى البنية الأساسية والخدمات الاجتماعية التى تقدم لسكانها، كما تتمتع المدن كذلك بدرجات من التدخل فى عمليات التخطيط التى غالبا ماتعكس خلفيتها التاريخية، إلا أن النمو السريع للمدن الإفريقية-الذى مازال مستمراً- والناتج عن ارتفاع كل من معدلات الهجرة إلى المدن، والزيادة الطبيعية للسكان وسكان المدن والمتضافر مع فقر الدول الإفريقية وظروفها الاقتصادية والطبيعية، أدى إلى تدهور نوعية الحياة الحضرية وفسادها، وعجزت المدن عن تحقيق رغبات سكانها بتوفير مستوى لائق من المعيشة لكل السكان، فأصبحت المدن الإفريقية والكبرى منها خاصة، مواجهة بتحديات ومشكلات كبيرة بات بعضها مزمناً. وعلى الرغم من ذلك مازالت معدلات النمو مرتفعة ومازال توسع المدن وتدهورها -فى آن معاً- مستمراً.

ولقد كان من المعتقد أن فساد وتدهور نوعية الحياة فى المدن الكبرى سيؤدى إلى انخفاض معدلات الهجرة الريفية الحضرية وغيرها إلى المدن، كما كان من المعتقد أيضا أن سرعة التحضر ستحفز الطلب على البضائع من اقتصاديات المناطق الريفية، وبالتالى تنتعش هذه الاقتصاديات فترتفع الأجور وتتحسن بالتالى أحوال المعيشة فى المناطق الريفية، ويكون الإتجاه نحو التوازن بين الحضر والأرياف مما يشجع على الإنتقال نحو النمط الغربى -Western Style اقتصادياً وينمو بالتالى اقتصاد صناعى حضرى إفريقى African Urban-industrial economy، لكن ماحدث خلال عقود مابعد الستينيات كان عكس هذه التصورات. فلم يحدث أي توازن بين الريف والحضر، وأدت ظروف

الأرياف إلى تفاقم الهجرات والنزوح لأسباب عديدة سبقت الإشارة اليها يرتبط بعضها بضوابط بشرية، والبعض الآخر بكوارث بيئية طبيعية. ولم تتطور المدن صوب النمط الغربي ولم يقم بها اقتصاد صناعي حضري قوى، حيث لم يرتبط التحضر بالصناعة فى إفريقيا على عكس الدول الغربية المتقدمة. وبالتالى تميزت المدن الإفريقية بسيادة الأنشطة غير الرسمية Informal Activities أو مايطلق عليها القطاع الثالث البدائى Primitive الذى يتكون من التجارة وبعض لأعمال والخدمات اليومية الصغيرة والتى تتميز بقوة العمل الصغيرة وتصنف ضمن العمالة لحسابها عاده أى عامل واحد أو أكثر، كما تتميز بإنتشارها الواسع بحيث أصبحت واحدة من أكثر الملامح وضوحاً فى المناطق الحضرية، رغم صعوبة التحديد ونقص البيانات، وبالتالى يلجأ اليها السكان لدرء الفقر رغم تضاءل الدخل من هذه الأنشطة وإنخفاض القيمة الاقتصادية المضافة، بالاضافة إلى أن إنتاجية العامل ضئيلة ورأس المال المستخدم عادة مايكون ضئيلاً أيضاً كما لايوفر أمن وظيفى كاف، وقد قُدر أن حوالى ٥٠ إلى ٧٠٪ من سكان المناطق الفقيرة بمدن العالم النامى يعملون فى هذا القطاع مما يعكس عدم التوازن فى توزيع العاملين بين قطاعات الأنشطة الاقتصادية الحضرية، كما يعكس العلاقة بين حجم القوة العاملة وزيادة الطلب على العمل من ناحية، وندره فرص العمل المتاحة بشكل عام من ناحية أخرى وقد يفوق حجم العمالة بهذا القطاع من الأنشطة حجم العمالة بكافة الانشطة وقطاعات الإنتاج الأخرى عدا الزراعة، وقد قدرت نسبة العاملين بهذه الأنشطة بحوالى ٣٠٪ من العاملين بالحضر فى إفريقيا عام ١٩٧٠، وتتباين النسب من دولة إلى أخرى ومن مدينة الى أخرى، ومن منطقة إلى أخرى داخل المدينة الواحدة.. كما تتباين بين فترة وأخرى اذ قدرت نسبة العاملين بهذه الأنشطة بحوالى ٤١٪ من قوة العمل الحضرية فى جمهورية تنزانيا عام ١٩٧١، وبحوالى ٢٢,٧٪ من قوة العمل بمدينة نيروبى عام ١٩٧٠.

وقد تطورت العمالة بهذا القطاع غير الرسمى Informal Sector لتشمل ٣ من كل ٥ عمال أو أكثر من٥٠٪ من قوة العمل الحضرية بالقارة عام ١٩٩٠

وقدر العاملين به بحوالى ٥٣٪ في غانا و ٥٩٪ في نيجيريا و ٥١٪ فى تنزانيا وذلك من قوة العمل الحضرية بهذه الدول عام ١٩٩٢، مما يؤكد تزايده ويؤكد ايضا عجز القطاع الرسمى على إستيعاب العاطلين[٨٥].

ومن هنا تبرز أهم خصائص اقتصاديات المدن فى العلم النامى حيث التناقض Contradiction الواضح بين الفقر والوفرة Poverty and Plenty ويدعم من هذا التناقض حالة المهاجرين الذين يتميز معظمهم بإنخفاض مستوى المهارة والتعليم فتظهر الازدواجية الاقتصادية التى تتمثل فى اقتصاديات البزّار Bazar Economy حيث الأنماط الاقتصادية غير الرسمية Informal إلى جانب الأنشطة الرسمية Formal وقد توصلت الباحثة من دراستها لمدينة طنجة، على سبيل المثال-إلى ارتباط الأنشطة غير الرسمية أو الأنشطة الصغيرة بأنماط المسكن غير الرسمية أيضاً فقد كانت نسبة العمالة المستقلة حوالى ٢ ,٣٠٪ على مستوى مجمعة طنجة الحضرية، وترتفع إلى ٤٥,٢٪ من العمالة القاطنة بأنماط المسكن غير القانونى (العشوائى) المبنى، وإلى ٤١,٦٪ بانماط المسكن الإقتصادى غير المخطط وإلى ٣٦٪ بين السكان العاملين القاطنين بأنماط المسكن العشوائي المؤقت (دور الصفيح) بينما تنخفض الى ١٨,٥٪ بين العاملين القاطنين بنمط الفيلات (السكن الفردى) و ١٣٪ بين سكان العمارات عام ١٩٨١[٨٦]. كما ترتفع النسب عن ذلك فى المدن الرئيسية الكبرى، والعواصم حيث التناقض يكون أكثر وضوحا، ذلك رغم تحيز الحكومات وتركيزها للمشروعات التنموية الكبرى في هذه المدن، مما ينبه إلى مشكلة أخرى وهى جاذبية هذه المشروعات للهجرات وبالتالى تتفاقم المشكلات الحضرية خاصة مع توقيع المشروعات الكبرى بالهوامش مما يزيد من تمدد المدن على حساب البيئة المحيطة، مما يؤدى الى تدهورها من جهة وتفاقم مظاهر تدهور نوعية الحياة الحضرية وتعميق فكرة الإزدواجية الحضرية، والعزل السكنى بالمدن الإفريقية والكبرى خاصة، وهى إحدى خصائص هذه المدن والتى إرتبطت بالاستعمار وإستمرت بعد الإستقلال مما أدى إلى تراكم الفقر.

١ ـ إرتباط النمو الحضرى السريع بالفقر الحضرى Urban Poverty .

يعتبر سكان إفريقيا فقراء باى مقياس من المقاييس ويعد الفقر أحد اسباب النمو السريع للمدن كما يعد ايضا أحد أهم نتائج هذا النمو، ولقد اصبح يقينا إرتباط النمو السكانى والحضرى السريع بإنتشار الفقر فى القارة فقد اكدت الدراسات العديدة للبنك الدولى وغيره من الجهات المختصة –تزايد الفقر فى إفريقيا بسرعة تفوق معدل تزايده فى أي من مناطق العالم الأخرى، كما تشير هذه التقارير إلى تناقص الفقر والفقراء نسبة وعدداً فى مناطق عديدة من العالم فيما عدا إفريقيا جنوب الصحراء ودول شمال إفريقيا والشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية، إلا أن معدل تزايده فى إفريقيا جنوب الصحراء يسبق كل المناطق الأخرى وهذا مايوضحه الجدول رقم (١٩)(٨٧)، حيث يمثل السكان دون خط الفقر١٨٤ مليون ساكن بنسبة ٤٧,٦٪ من جملة سكان إفريقيا جنوب الصحراء سنة ١٩٨٥ وصل عددهم إلى ٢١٦ مليون سكان بنسبة ٤٧,٨٪ سنة١٩٩٠ ومن المتوقع تزايدهم الى ٣٠٤ مليون ساكن بنسبه ٤٩,٧٪ من جملة السكان سنة ٢٠٠٠، ويتكرر نفس الوضع بالنسبة لدول شمالى القارة الإفريقية حيث تزايد عدد السكان دون خط الفقر.

جدول ١٩

الفقر فى إفريقيا والدول النامية سنوات (١٩٨٥ ـ ١٩٩٠ ـ ٢٠٠٠) (٨٧).

	نسبة السكان دون خط الفقر سنة ٪			عدد الفقراء دون خط الفقر بالمليون		
	١٩٨٥	١٩٩٠	٢٠٠٠	١٩٨٥	١٩٩٠	٢٠٠٠
كل الدول النامية	٣٠,٥	٢٩,٧	٢٤,١	١٠٥١	١١٣٣	١١٠٧
جنوب أسيا	٥١,٨	٤٩	٣٦,٩	٥٣٢	٥٦٢	٥١١
شرق أسيا	١٣,٢	١١,٢	٤,٢	١٨٢	١٩٦	٧٣
إفريقيا جنوب الصحراء	٤٧,٦	٤٧,٨	٤٩,٧	١٨٤	٢١٦	٣٠٤
الشرق الأوسط وشمال إفريقيا	٣٠,٦	٣٣,١	٣٠,٦	٦٠	٧٣	٨٩
شرق أوربا	٧,١	٧,١	٥,٨	٥	٥	٤
أمريكا اللاتينية والكاريبى	٢٢,٤	٢٥,٥	٢٤,٩	٨٧	١٠٨	١٢٦

المصدر ECA, (1995), Economic and Social Survey of Africa, 1994 -1995, u.n, Addis Ababa, p. 61.

من ٦٠ مليون ساكن عام ١٩٨٥ إلى ٧٣ مليون عام ١٩٩٠ ومن المتوقع تزايدهم إلى ٨٩ مليون ساكن عام ٢٠٠٠، يمثلون ٣٠,٦ و ٣٣,١٪ و ٣٠,٦٪ من جملة السكان على التوالى. بينما يتناقص عدد أكثر الفقراء فقراً فى أقاليم جنوبى وشرقى آسيا، وشرقى أوربا ويرتفع فقط في أمريكا اللاتينية من ٨٧ مليون إلى ١٠٨ مليون إلى ١٢٦ مليون بنسبة ٢٢,٤٪ ثم ٢٥,٥٪ ثم ٢٤,٩٪ على التوالى بين السنوات ١٩٨٥-١٩٩٠-٢٠٠٠. مما يؤكد ماذكرناه من أن الفقر إفريقى يرفع من درجته الجفاف والكوارث والحروب وتدنى أسعار المحاصيل وإنخفاض الأجور وتدهور البيئة وعوامل أخرى كثيرة فى الأرياف والحضر على السواء. وتضم إفريقيا أكثر من ربع حالات الفقر المطلق فى العالم ١٩٩٥ وتشير المصادر إلى تزايدة بمقدار الثلثين بين عامى ١٩٧٠ ـ ١٩٩٥ ومن المتوقع أن تضم إفريقيا أكثر من ثلث فقراء العالم عام ٢٠٠٠.

وينتشر الفقر بين معظم دول القارة وتمثل دول إقليم الساحل ودول القرن الإفريقى وزائير أفقر الدول الإفريقية لكن موزمبيق هى الأفقر بينهم، أما جنوب إفريقيا فرغم غناها الواضح بالثروة المعدنية الا أن تميزها بسوء توزيع الدخل وعدم التساوى فى توزيع الثروة إبان الفترة العنصرية أدى إلى تزايد حجم الفقر بين السود خاصة، بينما ينخفض حجم الفقر فى الدول البترولية مثل ليبيا والجابون والجزائر، حيث حجم السكان أيضا متوسط، أما نيجيريا فترتفع بها نسبة الذين يعيشون فى فقر مطلق بسبب ضخامة حجم السكان وسرعة نموهم بالإضافة إلى إنخفاض أسعار البترول، بينما تتميز الجزر الإفريقية مثل سيشل وموريشيوس بمستوى دخل مرتفع نسبياً بسبب أنشطة السياحة وإنتاج السكر. ويزداد الفقر مع الحروب حيث يرتفع عدد اللاجئين (٨٨) ومع تضافر الكوارث الطبيعية والمجاعات والحروب ونقص الموارد وضخامة حجم السكان وسرعة تزايدهم ينخفض الدخل ويعم الفقر، وقد يكون لسياسة الحكومات دور فى إنتشار الفقر، ويوضح الجدول رقم (٢٠)(٨٩)، بعض المؤشرات المرتبطة بالفقر والفقر الحضرى فى دول إفريقية، يتضح منه إرتفاع نسبه الذين يعانون من الفقر المطلق من دول القارة تصل إلى ٧٠٪ فى زائير، وإلى ٣٤٪ فى مصر.

جدول رقم (٢٠)

بعض المؤشرات الداله على الفقر والفقر الحضرى فى بعض الدول الإفريقية من عام١٩٨٠ إلى ١٩٩٤ (٨٩).

الدوله	نسبة سكان الحضر اللذين لا يحصلون على			نسبة اللذين يعيشون فى فقر مطلق من سنة ١٩٨٠ـ١٩٩٣			المعدل السنوى لنمو نصيب الفرد من الناتج القومى الإجمالى من سنة ١٩٨٠ الى ١٩٩٤	دليل التنميه البشرية سنة ١٩٩٤
	خدمات صحيه ١٩٩٣ ٪	مياه مأمونه ١٩٩٣ ٪	صرف صحى ١٩٩٣ ٪	حضر ٪	ريف ٪	جملة ٪		
بتشوانا	صفر	صفر	صفر	٣٠	٦٤	٤٧	+ ٦,١	تنمية بشرية متوسطة
مصر	صفر	٥	٢٠	٣٤	٣٤	٣٤	+ ٢,٨	،،
نامبيا	٨	٢	٧٦	–	–	–	– ١,٠	،،
مدغشقر	٣٥	٤٥	٨٨	٣٦	٥٠	٤٣	– ٢٦	تنمية بشرية منخفضة
زامبيا	صفر	٣٠	٢٥	٤٧	٨٠	–	– ٣,	،،
نيجريا	١٥	١٩	٦٠	٢١	٥١	٤٠	– ,٤	،،
زائير	٦٠	٣٤	٥٤	–	٩٠	٧٠	– ١,٨	،،
السودان	١٠	٤٥	١١	–	٨٥	–	–	،،
كوت ديفوار	٣٩	٣٠	٤١	٣٠	–	–	– ٤,٦	،،
تنزانيا	١	٣٣	٣٦	١٠	٦٠	–	– ,٨	،،
موريتانيا	٢٨	٣٣	٦٦	–	٨٠	–	– ,٨	،،
الصومال	٥٠	٥٠	٥٦	–	٧٠	٦٠	–	،،

المصادر : مجمع من عدة مصادر :

– برنامج الأمم المتحدة الإنمائى (١٩٩٥)، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤، الترجمة العربية مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، ص ص ١٦٠ ـ ١٦١.

– البنك الدولى : (١٩٩٦) تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٦، الترجمة العربية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، القاهرة ص ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

ومن الملاحظ أيضا انخفاض المعدل السنوى لنمو نصيب لفرد من الناتج القومى الإجمالى في معظم الدول المذكورة والتى يرتبط بها إرتفاع معدلات البطالة الى حد كبير قد يصل إلى ٣٠٪ مع نهاية القرن والتى تعد إحدى أهم مشكلات النمو السكانى السريع والنمو الحضرى الأسرع.

أما الفقر الحضرى Urban Poverty (٩٠) فى إفريقيا فقد إتسع مدى إنتشاره ليشمل ربع سكان الحضر فى القارة، فى مقابل ٦٠٪ بين سكان الأرياف، ويشير الواقع إلى أن هذه النسب تقريبية ولاتعبر عن الواقع حيث ينتشر الفقر فى الهوامش الحضرية وشبه الحضرية المحيطة بالمدن - والتى سبقت الإشارة إلى عدم تضمينها رسميا للمدن عند تقدير حجمها حتى تنضم إدارياً بتوسع حدود المدينة أو تحويل القرى إلى بلديات حضرية - ويعد فقر الحضر أخطر أنواع الفقر وأشدها قسوه رغم الانخفاض الواضح فى نسبه فقراء الحضر مقارنة بنسبه فقراء الأرياف ويرجع ذلك إلى ارتباط الفقر الحضرى بمظاهر ومشكلات عديدة ومتداخلة لعل أهمها التشرد وعدم توافر المأوى بينما يتوافر المأوى لفقراء الأرياف، كما يرتبط فقر الحضر بنقص المأكل والملبس والعمل وإنتشار الامراض وتفشى الجرائم..الخ و الأهم من ذلك يتميز الفقر الحضرى بسرعة إنتشاره مواكبا لسرعة النمو الحضرى كما أن فقر الأرياف يؤدى الى دفع الفقراء للنزوح صوب المدن التى تعد الملاذ والأمل بالنسبة لهم فى الحصول على عمل بأجر مناسب مع توافر مغريات المدينة الأخرى، والنتيجة هجرة فقراء الأرياف إلى المدن فأصبحو فيها أفقر.

ومع إرتفاع معدلات صافى الهجرة والخصوبة والزيادة الطبيعية بالمدن يتحضر الفقر Urbanzation of Poverty الذى بات مستلقيا على أرض المدن ممثلا فى نقص حاد فى المأوى وبروز مشكلة الاسكان كأهم مفاتيح مشكلات المدن وفى أزمات المرور والمواصلات وانقطاع الكهرباء وعدم وجودها أصلا فى الهوامش والمناطق العشوائية وكذلك خدمات إمدادات مياه الشرب المأمونه، والصرف الصحى وجمع النفايات والتخلص منها بطرق مأمونه، مع نقص حاد

فى سائر الخدمات المرتبطة بالبنية الأساسية والاجتماعية، كالخدمات التعليمية والصحية بالاضافة إلى التفاوت الاجتماعى الكبير بين المناطق المخططة المرتبطة بوسط المدينة وضواحى الأثرياء من السكان، ومناطق سكنى لطبقات الفقيرة من الوطنيين فى المدن العتيقة أو التقليدية الوطنية Indogenous أو فى المناطق المتدهورة القذرة داخل المدن Urban Slums أو فى الهوامش شبه الحضرية حيث تنتشر مستعمرات وضع اليد غير المحكومة Squatter Settelments وسائر أشكال وأنماط الإسكان المتدنى Substandard Housing رسمية أو غير رسمية مبنية، أو مؤقته، ومن هنا كانت الإزدواجية السكنية والاجتماعية شديدة الوضوح بالمدن الإفريقية حيث يمكن التمييز بين الطبقات الإجتماعية بالمدينة وهوامشها، كما يتضح العزل السكنى مرتبطا بذلك التميز. ومن هنا تبرز مشكلة الإسكان وافتقار نسبة كبيرة من المساكن والسكان لعناصر الخدمات الأساسية الواجب إمداد المساكن بها.

٢ - مشكلات الإسكان وتدهور نوعية الحياة الحضرية :

لقد جذبت نوعية الحياه فى المدنية المهاجرين اليها، لكن ماذا عنها بعد إزدياد نموهم وتسارعه وإحتلالهم لمناطق شاسعه منها وحولها؟ إن الإجابة علي هذا السؤال تعبر عما تعانيه المدن الإفريقية خاصة والدول النامية عامة من مشكلات، ومن الواضح ان تستمر هذه المشكلات لعقود قادمه بسبب استمرار عوامل الطرد فى الأرياف والمدن الصغيرة واشتدادها من أن لأخر، وكذلك بسبب خصائص التركيب العمرى لسكان المدن، حيث يورث الفقر ويزداد إنتشاراً نظراً لتزايد معدلات نمو سكان المناطق المتدنية والهامشية بمعدلات أسرع من نمو السكان فى مناطق الإسكان الراقى لأصحاب الدخول المرتفعة، حيث تتفاعل جغرافية الطبقة الاجتماعية بشده مع جغرافية الإسكان.

ويصعب الحصول على بيانات دقيقة تعبر عن تلك المشكلات إلا أنها ظاهرة واضحة، وتشير بعض التقديرات إلى ارتفاع نسبة من لامأوى لهم فى الدول النامية وإفريقيا لتشمل ثلث السكان أو أكثر وقد سبقت الإشارة إلى ارتفاع

نسبة سكان المناطق السكنية الهامشية والمتدنية فى بعض المدن والدول الإفريقية الى أكثر من ٥٠٪ حيث الاكواخ ودور الصفيح والمساكن المؤقتة والعشوائية غير القانونية، كما تشير التقديرات إلى ارتفاع نسبة المساكن المستأجرة على حساب المساكن المملوكة لقاطنيها، فقد إرتفعت بين سكان الحضر فى زامبيا على سبيل المثال، من ١٪ عام ١٩٦٠ إلى ٦٥٪ عام ١٩٨٠، وفى مالاوى من ٦٠٪ عام ١٩٧٠ إلى ٧٥٪ عام ١٩٨٠، كما قدر أن ١٧٪ من جملة المبانى فى العالم قد شيدت كمأوى من غرفة واحدة شيد ثلاثة أرباعها فى الدول النامية، ترتفع النسبة فى افريقيا الى ٤٢٪ فى الأرياف و ٣٥٪ فى الحضر وذلك فى العقد الاخير من القرن العشرين، بدرجة تزاحم يصل متوسطها إلى ٢,٣ ساكن/غرفة وقد ترتفع عن ذلك كثيراً إلى ١٠ ساكن/غرفة نظراً لارتفاع حجم الأسر المعيشية فى هذه المناطق، ومن أسوء حالات السكن أن تتناوب أكثر من اسرة على الغرفة الواحدة وهذه الحالة مألوفة فى المناطق الفقيرة بمدن إفريقيا والدول النامية(٩١). وترتفع نسبة الأسر القاطنة بمسكن حضرى من غرفة واحدة الى ٣٦٪ فى أثيوبيا بينما قدرت بحوالى ٢٧٪ فى مدينة آديس أبابا و ٥٣,٦٪ فى مدينة أسمره، وبحوالى ٢٢٪ فى مالاوى بينما النسبة فى مدينة بلانتيرى حوالى ٢٠٪ تصل إلى ٤٠٪ للقاطنين بمسكن مكون من غرفتين، أما النسبة فى مدينة ليلونجوى Lilongwe العاصمة الجديدة لمالاوى فتصل إلى ٢٢,٥٪، و٧٥٪ فى كوماس بغانا بينما قدرت بحوالى ٢١٪ لسكان الحضر فى المغـــرب و٧,٧٪ فى تونس بينما ارتفعت فى المسكن المكون من حجرتين إلى ٣٨,٨٪ و ٣٢٪ و ٣٠٪ من جملة سكان مدينة ليلونجوى والحضر فى المغرب وتونس على التوالى (٩٢).

أما فى مصر فقد ذكر التعداد أن ١٠,٨٪ من جملة سكان مصر يسكنون بمسكن مكون من غرفة واحدة (مشترك) بينما قدر سكان المناطق غير الرسمية (العشوائية) بحوالى ٣٧٪ من جملة سكان الحضر فى مصر يصل عددهم إلى ١١,٥ مليون ساكن تفاوتت نسبتهم بين المحافظات على مستوى الحضر بين

٣٦٪ للقاهرة و ٥٩,٩٪ فى الجيزة و ٣٥,٤٪ فى الأسكندرية، و ٤٥,٩٪ فى القليوبية و ٤٦,٤٪ فى السويس، و٤٣,٧٪ فى بورسعيد[٩٣]. ولاترتبط درجة التزاحم المرتفعة بالمساكن غير الرسمية فقط بل تُميز المساكن التى يبنيها القطاع العام فى الدول الإفريقية للفقراء ومتوسطى الدخل فى بعض الأحيان.

ويرتبط الانفجار الحضرى بالحاجة المستمرة إلى توفير المسكن، وتؤكد الزيادة المستمرة فى أنماط المساكن غير الرسمية فشل معظم الحكومات فى توفير المسكن لسكان المدن، وتشير إلى ذلك دراسات عديدة، من أمثلتها دراسة عن الحضر فى تنزانيا ومدينة دار السلام (عام ١٩٨٤) أكدت تزايد مساكن مستعمرات وضع اليد غير المحكومة Squatters من ٥٠٠٠ مسكن عام ١٩٦٠ الى ١٤٧٢٠ مسكن عام ١٩٦٩ تزايدت إلى ٤٣٥٠١ مسكن عام ١٩٧٩، أي تضاعفت حوالى ثلاثة أضعاف وهو مالايحدث فى القطاع الرسمى الذى لايحقق تزايداً بهذة النسبة وقد قدر أن هذه المساكن استهلكت ٢٣٤٩ هكتار بمتوسط كثافة ٢٠٤ ساكن/هكتار وقدر سكانها بحوالى ٤٧٨,٤٨٩ ساكن بينما قدر سكان المناطق المخططة بحوالى ٣١٦٠٠٠ ساكن فقط. وقد أصبح العجز فى توفير المسكن الحضرى فى تنزانيا مستمراً خلال خطط التنمية فكانت الحاجة إلى ٣٧٠٠٠ مسكن خلال خطة ٦٤-١٩٦٨ تراكمت وأصبحت الحاجة إلى ٢٥٠٠٠٠ مسكن (ربع مليون مسكن) خلال الخطة الثانية والثالثة من ١٩٦٩ الى ١٩٨٨ ومن المتوقع أن يتجاوز النقص فى المساكن ٢,٢٠٠,٠٠٠ مسكن (٢ مليون و ٢٠٠ الف مسكن) عام ٢٠٠٠، وترتفع الكثافة إلى أكثر من ٣ ساكن/غرفة وتصل الى ١٠-١٥ ساكن/غرفة. ويرتفع حجم الأسر المعيشية إلى ١٥ شخص في نسبة كبيرة من الأسر، أما عن نوعية الحياة الحضرية فى تنزانيا فقد أكدت الدراسة تدهورها إلى حد كبير لعل أبرز مظاهرها النقص الحاد فى مياة الشرب، إذ قدر أن ٥٢,٢٪ من الاسر يحصلون على المياة المأمونة من مصدر خارج نطاق السكن و٢٧٪ فقط يحصلون على إمدادات مياه الشرب من المسكن. بينما تعتمد نسبة كبيرة على صنابير مياه عمومية بعيدة

(١١,٥٪) وقربية (٥,٧)، تتعرض للتلف كثيرا مع معاناه جلب المياه منها (من خلال طوابير الانتظار الطويلة)، كما يقع هذا العمل على عاتق المرأة فى معظم الأحياء الفقيرة بالمدن في إفريقيا وغيرها، كما توصلت الدراسة إلى أن ٨,٨٪ من الأسر تتصل بشبكة الصرف الصحى مباشرة وذلك من جملة الأسر فى المناطق الحضرية فى تنزانيا، كما أكدت الدراسة أن ٧٣,٢٪ من جملة الأسر الحضرية لاتحصل على الكهرباء مما يعكس نسبة الأسر فى السكن العشوائى Squatters بالحضر فى تنزانيا، حيث تبنى المساكن بدون ترخيص بالبناء أو التخطيط المحلى، لذلك تعانى من نقص حاد فى الامكانات الأساسية والخدمات كإمداد المياه والكهرباء والصرف الصحى وجمع النفايات والخدمات الصحية والتعليمية[٩٤] وقد قدرت نسبة مايجمع من نفايات مدينة دار السلام بحوالى ٢١,٨٪ من جملة النفايات المنتجة بالمدينة، تصل النسبة إلى ١٧,٦٥٪ فى دودوما Dodoma العاصمة الجديدة وإلى ٢٧,٥٪ بمدينة جوش، وإلى ٢٤,٢٧٪ من جملة النفايات المنتجة بالمناطق الحضرية فى تنزانيا[٩٥] مما يشير إلى الحالة الصحية والبيئية فى هذه المناطق.

كما توصلت الباحثة أثناء دراستها لمدينة تونس الى حقائق مشابهة إذ قدر سكان الاحياء الكوخية فى تونس بحوالى ٥٠٥٠٠ ساكن عام ١٩٤٦. إرتفع عددهم إلى ١٠٥٠٠٠ ساكن عام ١٩٥٦ بنسبة زيادة قدرها ١٠٧,٩٪ يمثلون ٢٠٪ من سكان العاصمة تزايد عددهم وأصبحو يمثلون ٢٥٪ عام ١٩٦٩، وقد تم حصر حوالى ٢٧٥٠٠٠ ساكن بهذه الاكواخ عام ١٩٧٥، يمثلون ٢٥٪ من جملة سكان المدينة، بدرجة تزاحم شديدة الارتفاع تصل إلى ١٠,٣ ساكن/غرفة. ذلك فى أحياء الملاسين والسيدة المنوبية يضاف إلى ذلك أعداد كبيرة من سكان المناطق المتدهورة بالمدينة العتيقة والمناطق القديمة التى هجرتها العائلات الحضرية العريقة الى الضواحى.

وتتكرر الصورة السابقة بدرجات متفاوته فى معظم المناطق الحضرية في إفريقيا، ويوضح الجدول السابق رقم (٢٠) نسبة سكان الحضر الذين

لايحصلون علء خدمات صحية ومياه شرب مأمونة ولايتصلون بشبكات الصرف الصحى. ،منه يتضح ارتفاع تلك النسب بين الحضر فى الدول المختارة إذ تصل فى مدغشقر إلى ٣٥٪ و ٤٥٪ و ٨٨٪ فى الخدمات المذكورة، كذلك الحال فى زائير وكوت ديفوار وموريتانيا والصومال، وتشير مصادر أخرى إلى ارتفاع نسبة من لايتصلون بإمدادات مياه الشرب من الحضر إلى ٥٠٪ فى أثيوبيا والى ٤٧٪ فى آديس أبابا وإلى ٥٢٪ فى أسمره وإلى ربع سكان الحضر فى مالاوى بينما تصل إلى ٢٧٪ فى عاصمتها الجدية ليلونجوى، وترتفع النسبة فى باماكو (مالى) إلى ٦٧,٥٪، وترتفع كذلك نسبة من لايحصلون على كهرباء الى ٨١٪ فى بلانتيرى (مالاوى) وإلى ٧٢,٦٪ فى ليلونجوى وإلى ثلث جملة الحضر فى إثيوبيا ذلك من عام ١٩٨٤ الى ١٩٨٨، حسب إحصاء المستوطنات البشرية عام ١٩٩٥(٩٦).

ويشير الواقع إلى ارتفاع تلك النسب على مستوى القارة الإفريقية كلها ذلك رغم عدم دقة الأرقام وعدم وفرتها لصعوبة تحديد تلك المناطق المحرومة فعليا. وقد قدر تقرير التنمية البشرية عام ١٩٩٥ (الذى يصدره برنامج الأمم المتحدة الانمائى)، أن حوالى ٢٠٠ مليون ساكن فى إفريقيا جنوب الصحراء لايحصلون على خدمات صحية وحوالى ٢٧٠ مليون ساكن لايحصلون على مياه مأمونه، بينما لايحصل حوالى ٢٩٠ مليون ساكن على خدمات الصرف الصحى، أما فى الحضر فقد قدر التقرير أيضا أن ٢٢٪ على الأقل لايحصلون على خدمات صحية وحوالى ٢٧٪ يحصلون على مياه مأمونه أما نسبة من لايحصلون على خدمات الصرف الصحى فى الحضر فقد قدرت بحوالى ٤١٪، كما قُدرت نسبة من يعيشون فى فقر مدقع بالقارة بحوالى ٥٤٪، كما تشير الارقام أيضا إلى ارتفاع الكثافة فى المدن إلى درجة كبيرة مما يؤدى الى أزمات كثيرة فى إمدادات هذه الخدمات وسهولة الحصول عليها. حيث تصل الكثافة فى ابيدچان إلى ٣٠٣٠ ساكن/كم٢ وإلى ٩٩٣١ ساكن/كم٢ فى داكار وتصل إلى ٩٣٩٠م ساكن/كم٢ فى القاهرة ونجدها فى الدار البيضاء ١٢١٢٠ ساكن/كم٢ وتتباين بطبيعة الحال بين المناطق المتدهورة والمناطق الفقيرة

ومناطق سكن الطبقات ميسوره الحال والثرية، كما تتباين حسب أنماط المسكن، جماعى أو فردى فى مناطق مخططة أو عشوائية.

يعنى ماسبق أن هناك مشكلة إسكان حادة يرتبط بها مشكلات توفير الخدمات ومرافق البنية الاساسية.

٣ - مشكلات إمداد مرافق البنية الأساسية والتخطيط.

ترتبط مشكلات إمداد مرافق البنية الاساسية بالتخطيط وتوفير الاراضى المناسبة للتقسيم والتعمير مما يشكل أهم التحديات التى تواجه المخططين وصناع القرار فى عالم المدن. ويشير الواقع فى المدن بالعالم النامى إلى أن الدول فقدت السيطرة الفعلية على الأراضى الشاسعة التى يلتهمها النمو العشوائى للمدن، ورغم وجود خطط للتطوير والتعمير فى أحيان كثيرة، الا انها لاتنفذ ولاتنجح فى أحيان كثيرة أخرى ان نفذت، وقد أشرنا سابقاً إلى عدم انسجام الخطط الموضوعة مع اسقاطات النمو السكانى واتجاهاته، التى عاده ما لا تؤخذ فى الاعتبار عند وضع التصورات المستقبلية للتنمية والتعمير.

لذلك تواجه المدن مشكلات عديدة يرتبط بعضها بالتخطيط لنمو جديد، وبعضها الآخر بإعادة تخطيط مناطق مأهوله بدون تخطيط.. ويرتبط بذلك مد شبكات البنية الأساسية التى لايتمتع بها سوى قلب المدينة الاوربى عادة وبعض الضواحى المخططة. لذلك تعتبر مشكلات مد شبكات المياه والصرف الصحى والكهرباء من أعقد المشكلات التى تواجه المدن في ظل النمو العمرانى غير المحكوم، وتدهور الشبكات الموجودة وحاجتها المستمرة إلى الصيانة ومايرتبط بذلك من توفير التمويل.

وتكمن صعوبة مد شبكات البنية الأساسية للمناطق المعمورة بدون تخطيط فى الطبيعة الطبوجرافية والجغرافية للمناطق التى يختارها الفقراء والنازحون لسكناها، والتى تتميز عادة بالصعوبة طبوغرافيا والعزلة جغرافيا مع التناثر أيضا والتى تبنى بدون ترخيص، كما تتميز بإزدحامها وتلاصق مبانيها وضيق

أزقتها ودروبها، يضاف إلى ذلك طبيعة البناء ومواد البناء المستخدمة والتى عادة ما تكون من مواد البيئة او المخلفات. ويظهر ذلك فى معظم مدن العالم النامى تقريباً مما يجعلها مناطق سيئة من ناحية الصرف وضرورة رفع المياه بسبب طبوغرافيتها كما تصبح أكثر تعرضا للكوارث الطبيعية والبشرية وتؤثر فيها ظروف المناخ بشدة خاصة الأمطار. كما أن النمو السريع لهذه المناطق يتسابق مع كل عمليات إعادة التخطيط التى تعانى المحليات والحكومات من تدبير نفقاتها. والأمثلة واضحة وعديدة فى القاهرة ولاجوس والدار البيضاء ودار السلام وكنشاسا وكل المدن الكبرى. كما ظهرت عند دراسة مدينة طنجة على سبيل المثال وغيرها من المدن التى دُرست كحالات تفصيلية.

ويعد حجم الفاقد الكبير من المياه المنتجة للشرب من المشكلات المهمة فى المدن، ويظهر الفرق بين الكمية المنتجة والكمية المشتراه من طرف المستهلكين كبيرا يصل إلى ٣٠٪ وقد يصل إلى ٥٠٪. وقد أثبتت دراسة مدينة طنجة التفصيلية مدى المشكلة، حيث الحاجة شديدة إلى المياه ومع ذلك قُدر الفاقد بحوالى ٤٧٪ تقريبا من كمية المياه المنتجة والتى يتم ضخها للمدينة عام ١٩٩١. ويؤدى إلى ذلك عوامل عدة تكمن فى عناصر شبكات التوزيع التى لايتحمل بعضها الضغط المرتفع للماء المضخ، بالاضافة إلى تآكل الأنابيب وأعطال صنابير المياه العمومية التى تقوم الحكومات بتوزيعها فى المناطق المحرومة والتى أكدت دراسات عديدة انها مسئولة عن اهدار حوالى ٣٠٪ من كميات المياه المنتجة. يضاف إلى ذلك استهلاك غير المشتركين، ويضاعف من هذه المشكلة أن تصميم الشبكات فى المدن الافريقية وغيرها وضع على أساس خدمة أحجام سكانية أقل بكثير مما وصلت اليه أحجام المدن الأن كما أن بعضها يرجع إلى عقود عديدة خلت منذ الفترة الاستعمارية وربما قبلها لتوفير المياه للمستعمرين فى قلب المدينة.

ومع ذلك حققت بعض الدول نجاحاً ملموساً فى مجال امداد المياه المأمونه. لكن مرة أخرى بتسيب النمو العمرانى السريع وغير المخطط فى استمرار المشكلة.

أما صرف المياه المستعملة والزائدة النفايات السائلة فهو غير كاف الأن كما كان عند انشاء شبكات الصرف مع تخطيط قلب المدن مما يؤثر على نوعية الحياة الحضرية بها وتظهر المشكلة فى المناطق المنخفضة المأهولة بدون تخطيط والتى تتميز بالنمو السريع أيضا، مما يُزيد من حجم المخاطر التى يتعرض لها البشر فى هذه المناطق البائسة. حيث تتخذ المياه الزائدة والنفايات السائلة طريقها من المناطق الأكثر ارتفاعا (المأهولة عشوائياً أيضاً) إلى المناطق الأكثر انخفاضا عبر الأودية والمسيلات المنحدرة فتنتشر الأمراض ويزداد تدهور البيئة وتلوثها ومن أمثلة ذلك وباء الكوليرا الذى داهم مدينة دار السلام عام ١٩٧٨.

يضاف إلى ذلك صعوبة التخلص من النفايات الصلبة وتراكمها المستمر فى المناطق المتدهورة والمناطق العشوائية غير الرسمية وينتج ذلك من عدم وجود سياسة لإدارة النفايات من حيث جمعها وتصنيفها ونقلها واعادة تدويرها Re-cycling، كما تعانى من تدهور عملية جمعها أساساً حيث تستخدم الوسائل البدائية فى العديد من مدن إفريقيا.. وقد لاتجمع أساساً من المناطق الهامشية التى تفتقد إلى الطرق وتنتشر فى مناطق منعزلة عن طرق المواصلات. وقد قُدرت نسبة مايجمع من نفايات بحوالى ٣٠٪ فقط من جملة النفايات المنتجة، كما لاحظنا فى نموذج دار السلام، كما لاحظت الباحثة من دراسة طنجة وكما ورد فى دراسات عديدة. وتختلف مشكلة النفايات من مدينة إلى أخرى مع زيادة إنتاجها كلما ارتفع مستوى التنمية.

٤ - مشكلات النقل الحضرى .

وهى من المشكلات العميقة المزمنة في المدن الكبرى بإفريقيا وغيرها من مدن العالم النامي، حيث تُواجه بتزايد أعداد السيارات وتباعد المسافات

وارتفاع الكثافة السكانية وحاجة السكان إلى الانتقال للعمل والتسوق والحصول على سائر الخدمات.. وترجع المشكلة إلى ارتفاع تكلفة المشروعات كانشاء مترو وشق طرق جديدة واصلاح وصيانه الطرق القديمة وتوفير حافلات عامة مناسبة مما يؤدى إلى نقصها وفقرها فى الصيانة، ومن هنا عرفت المدن أشكال عديدة من التحايل حيث ظهر "المينى باص والميكروباص" والسيارات الأجرة الجماعية وذلك لسد الفجوة الموجودة بسبب نقص الحافلات ذات الحجم القياسى، كما تزداد أعداد وسائل النقل الخفيفة كالدراجات وغيرها، ويشتد الازدحام ويضاعف تخطيط المدن فى إفريقيا والدول النامية من حجم المشكلة وصعوبات النقل والمرور، فالأحياء التجارية ليست محدده كما هو الحال فى مدن البلاد المتقدمة، إذ تتركز مراكز الانشطة الرئيسية فى شوارع ضيقة تعمل على تكثيف الزحام، بالاضافة إلى كثافة الاحياء الداخلية وكثرة تعرجات الطرق وعدم العناية بها برصفها وصيانتها بالاضافة إلى عدم إنتظام إتساعها مما يقلل من كفاءتها. كما يؤدى إنشاء أحياء القصدير بالقرب من مصاب الأنهار أو على مجموعة من الجزر إلى إعاقة عمليات تحسين النقل الحضرى بسبب اتساع مساحات المياه والتربة الرخوة. وقد إبتُليت الكثير من المدن بصعوبة الإتصال بين الميناء ومركز المدينة التجارى والصناعى وبين بقية المدن، ويشتد الازدحام فى ساعات الذروه وقد يمتد إلى أكثر من ١٢ ساعة يوميا كما يحدث فى أبيدجان ولاجوس والقاهرة وفى الكثير من المدن الكبرى والمتوسطة على السواء:

٥ - مشكلات تدهور البيئة وتلوثها:-

وهى من أهم المشكلات البارزة فى عالم اليوم فى الحضر والأرياف على السواء. اذ يؤدى تركز سكان الحضر فى المدن الكبرى بإفريقيا مع النمو السكانى السريع إلى زيادة الضغط على البيئة الريفية المتاخمة لحدود المدن وكتلتها المبنية، فيحدث تدهور عام لها كما ترتفع معدلات التصحر بسبب قطع الأشجار وازاله الغابات والنبات الطبيعى، وبسبب موجات الجفاف فتُفقد الطبقة السطحية للتربة topsoil كما تختل النظم البيئة Ecosystems وقد أكد مؤتمر

الأمم المتحدة للسكان بالقاهرة فى سبتمبر عام ١٩٩٤ ومن قبله مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة فى ريودى جانيرو بالبرازيل عام ١٩٩٢، على العلاقة بين سرعة نمو السكان وسكان الحضر وتدهور البيئة وإنجراف التربة وإفقارها. حيث اهتم مؤتمر البيئة بالتوزيع المكانى للسكان وأثره على تدمير النظم البيئة، حيث ينعدم التوازن بين الموارد ومعدلات نمو السكان مما ينعكس على نقص المياه وشحها والإسراع بإنجراف التربة وفقدانها لخصوبتها وانعدام الأمن الغذائى، ويعانى ٣٣٪ من سكان إفريقيا و٣٠٪ من الأطفال من نقص حاد فى الغذاء، وتنتشر أمراض سوء التغذية ومنها امراض الدرن وكوشوركر Kwashiorkor الذى يرتبط بنقص البروتين والطاقة المستمدة من الغذاء ويصاب به الاطفال خاصة، حيث تظهر أعراض الإستسقاء العام وإعتلال الجلد وهشاشة الشعر والكبد الدهنى ويرتبط هذا المرض بإفريقيا[٩٧] وترتفع نسبة الإصابة به بين فقراء الحضر والأرياف وبين اللاجئين وأثناء المجاعات وموجات الجفاف والقحط، حيث قاد الجفاف حوالى ١٨ مليون ساكن إلى المجاعة فى جنوب إفريقيا عام ١٩٩٠، كما أدت الحروب الأهلية وعدم الاستقرار السياسى إلى تدهور البيئة مع نقص حاد فى الغذاء لمايزيد على ١٥ مليون ساكن عام ١٩٩٢. ومازالت أثيوبيا فى مرحلة الخطر من المجاعة، وفى الصومال تضافرت الحروب الأهلية مع الجفاف فى أن أصبح نصف السكان فى خطر المجاعات، وأدى نقص المطر فى كينيا إلى تأثر ٩٦١٠٠٠ ساكن بالجفاف ١٩٩٣، فكان حوالى ٦٧٩٠٠٠ من النساء فى حاجة إلى مساعدات عاجلة حقيقية، وقد ساهم تدهور الدخل من إنتاج الطعام فى السنوات الأخيرة فى تردى الأحوال حيث تنخفض القدرة اليومية من السعرات الحرارية المطلوبة يوميا وبالتالى لابد من استيراد الغذاء، وبدون ذلك تكون القدرة المتوافرة ٩٢٪ من الحاجة الضرورية، يتبع ذلك إرتفاع عدد الأفارقة غير القادرين على الحصول على السعرات الحرارية اليومية الضرورية من ٩٩ مليون ساكن ١٩٨٠ إلى ١٦٨ مليون ساكن حاليا، مما يولد ضغطا على المدن وهوامشها ويزداد فقر البيئة وتدهورها وتزداد الامراض المرتبطة بذلك،

ويزداد نقص الخدمات والمرافق بهذه الهوامش المتمددة دوما يوما بعد يوم معنى ذلك أن هناك حلقة مغلقة لابد من كسرها وإحداث تنمية مستدامه وشاملة لعلاج هذه المشكلات المستعصية[٩٨].

ويعتبر تلوث كل من الهواء والماء من أعقد مشكلات البيئة الحضرية داخل المدن وخارجها على حد سواء، ذلك لندره محطات معالجة المياه والنفايات السائلة، كما تتعدد مصادر تلوث الهواء بسبب المركبات والمصانع والغبار، ونقص شبكات الصرف الصحي كما تتلوث المياه بسبب النفايات والتخلص من نفايات الصناعة غير المعالجة في مجارى المياه، وكذلك عن طريق تسرب السوائل الناتجة عن الصناعة والمستشفيات إلى المياه السطحية أو الجوفية، وعادة ماتكون غير معالجة، كما تحدث الكوارث من إنتشار المواد السامة الخطيرة التى تتدفق إلى المياه أثناء الامطار الشديدة والسيول بسبب الفقر فى إدارة النفايات الصلبة والسائلة وجمعها، ويضاف إلى ذلك مصادر عديدة للتلوث البيئى الحضرى فى المنازل والشوارع والمصانع..الخ، لذلك تحتاج البيئة الحضرية إلى إعادة النظر فى القوانين المرتبطة بالبيئة وتلوثها والتى عادة مايخالفها اصحاب المصادر الملوثة، كما أنها غير كافية والاستجابة لها بطيئة لارتفاع تكلفة التجهيزات الخاصة بمنع إنتشار الملوثات[٩٩] وتعد مدينة القاهرة الكبرى خير مثال على ذلك اذ ترتفع بهوائها نسبه الرصاص عند الحد المسموح به دولياً وخاصة فى قلب مدينة القاهرة والجيزة والمناطق الصناعية.

يضاف إلى ماسبق مشكلات عديدة منها إرتباط البيئة الحضرية الفقيرة والمزدحمة بأمراض عديدة منها الإيدز على سبيل المثال والذى أكدت الدراسات انه مرض حضرى وخاصة فى إفريقيا نظرا لارتفاع معدلات النمو الحضرى السريعة مع إنتشار عوامل ضعف الضبط الاجتماعى Social Control من قبل الأسرة وارتفاع نسبة النوع وتأخر سن الزواج والتسامح فى العلاقات الجنسية، واشتداد تيارات الهجرة النازحه إلى المدن مع انتشار المناطق المتدهورة والمتدنية داخل المدن وحولها، حيث تتعاظم مظاهر سلوكيه سلبيه مثل

التشرد وانتشار الجريمة والمخدرات وكلها مظاهر سلوكيه ينتشر الإيدز بين أصحابها؛ كما تنتشر العديد من الأمراض الجنسية أو الامراض المعدية، وقد اكدت دراسة قامت بها "فاتن البنا" عن الايدز فى إفريقيا. أن الطرق الرابطة بين المدن الرئيسية فى إفريقيا وكذلك بين هذه المدن والمناطق المحيطة تمثل مسارات لانتقال المرض من خلال انتقال المصابين، (١٠٠)

من المشكلات الأخرى عدم التساوى بين الإناث والذكور، واختلال النسبة النوعية. وارتفاع نسبة صغار السن خاصة الفئة الوسطى بين المهاجرين خاصة، وارتفاع معدلات البطالة والإعالة بين السكان والمهاجرين.

وقد أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى أن هناك مؤشرات نمو هجرات عكسيه من المدن الكبرى الافريقية إلى مناطق أخرى ريفية أو حضرية الا أنها ذات قيمة ضئيلة بالنسبة للهجرات الوافدة ومعدلات نمو المدن الافريقية.

وقد تلعب الهجرة الخارجية دوراً مهماً فى ابطاء معدلات النمو السكانى في المدن، فقد توصلت الباحثة إلى أن الهجرة الخارجية قد ساهمت فى خفض معدل نمو تونس العاصمة من ٥,٥٪ سنويا بين عام ١٩٦٦-١٩٧١ إلى ٣,٢٪ عام ١٩٧٥ حيث تمتص خمس الزيادة الطبيعية في تونس تقريبا(١٠١). غير أن للهجرة الخارجية مشكلاتها الحضرية أيضا حيث تتميز بالإنتقائية من حيث النوع والسن ودرجة التعليم والتدريب والكفاءة.

الخلاصة أن المدن الإفريقية تعانى من أزمات حادة بسبب نموها السريع الذى يتقاسمه معدل زيادة طبيعية مرتفع ومثله معدل صافى هجرة مرتفع أيضا مع الفقر وعدم القدرة على التمويل والاستثمار المناسب فى تحسين نوعية الحياه بالمدن، أو إقامة مشروعات تستوعب العمالة المتزايدة بإستمرار ويضاعف من هذه الأزمات إستمرار معدلات الزيادة السكانية بالمدن علي ارتفاعها وتوقع استمرار ذلك النمو لفترات مقبلة، فما هى اذاً السياسات والاستراتيجيات التى اتخذتها الحكومات الإفريقية لمواجهة هذه المشكلات والحد منها؟ وما هو تقيم

هذه الحكومات لحجم المشكلات أصلاً؟ تقود هذه التساؤلات وغيرها إلى محاولة التعرف على سياسات الدول نحو إعادة توزيع السكان وتحقيق التنمية الحضرية وحل المشكلات.

ثامنا: استراتيجيات وسياسات التنمية الحضرية وإعادة توزيع السكان.

تباينت تصورات الحكومات المختلفة بدول القاره الافريقية ازاء الأنماط الحالية لتوزيع السكان بها، كما تباينت السياسات التى إتخذتها الحكومات ازاء حل المشكلات الناجمة عن توزيع السكان غير المتوازن بين الأرياف والحضر، والمناطق الفقيرة والغنية، وازاء مشكلات الهيمنة الحضرية وتدهور نوعية الحياة الناتج عن سرعة النمو الحضرى، واستمرار تيارات الهجرة إلى المدن والزيادة الطبيعية.

أما تصورات الحكومات إزاء انماط توزيع السكان بها، فقد أكدت دراسات قسم الشئون الاجتماعية والاقتصادية الدولية التابع للأمم المتحدة عام ١٩٩٢(١٠٢) أن ٧١,٢٪ من الدول الافريقية تعتبر أن أنماط توزيع السكان بها تحتاج إلى تغيير كبير Major Change تمثل ٨٠٪ من سكان القارة بينما إعتبرت ١٥,٤٪ من الدول أن أنماط توزيع السكان بها تحتاج إلى تغيير بسيط أو جزئى Minor Change أما النسبة الباقية وهى ١٣,٤٪ فتعتبر أن أنماط توزيع السكان بها مُرضية تماماً. ويوضح الجدول رقم (٢١) توزيع الدول الإفريقية حسب تصورات الحكومات إزاء انماط توزيع سكانها، ومن استقراء الجدول يتضح أن دول شمال إفريقيا العربية ترى كلها أن بها مشكلة توزيع سكانى تحتاج إلى إعادة توزيع على مستوى كبير من مصر إلى المغرب بالإضافة إلى السودان، ونفس الوضع بالنسبة لدول غربى إفريقيا، فيما عدا دولتى غينيا بيساو وغينيا حيث ترى حكوماتيهما أن أنماط توزيع سكانهما تحتاج إلى تغيير بسيط وفى إقليم جنوبى إفريقيا ترى كل من ناميبيا وسوازيلاند أن الحالة مرضية، بينما ترى حكومة ليوسوثو أن أنماط التوزيع

جدول رقم (٢١)
تصورات الحكومات وسياساتها تجاه أنماط التوزيع
المكانى للسكان بدول القارة الإفريقية سنة ١٩٩٠ (١٠٢)

الإقليم	دول راضيه عن نمط التوزيع	دول تحتاج إلى إجراء تغيير بسيط	دول تحتاج إلى إجراء تغيير كبير	جملة عدد الدول
إفريقيا الشرقية	جزر القمر موريتانيا مالاوى جمهورية تنزانيا	چيبوتى كينيا أوغندا	بوروندى - أثيوبيا مدغشقر موزمبيق رواندا - سشل الصومال - زامبيا زيمبابوى	١٦ دوله
إفريقيا الوسطى	أنجولا	تشاد ج وسط إفريقيا	الكميرون - الكنغو غينيا الستوائية جابون ساوتومى وبرنسينى زائير	٩ دول
إفريقيا الشمالية	ــــ	ــــ	الجزائر - مصر ليبيا - المغرب السودان - تونس	٦ دول
إفريقيا الجنوبية	ناميبيا سوازيلاند	لوسوثو	بتشوانا ج. جنوب إفريقيا	٥ دول
إفريقيا الغربية	ــــ	غينيا بساو غينيا	بنين بوركينا فاسو كيب ڤيرد كوت دى فوار جامبيا - ليبريا مالى - موريتانيا النيجر - نيجريا السنغال - سيراليون توجو	١٦ دولة
الجملة	٧	٨	٣٧	٥٢ دولة

المصدر : - United Nations, (1992); Population Studies No. 126, World Population Monitoring (1991) New York, pp. 164 - 165.

تحتاج لتغيير جزئى، فى حين تحتاج بتشوانا و جنوب إفريقيا إلى إجراء تغيير كبير، أما فى إقليم إفريقيا الوسطى، ترى أنجولا أن الحالة مرضية، بينما تحتاج تشاد ووسط إفريقيا إلى إجراء تغيير جزئى، فى حين ترى الدول الباقية (٦ دول) أنها بحاجة إلى إجراء تغيير كبير، أما إقليم شرقى إفريقيا فتتوزع دولة بين الحالات كلها حيث ترى ٤ دول أن الحالة مرضية بينما ترى ٣ دول أن الحالة تحتاج إلى تغيير جزئى وترى تسع دول أن أنماط توزيع السكان بها يحتاج الى تغيير كبير.

أما الإستراتيجيات التى إتبعتها الدول الإفريقية للتخفيف من المشكلات الحضرية، والحد من الهجرة إلى المدن، فقد نُفذت من خلال سياسات ترتبط بالمهاجرين ذاتهم، وبموطنهم وبمناطق الجذب والإستقبال، وذلك من خلال مجموعتين من السياسات العريضه أو الإستراتيجيات، مجموعة ذات توجه حضرى، وأخرى ذات توجه ريفى، بالاضافة إلى العمل على الحد من معدلات الخصوبة المرتفعة والزيادة الطبيعية المرتفعة، أى سياسات ديموجرافية.

وقد إتُبعت عده استراتيجيات ذات توجه حضرى وهى: التحكم المباشر بوضع برامج اغلاق المدن لمنع الهجرة الوافدة اليها (ج . جنوب افريقيا)، الإعادة الجبرية للنازحين إلى المناطق الريفية (موزامبيق)، ثم تشتيت المدن وتباعدها (نيجيريا) تنفيذ سياسة اللامركزية عن طريق تعزيز نمو المدن متوسطة الحجم والتنمية الاقليمية (كما فى زامبيا والجزائر) وإقامة عواصم جديدة (مثل حالة نيجيريا وتنزانيا)، يضاف إلى ذلك بعض البرامج لتحسين احوال المدن بهدف توسيع القاعدة الاقتصادية والاجتماعية بها لتتناسب مع تدفق المهاجرين، كذلك نُفذت بعض السياسات لتوفير فرص العمل وتحسين البنية الأساسية، بالاضافة إلى محاولات لتنفيذ بعض البرامج الإنتقائية لامتصاص المهاجرين من الشباب المتعطلين بإقامة معسكرات خاصة للشباب خاصة فى البلدان التى لديها بطالة عالية فى المدن بين الشباب كالصومال وزامبيا، كذلك وضع خطط لاقامة مستوطنات زراعية كما فى غانا ونيجيريا.

وأجرى العديد من الدول الإفريقية تجارب عن طريق برامج تهدف إلى تنمية دخل المزارعين وتحسين فرص العمل فى المناطق الريفية مع القاء القبض على المهاجرين النازحين عند المنبع، إلا أن النتائج المطلوبة من الجهود التى بذلت لمنع المهاجرين أو إعادة توجيهم بخلق مراكز للنمو الإقليمى وبتغيير موقع العاصمة، أو عن طريق تنمية مدن صغيرة لم تتحقق، بينما نجحت البلدان التى نفذت برامج تنمية ريفية عن طريق إقامة مزارع كبيرة فى المناطق الريفية مثل تنزانيا وغانا وكوت ديفوار، وكذلك الدول التى جمعت بين سياسة تمويل البنية الأساسية الاجتماعية وتوفير فرص العمل الريفية، فى الابقاء على نسبة كبيرة من المهاجرين المحتمل نزوحهم من المناطق الريفية بها(١٠٣).

وتثير مسألة تقرير من الذى يهاجر وإلى أين يهاجر مشاكل أساسية ترتبط بحقوق الانسان، وينطبق ذلك بشكل خاص على تجميع البشر فى قرى مزدحمة، أو التهجير الاجبارى إلى مناطق تحددها الحكومات، حيث لاتؤخذ الاحتياجات المحددة للمهجرين فى الإعتبار بشكل مناسب.

ويمكن إجمال السياسات والإستراتيجيات التى تبنتها الحكومات فيمايلى(١٠٤).

١ – إبطاء نمو المدينة المهيمنة والميتروبوليتانية. Slowing of primate- city

٢ – تنمية المدن والمراكز الصغيرة والمتوسطة.
Promotion of Small towns or intermediate cities.

٣ – تغيير موقع العاصمة. Relocation of national capital.

٤ – تحويل تيارات الهجرة بإيجاد أقطاب جذب جديدة.
Counter - magnets

٥ – تنمية مراكز استراتيجية. Growth centre strategies

٦ – سياسة إنشاء مدن جديدة . New Towns

٧ – سياسة تنمية إقليمية للأقاليم المتخلفة. Lagging Region

٨ – إستراتيجية تنمية الأقاليم الهامشية . Border Region

٩ – تخطيط أراضى للتعمير. Land colonization Scheme

١٠ – إستراتيجيات تنمية ريفية. Rural development strategies

وتشير الدراسات إلى تبنى معظم الحكومات لأكثر من سياسة من السياسات السابقة لتحقيق التوازن الإقليمى، وتخفيف مشكلات المدن وتنميتها بالاضافة إلى الحد من تيارات الهجرة إلى المدن، وتظهر استراتچيات التنمية الريفية من أكثر الاستراتيجيات التى تبنتها كل الدول الإفريقية فيما عدا چيبوتى أى ٥١ دولة، يليها سياسة إبطاء نمو المدن المهيمنة والمتروبوليتانية وتبنتها ٣١ دولة، يليها سياسة تنمية المراكز والمدن الصغيرة والمتوسطة حيث تبنتها ٢٨ دولة، أما السياسة الخامسة فى الأهمية فهى سياسة تخطيط أراضى للتعمير Land Colonization ١٩ دولة، ثم استراتيجية تنمية مراكز إستراتيجية Growth Center Strategies ١٦ دولة، بينما تبنت ٧ دول سياسة إنشاء مدن جديدة New Towuns منها مصر وتنزانيا وزيمبابوى والجزائر وليبيا وجنوب إفريقيا، وأوغندا كما تبنت ٧ دول أخرى سياسة عكس الجاذبية Counter Magnetes أو تحويل اتجاهات المهاجرين لأقطاب جذب جديدة منها بورندى ومدغشقر ومصر وكيب ڤيرد وغنيا بيساو والسنغال وموريتانيا، فى حين تبنت ٨ دول أخرى استراتيجية تنمية أقاليم هامشية Border Regions منها مصر وإثيوبيا وتونس وجنوب إفريقيا وغنيا بيساو وموريتانيا والسنغال وسيراليون.

أما سياسة نقل العواصم القومية إلى مواقع جديدة فقد تبنتها ٧ دول هى مالاوى التى نقلتها من بلانتيرى إلى ليلونجوى Lilongwe ثم تنزانيا التى نقلتها من دار السلام إلى دودوما Dodoma ثم الكاميرون وليوسوثو وغنيا بيساو وكوت ديڤوار التى نقلتها من أبيدچان إلى Yamoussoukro ثم نيجيريا التى نقلتها من لاجوس الى أبوچا Abuja.

من أهم الملاحظات أن مصر قد تبنت كل السياسات والاستراتيجيات ماعدا نقل العاصمة. أما غنيا بيساو فقد تبنت كل الاستراتيجيات بما فيها نقل العاصمة الوطنية، كما تبنت موريتانيا كل الاستراتيجيات أيضا ماعدا نقل العاصمة وانشاء مدن جديدة، وكذلك السنغال. فيما عدا ذلك يتراوح المعدل بين ٤ أو ٥ من السياسات التى تبنتها الحكومات، وأقل الدول فى ذلك ليبريا التى تبنت سياسة تنمية ريفية فقط.

من الواضح أن معظم الدول تنظر إلى المشكلة من منظور العلاقة بين الهجرة الداخلية ونمو المدن، ويمكن التعرف على بعض الاتجاهات التى تبنتها الحكومات من خلال السياسات والاستراتيجيات المذكورة حسب الأقاليم الإفريقية.

أ. فى إقليم إفريقيا الشرقية(١٠٥).

اعتمدت معظم الدول سياسات خاصة بإعادة توزيع السكان Redistribution the Population بالاضافة إلى أحداث تنمية ريفية بإنشاء المستشفيات والمدارس والمراكز الصحية وامداد المناطق الريفية بالمواصلات كما فى حالة بوروندى التى عملت أيضا على نقل حديثى الزواج من المناطق المكتظة إلى المناطق المخلخلة سكانياً.

أما أثيوبيا فإتخذت سياسة إعادة توزيع السكان من خلال إعادة التوطن Resettlement من المناطق المكتظة إلى المناطق الاقل كثافة من خلال تنمية الأرياف والمراكز الحضرية الأخرى غير أديس أبابا، وقد بدأ برنامج إعادة التوطين من عام ١٩٨٤ بهدف نقل ١,٥ مليون ساكن من الشمال الجاف إلى الاقاليم الأقل جفافاً فى الجنوب الغربى، كما تبنت الحكومة برنامج قروى للتنمية الريفية يهدف إلى إعادة توطين ٣ مليون فلاح من المزارع المنتشرة بالتلال فى هرر والمقاطعات المجاورة إلى القرى المركزية المتوسطة Centralized حيث يحصلون على خدمات عديدة من المياة المأمونه الى الرعاية الصحية مع تنمية الصناعات الصغيرة فى الأرياف فى أثيوبيا وإرتريا.

وركزت سياسة **مدغشقر** على الحد من الهجرة إلى المنطقة الميتروبوليتانية الكبـرى فى Antanaina rvo بالعمل على توجيه الهجرة إلى المناطق الريفية، وتنشيط إعادة التوطين الإرادى فى المناطق قليلة السكان، كما تُشجع الحكومة بشدة استـراتيجيات التنمية الإقليمية الـريفية مثل برنامج فكـونـولـونـا Fakonolona (للمجتمعات القـروية) الـذى يهـدف إلـى تقـويض المـركـزية الإجتماعية-الاقتصادية التقليدية فى مدغشقر بتحريك السكان إلى الاقاليم الريفية والمجتمعات القروية الجديدة.

فـى **مـالاوى** تبنت الحكومة سياسة تكامل التنمية الريفية مع انشاء مراكز ريفية وتنميتها بهدف الحد من الهجرة إلى المراكز الحضـرية، برفع مستـوى المعيشة فى الأرياف فى اطار خطة لإحداث توازن اقليمى تنمـوى، كما نقلت الدولة موقع العاصمة من بلانتير Blantyre فى الإقليم الجنوبى إلى ليلونجوى Lilongwe فى الإقليم الأوسط.

أما سياسة **موزمبيق** فإتجهت مباشرة إلى تنمية مناطق بعيدة عن مابوتو MaPuto العاصمة وقامت بتركيز صناعات ثقيلة فى بيرا Beira المدينة الثانية والميناء الثانى أيضا، كما عملت على إنشاء مراكز إقليمية لمد الخدمات الصحية والتعليمية، والإدارية للمناطق المختلفة فى إطار الجهود المبذولة لتنمية نظام حضرى قومى اكثر توازناً.

إتجـهت **كنيـا** إلى سياسة اللامركزية والنزول بالتخطيط لمستوى المقاطعة وعملت على تنمية المدن الصغيرة والمتوسطة وتنمية مراكز استراتيجية وتنمية الأقاليم المختلفة مع التنمية الريفية.

أمـا **روانـدا** فتدخلت بالتحكم فى الحد من توسع المقاطعات الحضرية من خلال تبنى برنامج إعادة توطين السكان فى الأرياف بتوفير بنية إدارية على مستوى القرى، علاوة على ذلك إتخذت الحكومة اجراءات مشدده تجاه حق الإقامة فى المدن الذى لايُعطى الا للمولودين أو العاملين بها فقط.

بينما ركزت **تنزانيا** على إنشاء القرى النووية المركزية بتوفير الامكانات لها مع تطوير الخدمات الإجتماعية وتنمية التعاونيات مع نقل العاصمة إلى دودوما لإبطاء هيمنة دار السلام. وتنمية الأرياف والأقاليم المتخلفه.

لم تر **أوغندا** ان لديها مشكلة سكانية كبيرة تحتاج لحل وكانت نظرتها من خلال حجم سكانى ليس بكبير ومساحات مازالت قادرة على إستيعاب الزيادة السكانيـــة(١٠٦) وان الضغط يوجد فى مقاطعات قليلة، الا إن الإضطرابات الأهلية فى السنوات الاخيرة أدت إلى إحداث حالة من عدم التوازن السكانى، فعملت الدولة مؤخرا على إعادة توطين السكان فى مقاطعات المنشأ، بهدف كبح جماح الهجرة الداخلية وذلك عن طريق توفير فرص وظيفية فى المقاطعات الطارده للسكان، ومساندة المستقطَنين فى الأقاليم الجديدة.

بينما واجهت **زامبيا** مشكلتها الكبري الممثلة فى النزوح صوب لوساكا ومدن حزام النحاس، بأن تبنت برامج تنمية ريفية تعمل على إقرار السكان فى القطاع الريفى العريض فى زامبيا بتنشيط الاقتصاد الزراعى والاقتصاديات والانشطة المرتبطة به، وتوفير فرص عمل دائمة، مع تبن سياسة تجميع القرى وربط المستوطنات البشرية المعزولة فى مجموعات أكثر تنشيطا. كما عملت على تنمية التعاونيات الزراعية فى المناطق الريفية،واتخذت اجراءات للتحكم في مواقع الصناعة، بهدف تنفيذ سياسة اللامركزية فى توزيع الخدمات المختلفة، وإعادة توجيه الإستثمارات من المراكز الحضرية الكبرى إلى المدن الصغيرة والمناطق الريفية المحرومة.

بينما سعت **زيمبابوى** إلى تحقيق توازن مناسب بين السكان والموارد، مع تنمية معسكرات للتنمية الريفية، وعملت على إعادة توطين سكان الأرياف وتشييد القرى على نطاق واسع فتناقضت تيارات الهجرة إلى المناطق الحضرية.

ب- فى إقليم إفريقيا الوسطى(١٠٧) .

بـدأت **انجـولا** بإقامة شبكة من محطات التنمية الزراعية فى منتصف عام ١٩٨٠ بهدف امداد المزارعين بما يحتاجون اليه من مساندة وإئتمان ونظم تكنولوجية، الا أن تزايد المشكلات الأمنية فى المناطق الريفية المجاورة للمدن حد من نجاح برامج التنميـة الريفيـة كـما أدى الـى تباطؤ تيارات الهـجـرة الريفية – الحضرية.

فـي **الكنغـو** كان الحد من النزوح الريفى واحدا من أهم أولويات الحكومة فعملت على تحسين البنية الأساسية فى الأرياف وشيدت أقطاب جذب جديدة قوامها ١٥٧ قرية مركزية.

إتخذت **زائير** عده استراتيجيات من خلال سياسة تنمية الزراعة فى أقاليم مختارة بواسطة ادارة التخطيط الزراعى مع العمل على تنمية الإسكان. إلا أن الاضطرابات فى منطقة البحيرات العظمى والتى امتدت الى داخل اراضى زائير قرب المدن الرئيسية على الحدود بالاضافة الى الاضطرابات الداخلية تعوق جهود التنمية فى زائير وغيرها من الدول الأفريقية

جـ- فى إقليم إفريقيا الشمالية(١٠٨).

تـبـنـت **الجـزائر** سياسة اللامركزية فى الأنشطة والخدمات الاقتصادية والاجتماعية بتنمية المدن الصغيرة والمتوسطة، واعادة تجميع القرى فى ١٠٠٠ تعاونية وذلك بهدف ضبط انماط توزيع السكان والحد من الهجرة إلى المدن الكبرى، لذلك شجعت سياسة تحقيق التوازن الإقليمى بتنمية الأقاليم المتخلفة Lagging regions مثل الأقاليم الشرقية والجنوبية من البلاد.

أما **ليبيا** فقد خططت حكومتها لتنمية منطقة الساحل الأوسط بين مسراطا وبنغازى بالإهتمام بتنمية الصناعة فى المدن الصغيرة ووضعت لذلك امكانات لا محدودة، ومع ذلك مازال نمو كل من بنغازى وطرابلس سريعا مستقطباً للمجال الحضرى ومخلاً بنظامه.

ركزت حكومة **تونس** أولوياتها على الحد من تيارات النزوح السكانى إلى المناطق الحضرية وخاصة العاصمة وذلك من خلال عدة سياسات أهمها اللامركزية فى الخدمات العامة والاستثمار وتحسين القطاع الزراعى لرفع مستوى المعيشة فى الأرياف، ومن بين المخططات الموضوعة تشجيع إقرار المزارعين فى الصحراء الجنوبية بتنمية وإستصلاح أراضى جديدة من عام ١٩٨٦، كما وضعت خطة لانشاء مدينة جديدة بالقرب من العاصمة تستوعب ٣٥٠٠٠٠ ساكن عام ٢٠٠٠. والعمل على الحد من البطالة وإنشاء مجتمعات ريفية نموذجية وذلك خلال مخططات التنمية المتتالية منذ عام ١٩٧٣(١٠٩).

كما ركزت **المغرب** أيضا على سياسة اللامركزية الحضرية بتنمية المدن المتوسطة وعواصم الأقاليم والولايات وتنفيذ سياسات للتنمية الريفية لابطاء نمو المدن المهيمنة.

أما **مصر** فقد سبقت الإشارة إلى تبنيها لمعظم السياسات ماعدا نقل العاصمة الا ان اهم السياسات وضوحاً فى مصر سياسة إنشاء مراكز حضرية جديدة New Urban Centres حول المدن الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية وبنى سويف الجديدة وغيرها.. مع تنفيذ برنامج شروق للتنمية الريفية، ومن المستهدف أن تجذب هذه المراكز الجديدة الهجرات من الأرياف والمناطق الصحراوية لتستوعب ١٠٪ من جملة السكان عام ٢٠٠٠ الا أن ذلك لم يحدث بالطبع. أما برامج التنمية الريفية فتهدف إلى اقرار سكان الأرياف ورفع مستوى معيشتهم للحد من هجرتهم بالإضافة إلى سياسة تطوير حواف المدن بإنشاء تجمعات جديدة بالقاهرة والمدن الكبرى.

د. فى إقليم إفريقيا الجنوبية :

شجعت **ليوسوثو** تنمية الأقاليم الفقيرة اقتصاديا مثل النطاق الجبلى ومناطق الأراضى المنخفضة الجافة فى الإقليم الجنوبى من خلال تنفيذ برامج لتشييد الطرق الريفية، وبرامج تحسين البنية الأساسية والاجتماعية الاخرى مثل امدادات المياه المأمونه والصرف الصحى والخدمات التعليمية والصحية ومسانده المشروعات الصناعية الصغيرة وتوفير الوظائف.

أما فى **جنوب إفريقيا** فقد حلت سياسة التحضر المنظم عام ١٩٨٦ Orderly Urbanization محل سياسة حظر التدفق The abolition of influx، فى حين ارتبطت الإقامة بامكانية السكن أكثر من إرتباطها بالوظيفة ومع ذلك تعانى جنوب إفريقيا من أزمات إسكان حاده مع نسبة بطاله مرتفعة مما حد من تحرك السكان السود فى جنوب إفريقيا .

بينما بحثت **سوازيلاند** من خلال برامج تنمية المناطق الريفية عن أساليب لتنمية التجارة بتوجيهها صوب الزراعة بهدف تضييق الفجوة بين مستويات المعيشة فى الأرياف والحضر.

هـ. فى إقليم إفريقيا الغربية.

إهتمت حكومة **بوركينا فاسو** بالهجرة بين المناطق الريفية حيث يرجع إنخفاض كثافة السكان فى المناطق الخصبة من حوض نهر الفولتا بالجنوب الغربى إلى مشكلات صحية داخلية مرتبطة بانتشار مرض العمى النهرى River blindness الذى يعد واحدا من أكبر العقبات أمام التنمية فى البلاد وكذلك فى غانا التى تبنت سياسة إعادة التوطين خاصة مع المشروعات الكبرى مثل سد اكسمبو والتى أدت إلى مشكلات عديدة أيضاً بالإضافة إلى المشكلات المرتبطة بمر فى العمى النهرى وغيرها .

أمـا **كـوت ديفـوار** فقد وجهت سياساتها الكبرى نحو التحكم فى تيارات الهجرة الشمالية-الجنوبية، والهجرة إلى المدن الكبيرة، بالعمل على تنمية مناطق الإسكان المتناثرة فى نطاق السـڤانا، وتشتـمل الخطط على تنفـيـذ سيـاسـة اللأمـركزية وإنشاء مـيناء جـديد، ولابطاء نمو المناطق الميتـروبوليتـانية أنشـأت الحكومة شبكة من المدن المتوسطة الحجم وركزت على تحديث الزراعة وتجديد البنية الأساسية.

بينمـا ركـزت حكومـة **ناميبيا** على الحد من الهجرة السـريعة إلى منطقة العـاصمـة Banjul بتنمـيـة مـدينتين صـغـيـرتين همـا Basse و Farafenni وذلك لتحقيق إستراتيـجية تهدف إلى تخطيط قومى واسع، لتحسين الوضع العام لشبكات البنية الأساسية وامكاناتها ورفع مستوى المعيشة فى الأرياف.

وفـى **غينيا** وضعت الحكومة خطة لفتح طريق فعال للتنظيم الحضرى فى كونكرى والمدن الصـغيـرة تهدف إلى تحسين البنيـة الأسـاسـيـة وتنمـيـة مـوارد المراكز الحضرية.

أما حجر الزاوية فى سياسة **نيجيريا** فكان التخطيط لإقامة عاصمة قومية جـديدة فى الداخل وهـى أبوجا Abuja تقع فى المركز الجـغرافى للدولة بغرض تخفيف الضغط السكانى على المناطق الساحلية وخاصة منطقة لاجوس، وقدر لأبوجا عند تخطيطها فى عـام ١٩٨٧، أن تستـوعب ٢٥٠,٠٠٠ سـاكن يصل حجمهم عام ٢٠٠٠ الى ١,٥ مليون ساكن، الا ان الواقع يشير إلى ان حجمـها فى منتصف الثمانينيات كان ١٥ الف ساكن فقط، وقدر فى عام ١٩٩٠ بحوالى ٣٧٦ الف ساكن (١١٠) مما يعنى إتجاه نحو نمو سريع فى السنوات الاخيرة.

وتعـانى **السنغـال** من تمركـز المدن فى القسم الغربى من البلاد حيث العاصمة داكار لذلك وضعت الدولة خطة قومية لإعادة تركيب الأراضى تهدف إلى إعاده توزيع الانشطة بهدف تحقيق التوازن الإقليمى والحضرى.

عملت حكومة **سيراليون** على إعادة توزيع السكان بتنيمة مراكز حضرية واستراتيجية وزيادة التنمية الصناعية وإعتبرت التنمية الإقليمية حجر الزاوية Corner Stone فى سياسة التنمية الشاملة التى تهدف أيضا إلى تنمية إقليمية ريفية لاقرار سكان الأرياف والحد من الهجرة.

اما **كيب فيرد** فقد إتجهت سياساتها أيضا إلى الحد من النزوح الريفى إلى الحضر باتباع سياسة تنمية البنية الاجتماعية بإنشاء وظائف فى الأرياف واعادة توزيع الأراضى.

يحتاج تنفيذ السياسات السابقة إلى موارد مالية ضخمة وإلى دراسات متعمقة وخطط واضحة تتضافر الحكومات والمؤسسات والشعوب لتحقيقها، كما أن تخفيض معدلات النمو السكانى الطبيعى فى الدول الإفريقية بالعمل على خفض معدلات المواليد والخصوبة، كذلك معدلات الوفيات والمرض لابد وأن يقع فى مقدمة الأولويات القومية والدولية. وفى هذا الصدد نلاحظ أن معدل شيوع منع الحمل بأى وسيله يصل إلى ١٥٪ فقط فى إفريقيا جنوب الصحراء بين عام ١٩٨٦و ١٩٩٣، بينما يصل إلى ٤٢٪ فى المغرب و ٥٠٪ فى تونس و ٤٧٪ فى الجزائر و ٤٦٪ فى مصر وهى الدول التى حققت درجات متوسطة من التنمية البشرية فى السنوات المذكورة.

من الواضح إذاً ضرورة تضافر سياسات التنمية الإقتصادية والاجتماعية والديموجرافية لتحقيق تنمية شاملة متواصلة تقلل من الفقر وتحد من نمو المدن وترفع إنتاجية الأرياف وتقلل من حجم البطالة وترفع من نوعية الإنسان ونوعية الحياة فى الأرياف والحضر، والسؤال الذى يطرح نفسه يدور حوال مدى نجاح السياسات التى تبنتها الدول الأفريقية؟ ويشير الواقع إلى عدم نجاح الخطط والسياسات الموضوعة بشكل ملحوظ بدليل إنتشار الفقر وإنخفاض الدخل وتزايد نمو المدن وإرتفاع معدلات البطالة وخاصة فى الدول التى لم تتضافر فيها التنمية الحضرية مع التنمية الريفية الإقتصادية والإجتماعية، وإن النجاح

الذى تحقق كان جزئياً وفى عدد محدود من الدول التى أستطاعت أن تجتاز بعض العقبات مثل تونس والمغرب والجزائر وناميبيا وبتسوانا والجابون وموريشيوس وجنوب إفريقيا، وهى الدول ذات الاقتصاديات متوسطة الدخل. بينما تصنف باقى دول القارة ضمن الدول ذات الاقتصاديات المنخفضة الدخل وذلك وفق تقرير التنمية فى العالم الذى أصدره البنك الدولى عام ١٩٩٦. كما أكدت التقارير أيضا أن جميع مقاييس الفقر قد ساءت فى إفريقيا والشرق الأوسط وشمال إفريقيا، كما توقعت أن منطقة إفريقيا جنوب الصحراء هى المنطقة الوحيدة التى من المتوقع أن يتدهور الوضع فيها (بالنسبة للدخل) حتى نهاية القرن العشرين حيث زادت أعداد الفقراء بمعدلات تساوى أو تفوق معدلات زيادة السكان.

كما أشارت تقارير التنمية البشرية إلى تدنى مكانه الدول الإفريقية حسب مستويات التنمية البشرية عام ١٩٩٥، إذ من بين ٦٣ دولة ذات معدلات تنمية بشرية مرتفعة توجد دولة افريقية واحدة وهى سيشل ذات ترتيب ٦٢ بين الدول، ومن جملة ٦٤ دولة ذات معدلات تنمية متوسطة يوجد ١٤ دولة إفريقية هى الجماهيرية الليبية، وبتسوانا ثم تونس فالجزائر فالمغرب ثم جنوب إفريقيا ومصر وناميبيا والجابون وزيمبابوى والكنغو وكيب ڤيرد وسوازيلاند والكميرون. ومن جملة ٤٦ دولة ذات معدلات تنمية منخفضة توجد ٣٧ دولة إفريقية تحتل المراكز الاخيرة من هذه الدول.

الخلاصة أن القارة الإفريقية تمر بمرحلة إنفجار حضرى على نطاق واسع، تضافرت عوامل عديدة على تزايده مما أسفر عن مشكلات عديدة تعانى منها المدن الإفريقية، ترتبط بالأنظمة الحضرية وسيادة الهيمنة وتدهور نوعية الحياة الحضرية والبيئية، يضاف إلى ذلك عدم تحقيق السياسات العديدة التى إتبعتها الدول لأهدافها المخطط لها.

ومن هنا يجب الإستثمار فى المجالات التى تلعب دوراً مهماً فى إزالة الفقر كالتعليم والصحة والصرف والإمداد بالمياه النقية والإسكان وتحقيق المساواه وإنصاف المرأه وتمكينها بالإضافة إلى تحقيق التنمية الريفية على أسس تخطيطية سليمة تراعى خصائص البيئة والسكان. وتنمية وتحقيق تكاملهما للحد من الهجرات إلى المدن وإقرار سكان الأرياف والبوادى. مع أخذ إتجاهات النمو السكانى والحضرى وإسقاطات ذلك فى الحسبان للتنمية فى المستقبل.

المصادر (الهوامش)

١ - إسحق يعقوب القطب، (١٩٧٨)، إتجاهات التحضر فى الوطن العربى، ضمن كتاب التحضر فى الوطن العربى، االجزء الأول. معهد البحوث والدراسات الغربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ص ص ١-٩٢.

2 - Eldridge, H.T., (1956), The Process of Urbanization in Spengler, J.J. and Duncan, O.D. (Edits), Demographic analysis (Glenco III), Free Press, P. 338.

3 - Lampard, E.E.; (1965), Historical aspects of Urbanization, Chapter 14 in Hauser, P.M. and Schnore, L.F. (Edits), The Study of Urbanization (John Wiley & Sons), P.P. 519-20.

4 - United Nations; (1958), Multilingual demographic dictionary, English Section, Population Studies No. 29, P. 18.

5 - Davis, K. ; (1969), The Urbanization of the human population, in "The city in newly developing countries.", Breeze, G. (ed.), Prentice-Hall, N.J., P.7.

٦ - إسحق يعقول القطب، (١٩٧٨)، مرجع سابق ص ص ١-٩٢.

٧ - حسن الخياط، (١٩٧٨)، الحضرية والتحضر فى إفريقيا، ضمن كتاب التحضر فى الوطن العربى، الجزء الأول، معهد البحوث والدراسات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ص.ص. ٩٣-٢١٢.

٨ - جيرالد برين، (١٩٧٢)، مجتمع المدينة فى البلاد النامية، ترجمة محمود الجوهرى، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ص ٢٣.

9 - Albert, C.N. & Hans, N., (1979), Urban life, the Socio-econamic of cities and urban society, John Wiley & Sons, New-york, PP. 5-11.

١٠ – فنسنت فرانسيس كوستيلو، (١٩٨٨)، التحضر فى الشرق الأوسط، ترجمة غريب محمد سيد أحمد وعبد الهادى محمد والى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص٢١.

11 - Stock, R.; (1995), Africa South of the Sahara, A geographical interpretation, The Guilfard press, London, PP. 193-209.

12 - Griffiths, i.li., (1994), The Atlas of African Affaires , Routledge, London, PP. 169-170.

١٣ – جمال حمدان، (١٩٦٦)، إفريقيا الجديدة، دراسة فى الجغرافية السياسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ص ١٣٦–١٣٨.

١٤ – المرجع السابق، ص ص ١٤١–١٤٢.

15 - Griffiths, L.Li., (1994), op.cit., PP. 169-170.

16 - United Nations (Habitat); (1992), Lend for housing, Habitat, Nairobi, P. 3.

17 - United Nations; (1969), Growth of the World's Urban and rural population, 1920-2000, Population studies, No. 44, Department of economic and Social affairs, New york, PP. 24-31.

١٨ – فتحى محمد أبو عيانة، (١٩٨٣)، جغرافية إفريقية، دراسة إقليمية مع التطبيق على دول جنوب الصحراء، دار النهضة العربية، بيروت، ص ١٧٤.

١٩– جمال حمدان؛ (١٩٦٦)، مرجع سابق، ص ص ١٣٦–١٣٨.

20 - United Nations; (1995), Warld Urbanization prospects; the 1994 estimates on projections of urban and rural populations and urban agglomerations, department for economic and social information and policy analysis, New york, table 5.

21 - United Nations; (1969), Op.cit., P. 37.

22 - Connor, A.O.; (1983), The African city, Hutchinson University Library for Africa, London, P. 32.

23 - United Nations; (1969), op. cit., P. 44.

24 - Best, A.C.G. and de Blij, H.J.; (1977), African Survey, John Wiley & Sons, New york, Santa Barbara, London, Sydney, Toronto, PP. 131-136.

25 - Ibid., P. 131-136.

26 - Ibid., P. 131-136.

27 - Ibid., P. 131-136.

28 - White, R.R.; (1989) The influence of environmental and economic factors on the urban crisis, in African cities in crisis (ed.), Richard Stren and Rodney White, Westview Press, London, PP. 1-19.

29 - United Nations; (1995), World urbanization prospects, op. cit., Table A2, A3.

٣٠ – النسب محسوبة عن الأرقام المطلقة فى Ibid, A2, A3

٣١ – النسب محسوبة عن الأرقام المطلقة فى Ibid, Table A3

32 - Ibid, Table A4.

٣٣ – النسب والأشكال محسوبة ومرسومة بناء على أرقام فى Ibid, Table A2, A3.

٣٤ – برنامج الأمم المتحدة الإنمائى؛ (١٩٩٥)، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٥، الطبعة العربية، دار العالم العربى للطباعة، القاهرة، ص ١٥٧.

35 - United Nations; (1990), World population monitoring 1989, Special report: The population Situation in the least developed countries, Department of international

economic and social affairs, Population studies, No. 113, New york, P. 179.

36 - United Nations; (1990), World population prospects 1989, Tables A15, A18, A22 & A23.

37 - Stock, R,; (1995), Op.cit., PP. 119-132.

38 - United Nations; (1995), op.cit., Table A7, P. 114.

٣٩ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٩٧)، طنجة بوابة إفريقيا، دراسة فى جغرافية المدن، القاهرة، ص ٢٠٠.

٤٠ - وقد واجهت الباحثة هذه المشكلة عند دراستها لمدينة طنجة التى نمت خارج حدودها الإدارية، وقد عدلت الدولة الحدود الإدارية فى آخر تعداد ١٩٩٤، إلا أن هذا النمو ظل لايذكر منذ خرجت المدينة عند الحدود بعد ١٩٧١ وحتى ١٩٩٤.

٤١ - كما وجدت الباحثة أن معدل النمو السنوى كان ٢٠٪ إلى ٢٥٪ فى هوامش مدينة طنجة خارج الحدود الإدارية.

42 - United Nations, (1995), op.cit., PP. 3-19.

43 - Ibid. , PP. 3-19

44 - Ibid. , PP. 3-19

45 - Ibid. , PP. 3-19

٤٦ - منها على سبيل المثال فتحى محمد أبو عيانة، (١٩٨٤)، السكان والعمران الحضرى، بحوث تطبيقية فى بعض الأقطار العربية، (البحث رقم ٥ المدن الكبرى المهيمنة فى الوطن العربى، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٢٩١.

* معهد البحوث والدراسات العربية، (١٩٨٠)، التحضر فى الوطن العربى (الجزء الثانى)، القاهرة.

* عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، الجمهورية التونسية، دراسة فى جغرافية المدن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة.

* Hance, W.A., (1970), Population migration and urbanization in Africa, New york, Columbia University press.
* Clarke, J.I.; (1972), Urban primacy in tropical Africa : in La Croissance Urbaine en Afrique Noire et a Madagascar, Paris, CNRS.

47 - Connor, A.O.; (1983), op.cit., PP. 44-47. & PP. 239-242.

48 - Kay, G; (1967), "The towns of Zambia", in Steel, R.W. and Camton, R. (EDS.) Liverpool, Essays in Geography, Longman, London.

49 - Ajaegbu, H.I,; (1976), Urban and rural development in Nigeria, Heinemann, London,

50 - Connor, A.O.; (1983), The African city, op.cit., p. 255.

51 - Ibid. , P. 255.

52 - Ibid. , P. 50.

53 - United Nations; (1995), op.cit., table A12, P. 139.

54 - Ibid.; Table A12, P. 136.

55 - Connar, A.O., (1983), op.cit., pp. 50-51.

٥٦ - مـصـدر الأرقـام United Nations, (1995), op.cit., Table A12, P. 136.

٥٧ - وزارة التعمير والمجتمعات العمرانية والإسكان والمرافق، (١٩٩١)، مخطط التنمية بعيد المدى لإقليم القاهرة الكبرى، إقليم القاهرة الكبرى المخطط الهيكلي، الهيئة العامة للتخطيط العمراني، معهد التخطيط والتحضر لإقليم باريس، القاهرة، جدول رقم ٢.

58 - United Nations; (1995), op.cit., Table A11, P. 13.

٥٩ - فتحي محمد أبو عيانة، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ص ٢٩٤-٢٩٥

٦٠ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ص ٢٤٩-٢٥٤.

61 - Connor, A.O.; (1983), op. cit., P. 252.

62 - Ibid., P.51.

٦٣ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٩٧)، مرجع سابق، ص ص ١٨١-٢٠١.

64 - Connor, A.O.; (1983), op. cit., P. 53.

65 - Ibid., P. 50.

66 - United Nations; (1980), Patterns of urban and rural population growth, population studies No. 68, Dept. of international economic and social affairs, New york, pp. 20-37.

67 - Ibid., pp. 2-37.

68 - Morgan, R.W., (1975), Fertility levels and fertility change, In Caldwell, J.C. (ed.), population growth and socio-econamic change in West Africa, New york, Columbia press.

69 - Thompson, J.W., (1978), Fertility aspirations and modernization in urban Uganda, Urban Anthropology, 7, pp. 70-155.

70 - Caldmell, J.C. (ed.); (1975), population growth and socio-economic change in West Africa, New york Columbia university press, p.11.

71 - Connor, A.O.; (1983), op.cit., p. 55.

72 - Hance, W.A.; (1970), op.cit.; pp. 293-294.

٧٣ - لمزيد من التفصيلات إنظر:

* حمادى بتبوت، (١٩٩٣)، توزيع السكان والهجرة الداخلية فى العالم العربى، المؤتمر العربى للسكان، اللجنة الاقتصادية الإجتماعية لغربى آسيا، صندوق الأمم المتحدة للسكان، جامعة الدول العربية، ص ص ٢-١٠.

* فتحى محمد أبو عيانة، (١٩٨٧)، إتجاهات الهجرة الداخلية فى العالم العربى، المؤتمر العربى، حول السياسيات السكانية، جمعية الديموجرافيين العرب فى تونس مارس ١٩٨٧، جامعة الدول العربية، الأمانة العامة وحدة البحوث والدراسات السكانية.

* Hance, W.A.; (1970), op.cit.

* Caldwell, J.C.; (1969), African rural urban migration: the movement to Ghana's Towns, C. Hurst.

* Clark, J.I. and Rosinski, L.A. (eds.);(1982), redistribution of population in Africa, Heinemann, London.

٧٤ – حمادى بتبوت؛ (١٩٩٣)، مرجع سابق، ص ٥٢، ٥٥، ٥٦.

75 - Economic Commission for Africa (ECA); (1992), demographic handbook for Africa, population division, p. 72.

76 - Economic Commission for Africa (ECA); (1994), Patterns, couses and consequences for development planning of female migration in selected ECA member states, p. 70.

77 - Connor, A.O.; (1983), op.cit., pp. 60-62.

78 - Ibid., pp. 60-62.

* Thiam, B.; (1994), Environmental impact on migration and on the spatial redistribution of the population in Mali; in population environment development, U.N., pp. 175-185.

* نسب المولودين بالقاهرة والجيزة والخرطوم والاسكندرية من: فتحى محمد أبوعيانة، (١٩٨٧)، مرجع سابق، ص ٧.

* نسب مدينة تونس من:

عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، الجمهورية التونسية، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

* نسب مدينة طنجة من:

عزيزة محمد على بدر، (١٩٩٧)، مدينة طنجة، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

* نسب الدار البيضاء من:

* Direction de la statistque (CERED); (1992), population et emploi, Rabat, p. 117.

79 - Connor, A.O.; (1983), opcit., pp. 60-63.

٨٠ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ص ٢٦٠-٢٦٣.

٨١ - عزيزة محمد على بدر، (١٩٩٧)، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

82 - Mengele, H.J.; (1994), Interrelations between population, environment and socio-economic development in Tanzania, Cairo Demographic Centre, pp. 216-239, (Population & Development Research Monograph series 1.)

83 - Abdel Hameed, W.; (1994), Size and growth of Urban population in Western Africa, African studies, No. 40, Institute of African reseach and studies, Cairo University, p. 24.

84 - Thiam, B.; (1994), opcit., pp. 175-185.

85 - Habitat; (1990), Finance for shelter and services: as a component of the Global strategy for shelter to the year 2000, Nairobi, p.2.

- ECA; (1995), op, cit., p. 62.

٨٦ - عزيزة محمد على بدر ؛ (١٩٩٧)، مرجع سابق، ص ص ٢٨٥-٢٩٠.

87 - ECA; (1995), Economic and Social Survey of Africa, 1994-1995, U.N., Addis-Ababa, p.61.

88 - Griffith, L.Li, (1994), op. cit., pp. 120-121.

٨٩ – برنامج الأمم المتحدة الإنمائي؛ (١٩٩٢)، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤، الترجة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ص ١٦٤-١٦٥.

– برنامج الأمم المتحدة الإنمائي؛ (١٩٩٥)، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٥، الترجمة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص ص ١٦٠-١٦١.

– البنك الدولي؛ (١٩٩٦)، تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٦، الترجمة العربية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ص ص ٢٣٨-٢٣٩.

٩٠ – تقدمت الباحثة ببحث عن الفقر الحضري ومشكلة الإسكان في إفريقيا (١٩٩٦)، ضمن أعمال ندوة دور الأمم المتحدة في إفريقيا بمعهد البحوث والدرسات الإفريقية، جامعة القاهر.

91 - Habitat; (1990) , op. cit., p. 2.

92 - Habitat; (1995), Compendium of human settlements statistics 1995,, U.N., New York,pp.350-351.

٩٣ – الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء؛ (١٩٨٩)، النتائج الأولية لتعداد ١٩٨٦، القاهرة.

94 - Mengale, H.J., (1994), op. cit., pp. 216-239.

95 - Kulaba, S., (1989), Local government and the managemant of urban services in Tanzania, in African cities in crisis, by Stern, R.E. & White, R.R., Westview press, London, pp. 203-245.

- Habitat; (1995), op. cit., pp. 381-398.

٩٧ – ممدوح زكي وآخرون، (١٩٨٩)، المعجم الموضوعي للمصطلحات الطبية ومصادرها اللاتينية واليونانية وشرحها بالعربية والإنجليزية، دار ———، الرياض، ص١٨٢.

98 - ECA, (1995), op. cit., pp. 56-62.

99 - United Nations, (1995), the challenge of urbanization, the world's large cities, department for economic and social in-

formation and policy, analysis population devision, New York, pp. 1-3.

١٠٠ – فاتن محمد البنا، (١٩٩٢)، الأبعاد الجغرافية لمرض الإيدز فى قارة إفريقيا، مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية، العدد حادى عشر، ديسمبر، ص ص ١١٧–١٥٩.

١٠١ – عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص٢٦٧.

102 - United Nations, (1992), population studies, No. 126, World population manitoring 1991, New york, pp. 164-165.

١٠٣ – اديراننى أديبوجو، (١٩٩٢)، إفريقيا المحاجرة، مجلة رسالة اليونسكو، يناير ١٩٩٢، اليونسكو، ص ص ٣٢–٣٥.

104 - United Nations, (1990), population studies, No. 113, World population monitoring 1989, New york, pp. 197-178.

105 - United Nations, (1992), population studies, No. 126, op. cit., pp. 159-160.

106 - United Nations, (1990), population studies, no. 113, op. cit., p. 190.

107 - United Nations, (1992), no. 126, op. cit., p. 159.

108 - Ibid. , p. 160.

١٠٩ – عزيزة محمد على بدر، (١٩٨٤)، مرجع سابق، ص ٢٦٠.

110 - United Nation, (1995), World Urbanization prospects, the 1994 revision, op. cit., p. 141.

الجغرافيا الطبية للقارة الأفريقية

إعداد

أ.د. محمد مدحت جابر عبد الجليل

استاذ ورئيس قسم الجغرافيا بجامعتى

المنيا والإمارات العربية المتحدة

القاهـــرة

١٩٩٧

الجغرافية الطبية للقارة الافريقية

اهمية دراسة الجغرافية الطبية لافريقيا:

الاهتمام بالجغرافيا الطبية حديث التناول نسبيا من قبل الجغرافيين وذلك لحداثة الموضوع عموما وغالبا ما تهتم الجغرافيا الطبية بموضوعين رئيسيين، الاول بيئة المرض Disease Ecology الثانى الرعاية الطبية medical care وفى مثل دراستنا المحدودة الحيز هذه، لاينتظر التعميق فى كل مشكلات أفريقيا، أو أن نلم بكل جوانب الموضوع، كما أنه لا ينتظر أن تحل الجغرافيا الطبية مشكلات أفريقيا المزمنه،

وتهدف الدراسة عموما إلى رسم صورة عامة شاملة لمشكلات القارة الصحية تفيد العاملين بالحقل الصحى الذين عادة ما يكون نهجهم العلمى جزئيا يقوم على التخصص الشديد على عكس النهج الجغرافى الشامل الذى يركز عل نظرة كليه للأمور. كذلك تهدف الدراسة الى الإشارة لبرامج الرعاية الصحية الحالية وإلى ما يجب أن يوجد فى أية أستراتيجية للرعاية الصحية فى منطقة مثل القارة الافريقية.

ويجب أن يوجه البحث فى الجغرافيا الطبية لحل المشكلات وتبنى الاستراتيجيات على أنها جزء من الجغرافيا التطبيقية، وينتظر من خلال إستخدام مفاهيم وأساليب الجغرافيا أن تبحث الموضوعات ذات العلاقة بالصحة بصورة أفضل. (Meade, et al , 1988:3)[1].

بيئة المرض فى افريقيا، Disease Ecology : ـ

يشبه البعض نمط المرض الحالى فى أفريقيا بما كان سائدا فى أوربا فى العصور الوسطي، كذلك يوصف النمط بالتعقيد، لأن الافريقى يعانى فى آن واحد من عدة أمراض (Mc Glashan, 1975 : 220) والمقصود بيئة المرض فى هذا السياق، البيئة الطبيعية وأيضا البشرية الاجتماعية الحضارية.

١ ـ البيئة الطبيعية والمرض فى افريقيا:

من بين عناصر البيئة الطبيعية يبرز المناخ لدورة الواضح فى نوعية المرض بالقارة ويتضح ذلك من أن ثلثى القارة تتصف بالجفاف، لذا كان الحصول على الماء له أولويته، وغالبا ما يكن هذا الماء ملوثا، ولوحظ الاتفاق بين قمة الاصابه بمرض معين وقمة المطر، كما فى حالة البلهارسيا والملاريا.

والماء والمرض متلازمان فى أفريقيا، وأحد الامراض الخطيره دليل ذلك وهو عمى النهر وخاصة فى غرب أفريقيا River Blindness. ويمكن رسم صورة عامة عن ارتباط المرض بالمناطق المناخية ففى مناطق الغابات المطيرة ذات الرطوبة العالية والفرق الحرارى الضئيل، وحيث اعتماد السكان على الجذريات والغذاء قليل البروتين، يتعرض السكان لنواقل المرض التى يناسبها الحرارة العالية والرطوبة الزائدة، مثل الدودة الخطافية والملاريا، (Parry,1984: 2-9)(٣) أما مناطق السافانا، وهى على العكس من المناطق السابقة، يتصف المطر بالفصلية، ويقل تعرض السكان لنواقل المرض سابقة الذكر، الا إذا وجدت مناطق صغرى أو محلية Local - Micro - Climates، وعادة ما ينشأ ذلك بفعل الأنسان، خاصة مثل مشروعات الرى وإقامة السدود، وما يتبع ذلك من تفشى البلهارسيا والملاريا. وفى السافانا، تتفق الاصابة بالملاريا وقمة المرض،

كذلك نجد أن الدودة الخطافية أقل شيوعا لأن التربة تجف بسرعة فلا تسمح لليرقات بالبقاء. ويعمل سكان السافانا بالرعى فيتوفر الغذاء البروتينى ـ عكس الغابات المطيرة ـ ولذا تقل نسبيا ـ أمراض سوء التغذية،الا إذا فشل موسم الحصاد لقلة المطر، ويصحب ذلك اصابة بعض السكان ممن هم على حافة حالة سوء التغذية ونقص البروتين On the margin of protein malnutrition وفى المناطق الصحراوية، فالماء قليل، ويوجد الذرة والقمح بقلة، ويحصل على الماء من خلال حفر فى الارض وغالبا ما يكون ملوثا، كذلك تشيع هذه الأمراض المنقولة للإنسان عن الحيوان.

أما فى المناطق المرتفعة، والتى يتغير مناخها بالارتفاع، مثل الحال فى أثيوبيا والجبال القائمة على طول الأخدود الإفريقى فى كينيا، وجبل روينزورى ومعظم رواندا وأجزاء من زيمبابوى وبوتسوانا ومنطقة الراند فى أفريقيا الجنوبية، هنا يختلف نمط المرض عما سبق ذكره، وتقل أمراض سوء التغذية الا إذا فشل موسم المطر فتنتشر المجاعة كما حدث كثيرا فى إثيوبيا. وفى هذه المرتفعات، يؤدى تحرك السكان رأسيا الى تفشى المرض. ومثال ذلك، نقل الملاريا من مناطق أقل ارتفاعا الى المرتفعات، اذ أن المرض قليل الوجود فى المرتفعات، ولكن تحركات السكان تنقلهم من السفوح المنخفضة إلى المرتفعات. ومثال آخر على علاقة المرض بالمناخ تتمثل فى الأمراض البكتيرية خاصة لدى الأطفال حين تكون الرطوبة عالية والتبخر قليل فينتشر مرض التقيح الجلدى Pyoderma وتتفق أعلى اصابه به وبغيرة من الأمراض الفطرية مع موسم المطر، كذلك تظهر الأمراض الخاصة بالإجهاد الحرارى فى المناطق المدارية وينعكس اسم المنطقة المناخية على المرض فيسمى انحباس العرق المدارى Tropical anhidrosis. ورغم أن المناخ الحار، وزيادة نسبة المادة الملونة للجلد قد أعطى الزنوج حماية طبيعية ضد سرطان الجلد، الا أن المرض يظهر

كمشكلة حادة فى مناطق افريقية مثل أوغندا ومالاوي، وذلك بسبب عدم علاج الاصابات والجروح أو القرح التى يتعرض لها السكان بسبب طبيعة حرفهم وسيرهم فى مناطق وعره وجافة (Hutt, 1991: 229)[٤] ويؤكد ذلك تركز سرطان الجلد لدى سكان بتسوانا وبعض قبائل صحراء كلهارى فى الأرجل أكثر من غيرها من أجزاء الجسم.

ومن أهم مظاهر الارتباط بين المناخ والمرض هو حالة مرض ليمفومابوركت Burkitt's Lymphoma إذ ينتشر المرض فى أفريقيا المدارية فى شكل حزام أو نطاق له حدوده المناخية، حيث لا تقل درجة الحرارة عن ١٦م، وكمية المطر عن ١٠٠٠ملم سنويا، لذا فالمرض غير معروف فى المناطق الجبلية من أفريقيا (Williams, et al, 1974 : 19 - 22) كذلك نجد أن حصوات الكلى هى من أمراض المناطق الجافة، كما هو ملاحظ بخاصة لدى الاطفال فى منطقة الساحل الافريقية. وانخفاض الحرارة كذلك يؤدى لامراض معينة فى الليالى الباردة فى منطقة السافانا وإقليم الساحل ، وأيضا فى المناطق المرتفعة مثل اثيوبيا وكينيا ورواندا وبوروندى وبتسوانا حيث ينتشر مرض تفريط الحرارة Hypothemia (kambal, et al, 1979: 75 - 9)[٦] . وليس المناخ البارد وحدة مسئولا عن بعض الأمراض، إنما لابد أن يصاحب ذلك أمراض سوء التغذية والنحافة كما يقرر ديكويار وزملاؤه. (Docquier, et al,. 1981: 123)[٧].

ويظهر تأثير المناخ من خلال تأثيره فى نواقل المرض، فطفيل الملاريا من نوع P. Vivax يتطلب ٧ أيام ليصبح معديا عند درجة حرارة ٣٠م، بينما يتطلب ١٦ يوما عند درجة حرارة ٢٠م، أما النوع المسمى P. malariae فيتطلب ٩ أيام ليصبح معديا عند درجة حرارة ٣٠م، ١١ يوما عند ٢٤م و ٢٠ يوما عند درجة

حرارة ٢٠م، وهو ما يفيد فى رسم خريطة توزيع الملاريا على أسس مناخية (parry, 1984, 13 -15)[٨] . كذلك نجد أن الذبابة التى تصيب بمرض عمى النهر الشائع فى الغابات المدارية المطيرة، وتعتمد على رطوبتها، لذا تنشر بين خطى عرض ١٠ ـ١٢ شمالا ولاحظ بارى أن المناطق المدارية تكون أعلى من خارجها بحوالى ٣ درجات مما يساعد فى نقل الامراض مثل الملاريا (parry, 1984: 13 - 15)[٩].

وتؤثر عناصر المناخ فى الفيروسات والبكتريا ، ومن ذلك أن أوبئة الحمى الصفراء أكثر إحتمالا للحدوث إذا ما ارتفعت درجة الحرارة، وفى حالة مرض يسمى yaws أى الداء المصعى أو العليقى ورغم ابطال البنسلين لخطورتة، فأنة ينتشر بسرعة فى المناطق التى لا تقل بها كمية الامطار عن ١٢٥٠ ملم سنويا (٥٠ بوصة) ومتوسط درجة الحرارة لا يقل عن ٢٤م، ودرجة الحرارة لا تحدد فقط التوزيع الجغرافى للمرض، أنما أيضا الحدود الفصلية Seasonal Limits والتأثيرات المناخية قد لا تكون مباشرة على المرض، فالتغيرات الفصلية المناخية تؤثر فى الإمداد بالغذاء وهذه بدورها تؤثر فى المرض. وعادة ما يكن الغذاه شحيحا ونادرا فى افريقيا قبل الحصاد سواء فى كميتة أونوعيته، ويظهر ذلك فى نقص حمض الفوليك Folic Acid المشتق من الخضروات الطازجة ، ويؤثر ذلك فى صحة الأمهات ونقص وزن المواليد (Nurse, 1975 :1-11)[١٠] كما يظهر مرض سوء التغذية والملاريا أثناء العمل فى الفصل المطير لدى النساء الحوامل الذين يقومون بأعمال شاقة فى المزارع.

ويمكن القول أن المزارعين فى السافانا الافريقية يتعرضون للأمراض بصورة موسمية، تتفق والمناخ السائد، فيصاب فى يناير وفبراير بمرض رئوى يسمى Pneumococci، وفى مارس وأبريل يصاب بمرض المكورات السحائية

Meningococci، أما فى مايو يونيو فيصاب بدودة غينيا Guinea worm ، وفى يوليو وأغسطس يصاب بالملاريا، وكذا فى شهور الصيف حتى شهر أكتوبر، علما بأن موسم المطر يختلف بحسب موقع كل مكان. ويصاحب أكثر الفترات حرارة فى أفريقيا أمراض خاصة تصيب القلب مثل هبوط أو فشل القلب، وأرتفاع ضغط الدم فى الأمهات الحوامل كثيرى الأطفال. وتزيد اضطرابات التغذية فى الفصل الرطب لنقص حمض الفوليك وندرة الخضروات الطازجة، ونقص التغذية بسبب نقص الحبوب.

وفى الفصل الجاف تنقل الكائنات الدقيقة والبكترية أمراض مثل مرض الجمرة أو الذيال anthrax وهو مرض خطير يصيب الغنم والماشية وينتقل للإنسان . ولعل مرض البلهارسيا يوضح بصورة دقيقة العلاقة بين المناخ والمرض ، ففى شرق أفريقيا، وفى الفصل شديد الحرارة للمناخ السوداني، يمنع أنتشار وتكاثر القواقع المسماة Biomphalaria Spp، وبنفس الطريقة فالحرارة المرتفعة فى السهل الساحلى تحد من توزيع قواقع S. Mansoni ووجد أن درجة الحرارة المثالية (المثلي) لنمو القواقع هى ٢٥م، لذلك نجد أنه فى مصر وغيرها فان فصل الشتاء البارد لا نجد الا القليل من القواقع تقوم بنقل العدوى (Parry1984: 18) وفى حالة الأمراض التى تنتقل عن طريق الهواء مثل مرض التهاب السحايا Meningococcal meningitis وهو من أمراض السافانا ويوجد بشكل وبائى أحيانا ومتوطن أحيانا أخري، ويظهر المرض غالبا عند نهاية الفصل الجاف، ومع هطول المطر تبدأ أعداد الحالات فى التناقص كذلك نجد أن مرض الحصبة Measles مرض الأطفال الخطير يكون وبائيا فى الفصل الجاف وخاصة خلال الشهور الأبرد.

وتزيد أصابات الكوليرا خلال الفصل المطير، وفى أنحاء أخرى تزيد الاصابة

عند نهاية الفصل الجاف وذلك لان البقايا الضئيلة من المياه المتبقية تكون مصدرا للمياه الملوثة. وفى كثير من أجزاء أفريقيا ترتبط قمة الاصابة بالمرض مع فصل معين ، وفى حالة مرض الحمى الراجعة تكون قمة الاصابة خلال الفصل المطير وخاصة يوليو وأغسطس فى اثيوبيا، ويرجح أن تزاحم السكان خلال الفصل يساعد على ذلك ووجد أن حالات السفلس أو الزهرى المتوطن En-demic Syphiles والقرح المدارية تزيد لدى جماعات peuls فى السنغال والطوارق فى النيجر خلال الفصل المطير وتقل جدا فى الفصل البارد، كذلك تزيد القرح المدارية بين الفلاحين من الهوسا فى شمال نيجيريا خلال الفصل المطير وخاصة فى المنطقة الحدودية الفاصلة بين نيجيريا والنيجر. ودور المناخ ليس مطلق إذ لابد من وجود الانسان لينتقل المرض اليه، وعلى ذلك فرغم اتفاق مكانين فى المناخ السائد، الا أن الدور الحاسم لنقل المرض هو الانسان، فمرض النوم وجد أنه يسود بدرجة تزيد عشرة مرات بين القبائل التى تحركت من هضبة جوس الى مناطق السافانا المجاورة عن السكان القاطنين لنفس المنطقة ، وذلك لتردد المهاجرين على برك المياه والماء القليل الموجود بالنهر أكثر من السكان المستقرين مما عرض المهاجرين للدغات أكثر من الذباب المسبب للمرض، كذلك تؤثر حرفة السكان فى تعرضهم للمرض أكثر من تأثير المناخ، ومثال ذلك جامعو العسل، وأيضا الصيادون الذين يتعرضون للدغ الذباب والحشرات فى الادغال والشجيرات خلال الفصل الجاف حين تحتمى هذه الحشرات بهذه النباتات (parry, 1984: 18 - 20) [١٢].

ويلعب المناخ دورا غير مباشر فى نقل المرض، فحين يقل العمل الزراعى فى الفصل الجاف فى السافانا، يسافر السكان بصورة أكثر فينقلون المرض المعدى حيث يحلون على طول طرق النقل والمواصلات وإلى مناطق تكون الأمراض التى ينقلونها أقل شيوعا، كذلك تكثر حوادث السيارات فى غرب افريقية فى مارس

وأبريل شـديدى الحـرارة لاصابة السائقين بالاجهاد. ويتلازم عنصـر مناخـى أحيانا مع عنصر تضاريسى فى نقل المرض كما فى ليمفومابوركت سابقة الذكر والشائعة لدى أطفال افريقيا المدارية فالمرض أكثر شيوعا فى المناطق المنخفضة المنسوب ويقل فى المرتفعات قليلة الحرارة، والمرض فى غاية الخطورة فهو يمثل نسبة ٣٥٪ من كل الأورام التى تصيب أطفال أو غنده (Hutt, 1991, 230 - 1).[١٣]

وعلاقة المناخ واضحة فى حالة الأمراض الناجمة عن سوء التغذية، فعلى سبيل المثال نجد أن أرتفاع أسعار الغذاء فى نهاية الفصل الجاف لندرة الغذاء يؤدى لاصابة السكان بمرض «كواشيوركور» وهو نوع من البلاجرا من أمراض سوء التغذية kwashiorkor، وتكون جماعات السامبورو Samburu فى شمال كينيا على حافة المجاعة لمدة ٤ شهور لإعتمادهم على لبن الماشية والتى تعانى نقصا فى الغذاء فى الفصل الجاف مما يقلل من إدرارها للألبان.

ويؤدى الجفاف Drought ونقص الماء الى أن يستهلك السكان البذور التى أعدوها للزراعة لموسم الزراعة الجديد، لذا يصبح أقل نتاجا، كما أن تعاقب مواسم الجفاف يؤدى إلى هجرة السكان إلى أماكن جديدة عليهم ليست لديهم مناعة لأمراضها مما يسهل إصابتهم بها، كما أنهم يحتشدون فى معسكرات مزدحمة تسهل نقل المرض. وحدوث الأوبئة والأمراض عقب فشل مواسم الحصاد شائع فى أفريقيا، مثال ذلك تفشى الحمى الصفراء فى أثيوبيا بعد فشل الموسم الزراعى سنة ١٩٦٤ وحتى فى حالة المساعدات الغذائية، فإن المتضررين يتلقون أحيانا أغذية لم يألفوها، مثال ذلك تقديم ثريد القمح للمتضررين بالجفاف من الصوماليين وهو ليس مألوفا لديهم، أو أن الغذاء تنقصة العناصر الغذائية السليمة مثل تقديم ألبان الأطفال فى منطقة الساحل

وبه نقص فى فيتامين A مما نتج عنه مـرض فى العين هو جفاف الملتحمه xeropathalmia ويعنى ذلك نشوء مرض ثانوى Secondary disease عن المرض الاصلي. كذلك يوثر الجفاف فى اصابة المحاصيل المخزونة بالفطريات والملوثات، مثال ذلك تلوث الشوفان البرى مما نجم عنه مرض الارجونية Ergotism وهو ناتج عن التسمم من جراء الفطريات فى أثيوبيا (parry,1984 : 82 - 3)(١٤).

ويكون للجغرافى دورة الهام فى التخطيط لبرامج مكافحة الأمراض وخاصة ذات الطابع المناخى أو البيئى عموما لنظرتة الكلية الشمولية للامور من جغرافية وحضارية وبيئية، ويمكن له التنبوء بالأوضاع السيئة فى مناطق جغرافية بعينيها، والتنبية بأحوال الطرق وضرورة تحسينها ليمكن نقل المحاصيل والمساعدات، وكذلك تحديد الفئات السكانية الأكثر عرضة للمرض من بين الشرائح السكانية Population at risk ورسم الخرائط الموضحة للأحوال المرضية وما يتصل بها وخاصة خرائط الانتشار Diffusion التى توضح درجة انتشار المرض ومساراته مما يمكن من محاصرته. كذلك يمكن للجغرافى التنبية الى خصائص جماعات بعينها فى التغذية وعاداتهم مما يمنع المفارقات التى تحدث فى حالة المجاعات ونقص الغذاء من تقديم غذاء غير مناسب، وقد يكون أكثر تكلفة مما تعود عليه السكان.

(٢) البيئة الاجتماعية والحضارية وعلاقتها بالمرض فى افريقيا:

لا تلعب العناصر الطبيعية دورا منفردا فى الاصابة بالمرض كما سبق الذكر، وإنما لابد من وجود الانسان فى هذا السياق، واختلاف السلوك يؤدى إلى اختلاف درجة التعرض للمرض. فإذا بدأنا بالجوانب الديموجرافية: فإننا نجد أن معدلات نمو السكان فى أفريقيا هى من أعلاها فى العالم ووصلت الى

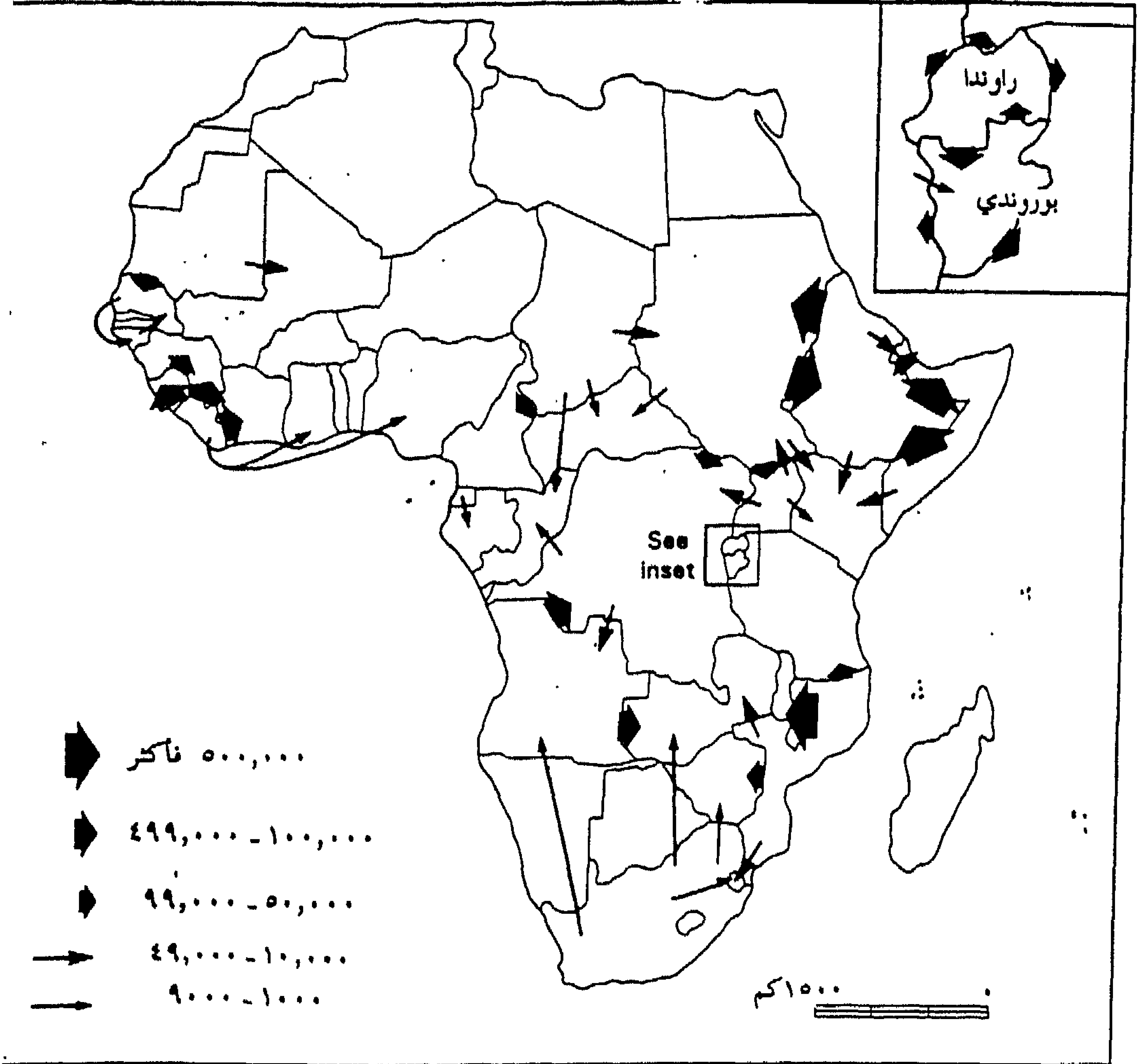
٣٪سنويا كمتوسط للفترة بين ١٩٨٥ ـ ١٩٩٠ . (Stock, 1995 : 119)(١٥) وتصل حاليا الى ٣,١٪ سنويا وهو ما يعنى تضاعف عدد السكان بعد ٢٣ سنة فقط. وقد وصل عدد سكان القارة فى بداية سنة ١٩٩٧ إلى حوالى ٧٥٠ مليون نسمة. وواكب النمو السكانى تزايد الأزمات الاقتصادية وموجات الجفاف وعدم الاستقرار السياسي، ورغم النمو فى معدل نصيب الفرد من الناتج المحلى والإجمالى فى بعض البلدان الإفريقية، الا أن الزيادة السكانية أبتلعت هذه الزيادة، وأنعكس ذلك على سوء التغذية والاصابة بالأمراض، وقلة المخصصات لاستكمال برامج التطعيم والرعاية الصحية، وفى أفريقية بلدان أصبحت أقل فى معدلات الدخل الفعلى فى الوقت الحالى مما كانت عليه حين حصلت علي أستقلالها (Whaley &Hashim, 1995: 133-5)(١٦) أما عن الخصوبه Fer-tility فإنها عالية عموما وأحد أسباب الأمراض الشائعة فى أفريقية للأم أو للأبناء. ويصل معدل الخصوبة الكلية إلى أكثر من ٦ أطفال. ومع الفقر المنتشر فى أرجاء افريقيا فإن أمراض سوء التغذية شائعة، ورغم أرتفاع معدلات الخصوبه، الا أن نسبة العقم كبيرة فى أفريقيا، وبينما نجد هذه النسبة فى حدود ٢ـ٣٪ فى أوربا نجدها قد تصل الى ستة أو سبعة أضعاف ذلك فى أفريقيا جنوب الصحراء ، ويعلل البعض ذلك بانتشار الأمراض الانثوية وإهمال علاجها وتفاقمها مما يؤدى الى العقم من ناحية وانتشار أورام سرطانية بعد تحولها لأمراض مزمنة من ناحية أخرى .

وأما عن الوفيات Mortality فقد تحسن وضعها أكثر من المواليد، وربما يكون معدل وفيات الأطفال الرضع أكثر دلالة فى ذلك السياق، والذى لا يزال مرتفعا فى معظم دول أفريقية. وعلى سبيل المثال فبينما وصل ذلك المعدل الى ٤ فى الألف فى السويد سنة ١٩٩٤، ٨ فى الولايات المتحدة، ٥ فى سنغافورة وهونج كونج يصل الى ٩٢ فى الألف فى أفريقيا جنوب الصحراء مع تباين

واسع بين دولها، فيصل الى ١٤٦ في الألف في موزمبيق، ١٦٣ في سيراليون ، ١٣٨ في غينيا بيساو، ١٢٨ في جامبيا وينخفض الى ٥٢ في الالف في مصر وجنوب أفريقيا، ٨١ في نيجيريا، ٧٤ في غانا ويصل أدناه في بوتسوانا ٣٤ في الألف وفي تونس ٤٥في الألف[١٧] (البنك الدولي ـ تقرير عن التنمية في العالم ـ ١٩٩٦ : ٢٤٨ ـ ٩٠) وهناك إرتباط في أفريقيا بين الفقر وارتفاع المعدل المذكور ومعدل وفيات الأطفال أقل من ٥ سنوات في دول أفريقيا جنوب الصحراء يزيد عن ٢٥٠ لكل ١٠٠٠ مولود في دول مثل النيجر وسراليون وأنجولا وموزمبيق وذلك بسبب الأمراض الخطيرة التي تهدد حياة الأطفال، وأنعكس ذلك على أمد الحياه الذي هو أقصره في العالم ويصل إلى أقل من ٥٠ سنة في ٢١ دولة وإلى أقل من ٦٠ سنة في ٤٠ دولة، ورغم أن أمد الحياه يزيد على ٦٠ سنة في دول الشمال الافريقي العربي، الا أنه اكثر من ٦٠ سنة في ٤ دول فقط بإفريقيا جنوب الصحراء هي بوتسوانا وجنوب أفريقيا، وزيمبابوي وكيب فرد (Stock, 1995 : 125 - 127)[١٨] وأهم الأمراض القاتلة للأطفال هي الملاريا وهي تقتل وحدها ٥٠٠,٠٠٠ طفل أفريقي سنويا إضافة إلى البالغين. أما البلهارسيا فتصيب ٢٠٠ مليون إفريقي علي الاقل، وأدت مشروعات الري لاصابة ٧٥٪ من السكان القاطنين في منطقة هذه المشروعات. أما الكوليرا فسائدة لتلوث المياه، وتردي الأوضاع المعيشية والصحية. والاسهال أيضا قاتل رئيسي ولاسيما بين الأطفال، إضافة لمرض الحصبة التي تحصد الآلاف وخاصة في بعض السنوات مما يزيد من أعداد الوفيات في هذه السنوات رغم توافر الطعم الخاص بهذا المرض وبثمن رخيص، ومع ذلك لم ينجح تحصين أفريقيا ككل مما يسهل نقل المرض، لذلك كان سكان الريف هم أكثر الضحايا نظرا لعدم العدالة واللامساواة Inequality في الخدمات الصحية بين الريف والحضر .

ومن أسباب الوفاه فى أفريقيا التدخين، والذى تضاعف حوالى ٥ مرات خلال عشرين سنة (على خلاف الوضع فى العالم المتقدم) وانعكس ذلك فى التغير فى نمط المرض التقليدى بظهور أثار التدخين فى صورة تزايد امراض الرئة والسرطان بانواعة (Stock, 1995 : 129) وأخيرا فان ظهور مرض الإيدز وفيروس نقص المناعة المكتسبة .H.I.V قد أثر فى جغرافية إفريقيا الطبية حين ظهور المرض بها منذ عقد ونصف من الزمان. وأفريقيا الآن صاحبة أكبر نسبة فى الاصابة سواء بالفيروس أو بالمرض اذا أن الأخير لا يمثل سوى قمة جبل الجليد Ice berg اذ أن الفيروس يظل كامنا لعدة سنوات طويله قبل أن يتحول إلي مرض الإيدز. وللإيذر عواقب ديموجرافية وخيمة، وفى ذلك السياق يشير Chin أنه فى دولة واحدة هى وسط أفريقى وطبقا لدراسات مسحية، ونماذج تنبؤية، فان الخسارة السكانية فى الحضر ستصبح فى نهاية سنة ١٩٩٧ ٣١,٥٪ وفى الريف ٢,٤٪ وفى الدوله ككل ٦,٤٪ (Chin, 1991 :210 - 11)(١٩) ويحسب تقدير WHO فمع حلول سنة ٢٠٠٠ سيكون فى أفريقيا ٢٠ مليون مصاب بالفيروس .H.I.V وعشرة مليون يتيم وهو وضع سيلغى نجاحات برامج التنمية ـإن وجدت ـ ويقلب وضع نمو السكان، ومما سيؤدى الى تقلص وعجز القوى العاملة الافريقية بنسبة ٢٠٪ فى العقد التسعيني، ومما يزيد الطينة بله أن مريض الإيدز فى الدول المتقدمة يتكلف رعاية صحية تصل لاكثر من ٨٥ ألف دولار للفرد، وهو يعد فوق طاقة أغنى الدول فى القارة الافريقية (Whaley & Hashim, 1995: 142) (٢٠).

وأما عن هجرة السكان وتحركاتهم فلها دورها الهام فى نقل المرض، وليس هنا مجال تعداد أنواع الهجرات فى أفريقيا، الاأن السنوات الأخيرة شهدت هجرات مفجعة لاسباب اقتصادية وطبيعية وبيئية وسياسية وعرقية.. الخ. والوضع الحالى فى زائير ورواندا وبورندى دليل على ذلك، ويصاحب هذه



شكل (١)

حركة اللاجئين الرئيسية في سنة ١٩٩٠/ ١٩٩١ في أفريقيا جنوب الصحراء .

الهجرات مجاعات ونقص فى التغذية وأمراض لاحصر لها . ومنذ شهور قليلة قتل فى خضم هذه الهجرات الاجبارية حوالى نصف مليون شخص فى الصراع بين الهوتو والتوتسى وأصبح الارتباط اليوم بين الهجرة والمرض أكثر وضوحا. وفى أفريقيا اليوم أكبر تركز للآجئين فى العالم، وأشارت الامم المتحدة إلى وجود حوالى خمسة ملايين لاجئ فى أفريقى جنوب الصحراء (٤,٨) مليون لاجئ سنة ١٩٩١ ويوضح ذلك الشكل (١) علما بأن الرقم الحقيقى أكبر من ذلك، والسبب ضعف التسجيل لكل الاحصاءات فى أفريقيا تقريبا، وتأثير اللجوء فى المرض واضح اذا علمنا أن ثلاثة أرباع اللاجئين هم من الاطفال والاناث. ويمثل اللجوء عبئا صحيا على الدول المضيفة لهم، وهى أصلا تعانى من نقص فى التسهيلات الصحية، وكمثال فإن السودان أستقبل فى الستينات لاجئين من الدول المجاورة مثل زائير وتشاد وأوغندة وأثيوبيا، بلغوا ١٠٠,٠٠٠ لاجئ فى منتصف الستينيات، ثم زادوا الى ٤٠٠,٠٠٠ لاجئ فى بداية الثمانينيات، ثم الى ١,٢٠٠,٠٠٠ لاجئ سنة ١٩٨٦ قبل أن ينخفضوا الى ٧٥٠,٠٠٠ لاجئ سنة ١٩٩٠ (Stock, 1995: 142-3) [٢١]. أما عن الهجرة الريفية ـ الحضرية فلها دورها الكبير فى نقل المرض، إذ يحل معظم القادمين فى أطراف المدن وأحيائها الفقيرة ويعملون على ترييف هذه المدن Ruralization of cities وكمثال فان سكانها يقدر أنهم تضاعفوا أو سيتضاعفوا ست مرات بين سنة ١٩٨٠ ـ سنة ٢٠٠٠ ويعزى ذلك أساس لهذه الهجرة. وتؤثر عمليات إعادة التوطين وتهجير السكان في حالة التهديد بالمرض فى تعرض السكان لأمراض غريبه عليهم، كما فى حالة المهددين بمرض عمى النهر فى دول غرب أفريقية، والهجرات الموسمية التقليدية مثل هجرات الرعاة، والمزارعين خلال قلة العمل الزراعي كذلك الهجرات بسبب إنشاء مشروعات مائية مثل هجرة النوبيين المصريين والسودانيين إلى بيئات غريبة عليهم وبعض أهالى النوبة السودانيين الذين هاجروا المديرية الأستوائية بسبب إنشاء السد العالى من مناخ شبة

صحراوى الى مناخ حار ورطب، ومن مناطق تتغذى على الحبوب والبقول إلى مناطق تتغذى على الجذريات والدرنيات، ومن مناطق زراعة الأرز الى مناطق محاصيل البستنة التى يطلبها السوق ، ومن منطقة تعد الاصابة بالملاريا بها ضئيلة، إلى منطقة يتوطن فيها المرض ومن منطقة يزيد بها معدل الاصابة بالبلهارسيا إلى منطقة نادرة الاصابة بالمرض، ومن منطقة لا تعرف مرض عمى النهر، إلى منطقة يشيع بها المرض، كل ذلك يعطى صورة واضحة عن عبء المرض الذى من الممكن أن يحيق بالمهاجر، يضاف لذلك سرعة سريان المرض بسبب نقص المناعة الطبيعية للأمراض التى تجابهه وتعرضه للمرض بسبب أغذية لم يتعود عليها، وقد تكون أقل فى عناصرها الغذائية، أو لأنه يعزف عن تناولها (Parry, 1984: 25 - 8) [٢٢]. وفيما يلى بعض الأمثلة لعلاقة الهجرة بالمرض فى أفريقيا وخاصة جنوب الصحراء.

أ ـ هجرة البدو للمدن بعد فقد قطعانهم بسبب الجفاف مما يعرضهم للضياع والمرض كما حدث للطوارق والبدو الرحل حين حلوا بمدينة زاريا شمال نيجيريا سنة ١٩٧٣ فأصابتهم أمراض عديدة وظهرت الحصبة ومرض الشهقة أو السعال الديكى Pertussis بين أطفالهم.

ب ـ تنتقل الأمراض المعدية عن طريق التجارة الدولية والمحلية ـ ومثال ذلك انتشارالحمى الراجعه في السودان الغربى بعد الحرب العالمية الثانية. والطاعون فى غانا سنة ١٩٠٨، سنة ١٩٢٤ بواسطة تجار تحركوا من قرية لأخرى على طول الساحل، وفى شرق أفريقيا، فإن طرق القوافل كانت مسئوله عن نقل الكوليرا من سواحل البحرالأحمر إلي داخل القارة وجنوبا إلى الساحل الصومالي، كذلك كان للسفن والتجارة البحرية دورها فى نقل المرض بين الهند وجزر الهند الشرقية والجزيرة العربية وشرق

أفريقيا.(Stock, 1976: 15 - 22)[٢٢] وفى مناسبة أخرى دخلت الحمى الراجعة لافريقيا بواسطة سفينة عربية وصلت إلى كينيا سنة ١٩٤٥ بواسطة أحد الركاب الذى أرتحل للداخل فانتشر المرض بين السكان غير المحصنيين طبيعيا.

ج - تؤدى الهجرة إلى نقل نمط المرض لبلد المهاجر إلى مكان الوفود، والذى يكون المرض به غريبا على سكانه وهناك العديد من الأمثلة على ذلك كهجرة الآفارقة والآسيويين إلى الولايات المتحدة وأوربا، وكذلك هجرة العمالة فى منطقة الخليج (Gaber, 1987 :37 - 49) [٢٤] ومن أمثلة ذلك فى أفريقيا نمط السرطان فى منطقة الراند بين عمال التعدين، إذا كان القادمون من موزمبيق مصابون بسرطان الكبد، بصورة أكبر من القادمين من ترانسكاى وسوازيلاند.

د ـ ليست الهجرة شرا كلها فقد تتحسن الحالة المرضية، فالأمراض الجلدية تتحسن بانتقال السكان من مناطق ساحلية رطبة الى مناطق داخلية أكثر جفافا.

هـ ـ أخطر الأمراض التى تهدد أفريقيا حاليا وهو الإيدز، وجد أنه ينتشر على طول خطوط المواصلات، ويفترض الباحثون أنه وصل لشرق أفريقيا من مصدر رئيسى للعدوى على شواطئ بحيرة فكتوريا وبواسطة الطريق الشريانى الذى يربط بحيرة فكتوريا بالساحل على المحيط الهندي والمسمى The Trans-African Highway - . وفى دراسة وجد أن ٣٣٪ من سائقى الشاحنات على هذا الطريق كانوا يحملون الفيروس المسبب للمرض. وأن معظمهم مريض بالإيدز بالفعل سنة ١٩٨٧، وأدت طرق النقل لزيادة الاصابة فى أوغنده فقد زادت عدد الحالات المبلغة عن الإيدز من ١٧ حالة سنة ١٩٨٣ إلي ٧٥٠٠ حالة سنة ١٩٩٠، الآن تعد أوغندا من أشد دول العالم إصابة

(Shannon, et al, 1991 :70) [٢٥] وتتوقع الأمم المتحدة فى دراسة لها سنة ١٩٩٤ أن الخسارة السكانية فى أوغنده سنة ١٩٩٠ بسبب الإيدز بلغت نسبتها ١,١٪، سنة ١٩٩٥ ٣,٤٪ وسوف تبلغ الخسارة السكانية سنة ٢٠٠٠ ٦,٢٪ من حجم السكان أى ١,٥ مليون نسمة وتزيد لتصل إلي٨,٤٪ أى ٢,٥ مليون نسمة سنة ٢٠٠٥ (U.N., 1994: 42).

أما عن دور العادات والتقاليد فى الجغرافيا الطبية لأفريقيا. وهى جزء من خصائص القارة الاجتماعية الاقتصادية Socio Economic فهو دور يكاد لا يوازيه دورأخر فى العالم.

والأمثلة التالية توضح ذلك مما يدخل فى الغذاء والعادات الغذائية وطرق المعيشة والطب الشعبى وتربية الاطفال والاختلاط بالحيوان وطبيعة السكن.

١ ـ تعد الكسافا غذاء رئيسيا فى كثير من أنحاء أفريقية وثبت وجود مادة السيانيد السامة فى قشر الكسافا ويؤدى هذا الى إصابة السكان بمرض الإعتلال العصبى Neuropathy وثبت أن المرض لا يظهر لدى الشعوب التى لا تتناول الكسافا وقشرها كغذاء.

٢ ـ تتناول بعض الجماعات الافريقية اللحم النئ أو غير المطهو جيدا مما ينشر أمراض الحساسية والتهاب الحنجرة Laryngitis كما هو الحال عند جماعات أبو زيلج وأبو ديلج فى شمال السودان حيث يتناولون المارام Maram (الكبد النئ والرئة النيئة والاحشاء الخاصة بالماعز). والتى تكون مصابة بشدة بالطفيليات، وكذلك يشيع مرض التحوصل Hydatid بين جماعات التوركانا فى شمال كينيا، لإصابة قطعانهم بالمرض. وهناك غذاء شهير يتم فطام الأطفال عليه فى أفريقيا، يكون عادة ملوثا بالبكتريا ويؤدى لاندلاع أوبئة أحيانا، كما حدث بين بدو كينيا حين ظهر وباء من جراء ذلك.

٣ ـ تشيع الوصفات المحلية بين القبائل فى أفريقية عموما ومن ذلك وضع الطين على المصـابين بمرض الجـدرى الكاذب أو المائى Chichenpox فـى النطاق السوادنى مما يؤدى لمرض التيتانوس الوليد (Parry 1984: 30-2)(٢٦)

٤ ـ تسود عادة أكل الطين Geophagy والتى درسها عديد من الجغرافيين فى أنحاء أفريقيا، وبعض جهات العالم، ويرجع معظمهم أصلها إلى تقليد أفريقى معروف ، وتوجد حتى فى الولايات المتحدة كما يذكر الجغرافى جون «هنتر»، أما «ابراها مزوبار سونز» فيربطانها بالفقر فى أفريقية، ويرى من درس هذه العادة أنها دليل على عدم التوازن فى الأملاح لدى ممارسيها Min-eral Inbalance ونقص بعض المعادن والذى تعوضه هذه العادة من خلال الطين المستهلك وخاصة من الحديد(Abrahams & Parsona, 1996 63-72).(٢٧) ويرى الباحثان أن التقليد شائع بين السكان فى مناطق الازدحام وله علاقة بالحمل والممارسات الدينية، والطب الشعبي، وبمدى توفير الطين فى مناطق معينة مثل جوانب الأنهار، ونقل ممارسة هذه العادة فى الصحارى والجزر المنعزلة مثل مدغشقر، وكان الجغرافى جون هنتر من أوائل من وجهوا النظر لذلك التقليد ودرسه فى إطار جغرافى ((Hunter, 1973: 173 -95)(٢٨)

٥ ـ تعاطى المشروبات الكحولية محلية الصنع والمشتقة من حبوب تقليدية كالذرة والدخن، فى أوانى معدنية حديدية وخاصة فى جنوب أفريقيا يعد مسئولا عن مرض دموى يسمى Haemosiderosis فى شمال شرقى زيمبابوي، ومالاوى والمناطق المجاورة من زامبيا، حيث تصنع المشروبات الروحية المحلية من السكر الذرة وتسمى Kachasa، ويكافأ العمال فى بعض مزارع العنب الإفريقية بإعطائهم كميات اضافية من النبيذ المحلى المسبب للمرض.

٦ ـ تسود أفريقيا ممارسات خاطئة خاصة برضاعة وفطام الأطفال، وعادة

ما يكون الغذاء ملوثا وحاولت بعض الدول الأفريقية تصحيح ذلك وتعميم التغذية الطبيعية بين الأمهات والعاملين الصحيين، ومن ذلك ما ذكرته جانيت برادلى وزملاؤها فى دراسة عن ذلك فى مستشفيات كينيا، وبعض ممارسات الطب الشعبى قد تكون قاتلة أوتصيب بعاهات يصعب علاجها، من ذلك ما قرره اشاباى وهو مستشارهندى فى طب الأطفال اذ ذكر أنه أثناء عمله فى تنزانيا وجد بعض العادات الشعبية المدمرة مثل استئصال اللهاه فى الحلق لعلاج الالتهابات والبرد (اشاباى - ١٩٨٥: ١٥١) (٢٩). وأجرى البشرى وزملاؤه دراسة عن تغذية الأمهات للأطفال فى ريف وحضر السودان، فوجدوا أن الأمهات يعتبرن لبن الأم هو الأهم كغذاء لكنهن لا يواصلن ذلك لفترة طويلة فإن ٩٢٪ منهن تقمن بالتغذية الطبيعية لفترة ستة أشهر فقط، ٦٥٪ يكملن السنة واستعاض البعض عن لبن الأم بغذاء يسمى «الجريولي» مصنوع من الأرز أو الشرغوم وهى أغذية أقل قيمة من لبن الام (El. Bushra, et al, 1994: 309 -12) (٣٠)

٧ ـ تسود عادة غريبة وغير صحية بين قبائل التوركانا فى شمال كينيا، اذا يستخدمون الكلاب لرعاية الاطفال الرضع، والاطفال الصغار وذلك بتنظيفهم حين يتسخون أويتقيأون أوعند قضاء حاجتهم وذلك لنقص الماء فى البيئة مما يصيب الأطفال بمرض التحوصل Haydatis والمرض أقل شيوعا لدى شمال التوركانا لأن هذه العادة أقل شيوعا(French &Nelson, 1982:439-57)(٣١).

٨ ـ سيادة عادة التدخين فى معظم الدول الأفريقية يهدد كما تذكر الأمم المتحدة بعواقب وخيمة تفوق آثار الأمراض المعدية وأمراض سوء التغذية، وهو أتجاه عكسى لما هو سائد الآن فى دول أوربا وأمريكا الشمالية التى يقل بها الاتجاة للتدخين، يضاف إلى ذلك عادات تدخين مواد أخرى أو تخزينها مثل

تخزين القات في شرق أفريقيا، التي تنتشر أيضا في اليمن ويرى البعض أن شرق أفريقيا ربما كان موطن للقات (محمد مدحت جابر ـ ١٩٨٧ ـ ٩ ـ ١٢)(٣٢) وللقات آثار صحية سيئة، عوضا عن إهدار الوقت والمال.

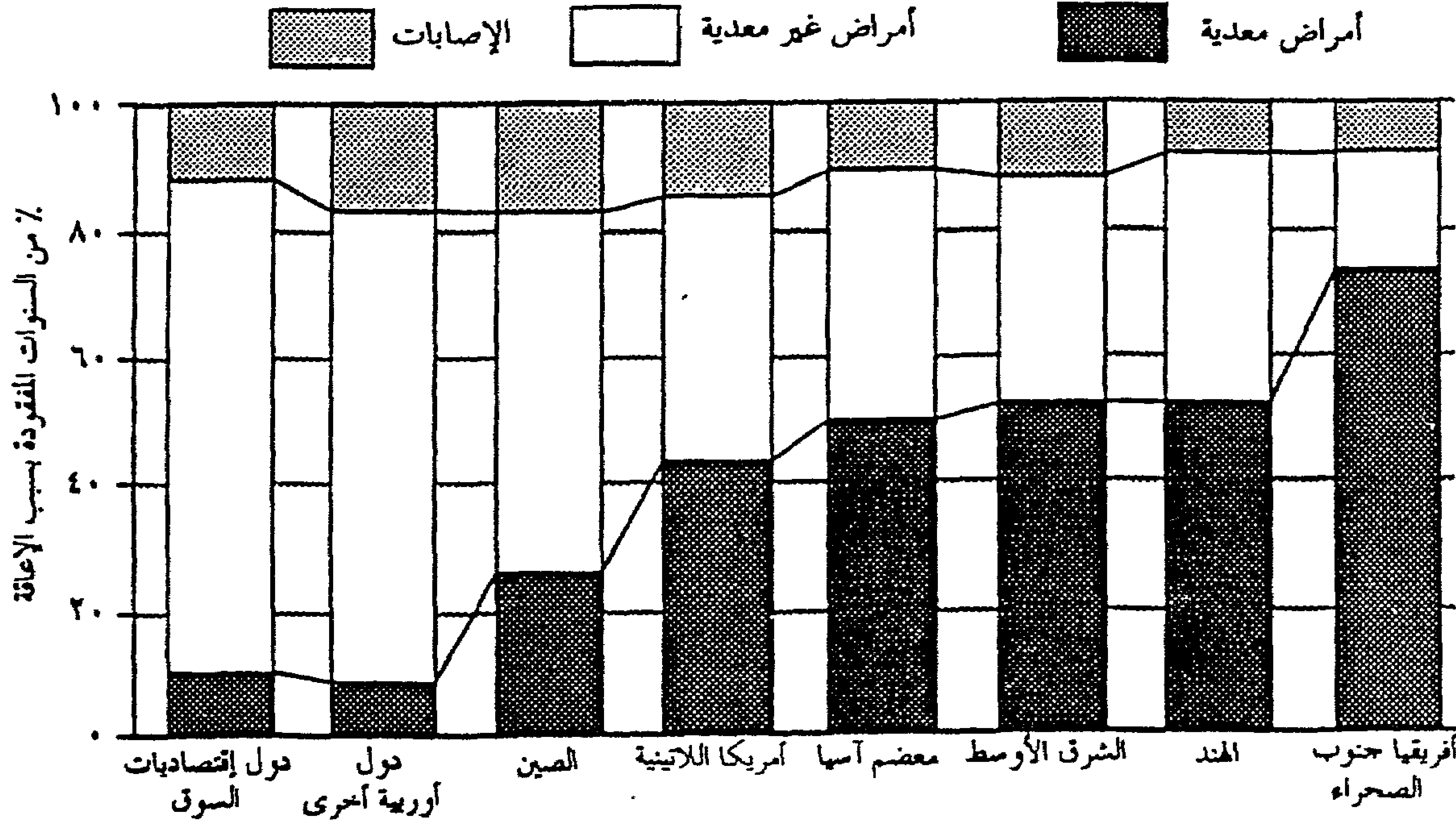
٩ ـ أكثر العادات شيوعا هي الذهاب للمطببين الشعبيين، رغم أن هذا الموضوع يعد موضوعاً خلافيا على أساس أن الطب الشعبي يسد الفجوه بين الأغنياء الذين بمقدورهم طلب مساعدة الطب الحديث وبين الفقراء، فإن بعض الممارسات كما سبق الذكر سيئة للغاية ويلجأ البعض للطب الحديث بعد أن تتضاعف وتسوء حالاتهم وفي أفريقيا، ويعتقد البعض أن المرض من فعل السحر، أو من عمل الأعداء والأرواح الشريرة، الجن، ومعظم مرضى الصرع Epilepsy يؤخذون أولا إلى المطبب الشعبي لاستخراج الأرواح الشريرة، وفي كينيا فإن الدرن الرئوي والعقم لدى نساء شعب الكامبا Kamba وغيرها يعزى للأرواح. وفي نيجيريا تعزى بعض الأمراض مثل مرضى الدودة الخيطية Loa loa لأعمال السحر، وعلى ذلك لاداعي لاستشارة الطبيب الذي يمارس الطب الحديث (Parry, 1984: 32-5) (٣٣).

١٠ ـ يتفاوت إدراك خطورة المرض لدى الأفارقة بين مكان وآخر، وتؤثر المعتقدات القبلية في ذلك، فبعض جماعات الايبو النيجيرية تعتقد أن الصرع ينتقل بالملامسة، ولذا يجب نقل المريض للمستشفى بأقصى سرعة، بينما بعض جماعات غانا المجاورة تعتقد أن المرض نفسه يعد وصمة عار Stigma ولذلك على المريض أن يحتجب ولا يرى أحدا مما يؤخر العلاج ويجعل الحالة تسوء. و يترتب على إدراك المرض سرعة أو بطء علاجة، فالخوف من البرد لدى الأمهات حديثي الولادة خلال فترة النفاس يجعلهن ينمن في سرر من الطين، وترتفع درجة الحرارة في أكواخهم خلال الفصل الحار ويسهم ذلك في إصابتهن بهبوط

فى القلب (Davidson, et al, 1974: 203 -8) [٢٤]. كذلك توصف علاجات غريبة فى أثيوبيا لدى جماعات الكوسو Kosso تسبب الأمراض ويوصف بول البقر كعلاج فى بعض أجزاء نيجيريا مما يؤدى لتدمير الكلى أو الكبد. وفى كينيا تعد بعض الأمراض الجلدية وصمة عار، لذلك توصف علاجات لحرق الجزء المصاب من الجلد، وفى كثير من الحالات ، فأن أكثر الضحايا هم من الأطفال الذين توصف لهم علاجات ضارة لأعينهم الملتهبة عقب مرض الحصبة تؤدى الى العمى أحيانا (Parry, 1984 : 34 -5) [٢٥].

التحضر والمرض فى افريقيا :.

تأتى أفريقيا فى ذيل قارات العالم فى درجة الحضرية، وإن زادت هذه الدرجه فى العقدين الأخيرين، ومع وجود غالبية السكان بالريف، غلبت أمراضه عليهم، وخاصة المعدية والطفيلية، ومع ذلك يتأثر الحضر بالأعداد الأكبر من مرض الإيدز حاليا فى أفريقيا، ويرتبط التحضر بعملية التحول الديموجرافى والتغير الذى يطرأ على المواليد والوفيات وقلة هذه الاخيرة فى مناطق الحضر عن الريف مما يسرع بالتحول الديموجرافى Demographic Transition ويمهد ذلك بدورة للدخول فى مرحلة التحول الوبائى Epidemiological Transition والتى تعنى التحول من نمط الأمراض المعدية والوبائية والطفيلية إلى نمط الامراض المزمنة السائدة فى المجتمعات الغربية كأمراض القلب والسرطان، ونموذج التحول الوبائى أقترحة عُمران سنة ١٩٧١ ويربط بين التغيرات الوبائية وبين التنمية الاجتماعية والاقتصادية وهذه العملية تختلف زمانا ومكانا (Curtis & Taket, 1996: 81) [٢٦] . ولا يزال معدل الخصوبة فى أفريقيا عاليا بالمقارنة بالقارات الأخرى لذا فان القليل من دولها هو الذى مر بمرحلة التحول الوبائي، وتقع معظم دول القارة فى المرحلة الديموجرافية الأولى والثانية ولذا فأمراضها السائدة هى المعدية والطفيلية، وكذا فى المرحلة الاولى



شكل (٢)

توزيع النسبة المئوية لسنوات الإعاقة بحسب السبب في الأقاليم الديموجرافية في العالم .

والثانية من مراحل التحول الوبائى الخمسة وذلك على عكس أقاليم غرب أوربا وأمريكا الشمالية. ويوضح شكل (٢) أن أفريقيا جنوب الصحراء أكثر أقاليم العالم الديموجرافية خسارة فى سنوات الحياة بسبب الأمراض المعدية، ومع تزايد درجة الحضرية، والمنخفضة أساسا فى معظم القارة يتحول نمط المرض شيئا فشيئا بدرجات تختلف من دولة لاخري، ولذا يجب أن تأخذ الاستراتيجيات الصحية هذا التحول فى الاعتبار ومع انخفاض درجة الحضرية تزيد الاصابة بالأمراض المعدية ويعقد الأمور قلة المتمتعين فى أفريقيا بمياه الشرب النقية أذ تصل نسبة هؤلاء الى ٢٢٪فى موزمبيق سنة ١٩٩٣ والى ١٨٪ فى أثيوبيا، والى ٢٥٪ فى غينيا (البنك الدولى ـ تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٦ :٢٤٨) (٣٧) وتجدر الإشارة إلى أن الحضر الأفريقى فى أحيانا كثيرة لا يختلف عن الريف ، لذا نجد بعض أمرض الملاريا وقد يطلق عليها أحيانا Ur-ban Malaria، الملاريا الحضرية.

نمط المرض فى القارة الافريقية :-

يرتبط النمط بالتحول الديموجرافى والوبائي، ويمكن من واقع دراسة أسباب الوفاة الخروج بفكرة صائبة عن نمط المرض السائد فى عموم أفريقيا، مع ملاحظة أنه نمط سريع التغير لان أسباب الوفاة قد تكون فى صورة أوبئة، لذا تزيد نسبة أمراض فى عام عن الذى يسبقة أو الذى يليه ، ومع ذلك فإنه يمكن القول أن النمط السائد يغلب عليه الأمراض المعدية والطفيلية وليس المزمنة كما هو حال النمط المرضى للدول المتقدمة.

والجدول التالى يوضح الأهمية النسبة لأمراض كانت سببا للوفاة فى عامين متتاليين فى بعض مستشفيات تنزانيا فى منتصف السبعينيات (١٩٧٦/٧٥).

جدول رقم (١)

النسبة المئوية للامراض المتسببة فى الوفاة فى مستشفيات تنزانيا سنة ٧٥/ ١٩٧٦م

المرض	النسبة المئوية لجملة الوفيات سنة١٩٧٥	النسبة المئوية لجملة الوفيات سنة١٩٧٦
الالتهاب الرئوي	٪١١,٩	١٢,٧
الأمراض المعدية	٪٢,٧	٢,٤
الملاريا	٪٢,١٨	٢,٨
الدرن	٪٢,٨٧	٦,٣
نقص التغذية	٪٥,١٣	٧,٤
الأنيميا	٪٧,٨٣	٦,١
أمراض الطفولة المبكرة	٪٠,٩٨	٦,٦
الحصبة	٪٢٦,٤١	٨,٦
التيتانوس	٪١٣,٢١	٢,٠
أمراض القلب	٪٤,٦٤	٤,٦
الالتهاب السحائى	٪٠,٣٢	٣,٠
الجملة	٪٧٨,٣٨	٦٢,٩

المصدر: Mwaluko, 1984: 192

ويتضح من الجدول أن حوالى ثلثى حتى أكثر من ثلاثة أرباع حالات الوفاة

ترجع لأمراض أغلبها معد وهى شبه غائبة فى نمط المرض للمجتمعات الصناعية التى تحتل فيها أمراض القلب والسرطان المرتبتين الأولى والثانية، علي خلاف أفريقيا (Mwaluko, 1984: 191 - 91)(٣٨) والجدول يمثل من دخل المستشفيات فقط، وفى أفريقيا ملايين أخرى لم تدخل وماتت دون أن تسجل أسباب ذلك لنقص التسجيل وتشوشة لقلة الخبرة الامكانات. وبعد مرور عقدين من الزمان علي تاريخ الجدول فالنمط الحالى لم يتغير كثيرا، فلازالت الأمراض المعدية تمثل ٥٠٪ من حالات الوفيات ، وتمثل أمراض الاسهال والجهاز التنفسي أكبر نسبة بين الاطفال والشباب، أما الملاريا فسبب للوفاه لمن هن أكبر سنا، وأمراض الجهاز الدورى تمثل نسبة ١١٪ وحالات الاصابات والحوادث والتسمم ٧٪، أما الأمراض المتعلقة بالحمل والولادة Perinatal فتمثل حوالي٩٪ وبقية الأسباب تمثل ٢٣٪ وذلك كما يوضح الجدول التالي.

جدول رقم (٢)

نمط المرض وأسباب الوفاة فى أفريقيا جنوب الصحراء ١٩٩٥

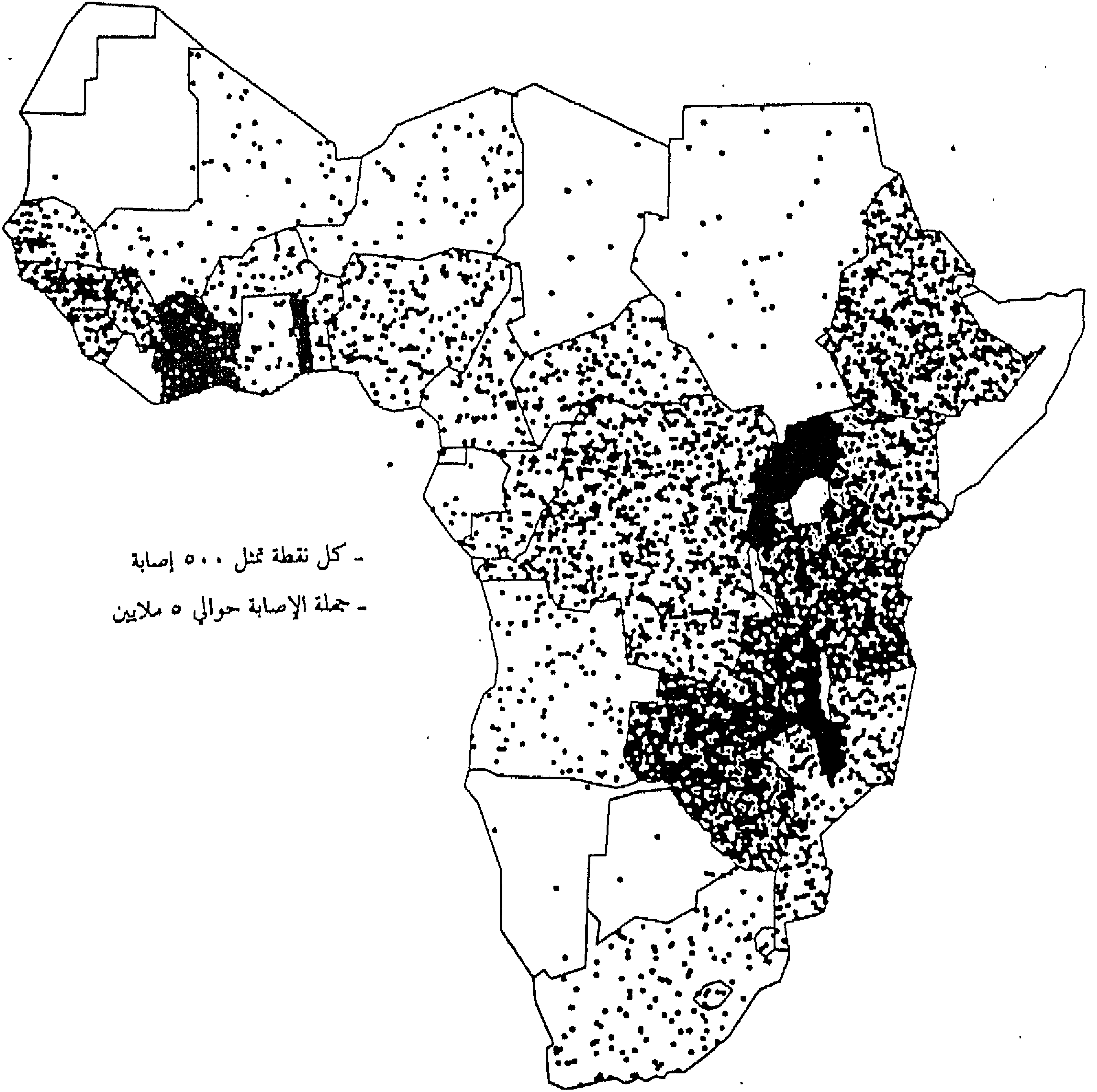
المرض المسبب للوفاة	النسبة لجملة الوفيات	المرض	النسبة
الأمراض المعدية	٪٥٠	أمراض الحمل والولادة	٪٩
أمراض الجهاز الدوري	٪١١	بقية الاسباب	٪٢٣
الاصابات والحوادث والتسمم	٪٧	الجملة	٪١٠٠

المصدر: (Whaley & Hashim, 1995: 141)

ولما كان أمد الحياة فى أفريقيا لا يزال قصيرا كما سبقت الاشارة، فإن معظم الوفيات تحدث فى أعمار ليست متقدمة، وأكثر المضارين بالأمراض هم من الأطفال ، ويرى Feachmen وزملاؤه أن النمط يتغير فى أفريقيا وإن ظل يغلب عليه الامراض المعدية، على عكس ما كان يعتقد فى الماضى من قلة أمراض الجهاز الدورى فى أفريقيا، فإن الاحصاءات الحديثة تثبت عكس ذلك وأنها تتزايد مع التغيرات الديمجرافية، وسكنى المدن وتغير عادات الغذاء، والزحام، والقلق، والتلوث، (Feachem, 1991, 15) [٤٠] ومن أهم الامراض المعدية القاتلة فى أفريقيا الملاريا، التى تصل نسبة الاصابة بها فى أفريقيا جنوب الصحراء الى أعلاها فى العالم ، وهى مظهر من مظاهر المرض الرئيسية فى الطفولة المبكرة Infancy فى أفريقيا. وتمثل نسبة ٣٠ ـ ٣٥٪ من حالات المرضى الباحثين عن العلاج فى المستوصفات الريفية الافريقية (Bradley, 1991 - 2) [٤١].

الايدز ونمط المرض الافريقي:

ظهرت أول حالات الايدز بأفريقيا فى أوائل الثمانينات، ويعد أخطر الأمراض المعدية حاليا، وفى أفريقيا الغالبية العظمى سواء من المصابين بفيروس H.I.V. أو بحالات الايدز AIDS والأعداد المبلغة بالإيدز تمثل قمة جبل الجليد لأن حاملى الفيروس قد يكونوا غير معروفين أو هم أنفسهم لا يعلمون بالاصابة، كما أن كل حامل للفيروس لا تظهر علية أعراض الايدز الا بعد عدة سنوات. وفى بعض الدراسات وجد أن حالات الايدز تظهر على المصابين فى خلال خمس سنوات لحوالى ١٥ ـ ٢٠٪ من حاملى الفيروس، وفى خلال عشر سنوات لحوالى ٥٠٪ منهم، وهذا فى حد ذاته يعد مشكلة كبرى فى أفريقية. إذ فى خلال هذه السنوات التى تمثل فترة حضانة للفيروس يجرى أصابة الملايين بالفيروس سواء أكان حاملوا الفيروس يعلمون باصابتهم أولا يعلمون، مما



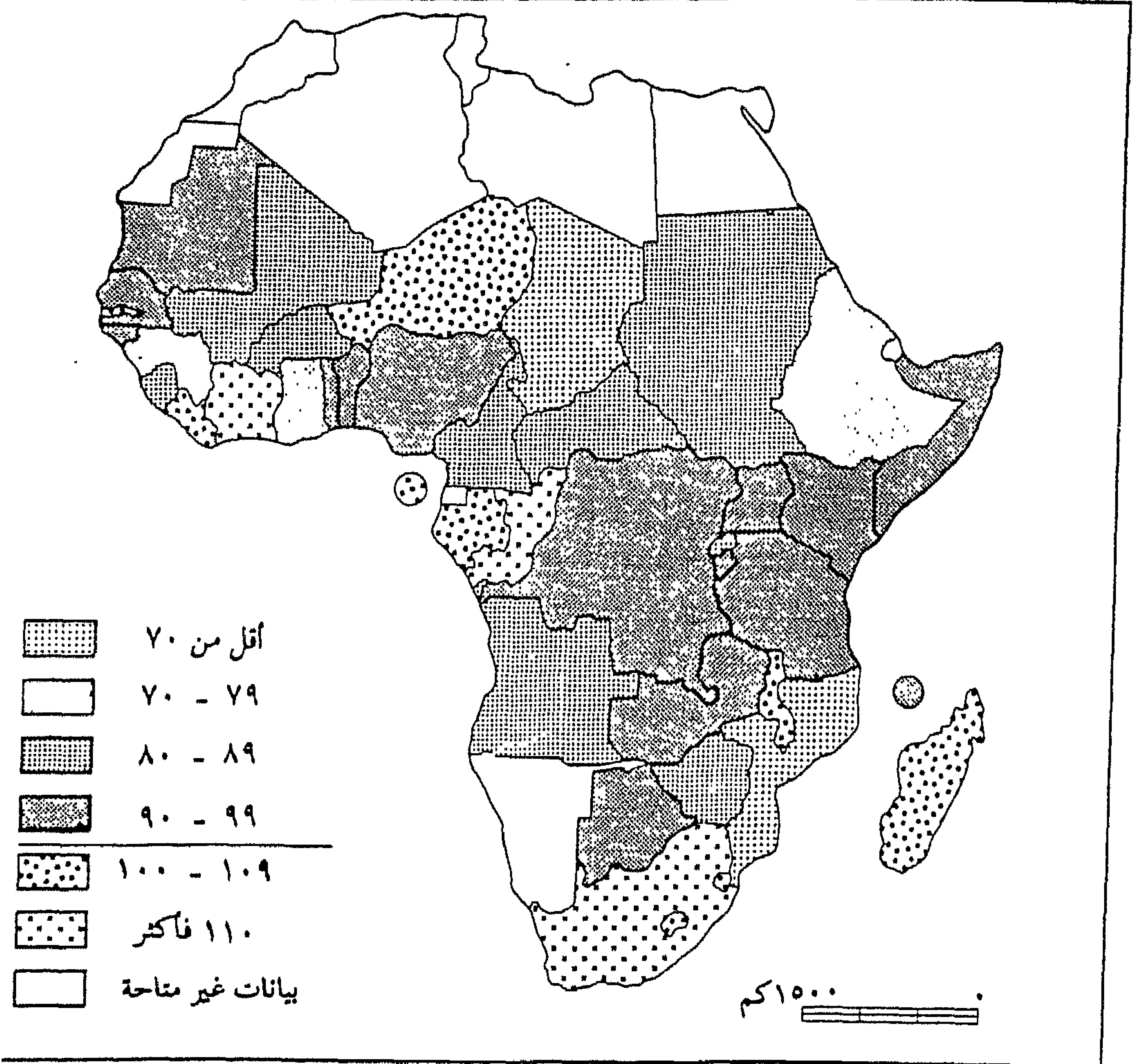
شكل (٣)

توزيع الحالات التقديرية لإصابة فيروس نقص المناعة المكتسبة في أفريقيا جنوب الصحراء في أوائل التسعينات .

يجعل الأمور بتفاقم في دول أفريقية. التى تنقصها أصلا وسائل الفحص الدقيق وشكل رقم (٣) يوضح توزيع الاصابة فى أوائل التسعينات بالفيروس . ويلاحظ أن فى حالة الأطفال ممن يحملون فيروس .H.I.V فانهم على عكس البالغين تظهر عليهم أعراض الايدز قبل بلوغهم الخامسة(chin, 1991: 203)(٤٢) وتتنبأ منظمة الصحة العاملين WHO أنه بحلول سنة ٢٠٠٠ فانه سيكون هناك ٢٠ مليونا من حاملى فيروس نقص المناعة المكتسبة .H.I.V وسيكون هناك ١٠ ملايين يتيم بسبب الايدز، كذلك قدر أن القوى العاملة الافريقية قد تقلصت فى أفريقيا بين ٩٩٠ ـ١٩٩٥ بنسبة ٢٠٪(Whaley &Hashi,1995 142)(٤٣)

والحقيقة أن نمط المرض الأفريقى كما أوضحتة الارقام سابقة الذكر هو نمط فريد (Unique) بالمقارنة بالعالم المتقدم، واذا أقتربنا أكثر من مفردات النمط الإفريقى» وحللناه إلى أجزائة فإننا نجد أن أمراض سوء التغذية Mal-nutrition سائدة وذلك بسبب تدنى معدلات الانتاج، والجفاف، والمجاعات، والتقلبات الفصلية وعدم نجاح مواسم الحصاد بسبب ذلك وخاصة فى العقدين المنصرمين، وسبقت الاشارة الى سمية بعض الاغذية كقشر الكسافا أما الدخن Millet فله خصائص مسرطنه Carcinogenic وهو كغذاء، واسع الانتشار بين الشعوب الافريقية (Whaley & Hashim, 1995: 139 - 40) (٤٤).

وتحرم بعض القبائل الافريقية أكل بعض الاغذية المفيدة، من ذلك الدجاج واللبن الأسماك. وتفيد الدراسات الصحية أنه فى عام ١٩٩٥ كانت نسبة من يعانى من سوء التغذية ممن هم دون الخامسة ٤٧٪ فى أثيوبيا، ٣٦٪ فى بنين، ٣٢٪ فى مدغشقر، ٢٧٪ فى مالاوي. وهى نسب مرتفعة حتى إذا ما قورنت بدول نامية خارج أفريقيا، فهى فى نيكاراجوا ١٢٪ فقط، وفى كولومبيا ١٠٪، وفى تايلاند ١٣٪ أما الدول الغنية فلا تظهر فيها أية آثار لسوء التغذية، وربما



شكل (٤)

المتوسط اليومي للسعرات الحرارية كنسبة مئوية من المتوسط الضروري في دول أفريقيا جنوب الصحراء سنة ١٩٩٠ .

كانت أمراضها من جراء فرط التغذية، Over -nutrition. وينعكس سوء التغذية على الأطفال الأمهات الحوامل ويبدو ذلك جليا فى أرتفاع نسبة وفيات الأمهات التى تصل لأقصاها فى أفريقية إذ يصل هذا المعدل فى سنة ١٩٩٤ الى ١٥٢٨ لكل ١٠٠,٠٠٠ من المواليد أحياء فى أثيوبيا، ١٣٢٧ فى بورندي، ٥٩٨ فى ليسوتو وإلى ١٣٩ فقط فى تونس، بينما يصل فى دولة الامارات العربية المتحدة إلى ٢٠فقط ولا يكاد المعدل يذكر فى الدول المتقدمة ويوضح شكل (٤) المتوسط اليومي للسعرات الحرارية كنسبة مئوية من المتوسط الضرورى فى دول أفريقية جنوب الصحراء سنة ١٩٩٠.

أما موقع الأمراض الطفيلية فى نمط المرض الافريقى فهو واضح وهام ونجد هنا أمراضا جرى القضاء عليها فى أوربا وأمريكا الشمالية منذ سنوات عديدة، ولكنها لازالت ذات دلالة فى نمط المرض الافريقى كسبب رئيسى للمراضة Morbidity والوفاة Mortality. ويأتى علي رأس قائمة الطفيليات، الملاريا، التى يرى البعض أنها أكثر الأمراض المميتة بالقارة، ويرى هؤلاء أنها وحدها تقتل ٥٠٠,٠٠٠ طفلا سنويا فى أفريقية، ولم تنجح للآن حملات القضاء عليها فى أفريقية من قبل WHO والهيئات الصحية العالمية والمحلية بسبب سلوكيات وعادات السكان، كذلك بسبب ظهور سلالات من البعوض تقاوم الأدوية التقليدية للملاريا (Stock, 1995: 128) (٤٥).

أما البلهارسيا، فهى وبائية فى أفريقيا فى حوالى ٤٠ دولة من الاقليم الافريقى الصحى بحسب تقسيم منظمة الصحة العالمية WHO. وللاسف، زاد انتشار الملاريا والبلهارسيا مع زيادة مشروعات التنمية المائية الافريقية مثل السد العالى على النيل وأكوزومبو على الفولتا وكاريبا على الزمبيزى والسدود الرئيسية الاخرى فى السنغال ومالى وكينيا. (vercruysse, et al, 2206) (٤٦)

أما مرض عمى النهر Onchocerciasis فهو وبائى فى ٢٨ دولة بالاقليم الإفريقى وقدر أنه فى سنة ١٩٨٧ كان فى أفريقيا ٩٠٪ من حالات الإصابة الكلية فى العالم التى قدرت آنذاك بحوالي ١٨ مليون مصاب (Whaley& Hashim, 1995 - 141) [٤٧]، وأمكن للمنظمات الصحية العالمية إنقاذ ٧ ملايين شخص من العمى منذ بداية برامج المكافحة سنة ١٩٧٤، والمشكلة أن برامج المكافحة تأخرت فى بعض الدول حتى التسعينات فى دول مثل الكاميرون ونيجيريا.

ويختلف الوزن النسبي للأمراض الطفيلية فى أفريقيا، فعدد المصابين بالبلهارسيا أكثر من عشرة أضعاف المصابين بعمى النهر فى أفريقيا، إذ يصل عدد المصابين بالبلهارسيا ٢٠٠ مليون ويجعل البعض ارقام ١٠٠ مليونا سنة ١٩٩٣. (Grifiths, 1993: 22 -5) [٤٨] والأمراض الطفيلية بيئية الطابع، وعلى هذا ويمكن تحاشيها إذا وضعت أستراتيجية سليمة تأخذ فى أعتبارها الجانب السلوكى والخلفية الثقافية للسكان، وذلك فى أطار خطة كلية شاملة للتنمية المستدامة، وعلى سبيل المثال فإن الاختلافات الاقليمية في الاصابة بعمى النهر لم تدرس جيدا بما فيه الكفاية. (.(Williams, 1985: 9:11) [٤٩]. ومن دلائل تأثير الجوانب السكانية فى أكتساب المرض، ما جرى للعمال المهاجرين لارض الجزيرة من أكتسابهم أمراضا لم يألفوها فى موطنهم الاصلى (Bella, 1985: 36 -9) [٥٠]. ورغم أن علاج مثل هذه الامراض يعد سهلا، إلا أن تكرار الاصابة هو المشكلة الرئيسية، وأهمال العلاج أيضا، ويؤدى ذلك طبقا للاعتقاد الطبى السائد الآن إلى وجود علاقة بين بعض الأمراض الطفيلية والسرطانات المختلفة، ويؤكد جونسون على وجود علاقة بين البلهارسيا والسرطانات الانثوية فى الجهاز التناسلى وكذلك بين البلهارسيا والسرطانات المعوية والتى لوحظت منذ أمد طويل فى مصر واليابان، كذلك الارتباط بينهما وبين السرطان اللمفاوى فى الطحال (Johnston, 1990: 301 -11) [٥١]

ومن الغريب ما لاحظة الجزايرلى وعبد العزيز سنة ١٩٦٣، وهو أن معدل الاصابة بسرطان الثدى لدى الذكور فى مصر كان أعلى بمقدار خمسة مرات لدى المصابين بالبلهارسيا، عنه لدى غير المصابين (Aziz, 1963:566- El - Gazayerli & Abdel) [٥٢] . كذلك وجد نوع من الارتباط بين البلهارسيا وأمراض طفيلية أخرى وبين سرطانات الانف واللوكيميا (سرطان الدم). ويرى بعض الباحثين أن البلهارسيا ليست بريئة تمام من الانتشار الواسع لسرطان الكبد فى أفريقيا أما عن الطفيليات الاخري فوجدت علاقة بين الفيلاريا (داء الخيطيات) ومرض الورم الوعائى السركومى Lymphamgiosarcoma، كذلك بين الفيلاريا واللوكيميا، وبين الاميبا وسرطان القولون والمستقيم، وهناك معرفة لدى الاطباء منذ الخمسينات عن علاقة شبة جازمة بين الملاريا ومرض ليمفومابوركت Burkilt's Lymphoa (Johnston, 1990 : 305-6)[٥٣].

اما الامراض المعدية Infectious Diseases:

فهى مع الأمراض الطفيلية تكون معظم نمط المرض الافريقي، وهما معا يقابلان السرطان وأمراض القلب فى المجتمعات الصناعية واذا بدأنا بالدرن، فانه أصبح اليوم مشكلة حقيقة في أفريقيا بعد أن كان قد بدأ ينحسر فى أفريقيا والعالم، إلا أن ظهور مرض الايدز جعلة يلازمة، بل أنه من علامات الاصابة لدى مرض الايدز حاليا، يضاف الى ذلك، ظهور سلالات حديثة منه تستعصى على العلاج التقليدى الذى كان ناجحاً فى الماضي، كما أصبح تشخيصة الآن أكثر صعوبة، والطعم الخاص به BCG، أصبح لايجدى فتيلا، وغير مؤثر. ويرى «فان ديرورف» أنه من بين ٨ملايين حالة درن جديدة في العالم سنة ١٩٩٣، فان ٩٥٪ منها يوجد في الدول النامي ومنها أفريقيا التى تسجل

بها الارقام المحزنه، بمعدل اصابة ٢٧٢/ ١٠٠,٠٠٠ من السكان مقابل٢٧/ ١٠٠,٠٠٠ فى الدول الاوربية، ويعنى ذلك أن المعدل الافريقى قدر الاوروبى عشر مرات (Van Der Werf, 1994: 271 - 4) (٥٤).

وتلازم الدرن مع الأيدز وزاد الابلاغ عنه فى أفريقيا، وبين سنه ١٩٨٥ ـ سنه ١٩٩٠ تضاعف الابلاغ عن الدرن فى زامبيا ومالاوى Har-ries, 1990: 387 - 90)(٥٥) وقد اطلق على الايدز والدرن تسمية الثنائى الملعون «Curseat Duet» إذ أن احتمال إصابة حامل الفيروس HIV فى أفريقيا بمرض الدرن هو أكثر من ٥٠٪ فى السنة الاولى وهو بذلك عرضة للإصابة بالدرن بمقدار أكثر من عشر مرات عن غير المصاب بالفيروس (Schulzer, et al, 1992: 52 - 8) (٥٦) ومما يصعب الوضع أن حالة المصاب بالايدز والدرن تختلف عن حالة المصاب بالدرن فقط، مما يجعل التشخيص فى بلدان أفريقيا المفتقرة للأجهزة الحديثة مشوشا وغير دقيق، يضاف إلى ذلك مقاومة الدرن للأدوية كما أسلفنا الذكر. وهذه المقاومة حديثة الاكتشاف، وفي بلد متقدم مثل .U.S.A وجد نسبة مقاومه قدرها ١٩٪ فى نيويور ك أما فى أفريقيا فلا توجد بيانات دقيقة لصعوبة تحديد ذلك، عدا دراسات منفردة جاءت من غانا حيث وجدت مقاومة لآحد آدوية الدرن التقليدية الرئيسية قدرها ٢٧٪، لدواء أخر بنسة ٢٩٪ وهى مشكلة حديثة كما رأينا ، والمشكلة الاخرى فى علاج المرض فى أفريقيا، عدم انتظام المرضى فى العلاج ومتابعتة والتى تصل لحوالى من ٣٠ ـ ٤٥٪ فى أفريقيا وهى مشكلة هامة يتوقف على حلها نجاح أية استراتيجية لمكافحة المرض فى القارة الإفريقية. ولذا فأستراتيجيات مكافحة الدرن المستقاة من مجتمعات خارج أفريقية غير ناجحة ((Van Der Werf, 1994: 270 - 4) (٥٧). ويرى راسل ويلى وطلال هاشم، أنه فى أفريقيا نجد ما بين ١,٦٪ ـ ٦٪ من جملة

الاصابة او مصابون بالفعل بالدرن، وأن التقدير المنخفض لحالات الدرن الافريقية هو ١,٢ مليون وأن الأيدز، وسوء التغذية يعدان من العقبات أمام مكافحة ناجحة لمرض الدرن. ولوحظ أن الفئة الديمرجرافية ١٥ - ٤٤ سنة، وهى الفئة المنتجة هي فى خطر الاصابة أكثر من غيرها من الفئات وهو مايؤثر في برامج التنمية والتقدم الاقتصادي. ويساعد على تردى الاوضاع، وتزايد حالات الدرن تنامى الهجرة الريفية - الحضرية، والسكن المتدهور Slums فى افريقيا (Whaley& Haslim, 1995 : 141 - 2)(٥٨)

ومشكلة الدرن فى أفريقيا - حتى قبل ظهور الإيدز - أن حوالى ثلثى الميزانية المخصصة لمكافحة الدرن فى دول افريقيا غالبا ما تنفق على الاجور والتجهيزات، ولا يبقى إلا القليل المخصص للانفاق على الادوية والعلاج (Parry, 1984: 219 - 20)(٥٩)

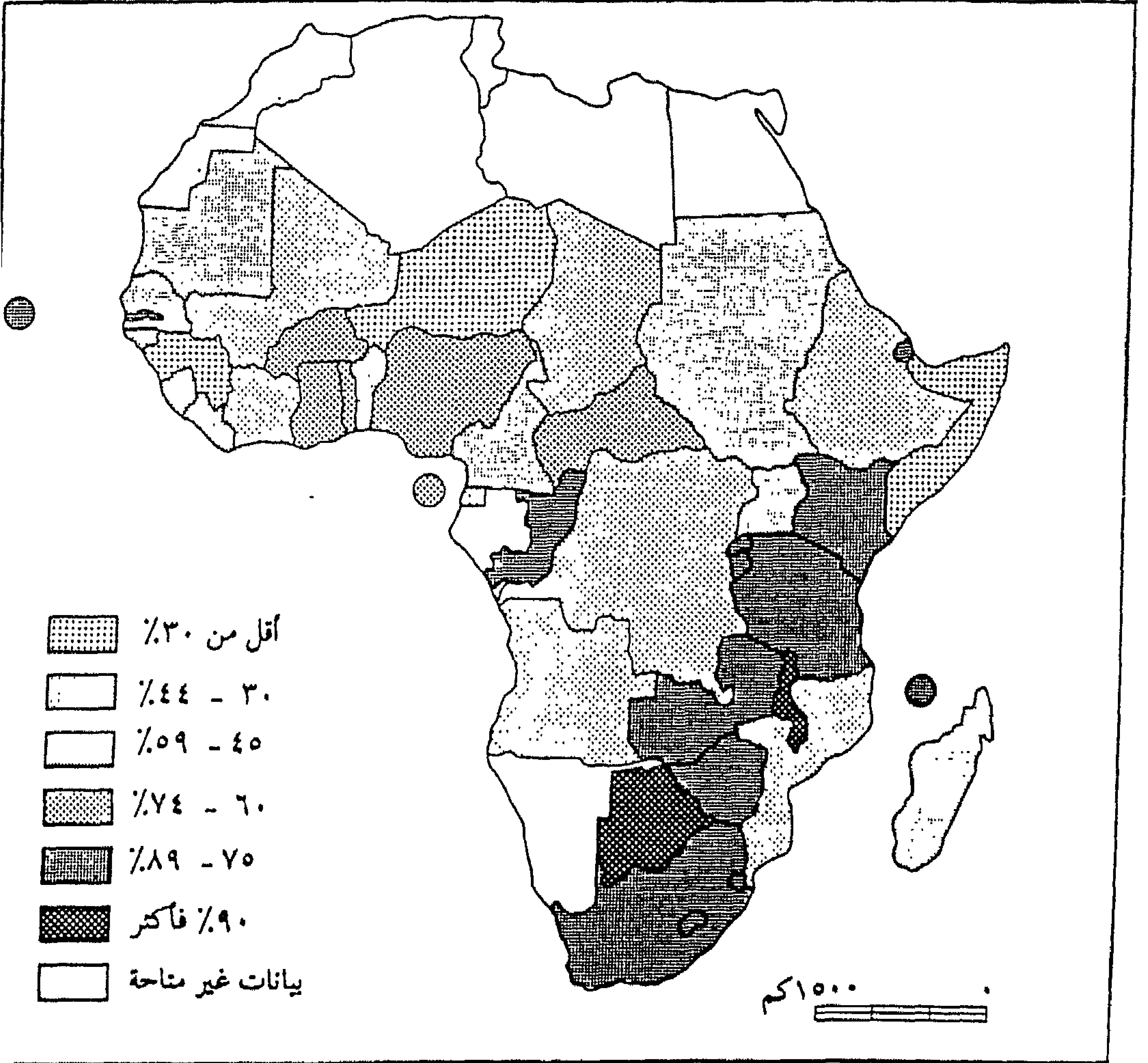
ومادام الحديث عن الدرن، فإن هناك مرضا صدريا آخر هو السعال الديكى يعد حتى الآن مشكلة فى افريقيا. وخاصة لدى الأطفال، وكان يأتى فى الترتيب بعد الحصبة كسبب للوفاة لدى الأطفال فى منتصف الثمانينات، وهو يؤدى لمضاعفات رئوية للجهاز التنفسي، كما يصيب الكبار أيضا بسبب السكن المتردى والزحام والحقيقة أن قائمة الأمراض المعدية طويلة جدا فى أفريقيا وبعضها يندلع فى بعض السنوت في شكل أوبئة وأن جاءت فى مرتبة تالية من الأهمية بعد ماتقدم ذكره، وبعضها يكاد أن يكون غير معروف فى خارج افريقيا إلا فى صورة حالات نادرة.

وأول هذه الأمراض الجذام Leprosy وكان المصابون فى منتصف الثمانينات حوالى ٥ ملايين مصاب وهو يمثل ثلث جملة الحالات المصابة به فى العالم، وكان ترتيبة بعد الدرن مباشرة كسبب فى اعاقة الكبار البالغين. وفى

سنه ١٩٩٤ فإن أفريقيا تقدمت فى علاج الجذام نسبيا، ولكنها ظلت ثانية مناطق العالم فى معدل الاصابة الذى يبلغ ١/ ١٠٠ وفي ذلك تأتى افريقيا مباشرة بعد جنوب شرقى آسيا(Whaley & Hashim, 1995: 142)(٦٠)

أما الالتهاب السحائي، فينتشر فى السافانا الشمالية في شكل حزام او نطاق من السودان وشمال أو غندة عبر تشاد وشمال نيجيريا ـ وجنوب النيجر إلى بوركينا فاسو ومالى و بين خطى المطر المتساويين ٣٠٠ ملم و ١١٠٠ ملم، والمرض على ذلك أقل خطراً فى النطاق الساحلى الاستوائى فى غرب افريقيا، كذلك يقل وجودة شمال خط لمطر المتساوى ٣٠٠ ملم، وتزيد الإصابة مع زيادة كمية المطر فى دول شمال افريقيا، وفى شرق وجنوب القارة. وهكذا تحدد عناصر المناخ حزام الالتهاب السحائى المتميز بفصل مطر قصير، يعقبة فصل بارد، وفترة شديدة الجفاف، تتحول إلى فصل جاف وحار قبل سقوط المطر من جديد، وتبدأ أعداد المصابين فى الزيادة مع ارتفاع درجة الحرارة، بينما تظل الرطوبة منخفضة، وتصل قمة الإصابة فى مارس وأبريل المتميزين بالجفاف الشديد، بينما تقل الاصابة حين يبدأ المطر فى الهطول (Parry, 1984:255)(٦١)

ومن الأمراض التى تغزو القارة الافريقية فى شكل أوبئة الكوليرا التى تنتقل بالغذاء والماء الملوث وهى من أمراض الفقر والفاقة Poverty والاسكان المتردى والمتدهور Slum وإضطرار الناس لشرب ماء ملوث لعدم إتاحة الماء النقي، ومكافحة الكوليرا لاتستدعى خططا معقدة أو مشروعات مكلفة، أنما فقط تحسين الصحة العامة بمفهومها الشامل وتحقيق العدالة الاجتماعية (Stock,1995: 128 - 9) (٦٢) . وأوبئة الكوليرا شهيرة وموثقة ومنها وباء سنة ١٩٤٧ فى مصر، كذلك كوليرا الطور في مصر أيضاً سنة



شكل (٥)

نسبة تطعيم الأطفال من عمر سنة في دول أفريقيا جنوب الصحراء سنة ١٩٩٠ .

١٩٧١، سنة ١٩٧٢ والتي وصلت لشرق وغرب إفريقيا، من غينيا في الساحل نحو الداخل في النطاق السوداني، وأصيب في الوباء ٦٠,٠٠٠ ألف شخص وصاحب الوباء ١٢,٠٠٠ حالة وفاة. وتبدى الكوليرا تباينات فصيلة، وهي تزيد في أفريقيا عموما في موسم المطر، ومناطق الغابات المطيرة اكثر عرضة لها من السافانا لأن الميكروب لايصمد كثيرا لدرجات الحرارة المرتفعه.

ويعد الإسهال Diarrhea من بين أهم أسباب المرض والوفاة في أفريقية جنوب الصحراء لاسيما بين الأطفال ويصل معدل الوفاة بين الأطفال المصابين والذين حجزوا بالمستشفيات لتأخر حالاتهم حوالي ١٩٪ ويصاحب الإسهال في أفريقيا حالات الدوسنتاريا والتيفود والكوليرا في كثير من الحالات. (Ofosu-Amaah, 1991:119 : Kirkwood, 1991 : 134 - 72) (٦٣)(٦٤) والحقيقية أن الإسهال كسبب للمرض والوفاة في أفريقيا يلعب دورا بارزا في النمط المرضى الافريقي، ربما لايوجد في مكان اخر في العالم.

وتأتي أمراض سوء تغذية الأطفال أيضا Child Malnutrition من بين أهم مكونات نمط المرض الأفريقي، ويعد الوزن المتدني من مؤشرات سوء تغذية الأطفال خاصة عند الميلاد ولمن هم أقل من خمسة سنوات، أيضا في سن المدرسة (Ashworth & Dowler, 1991 : 122 - 33)(٦٥) ومن أهم الأمراض الخاصة بالأطفال التي لها دورها في نمط المرض الأفريقي ستة أمراض هامة وهي المستهدفة حاليا بين الدول الافريقية للتطعيم ضدها وخاصة من قبل الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية WHO ولذا استهدفت لبرنامج موسع للتطعيم The Expanded programme on Immunization (EPI) ويوضح شكل رقم (٥) نسبة تطعيم الأطفال في عمر سنة في دول افريقيا جنوب الصحراء سنة ١٩٩٠. وتشمل هذه الأمراض الحصبة والتيتانوس

والشلل أو التهاب النخاع Polio والدرن والسعال الديكى أو الشهقة والدفتريا، والسبب فى ضمها معا انه يمكن القضاء عليها بجرعة واحدة. وهذه الأمراض الستة مسئولة عن وفاة ١٧٪ من كل الأطفال وطبقا للأرقام العالمية فإن ١٪ من كل وفيات أطفال افريقيا يموتون بالتيتانوس ، ٩٪ بالحصبة، ٤٪ بالسعال الديكي، ٣٪ بالدرن، ٠،٦٪ بشلل الأطفال والذى انتهى تقريبا فى المجتمعات المتقدمة ، وكذلك ٠،٦٪ بالدفتريا. والحصبة هى القاتل الاول لأطفال افريقيا بين هذه الأمراض الستة وقلة نسبة التطعم هو سبب إرتفاع نسبة الوفيات بها وبغيرها من الأمراض (Rodrigigues, 1991 : 173 - 89) (٦٦)

السرطان وامراض القلب Cancer & Cardiovascular Diseases

ساد الاعتقاد بأن هذين المرضين هما من أمراض المجتمعات المتقدمة فقط، وهو قول صحيح جزئيا، إذ انه مع تزايد ضغوط الحياه، وتسارع التحضر وزيادة إمكانيات التشخيص، وضح أن افريقيا ليست أقل اسهاما فى عبء هذه الأمراض عالميا ومع ذلك لازالت أمراض السرطان والقلب تأتى فى ذيل نمط المرض الافريقى وتحل فى المقدمة كما لاحظنا أمراض معدية وطفيلية وهو وضع مناقض تماما للمجتمعات المتقدمة التى يتبادل فى نمط المرض بها السرطان وأمراض القلب للمرتبتين الاولى والثانية بالتبادل. فإذا بدأنا بالسرطان نجد أنه رغم نقص البيانات فإنه يمكن القول أن السرطان فى افريقيا يعكس صورة مناقضة له فى الغرب ليس فى معدل الاصابة فقط، إنما أيضا فى الأنواع السرطانية فهناك أنواع لصيقه بأفريقيا مثل سرطان المرئ والذى يبدى تفاوتاً فى معدل الاصابة حتى على مسافات قصيرة نوعا وذلك مالاحظة (Hutt,M.s., 1991-225-6) (٦٧) وزاد معدل الاصابة به فى السنوات الأخيرة وانتشر فى جنوب افريقيا ومنها إلى شرقها ووسطها ويبلغ معدل

الاصابة بين ٨٠/٠٠٠,١٠٠ فى جنوب ترانسكاى فى جنوب افريقيا إلى ١٠/ ١٠٠,٠٠٠ فى المناطق الشمالية منها، والمرض شائع فى ناتال وزيمبابوى كذلك تزيد الاصابة فى أجزاء من زامبيا ومالاوى وتنزانيا وكينيا وخاصة اقليم نيانزا وحول كيسومو على بحيرة فكتوريا وعلى النقيض فالمرض نادر فى شمال وشمال غرب أوغنده وزائير وغرب افريقيا ويصل معدل إصابة الذكور للاناث Male. Female Rate إلى ١٠ :١ إلى ١٥ :١ وذلك فى المناطق التى تشتد فيها الاصابة بالمرض. ومن أهم المظاهر الخاصة بهذا المرض والتى لم تدرس للآن وتستدعى البحث والدراسة هى هذه التباينات الجغرافية فى الإصابة توجه أصابع الاتهام فى المناطق شديدة الإصابة إلى صناعة المشروبات الروحية فى المنازل (Hutt, 1991: 225 -6)(٦٨) ،ودليل ذلك ماذكره Olweny من قيام سكان جنوب مالاوى وشرق زامبيا من تقطير شراب كحولي يسمى «كاشاسو»Kashasa بطريقة محلية (Olweng, 1984: 975)(٦٩) .

ومن الأنواع السرطانية الافريقية الشائعة سرطان البلعوم الانفى Nasopha-rynx وهو نادر جدا فى اوربا وامريكا الشمالية ولكنه شائع فى أفريقيا اكثر، وخاصة فى مناطق جغرافية بعينها تقع شرق الاخدود الافريقى في وسط كينيا حيث يصل المعدل هناك إلى ٧ ـ ٨/ ١٠٠,٠٠٠ من السكان، وتشيع سرطانات الكبد وخاصة بين الزنوج، وهو اكثر ها شيوعا بين ذكور السنغال وموزمبيق ويصل المعدل إلى ٩٧/ ١٠٠,٠٠٠ فى مابوتو فى موزمبيق، ٦٤/ ١٠٠,٠٠٠ فى بولاوايو في زيمبابوى بينما يقل عن ذلك كثيرا فى إبادن فى نيجيريا، وللاسف كما لاحظنا ليست هناك دراسات مسحية لأجزاء افريقيا، إنما معظم البيانات مستقاه من دراسات منفردة قامت بها مستشفيات فى أجزاء متفرقة ولذا يعيب مثل هذه الدراسات أنها انتقائية Selective ولاتمثل حقيقة الوضع فى الدولة أو الاقليم ككل والمعدلات السابقة تعد أعلى منها فى أوربا وذلك لعلاقة تلك السرطانيات فى افريقيا بشيوع فيروسات الكبد.

أما سرطان المثانة، فهو شائع فى العديد من دول افريقيا ويقل فى المرتفعات مثل بوروندى وكينيا ورواندا، وله علاقة وثيقة بمرض البلهارسيا كما سلفت الاشارة فى موقع اخر من هذه الدراسة وهو النوع السائد الأول فى جمهورية مصر العربية بين أنواع السرطان حسب الموضع Site، وكان أول من وجد علاقة بين سرطان المثانه والبلهارسيا هو فرجسون Fergusson وذلك فى سنة ١٩١١ (Fergussan1911 : 76- 79)(٧٠) ويعد سرطان المثانة النهاية الطبيعية لتكرار الاصابة بالبلهارسيا و إهمال علاجها لفترات طويلة. ورغم الحماية الطبيعية ضد سرطان الجلد بين زنوج افريقيا وشعوبها من أصحاب البشرة الداكنة، إلا أن سرطان الجلد يعد شائعا بسبب تكرار الاصابة بالجروح والقرح المدارية فى البيئات الافريقية الخشنه، ولذا تنتشر الاصابة به فى اوغنده ويمثل نسبة ١٠٪ من كل السرطانات ومعظم المناطق التى ترتفع فيها الإصابات فقيرة فى تسهيلاتها الصحية لذلك يصعب علاج القروح والاصابات التى تتحول لقرح مزمنة وتسهل الاصابة بسرطانات الجلد. ومن اهم سرطانات القارة الافريقية هو سرطان عنق الرحم Cervix إذ يعد من أشهر السرطانات النسائية فى القارة ويمثل نسبة مابين ٢٠ ـ ٣٥٪ من كل الانواع وخاصة لدى النساء فى سن حضانة وتربية الاطفال . وأعلى المعدلات توجد فى اوغنده فى مقاطعة Kyadondo وتصل إلى ٢٩/ ١٠٠,٠٠٠ كذلك فى أبادن فى نيجيريا (حوالى ٢٢/ ١٠٠,٠٠٠ والمعدلات الاقل توجد فى اقليم غرب النيل فى أوغنده ومثل هذه التباينات فى ذات الدوله هى فى حاجة إلى دراسة موسعة، وهى من الامور التى تؤكد عليها الجغرافيا الطبية للقارة للخروج بحلول لمشاكلها الصحية على أسس سليمة.

أما سرطان القضيب Penile Cancer فهو له توزيعه الجغرافى المتناقض، إذ تزيد نسبة الإصابة به على أسس جغرافية وثقافية أيضا وأعلى المعدلات

سجلت لدى بعض القبائل فى أوغنده ويصل انتشاره إلى حوالى ٢٠٪ من كل سرطانات الذكور فى بعض أقاليم أوغنده ، وينخفض فى غيرها إلى ٤٪فقط. ووجد ارتباط واضح بينه وبين عادة ختان الذكور، إذ تقل الاصابه به بين الجماعات التى تقوم وتمارس هذا الاجراء (Hutt, 1991 : 229-30)(٧١)

أما السرطان المسمى ساركو ماكابوتس Capotsi Sarcoma فهو من أكثر السرطانات شيوعا والمرض يصاحب الان مرض الايدز فى أفريقيا. أما ليمفوما بوركت فقد سبقت الاشارة اليه على أنه أهم سرطانات الأطفال فى أفريقيا المدارية، ويظهر فى صورة أكلينيكية فى أفريقيا مخالفة تماما له فى الغرب. على قلتة الواضحة خارج افريقيا (Olweny, C. 1984: 980 - 4)(٧٢) وسبق الحديث أيضا عن الضوابط الجغرافية الصارمة لهذا المرض، ويختفى المرض بالإرتفاع عن سطح البحر مما يبرز علاقته بمظاهر جغرافية، ويمثل حوالى ٣٥٪ من كل سرطانات الأطفال فى أوغندا (Hutl, 1991: 230)(٧٣) اما السرطانات الشائعة في بلاد الغرب مثل سرطان القولون والصدر والبروستاتا والثدي وسرطان بطانة الرحم Endometrium فهى قليلة فى افريقيا بصورة واضحة.

وعن أمراض القلب والجهاز الدورى : فهى غير دقيقة التحديد فى افريقيا وانتشارها لم يدرس بدقة للأن، ومعظم المعلومات عنها منقوصة، وانتقائية، مستقاه من دراسات منفردة وليست مسحية. وفى بعض الدراسات القديمة نوعا، فإن أمراض القلب مثلت ما بين ٨ ـ ١٢٪ من مرض القسم الداخلى فى بعض المستشفيات الافريقية، وقد حدث نوع من التغيير فى هذه النسب مؤخرا، وعلى سبيل المثال فإن مرض القلب الناجم عن الاصابة بالزهرى كان شائعا فى الدراسات الباكرة، وهو الآن أقل انتشارا، كذلك نجد أن أمراض القلب التاجية

أو الاكليلية لاتزال نادرة Coronery heart diseases، ولكن الجدير بالملاحظة ان أمراض القلب تصيب فى أفريقيا جماعات سكانية هي أكثر شبابا منها فى خارج افريقيا، ويعكس روماتزم القلب الشائع فى افريقيا حالة الفقر إذ هو نادر الحدوث فى أوربا ويعكس حالة السكن الدون Substandard Housing والتزاحم Crowding ونقص التغذية. وفى بعض الدراسات وجد ان المرض يمكن أن تصل نسبته إلى ٣٥٪ من مرضي القسم الداخلي، ويحتل روماتزم القلب وضغط الدم والتهاب عضلة القلب وتليفهاEndomyocardial fibrosis المراتب الثلاثة الأولى فى أسباب الوفاة من بين جملة أمراض القلب المسببة للوفاة وتمثل ٢٠,٥٪، ١٩,٧٪ ، ١٢,٩٪ للأمراض الثلاثة على التوالى (Hutt, 1991: 233)(٧٤) والمرض الثالث من الأمراض السالفة فى افريقيا تحكمة عناصر مناخية فهو يمتد فى نطاق عبر افريقيا المدرية جنوب الصحراء، وفى جنوب افريقيا لايمتد جنوب نهر الزمبيزي، كما أنه نادر فى المناطق المعتدلة والباردة ويرى بعض الباحثين أن له علاقة بزيادة حموضة الدم Eosinophilia السائدة لدى سكان افريقيا المدارية والتى تسببها الفيلاريا وأيضا الملاريا.

أما ضغط الدم المرتفع Hypertension والذى كان يعتقد بقلة انتشاره فى أجزاء افريقيا، فانه ثبت اليوم أنه واسع الانتشار فى مجتمعات بعينها بالقارة وهناك أيضا تباينات واضحة فى معدلات الاصابة تستحق الدراسة وتنتظر اماطة اللثام عن أسبابها. وبعض قبائل افريقيا لايزيد ضغط الدم لديها مع تقدم العمر وخاصة فى المجتمعات الريفية، فى شرق اوغندا وغرب كينيا، وكذلك لدى جماعات الماساى والهادزا Hadza والمزجويا Mzigua فى تنزانيا، ولدى البوشمن فى صحراء كلهارى وفى بتسوانا. ويرتفع معدل الضغط إلى جماعات الزولو الريفية عنه لدى جماعات ريفية اخرى فى غانا ونيجيريا وليسوتو. كذلك

لوحظ أنه أعلى مستوى في مناطق الحضر لدي الزولو عنه في المناطق الريفية (Seedal & Hackland, 1984 - 785- 9)[٧٥] ويرتفع مستوي ضغط الدم لدى مجتمع Xhasa الريفي عن نفس الجماعة القاطنة فى مدينة كيب تون، أى بين الريف والحضر (Sever, et al., 1980: 60-4)[٧٦] ونفس الملاحظات سجلت فى نيجيريا وكوت ديفوار ووجد بولتر Pulter أن جماعات لويو الريفية Luoفى غرب كينيا يرتفع ضغط الدم لديها إذا ما هاجرت للعمل فى نيروبى خلال شهرين من وصولهم (Poulter, 1988: Several Pages)[٧٧] وأكد عديد من العلماء دور العوامل البيئية كمؤثر فى مستوى ضغط الدم، وقالوا أن ارتفاعة فى المدن لدى المهاجرين مرتبط بتناول وجبات يزيد فيها ملح الطعام (الصوديوم) ويقل فيها (البوتاسيوم) وذلك طبقا لدراسة لجماعات Luo المهاجرين لنيروبي. ومن الأبحاث فى هذا الاتجاه وضح أن حوالى ٨٠٪ من مرضى ضغط الدم الأفارقة لديهم ضغط الدم من النوع الرئيسى المسمى Es-sential Hypertension أما النسبة الباقية فلديهم النوع الثانوى Secondary Hypertension والنوع الاول ليس له سبب واضح حتى الآن أما الثانى فله أسبابه، والتي من أهمها فى أفريقيا أمراض الكلى بأنواعها، إذ هى سبب رئيسى له (Remi Adessania, et al 984 : 697)[٧٨] وهناك أمراض أخرى مخية تصيب الأفارقة وتسمى Cerebrovascular أو السكتة الدماغية Strock وقد تصل نسبة مرضاها إلى ٣٥٪ من جملة الحالات لاصابات العصبية Neu-rological فى الأقسام الداخلية من بعض المستشفيات الافريقية، وأرتفاع ضغط الدم هو المسئول عن الجزء الأكبر من هذه الحالات لما له من تأثير على أعضاء الجسم الحيوية من قلب ومخ وكلى ويؤكد Hutt على الثنائية فى افريقية بين الغنى والفقر، والريف والحضر، والسكن الراقى والمتردي، كل ذلك ينتج نمطا مغايرا من أمراض القلب فى افريقيا عنه فى المجتمعات الصناعية وهو مايجب أن يوضع فى الاعتبار عند وضع أية استراتيجية لمكافحة هذه الأمراض

فـى افـريقـيـا ، وعدم مـعـالجـتـهـا بمعـزل عـن، أوجـه التنمـيـة المتـعـددة الأخـرى (Hutt 1991 : 236 -7)(٧٩)

تاثير مشروعات التنمية والامراض المهنية فى نمط المرض الافريقي

سبـقت الاشـارة إلى تاثيـر مـشـروعـات التنمـيـة الإفـريقـيـة فى زيادة بعض الأمراض وعلى رأسـها البلهارسيا، وخاصـة بين الذكور إذ يرتفع معدل الذكورة Sex Ratio عادة بين العمـال المـهاجرين للعمل فى مـثل هذه المشـروعـات وفى افريقية، لوحظ ارتفا ع الأمـراض المنقولة عن طريق الجنسSex Transimitted Diseases (STD) بين العمـال العاملين فى مـشروعـات تنموية وهـم بعيـدين عن مـواطنهم، وأندماجـهم فى عـلاقات جنسـيـة وخـاصـة حين يسـتلمـون رواتبـهم عند نهاية الأسبوع وكثرة معاقرتهم للخمور.

وأصـبـح من المسـتـقـر عليـه الآن، وبعـد الاسـتـجـابة من التـجـارب الفـاشلة السـابقة أن أى مـشـروع تنمـوى لابد أن تدرس مـثـالبـة الصـحـيـة قبل البدء فى التنفيذ وذلك لتحاشى أخطاء الماضي.

وأما عن الأمراض المهنية Occupational Diseases فتحدث فى افريقيا لقلة الوعى وضـعـف الامكانيات، ومـحـاولة تقليل تكلفـة الانتـا ج ومن أهـم هـذه الأخـطار المهنية مايلي:-

١- شيوع أمراض الرئه، خاصة تحجرها Silicosis فى مناطق التعدين فى زامبيا وزيمبابوى وجنوب افريقية، وذلك نتيجة استنشـاق الغبار الناجم عن تعدين الذهب والنحاس فى زامبيا وجنوب افريقيا وقد يحدث المرض فى أكواخ السكان لاسـتخدامـهم أحجـار الرص الصـوانيـة كمـا لدى سكان ترانسكاى Ciskei فـى جنوب افريقيا (Bayuteklu, et al., 1984 : 809 - 11)(٨٠)

٢ـ تعرض عمال التعدين للحرارة العالية فى المناجم مما ينجم عنه الأمراض نظرا لعدم التهوية.

٣ـ تعرض العمال لأخطار مميتة فى مصانع الأسمدة المخصبات والمبيدات الحشرية.

٤ـ تعرض عمال تعدين الاسبستوس ومصانعة لمرض الاسبستية Asbestosis وسرطان الصدر فى جنوب افريقيا وزامبيا (Webster, 1973: 65-7)(٨١) وتعرض العاملين فى مناطق الجرانيت الطبيعى فى ناميبيا والمحتوى على نسبة من السيلكا بين ٦,٣ ـ ١٠٪ مما يؤدى لمرض تغير الرئة أو تترب الرئة Pneumoconisis

٥ـ تعرض عمال الصناعات المحلية، خاصة طحن الحبوب، واستخدامهم أدوات تحوى الكوارتز لمرض يعرف باسم مرض النساء Women's Sick-ness وهو أخف من مرض تحجر الرئة، إذا ماكان الكوارتز غنيا بالسيلكا، كما هو الحال فى كانو بشمال نيجيريا اذ يمرض العمال هناك بمرض تحجر الرئة Fibrosis (Worrell 1975 : 1975: 389 - 98)(٨٢).

٦ـ يتعرض عمال حليج الاقطان فى مصر والسودان واوغندا وتنزانيا وزيمبابوى وجنوب افريقية لمرض يمسى السحار القطنى أو تقرب الرئه القطنى أو سل الحلاجينى Byssinosis من محالج القطن الافريقية (Khogali, 1976: 166 - 74) وكذلك تعرض عمال السيزال فى تنزانيا وجنوب افريقية لأمراض رئوية، وتعتمد شدة المرض على طول فترة التعرض للغبار المتطاير من العمليات الصناعية (Mustafa, 1978: 123- 8)(٨٣) أما عمال الكاكاو فيصابون بمرض يسمى Wheezing Dyspnoea ومن أعراضه ضيق التنفس

والأمراض العصبية وذلك فى غانا ونيجيريا وكوت ديفوار وهى البلدان الهامة المنتجة للكاكاو فى افريقيا، اضافة إلى بعض دول ساحل غانا الأخرى. وينتج المرض من فطريات تتكون عند تخزين الكاكاو.

٧- يتعرض العاملون الريفيون لذبابة تسى تسى التى تمنع تطور الثروة الحيوانية اذ أن هناك ٤ مليون ميل٢ مصابة بهذه الذبابة فى افريقية مما يصيب السكان بمرض النوم (Whittle, 1984: 46- 153) ويؤدى وجود ذبابة أخرى إلى شيوع مرض عمى النهر وخاصة في دول غرب افريقيا مثل غانا مما يؤدى إلى هجر السكان لقراهم، وفى دارسة خاصة بوادى هاوال Hawal· فى نيجيريا كان مرض النوم سبب فى نقص السكان depopulation فى الوادي، كذلك أدت شدة الإصابة بالبلهارسيا لفشل بعض مشروعات التنمية (Bradley, 1976 : 225 - 9)(٨٤) والحقيقة أن مرض عمى النهر خطير يؤثر فى القدرة الانتاجية للمناطق الموبوءة به ويكفى ان نعلم ان فى بعض مناطق غرب افريقيا وسكان السافانا، خاصة على ضفاف الأنهار فان ٦٠ - ٧٠٪ من السكان يحملون الطفيل المسبب للمرض فى اجسادهم، وأن حوالى ١٠٪ من سكان هذه الانحاء مصابون بالعمى فعليا نتيجة المرض، كما أن ما بين ٢٠ – ٣٠٪ يعانون من صعوبات فى الرؤية (Samba, 1994:8-9)(٨٥) مما تقدم ذكره، نجد أن نمط المرض الافريقى يمكن أن نطلق عليه نمطا بدائيا، أو ربما ندعوه بالنمط العضوى organic pattern لاتزال تسيطر على جزئيات أمراض معدية ومتطفلة جرى تخلص العالم المتقدم منها، أو على الاقل خضعت للسيطرة منذ عشرات السنين. ومثل ذلك الوصف يعطل عملية التحول الديموجرافي، ومن ثم التحول الوبائى Epidemiological Transition نحو امراض يعرفها العالم المتقدم. والشئ الهام فى حالة افريقية، أنه من الخطورة بمكان، أن تطبق استراتيجيات مكافحة المرض المستقاه من مجتمعات خارج افريقيا، اذ يستدعى الأمر أن تتبع هذه الاستراتيجيات من ظروف القارة ومن ملامح جغرافيتها

الطبيه اذا ما اريد نجاح هذه الاستراتيجيات، وكذلك ضرورة التوسع فى الدراسات المسحية لتحديد الحجم الحقيقى للمرض وعبئه Disease Burden حتى لاتهدر الأموال، توضح المشروعات على غير اساس صحيح، وسوف يكون ذلك مجال النقاش فى موضوع الرعاية الصحية.

الرعاية الصحية فى القارة الافريقية

الرعاية الصحية تمثل القسم الثانى الرئيسى من أية دراسة فى الجغرافيا الطبية، وشعار الصحة للجميع بحلول سنة ٢٠٠٠، يبدو أنه صعب المنال بالنسبة لافريقيا بالنظرلظروفها الحالية. وبداية، فإن أية سياسة للرعاية الصحيه لايجب أن تقف عند حد تقديم الخدمات ، ولكن علهيا أن تفى بمدى واسع من الرعاية بيئيا واقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا وكلها تؤثر في درجة تعرض السكان لخطر المرض وبالمثل لقدر من الصحة (Stock, 1995: 262)(٨٦) كذلك فى دراسة ما للجغرافيا الطبية يجب اختيار الاسلوب الامثل السليم لتوضيح المشكلة كما يشير جسلر (Gesler, 1983: 963)(٨٧) ويعنى ذلك أن أفريقيا لابد لها من استراتيجية خاصة بها للرعاية الصحية نابعه من ظروفها.

والرعاية الصحية فى افريقيا زمن الاستعمار ركزت على الاوربيين وأهملت الأفارقة، واهتمت بالموظفين والاداريين، والتجار، وتبعت الكيانات الصحية ومؤسساتها لكيانات سياسية واقتصادية وتأثر توزيع المؤسسات الصحية بالاعراق مما اوجد عدم مساواة فى الخدمة Inequality ووضح ذلك فى التباين الحضرى الريفى وهو ما استمر بعد تحقيق الاستقلال والاتزال، حتى حين حاولت البعثات التبشيرية سد تلك الفجوه الحضرية الريفية في الخدمة الصحية تأثرت في ذلك بعوامل وأبعاد دينية وعرقية وديمرجوافية.

ورغم اضطلاع حكومات افريقية المستقلة بوضع خطط طموحه قائمة على هيراركية في الخدمة الصحية فى منافسة مع قطاعات أخرى جعل مثل هذه الخطط لاتصل إلى هدفها ولوحظ أن القطاع العسكرى كان أكبر المنافسين، وكانت له الأولوية (Stock, 1995: 262)(٨٨) ورغم توجه دول افريقيا إلى اللامركزية فى الخدمة الصحية Decentralization وخاصة بالنسبة للرعاية الصحية الأولية Primary health care إلا انها لم تنجح تماماً، كذلك وضعت دول افريقيا خططا لاستئصال بعض الامراض الخطيرة التى احتلت قطاعا عريضا من نمط المرض فيها مثل مرض النوم والجزام والبثرة العليقية Yaws والحمى الصفراء والجدري، وذلك بالتعاون مع WHO وأدى ذلك لتحسن واضح فى الصحة الوقائية ولكنه محدودة وظلت اللامساواة التى وجدت قبلا قائمة زمن الاستقلال بحيث أصبح من يقدر على الضغط السياسى يحصل على الخدمة المطلوبة، بينما أهملت أقاليم ومناطق جغرافية لاتستطيع ذلك (lyun, 1994:250 -3)(٨٩)، وكان النجاح فى استئصال الجدرى من افريقيا والعالم هو النموذج الوحيد الواضح من ضمن برنامج هدف للقضاء على بعض الأمراض Targeted disease programmes، وتعرضت تلك السياسة لنقد على أساس أن الرعاية الصحية يجب أن تكون عامة ولاتستأثر بالانفاق قطاعات معينة دون اخري، كذلك اثيرت قضية هل يحق لمناطق جغرافية أن تستأثر بنوع أكبر من الدعم المالى عن سواها مثل المدن مثلا (Stock,1995:26)(٩٠) والنقطة الهامة أن موارد الصحة فى افريقيا محدودة، إذ تنفق معظم دولها أقل من ٥٪ من الميزانية السنوية على هذا القطاع ولم تدرك استراتيجيات الصحة دول فى افريقيا ديناميات سريعة التغير مثل سرعة نمو السكان الفائقة وخاصة فى المدن وتأثير الهجرة الريفية الحضرية على الصحة، وأوجد ذلك عبئا ثقيلا على النظام الصحي، الذى كان فى كثير من الحالات شديد التواضع.

وحاول القطاع الخاص سـ عجز القطاع الحكومى عن تقديم الخدمة، وزادت أزمة الديون الافريقية من قصور النظام الصحي، وكان عدم وصول الماء النقى للريف أكبر الأخطار كذلك صعوبة تعميم التطعيمات الرئيسية، ووضع سياسة سليمة لضبط النسل، ووضع حد لنزيف الخبرات التى هاجرت للخارج (lyun, 1989 : 933 - 8)(٩١)، ومع نقص الخبرات والكوادر اضطلع بالخدمة فى الريف اشخاص غير مؤهلين لذلك تماما مثل المرضين والقابلات وأصحاب مهن أخري، بل انتشر التطبيب الذاتى Self Medication وذلك كله له علاقة بشيوع الامية بين الكبار والتى وصلت فى دول مثل اثيوبيا موزمبيق إلى ٦٥٪ و ٦٠٪ على الترتيب (تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٦ : ٢٣٨)(٩٢) ولم تستطع الحكومات تقديم الخدمة المناسبة بسبب الديون التى وصلت احيانا فى بعض الدول إلى اكثر من قدر الناتج المحلى الاجماليGDP ذاته، وعلى سبيل المثال فإن حجم ديون رواندا سنة ١٩٩٤ وصل إلى ٩٥٤ مليون دولار امريكي، وهذا مايساوى ٨ . ١٦٤٪ من الناتج الإجمالى لنفس السنة. ووصلت هذه النسبة لمستويات مخيفة فى بعض الدول الافريقية فكانت سنة ١٩٩٤ فى موزمبيق ٤٥٠٪، و فى مدغشقر ٢٢٥٪ وفى غينيا بيساو ٧ . ٢٤٠٪، وفي موريتانيا ٢٤٠٪، وفي كوت ديفوار ٣٣٩٪، وفى الكنغو ٤٥٤٪ (٩٣)(البنك الدولى - تقرير عن التنمية فى العالم ١٩٩٦ : ٢٧٠).

ورغم أن البعد الكمى ليس هو الأهم فى الخدمة الصحية، ورغم تدنى مستويات الخدمة بشدة اذا خضعت للمعايير الغربية، فإن هذه الخدمات الصحية كانت متواضعة للغاية دائما كما ونوعا.

ويشير Fellmann وزميلاه إلى أن الخدمات الصحية تعد مؤشرا للتنمية، وباستثناء الشمال الافريقى ودولة جنوب افريقيا، فإننا نجد أن نصيب الطبيب

من المواطنين فى معظم دول القارة يصل إلى ما بين ٥ – ١٠ آلاف نسمة، إلى مايزيد عن ذلك فى العديد من الدول الافريقية (Fellmann. et al, 1992 : 354-5)[٩٤] ومن أوجة النقد التى وجهت إلى السياسة الصحية فى افريقية مركزية الإدارة، ونقص المتابعة، وخاصة للمستوى الأوسط الذى يربط بين الرعاية الأولية والمستويات الأعلى. وعدم الاستجابة لطلبات السكان المحليين والممارسات غير السليمة التى وجهت لبعض القائمين بالخدمة الصحية الاولية ونقص الامكانيات للنهوض بتنمية العاملين وأداءهم الوظيفى فى هذا المستوى الاولى أو التجهيز السليم لامكانية الاضطلاع بمهامهم (Whaley & hashim 1995: 13)[٩٥] والخدمات الصحية المقدمة للمواطنين فى افريقيا محدودة، وأفادت ٩ دول افريقية من ضمن ٢٤ دولة شملتها احدى الدراسات أن ٨٠٪ من مواطنيها يحصلون على الخدمات الصحية الأولية، ٤ دول يحصل فيها ٤٠٪ على هذه الخدمات، ٥ دول يحصل فيها من ٤٠ ـ ٥٠٪ على الخدمات، و ٦ دول يحصل فيها ٦٠ ـ ٨٠٪ على الخدمات الصحية.

وبطبيعة الحال، فهذه النسب مبالغ فيها، والخدمة الصحية النوعية صعبة المنال فى افريقيا اذا ما طبقت المعايير الغربية وبعد ، ماذا يمكن أن تقدمه الجغرافيا الطبية لتحسن الرعاية الصحية وتحقيق صحة أفضل لافريقيا؟ والحقيقة أنه يمكن تقديم الكثير لخطط التنمية الافريقية اذا ما أخذ فى الاعتبار الجانب الجغرافى للصحة والمرض، والمنبثق من رؤية كلية شاملة وليس من منظور جزئى، ويمكن تلخيص الأبعاد التى يجب أن تشملها أية استراتيجية أفريقية لتطوير الرعاية الصحية فى النقاط التالية: ـ

(١) الرعاية الصحية يجب ان تكون فى اطار التنمية الشاملة والمستدامة.

(٢) سد الفجوة بين الطب العلاجى Curative medicine والطب

الوقائي Preventive (Stock, 1995, 202-3) والايمان بأن مـــاينفق على برنامج لاتاحة الماء النقى ، او تطعيم الاطفـال ، او حـملات التـثـقيف الصـحى سوف يكون له مردوده الصحى وتخفيف الضغط عن العلاج.

(٣) الالتفات إلى البعد او الجانب الاجتماعى والحضارى Cultural based Stratigies بحيث ان ما يصلح للمجتمع الغربى لايصلح بالضرورة للمجتمع القبلى وأن تراعى النواحى الجغرافية عند وضع البرامج، مثل ذلك البعثات التبشيرية وتركيزها على المجتمعات المسيحية ـ (Airey, 1989:95-103)(٩٦)

(٤) ان يصاحب التدريب الجيد والصيانة شراء المعدات الطبية المكلفة ، والتى تصبح عبئا اذا غاب التدريب والصيانة، ولاسيما انها مكلفة، وقد لاتلبى الطلب المحلى للافارقة ويكون العائد منها أقل منه فى الدولة التى صنعتها (Stock, 1995 : 263)(٩٧).

(٥) لابد أن تعكس استراتيجيات الرعاية الصحية نمط المرض المتباين بين افريقيا وخارجها من ناحية وبين جزء واخر فى داخل افريقيا من ناحية ثانية، وهو عموما مختلف عما فى الغرب.

(٦) الاستفادة من أخطاء الماضي فى مشروعات التنمية حين أهمل الجانب الجغرافى والاجتماعى مما نتج عنه زيادة متسارعة فى معدل الاصابة بأمراض بعينها مثل الطفيليات بعد انشاء بيئات جديده من صنع الانسان Man -Made كما فى حالة السدود والخزانات المائية الرئيسية وغير الرئيسية فى السنغال ومالى وزامبيا (Vercruysee, et al 1994: 220 - 6)(٩٨).

(٧) تحسين الوضع الغذائى فى القارة ليمكن تحسين الوضع الصحي، اذ

يلاحظ تخصيص دعما أكبر فى الدول النامية لامور إدارية وعسكرية، ولاحظ «الغنيمي» أن السودان ينفق على الأمور العسكرية اكثرمما ينفق على الصحة والتعليم والزراعة، وأن معدل انفاق دول الشمال الافريقى على الأمور العسكرية يتراوح بين ٦ ـ ٢٩٪ فى أوائل التسعينات (El - Ghonemy. 1993:158)(٩٩) ويؤثر ذلك الوضع سلبا على الصحة .

(٨) دراسة تأثير العادت الشعبية والتقاليد على نجاح أوفشل الرعاية الصحية وبرامجها وزيادة جرعة التوعية الصحية، ومن ذلك عادات الغذاء مثل الاعتماد على الذرة وهو محدود المحتوى البروتيني، والكسافا المحتوى قشورها على مواد سامة واعتماد سكان السافانا على غذاء الذرينى Zein وهو مشتق من الذرة، وينقصه الحمض الامينى اللازم للتغذية الجيدة (parry, 1984: 60-2)(١٠٠) ومن أهم الأمور فى هذا السياق أن تراعى استراتيجيات الصحة الافريقة مسألة موسمية نقص الغذاء حتى تكون هناك بدائل سريعة لعلاج المواقف الحرجة فى خلال المجاعات وفشل مواسم الحصاد وتأخر سقوط المطر، واستجابة السكان لمثل هذه المواقف ومدى الصحة والخطأ فيها، كذلك بحث عادات السكان فى مناطق سيادة ذبابة تسى تسي، ونقص الغذاء البروتينى بها مما يؤدى إلى انتشار مرض الكواشيوركور، والذى يسود ايضا فى مناطق تعتمد على عادة الاعتماد الغذائى على البلانتين.

كذلك دراسة عادة الحصول على الخمور بتخمير الذرة والذرة الرفيعة Mil-let والسرغوم لانتاج أنواع محلية رديئة من الخمور توجه اليها أصابع الاتهام بزيادة أورام افريقية معينة كالبلعوم الأنفى والمرئ.

وأى استراتيجية لتحصين الصحة الافريقية لابد لها أن تحاول منع أو على الأقل ايجاد البدائل لعادات غريبة غير صحيحة ومن ذلك رفض غذاء جيد

وصحى مثل رفض الزولو أكل السمك، بينما يأكلون الحشرات وأحيانا يمنع غذاء كتقليد دينى كرفض المسلمين تناول لحم الخنزير، لذا يجب توفير البديل، ويرفض الهنود أكل لحم البقر ويعيش الماساى على دم ولبن الحيوان اساساً دون لحمه ويعتمد الباجندا على غذاء مكون من كربوهيدرات بينما ترفض بعض الجماعات السمك معتقدة انه مماثل للتعابين بينما تعيش جماعات أخرى كلية على السمك (Parry, 1984: 64-6)(١٠١).

وفى بعض أجزاء افريقيا، يظن البعض أن تناول البيض يؤدى للعقم، ومن العادات الافريقية السيئة تفضيل الذكور على الاناث فى التغذية ويأتى الأطفال فى ذيل الأهتمام ويؤدى لمثالب خطيرة على الأم الحامل والطفل، والخرافات المحيطة بالغذاء هى مشكلة حقيقية فى افريقيا ومن العادات الغريبة مسألة اكل التربة Geophagy التى يمارسها العديد من السكان وتؤدى إلى عواقب مرضية وخيمة فى بعض الاحيان(Abrahams&Parsons 1996: 63-7)(١٠٢) وفى شرق افريقيا يعتقد البعض أن السمك الطازج يسبب سوء التغذية للأطفال، وأن أكل لحم الضأن يصيب بالدوار giddiness وفى أجزاء من اثيوبيا تمنع الأم تعرض أطفالها لأشعة الشمس حماية لهم من الشياطين، وفى مدن وقرى الشمال الافريقى فى منطقة حوض البحر المتوسط فإن الأطفال فى الأزقة الضيقة يقل تعرضهم لأشعة الشمس ويصابون بنقص فيتامين D ، (Parry, 1984: 84)(١٠٣)ودراسة العادات مؤشر للأمراض الناتجة عنها مثل شيوع نقص المعادن والعناصر اللازمة كالكالسيوم والحديد واليود والفلورين والزنك، وأكثر المتضررين من ذلك الأطفال بعد الفطام، لأعتمادهم على أغذية كربوهيدراتية، ونقص الحديد مسئول عن شيوع الانيميا لدى الأطفال سواء قبل أو بعد الفطام وفى دراسة عن السودان لعادات تغذية الأطفال لاحظ الباحثون أن عادات تغذية الاطفال فى الريف والحضر تؤدى أحيانا بالاصابة لأمراض نقص التغذية (El Bushra, et al., 1994: 309- 12) (١٠٤).

ونقص اليود فى بعض مناطق افريقيا خاصة المرتفعة يؤدى لتضخم الغدة الدرقية goitre ويعتقد الاطباء أن المرض يصبح وبائيا إذا كان ١٠٪ من السكان مصابون به، وأكثر مناطق افريقيا تعرضا له المناطق المرتفعة مثل اثيوبيا حيث التربة وخاصة المشتقة من صخور الجرانيت القديمة قليلة فى محتوى اليود وأسوا مناطق افريقيا توجد فى اثيوبيا وهضبة باوتشى في نيجيريا وأجزاء من تنزانيا وشمال شرق زائير، (Hanegraaf, 1970: 1-5)(١٠٥) وأكثر الفئات الديموجرافية استهدافا للمرض النساء الحوامل والفتيات ووجد أنه يحدث فى نيجيريا وغيرها اذا اعتمد السكان على الماء الناتج من الابار العميقة وليس السطحية، والمرض بحاجة لدراسة مستفيضة فى افريقيا لاثبات العلاقة بينه وبين عوامل بيئية وعادات محلية سائدة ويرى البعض أن المرض يحدث فى مناطق وادى النيل بسبب تلوث المياه وفى واحات الصحراء بسبب تناول الماء العسر Hard Water واذا شاع المرض بين الأطفال دون العاشرة فمعناه أن المناطق الجغرافية مصابة به بشدة (perry, 1984: 91 - 3) (١٠٦).

أما الفلورين Flourin نقصه يؤدى لمرض Clurasis وينتشر فى أجزاء من جنوب افريقيا وخاصة في الترنسفال وشمال غرب ولاية كيب تون واجزاء من تنزانيا.

(٩) يجب أن تراعى الاستراتيجيات الصحية كيفية انتشار الاوبئة ومساراتها التى تتعرض لها افريقيا بين الحين والاخر وخاصة بعض سلالات الاوبئة والامراض غير الشائعة فى افريقيا مثل أوبئة الانفلونزا التى تجتاح القارة أحيانا ويمكن للجرافيين الاسهام فى ذلك لفهمهم عمليات الانتشار Diffusion وتمثلها على خرائط (كرتوجرافيا)، وتحليل وتعليل مسالك الانتشار بعوامل بيئية إن وجدت وقد لوحظ أن بعض السلالات لأمراض عزلت منها فيروسات تختلف

عن المحلية ووجد أنها قادمة من أوربا وأمريكـا، وفى سنـة ١٩٦٧ وسنة ١٩٦٨، كـان وباء الأنفلونـزا فى أوربـا وأمريكا مـرتبطا بالفيروس الاسيـوي، ومـع ذلك لم يكن الأمـر كـذلك فى افـريقـيـا، ولاحظ أحـد البـاحـثـين أن فـتـرة الحـضـانة لفـيروسـات الانفلـونزا فـى مناطـق افـريقـيا المدارية تخـتلـف عنها لـدى السكان القـوقـازيـين ومـثل هذه الخـصـائص الافـريقيـة ذات دلالة هامـة وتفسر وتعـرف البـاحـثين على الآليات البيولوجية المتضمنـة فى الإصابة بالأمـراض والتـى هـى غـير مـعلومة حـاليا، كـذلك يفـيد ذلـك التعـرف فـى مكافـحـة المـرض بالتعطيـم (Mc Gregory. 1979 : 15-22)(١٠٧) .

وتفـيـد نماذج انتـشـار المرض Disease Diffusion Models فـى رصـد الظاهرة المرضية كما يذكر مـاك جلاشان(Mc Glashan, 1975:15-22)(١٠٨) وفى هذا المجـال يمكن أن يكون للجـغرافيين اسـهـاماتهم الهـامة تفسر للاطباء الكثير من أنمـاط المرض الثانوية لاسيمـا وأننـا نلاحظ أن درجة المراضـة Mor-bidity تخـتلف من جـزء إلى اخـر فـى نفس الدولة من حـيث مـعـدلات الاصـابة وتختلف أيضا حتى فى المناطق صغيرة المساحة .

(١٠) يجب أن تنهج اسـتراتيجيات الرعاية الصحية في افريقيا نهجا بينيا تشابكيا Interdisciplinary توظف فيـه كل المعارف لاثراء هذه الاسـتراتيجية، ولاتقتصر فقط على الطبيب. والأجهزة والمسائل التقليدية انما تؤخذ فى الاعتبار عمل الفريق، وفي هذا المجال يمكن للجغرافيين توظيف التقنيات الجـديدة التى يمكن لهـا أن تضم شـمل نتـائج عـديد من العلوم مـثل تقنيـة نظم المعلومـات الجغرافية GIS والاستشعار من البعد Remote Sensing وكله يفـيـد فى رصد وتحليل التغيرات المناخية فى أجزاء أفريقيا والتى لها انعكاساتها الآن على صحة القارة حاليا ولاسيما فى منطقة الساحل، التى توالت عليها فترات

الجفاف الحادة خلال العقدين المنصرمين، ومن أمثلة تلك الدراسات ما قام به باحثان فى منطقة مالى وهى جزء من اقليم الساحل الأفريقي، وطبقا فيها حسابات Surface Albedo ومؤشر الغطاء النباتى Vegetation Cover Index وكانت النتيجة استمرار الاتجاه القائم حاليا نحو التصحر فى المستقبل وتدهور قيم التربة، والذى أوجد ضغطا هائلاً سكانيا على الغطاء النباتى الفقير اصلا، ومثل هذه الدراسات تلقى الضوء على التغيرات المكانية خلال الزمن فى اقليم الساحل التى تمتد لمسافة ٥٠٠٠ كم بين البحر الاحمر والمحيط الاطلسي، وبين خط عرض ٥١٣ ، ٥١٨ شمالا وبعرض يبلغ ٥٠٠كم، وتوالت عليها فترات الجفاف فى سنة ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ولا شك أن رصد هذه الأمور يمكن من التنبؤ بالأمراض المحتملة ومهمة الجغرافى توحيد النظر لمثل هذه الاخطار التى تهدد البيئة والسكان فى افريقيا (Cote& Rayer, 1992 :15 - 25)(١٠٩).

(١١) وضع أولويات فى استراتيجيات الرعاية الصحية وما هى الامور الصحية الأولى بالاهتمام وتخصيص المال وعند تحديد ذلك لابد من التنسيق مع الجهات الصحية وغير الصحية، فإن القضاء على إسهال الأطفال على سبيل المثال ومرض الملاريا، أو البلهارسيا له أولوية قصوى فى افريقيا ولكن ليس له ذات الوزن فى استراتيجيات الدول المتقدمة، كذلك يستدعى مكافحة هذه الامراض فى افريقيا التنسيق مع جهات هندسية وتخطيطية وديمرجرافية وحضارية وتقليدية واقتصادية والخ.. وسبقت الاشارة إلى فشل بعض مشروعات التنمية الافريقية وانتشار الامراض لغياب مثل ذلك التنسيق، تم جلب البلهارسيا لمناطق لم تعرفها من قبل مما أثر ليس فقط فى صحة السكان البدنية، انما الذهنية كذلك فى رأى بعض الباحثين (Dimura, et al., 1992 : 155 - 9)(١١٠) وأيد ذلك الباحث Gryseels، (Gryeels, 1994: 209 - 19)(١١١) ، وأيضا الباحث «بل» وزملاؤه فى تاريخ

مبكر (Bell, et al., 1973 : 494 - 801)[١١٢]، ولاشك أن هذه الاولويات وذلك التنسيق يوفر الموارد لدول افريقيا والتى تتصف اصلا بمحدوديتها.

(١٢) رفع كفاءة العاملين الصحية فى مختلف المراكز الصحية لتحقيق أكبر قدر من الخدمة دون فاقد، ولقضاء على اللامساواة الواضحة فى الرعاية الصحية فى افريقيا، ولاسيما بين الحضر والريف، وفى تجربة من هذا القبيل فى كينيا أدى رفع كفاءة العاملين إلى تغير سلوك المرضى والأمهات تجاه أطفالهن مما كثف من العائد الصحي.

(١٣) تدعيم البنية الاساسية Infrastructure فى كل المجالات وليس فقط المجال الصحي، وفى دراسة وضح ان تدعيم شبكة الطرق والمواصلات فى أحد أقاليم كينيا Meru, وضح للباحث Airey ان ذلك كثف من الخدمات الصحية واوصل الخدمات لمناطق ابعد مسافة بما اوجده من تقصير المسافات وسهولة الوصول Accessibility. (Airey, 1989: 95 - 106)[١١٣] ومثل هذه الدراسات التى تؤخذ فى اعتبارها جوانب صحية مع جوانب أخرى تتصل بخصائص الاقاليم المادية والبشرية هى اهتمام الجغرافى اصلا (Gesler, 1986: 963 - 73)، مع ملاحظة أن النماذج المستوحاة من خارج افريقيا في ذلك السياق لاتتفع دائما مع البيئة الافريقية وأن بقيت الملامح العامة لها صادقة، ومن ذلك ملاحظة Airey فى دراسته السابقة الذكر أن مناطق خدمة المستشفيات فى كينيا تبدى بعض الخصائص المشتقة من نظرية تضاؤل وفود المرضي بطول المسافة Distance decay theory، إلا أنه لاحظ أيضا أن العوامل الدنيية والاجتماعية والاقتصادية كانت أقوى فى بعض الحالات من تأثير المسافة (Airey, 1989: 104 - 5)[١١٤].

(١٤) أن تتصف استراتيجيات الرعاية الصحية بالمرونة، وقدرتها على

تلبية الحاجات المتغيرة، مثل تغير نمط المرض، والتغير في الاتجاهات الاجتماعية، والديمرجرافية، مثل الهجرة الريفية ـ الحضرية والتحول الوبائي، ويمكن الاستفادة من تجارب دول نامية حققت تقدما ملحوظا في السنين الأخيرة مثل سنغافورة، مما أدى إلى سرعة ملاحقة التغيرات الهامة وانعكاس ذلك في استراتيجية الرعاية الصحية، كانعكاس للتغير في الانماط الاجتماعية والحضارية وتأثير ذلك على نمط المرض (Seow & Hin- Reng, 1990 : 149 - 58)(١١٥) كذلك تتضح مرونة هذه الاستراتيجيات في التعامل الفوري مع الأحداث والمخاطر الجسام التي قد تقع فجأة والتي تؤثر في الصحة، كالاوبئة والمجاعات والكوارث، وتحديد الفئات الأكثر تضررا عن غيرهم سلفا ، إذ وجد أن الأطفال الصغار هم خطر حقيقي للموت أثناء هذه الكوارث (Lindtjorn, 1990 : 365-9) (١١٦)

(١٥) أن تراعي الاستراتيجيات التباينات البيئية في كل دولة افريقية، وخاصة في الدول كبيرة المساحة والتي تحوي اقاليم طبيعية متنافرة، وكذا مجموعات عرقية مختلفة، وعلى ذلك لاتوضع استراتيجية واحدة لتطبق في طول البلاد وعرضها، ومن ذلك حاجة سكان المرتفعات للرعاية تختلف عن سكان السهول والمنخفضات اذ لوحظ أن سكان المرتفعات أكثر عرضة لمرض Sickle Cell Disease مما يجعلهم عرضه لضعف ما يتلقاه سكان السهول (Addae, et al, 1990 : 342- 51)(١١٧)، كذلك التباين في نمط المرض الثانوي نتيجة نمط الحرفة السائدة، كسيادة أمراض الرئة في مناطق التعدين والتحجير، والرعاة بأمراض خاصة بهم كما في منطقة التوركانا في كينيا والتي تنتقل اليهم من قطعانهم، ولذا فهم عرضه لهذه الامراض أكثر من الجماعات التي لاتعمل برعي الحيوان (French& Nelson, 1982: 439 - 57)(١١٨).

(١٦) أن تراعى الاستراتيجيات وبرامج الرعاية الصحية الاستخدام الأمثل للموارد المادية والبشرية المتاحة والتى هى محدودة اصلا، واستكمال الاجهزة الناقصة، وقطع الغيار، وتدريب العاملين على صيانتها، وحفزهم مادياً، ومعنويا، وتحسين بيئة العمل في السمتشفيات، إذ لوخط تدني الأداء الجراحي في معظم المستشفيات الافريقية، وما يعرف بالمعدلات الجراحية Surgical Rates وذلك فى دراسة عن كينيا وتنزانيا فى مناطق ريفية، ومع مقارنتها بما هو قائم فى بريطانيا وUSA وجد أن المعدلات الافريقية هى أقل من نظريرتها الغربية بحوالى عشرين مرة، كذلك وجد أن معدل العمليات الجراحية لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان كان ٤٤ ، ٦٩، لكل ١٠٠,٠٠٠ من السكان على التوالي، بينما كان أكبر من ذلك بحوالى من ٩ـ ٢٠ مرة فى الغرب، اذ بلغ ٢٣٠٠/ ١٠٠,٠٠٠ فى الولايات المتحدة و ١٠٨٠ في السويد، ٩٤٢ فى المملكة المتحدة وتفسير ذلك التباين رغم صعوبته الا أن هناك أسباب واضحة منها محدودية التعدادات السكانية، وقصر أمد الحياه، والعوائق المادية والاجتماعية وعدم ادراك الأهالى لأهمية الجراحات، واهمال العلاج وطول الفترة مابين الشعور بالأعراض المرضية والمثول أمام الطبيب - وعدم وجود خدمة طبية أصلا، وقلة الكفاءة الجراحية، ووجود قوائم انتظار لخدمة طويلة، وسوء طرق النقل، وعدم توفر سهولة الوصول والتعرف على هذه الخصائص والعقبات يسهل من وضع استراتيجية سليمة (Holmberg&Nordberg, 1990 : 352)(١١٩).

(١٧) وضع مرض الايدز فى مركز خاص فى أيه استراتيجية للرعاية الصحية وتحديد الفئات الأكثر عرضه للفيروس HIV وذلك على مستوى قومي لكل دولة أفريقية، وأيضا للقارة ككل من خلال منظمة الوحدة الافريقية، وأفريقيا اليوم تؤدى الأغلبية المصابة بالمرض والفيروس ومن شأن المرض كما أشارات العديد من الدراسات ، أن يقلص المكاسب الديموجرافية التى تحققت

فى بعض دول افريقيا فى السنوات الأخيرة، مثل خفض معدلات الوفاه والمواليد، وزيادة معدلات نمط السكان مع تحسن الصحة واستمرار المرض سوف يخفض من عدد سكان فى بعض دول القارة فيما لو لم يكن المرض موجودا والرعاية الصحية لمريض الايدز هى خارج طاقة أية دولة أفريقية فقد قدر أن التكلفة المباشرة فقط لمريض الايدز تتراوح بين ١٣١ ـ ١٥٨٥ دولارا أمريكيا فى افريقيا ، وذلك فى زائير، أما فى تنزانيا فتتروح بين ١٠٤ ـ ٦٣١ دولارا، بينما متوسط نصيب الفرد من ميزانية الرعاية الصحية لكافة مجالاتها هى خمسة دولارات فقط (U.N., 1994 :3)(١٢٠) علما بأن المشكلة لم تعد خاصة بالايدز فقط، انما بمجموعة من الأمراض تصاحب ظهوره، كما سبقت الاشارة للدرن على سبيل المثال لا الحصر(Van Der Werf, 1994 172 - 4)(١٢١)

(١٨) تطوير وتطويع برامج واستراتيجيات الرعاية الصحية الافريقية، وبرامج مكافحة الأمراض المدارية بحيث تستفيد من خبرات الجغرافيين في هذا المجال كما يحدث فى دول الغرب، إذ أن الجغرافيين اكثر قدرة على فحص مفردات البيئة و النظر للامور نظرة شاملة وتطبيق وسائل وتقنيات البحث الحديثة مثل نظم المعلومات الجغرافية Geographic Information systems (GIS) فى مكافحة الامراض وميرة هذه التقنية أنها تضيف البعد الجغرافى والمكانى إلى المعلومات التى تحفظ فى جهاز الحاسب الآلي، والتى كانت تفتقر لهذا البعد فى السابق أو، أنها كانت تخزن المعلومات فى قاعدة بيانات غير مناسبة للتعامل والتطبيق على مناطق جغرافية معينة (Openshow 1996 : 337)(١٢٢) مما أتاح الحصول على قاعدة بيانات مكانية Spatial تحوى بيانات منوعة وليست جغرافية فقط يستخدمها الجغرافى ويحللها للتطبيق على منطقة جغرافية بعينها.

وباستخدام (GIS) يمكن التعرف على انماط Disease patterns، وتحقيق المساواه Evennes بين الاقاليم فى الخدمة الصحية، ومراقبة وانجاز العاملين الصحين وتقديم الخدمة الصحية المناسبة Health Care delivery.

وفى حالة افريقيا، يمكن انشاء خرائط لتوزيع الامراض باستخدام مثل هذه التقنية ومعدلات الاصابة وعمل تنبؤ مستقبلى لكل من المراضه Morbidity والوفيات Mortality الناجمة عن أمراض بعينها، وكذا تحديد الفئات السكانية الأكثر عرضه لخطر المرض Papulation at risk وعلى سبيل المثال فأن الخرائط الخاصة بسبب الاصابة بمرض معين يمكن تحويلها مباشرة إلى خرائط توضح السكان الأكثر تضررا وأكثر عرضه للاصابة، وتوضح في ذات الوقت العوامل البيئية المرتبطة بهذا المرض ومثال ذلك الارتباط بين مرض الملاريا، وتوزيع المساحات المائية، ومشروعات الرى الكبير كذلك تساعد تقنية GIS فى وضع نماذج Models للخدمة الصحية بناء على تحليل خرائط الامراض ، وظروف البيئة الطبيعية والحضارية ومن هنا يمكن أن تجيب على اسئلة مثل أين يمكن أن يقام مستشفى جديد متخصص فى علاج مرض معين؟ وما هى التغيرات اللازم عملها فى شبكة الخدمة الصحية فى اقليم معين؟ ولذا تسهم GIS فى اتخاذ قرارات صائبة أو على الاقل مساندة صانعوا القرار فى ذلك.

وفى رأى Openshaw أن تقنية GIS سوف تتمكن فى القريب العاجل من اعطاء صورة تمثل تعقب انتشار مرض معين Diffusion زمانيا ومكانيا واى تكلفة تنفق فى ذلك سيكون لها مردودها الصحى والاجتماعى الكبير (Openshaw, 1996 : 338- 9)(١٢٣).

ويدخل فى اطار تطوير برامج الخدمات والرعاية الصحية استخدام التقنيات

الحديثة والبرامج المعدة للاستخدام بالحاسب الآلى المتطور، وأحدث ماوجد حاليا يختص بتحليل البيانات بصورة مكانية Interactive Spatial Data Analysis والذى يتيح للجغرافى تصور Visulation واكتشاف Exploration وايضا عمل نماذج Modelling مستقاة من البيانات ذات الطبيعة الجغرافية أو البيئة. وفى هذا السياق، استعرض جاتريل ويلى بعض الامثلة لذلك، وخاصة بعض امكانات برامج ARC/ Info فى سياق التحليل البيئى وأوضحا كيف أن اضافة بعض أدوات التحليل المكانى لهذه البرامج يمكن أن يستغل بواسطة الجغرافيين والباحثين فى الجغرافيا الطبية ومن هذه الأدوات مايتيح عمل نماذج خاصة في أماكن تزيد بها نسبة الاصابة بأمراض معينة حول بؤرة محتملة لان تكون مصدرا للمرض. كذلك من أحدث الوسائل فى تطوير الرعاية الصحية هو استخدام النظم Systems ومن ذلك مايسمى XLISP- STAT, S- Plus وكذلك البرامج التى عن طريقها يمكن أن تضاف لاستخدامها من قبل الباحثين فى المكتبات.

وتجدر الاشارة إلى أن مثل هذه الاتجاهات البحثية، والتقنيات المصاحبة قد جرى استخدامها على أمثلة واقعية فى مناطق من العالم، وبالنسبة لافريقيا واستخدمت فى محاولة منهم أكثر لتركز حالات مرض سرطانى شائع فى جزء من افريقيا ليمفومابوركت الذى سبقت الاشارة اليه فى مواقع مختلفة من هذه الدراسة وهو شائع فى أوغنده بالذات ومايجاورها (Catrell& Bailey, (١٢٤) (1996: 843- 55 وعن طريق مثل هذه الاتجاهات الحديثة فى تخطيط وتطوير برامج الرعاية الصحية يمكن أن يكون للجغرافيا الطبية فائدة عملية أكبر ودور فعال واضح، ومن خلال مايمكن لها أن تضيفه من فهم أكبر للمشاكل الصحية فى القارة الافريقية، وهو مايمكن أن يسهم بدون شك فى توضيح صورة الصحة والمرض بصورة أفضل.

(١٩) أن تأخذ الرعاية الصحية فى افريقيا بعينى الاعتبار الوجود المكثف للطب الشعبى في افريقيا ومجتمعاتها التقليدية والحقيقية، إن نبذ مثل هذا النظام الصحى من قبل الاطباء الذين يمارسون الطب الحديث فيه خسارة كبيرة واهدار للنظام أثبت كفاءته احيانا ولاسيما أنه يمثلا الملاذ الأول الذى يلجأ اليه الافريقى فى البداية، ومن هنا فإن دمج هذا النظام مع النظام الطبى الحديث، قد يكون له أكبر الأثر فى زيادة فاعلية النظام الصحى فى افريقيا، ويؤدى - وهو الأهم إلى تقليل فترة الاهمال وعدم مراجعة الطبيب مما يؤدى إلى تفاقم المرض مع طول المدة، طالما أن النظامين الصحيين، التقليدى والحديث يعملان جنبا إلى جنب بنوع من التنسيق والتناغم، ويساعد على هذا التعاون أن مظعم دول افريقيا، لديها الآن الموارد المادية والبشرية اللازمة لصياغة برامج تعاون صحي جادة بين الطب الحديث Blomedicine وبين الطب التقليدي Traditional Medicine وكما يقرر Good، فإن هذه الثنائية الطبية Medicl pluralism تمثل موردا صحيا أكثر منها حاجزا صحيا Barrier لتحقيق صحة أفضل للمجتمع . (Good, 1987: 317)[١٢٥]

المراجـــع

1 - Meade, M., et al., Medical Geography, The Guilford press, New york, 1988.

2- Mc Glashan, N., Health: in Dawson, J.A., & Doornkamp, J.C.,eds. Evaluating human environment, essays in applied geography, Arnold, London 1975.

3 - Parry, E.H.O., Principles of Medicine in Africa, E.L.B.S, 2 nd ed. Oxford University press, 1984.

4 - Hutt, M.S.R., Cancer and Cardiovoscular diseases in sub-Saharan Africa, in Feachmen,R.G., and Jamison, D.T., eds., Disease and Mortality in sub-Saharan Africa, Publised for the World Bank, Oxford University Press, 1991, 221 - 40.

5 - William, E.H., et al., Sesonal variation on onset of Burkitt's Lymphoma in the west Nile District of Uganda, Lancet ll, 1974, 19 - 22.

6 - Kambal, A.,D., et al., Vrolithiasis in Sudan, Geographical distribution and the influence of climate, Tropical and Geographical medicine, 1975, 75-91.

7 - Docquier, J., et al., Vrolithiasis in Sahelian Africa, Trans. R.Soc. Trop. Med, Hyg. 75, 1981, 123.

8 - Parry, 1984, E.H.O., op. cit, 13.

9 - lbid., 13 - 15.

10 - Nurse, G.T., Seasonal hunger among the Ngoni and Ntumba of central Malawi, Africa, 1975, 45, 1-11.

11 - Parry, E.H.O., 1984, op, cit., 18.

12 - Ibid,. 18 - 20.

13 - Hutt, op. vit. 1991, 230-1.

14 - Parry, E.H.O., op. cit.1984, 82-3.

15 - Stock, R. Africa south of the Sahara: A Geographical interpretation, The Guilford Press, New york, 1995, 119.

16 - Whaley, R.F., &Hashim, T.J., A Textbook of workd Health, A Practical Guide to global Health Care, The Parthenon publishing group, New york, 1995, 133-5.

١٧ ـ البنك الدولي ـ تقرير عن التنمية في العالم ـ واشنطون العاصمة ـ الترجمة العربية ـ مؤسسة الاهرام ـ القاهرة ـ ١٩٩٦ ـ ٢٤٨ ـ ٩.

18 - Stock, R., op. cit.,125-7..

19 - Chin, J., The Epidemiology and Projected mortality at AFDS. in Feachmen, R., G., & Jamison, D.T., eds., Disease and Mortality in sub-Saharan Africa, Oxford univ. Press., 1991, 203-13.

20 - Whaley, R., F., & Hashim, T. J., op. cit., 1995, 142.

21 - Stock, R., 1995, op. cit., 140-3.

22 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit., 25-8.

23- Stock, R., F., Cholera in Africa, International African Institute, Special report, No.3:, Plamouth, 1976, 12-22.

24 - Gaber, M.M., Migration, Mobility and disease diffusion With special reference to the situation in the Arabian Gulf countries, Geographical Studies, No.5, El-Minya University, 1988.

25 - Shannon, G.W., et al., the Geography of AIDS, The Guilford Press, 1991, 70.

26 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit., 30-2.

27 - Abrahams, P.W., & Parsons, J.A, Geophagy in the Tropics, A literature review. The Geographical Journal, 1996, 162,63-72.

28 - Hunter, J. M., Geophagy in Africa and the United States:A Culture nutrition hypothesis, Geographical Review, 1973, 63, 173-95..

٢٩ ـ أشاباي ـ طب تقليدي ولكنه قاتل ـ منبر الصحه العالمي ـ المجلد ٦ـ العدد ـ ٢ ـ ١٩٨٥ ـ ص ١٥١.

30 - El- Bushra, E., et al., Infant feeding practices in urban and rural communities of the Sudan, Trop. & Geographical Medicine, 45, 5, 309 - 12.

31 - French, C.M., & Nelson, G.S., Hydatid disease in the Turkana district of Kenya, Annals, Trop.. Med. & Parasitology, 1982, 76, 4, 439-57.

٣٢ ـ محمد مدحت جابر عبد الجليل ـ الابعاد الجغرافية للقات في اليمن ـ دار الوزان ـ القاهرة ـ ١٩٨٦ ـ ص ص ٩ ـ ٢١.

33 - parry, E.H.O., 1984, op. cit, 32-5.

34 - Davidson, N., et al., Peripartum cardiac failure: an explanation for the observed geographic distribution in Nigeria, Bull. wld. org. 1974, 51, 203-8.

35 -Parry E.H.O., 1984, op. cit, 34-5.

36 Curtis, S. & Taket, A., Health and Socities: Changing perspectives, Arnold, 1996, 81.

٣٧ ـ البنك الدولي ـ تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٦ مرجع سابق ـ ص ٢٤٨.

38 - Mwaluke, G.M.P., The approach of treatment in Africa, in Parry, E.H.O. ed., 1984., op. cit, 191-99.

39 - Whaley, R.F. & Hashim, T. J., 1995, op. cit., 141.

40 - Feachem, R.G., et al., 1991, op. cit, 15.

41 - Bradly, D. J., Malaria in sub - Saharan Africa, in Feachem, A.G., &Jamison, D.T., 1991, op. cit, 191.

42 - Chin, J., 1991, op. cit, 203.

43 - Whalay, R.F, & Hashim, T. J., 1995, op. cit, 142.

44 - lbid. 139-40.

45 - Stock, R., 1995, op. cit., 128.

46 - Vercruysee, J., et al., Studies on Transmission and Schistome interactions in Sengal, Mali, and Zambia, Tropical and Geographical Medicine, 1994, No. 4, 220-6.

47 - Whaley, R.,F., &Hashim, T. J., 1995,op.cit,141.

48 - Griffiths, I.L.F., The Atlas of African affairs 2nd ed., Routledge, London, 1993, 22-5.

49 - Williams, J.F., et al., Current distribution of onchocerciasis in Sudan,Sudan Med. J., 1985, vol. 21, (supplement), 9 -17.

50 - Bella, H., et al., Migrant Workers and Schistosomiasis in the Gezira, Sudan, Trans. R. Soc.trop. Med. hyg, 1980, 74, 36 - 9.

51 - Johnston, P.A.S., Parasitic assaciations with malignant neoplasms, Tropical and geographical Medicine, 1990, 42, 4, 301.

52 - El-Gazayerli, M., & Aziz, A., On Bilhariasis and Male breast Cancer in Egypt: A preliminary report and review of the Literature, BR. J., Cancer, 1963, 17, 566 - 71.

53 - Johnston, P.A.S., 1990, op. cit, 305-6.

54 - Van Der Werf, T.S., et al., High initial drug resistance in pulmonary Tuberculosis in Ghana, Tubercle, 1989, 70, 249-55.

55 - Harries, A.D., Tuberculosis and Human Immunodefficiency virus infection in Developing countries, Lancet, 1990 335, 387-90.

56 - Schulzer, M.et al., An estimates of the future size at the Tuberculosis problem in sub saharan Africa resulting from H.I.V. infection, Tuberc. lung. Dis. 1992, 73, 52 -8.

57 - Van Der werf., T., S., 1989, op.cit, 249-55.

58 - Whaley, R.F., &Hashim, T.J., 1995 op. cit, 141-2.

59 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit., 219 - 20.

60 - Whaley, R.F., &Hashim, T.J., 1995, op. cit, 141 -2.

61 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 255.

62 - Stock, R., 1955, op. cit, 128 -9.

63 - Ofosu - Amaah, S., Diseases in Sub -Saharan Africa :An overview, in Feachem, R.G.& Jomison, D.T. op. cit, 1991, 119 -21.

64 - Kirkwood, B.R., Diarrhea in sub-saharan Africa, in Feachem, R.G., &Jamison, D.T., eds., op. cit 1991, 134 - 57.

65 - Ashworth, A., & Dowler, E., Child malnutrition in Sub-Saharan Africa, in Feachem, R.G. & Jamison, D.T., eds, op. cit. 1991, 122 - 33.

66 - Rodrigues, L.C., EPI Torget diseases :Measles, Tetanus, Polio, Pertussis and Diphtheria, in feachem, R.G. & Jamison, T.D., 1991, op cit, 173 -89.

67 - Hutt, M.S.R., 1991, op. cit, 225 -6.

68 - Ibid. 226.

69 - Olweny, C.L.M., 1984, op. cit, 975.

70 - Fergusson, D.R., Associated Bilhoriasis and primary maliqnant disease of Urinary bladder, J., of Pathology & Pocteriology, 1911, 16, 76 - 9.

71 - Hutt, M.S.R. 1991, op. cit, 229 -30.

72 - Olweny, C.L.M., Cancer in Africa, in Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 973 - 80.

73 - Hutt, M.S.R., 1991, op. cit, 230.

74 - Ibid. 232 - 3.

75 - Seedat, Y.K., & Hackland, D.B.T., The preuolence of Hypertension in 4993 rural Zulu, Transactions of the Royal society of Tropical medicine and Hygiene, 1984, 78, 785 -9.

76 - Seuer, P.S., et al, Blood Pressure and its correlates in urban and tribal Africa, Lancet, 1980, 2, 60 - 4 0

77 - Poulter, N.R., Longitudinal Study of B.P. among rural urban immigrants in Kenya, in Cruckshank, D.K & Beauer, D.G., eds., Ethnic factors in health and disease, Bristol, IOP publishing, 1988.

78 - Remi Adesanyo, C., et al., The heart and circulation diseases in sub-Saharan Africa, in Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 645 - 704.

79 - Hutt, M.S.R., 1991, op, cit, 236-7.

80 - Bayuteklu, D.A, et al., The lung diseases in Africa, in parry, E.H.O., ed., 1984, op cit, 76 - 816.

81 - Webster, I., Asbestosis and maliqnancy, S.A.F.R., Med., J., 1973., 47, 65-7.

82 - Warrell, D.A., Silicosis among grindstone cutters in the North of Nigeria, 1975. Thorax, 30, 381-98.

83 - Mustafa, K.Y, et al., Byssionosis, Respiratory symptoms and spirometric lung Function Tests in Tanzanian Sisal workers, Br. J., Industr. Med. 1978, 74, 36 - 41.

84 - Bradly, A.K., Effects of Onchocerciasis on settlement in the Middle Hawal valley, Nigeria, Trans. R. Soc. Trop, Med. Hyg. 1976. 70, 225-9.

85 - Samba, E.M., W.H.O., The Onchocerciasis control programme in west Africa, Geneva, 1994.

86 - Stock, R., 1995, op. cit, 262.

87 - Gesler, W., The Spatial analysis in Medical Geography: A review, soc. Sci: med. 1983, vol. 23, No. 10, 963-73.

88 - Stock,R., 1995, op. cit,. 262-3.

89 - lyun, B.F., Health care in the Third world, Africa, in Phillip, D., & Verballelt, Y., eds.Health and Development.

90 - Stock, R., 1995, op. cit, 26.

91 - luyn, B.F., An assessment of rural health care programme, Oyo state, Nigeria, the Geographical Journal, vol, 162, No. 1 March, 1996,63-72.

٩٢ ـ البنك الدولي ـ تقرير عن التنمية في العالم ـ ١٩٩٦ ـ مرجع سابق. ص ٢٣٨.

٩٣ ـ المرجع أعلاه ـ ص ٢٧٠.

94 - Fellmann, J., et at., Human Geograply, W.M.C., Brown publishers, 1991, Debuge., 354-5.

95 - Whaley, R.F., & Hashim, T.J., 1995, op. cit. 13.

96 - Airey, T., The impact of rood construction on hospital in patient catchment in the Meru,district of Kenya, Soc. Sci. Med., 1989. vol. 29. No. 1, 95-106.

97 - Stock, R., 1995, op. it, 263.

98 - Vercruysee, J., et al., 1994, op. cit, 220-6.

99 - El- Ghonemy, M.r., Food security and rural development in North Africa, Middle Eastern Studies, vol, 29, No.3. july, 1993- 445-66.

100 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 60-2.

101 - Ibid. 64-6.

102 - Abrahams, P.W., &Parsons, J., A., 1996, op. cit, 63-72.

103 - Parry, E.H.o., 1984, op. cit, 84.

104 - El- Bushra, E., et al, 1994. op. cit, 309-12.

105 - Hanegraaf, T.A.C., &Mc Gill, P.E., Prevalence and geographical distribution of endemic goitre in Eastern Africa, E.Afr . Med, J., 1970, 46, 1-5.

106 - Parry, E.H.O., 1984, op. cit, 91 - 3.

107 - Mc Gregory, I.A., et al., The epidemiology of Influenza in Tropical (Gambian) environment, Med. Bull. 1979, vol. 35, N.1, 15-22.

108 - Mc Glashan, N., 1975, p. cit, 214 - 15.

109 - Gote, K.& Rayer, A., Land surface climatology and land cover change monitoring since 1973 over North Sahelian Zone (Ansongo -Mali) using landsat Data, Geocarto international,2. 1992, 15-28.

110 - Kimura, E., The effects of endemic Schistosoma heamatobium on mental test scores of kenian school children, Trop, Med. parasitology, 1992, 43, 155-9.

111- Gryseels, B., et al, Epidemiology, immunology, and chemotherapy of Schistosomia mansoni infections in a recently oxposed community in Senegal, Trop, & Geographical Medicine, 1994, 40, No. 4, 209-19.

112 - Bell, R.M.S., et al., Effects of endemic Schistosomium and

hyconthone on the mental ability of African School children, Trans, Ray. Soc. Trop. Med. Hyg. 1973, 67, 494 - 501.

113 - Airey, T., 1989, op. cit, 95-106.

114 - Ibid, 1045.

115 - Seow, A., &Hin - Peng, L., From colony co city State, changes in health needs in singopore from 1950 to 1990, J., Puplic. Health Medicine, 1990, Vol. 16, No. 2, 49 - 54.

116 - Lindtjorn, B,. Famine in South Eastern Ethiopia., 1985-86, Malnutrition, Diarrhaea and Death, Tropical and Geographical Medicine, 1990, vol. 42.365-69.

117 - Addae, S., et al., Sickle cell disease in permanent residents of Mauntaina and low altitude in Saudi Arabia, Trop. & Geographical Med., 1990, vol. 42. 342-51.

118 - French, C.M.,, &Nelson, G.S., 1982, op. cit, 439-57.

119 - Holmberg, S. & Nordberg, E., Surgical rates in Africa, Trop. & Geographical Med., 1990 vol. 42. 352.

120 - The United Nations., AIDS and th demography of Africa, New York, 1994.

121 - Van Der werf, T.S., Tuberculosis in Africa. any news, Tropical and Geographical Medicine, 1994, vol. 45. No. 5, 271-4.

122 - Openshaw, S. Geographical Information systems and Tropical Diseases, Trans. Ray. Soc. Trop. Med. & Hyg. 1996, 90, 337 - 9.

123 - Ibid., 338-9.

124 - Gatrell, A.C., & Bailey, T.C., Interactive spatial date analysis in Medical Geography, Soc. Sci. Med., vol. 42, No. 6 843-55.

125 - Good, C., Ethnomedical systems in Africa, The Guilford Press, New york, 1987, 317.

الجغرافيا السياسية

إعداد

أ.د. محمد عبدالغنى سعودى

القاهـــــرة

١٩٩٧

الجغرافية السياسية

تعنى الجغرافية السياسية بدراسة الوحدات أو الأقاليم السياسية كظاهرات على سطح الأرض وما تشتمل عليه هذه الوحدات من شعوب وجماعات، وبدراسة الظاهرات السياسية وارتباطها بظاهرات سطح الأرض الأخرى والمسطحات المائية وأنماط الاستقرار يمكن للباحث الجغرافى أن يحلل ويعلل الطرق المختلفة التى نظم بها الإنسان هذه الأرض إلى أنماط سياسية كزائير، والصين، أى بدراسة الدولة على أنها الأساس الأول للوحدات السياسية، ولكن قد يدرس إقليما داخل الدولة بيافرا، شابا، وكذلك التنظيمات السياسية التى تعلو الدولة كمنظمة الناتو، أو الإيكواس، وهى منظمات تهدف بالإنضمام اليها والوصول بأعضائها إلى أهداف معينة.

وقد تقوم دراسات أصولية لبعض الظاهرات السياسية كالحدود السياسية أو العواصم أو مشكلة السكان أو مشكلة اللاجئين، أو مشكلة الفقر والفجوة بين الاغنياء والفقراء كمشكلة سياسية، كما لا نهمل بعض الظاهرات الطبيعية التى قد تنتظم فى وحدة سياسية واحدة ولكنها تخلق مشكلات دولية كأحواض الانهار أو المراكز التى تظهر فيها حركات انفصالية، وان كان من بين هذه المجالات جميعا تبرز الوحدة السياسية كالطفل المدلل للجغرافيه السياسية على أساس تحليل العلاقات بين السكان والبيئة الطبيعية فى اطار الدولة سواء كانت هذه العلاقات داخلية أو خارجية.

وتدرس الجغرافية السياسية فى الدولة:

١ ـ الحدود السياسية للدولة لأنها الاطار الخارجي الذى يتمدد وينكمش تبعا لقوة الدولة أو ضعفها.

٢ ـ مـدى التـوافق بين الدولة والأمـة وهل هناك تطابق أم أن هناك شظايا داخلية نتوءات خارجية من القوميات. Enclauves Exclaves كما هو الحال فى معظم الدول الافريقية.

٣ ـ درجة التماسك الاجتماعي بين السكان أو درجة الوحدة الوطنية ومدى توفر العوامل التى تؤدى الى هذا التماسك، سلاليه، دين، لغة، تاريخ ... ومدى نجاح الدولة فى المحافظة على تماسكها (انظر ما يحدث فى السودان، رواندا، بوروندى) الايبو، والهوسا والبوريا فى نيجيريا.

٤ ـ موارد الدولة التى تتحكم فيها لتحقيق أهدافها كرفاهية الشعب وحمايته طبيعية أم بشرية أم اقتصادية وتوزيعها.

موضوعات في جغرافيا افريقيا السياسية

خريطة أفريقية السياسية

تشهد أفريقيه إعلاما كما حدث لها فى الأربعين عاما الماضية، وبصفة خاصة منذ الستينيات حيث تواترات حركات الاستقلال، والتى بدأت بطيئة فى الخمسينيات، واشتد فى الستينيات، وحصول الدول الأفريقية على عضوية الأمم المتحدة، كما تصدرت أخبار حركات التحرير وسائل الاعلام، وازداد الانتباه فى منتصف الثمانينيات حين عصف الجفاف معظم الاقطار الافريقية وكانت الضربة قاضية بالنسبة ل ٢٤ دولة افريقية، وما يتبع ذلك من انتشار المجاعة والامراض وغيرها من المآسى ثم اشتدت الأحداث جنوبى القارة بسبب سياسة الفصل العنصرى التى كانت قائمة، وما يتبع ذلك من مظاهرات وعنف فى سبيل حصول الافريقى على حقوقه الاساسية.

ولكنك إذا سألت أوربيا أو أمريكيا عاديا قبل الحرب العالمية الثانية عن أفريقية، فلن تجد من يرد عليك سوى القدر اليسير.

على السواحل:

وفى الحق لقد ظلت أفريقية بالنسبة للاوربيين حتى أوائل القرن التاسع عشر (١٨٠٠م) صندوقا مغلقا لا يعرفون إلاسطحه الخارجى ويجهلون ما بداخلة. فرغم تفوق الدول الاوربية من الناحية التكنولوجية (بالنسبة لذلك العصر) وكذلك تقدم الكشوف الجغرافية، فإن جزءا صغيرا هو الذى كان تحت السيطرة الاوربية عام ١٨٧٩، فيما عدا بعض بوادر التدخل الأجنبى فى مصر وتونس، وفى غرب إفريقية كان للأوربيين معاملات تجارية مع شعوب الساحل منذ أربعة قرون فى الأخشاب والعبيد وزيت النخيل وغيرها، ومع ذلك لم يتوغل النفوذ الأوربى سوى بضع عشرات من الأميال فى الداخل إلا فى السنغال، أما المستعمرات البريطانية فى غمبيا وسيراليون ولاجوس فلم تكن إلا بقعا صغيره فى عالم مازال يحكمه الافريقيون.

وفي الاقليم الذى عرف فيما بعد بغينيا البرتغاليه كان هناك نفوذ برتغالى، ولم يكن هناك حكم برتغالى إلا بالكاد، فيما عدا خمس أو ست مدن ساحلية، فإن أنجولا وموزمبيق البرتغاليتين لم تكونا مستغمرات بالمعنى المعروف، بل مناطق نفوذ تجارية غير محددة ممتدة الى الداخل.

وحتى فى الساحل الشرقى وموزمبيق، لم تكن قد مستة دولة أوربية، وكان النفوذ الدبلوماسى البريطانى قويا فى زنجبار، وكان للفرنسيون، موطئ قدم فى جزيرة مدغشقر، أما فى الداخل فلم يرتفع أى علم أوربى إلا فى أقصى الشمال الشرقى، وكان هذا نتيجة حفر قناة السويس، لذلك كان الجغرافيون

الأوربيون يرسمون خرائط أفريقية ويوقعون عليها ما يعرفون ويملأون الفراغات بينها من وحى خيالهم وقد أوحى هذا إلى الشاعر الانجليزى سويفت (Swift) بهذه الأبيات فى أوائل القرن الثامن عشر.

So Geographers in Afric map

With Souage Pictures fill the gaps

And o,r unhabitable downs

placed elephants For Wqnt of rawns

لماذا ظل الأوربيون فى الجهات الساحلية ردحا من الزمن دون اقتحام قلب القارة؟

ويرجع ذلك لعوامل طبيعية كانتشار الصحارى القفر فى مسحات واسعة، كما هو الحال فى الصحراء الكبرى (نحو ٤,٥ مليون ميلا مربعا أى ما يوازى مساحة أوربا) وحيث تغزر المياه كما فى سواحل غرب أفريقية كانت هناك الغابات الكثيفة، وأمراض المناطق الحارة.

وفى معظم الأحوال تنتهى القارة إلى البحر بسهول ساحلية ضيقة خلفها مباشرة المرتفعات، بسبب الطبيعة البنيوية للقارة ونقصد بها الانكسارية، ومن ثم تنتهى معظم الأنهار إلى البحر بجنادل وشلالات مما يجعلها غير صالحة للملاحة، من ثم ظل التعامل الأوربى مع القارة عن طريق نقاط ساحليه، هى موانى ومراكز للإدارة والتجارة، تجمع السلع من الداخل، لتصديرها إلى أوربا، وتجلب السلع من الخارج لتسويقها فى أفريقية.

وان كان ليس معنى هذا أنها كانت مجهولة بالنسبة للعرب، فالصحراء لم

تكن عقبة أمام انتشارهم لغة ودينا إلى جنوبها، ووصلوا قبل الأوربيين من الساحل الشرقى إلى أطراف الكنغو، وكان أحمد بن ماجد هو دليل فاسكو داجاما الى الهند.

معالم سياسية شكلت خريطة افريقية السياسية

ويمكن القول أن مع بداية أقوال القرن التاسع عشر، بدأت ملامح الخريطة السياسية لافريقية فى الظهور وكانت هناك ثلاثة معالم رئيسية مرت بها وهى:

- مؤتمر برلين ١٨٨٤/١٨٨٥

- الحرب العالمية الأولى

- الحرب العالميه الثانية

مؤتمر برلين والتكالب على افريقية.

من الطريف أن تقسيم القارة وان أشتركت فيه كل الدول الأوربية إلا أن الذى أوجد اللوثة الدولية التى أصابت كل القوى، فاندفعت متكالبة تنهش جسم القارة وتدخل فى مساحات ضارية بعضها مع البعض الآخر كان ممثلا فى ليوبولد الثانى ملك البلجيك وألمانيا، كان ليوبولد يتصرف لحسابة الخاص كملك، ونجح فى أن يقنع منظمة الدول الأوربية بأنه من الأفضل أن يصبح حوض الكنغو منطقة تجارية حره تحت نظامه «الدولى» من أن يقع فى يد الدول المتنافسة، وأما ألمانيا فقد استطاعت بسرعة الانقضاض خلال ثمانية عشر شهرا (من نهاية ١٨٨٣ حتى بداية ١٨٨٥) على القارة، وأن تقطع لنفسها أربعة أجزاء متباعدة وهى جنوب غرب القارة (ناميبيا) وتوجو والكمرون وتنجانيقا، وهذا

النشاط الألماني هو الذى أطلق التكالب على أشدة واذا أضفنا الى هذه الدول الثلاث ذات النشاط الساحلى الافريقى، بريطانيا وفرنسا، البرتغال، فضلا عن أسبانيا وإيطاليا اللتان دخلتا متأخرتين، عرفنا القوى الاوربية التى تقاسمت الكعكة، وأن اختلف نصيب كل بحسب قوته فى ذلك الحين.

وقد شهد مؤتمر برلين الذى انعقد لمدة ستة شهور (١٨٨٤ ـ ١٨٨٥) عمليات الضم السريع فى تاريخ القارة.

وكانت أهم ظاهرة فى السنوات العشر الأولى من التكالب على أفريقية هو المدى الكبير الذى تم به كل ماهو هام في أوربا، فكانت السياسة والدبلوماسون يتقابلون فى المكاتب وفى المنازل الريفية، ويرسمون خطوطا فوق خرائط لا يعرفون مدى دقتها عادة، وقد وصل الجهل بالتفاصيل الجغرافية حدا جعلهم يركنون الى خطوط الطول ودوائر العرض فى رسم الحدود، وعندما دخل التكالب عقدة الثاني، كان الوضع بالنسبة للحدود الداخلية يتوقف على مقدرة أحد الجانبين على جعل أحتلاله أكثر واقعية، على سبيل المثال حين شق الكومندان مارشان الفرنسى طريقا وعرا على رأس جماعة من الجنود الوطنيين من الجابون إلى فاشودة على النيل الأبيض (٦٠٠ كيلو مترا جنوب الخرطوم) أسرع كتشنر لملاقاته بقوات ضخمة مما اضطر الاول الى الانسحاب.

ذلك أن مؤتمر برلين اشترط للاعتراف باستعمار دولة معينة الوجود الفعل لها أى الاحتلال الفعلى، والذى كان وجودا ساحليا أول الأمر وما قابله من الظهير، فضلا عن إعلام القوى الأوربية الأخرى بهذا الاحتلال، ومن ثم كان لابد من السباق.

هكذا عكست المنافسة الأوربية على أرض القارة والاستراتيجية الاستعمارية

لكل دولة كمحاولة الفرنسيين ربط شمال وغرب أفريقية بوسطها وشرقها (حادث فاشودة) والاستراتيجية الانجليزية واتخاذ محور شمالي وجنوبي (القاهرة ـ الكاب) للحيلوله دون ربط البرتغاليين موزمبيق بأنجولا، والالمان في محاولاتهم ربط تنجانيقا بجنوب غرب أفريقية (ناميبيا)

وصلت أفريقيه على اعتاب القرن العشرين بخريطة سياسية معالمها الاستراتيجية كما يلي:ـ

ـ الدول المستقلة ممثلة فى أثيوبيا وليبيريا وتكون اتحاد جنوب افريقية عام ١٩١٠.

ـ أقتسام أفريقية بين الدول الاستعمارية ممثلة فى أكبر مساحة لفرنسا، اذ مدت نفوذها فى الجزائر ومراكش وتونس فى الشمال الافريقى، وافريقية الغربية الفرنسية وافريقية الاستوائية الفرنسية فضلا عن ساحل العاج وداهومى والصومال الفرنسى وغينيا ومدغشقر والاستعمار البريطانى ممثلا فى مصر والسودان وأفريقية الشرقية وروديسيا الجنوبية وبتسوانا لاند ونيجيريا وساحل الذهب وسيراليون وغمبيا والصومال البريطانى، وتمثلت المستعمرات الالمانية فى توجو وجنوب غرب أفريقية وافريقية الشرقية الألمانية والكاميرون، أما الاستعمار الايطالى فكان له الصومال الايطالى وإريتريا وليبيا، ويمثل الاستعمار البرتغالى فى أنجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية، وكان نصيب الاستعمار الأسبانى أقل المساحات ممثلة فى ريودورو، وسبتة ومليلة وغينيا الأسبانية وفرناندوبو، وكان لبلجيكا بطبيعة الحال الكنغو الحرة

الحرب العالمية الاولي:-

بانتهاء الحرب العالمية الاولى وخرج المانيا منهزمة، وزعت مستعمراتها على الدول المنتصرة تحت اسم الانتداب (mandate) وهو لفظ مهذب عن لفظ الاستعمار ومن الناحية الرسمية المفروض فى الدول المنتدبة أن تأخذ بيد أبناء القطر المنتدبة عليه، ولكن فى الحقيقة كان إضافة مستعمرات جديدة مكافأة للدول المنتصرة وبطبيعة الحال خرجت المانيا الخاسرة صفر اليدين وانتقل جنوب غرب افريقيه إلى انجلترا والتى فوضت بدورها اتحاد جنوب افريقيه للإشراف عليها، وانتقلت تنجانيقا إلى انجلترا، أما توجو لاند والكاميرون فقد اقتسمتها انجلترا وفرنسا، وانتدبت بلجيكا للإشراف على رواندا وبورندى المجاورتين للكنغو، ولا ننسى أن مصر حصلت على استقلالها الرسمى بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، بعد ان فرضت عليها الحماية البريطانية اثناء الحرب.

نهاية الحرب العالمية الثانية:-

انتهت الحرب العالمية الثانية وكان عدد الدول الافريقية المستقلة أربع دول فقط وهى مصر وليبيريا واتحاد جنوب افريقيا واثيوبيا (احتلتها ايطاليا فى الفترة من ١٩٣٦ الى ١٩٤١) ثم استعادت استقلالها وان كان هناك ملاحظات على هذه الدول، فليبيريا كانت أشبه بالمستعمرة الأمريكية، واتحاد جنوب افريقيه كان بريطانيا من الناحية الفعلية، وأما مصر فلم تنل استقلالها الفعلى الا بعد اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ وظهرت هيئة الامم المتحد كبديل لعصبة الأمم واستبدال نظام الوصاية (husteship) بنظام الانتداب) (mandate)وظلت الدول المنتدبة على الأقطار فى عهد عصبة الأمم هى الوصية بعد الحرب العالمية الثانية، وان كانت الوصاية تحت اشراف الأمم المتحدة.

الانحسار:

اذا كان النصف الاول من القرن العشرين اتصف باكتساح أوربا الأفريقية، بحيث اذا نظرت للخريطة السياسية الملونة لأفريقيه، تجد نفسك امام لوحة موزايكو من صنع اوربا made in Europe فإن النصف الثانى شهد انحسار هذا الاستعمار، وكان للحرب العالمية الأولى وكذلك شقيقتها الحرب العالمية الثانية فضل كبير فى انكشاف الغمة، فقد انتهت أسطورة الرجل الأبيض، كما تطلع الافارقة إلى وفاء القوى الاستعمارية بوعودها التى بذلتها للأفارقة ابان الحرب، مما دعا توينبى إلى القول بان الحرب العالمية الاولى كانت أول مسمار دق فى نعش الاستعمار.

واذا تتبعنا انحسار الاستعمار عن تشكيل الدول الافريقية المستقلة يمكن أن نقسم النصف الثانى من هذا القرن الى المراحل التالية: ـ

فى العقد الخامس من القرن العشرين.

ذكرنا أنه بعد الحرب العالمية الثانية، لم يكن هناك سوى أربع دول مستقلة من الناحية الرسمية وهى مصر واثيوبيا وليبيريا واتحاد جنوب افريقيه، بل ولم تكن معظم هذه الدول مستقلة تماما فمصر لم تحصل على استقلالها إلا بعد ثورة ١٩٥٢ بجلاء الجيوش الانجليزية وليبيريا ولو أنها رسميا مستقلة فانها كانت اشبه بمستعمرة أمريكية، وانشأتها الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٤٧ كمحاولة لحل مشكلة الزنوج الامريكية والتى قامت على أساسها الحرب الأهلية الامريكية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥م) فظلت خاضعة للنفوذ الامريكى وشركة فير ستون بصفة خاصة، وأما اتحاد جنوب افريقيه وان كان قد اعتبر دولة مستقلة منذ عام ١٩١٠ فقد ظل خاضعا للنفوذ البريطانى (كما سبق أن ذكرنا) واثيوبيا ذاتها خضعت فترة قصيرة للاحتلال الايطالى بين عامى ١٩٣٦ ـ ١٩٤١.

افريقية بين عامى ١٩٥١ ـ ١٩٦٠.

يعتبر هذا العقد هو عقد التحرير اذ نالت ثلاث وعشرون دولة استقلالها فاصبح عدد الدول الافريقيه سبع وعشرون دوله (ليبيا ديسمبر ١٩٥١ ـ السودان أول يناير ١٩٥٦ ـ المغرب ٢٠ مارس ١٩٦٥ ـ غانا ٦ مارس ١٩٧٥ ـ غينيا ٢٠ اكتوبر ١٩٥٨ ـ الكمرون أول يناير ١٩٦٠ ـ توجو ٢٧ ابريل ١٩٦٠ ـ مالى ٢٠ يونيه ١٩٦٠ ـ السنغال ٢٠ يونيه ١٩٦٠ ـ مالاجاش ٢٦ يونيه ١٩٦٠ ـ زائير ٣٠ يونيه ١٩٦٠ ـ ٢٠ يونيه ١٩٦٠ ـ السنغال ٢٠ يونيه ١٩٦٠ ـ مالاجاش ٢٦ يونيه ١٩٦٠ ـ زائير ٣٠ يونيه ١٩٦٠ ـ الصومال ١ يوليه ١٩٦٠ ـ داهومى (بنين) أول أغسطس ١٩٦٠ ـ النيجر ٢ اغسطس ١٩٦٠. الفولتا العليا (بوركينا فاسو) ١٥ أغسطس ١٩٦٠ ـ ساحل العاج ٧ أغسطس ١٩٦٠ ـ تشاد ١١ أغسطس ١٩٦١ ـ افريقيه الوسطى ١٣ أغسطس ١٩٦٠ ـ الكنغو الشعبيه ١٥ أغسطس ١٩٦٠ ـ جابون ١٧ أغسطس ١٩٦٠ ـ نيجيريا أول أغسطس ١٩٦٠ ـ موريتانيا ٢٨ نوفمبر ١٩٦٠ ويمكن أن نوجز هذا التفسير فيما يلى: ـ

أولا: تصفية المستعمرات الايطالية لهزيمتها فى الحرب العالمية الثانيه، فكان استقلال ليبيا (١٩٥١) وأزعن استقلال اريتريا ولكن اثيوبيا ضمتها فى اتحاد فيدر الى عام ١٩٥٢، وأما الصومال الايطالى الجنوبى فظل لمدة عشر سنوات تحت الوصاية الايطالية لينال استقلاله واتحد مع الصومال البريطانى الذى منحته بريطانيا الاستقلال.

ثانيا: رضخت فرنسا لحركات التحرير فاعلن استقلال مراكش وتونس عام ١٩٥٦ ومنحت أسبانيا استقلال مراكش الأسبانيه وانضمت إلى الفرنسيه غير أن اسبانيا احتفظت لنفسها بسبته ومليله لأنها اجزاء من الوطن الأسبانى، وكذلك افنى كما يقولون.

ثالثا: انتهى الحكم الثنائى المصرى الانجليزى للسودان (أول يناير ١٩٥٦).

رابعا: اقامت بريطانيا اتحادا فيدراليا ويضم روديسيا الشماليه وروديسيا الجنوبيه ونياسالاند فى ٣ سبتمبر ١٩٥٣ باسم اتحاد وسط افريقيه ومنحته استقلال ذاتيا وان ظل خاضعا لبريطانيا، كما اعلن استقلال غانا عام ١٩٥٧، وهى تضم إلى جانب غانا الجزء من توجو الذى كان خاضعا للوصاية البريطانية ونالت نيجيريا استقلالها ١٩٦٠ من اتحاد فيدر الى بين ولاياتها الثلاث، وأما الكمرون الذى كان خاضعا للوصاية البريطانيه كان ملحقا نيجيريا قبل استقلالها، فلما استقلت نيجيريا اتفق على اجراء استفتاء فى الكمرون البريطانى فى ١٢ فبراير ١٩٦١، وكانت نتيجة الاستفتاء انضمام الجزء الشمالى إلى نيجيريا، والجزء الجنوب إلى الكمرون التى نالت استقلالها فى يناير ١٩٦٠ وكانت خاضعة للاستعمار الفرنسى.

خامسا: شعرت فرنسا أن نهايتها فى افريقيه قريبه فتضمن دستور الجمهوريه الخامس الذى صدر عام ١٩٥٨ انشاء منظمة سياسية تضم فرنسا ومستعمراتها تحت اسم الجماعة الفرنسية (communite' Francaise) على غرار الكمنولث البريطانى، ومنح الدستور للاقاليم الفرنسية فى افريقيه حرية الاختبار بين قبول الدستور أورفضه، وقبول الدستور معناه أن يصبح الإقليم عضوا فى الجماعة الفرنسية، ويتمتع أعضاؤه بالاستقلال الداخلى، ولهم الحق فى إقامة اتحادات فيدرالية اقليمية، وفى الانفصال مستقبلا عن الجماعة الفرنسية، أما الرفض فمعناه الاستقلال التام، واعتبرت فرنسا مقاطعات افريقية الغربية الفرنسيه (وعددها ثمانية) مقاطعات افريقيه الاستوائيه الفرنسيه (وعددها أربعه) وحدة سياسية، وأجرى استفتاء فى المستعمرات الفرنسية الافريقيه على الدستور فكانت غينيا هى الوحيده التى رفضت واستقلت فى أول اكتوبر ١٩٥٨، ونالت بقية المستعمرات الفرنسية استقلال ذاتيا.

سادسا: اشتد ضغط الشعوب والمستعمرات الفرنسية وتدهورت حالة فرنسا، وادخلت تعديلا على نظام الجماعة الفرنسية، بمنح اعضاءها الاستقلال التام، ازعن استقلال معظم المستعمرات الفرنسية (٧ من افريقيه الغربيه ـ ٣ افريقيه الاستوائيه + مالاجاش ـ توجولاند ـ كاميرون (١٤ دولة).

سابعا: استقل الكنغو عن بلجيكا

افريقية بين ١٩٦١ ـ ١٩٩٣: سيراليون ١٩٦١ تنجانيقا ١٩٦١ الجزائر وأوغندا ١٩٦٢ زنجبار، كينيا ١٩٦٣ ملاوى ـ زامبيا ١٩٦٤، غينيا ١٩٦٥ ـ بتسوانا ـ ليسوتو ١٩٦٦ ـ مورشيس ـ سوازيلاند ـ غينيا الاستوائيه ١٩٦٨ ـ غينيا بيساو ١٩٧٤، موزمبيق، الرأس الاخضر القمر، ساوتومى برنسب، انجولا ١٩٧٥، سيشل ١٩٧٦ ـ جيبوتى ١٩٧٧ ـ زيمبابوى ١٩٨٠، ناميبيا ١٩٩٠، ارتيريا ١٩٩٣.

وقبل ان ننتهى من تشكيل الخريطة السياسية لأفريقية نود الاشارة إلى ما حدث فى جنوب افريقيه منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، فمن المعروف أن احتلال جنوب افريقيه بواسطة البيض، كان منذ حوالى ثلاثة قرون، ولكن المهم أنه فى عام ١٩٤٨ صعد الحزب الوطنى إلى الحكم وقد تميزت مبادئ هذا الحكم بالفطنة الشدية، فهو يمثل الافريكانرز، ومنذ ذلك التاريخ وقد حاصر السود فى معازل سوداء (الهلال الاسود) لا يخرجون منها إلا بتصاريح للعمل فى مزارع أو مناجم أو مصانع البيض وليس المجال الآن لتفاصيل هذا الفصل العنصرى وأشكاله المختلفة، وحين هوجم اتحاد جنوب افريقيه عام ١٩٦١ فى اجتماع دول الكمنولث انسحب هذا النظام العنصرى من الاجتماع، واعلن جمهورية جنوب افريقيه بدلا من اتحاد جنوب افريقية الذى ظل بهذا الاسم منذ عام ١٩١٠، واستمر فى تعذيبه للسود، ضاربا عرض الحائط بقررات الأمم

التحدة، وبالمقاطعة شبه الدولية، واعتقل نلسون مانديلا ورفاقه عام ١٩٦١ وظل في سجنه حتى عام ١٩٨٩ حين أفرج عنه، والواقع ان مفاوضات سرى بدأت معه منذ ١٩٨٥، وتألفت حكومة وطنية برئاسة نلسن مانديلا الذى قضى فى سجنه الذى ظل به قرابة ٢٨ عاما، بعد انتخابات شارك فيها الابيض والاسود على قدم المساواة، وكان ذلك عام ١٩٩٤.

الحدود السياسية

التخوم والحدود:

تعتبر دراسة التخوم والحدود السياسية من الموضوعات الهامة التى تدرس فى الجغرافية السياسية، من ثم كان لابد من المفيد فى بداية هذا الموضوع تفسير مفهوم التعبيرين، وفى الحق نجد أنهما مترادفان فى الاستعمالات العادية لغير المفيين فالحدود الدولية يعبر عنها احيانا السياسيون والمؤرخون وغيرهم بتعبير International Frontiers واحيانا Int. Boundaries وليس من تفسير لهذا التعميم والخلط سوى عدم وضوح حدود كثير من الدول ـ باستثناء حالات قليلة ـ لنقص فى معرفتها الجغرافية ولعدم وجود خرائط تفصيلية لها، وذلك حتى فترة قريبة. ولكن مع تقدم علم المساحة واجهزته وتقدم فن الخرائط، وتطور الدول إلى ماهى عليه الآن فأصبحت غالبية الحدود ليست واضحة بجلاء فحسب، بل محدده على الطبيعة ايضا.

ونعود ونقول مرة أخرى أن العالم قبل ان يعبأ فى هذه الوحدات السياسية كانت مساحات واسعة من الأرض غير صالحة للتوطن البشرى، لظروف غير مواتية، كان تكون مغطاة بالمستنقعات أو الغابات أو غير ذلك مثل هذه المناطق كانت تترك كمناطق دفاعية تفرق بين مجموعات بشرية تعيش على جوانبها، وتنمو

فى أمان واطمئنان، ومع مرور الزمن تغلب الإنسان على هذه العقبات الطبيعية بطريق أو آخر، ودخلت هذه المناطق داخل الوحدات السياسية، حتى فى المناطق الصحراوية تمتد سيطرة الدولة حتى تتقابل مع سيطرة دولة أخرى. من ثم يمكن ان نفرق بين التخوم (Frontiers) والحدود (Boundaries) كما يلي:-

١ ـ التخوم عبارة عن مساحات من الأرض، بينما الحدود عبارة عن خطوط.

٢ ـ الأولى يمكن أن نقول إنها طبيعية لأنها أجزاء من سطح الارض، بينما الثانية اختيرت وحددت بواسطة الانسان.

٣ ـ يمكن أن يتضح هذا أكثر اذا عرفنا أن التخوم سواء كانت طبيعية، لغوية أو دينية لا يمكن تحريكها أو زحزحتها، قد تفقد بعض الخصائص التى اعطتها صفة التخوم ولكنها فى موضعها على عكس الحدود التى تتغير تتبدل ولا تظل على حال وخاصة فى مناطق الصدام..

٤ ـ يشتق لفظ (Frontiers)من (Front) أى المقدمة (Foreland) أى الأراضى المتقدمة وأحيانا تسمى (Borderland) وكلها على هامش الدولة وهى عادة الأراضى الفاصلة بين معمورين (Ecumene) زراعى ورعوى مثلا، ومع التطور يتطور كل معمور نحو التخوم وتصبح منطقة التقاء مجتمعين، وبالتالى لم تكن التخوم فى الذيل، بل فى مقدمة الدولة أما لفظ (Boundary) فيشير إلى ارتباط السكان داخله وقد عبر عن ذلك L.Krist of All that which is within the boundary is bound together, that is, it is fastened by internal bonds.

وقد قامت البحار والغابات الخطمية والمناطق الجبلية، ومناطق المستنقعات والصحارى كحواجز ضد التوسع البشرى أو الاختلاط، ولكن بدأت وظيفتها تتعدل تبعا للنشاط البشرى وتقدم وسائل المواصلات.

ضرورة الحدود السياسية فى العصر الحديث:

ان الدوله الحديثة لابد لها من حدود لا تخوم. فخط الحدود بين المدى الذى تمارس فيه الدولة سيادتها بل واللغة التى سيتكلمها الملايين والأفكار التى ستلقن للناشئه والكتب والصحف التى سوف يتمكن السكان من قراءتها، والعملة التى يستعملونها وأحيانا الطعام الذى يتناولونه والجيش الذى سيدخلونه للدفاع عن الأرض

أى أن الحدود تعتبر الفاصل بين سيادة الدولة وسيادة دولة أخري. فهى ذلك الخط المحدود الذى تقابل عنده سيادتان، فقد مضت تلك الفترة التى كانت تفصل فيها سيادة الدولة الأخرى مساحة كبيرة من الأرض أى تخوم. اذ كانت سيادتها الفعلية تتضاءل تدريجيا بالبعد عن مركز الدولة. وهكذا اختلفت وتغيرت طبيعية الحدود على طول العصور التاريخية بسبب اختلاف وظيفتها وهى فصل السيادات بعضها عن بعض

الحدود السياسية فى افريقية

من المعروف ان غالبية الحدود الافريقية هى حدود مفروضة أو موضوعه من الخارج وضعتها القوى الأوربية خلال العقدين اللذين تبعا مؤتمر برلين عام ١٨٨٤، أما قبل الاستعمار الاوربى للقارة فلم تكن هناك حدود وكان أبناء السياسى الوطنى كقيام ممالك معينة من السكان الأصليين، ان يفصلها عن

بعضها تخوم، كأن تكون أراضى غير مسكونه أو مناطق مستنقعات أو غابات وكان من نتائج وضع هذه الحدود الجديده أصبحت تمر أحيانا فى أرض القبلة الواحدة، ويرجع هذا إلى عاملين أولهما عدم اتفاق الطرفين الأوربيين لسبب من الأسباب، وثانيهما لتغلب مصلحة اقتصادية واستراتيجية استعمارية لانها عكست المنافسة خارج القارة بين المانيا وفرنسا وبريطانيا ... الخ فى ذلك الحين.

وكانت السلطات الاستعمارية تخف من حدة فصل أعضاء القبيله الواحدة بين مستعمرين وذلك بالتخفيف من قيود الانتقال على الجانبين، وقد يرجع هذا إلى أن كثيرا من السلطات الإدارية لم تعرف الحدود الفعلية لكل وحدة سياسية، ولذلك كانت عمليات الانتقال والهجرة من الأمور المألوفه. غير أن استقلال هذه المستعمرات السابقة دون تعديل للحدود، ومحاولة كل دولة جديدة، ممارسة حقها فى السيادة بوضع القيود على الانتقال عبر الحدود، أدى الى ظهور مشكلات خطيره على طول تلك الحدود. فعلى سبيل المثال نجد أن حكومة توجو كانت تضع مراقبة شديدة على طول خط الحدود بين غانا وتوجو فى وقت ما خشية تهريب السلاح للأحزاب المعادية للحكومة، بينما نجد الحدود بين نيجيريا والكميرون وقد انتشرت عليها محطات المراقبة لمنع الهاربين من الكميرون واتخاذ نيجيرا ملجأ لهم. كما شددت اثيوبيا الحراسة على حدودها مع الصومال والغت أتفاقية مع الصومال كانت قد عقدت، تسمح لرعاة الصومال بعبور الحدود الإقليميه بحثا عن الكلأ والماء لقطعاتهم.

لقد وضح أن الحدود السياسية فى أفريقية فى الوقت الحاضر فى حاجة إلى تعديل حتى تتفق وتنسجم الحدود مع الحقائق الجغرافية من ناحية، ومع الاتجاهات السياسية للدول الافريقية المستقلة من ناحية أخرى .

انواع الحدود الافريقية :

ان تقسيم (Faueet) للحدود السياسية كما اخذه عن لورد كرزون لا يتفق كثيرا مع خطوط التحديد السياسى فى أفريقية، لانها تختلف عن القارات الاخرى، فخطوط تقسيم المياه المستعمله كثيرا فى أفريقية تدخل فى تقسيم فوست تحت نوع الخطوط الاتفاقية إلا أنها قد تتضمن خطوطا تتفق وبعض مظاهر التضاريس كالأنهار، أو حضيض الجبال وغير ذلك من ثم كان التقسيم التالي للحدود أنسب لأفريقية: ـ

أولا: ـ الحدود الاصطناعية وتتمثل فى Artifical Boundaries

أ ـ الخطوط لفلكية: أى التى تتبع خطوط الطول ودوائر العرض.

ب ـ الخطوط الهندسية: خطوط مستقيمة أو أقواس دوائر

ثانيا: ـ الخطوط التى تتبع مظاهر طبيعية: Natural Boundaires

أ ـ حضيض سلسلة جبلية.

ب ـ حافة بحيرة

جـ ـ نهراً ومجرى مائى وعادة مايسير الخط فى المنتصف أو قد يكون على أحد الضفتين

د ـ منطقة تقسيم مياه ـ أعالى القمم الجبلية.

وتظهر الخريطة السياسية لأفريقية غلبة الخطوط الفلكية والهندسية وعادة ما تسير فى المناطق المخلخلة بالسكان (كما هو الحال فى الصحراء الكبرى) وإن كان هذا ليس بقاعدة. وقد ظهر أن نسبة كل نوع على وجه التقريب كما يلى.

الخطوط الفلكية ٤٤٪ الخطوط الهندسية ٣٠٪، الخطوط التى تتفق والمظاهر الطبيعية ٢٦٪.

واذا قارنا أفريقية بقارة أخرى، فإن النسب ستتغير بلا شك، ففى أستراليا مثلا لا توجد حدود دولية على الإطلاق وإنما هى حدود داخلية بين الولايات، وحتى إذا اعتبرناها دولية نجد غلبة الخطوط الفلكية، أما فى أوربا فلا تمثل الخطوط الفلكية فيها إلانسبة ضئيلة للغاية، ويرجع هذا إلى أنه مضى وقت طويل على القارة، كثر فيه النزاع على الحدود وتحركها من مكان إلى أخر، بينما تزيد نسبة الخطوط التى تتبع الحواجز الجبلية والأنهار. واذا حاولنا تعليل أسباب كثرة استخدام خطوط تقسيم المياه فى عمليات التحديد السياسى لوجدنا أن هذا يرجع إلى عمليات الكشف الجغرافى لافريقية، اذ انها كانت تتضمن القاء الأضواء على أنماط التصريف النهرى للقارة، ولم يكن يعرف من حوض النهر سوى منطقة المصب، ولذلك كان من الطبيعى ان تتفق القوى الاستعمارية على أن تكون الحدود بينها فى الداخل المجهول، هى مناطق تقسيم المياه بين الأحواض النهرية، لذلك اعترفت بريطانيا عام ١٨٩٤ بنفوذ الملك ليوبولد فى حوض الكنغو حتى مناطق تقسيم المياه، أو حتى الحافات الجبلية التى لا تحد الاحواض النهرية المجاورة، وخاصة حوض النيل فى الشمال، أما مدى مراعاة هذا لصالح السكان الوطنيين فيمكن ان نستشفيه من رسالة وصلت إلى السلطان زيمو أحد سلاطين الزاندى (فى جنوب غرب السودان عام ١٩٠٠) انك على بينه من الحدود التى اتفق عليها بين الانجليزيين والفرنسيين والبلجيكيين، ان النفوذ المصرى الانجليزى يبدأ حيث تنبع المجارى المائية التى تتدفق نحو الشمال أو نحو النيل.

أما النوع الشائع فى افريقية وهو الخطوط الفلكية، فهذا يتفق عليه عادة على

موائد المؤتمرات وعلى بعد مئات والاف الأميال من القارة، من ثم كانت تظهر صعوبات أمام الذين يقومون بالتحديد العلمى على الطبيعة، والأمثلة عديده على ذلك فعند تخطيط الحدود السياسية بين الكمرون الألمانى ونيجيريا البريطانية عام ١٩٠١، اختلف الفريقان نظرا لان كل فريق كان يقدر خطوط الطول بطريقة مختلفة عن الآخر. وحيث تسير خطوط الحدود الفلكية فى مناطق أو عبر طرق هجرات فصلية، تصبح غير مناسبة.

منها خط الحدود بين مصر والسودان الذى اتفق على أن يسير مع خط عرض ٢٢ شمالاً، مما أدى إلى ضرورة أن يتخذ خط آخر للحدود الادارية بحيث يجمع قبيلة البشاريين بأكملها فى السودان وقبيلة العبابدة فى مصر ومنها معظم الحدود الليبية المصرية، وجنوب الجزائر وموريتانيا وجزء كبير من حدود ناميبيا.

ولعل استعمال الأنهار حدود سياسية كان أقل أنواع التحديد السياسى تعقيدا من الناحية الفنية، إلا فى المناطق التى تغير فيها الأنهار مجاريها المائية، أو حين يكون المجرى المائى معروفا فى جزء منه، ومجهولا فى جزء آخر، فعندما وقع اتفاق الحدود لذلك نجد ان كارل بيترز الألمانى يدعى أن نهراً غير مجراه، وذلك بغية الحصول على أرض جديدة فى شرق افريقيه، أو المساومة على منطقة من جهةثانية. وفى مناقشة لتخطيط الحد السياسى بين السودان واثيوبيا نجدهم يقترحون استخدام نهر البيبور، ولكن اذا لم يصل البيبور إلى درجة عرض ٦ شمالا فإن مجراه حتى خط طول ٣٤ شرقا يصبح الحد السياسى. ويؤدى جهل السياسيين أحيانا ببعض المصطلحات إلى ضياع لمصالح بلدهم، فعلى سبيل المثال وافق مندوبا ليبيريا وساحل العاج على اتخاذ الضفة اليمنى لنهر كافا المتجه جنوبيا نحو المحيط حدا، وكان يظن أن الخط تبعا لذلك الاتفاق

يسير مع الضفة الشرقية وبذلك تشرف ليبيريا على الملاحة فى النهر، ولكن الحقيقه أظهرت ان هذا الخط بهذا التحديد يسير على الضفة الغربية، ويضع المجرى برمته تحت نفوذ ساحل العاج بينما تقع مزارع شركة فيرستون على الجانب الليبيرى مجاورة للنهر من ثم كان استخدامه للنقل من الأمور الضرورية للشركة. ومن الأنهار أيضا التى اتخذت فى أجزاء منها كحدود نهر الزمبيزى، وقوماو أو بانجي، وهناك البحيرات كفيكتوريا، البرت، تنجانيقا وقاومت الدول المستعمره بعد الاتفاق على الحدود نتيجة الجهل بالأجزاء الداخلية لمحاولة تصحيح الموقف بعمليات تبادل أجزاء من المستعمرات، ففى عام ١٩٠٤ تنازلت بريطانيا عن جزء من جزر لوس Los المقابلة لكوناكرى مقابل اقليم كامبيا Kambia فى غينيا لسيراليون

وفى حوض الكنغو (زائير) نظرا لمساحته الضخة (+ ٢,٣ مليون كم٢) ثالث دولة بعد السودان والجزائر، رغم هذه المساحة ظهر أنه لا يتمتع الا بجبهة بحرية صغيرة لا تزيد على ٣٥ كم لأن الضفة الجنوبية للمصب الخليجى للنهر كانت تابعة لأنجولا (من متادى حتى النهر) لذلك استبدلت بلجيكا مع البرتغال قطعتين من الأرض غير متساويتين فى المساحة عام ١٩٢٧، فتنازلت بلجيكا عن مساحة قدرها ٣٤٩٦,٥ كم٢ من أراضى الكنغو فى مقابل كساى مقابل ٣,١ كم٢ من أراضى أنجولا خلف ميناء متادى لتوسيع هذا الميناء وبالصدفة ظهر ان المنطقة التى تنازلت عنها بلجيكا فى المنطقة الرئيسية المنتج للماس (ثانى صادرات انجولا).

ومن أكبر مشكلات الحدود السياسية فى القارة هو تقطيعها لأوصال الشعب الواحد فبعد عام ١٨٨٤ قسم شعب الايدى بين الحكم الالمانى فى توجو والحكم الانجليزى فى ساحل الذهب (غانا) تم تقسيم هذا الشعب مرة أخرى

بين الادارة الفرنسية في النيجر، وكذلك اليوريا تحت الادارة الانجليزية في نيجيريا والادارة الفرنسية في داهومي (بنين) كما تظهر هذه واضحة في حالة شعب الصومال الذى وقع بين براثين الانجليز والفرنسيين والايطاليين والاثيوبيين، وكل له نظامة في الحكم والادارة وقوانينه، وثقافته ونظامة ولغتة الرسمية، مثل هذا التفتيت للشعب الواحد جعل حتى عملية اعادة وحدتة صعبة وليست بالأمر الهين، كما حدث في الكاميرون (الانجليزى سابقا والفرنسى سابقا) وكلاهما كان في الاصل المانى والصومال البريطانى سابقا مع الصومال الايطالى سابقا.

ومن الأمثلة العديدة أيضا الزاندى بين السودان وزائير وأفريقية الوسطى، والروبين ليبيريا وكوت ديفوار. والباكونجوبين زائير وأنجولا، والبالوندا بين زائير وأنجولا، والفولبى والولوف والتكارنة بين السنغال وموريتانيا وهكذا إذا أردنا تتبع هذه الظاهرة فلا تستثنى منها إلا بضع دول فقط.

ونظرا لخشية أندلاع منازعات الحدود كان قرار القمة الافريقية عام ١٩٦٤ بالاعتراف بالحدود الموروثه من العهد الاستعمارى، ومع ذلك فقد قامت منازعات حدود بين المغرب والجزائر وموريتانيا ومالى (سويت ١٩٦٣) غانا (في عهد نكروما) مع كل من داهومى (بنين) والنيجر والصومال مع أثيوبيا وكينيا وتنزانيا مع مالاوى وكانت تنزانيا تطالب بجزء من بحيرة مالاوى وهكذا وكان من نتائج هذه الحدود التى تمثل بصمة أوربية على أفريقية أن أصبحت القارة تضم أطول حدود سياسية بالنسبة لأى قارة من القارات، فتقدر أطول الحدود في أفريقية بنحو ٥٧٥٠٣ ميل هذا الرقم معادل أكثر من ضعفى نظيرة فى آسيا (٢٦١١٣ ميل) رغم آن أسيا أكبر حجما وفى نفس الوقت هو أقل من ضعفى خطوط الحدود في الأمريكتين (امريكا الشمالية ١٨٩٦١ ميل، أمريكا الجنوبية ٣٠٣٩٤

ميل) وفى نفس الوقت ـ ـ ن الحدود الافريقية اكثر من ثلاثة أضعاف نظيرتها فى أوربا (١٤٨٤٦ ميل) واذا وضعناها فى صورة أخرى بحساب نسبة طول الحدود الى المساحة نجدها فى أفريقية (١:٢٠٨) وفى اوربا (١:٢٥٤)، وهى امريكا الجنوبية (١:١٣٧٢)، وهى (١:٨١٩) فى امريكا الشمالية، وأخيرا هى (١:٦٣١) فى آسيا ومعنى هذا أنها اكثر القارات تقنينا، ولاشك أن هذه الأطوال المفرطة للحدود لها سلبياتها بالنسبة للأمن القومى، والدفاع عن أرض الدولة وزيادة الاحتكاك فضلا عما تتبع هذا من تعدد العملات والحواجز الجمركية وصعوبات الانتقال بل والثقافات مما ينعكس أثره على صعوبة الانتقال والتكامل الاقتصادى

نزاعات الحدود السياسية فى افريقية:.

تعتبر نزاعات الحدود السياسية من الموضوعات التى تهتم بها الجغرافيا السياسية وان كان الجغرافيون لا ينفردون وحدهم لبحث هذه المشكلات، فهى ميدان ثرى للعاملين فى حقول السياسة والتاريخ والقانون الدولى أيضا، غير ان الجغرافى يتميز عليهم جميعا بتفهمه للخصائص الاقليمية للمنطقة موضوع النزاع أرضا ومناخا وبشرا وموارداً، فضلا عن سهولة فهمه للخرائط والاصطلاحات الفنيه الخاصة بها بحيث يعطى الصورة الكاملة لارض النزاع فضلا عن أنه الوحيد الذى يبين محاسن ومثالب أى حد سياسى يوقع أو يمكن ان يوقع على الخرائط من ثم كان لابد من جغرافى ليدلى بدلوه فى مثل هذه النزاعات والاضاعت على الدولة امتيازات وقعت فى المحظور دون أن يدرى الوفد المفاوض، والامثلة على هذا عديدة.

أنماط منازعات الحدود السياسية:

يعتبر نزاع الحدود السياسية مظهرا او صورة من صور التوتر Tension الدولي لمشكلة من مشكلات الحدود، لأنه قد تكون هناك مشكلة ما Prob-lem دون ان تثير نزاعا Dispute ويتضمن نزاع الحدود بوجه عام أنماط رئيسية وهي: -

١ - النزاع الاقليمي: Tertorial Dispute

وينشأ نتيجة وجود خصائص معينة فى أطراف الدولة يجعلها ذات جاذبية للدولة لبادئة فى النزاع، كأن تسكنها قومية تابعة لها (اقليم الأوجادن) أو تظهر فيها أو متوقع ان تظهر فيها ثروج معدنية (تندوف، بكاسى، الرصيف القارى بين ليبيا وتونس، مثلث أوزو، بحيرة ملاوى، الصحراء الغربية وهنا يكون نزاعا على الموارد. Dispute over resources

٢ - النزاع الموضعي: Positional Dispute

أى يتعلق بوضع خط الحد السياسي وغالبا ما يكون النزاع حول التفسير الصحيح لمعاهدة سبق ان قبلها الطرفان كالنزاع على خط الحدود المصرى السوداني، نزع حدود غانا وتوجو والسنغال وموريتانيا، والنوعان السابقان يتطلبان تغيرا فى وضع خط الحدود.

٣ - النزاع الوظيفي: Functional Dispute

كالمشكلة التى قد تنشأ نتيجة حرمان بعض الرعاة من التحرك عبر الحدود بعد الاستقلال وقد كانت فى الفترة الاستعمارية تتحرك دون قيود وفى هذا

النوع لا يمكن تحريك خط الحدود ويمكن أن يتفق على حق استفادة الرعاة بالمراعى على الجانبين، وقد مثل هذا الاتفاق بين تونس والجزائر وأحيانا يتفق على حد ادارى الى جانب السياسى، كما كان الحال فى مثلث حلايب، أو مثلث الليمى فى جنوب شرق السودان ليتحرك فيه رعاة كينيا.

وتتداخل الأنماط بعضها مع بعض كما فى حالة اقليم الاوجادين حيث تسكنه قومية صومالية كما يلجأ اليه الرعاه الصوماليين رغم أنه فى اثيوبيا.

ويساعد على اذكاء المنازعات عدم وضوح الاتفاقيات، أو صعوبة تحديدها على الطبيعة، بحيث يصعب التعرف على التخطيط الفعلى لهذه الحدود على الطبيعة، أو اختلاف تفسير كل طرف لبعض النصوص، أو وجود أكثر من اتفاق، احدهما كان فى عهد الاستعمار بين الدول الاستعمارية.

ما وراء مشكلات ومنازعات الحدود السياسية:

لابد للوصول إلى حل لمشكلات الحدود من معرفة عدة أمور أساسية:

أولا: الأسباب الفعلية للمشكلة.

ثانيا: فهم الظرف المناسب الذى أدى بالدولة الى إثارة ادعاءاتها.

ثالثا: أغراض هذه الدولة من الادعاءات، ويمتد التحليل الى تصعيد هذه الادعاءات على اسس جغرافية، ثم تقدير نتائج هذه الادعاءات سواء على المستوى الدولى أو على الدول المتاخمة.

رابعا: موقف القوى الخارجية إلى جانب هذا الطرف أو ذاك.

الحدود الجنوبية لمصر

لم تكن هناك حدود سياسية بين مصر والسودان بالمعنى المعروف على طول العصور التاريخية وانما كانت هناك تخوم تتقدم وتتقهقر بحسب الظروف السياسية فى مصر، ومهما قيل عن عصر محمد على، فقد كان عاملا فى تكوين السودان السياسى بصورته الحالية، الحدود بين مصر والسودان لم يكن لها فى أى يوم من الأيام أية دلالة سياسية لأن مصر والسودان كانا دائما أبدا ينظر لهما كبلد واحد وقطر واحد وكانت أهمية هذه الحدود مقصورة على الأمور الادارية وحدها ولم تعمد الحكومة المصرية فى يوم من الأيام إلى مراقبة حركة المرور عبر هذه الحدود من الشمال إلى الجنوب أو من الجنوب الى الشمال، وإنما كانت الحدود مفتوحة دائما لكل عابر، مثلها فى ذلك مثل الحدود الادارية الأخرى بين مديريات مصر أو بين مديريات السودان.

فالطريق الذى يمتد على طول النيل كان المرور فيه حرا، وكانت أغلب المتاجر بين مصر، والسودان تمر به، وكانت حركة المسافرين فيه دائمه لا تنقطع دون أيه مراقبة.

والطريق الذى يمتد فى أرض البشاريه فى صحراء مصر الشرقية، والذى تتبعه جموع الإبل الكثيرة التى كانت ومازالت تساق إلى الاسواق المصرية طريق مفتوح أيضا، ولم يكن يخضع لأية رقابة.

ودرب الأربعين المشهور الذى كان يجتاز صحراء مصر الغربية ويربط أرض كردفان ودارفور فى الجنوب بالواحة الخارجية، ثم بوادى النيل عند أسيوط فى الشمال كان هو أيضا طريقا مفتوحا للتجارة والمسافرين.

ولم تكن هناك أية نقط للمراقبة فى أى جزء من أجزاء هذه الطرق جميعا لكى تراقب حركة التجارة والسفر عبر الحدود التى تمتد بين مصر والسودان، وإنما كان السفر والاتجار حرا.

غير أن الحدود السياسية الدولية الحالية ترجع إلى اتفاقية ١٨٩٩، أى اتفاقية الحكم الثنائى والذى أعد فى القاهرة بإشراف اللورد كرومر، ووقعها وزير الخارجية المصرية فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ويهمنا فيها يختص بالحدود المادة الأولى من هذه الاتفاقية:

الحدود فى اتفاقية يناير ١٨٩٩

تضمنت المادة الاولى من الاتفاقية، التعريف بالأراضى التى يشملها لفظ السودان. وهى التى حسب هذه المادة تقع جنوب الدرجة الثانية والعشرين فى خطوط العرض، هذا الخط يمر على مسافة أميال قليلة من شمال وادى حلفا، بينما تقع سواكن جنوبيه بمسافة كبيرة. وقال كرومر ـ أنه تمشيا مع المبادئ التى جاءت فى مقدمة الوفاق، يجب ان يكون مصطلح السودان مقصور على الأراضى التى امتلكتها مصر فى السابق، ثم استولى عليها الدراويش، ثم صار استرجاعها فى وقت من الأوقات بمساعدة بريطانيا. ولكن الاخذ فى هذا الرأى لا يلبث ان ينشأ عنه مصاعب ادارية كبيرة، حيث يجب فى هذه الحالة استبعاد كل من وادى حلفا وسواكن من الأراضى التى يشملها مصطلح السودان، لأن لا وادى حلفا ولا سواكن سبق ان احتلتها ثورات المهدية اطلاقا وعلى ذلك فقد قسمت الأراضى التى يدل عليها مصطلح السودان فى الاتفاق إلى فئات يهمنا منها:

١ ـ الأراضى التى لم تخلها قط الجنود المصرية منذ عام ١٨٨٢ وقال

كرومـر ان الغـرض من النص على ذلك ادخـال كل من وادى حلفـا وسـواكن ضمن حدود السودان.

٢ ـ الأراضى التى كـانت تحت ادارة الحكومـة المصرية قبـيل ثورة السودان الأخـيرة وفـقـدت منهـا وقـتـيـا، ثم افـتـتـحنهـا الآن حكومـة جـلالة الملكة والحكومـة المصرية معا. ومعنى ذلك كمـا قال كرومر، أن هذه تشمل كل الأراضى التى تم استرجاعها مؤخرا. وأمـا لماذا وصـفت هذه الأراضى بأنـها التى افتتحتـها الآن الحكومة المصرية بالاتحـاد مع حكومة الملكة فقد قال كرومر أن الاقتصار على ذكـر (الأراضى التى كـانت تحت ادارة الحكومـة المصرية قبل الثورة الأخـيـرة) دون التـخصيص بأنها التى افتتحت بعد ذلك بالاشتراك مع انجلترا قد يفيد أن هذه الأراضى تشمـل كذلك قسـمـا من مـديرية خط الاستواء (هو الذى عرفنا أنه صـار جـزءاً من مـحـمـيـة أوغندة البـريطانيـه أو اسـتـأجـرتـه ولاية الكونغـو الحـرة لبلجـيكيـة) أو أنها قـد تشـمل أيضـا زيلع وبربرة (ومن المعـروف أنهـمـا صـارتا تؤلفـان جـزءاً الصـومـال البريطاني) وهـمـا اللتان قال عنهـمـا كرومـر الآن. أنه لم يكن مقصودا دون شك أن يشملهما الاتفاق الحالى.

لماذا الحد فلكيا؟

وككل حد فلكى لا يمكن تفسير اختياره الا بعامل الصدفة التاريخية، التى جـعلتـه الحـد الجنوبى للمناطـق التى لم تخلهـا مصـر فى اثناء الانسـحـاب الذى نظمـه الانجليز من السودان وجاء هـذا الخط متـعـامدا على الظاهرات الطبيـعيـة والبشرية فى المنطقة:

١ ـ يبـدأ هذا الخط من منطقة العوينات وبينها وبين النيل نطاق غير مـعـمـور تتناثر فيه موارد مائية محدودة، تعتبر محطات فى الطرق التى تعبر بين الشـمـال

والجنوب ومن أشهرها طريق الاربعين الذى يمر فى هذا النطاق بواحة سليمة (فى السودان) وابا شب وأبو حسين فى مصر، ويتابع اتجاهه شمالا بعد هذا وتدخل هذه فى نطاق اللامعمور السودانى والمصرى، حيث لا تتوافر عوامل الاستقرار البشرى والحياة وتنحصر أهميته فى حركة القوافل. وكان من قبل طريقا من طرق الهجرات البشرية، أثر تأثيرا له خطره على السودان غرب النيل.

٢ ـ فإذا ما أنتقلنا شرقا وصلنا إلى وادى النيل، حيث الاتصال الرئيسى بين الشمال والجنوب والوادى هنا يختلف ضيقا واتساعا. ومن اليسير التمييز بين المعمور النيلى الذى تتركز فيه الحياة وترتفع كثافة السكان، والنطاق الغربى إلى العوينات. فالحياة فى القطاع النيلى متصلة بين الشمال والجنوب من النواحى الطبيعية والبشرية. والفروق المحلية محدودة، تقتصر على بعض نواحى اللغة وهى فروق آخذة فى الاندثار مع انتشار التعليم والاقبال على اللغة العربية. وخط الحدود يخترق وطن الجماعات النوبية وهى بهذا موزعه بين مصر والسودان فى منطقة الحدود.

٣ ـ والى الشرق ترتفع جبال البحر الاحمر، والى شرقها تنحدر الجبال فى سرعة الى سهل ساحلى ضيق ينتهى بنا الى البحر. فى هذا الجزء الشرقى نطاق قليل الكثافة من البشاريين الذين ينتشرون فوق رقعة تشمل الأجزاء الجنوبية من صحراء مصر الشرقية والسودان الشرقى كله والاطراف الشمالية من اريتريا. والقبائل الرعوية لا تعرف الاستقرار الكامل فى مكان واحد، ولا تتقيد فى تجوالها بالحدود المصطنعة التى لا تستند إلى مقومات من عناصر البيئة، والخط الفلكى ـ ٢٢ درجة شمالا ـ يشطر هذه القبائل دون اعتبار لنظم حياتها. ومن أجل ذلك عجز هذا الحد الفلكى عن أن يؤدى وظيفته التى ارادتها

له اتفاقية ١٩ يناير ١٨٩٩ . وجاءت ظاهرة ازدواج الحدود بين مصر والسودان. واصبح للسودان فى عهد الحكم الثنائى، حدود سياسية وأخرى إدارية فى المناطق الأتية:-

١ - **منطقة حلفا:** أصدرت وزارة الداخلية المصرية ٢٦ مارس سنة ١٨٩٩ أى بعد ما يقرب من شهرين فقط من اتفاقية يناير. قرار اداريا بتعديل الحدو فى هذه المنطقة وفقا للسياسة التى رسمتها بريطانيا انها تدخل ضمن حدود مصر اصبحت الحدود تمر بقرية أدندان الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل وبقرية فرس الواقعة على الشاطئ الغربى للنيل، وبمقتضى هذا التعديل تخلت مصر اداريا عن مساحة واسعة من الأراضى الزراعية تبلغ ٤٠٠٠ فدان، وعن عدد من الاشجار يبلغ ٨٢,٠٠٠ شجرة، وعن عدد من السكان يبلغ ١٣,٠٠٠ نسمة. وعلى مجموعة من القرى يبلغ عددها عشر - كل أولئك لكى تكون تابعة اداريا للسلطات الادارية فى السودان. وذلك لان السياسة البريطانية ارادت هذا، ولم تستطع مصر تحت الضغط الذى خضعت له وقتذ إلا الموافقة على ما أملتهبريطانيا.

ذلك أن الأرض الزراعية فى حلفا نفسها ضئيلة جدا. وانها الى الجنوب من حلفا اكثر ضآلة، أما الشمال وبصفة خاصة فى جهات فرس وسره ودبيره واشكبت وأرقين ودغيم ودبروسة، فان الإرض الزراعية تتسع والسكان يتجمعون ويفلحون الأرض فاذا قدر للحدود فى هذه المنطقة ان ترسم بحيث تمر بمدينة حلفا حسب ما هو وارد فى الاتفاقية، فان الاراضى الخصبة الواسعة نسبيا فى هذه المنطقة ستقع فى الجانب المصرى، وسيتبع هذا بطبيعة الحال تركز الجزء الأعظم من سكان المنطقة فى الجانب المصرى، وسيكون اعتماد حلفا كله على الارض الواقعة فى الجانب المصرى وعلى السكان المقيمين فى ذلك الجانب. هذه

الصورية ما يجعل التعديل أمرا ضروريا، فادعت ان الأمور الادارية فى هذه المنطقة مع الصحارى المصرية تتطلب ضرورة وضع البدو الذين ينتمون الى جماعة من الجماعات تحت سلطة ادارية واحدة.

وحيث أن منطقة جبل علبه وما جاورها تعيش بها جماعات من البشارية وان الغالبية العظمى من تلك الجماعات تعيش فى السودان. فمن المصلحة ضم منطقة علبه إلى السودان لكى تطبق على سكانها من البشارية النظم الادارية ذاتها التى تطبق على اخوانهم فى السودان وبناء على ذلك اصدر وزير الداخلية قرارا اداريا بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٢ بتعديل الحدود فى منطقة جبل علبه بحيث تصبح على النحو التالى: ـ

يمتد خط الحدود من نقطة على ساحل البحر الاحمر قريبا من بئر الشلاتين ثم يتجه جنوبا بغرب لمسافة ٥٨ كيلو متر إلى بئر منيجة، ثم يمتد شمالا لمسافة ٢٨ كيلو متر إلى جبل نجروب،، ثم جنوبا بغرب لمسافة ٧٠ كيو متر إلى جبل أم الطيور، ثم جنوبا مع انحراف كبير نحو الغرب لمسافة ٥٨ كيلو مترا ثم جنوبا مع انحراف قليل نحو الغرب لمسافة ٢٤٠ كيلو مترا حيث يقابل خط الحدود السياسية الذى يمتد مع خط عرض ٢٢ درجة شمالا.

وقد تخلت مصر إداريا بمقتضى هذا التعديل عن منطقة من أغنى مناطق الصحراء الشرقية مثلثة الشكل تقريبا طول ضلعها الجنوبى الذى يمتد على طول الحدود السياسية ٣٠ كيلو متر تقريبا وضلعها الشرقى الذى يطل على البحر الاحمر ٢٠٠ كيلو متر، وضلعها الغربي٢٠٠ متر كيلو متر أخرى، وهى منطقة تبلغ مساحتها ١٢,٥٠٠ كيلو متر مربع تقريبا.

ثالثا: منطقة جبل بارتزوجا

ولم تجد السياسة الانجليزية مانعا من تغطية سياستها فى اقتطاع منطقة علبه باقتراح ضم منطقة جبل بارتزوجا فى السودان وهى المنطقة الفقيرة اداريا إلى أرض مصر بحجة واهية أن أغلب سكانها من البدو ينتمون إلى جماعات العبابدة، وجماعات العبابدة هذه تعيش فى مصر، فخير لأخوانهم فى السودان أن تطبق عليهم القوانين الادارية ذاتها التى تطبق عليهم فى مصر.

وبناء على ذلك نجد أن نفس القرار الادارى الذى أصدره وزير الداخلية فى ٤ فبراير سنة ١٩٠٢ تضمن ضم المنطقة المحيطة بجبل بارتزوجا اداريا إلى مصر وهى منطقة لا تزيد مساحتها عن ٦٠٠ كم٢.

رابعا: منطقة كورسكو:

وهذه منطقة صحراوية أخرى أشد جفافا من المنطقتين السابقتين، ولكنها أرض مجاور لوادى النيل، وتنحصر بينه وبين خط مستقيم يمتد من جبل بارتزوجا فى الجنوب حتى كورسكو الواقعة على نهر النيل فى الشمال. وقد بدا للسياسة البريطانية أن ضمها للسودان قد يعود عليها بنفع مادى فأملت ارادتها وكان لها ما ارادت. وعدلت الحدود بحيث تصبح المنطقة تابعة للسودان من الناحية الادارية.

ولكن يظهر أن هذه المنطقة لم يوجد بها ما يستدل منه على أهمية خاصة ولم ينجم من ضمها اداريا إلى السودان نفع ظاهر. فتقرر إعادتها إلى الادارة المصرية، وصدر فى سنة ١٩٠٧ قرار بتعديل الحدود تعديلا يكفل اعادة المنطقة إلى مصر، وذلك يجعل الحدود الادارية منطبقة على الحدود السياسية بدلا من أن تنحرف متجهة نحو كودسكو.

هذه نظرة سريعة إلى حدود مصر الجنوبية وإلى ما طرأ عليها من تعديلات ادارية فى الفترة التى عقبت امضاء الاتفاقية الخاصة بالسودان فى سنة ١٨٩٩ . ومنها يستدل على أن مصر قد اقتطعت منها مساحات واسعة ضمت اداريا إلى السودان، وان الحجج التى اعتمد عليها فى تبرير هذا الاقتطاع ليس لها سند من الواقع، ولم تكف مصر عن المطالبة بالغائها والاكتفاء بالحدود السياسية التى فرضتها اتفاقية سنة ١٨٩٩ .

النزاع وحجج الاطراف.

بدأ نزاع الحدود المصرية السودانية عام ١٩٥٨، وفى أواخر يناير على وجة التحديد، وكان ذلك بمناسبة الانتخابات فى السودان، وقانون الانتخاب السودانى والذى أدخل شمالى حلفا وحلايب ضمن دوائر السودان وفى نفس الوقت كان استفتاء الوحدة المصرية السورية، وقد وضعت الحكومة المصرية الاقليم ضمن الدوائر المصرية، ثم لا ننسى أن حكومة السودان فى ذلك الوقت كانت حكومة حزب الأمة، وكان يرأسها السيد عبد الله خليل، وتبادلت المذكرات بين الحكومتين، ووصل الأمر إلى حد ارسال السودان مذكرة لمجلس الأمن، على العموم يستند كل طرف فى مطالبه إلى عدة أسباب سنوجزها فيما يلى:

السـودان

١ ـ ان له الحق فى المنطقة لأنها وضعت تحت الادارة السودانيه نحو ٦٠ عاما .

٢ ـ حتى لو كان الحد إداريا، فإن مصر عند استقلال السودان عام ١٩٥٦ قبلت إدارة السودان لها ولم تطالب بها .

٣ ـ فكرة التقادم قائمة على مبدأ الحيازة الفعلى وعدم وجود معارضة.

٤ ـ فى اعتراف مصر بالسودان كدولة مستقلة عام ١٩٥٦ لم يكن لمصر تحفظات خاصة بالحدود، خاصة وان السودان أشار فى مذكرته إلى مصر، أنه يحتفظ بموقعه الحالى بالنسبة لجميع الاتفاقيات الدولية التى تمت أثناء الحكم الثنائى،

٥ ـ مبدأ قدسية الحدود الموروثة منذ عهد الاستعمار.

ويتلخص رأى مصر فى:

١ ـ أن الحدود الدولية شيئ والحدود الادارية شيئ أخر.

٢ ـ مجرد الإدارة لا تكون سببا كافيا لاكتساب السيادة.

٣ ـ التعديلات التى تمت كانت لتسهيل الادارة، ولذلك قامت بها وزارة الداخلية.

٤ ـ لم تقم اتفاقية دولية بشأن هذا التعديل.

٥ ـ سلم الطرفان المصرى والسودانى على أن تقوم المساحة المصرية والجهات المعنيةبرسم خطين إدارى ودولى.

٦ ـ فى القانون الدولى لا يتم التنازل عن إقليم إلا بموافقة الأطراف المعنية.

٧ ـ فكرة التصادم لا يأخذ بها كثير من رجال القانون لا يأخذ بها.

٨ ـ الوجود المصرى كان ممثلا فى شركة علبة للتعدين وهى شركة مصر، ومصر كانت هى التى تعطى تراخيص التعدين.

على العموم كان هناك ارتباط كبير بين اتفاق واختلاف النظم على الجانبين وبين ظهور المشكلة وخفوتها.

خصائص الوحدا السياسية

١ ـ التفتت السياسي: Fragmentation

ذكرنا ان تقسيم القارة سياسية أدى الى تفتيتها حتى لقد بلغ عدد حدات السياسية ٥٣ وحدة سياسية، بينما فى ظل الحكم الاستعمارى كان هناك اتحاد غرب أفريقيه الفرنسي. Frenh Equatorial Af. ويضم ٨ وحدات سياسية الآن واتحاد افريقيه الاستوائى الفرنسى ويضم أربع وحدات سياسية الان واتحاد روديسيا نياسلاند ويضم ثلاث وحدات سياسية الآن، وكان هناك الإتحاد الى ألفدرالى الذى ضم السنغال مع السودان الفرنسى (مالى) ورواندا بورندى.

٢ ـ درجة عالية من التجاوز والاحتكاك: High degree of Contiguity

وما دام هناك عدد ضخم من الوحدات السياسية، فهناك درجة عالية من التلاقى أو الجوار فمعظم دول القارة يتعدد جيرانها، فعلى سبيل المثال اذا افترضنا أن الدولة الداخلية فى متوسط تجاورها أربع دول والدولة الساحلية تجاورها ثلاث دول ولكن الخريطة السياسية ترينا أكثر من اربع دول، وفى دولة كالسودان يصل العدد الى ٩ دول وكذلك الحال فى زائير، وهى ثمانية فى حالة تنزانيا وزامبيا ويصل فى النيجر الى ٦ دول، ويبلغ التناقض حدته فى أن غمبيا جيب فى السنغال، وليسوتو جيب فى جمهورية جنوب افريقيه، أى جار واحد، بطبيعة الحال تزداد المشكلات بزيادة الاحتكاك، أى بازدياد عدد الجيران.

٣ ـ أشكال غريبة: Awkward shapes

وأدى هذا التفتيت، هذه البصمة أو الوصمة الاستعمارية إلى ظهور وحدات ذات أشكال غريبة، فهناك الدول ذات الاستطالة الظاهرة مثل توجو وغمبيا ومالاوى، وهناك الاشكال الغريبة متمثلة فى مالى الى تنتفخ فى البداية. وكذلك فى النهاية وتضيق كمضيق الزجاجة فى الوسط، والصومال ذات الشكل الأفرنجي، فهى طويلة بالنسبة لعرضها بحيث ان اقليم الاوجادين الاثيوبى يتوغل فيها، كذلك الحال فى موزمبيق التى تشبه الصومال فى الاستطالة وغمبيا أشبه بدودة فى بطن السنغال، كل هذه الأشكال معيوبة استراتيجيا فالاستطالة الشديدة فى الدول تجعل الوحدة الوطنية من الزمور المشكوك فيها، فما بالك والروح القبلية مستشرية بين السكان، وما بالك إذا كانت العاصمة أيضا فى أحد الاطراف دون الوسط كما هو الحال فى توجو والصومال وموزمبيق وليس من شك فى أن الدول البالغة الاستطالة وذات أعناق الزجاجات يمكن اختراقها بسهولة من جانب الدول المجاورة، فعنق الزجاجة هنا هو كعب أخيل الذى يمكن استغلاله حين اللزوم كما فى حالة مالى وزامبيا، ولكن لحسن الحظ الجيران ضعفاء.

ومن الأشكال الغريبة أن بعض الدول قد تكون متماسكة وكتلة واحدة ما يوحى بشكلها النموذجى ولكن يكتشف ان لها زائدة تخرج منها لتخترق دولة مجاورة، وهذه الدول ذات الزوائد لاشك تواجه مشكلات داخلية خاصة حين تكون هذه الزائدة ذات أهمية اقتصادية او استراتيجية كاقاليم شابا فى زائير، بل وأوضحها يتمثل فى اصبع كبريفى الممتد من ناميبيا الى زامبيا، أما إذا انتقلنا إلى انجولا نجدها مكونة من جزئين يفصل بينهما زائير!!

٤ ـ دول حبيسة:

وتأتى الدول الحبيسة التى تفوقت فيها القارة على القارات الاخرى فهى تضم خمس عشرة دولة حبيسة أو نحو نصف الدول الحبيسة فى العالم قبل تفكك الاتحاد السوفيتى ويرجع هذا إلى ظروف طبيعية تتمثل فى أن القارة الافريقية كتلة مندمجة تكاد تكون منعدمة الزوائد والخلجان، قارنها مثلا بالقارة الاوربية، تجد الفرق واضحا، كما يرجع إلى التقسيم الاستعمارى للوحدات السياسية ومن هذه الدول الحبيسة نجد خمسة فيها (مالى ـ بوركينا فاسو ـ النيجر ـ تشاد ـ أفريقية الوسطى) بمساحة تبلغ ٦,٥ مليون كيلو متر مربع فى شمالى وسط القارة، وهناك ثلاث أخرى (أوغندا ـ رواندا ـ بوروندى) دول صغيرة ولكنها ذات كثافة سكانية مرتفعة ووسط شرقى القارة، وبينما هناك مجموعة أخرى جنوب وسط القارة ممثلة فى لوسوتو وسوازيلاند، وأخيرا أصبحت اثيوبيا بعد انفصال ايرتريا عنها عام ١٩٩٢ . فهذه هى قارة الدول الحبيسة بامتياز مثل هذه الدول الحبيسة لها مشكلاتها الاقتصادية السياسية، من مشكلاتها الاقتصادية عدم الاتصال المباشر والحر بالعالم الخارجى والتجاره العالمية، وتكون النتيجة اما شبه العزلة والانطواء باعتمادها على الاقتصاد المعيشى خاصة اذا كانت سلعها كثيرة الحجم قليلة الوزن كجلد الماشية فى تشاد والنيجر فضلا عن سوء حالة النقل.

ويكفى أن مثل هذه الدول لابد وأن تعقد الاتفاقات مع الدول ذات المنافذ البحرية المجاورة وأن يكون حسن العلاقات سياستها وقد يتطلب الأمر وحدة اقتصادية.

ولعل خوف اثيوبيا من اعطاء اريتريا حريتها حتى عام ١٩٩٣م يرجع الى الخوف من مطالبة القوميات الاخرى باستقلال، ولكنه ايضا لحرمانها من جبهة

بحرية طفيلة بحيث تصبح دولة حبيسة، لأن المنفذ الآخر عن طريق سكك حديد جيبوتى تقع نهايته فى جيبوتى. بذلك نص الاتفاق الاثيوبى الاريترى على ان تمر التجارة الاثيوبية من ميناء مصوع وعصب حرة دون قيد.

٥ ـ دول صغيرة مساحة وسكانا:

ويتبع هذا التفتيت السياسى الكبير ان القارة تشهد عددا ضخما من الدول الصغيرة الحجم، فهناك خمس عشرة دولة مساحتها أقل من ١٠٠ آلف كم٢ وهى سيراليون، غينيا بيساو ـ ليسوتو ـ غينيا ا لاستوائية، رواندا، بوروندى، جيبوتى، سوازيلاند، غامبيا، والرأس الأخضر، والقمر، موريشيس، وساوتومى وسيشل، بل ان الخمس الأخيرة مساحتها اقل من ١٠ آلاف كم ٢ وعلى الطرف الاخر توجد ثلاث دول فقط تزيد مساحتها على ٢ مليون كم٢ وهى السودان والجزائر وزائير وتسع دول تتراوح مساحتها بين مليون، ومليونى كيو متر مربع وهى ليبيا ـ تشاد ـ النيجر ـ انجولا ـ مالى ـ جنوب افريقيه ـ اثيوبيا ـ موريتانيا ـ مصر، وفى الحقيقة ان المجموعة الأولى ا لقزمية الحجم تتميز أيضا بفقرها، فلا يوجد بها دول ذات إمكانات سوى غانا وليبيريا وتونس.

وفضلا عن كثرة الدول القزمية مساحة، هناك الدول القزمية سكانا، فهناك ٢١ دولة يقل عدد سكانها عن ٥ مليون نسمة، بل من هذه المجموعة سبع دول يقل سكانها عن المليون مثل سوازيلاند والقمر وجيبوتى وغينيا الاستوائية والرأس الاخضر وساوتومى وسيشل، وهذا معناه ضيق السوق خاصة اذا كانت تتميز بفقرها الشديد وضعف القوة الشرائيه مما لا يشجع على قيام نشاط صناعى وجذب استثمارات، بل منا دول تتميز بالمساحة الكبيرة والخلخلة السكانية، وتصبح المساحة الكبيرة أشبه بالجلباب الفضفاض بالنسبة للسكان، هذا واضح فى ليبيا وموريتانيا وفى نفس الوقت نجد أن بعض الدول القزمية

مكتظة بسكانها كرواندا وبوروندى وليسوتو مما يؤدى إلى هجرة البعض بحثا عن عمل فى الدول المجاورة.

ومن مشكلات الدول الكبيرة المساحة خاصة الصحراوية أو الغابية يتمل فى الصعوبات الجمة فى ادارتها، وبسط سلطان الدولة على أرجائها كا هو الحال فى الجزائر والمغرب اثناء الفترة التركية، فقد كانت قبضة الدول على الأطراف الشمالية قوية، ثم تضعف تدريجيا بالاتجاه جنوبا، كذلك فى حالة ليبيريا، وزائير،واثيوبيا،ونيجيريا.

اذا ضربنا مثلا بليبيريا لم يكن هناك اهتمام من جانب الادارة بالأجزاء الداخلية من البلاد بين عامى ١٨٤٧ ـ ١٩٠٥ إلا فيما يختص بالدفاع، ولم يزر رئيس الدولة الأجزاء الداخلية إلا فى عام ١٩٢٥، ولم تمثل الأجزاء الداخلية فى البرلمان إلا بعد عام ١٩٤٥م.

وقد أدى اتساع مساحة نيجيريا وتعدد الشعوب إلى تقسيم البلاد أول الأمر إلى ثلاث حكومات اقليمية، تنفق وتوزع مجموعة القبائل أو الشعوب الكبيرة فيها: اليوربا فى الغرب، والإيبو فى الشرق، والهوسا فى الشمال، من ثم كان هناك الإقليم الشرقى، والإقليم الغربى، والإقليم الشمالى، ثم أضيف اليها إقليم رابع، ما بين الشرق والغرب، وإن كانت لا تشغله وحدة قبلية كبرى، كالأقاليم السابقة، وذلك ان قبيلة الادو Edo كانت مستاءة من سيادة اليوربا عليها.

وقد حاولت أول حكومة عسكرية فى غانا عام ١٩٦٦ تقوية الشعور بالوحدة الوطنية، وذلك بالغاء الوحدات الادارية الكبرى ذات الحكم الذاتى، والتحول الى الحكومة المركزية حتى لا تعطى فرصة للقبلية، ولكن الحكومة التى تلتها حاولت القضاء على الولاء القبلى والاقليمى بزيادة عدد الوحدات الادارية حتى بلغت

اثنتى عشرة وحدة عام ١٩٦٧، وذلك للتقليل من أهمية كل وحدة من ناحية القوة، من ثم قسمت إلى تسعة عشر إقليما إداريا عام ١٩٧٦، وأخيرا لا ننسى مشكلة إقليم شابا فى زائير أيضا .

٥ ـ العواصم الافريقية:

كان البعض يرجع نشأة العواصم الافريقية إلى فترة الاستعمار الحديث، غير أنه لا يمكن ارجاع كل العواصم الافريقية إلى الاستعمار الحديث، فهناك القاهرة التى جاوزت الالف عام، وفى مراكش (المغرب) كانت العاصمة حيث يستقر الملك أو السلطان، فكانت فاس ومكناس عواصم، ولم تصبح أديس أبابا عاصمة لأثيوبيا إلا فى نهاية القرن التاسع عشر، بل كانت الدويلات الافريقية قبل الفترة الاستعمارية، كل لها عاصمتها كما فى الاشانتى وداهومى ويوجندا .

فى مثل هذه الدول ذات الاشكال الغريبة تأتى مواقع العواصم أكثر غرابة فالمفروض فى العاصمة التى تمثل مركز السلطة ومصدر الاشعاع لكل انحاء الدولة، أن تكون فى وسط الدولة، أو هى منه اقرب حتى يشعر بها الجميع، ولكنك إذا استعرضت العواصم الافريقية سنجد أنها أبعد عن هذا الوسط، بل متطرفة أشد التطرف، انظر الى عواصم الشمال الافريقى ليبيا تونس الجزائر المغرب، وانظر إلى عواصم دول غرب افريقيه كنيجيريا، وتوجو، وغانا، وساحل العاج... الخ، انظر إلى تنزانيا، وناميبيا، وزائير وغيرها ثم انظر إلى عواصم مالى والنيجر وتشاد والصومال وموزمبيق كلها متطرفة. ويمكن القول أن التطرف فى موقع العواصم يرجع الى عامل جغرافى كمتطرف المعمور (البحر المتوسط ـ السفانا) أو لسبب سياسى كما فى العواصم الساحلية، اذا ثبت أن هناك ست وثلاثون دولة ساحلية، منها سبع وعشرون عاصمتها ساحلية، وتمثل العاصمة فى معظم الاحوال البناء الأول والمركز الصناعى والتجارى والتعليمى

الثقافي وبالتالي تستحوذ على معظم التسهيلات والخدمات التى تقدمها الدولة، وهذا بطبيعة الحال على حساب المدن والاقاليم الاخرى فى الدولة ويصبح الفرق ضخما بينهما، ومن ثم تتضخم العواصم وتعجز الخدمات عن الوفاء بحاجة هذا الفيض المتدفق من البشر، فالعاصمة هى المدينة المهينة Primate city

فغرض الدول المستعمرة وهدفها الأول أن تكون على اتصال سهل بادارة المستعمر، وتكون هذا العاصمة مركز إستقبال وإرسال للتجارة، فإذا ما انشأت عاصمة جديدة لم تراع إلا ماسبق، رغم ان هذا قد يكون فيه انعزال العاصمة وتطرفها عن بقية أجزاء المستعمرة الفرنسيون انشأو الدار البيضاء لتكون الميناء الأول، والرباط لتكون العاصمة، رغم أن مراكش أو فاس قد تكون اكثر مركزية، من ثم تغيرت فى كثير من الأحوال عواصم العهد الاستعمارى المبكر حيث ثبت أنا غير مريحة، وأنها لم تكن المكان الامثل جغرافيا واقتصاديا، فقد حكمت (غينيا البرتغالية (بيساو) من الرأس الاخضر حتى على ١٨٩٦ ثم تحولت الى جيبا حتى عام ١٨٩٠م لتنقل إلى بولاما حتى عام ١٩٤١ ثم تالى بيساو والان، وكانت جرائد تتبسام عاصمة كوت ديفوار حتى عام ١٨٩٣، ثم بنجرفيل حتى عام ١٩٣٤ والأن اصبحت ابيدجان، على حين كانت كيب كوست هى عاصمة ساحل الذهب (غانا) حتى عام ١٨٧٦ حين تحولت الإن إلى اكرابل وكانت العاصمة أحيانا تدير اقطارا عديدة على سبيل المثال كانت فريتون (سيراليون فى أوائل القرن التاسع عشر هى مركز الادارة لأقطار عديدة لغرب إفريقية البريطاني، وكانت كايس (فى غرب مالى) أول الامر الفولتا العليا (بوركينا فاسو) والنيجر يحكم من زندريين عامى ١٩٢٢ ، ١٩٢٦، ثم انتقل مركز الحكم إلى نيانى، وعلى نفس المنوال كانت مبسة عاصمة محمية شرق افريقيه البريطانى والتى اعطت مكانها فيما بعد إلى نيروبى عاصمة لكينيا وعنتبة تعاصمة لأوغندا وكانت هناك حالتان كان لابد من إقامة عاصمتين لهما بعد الاستقلال، الأولى تتمثل فى

موريتانيا التى كان يحكمها الفرنسيون من سانت لويس (إلا فى السنغال) ومحمية بوتشوانا لاند التى كان يحكمها المندوب السامى البريطانى، الذى كان فى نفس الوقت سفير بريطانيا فى جنوب افريقيه ومن مفكنج، لذلك كان لابد من بناء نواكشوط فى الحالة الأولى جابر ونس فى الحالة الثانية

وفى بعض الأحوال كانت سيكولوجية الاستقلال والرغبة فى التنمية الاقتصادية قد تكون حافزا للبحث عن عاصمة جديدة، كما فى حال ليلنجوى لتنشيط التنمية فى الاقليم الأوسط وتحل محل زومبا ذات الموقع المتطرف، ونقلت أوغندا المستقلة عاصمتها من عنتبة إلى كمبالا العاصمة التاريخية لملكة بوجندا، رغم ان مليتون أو بوتى فعل الكثير للتقليل من أهمية بوجندا.

من هناك كانت عملية نقل العاصمة أيانا تراود فكر المخططين أحيانا كحل للاكتظاظ ومشكلاته، نفذت أحيانا كما فى أبوجا بدلا من لاجوس، وهناك أعداد دودوما بدلا من دار السلام، ورأى البعض أيضا أن موقع الخرطوم متطرف فى أقصى الشمال بالنسب لجنوب السودان، بل ظهرت أيضا آراء تنادى بنقل العاصمة من القاهرة.

- E.A A,politcal geography of Africa, London 1978.

-- Clark, J. ed: An Advanced egeog. of Africa, London 1975.

-- Carter, G., ed: National unity and Regionalism in Eight African States, Cornell U.P. 1966.

-- Colman. J.: Nationalism in Tropical Africa, in mcwan P.j., sutcliff, The study of Africa, London, 1992.

-- Glassner Martin, I R A. Political egeag., Jhon wiley 1992. Martin, P., O'meara, P., Africa, Indiana U.P. 1986.

-- Saadia Toval : The Boundary Politics of Africa, Harvard U. P, 1972

-- Stamp. D: Africa A Study in Troica development, London 1963

-- Wallerstin I : Independence and after in Roger E., Kaperson and Minghi: The Structure of Politlcal geography, London, 1970

ملحق

لبحث الصناعة فى إفريقيا

إنتاج المعادن والصناعة فى إفريقيا
بالنسبة لإنتاج العالم.

الفحم الصلب	٥,٥٪	خام الزنك	٣,٥٪
البترول الخام	١٢,٥٪	الكوبالت	٦٥,٨٪
خام الحديد	٥,١٪	الذهب	٣٥,٩٪
الغاز الطبيعى	٣,٨٪	اليورانيوم	٢٥,٤٪
الجازولين الطبيعى	,١٣٪	الفوسفات الطبيعى	٢٥,٢٪
خام النحاس	٨,٣٪	الكاولين	١,٢٪
البوكسيت	١٧,٤٪	الفضة	٤٪
النيكل	٩,٨٪	حديد البايرتب	٨,٦٪
الرصاص	٨٪	الفوسفات الطبيعى	٢٥,٤٪
المنجنيز	٣٥,٦٪	الفلسبار	١١,٥٪
التتاليوم	٣٠,٣٪	الماس الصناعى	٤٣,٢٪
الڤانديوم	٧٤,٨٪		

تابع إنتاج المعادن والصناعة فى إفريقيا
بالنسبة لإنتاج العالم.

الفواكه المعلبة	٨,٢٪	زيت فول الصويا	٫٣٪
لحوم معلبة	٫٨٪	زيت بذرة القطن خام	٢٪
الخضر المعلبة	١٪	زيت بذرة القطن مكرر	٢١,٤٪
السكر المكرر	٦,٣٪	سكر خام	٥,١٪
مستخرجات البن	١٦٪	زيت الزيتون الخام	١٦,٢٪
الخبز والبسكويت	٤٣,٢٪	الطباق المصنوع	١٢,٣٪
الخمور	٤,٧٪	نسيج القطن	١,٥٪
البيرة	٥,٧٪	الخشب المنشور	٤,٦٪
المياه المعدنية	١,٣٪	تجهيز ورق الطباعة	٤,٩٪
أسماك مجمدة	١,٤٪	قشرة الخشب	٩,٧٪
أسمالك معلبة	٦,٦٪	لباب الخشب	١٪
سلفات النحاس	٥,٣٪	ورق الصحف	١,٢٪

تابع إنتاج المعادن والصناعة فى إفريقيا
بالنسبة لإنتاج العالم.

الأمونيا	١,٥٪	الأسمنت	٣,٩٪
مخصبات الفوسفات	٧,٤٪	الحديد	٤,٩٪
سوبر فوسفات	٨,٦٪	الصلب	١,٧٪
مطاط صناعى	,٥٥٪	النحاس	٦,٨٪
الصابون	٢٢,٣٪	الومنيا	,٠١٧٪
جازولين الطائرات	٩,٦٪	الكهرباء	٢,٨٪
وقود النفاثات	٢,٧٪	مقطولات	٥,٦٪
جازولين المحركات	٢,٨٪		
الكيروسين	٨,٢٪		
زيت غاز الديزل	٧,٨٪		
فحم الكوك	١,١٪		
الأحذية المطاطية	,٤٥٪		

المصدر : Industrial Commodity Statistics Year Boofk 1993.
U.V. New York 1995

جدول رقم ٢
شمال أفريقية وغرب آسيا : العمالة ومعامل الإنتاجية
١٩٧٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٩٠

الصناعة	الدول الصناعية بالألف			MVA لكل عامل		
				المعامل		القيمة بالدولار
	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٠
الطعام	٣٢٧	٥٢٥	٦٨٦	٦٩,٧	٩٣	٩٥٠٢
المشروبات	٣٩	٦٩	١٠١	٩١,٧	١٠٨,٧	١٨١٢٩
التبغ	٧٢	١١٠	١٠٠	٥٢,٧	٨٩,٧	٢٢٣٨٣
المنسوجات	٥٥٦	٧٤٧	٨٠١	١٢٤,٤	١٥٤	٨٩٤١
الكساء	٥١	١٢٤	٢٥٦	٨٢,١	٧٠,٥	٥٨٢٩
الجلد	١٤	٢٢	٣٤	١٠٩,٩	١٢٢,٢	١٢٢٩٨
الأحذية	٣٢	٥٧	٧٢	٦٤,٨	٦٤,٨	٩٠٤٠
الخشب	٣٤	٦٠	٧٦	١١٠,٥	١٣٠,٣	١١٠٤٥
الأساس	٢٥	٤١	٥٨	١١٩,٨	١٠٨,٦	٨٢٠٣
الورق	٣٩	٦٧	٩٠	١١٧,٦	١٥٦,٨	١٥٩٥٦
الطباعة	٣٩	٦١	٧٥	٩٤,٥	١٢٩,٨	١٢٥٠٧
الصناعات الكيماوية	٣٢	٨٤	١٣٤	١١٠,٤	١٥٧,٦	٢١٢١٥
كيماويات أخرى	٧٥	١٠٧	١٤٩	١٢٣,٢	٢٠٥,٦	٢٣١٣٤
صناعات بترولية	٢٠	٦٠	٥٨	٥٤,٥	١٣١,٤	٣٤٨٨٠٠
منتجات الفحم والبترول	٣	١٥	٢٣	١٢٢,١	١٠١,٧	٢٠٠٨٥
المطاط	٢٠	٢٨	٤٠	١٣٨,١	١٨٧,٣	١٨٩٤٤
البلاستيك	١٦	٥٣	٦٩	١٠١,٦	١٣٤,٨	٢٥٢٣٩
فخار	٩	٢٠	٣٢	١١٤,٤	١٧٧	١٤١٦٨

تابع جدول رقم ٢
شمال أفريقية وغرب آسيا : العمالة ومعامل الإنتاجية
١٩٧٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٩٠

الصناعة	الدول الصناعية بالألف			MVA لكل عامل		
				المعامل		القيمة بالدولار
	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٠
زجاج	٢٢	٣٧	٤٦	١١٩,٧	١٨٥,٧	١٥٣٤١
المعادن اللافلزية	١١٨	٢٧٣	٣٨٩	١١٠,٤	١٢٥,٧	١٥٣٦٩
الحديد والصلب	٦٢	١٥٩	٢٢٠	٧٧,٥	١٠٣,٢	١٤٤٩٢
معادن غير حديدية	١٣	٥٥	٧٧	٩٩	١٦٦,٦	١٥٤٠٩
منتجات معدنية	١٠٧	١٧٠	٢٢١	٩٥,١	١٢٦,٩	١٣٤٩٦
آلات غير كهربية (آلات)	٤٢	١٠٦	١٥٩	١١٥,٥	١٦٩,٧	١٥٩١١
آلات كهربية	٤٧	١١٢	١٦٥	٨٩,٨	١٣٣,٥	١٩٧٥٤
المواصلات	٨٥	١٤٦	٢١٣	٧٣,٩	١١٩,٦	١٦٦٨٧
مهنية وعلمية	٣	٧	١٦	١١٧,٩	١٢٦,٩	١٣١٠٩
صناعات أخرى	١٢	١٩	٢٩	١٥٨,٩	١٧٠,١	١٠٦٧٣
الإجمالى	١٩٢٧	٣٣٤٤	٤٤٠١	٩٩,٨	١٣٦	١٧٥٨٩

جدول رقم٣
أفريقية المدارية : العمالة الصناعية ومعامل الإنتاجية
١٩٧٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٩٠

الصناعة	الدول الصناعية بالألف			MVA لكل عامل		
				المعامل		القيمة بالدولار
	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٠
الطعام	١٧٦	٢٨٥	٣٥٥	٩١,٣	٩٠,٨	٥٤٠٤
المشروبات	٣٨	٧٤	٩٤	٨٩,٧	٩٣,٩	١٥١٢٣
التبغ	٢٤	٣٩	٣٣	٨٣,٤	١١٠,٥	١٤٧٦٧
المنسوجات	١٥٣	٢٦٤	٢٦٤	٨٨,٥	٧٦,٥	٣٤٧٠
الكساء	٤٢	٦٧	١٢٦	٨٤,٧	٨٤,٦	٣٠٠١
الجلد	٦	١٣	١٨	١٢٧	١١٧,٧	٥١٥٣
الأحذية	١٥	٢٥	٣١	٩٨,١	١٠٦,٣	٥٢٤٨
الخشب	٧٠	١١٠	٦٧	١٢٤	١٦٢,٩	٣٩٣٣
الأثاث	٢٢	٤٥	٣٥	١١٤,٣	١٠٣,٤	٣١٤٦
الورق	١٠	٢٥	٣٥	٩١	٦٩,٣	٥٥٣٤
الطباعة	٢٨	٥١	٥١	١٠١,٣	٨٥,٣	٤٤٥٦
الصناعات الكيماوية	١٣	٢٦	٣٠	٨٣	٩١,٥	٨٤٢٧
كيماويات أخرى	٢٣	٥٦	٧١	١١٨,٨	١٠٠,٢	٨٢٤٢
الفحم والبترول	٥	٩	١٤	٦٨,٢	٥٦,١	٣١٣٤١
المنتجات	,٢	,٧	١,١	٣٤,٧	٢٦,٥	١٧٩٨٤
المطاط	١٨	٢٦	٢٠	٩٧,٤	١٧٢,٦	٩٠٠١
البلاستيك	٦	٤٢	٢٩	٨١,١	٩٥,٣	٥٣٢٢
الفخار والصينى	١	٢	٢	١٣٥,٣	٢١٩,٧	٧٩٧٦

تابع جدول رقم ٣
أفريقية المدارية : العمالة الصناعية ومعامل الإنتاجية
١٩٧٠ ، ١٩٨٠ ، ١٩٩٠

الصناعة	الدول الصناعية بالألف			MVA لكل عامل		
				المعامل		القيمة بالدولار
	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٨٠	١٩٩٠	١٩٩٠
الزجاج	٤	٦	٨	١٥٠,٣	٩٨,٦	٤٩٨٠
أملاح غير معدنية	٣١	٥٢	٥٥	٨٧,١	١١٥,٤	٦٨٨٢
الحديد والصلب	١١	٢٢	٣٦	١٤٢,٥	١٠١,٢	٧٢٨٤
معادن غيرصلبة	٣	٧	٦	٥٧,٥	٩٦,٤	٢٢٣٧٢
منتجات معدنية	٥٢	٩٧	٩٣	١٠١,٧	١١٠,٨	٥٥٩٩
آلات غير كهربية (آلات)	٨	١٩	١٦	١٠٠,٢	١٣٨,١	٧٧٢١
آلات كهربية	١٣	٣٣	٣١	٩٦,٤	١١٨,٥	٦٨٨٦
معدات النقل	٢٩	٦٥	٥٩	٢٦٣,٤	١٥٥,٤	٧٤٢٣
مهنية وعلمية	,٣	١,٤	٢,٤	٧٧,٩	١٣٠,٤	٦١٦٤
صناعات أخرى	٩	١٥	٢٠	٨٩,٦	٧٦,٢	٥٣٦٠
الإجمالى	٨١٢	١٤٧٦	١٦٢٥	٩٩,٧	٩٩,٧	٦١١٢

جدول رقم ٤
العلماء والمهندسون لكل مليون نسمة فى أقطار إفريقية مختارة
ونسبة GNP المخصصة للبحث والتنمية

الدولة	المدة	العلماء والمهندسين لكل مليون نسمة		نسبة GNP المخصصة للبحث والتنمية	
		بداية المدة	نهاية المدة	بداية المدة	نهاية المدة
ج.افريقية الوسطى	١٩٧٥ - ١٩٨٤	٣٧	٧٨	,١	,٣
الكنغو	١٩٧٧ - ١٩٨٤	١٩٧	٥٠٩	,٤	٠٠
كوت ديفوار	١٩٧٠ - ١٩٧٥	٦٠	٧٤	,٤	٠٠
مصر	١٩٧٣ - ١٩٨٢	٢٩٩	٤٤٦	,٨	,٢
غانا	١٩٧٠ - ١٩٧٦	١٩٩	٣٩٦	٠٠	٠٠
كينيا	١٩٧٠ - ١٩٨٢	٢٨٢	٥٤٣	٠٠	٠٠
مدغشقر	١٩٧٠ - ١٩٨٠	٢٤	١٣	,٩	,٢
النيجر	١٩٧٢ - ١٩٧٦	٧	٢٠	٠٠	,١
نيجريا	١٩٧٠ - ١٩٧٧	٢٥	٣٠	,١	,٣
السودان	١٩٧١ - ١٩٧٨	٨٩	٢٥٠	٠٠	,٣
زامبيا	١٩٧٠ - ١٩٧٦	١٨	٤٩	,٢	٠٠

جدول رقم ٥
إتجاهات فى تكوين العلم والتكنولوجيا الخاصة بصانعى السياسة فى أفريقية

النـــوع	الأرقـــام		
	١٩٧٣	١٩٧٩	١٩٨٦
وزارة العلوم	٥	٩	٢٧
تخطيط العلم	١٢	١٨	٢٠
البحث العلمى	١٨	٢٤	٢٨
العلوم الطبيعية	٢	١٦	٢٥
الزراعى	١٥	٣٠	٣٢
الطبى	٦	٢٠	٢١
النووى	٣	٤	٤
الصناعى	٧	٢٢	٢٥
البيئ	١	١٤	١٥
الإجمالى	٦٩	١٥٧	١٩٧

جدول رقم ٦
العمالة الخارجية والداخلية والكلية فى دول كينيا وتنزانيا وزامبيا وزيمبابوى
(معدل النمو)

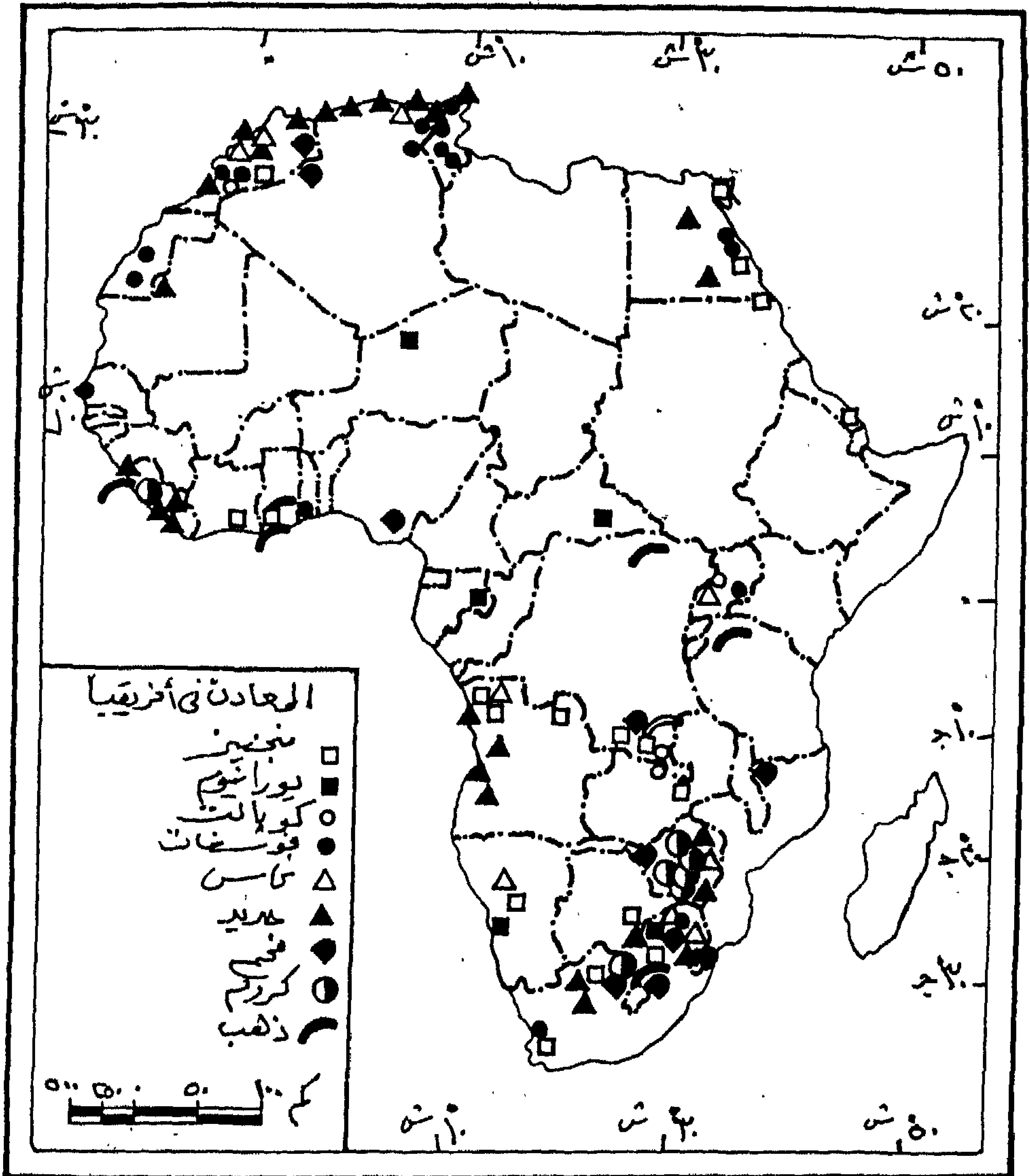
الدولة	المدة	العمالة الخارجية الموسمية	النمو فى العماله	النمو فى العاصمه	نصيب العمال	TFP النمو
كينيا	١٩٦٤ - ١٩٨٣	٧,٩٩	٥,٦٩	١٠,٦٠	,٣٥	,٨٩
تنزانيا	١٩٦٦ - ١٩٨٠	٨,٠٦	٨,٧٨	٨,٤٥	,٣٦	,٥١
زامبيا	١٩٦٥ - ١٩٨٠	٤,٩٨	٣,٦٣	١٤,٠٠	,٣٣	٥,٦٠
زيمبابوى	١٩٦٤ - ١٩٨١	٥,٢٨	٤,٧٦	٥,٥٥	,٣٩	,٠٣

جدول رقم ٧
التوزيع الشامل لنفقات البحوث والتنمية فى الأقاليم الرئيسية (نسبة تقديرية)

الإقليم	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
أفريقيا	,٢	,٣	,٣
الدول العربية	,٢	,٣	,٥
آسيا	٧,٣	١٠,٨	١٤,٨
أوربا	٢٥,٣	٣٢	٣٤
أمريكا اللاتينية	,٨	١,٥	١,٨
أمريكا الشمالية	٤٤,٥	٣٣,٧	٣٢,١
الأوقيانوسية	,٨	١	,٩
الاتحاد السوفيتى	٢٠,٩	٢٠,٤	١٥,٦
الإجمالى	١٠٠	١٠٠	١٠٠

جدول رقم ٨
التوزيع الشامل لعلماء ومهندسى البحوث والتنمية
(نسبة تقديرية)

الإقليم	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
أفريقيا	,٣	,٤	,٤
الدول العربية	,٦	,٧	,٩
آسيا	١٧,٤	١٨,٦	١٨,٥
أوربا	٢٢	٢٢,٦	٢٢,٣٠
أمريكا اللاتينية	١,٥	١,٨	٢,٤
أمريكا الشمالية	٢١,٨	١٧,٣	١٨
الأوقيانوسة	,٩	,٨	,٩
الاتحاد السوفيتى	٣٦,٦	٣٧,٨	٣٦,٦
الإجمالى	١٠٠	١٠٠	١٠٠


المعادن فى أفريقيا
منجنيز
يورانيوم
كوبالت
فوسفات
نحاس
حديد
فحم
كروم
ذهب
كم

المحصولات النقدية

بن

كاكاو

فول سوداني

فول سوداني (أهم مناطقه)

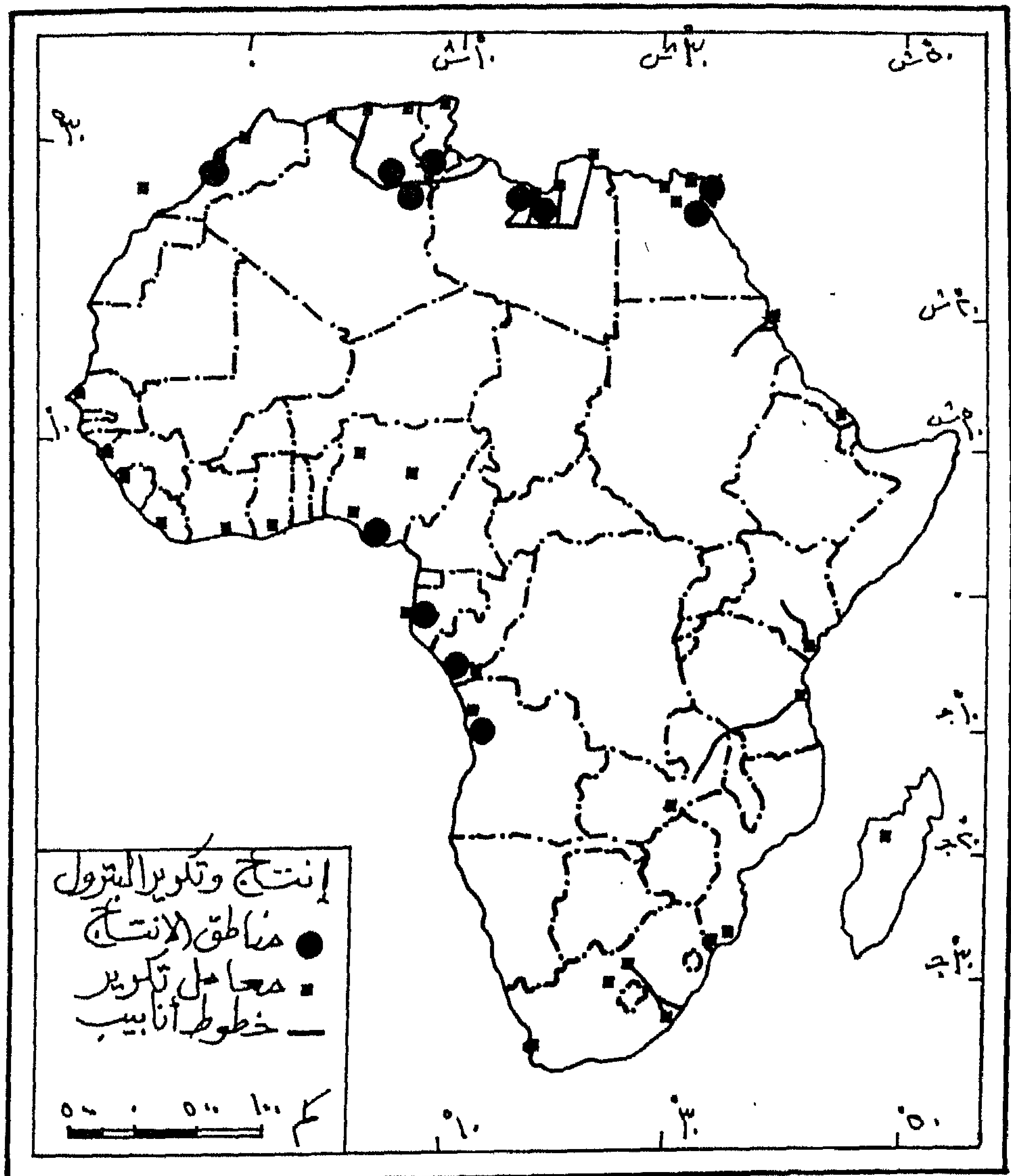
كروم

قطن

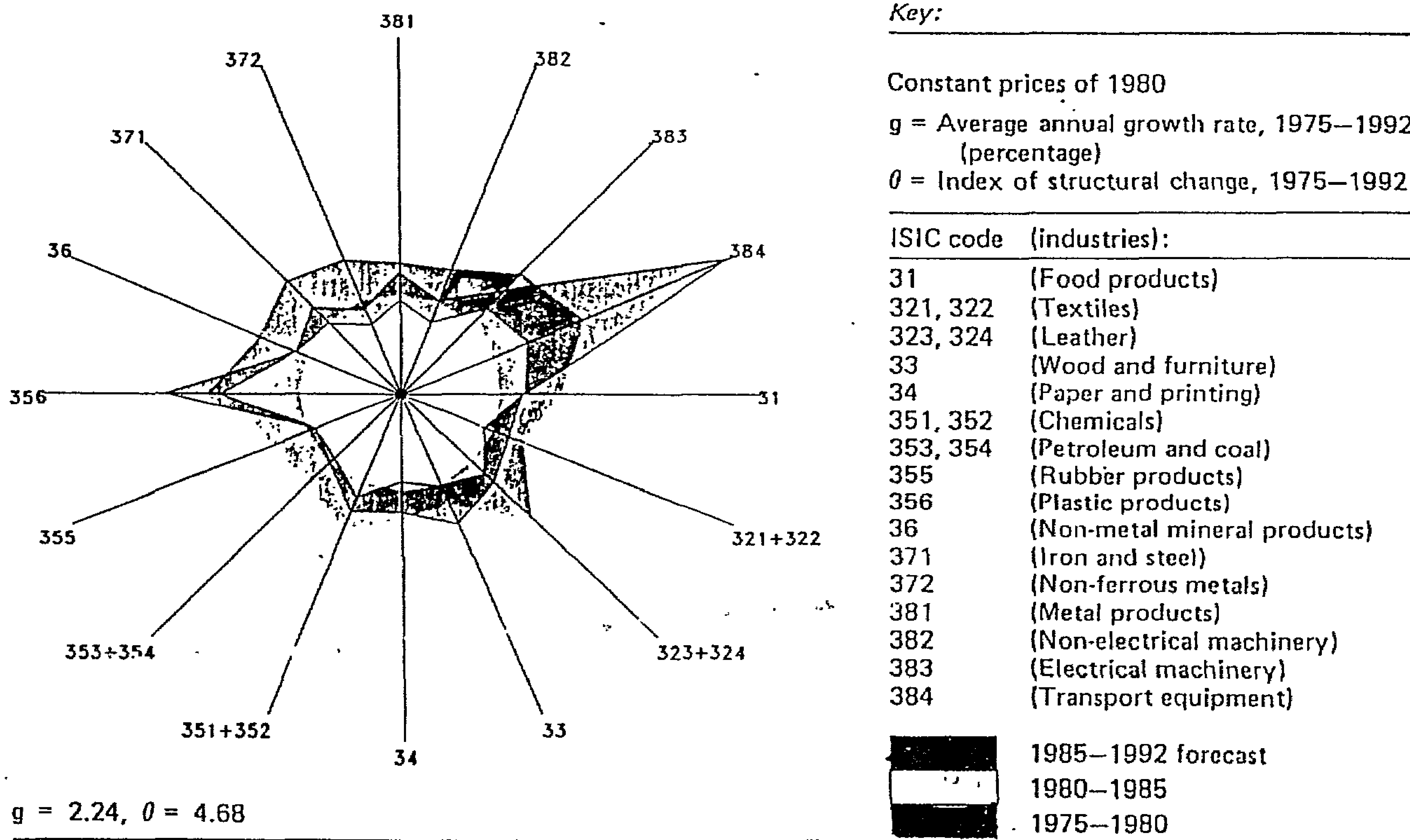
فواكه

سيزل

كم ١٠٠٠ ٥٠٠ ٥٠٠


إنتاج وتكرير البترول
مناطق الإنتاج
معامل تكرير
خطوط أنابيب
كم ١٠٠٠ ٥٠٠ ٠ ٥٠٠

Industrial structural change
(Index of value added: 1975 = 100)



Sources: UNIDO database; estimates and forecasts by UNIDO/PPD/IPP/GLO.

دار مجدى محمود للطباعة والنشر
ت : ٥٨١٤١٩٤

رقم الإيداع

٩٧ / ٥٧٠٠

معهد البحوث والدراسات الأفريقية

جامعة القاهرة

★ انشئ معهد الدراسات السودانية فى عام ١٩٤٧م ضمن كلية الآداب جامعة القاهرة، وكانت مدة الدراسة به سنتين.

★ استقل المعهد عن كلية الآداب تحت اسم معهد البحوث والدراسات الأفريقية. وتم تعديل لائحة المعهد فى عام ١٩٧٠ وأصبح يضم سته أقسام متخصصة فى الدارسات الأفريقية المختلفة، وهى "قسم الجغرافيا - قسم التاريخ - قسم النظم السياسية والاقتصادية - قسم الأنثروبولوچيا - قسم اللغات الأفريقية - قسم الموارد الطبيعية

★ يحصل طلاب المعهد على دبلوم فى الدارسات الأفريقية بعد دراسة مدتها سنتين حسب التخصص.

★ يتقدم الحاصلون على تقدير (جيد) فى هذا الدبلوم للتسجيل لدرجة الماچستير، وبعدها لدرجة الدكتوراه للحصول على هاتين الدرجتين من الأقسام المتخصصة بالمعهد.

★ يضم المعهد بعض المراكز العلمية المتخصصة مثل مركز تعليم اللغة العربية للأفارقة، ومركز المعلومات والاستشارات الأفريقية بالاضافة الى وجود متحف اثنوجرافى ومكتبه ضخمه متخصصة.

★ يصدر المعهد مجلة دورية تحت اسم "مجلة الدارسات الأ وهى مجلة أكاديمية متخصصة فى الشئون الافريقية.

★ يصدر المعهد نشرة علمية غير دورية لمعالجة كافه القضايا ال

